مجلة المجمع العلمي العربي

« جزء خاص بذكرى البدء بإصدار المجلد الأربعين »

كانون الثاني « يناير » سنة ١٩٦٥ م

شعبان سنة ١٣٨٤ هـ

مد

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي { في جميع البلاد العربية ١٠٠٠ قرش سوري
وفي سائر الاقطـــار ١٢٠٠ قرش سوري }

وإذا طلب إرسال المجلة بالبريد الجوي تضاف أجرته إلى قيمة الاشتراك

(تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه)

البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتّاب في هـذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

المجمع العلمي العربي بدمشق

هذه خلاصة جد موجزة في تأسيس المجمع العلمي العربي ، وفي أهم الأعمال التي اضطلع بها[1] . ومن أراد زيادة في ذلك ، حتى سنة ١٩٥٦ ، عليه بمراجعة الكتاب الذي أصدره المجمع في السنة المذكورة بعنوان « تاريخ المجمع العلمي العربي » لمؤلفه الأستاذ أحمد الفتيح .

نبذة تاريخية . — قلت في كتاب القومية العربية (ص ٢٩٦) :

« . . . أما عهد الأتراك العثمانيين ، منذ احتلالهم للديار العربية في القرن العاشر للهجرة حتى خروجهم منها عقب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ للميلاد ، فقد كان في الجملة أسوأ عهد مرّ على العربية وآدابها ؛ ذلك بأن المماليك من أتراك وشراكسة كانوا قبل الأتراك العثمانيين يسكنون مصر والشام ، ويتعلمون العربية ، وكانت لغتنا في أيامهم هي لغة الحكومة الرسمية . أما الأتراك العثمانيون فقد اتخذوا اسطنبول عاصمة لهم ، وجعلوا التركية وحدها لغة حكومتهم الرسمية حتى في بلادنا العربية . وكان ذلك ضربة أصابت لغة القرآن في الصميم . ولم تشف لغتنا الضادية من تأثير هذه

---

(١) عندما توحدت مصر وسورية في أول شباط « يونية » سنة ١٩٥٨ وجد المجمع العلمي العربي في دمشق ومجمع اللغة العربية في القاهرة فائدة في دمج المجمعين في مجمع واحد على أن يكون له فرعان فرع في دمشق وفرع في القاهرة ، وعلى أن تظل أعمال كل من الفرعين تسير كما كانت تسير عليه في السابق . وبذلك أوجد تعاون وثيق بينهما واختصاص في بعض الأعمال . وصار اسم مجمعنا مجمع اللغة العربية بدمشق . ولكن مجلته ظلت محتفظة باسمها السابق لشهرته .

الضربة إلا بعد أن انفصلت مصر عن الدولة العثمانية في القرن الماضي ، وانفصلت عنها الشام والعراق واليمن وأجزاء المملكة العربية السعودية عقب الحرب العالمية الأولى » .

ولم يكن من المعقول أن تهتم حكومات الدولة العثمانية باللغة العربية إلا بمقدار ما كانت تحتاج اليه منها في تعليم لغتها التركية العثمانية . فقد كانت ألوف من ألفاظ الحضارة ولا سيما من المصطلحات العلمية العربية قد أدخلت في اللغة التركيه . ولكن علماء الترك ما كانوا حريصين على صحة الألفاظ العربية التي ينقلونها الى لسانهم ، وكانوا يحورون بعض تلك الألفاظ على هواهم أحياناً .

ويتضح من ذلك أنه عندما ظهرت طلائع النهضة الحديثة في الشام في القرن الماضي ، وأخذت تمتد وترسخ في أوائل القرن الحاضر ، لم يكن لتعليم العربية حظ يذكر إلا في المدارس الأهلية والمدارس الأجنبية التابعة للإرساليات الدينية . وكانت مغبة اتخاذ اللغة التركية لغة رسمية في دوائر الحكومة وفي المحاكم والمدارس الحكومية أن صار معظم موظفي الحكومة ضعافاً في العربية ، وصار كتاب الصحف العربية القليلة يكثرون من استعمال الكلمات المغلوط فيها .

ولذلك عندما انفصلت ديار الشام وغيرها عن الدولة العثمانية في خريف سنة ١٩١٨ ، وقامت في سورية الحكومة العربية السورية ، برزت فيها حركة قومية قوية ترمي الى نقل سجلات الحكومة وقوانينها وأنظمتها الى العربية ، والى نشر التعليم بلساننا ، والى تأليف كتب مدرسية عربية لتدريس مختلف العلوم العصرية في مدارس الحكومة ، وفي الجيش العربي الذي كان نشأ قسم منه في الثورة العربية في الحجاز ، ونشأ القسم الثاني بعد دخول القسم الأول الشام في الطليعة مع سائر جيوش الحلفاء سنة ١٩١٨ للميلاد .

وكانت الحكومة العربية السورية في تلك السنة حكومة عسكرية سرعان ما أدركت أن الحاجة ماسة الى رهط من الأدباء والعلماء واللغويين العرب يعملون على تصحيح لغة الموظفين في الحكومة ، ويشرفون على لغة الكتب المدرسية في المدارس العسكرية والمدنية ، ويضعون المصطلحات العلمية العربية أو يحققونها ، فألفت في جملة ما ألفته شعبة حكومية سمتها « شعبة الترجمة والتأليف » أخذت على عاتقها تحقيق هذه الأغراض ، مستعينةً بمن كان لهم نصيب من إتقان اللغة العربية ، ولهم معرفة بالمصطلحات العربية لكتب التدريس التي كان يجب أن تُنقل من التركية الى العربية .

ولم يدم استقلال هذه الشعبة إلا بضعة أشهر[١] فقد رأت الحكومة العسكرية أن تجمع شؤون التعليم والتربية والثقافة واللغة والآثار والمكتبات العامة في ديوان واحد سمته « ديوان المعارف » . ولذلك أدمجت الشعبة فيه[٢] . ولكن الحكومة عادت ففصلتها عن ديوان المعارف ، بأمر من حاكم سورية العسكري العام[٣] عندما ازدادت أعمال التربية والتعليم من جهة ، وأعمال اللغة والمكتبات والترجمات والآثار من جهة ثانية .

والأمر المذكور مؤرخ في الثامن من حزيران سنة ١٩١٩ ، وهو يقضي بقيام المجمع العلمي ، ولهذا يُعتبر تاريخ الأمر تاريخ تأسيس المجمع العلمي العربي بدمشق . وقد جاء في الأمر الى جانب « المجمع العلمي » كلمة (أقاده مي) كذا بين قوسين ؛ ويتبين من ذلك أن المجمع ليس مجمعاً للعلوم[٤]

---

(١) من الثامن والعشرين من تشرين الثاني « نوفمبر » سنة ١٩١٨ م حتى الثاني عشر من شباط « فبراير » سنة ١٩١٩ .

(٢) ظلت مندمجة فيه من الثاني عشر من شباط « فبراير سنة ١٩١٩ حتى الثامن من حزيران « يونية » سنة ١٩١٩ .

(٣) وكان الفريق علي رضا الركابي .

(٤) Académie des sciences

على حسب الاصطلاح الأوربي الحديث ، بل هو مجمع للعلوم اللغوية والأدبية خاصةً على حسب ما كان مألوفاً عند العرب في مثل هذه التسمية . أما كلمة العربي التي أضيفت الى « المجمع العلمي » فقد كانت صفة له ، لأن الدولة العربية التي قامت بدمشق في ذلك الزمن كانت تعتبر نفسها دولة جميع العرب المنفصلين عن الدولة العثمانية ، وكانت تنعت مؤسساتها الحديثة بهذا النعت في مثل قولها دار الآثار العربية ودار الكتب العربية وهكذا .

وتولى الأستاذ محمد كرد علي رئاسة المجمع ، وهو يعد صاحب الفضل في تأسيسه . وكان أعضاؤه في سنة ١٩١٩ فريقين : أعضاءً عاملين ، وأعضاء شرف مؤازرين . فأما العاملون فكانوا الأساتذه سعيد الكرمي ، وأمين سويد ، وأنيس سلوم ، وعبد القادر المغربي ، وعيسى اسكندر المعلوف ، ومتري قندلفت ، وعز الدين علم الدين التنوخي . ثم انضم اليهم الشيخ طاهر الجزائري بعد أن عاد من مصر في تشرين الأول « أكتوبر » سنة ١٩١٩م .

وأما أعضاء الشرف المؤازرون الذين انتخبهم الأعضاء العاملون في أول جلسة عقدوها في ٣٠ من تموز « يوليو » سنة ١٩١٩ فهم : المطران ميخائيل بخاش (مطران السريان الكاثوليك) ، وعبد القادر المبارك ، ورشيد بقدونس ، ومحمد الخضر التونسي ، ومحسن الأمين العاملي ، وسليم العنحوري ، وفارس الخوري ، والطبيب عبد الرحمن الشهبندر ، والطبيب مرشد خاطر وحسين عوني القضماني (١) .

وفي العشرين من ايلول « سبتمبر » سنة ١٩١٩ أذاع رئيس المجمع بالعربية والفرنسية بياناً وجهه إلى المجامع والمجلات المشهورة أنبأهم فيه بتأليف المجمع العلمي العربي ، وبالمهام التي سيضطلع بها ، وخلاصتها على ما جاء في ذلك البيان :

---

(١) لم يبق على قيد الحياة ، من جميع الأعضاء الأولين المار ذكرهم . سوى زميلنا اللغوي عز الدين التنوخي ، مد الله في عمره ، وكان في سنة ١٩١٩ أصغر الأعضاء سنا .

١ ــ النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ، ونشر آدابها ، وإحياء مخطوطاتها ، وتعريب ما ينقص فيها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية ، وتأليف ما نحتاج إليه من الكتب ، في موضوعات مختلفة ، وعلى أساليب حديثة .

٢ ــ جمع الآثار القديمة من تماثيل وأدوات وأوانٍ ونقود وكتابات وما شاكل ذلك ، ولا سيما ما كان منها عربياً ، على أن يؤسس متحف يشتمل عليها .

٣ ــ جمع المخطوطات القديمة الشرقية والمطبوعات العربية والإفرنجية على اختلاف موضوعاتها ، وتأسيس مكتبة عامة وغرف المطالعة .

٤ ــ إصدار مجلة اسمها « مجلة المجمع العلمي العربي » تُنشر فيها أعمال المجمع وأفكاره ، ولتكون رابطة بينه وبين المجامع العلمية ، والجامعات ، ودور الآثار ، ودور الكتب ، وأمهات المجلات في الغرب والشرق .

واتخذ المجمع مقره في المدرسة العادلية بعد أن أصلحها . وهي تقع على مقربة من الجامع الأموي الكبير . وتعد من أشهر مدارس دمشق القديمة . بناها الملك العادل ودفن فيها سنة ٦١٥ ﻫ في قبة كبيرة . والملك العادل هو شقيق الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي . وما برح المجمع مقيماً في بناء هذه المدرسة حتى يومنا هذا .

وأمام بناء المدرسة العادلية يقوم بناء أثري كان شيده الملك الظاهر بيبرس البندقداري واتخذه مدرسة . وبعد وفاته سنة ٦٧٦ ﻫ دفن فيه في قبة جدرانها محلاة بالفسيفساء والنقوش العربية الجميلة . وقد أصلح المجمع هذا البناء واتخذه مكتبة عامة وغرفاً للمطالعة . وظل اسمه المكتبة الظاهرية على ما كان معروفاً منذ زمن الشيخ طاهر الجزائري .

نشاط المجمع وأهم أعماله . — من أهم أعمال المجمع أولاً السهر على صحة اللغة وعلى نموها ، ثانياً جمع الآثار القديمة في متحف . ثالثاً بث الثقافة العربية والثقافة العامة ، وذلك بإلقاء محاضرات عامة في ردهة المجمع ، وبتحقيق المخطوطات العربية وطبعها ، وإدارة مكتبة المجمع والمكتبة الظاهرية ، وإقامة الحفلات والمهرجانات والمؤتمرات اللغوية والأدبية والعلمية ، واصدار مجلة المجمع .

وها كم كلمات موجزات في أهم الأعمال التي اضطلع بها المجمع في الماضي والتي ما برح يضطلع بها في الحاضر .

موضوع اللغة والمصطلحات . — لم يكد المجمع يباشر عمله في خريف سنة ١٩١٨ باسم « شعبة الترجمة والتأليف » حتى شرع في وضع جملة من المصطلحات العربية للجيش العربي في سورية . وكان لهذه المصطلحات تأثيرها الفعال في نقل التعليم في الجيش وفي المدارس العسكرية من التركية إلى العربية . ولما احتل الجيش الفرنسي سورية في صيف سنة ١٩٢٠ ، نُقلت هذه المصطلحات إلى العراق ، فكانت نواة للقاموس العسكري الذي وُضع بعدئذ للجيش العراقي .

وعندما أخذت دوائر الحكومة العربية السورية تنقل القوانين والأنظمة والتعليمات من التركية إلى العربية ، بين أواخر سنة ١٩١٨ وأواسط سنة ١٩٢٠ ، كانت تبعث إلى المجمع بقوائم من الألفاظ التركية ، والألفاظ العربية المحرفة والمغلوط فيها ، فيضع الألفاظ العربية المقابلة للألفاظ التركية ، ويصحح الألفاظ العربية غير الصحيحة ، ويعيدها جميعاً إلى مرسليها . فمن الأمثلة على ذلك أن معظم الموظفين العرب في الدولة العثمانية كانوا يجهلون استعمال ألفاظ الشرطة والدرك والمفوض والآذن والتمليك والطابع والفراش والخزانة والحاشية والإحصاء والتقرير والإضبارة والتقويم الخ . ويستعملون بدلاً منها الألفاظ

المتداولة في التركية العثمانية وهي على التتابع : البوليس والجندرمة والكوميسير والنوبتجي والطابو والبول والأوطهجي والقاصة والدركنار والإستاتستيق والرابور والدوسية والروزنامة وهكذا .

وعاشت الألفاظ التي وضعها أو حققها المجمع ، وتغلبت على ألفاظ الدولة العثمانية إلا قليلا ، مثل كلمة الدورية القديمة فلم تزحزحها كلمة العسس التي وضعها المجمع ، ومثل قوائم المزاد فلم تحل محلها جرائد المزاد .

وقد ارتقت لغة دوائر الحكومة السورية منذ ذلك الزمن ، وعُدت في الجملة أصلح من أشباهها في سائر الدول العربية .

ولم يقتصر المجمع على النهوض بلغة الدواوين والموظفين بل تجاوز ذلك ، في أول حياته ، إلى مراقبة لغة الكتب المدرسية ، فما كان يُطبع منها كتاب ما لم يوافق المجمع على لغته وعلى موضوعه . وقد صحح المجمع لغة بعض القوانين كقانون التعليم الابتدائي وقانون الصحة العامة وقانون الحجر الصحي وعدد من القوانين المالية .

ولعل أهم عمل أتاه المجمع في خدمة اللغة العربية إصداره مجلته هذه ، لما اشتملت عليه من البحوث في فقه اللغة ، وعثرات الكتاب ، وشؤون المصطلحات وغير ذلك مما سيجيء ذكره .

تأسيس متحف الآثار . — كانت آثار الشام في زمن الدولة العثمانية نهباً مقسماً بينها وبين بعثات التنقيب والتجار واللصوص . ولم تفكر تلك الدولة قط في تأسيس متحف واحد في ديار الشام كلها . وكانت البعثات الأجنبية للآثار والعاديات تنقب عنها في أنحاء مختلفة من بلادنا ، فتبعث بقسم مما تعثر عليه منها الى متحف إسطنبول ، وتبعث بقسم آخر أي بحصتها الى متاحف بلادها . وكانت تجارة الآثار رائجة في ذلك الزمن ، ولذلك غصت متاحف أوربة بآثار الشام .

فلما قام المجمع العلمي العربي سنة ١٩١٩ اهتم بموضوع الآثار ، وهاله انتقالها بشتى الوسائل الى البلاد الأجنبية ، فراجع الحكومة العربية السورية في أمرها ، واستصدر منها قراراً يقضي بانشاء متحف في دمشق تابع المجمع ، فأنشأه المجمع في السنة المذكورة وراح يجمع فيــه مختلف الآثار الحجرية والخشبية والزجاجية والنقدية والأسلحة والقاشاني وغيرها ، إما شراءً ، أو استهداءً ، أو مصادرةً ، أو اتفاقاً مع بعثات التنقيب .

وظل المجمع يجد في عمله هذا إلى أن كبر المتحف ، فاستقل عن المجمع في سنة ١٩٢٨ م ومع هذا ظلت الآثار في غرف المجمع ، وظل رئيس المجمع رئيساً لمجلس إدارة دار الآثار أي المتحف حتى سنة ١٩٣٧ ، وهي السنة التي شُيد فيها بناء المتحف الحالي ، واستقلت فيهـــا مديرية الآثار العامة مالياً وإدارياً .

بث الثقافة العربية والثقافة العامة

(١) المحاضرات العامة . ــ بدأ أعضاء المجمع وغيرهم ، في ربيع سنة ١٩٢١ ، يلقون محاضرات عامة على الجمهور ، في قاعة المجمع للمحاضرات . ودام عملهم هـــذا حتى ربيع سنة ١٩٤٦ ، مع انقطاع دام تسع سنوات لأسباب شتى ، فبلغ مجموع تلك المحاضرات قرابة أربعمائة محاضرة في مختلف الموضوعات الثقافية .

وقد كف المجمع عن هذا العمل التثقيفي المفيد بعد أن كثرت الأندية والجمعيات الأدبية في دمشق ، وأصبحت المحاضرات العامة تُلقى فيها وفي قاعة المحاضرات التابعة للجامعة السورية ، وعندئذ رأى المجمع أن يقصر نشاطه على عمله الأسامي وهو خدمة اللغة وآدابها ونشر تراث الأجداد .

وكانت محاضرات المجمع تلقى على الجمهور مرةً في كل أسبوعين . ولما ازداد الإقبال عليها صارت تلقى مرة في كل أسبوع .

وكان معظم المحاضرين من أعضاء المجمع . ولكنه لم يكن محظوراً على المعروفين من غير أعضائه أن يلقوا محاضرات في ردهته سواء على الرجال أو على النساء . ومن الطبيعي أن تكون درجات المحاضرين والمحاضرات متفاوتة في ذلك الزمن . ومع هذا استطاع المجمع أن يصدر ثلاث مجلدات من المحاضرات في كل مجلدة بحوث ثمينة لعلماء وأدباء مشهورين ، منهم المتوفون مثل الرئيس محمد كرد علي ، والشيخ عبد القادر المغربي وعيسى اسكندر المعلوف والأمير شكيب أرسلان وخليل مطران وأحمد أمين والدكتور مرشد خاطر ومحمد اسعاف النشاشيبي وغيرهم ، ومنهم الأحياء من أعضاء المجمع وغير الأعضاء ولهم جميعاً في المجلدات الثلاث المذكورة محاضرات كثيرة في الأدب واللغة والفلسفة والتاريخ والرحلات وغيرها .

وكانت المحاضرات كافةً تعرض قبل إلقائها على لجنة تنظر في موضوعاتها ، وكانت هذه اللجنة تتألف من الأساتذة فارس الخوري ومسعود الكواكبي وعارف النكدي وكاتب هذه السطور . أما لغة المحاضرات فكان ينظر فيها الأساتذة عبد القادر المبارك وسليم الجندي وخليل مردم بك .

ومن الأمور المعروفة أنه كان لمحاضرات المجمع ، على اختلاف موضوعاتها ، تأثير ثقافي يذكر ، في زمن كانت قاعة المجمع المكان الوحيد الذي تلقى فيه أمثال تلك المحاضرات .

(٢) تحقيق المخطوطات العربية وطبعها . — كنا نعرف أن تراث الأجداد من المخطوطات يعد كنزاً ثميناً ، وأن في جملة هذه المخطوطات ، التي فقدنا الكثير منها ، نفائس يجب العمل على تحقيقها ونشرها . فالمجمع لم يتمكن ، في بدء حياته ، من القيام بهذه المهمة لصغر ميزانيته

ولضرورة إنفاق المال على الشؤون التأسيسية كترميم الأبنية الأثرية ، وشراء الكتب والمخطوطات والآثار ، واصدار المجلة ؛ ولذلك اقتصر عمله ، في هذه الناحية ، حتى سنة ١٩٤٤ ، على طبع رسائل مستلة من المجلة أو طبع كتب صغيرة . ومنذ السنة المذكورة أخذ نشر المخطوطات يزداد فاستطاع المجمع أن ينشر حتى سنة ١٩٥٦ نحو ثلاثين كتاباً منها ديوان الوليد بن يزيد ، ورسالة الملائكة للمعري ، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ، والمستجاد من فعلات الأجواد للمُحَسِّن ابن علي التنوخي ، وكتاب الأشربة لابن قُتَيبة ، والدارس في تاريخ المدارس للنعيمي ، وديوان علي بن الجهم ، وديوان الوأواء الدمشقي ، وديوان ابن حَيُّوس ، وديوان ابن أبي حصينة ، ومجلدتان من تاريخ ابن عساكر ، والرسالة الجامعة للمجريطي ، والجزء الثاني والثامن من كتاب جامع التواريخ المسمى بكتاب « نَشْوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » للقاضي المُحَسِّن بن علي التنوخي ، وكتاب بحر العوّام فيما أصاب فيه العَوام لابن الحنبلي الحلبي ، وفضائل الشام ودمشق لعلي بن محمد الربعي المالكي ، وجزء من خريدة القصر وجريدة العصر لعماد الدين القرشي الأصفهاني ، وهو في شعراء الشام ، وتكملة إصلاح ما تغلط به العامة للجواليقي الخ .

وفي بضع السنوات الأخيرة أي بعد سنة ١٩٥٦ ازداد تحقيق المخطوطات ونشرها حتى أربى عددها فيها على خمسين كتاباً ورسالة . ومن أهمها كتاب الإبدال في جزءين ، وكتاب الإتباع ، وكتاب الأضداد في جزءين ، وكتاب المثنى وكلها لأبي الطيب اللغوي . ومنهـــا كتاب النوادر لأبي مسحل عبد الوهاب بن حريش الأعرابي وهو جزءان . ومنها إعتاب الكتّاب لابن الأبّار ، وأخبار البحتري لأبي بكر الصولي ، وأسرار العربية لأبي البركات الأنباري ، وصفة الغيث والسحاب لابن دريد ، وجزءان من تراجم الأعيان من أبناء الزمان للبوريني ، وجزءان من خريدة القصر للعماد الأصفهاني

(أحدهما في فضلاء الحجاز واليمن) ، ومجلدة من تاريخ دمشق لابن عساكر ، وكتاب الإبدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ، وكتاب الحيدة لعبد العزيز الكناني الخ .

ومن الكتب الحديثة التي نشرها المجمع في السنوات الأخيرة : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر للشيخ عبد الرزاق البيطار ، وهو في ثلاثة أجزاء كبار ، ومنها الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره لسليم الجندي وهو أيضاً في ثلاثة أجزاء كبار يوشك طبع الثالث منها أن ينتهي ، ومنها معجم المصطلحات الحراجية (بالإنكليزية والفرنسية والعربية) لكاتب هذه السطور ، وفيه نحو ألف مصطلح عُرّفت بالعربية تعريفاً علمياً موجزاً . ومنها ثلاثة أجزاء كبار لفهارس مجلة المجمع جاءت في ٢٤٠ صفحة .

(٣) المكتبة الظاهرية ومكتبة المجمع . — من أهم الأعمال التي يقوم بها المجمع إدارة شؤون المكتبة الظاهرية في دمشق . ويعود الفضل الأكبر في تأسيس هذه المكتبة إلى الشيخ طاهر الجزائري . فقد استطاع أن يجمع فيها ، في سنة ١٢٩٨ للهجرة ، ٢٤٥٣ كتاباً في علوم مختلفة ، معظمها مخطوطات كانت مبعثرة في المدارس القديمة التابعة للأوقاف كالعمرية وغيرها ، أما اليوم ففي المكتبة الظاهرية ٩٥٠٠ من المخطوطات و ٧٨٩٢١ من الكتب المطبوعة والمجلات العربية والأعجمية .

أما غرف المطالعة في المكتبة فقد بلغ معدل القراء فيها مائة قارىء في كل يوم وذلك في موسم الشتاء الماضي . أما في موسم الصيف فلم يزد معدلهم على ثلاثين قارئا .

وأنشأ المجمع لأعضائه وللأساتذة مكتبة كبيرة فيها كثير من المراجع التي يحتاجون اليها في تهيئة بحوثهم ودراساتهم .

(٤) الحفلات والمهرجانات والمؤتمرات . — من تقاليد المجمع أن يقيم بين حين وآخر حفلة أو مهرجاناً أو مؤتمراً لغوياً او أدبياً أو علمياً . فممن كرمهم المجمع مثلاً أحمد شوقي وحافظ ابراهيم . وممن أبنهم الشيخ طاهر الجزائري ، وأحمد كال باشا الأثري ، ومحمود شكري الآلوسي ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وأحمد شوقي ، وحافظ ابراهيم ، ومحمد رشيد رضا ، وجميعهم من أعضائه المشهورين .

وأقام المجمع مهرجاناً كبيراً لمرور ألف سنة هجرية على وفاة المتنبي ، ومهرجاناً كبيراً أيضاً لمرور ألف سنة على مولد أبي العلاء المعري . وألقيت في المهرجانين محاضرات وبحوث وقصائد كثيرة .

وفي خريف سنة ١٩٥٦ أقيم في المجمع موتمر ضم ممثلين عن المجمع العلمي العربي والمجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، وممثلين عن بعض الدول العربية التي ليس فيها مجامع . وأصدر مجمعنا عدداً خاصاً من مجلته (الجزء الأول من المجلد الثاني والثلاثين) يشتمل على برنامج المؤتمر وبحوثه وقراراته .

(٥) مجلة المجمع . — لعل من أكثر أعمال المجمع فائدةً إصدار مجلته هذه . فقد ظهرت للملأ في أول سنة ١٩٢١ للميلاد الموافق للواحد والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ للهجرة . وكان المجمع يصدر جزءاً منها في كل شهر . ومنذ سنة ١٩٣١ صار يصدر جزءاً كبيراً في كل شهرين ، ثم منذ سنة ١٩٤٨ أخذ يصدر جزءاً أكبر في كل ثلاثة أشهر ، وصار المجلد السنوي مؤلفاً من أربعة أجزاء تصدر في انتظام بدءاً من أول السنة الميلادية .

ولم تتوقف المجلة عن الصدور منذ إنشائها الى اليوم إلا مرتين مرةً من ربيع سنة ١٩٣٣ الى ربيع سنة ١٩٣٥ ، وذلك لأسباب إدارية ومالية ، ومرةً من بدء سنة ١٩٣٨ الى بدء سنة ١٩٤١ ، وذلك لأسباب شتى منها قيام الحرب العالمية الثانية .

وجملة ما صدر منها حتى الآن تسع وثلاثون مجلدة ، وهذه هي المجلدة الأربعون التي قرر مجلس المجمع أن يكون جزؤها الأول هذا ذكرى لصدور ذلك العدد الكبير من المجلدات .

وتشتمل المجلة على بحوث ودراسات كثيرة في اللغة العربية وآدابها ومصطلحاتها العلمية ، وعثرات الأقلام ، والأخطاء الشائعة ، وفي تاريخ العرب وتراث الأجداد من المخطوطات ومن المخلفات الأثرية ، الى غير ذلك مما له صلة بلساننا وحضارتنا وثقافتنا في القديم والحديث . ومعظم كتّاب المجلة من أعضاء المجمع المشهورين عرباً كانوا أو مستشرقين . ولغير الأعضاء أيضاً بحوث كثيرة مفيدة .

ومن خطط المجمع نشر محاضرات الأعضاء النفيسة في مجلته ، والتعريف بالكتب الثمينة التي تهدى الى مكتبته ، ومبادلة مجلة المجمع بمجلات المجامع والجامعات العربية والأعجمية .

وقد أصدر المجمع لمجلدات المجلة فهرساً في ثلاثة أجزاء كل جزء منها لعشر سنين من حياة المجلة ، ويصدر الجزء الرابع من الفهرس في انتهاء هذه السنة .

الخاتمة . — المجمع العلمي العربي بدمشق هو أقدم المجامع الحديثة في البلاد العربية . أعضاؤه العاملون عشرون . وأعضاؤه المراسلون من عرب ومستشرقين لا حد لعددهم . وللمجمع شخصية معنوية واستقلال مالي وإداري . وهو منذ سنة ١٩١٩ الى اليوم يعالج علوم لغتنا العربية ، ويحرص على سلامة هذه اللغة ، وعلى جعلها تتسع للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة . وهو أيضاً يتناول بالبحث تاريخ العرب ومدنيتهم وتراثهم العلمي والأدبي وثقافتهم في القديم والحديث وصلة هذه الثقافة بالثقافات العالمية .

مصطفى الشهابي

لغة العلم

أداة البحث ، ووسيلة الشرح ، ولا حياة لعلم بدونها . يلتقي عندها العلماء ، ويعول عليها الطلاب ، وعلى أساسها يقوم التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف بوقوفه . وهي لغة الوضوح والدقة ، والبيان والسرعة . يصطلح عليها العلماء ، فتصبح لغتهم الخاصة . ولكل علم مصطلحاته ، وكلما تقدم البحث فيه نمت وتباينت وتحددت . يبدأ المصطلح هزيلاً متردداً ، ثم لا يلبث أن يقوى ويستقر ، وتاريخ العلوم إلى حد ما تاريخ لمصطلحاتها .

* * *

ولو رجعنا إلى تاريخ العلم اليوناني لوجدنا أن لغته بدأت تتكون معه منذ القرن السادس قبل الميلاد ، ثم أخذت تنمو وتتضح في القرنين الخامس والرابع . فغذاها فيثاغورس برياضياته ، وأمدها أبقراط بطبه ، وأقام أرسطو دعائم لغة العلوم الطبيعية . وللعلوم الفلسفية والإنسانية لغتها ومصطلحاتها التي ساهم فيها أمثال سقراط وأفلاطون وأرسطو وزينون وأبيقور . وقد انتقل قدر غير قليل من لغة العلم اليونانية إلى الثقافات اللاتينية والسريانية والعربية ، ولا تزال بعض آثارها باقية إلى اليوم في اللغات الأوربية الحديثة .

ولم تنشأ لغة العلم في الإسلام دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت بنمو العلوم وتقدمها . فبدأت العلوم الدينية منذ القرن الأول للهجرة في تكوين لغتها ، وظهرت مصطلحات في الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها أخرى في الأخلاق والسياسة ، والطب والكيمياء ، والفلك والطبيعة . وخضع المصطلح العربي القديم لسنة النشوء والارتقاء ، فنما وتطور على مر الزمن . وعوّل

واضعوه على النقل والاشتقاق ، ولم يبالوا بأن يكون عربياً أصيلا أو معرباً دخيلا ، وربما آثروا المعرب إذا كان أدخل في المعنى وأكمل في الأداء . وكثيراً ما يحمل التعريب شارة الأصل الذي نُقل عنه ، فتلحظ الألفاظ الفارسية في مستحدثات الإدارة والحضارة ، واليونانية والسريانية في العلوم الفلسفية والطبيعية . وإذا ما لوحظ أن مصطلحاً لا يؤدي معناه أداء كاملا عُدل عنه إلى ما هو ادق وأضبط .

وما ان حل القرن الرابع الهجرى حتى اكتملت لغة العلوم في الإسلام ، واستقرت مصطلحاتها ، بحيث تنوسي معناها الأول ، ولا يكاد يُفهم منها إلا مدلولها العلمي الخاص . وتداولها الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم تختلف من قطر إلى قطر ، فكانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان . والفسطاط ودمشق ، وبغداد وأصفهان . وبدىء بتسجيلها في معجمات خاصة تحت اسم « مفردات » أو « تعريفات » ، ومن أوائلها « مفاتيح العلوم » للخوارزمي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع . ومن المصطلحات العربية ما انتقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى إلى اللاتينية بل وإلى بعض اللغات الأوربية الحديثة كالإنجليزية والفرنسية .

ويوم أن ركد البحث العلمي في الإسلام ، ركدت لغته معه فجمدت المصطلحات ، وأضحت ولا تجديد فيها ولا ابتكار ، وكان هم الخلف أن يردد ألفاظاً وصيغاً قال بها السلف ، وأصبحت اللغة العلمية ركيكة معقدة . ثم جاءت النهضة العلمية العربية الحديثة في القرن الماضي على فترة من البحث والدرس ، وحاولت أن تتدارك بعض ما فات . ولكن رجالها الأُوَل — فيما يظهر — لم يكونوا على علم بماضيهم ولا على صلة وثيقة بعلومهم ومصطلحاتهم القديمة . فلم يفيدوا كثيراً من هذا التراث ، وأخذوا يؤدون الحقائق العلمية أداء لا يخلو من تعجل أو خطأ .

وكان على أبناء القرن العشرين أن يتداركوا هذا النقص ، ويصلحوا هذا الخطأ . وكان عليهم خاصة أن يتابعوا سير العلم في العصر الحاضر ، ولم تُستحث خطاه قط بقدر ما تستحث اليوم . وأضحت المصطلحات العلمية في نمو مطّرد ، وتجديد لا ينقطع ، ولها في اللغات الأوربية معجمات خاصة تُزاد وتُستكمل عاماً بعد عام . ونستطيع أن نقرر أن العلوم العربية الحديثة قد خطت في نصف القرن الأخير خطوات فسيحة ، أحيت بها مجد الماضي ، وتابعت سير الزمن . وأخذت تكوّن من جديد لغتها الخاصة مستعينة بالدراسات الجامعية من جانب ، وبالمجامع اللغوية والعلمية من جانب آخر .

* * *

وللعالم أن يختار اللفظ الذي يرتضيه لأداء الحقيقة العلمية ، وحقه في وضع مصطلحاته لا يصح أن ينازَع ، وحريته ينبغي أن تكون مكفولة . ولكن هذا الحق ليس على اطلاقه ، وهذه الحرية لا تخلو من قيود . وقد يشكو العلماء من قصور اللغة عن أداء ما يريدون ، فيلجئون إلى الرمز والإشارات ، كما صنعوا في الرياضة والكيمياء . وللغويين شكواهم من تهجم العلماء على اللغة ، فيشتقون على غير قاعدة ، وينحتون في غير ما داع ، ويسرفون في التعريب واستعمال الألفاظ الدخيلة . وما أجدر الطرفين أن يلتقيا عند كلمة سواء .

فعلى العلماء أن يحيوا أولاً كل ما يمكن إحياؤه من المصطلحات القديمة ، فان لم يجدوا فعليهم أن يقيسوا ويشتقوا من العربية . ولم يبق محل للتشكك فيما ترخص فيه اللغويون من جواز الاشتقاق من أسماء الأعيان والجواهر ، فيقال مكهرَب وممغنَط ، كما قال العرب قديماً مذهب ومفضض ولا للتشكك في قياسية المصدر الصناعي فيقال المثالية والكانطية ، كما قيل

قديماً الجبرية والقدرية . ولنا أن نقيس فيما لم يقل بالقياس فيه لأداء دلالات خاصة ، فنستحدث أوزاناً جديدة لاسم الآلة ، أو للدلالة على الحرفة أو الداء . ونجيز النسب إلى جمع التكسير كأحيائي ، وكان يقصر في الماضي على المفرد . وكل تلك أمور أقرها مجمع اللغة العربية منذ ربع قرن أو يزيد . وان لغة تيسر القياس والاشتقاق على نحو العربية ، لايعز عليها أن تجد من الألفاظ كل ماتدعو الحاجة إليه .

وفي العامية قدر غير قليل يرجع إلى أصل فصيح ، وفي وسع العالم أن يفيد منه لوضع مصطلحه ، وبذا يرد إلى الفصحى ما أخذ عنها . فان لم تسد العامية ولا الفصحى حاجته ، فله أن يلجأ إلى التعريب . وقد عرب العرب قديماً فأخذوا عن اليونانية والهندية ، والسريانية والعبرية ، والفارسية والتركية . وعرب المحدثون عن الاسبانية والإيطالية ، والإنجليزية والفرنسية . غير أنه يجدر بنا أن نقف بالتعريب عند أضيق الحدود الممكنة ، فيعرب خاصة مايدل على أسماء الأعيان وأعلام الجنس كأكسيجين وهدروجين ، أو مايدل على تصنيف عام من أجناس وأنواع في النبات والحيوان (١) ، أو على سلسلة مواد متشابهة في الكيمياء ، أو ماينسب إلى علم من اسم شخص أو اسم مكان . أما ماوراء ذلك من الألفاظ المأخوذة من اللغة الدارجة فالأولى به أن يترجم . ويحتفظ في التعريب بالأصل ، مع تقريبه من النطق العربي ما أمكن ، ويحسن أن يضبط المصطلح المعرّب تيسيراً لنطقه ، إلى أن يدخل صلب اللغة ويصبح جزءاً منها .

(١) لقد أوضح الأمير مصطفى الشهابي « مدى التعريب في ألفاظ تصنيف المواليد » في بحثه الذي أقره مجمع القاهرة ونشره في مجموعة البحوث والمحاضرات لدورة مؤتمر المجمع السادسة والعشرين ص ١٣١ ثم ص ١٤٣ . ونشر أيضاً في المجلد ٣٥ من هذه المجلة . (لجنة المجلة)

وقيمة المصطلح في انتشاره والأخذ به ، وبذا يصبح جزءاً من اللغة العلمية . أما أن يختلف من باحث إلى آخر ، ومن قطر إلى قطر ، فإنه يبقى عملة غير متداولة ، ولا يجدي في تعاون العلماء وتفاهمهم ، وكم من مصطلحات ولدت ، ثم لم تلبث أن ماتت . وتوحيد المصطلح العلمي ليس مما يلزم به قانون ، أو تفرضه سلطة قاهرة . وسبيله الطبيعي إنما هو الكتابة والتأليف ، ونشر المصطلحات لكي تذاع وتعرف . وينبغي أن يلتقي العلماء من حين لآخر في مؤتمرات منظمة ، أو في لجان أو مجالس ليتبادلوا الرأي في لغتهم ، ويتداركوا ما فيها من قصور أو خلل .

ولقد كان لليونان لغة علمية مسلّمة ، ومن بعدهم الرومان ، وبقيت اللاتينية لغة العلم وحدها في أوربا طوال القرون الوسطى . وأشرنا من قبل إلى أنه كانت هناك لغة موحدة للعلم في العالم العربي شرقاً وغرباً . ويوم أن اضطربت الألسن في اوربا ، وأحس ليبنتز في القرن السابع عشر بانكماش اللاتينية ، شاء أن يحل محلها لغة علمية عالمية ، وأساسها حصر الأفكار الإنسانية ووضع رمز لكل واحدة منها . وإذا كان لم ينجح في محاولته ، فإنه وجه النظر إلى اللغة العالمية التي لاتزال مطمح كثيرين . وفي وسع العربية على كل حال أن تكوّن اليوم ، كما كوّنت بالأمس ، لغة علمية مشتركة بين أبناء العرب على السواء ، مهما تباعدت أوطانهم وتنوعت لهجاتهم .

* * *

ولغة العلم وثيقة الصلة بلغة الأدب ، تتعاونان وتتفاعلان ، ولا تكاد توجد نهضة أدبية إلا وتصاحبها نهضة علمية ، وكم من علماء وفلاسفة هم في الوقت نفسه أدباء . ويوم أن ازدهر العلم اليوناني ، ازدهر معه الأدب ، ووجدنا

في أثينا إبان القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد حركة علمية وأدبية زاهرة ، وأفلاطون بين اليونان رمز للأدب الرفيع وصاحب الأكاديمية . وفي القرن التاسع والعاشر الميلادي ، اقترنت في بغداد النهضة الأدبية بالنهضة العلمية ، ورأينا أئمة في العلم والأدب معاً ، مثال النظام والجاحظ . وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر ، وصل الأدب الفرنسي الى قمته ، واتسعت آفاق البحث والدراسة العلمية ، وبسكال مثلاً رياضي وأديب في آن واحد . وأدب اليوم ذو طابع علمي واضح ، ويحرص العلم بدوره على أن يعرض في ثوب أدبي قشيب ، ويكفي أن نشير الى برجسون شيخ الفلسفة الفرنسية المعاصرة الذي يعد بين كبار الأدباء .

وفي العالم العربي نهضة أدبية وعلمية لا شك فيها ، وقد بدأت تؤتي أكلها . وسيؤدي العلم فيها رسالته ، ويساهم في كشف المجهول إلى جانب الجهود التي تبذل شرقاً وغرباً . وعلينا أن نوفر له كل وسائله ، وفي مقدمتها لغة دقيقة واضحة حية متحركة .

الدكتور ابراهيم مدكور

لم ينصفوا صاحب الأغاني

أهدى اليّ من سنين السيد « بلاشير » الأستاذ في كلية « باريز » كتابه : تاريخ الأدب العربي ، ولم أتمكن من تصفح هذا التاريخ الآ في الصيف الماضي . ليس غرضي في هذا المقام الكلام على كتاب الأستاذ « بلاشير » وانما كنت أطرح فيه بصري من هنا ومن هنا فوقعت عرضاً على فصلٍ يتعلق بكتاب الأغاني لصاحبه أبي الفرج الأصبهاني . لا يتسع المجال لتلخيص هذا الفصل بحذافيره ، وحسبنا أن نعرف ان « بلاشير » يرى أن كتاب الأغاني قد غطّى على كل ما تقدّمه من تراجم الشعراء ، فهو في نظره من الطراز الأول تـكلّم المؤلف على شخصية صاحب الأغاني المزدوجة فقال في جملة ما قال : انه ينتخب موادّه انتخاباً حتّى لا يُدخل التعب على القارىء ،انه ينتخل هـذه المواد فيصطفي منها ما يُثير التطلع في ذهن القارىء ، فقد يحذف من بعض منتخباته الشعرية فلا يذكر قصيدة بأجمعها ، وما هذا إلاّ لرغبته في الإيجاز من جهة وفي تقديم الأفضل من جهة ثانية ، فلم يكن أبو الفرج صاحب ذوق ليس غير ، وانما كان عمله عمل الرجل العالم لا عمل الرجل المسلّي .

كل هذا لا نخالف فيه الأستاذ « بلاشير » ، على أننا نشكر له كلّ الشكر فضله في التنويه بكتاب الأغاني الذي نُنزله منا بمنزلة كتبنا الأدبية الفريدة ، فقد يكون أضخم ميراث في أدبنا ، وانما الذي أدهشنا في قول « بلاشير » في خلال كلامه على كتاب الأغاني أن أبا الفرج الأصبهاني لا أسلوب له في

هذا الكتاب لأنه جمعه جمعاً ، أدهشنا قوله : لقد تكلّموا أحياناً على أسلوب أبي الفرج ، وهذا من باب الهزل ... فالأستاذ « بلاشير » يعتقد أن الذين يرون لأبي الفرج الأصبهاني أسلوباً في كتاب الأغاني إنما هم يهزلون ولا يجدّون ، لأن كلّ ما عمله أبو الفرج في كتابه الضخم إنما هو في رأيه جمع روايات مختلفة ، ثم المطابقة بينها وقد تكون له أشباه لمحات في أضعاف ما يوجزه من الكلام ، نتيجة هذا كله أن الأصبهاني ليس له أسلوب في كتابه العظيم ، هذا هو الموضوع الذي يعنينا أمره .

انّ لفظة الأسلوب في الأدب الفرنسي مشتقة من لفظة لاتينية معناها ريشة من معدن كان المتقدمون يستخدمونها في النقش على ألواح من خشب مشمّعة ، أمّا الأسلوب في مصطلح الأدب في عصرنا هذا فانه يطلق على مذهب الرجل في الإفصاح عن أفكاره وعواطفه بالكلام ، ولا حاجة بنا إلى التبسط في وصف الأسلوب والخوض في محاسنه وعيوبه .

أصحيح أن أبا الفرج الأصبهاني ليس له مذهب خاص في كتابه الأغاني يعبّر به عمّا يزدحم في صدره من الأفكار ويختلج في قلبه من العواطف ؟

لقد ظلموا أبا الفرج الأصبهاني في القديم فقال فيه النوبختيّ إنه أكذب الناس لأنه كان يدخل سوق الورّاقين وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ثم تكون رواياته كلها منه .

وما كانوا أهون ظلماً له في الحديث لمّا قالوا إن من باب الهزل أن يكون له أسلوب في كتاب الأغاني .

لقد غرّنا ما قاله أبو الفرج في صدر مقدمته : هذا كتاب ألّفه علي ابن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالأصبهاني وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني العربية ، قديمها وحديثها ... غرّنا هذا الجمع فمال بنا الى الاعتقاد أن كتاب الأغاني كلّه جمع ، فليس لصاحبه فيه إلاّ جمع

الروايات المختلفة والمطابقة بينها ، أو ليس له فيه إلا بعض لمحات في أثناء كلامه الوجيز ، فصاحبه لا أسلوب له .

أمّا الذين ظلموه في القديم فنسبوه الى الكذب بعد أن سلخ خمسين سنةً في تأليف كتابه الفريد فأرجو أن أكون قد أرشدني الله تعالى إلى تخطئة رأيهم بتوضيح صدقه وشدّة توقّيه في كتابي « دراسة الأغاني » ، فلا أرى بي حاجة إلى إعادة ما قلته في هذا الباب .

وأمّا الذين يرون ان كتاب الأغاني انما هو جمع وأن صاحبه لا أسلوب له فيه فإني أحاول أن أبيّن في هذا المقام أن الذين يرون لأبي الفرج أسلوباً في كتابه انما هم يجدّون ولا يهزلون .

يلزمنا قبل كل شيء أن نعرف كيف ألّف أبو الفرج الأصبهاني كتابه الأغاني . إنّا نمرّ في تضاعيف كتابه بطوائف كثيرة من العبارات تدلّنا على هذا التأليف ، فقد يقول : أخبرني فلان وروى فلان وحدثني فلان ، وقد يقول : نسخت من بعض الكتب أو جمعت منها ...

فإذا قال : نسخت من كتاب كذا أو جمعت من كتاب كذا فلا يبقى لنا مجال في الشكّ في طريقة التأليف ، ولا يبقى لنا مجال في المجادلة في هذا الباب .

وإنما مجالنا يتّسع إذا قال : أخبرني فلان أو روى فلان أو حدّثني فلان ، فإنّا كثيراً مانجد بعد هذه الأخبار والروايات والأحاديث العبارات الآتية : كذا أكبر حفظي ، ان فلاناً حدّثني به فإني كتبته عن حفظي . . . أو قوله : هذا حفظته عن فلان وأنا حديث السنّ ، فكتبته من حفظي ، واللفظ يزيد وينقص ، وهذا معناه ... أو قوله : وقد سمعت خبره من جهات عدّة ، إلاّ أنه لم يحضرني وقت كتبت هذا الخبر غيره ، وهو وإن لم يكن من أقواها على مذهب أهل الحديث

اسناداً فهو من أتمّها ... أو قوله : فإن الحكاية تزيد أو تنقص ... أو قوله : وقد جمعت أخبارهم على اختلاف ألفاظهم ... أو فجمعت معاني ماذكروه في ذلك كراهة الإطالة ... أو : فجمعت من رواياتهم مااحتيج إلى ذكره ، مختصر اللفظ ، كامل المعنى ...

هذه نماذج مختلفة من طريقة أخباره ورواياته وأحاديثه ، على أي شيء تدلّنا هذه النماذج ، أفلا تدلّنا دلالة قاطعة على أن صاحبها قد تصرّف في مواطن من أخباره ورواياته وأحاديثه بعض التصرف في الألفاظ وانصرف إلى المعاني وحدها ؟ فإذا كان قد اهتم في معظم ما سمعه بالمعاني وحدها وقلّ اهتمامه بألفاظهـا أفلا نستطيع أن نستخرج من ذلك أنّه عبّر عن هذه المعاني بألفاظه ، أي أنه لجأ في الإفصاح عنها إلى طريقته الخاصة ، إلى أسلوبه ، فكيف يجوز لنا بعد ذلك أن نجرّده من الأسلوب في كتاب الأغاني ؟ كيف يجوز لنا أن نقطع أنه جمع كل كتابه جمعاً أو نسخه نسخاً دون أن يكون له باع طويل أو قصير في التعبير عمّا اتصل بسمعه من الأخبار والروايات والأحاديث ؟

كثيراً مانسمع في حياتنا خبراً من الأخبار أو حديثاً من الأحاديث أو رواية من الروايات ، ثم نحاول أن ننقل إلى مجالسنا ما اتصل بنا سمعه منها ، أفلا نلحظ أنّا في نقل ماسمعناه قد نزيد في الألفاظ أو قد ننقص منها ، أفلا نلحظ أنّا نروي المسموعات بمذهب خاص يختلف كل الاختلاف عن المذهب الذي رويت لنا به ، أفلا نلحظ أن كلّ واحد منّا يروي ماسمعه بأسلوبه الخاص ، مهتماً بالمعاني وحدها ، بروحها ، دون الانصراف إلى ألفاظها ، لأن هذه الألفاظ قد ينساها الذهن في بعض الأوقات ، فيستعين على المعاني بألفاظ من أشكالها وأنواعها ، وهذا ما أشار إليه أبو الفرج في بعض أماكن من كلامه لمّا قال : فكتبته من حفظي ، واللفظ

يزيد أو ينقص ، وهذا معناه ، فأبو الفرج الأصبهاني في قوله هـذا مثله كمثل بعض الناس الذين يعيدون ماسمعوه من الأخبار والروايات والأحاديث بألفاظها ذاتها ، فلا مندوحة لهم عن التصرف في هذه الألفاظ إمّا ببعض الزيادة وإمّا ببعض النقصان ، فالأخبار والروايات والاحاديث في كتاب الأغاني معظمها شفهيّ وقد اعترف « بلاشير » نفسه بهذا الأمر ، ولا شك في أن الروايات الشفهية إذا انتقلت من شخص إلى شخصٍ فلا بدّ فيها من بعض الزيادة أو النقصان ، لابدّ فيهـا في هذا الانتقال من أسلوب خاص ، ان صاحب كتاب الأغاني لم يجمع كتابه كلّه جمعاً ولا نسخه كلّه نسخاً ، وإنما كان يخلو إلى نفسه بعد أن تتصل بسمعه الأخبار والروايات والأحاديث فينشىء ما سمعه من هذا القبيل بأسلوب خاص ، لو كان كتاب الأغاني كلّه جمعاً أو كلّه نسخاً لما احتاج صاحبه على ما نظن الى سلخ خمسين سنة في تأليفه . اني أعتقد بعد هذا كله أن الذين جرّدوا أبا الفرج من الأسلوب لم يتعمقوا كل التعمق في كتاب الأغاني ، وانما اكتفوا بظاهر الكلام دون باطنه ، اكتفوا بقول صاحبه : أخبرني فلان أو روى لي فلان أو حدّثني فلان دون التفكير في الكشف عمّا وراء هذا الخبر أو هذه الرواية أو هذا الحديث من صيغة خاصة بأبي الفرج الأصبهاني ، من أسلوب ممتزج بلحمه ودمه وروحه . وما أظن بي حاجة الى التوسع في هذا الباب ، ما أظن بي حاجة الى زيادة الإيمان بأسلوب أبي الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني . وأرجو أن لا يكون في هذا الإيمان شيء من الهزل ، أرجو أن يكون فيه جدّ كلّ الجدّ .

بقي عليّ بعد كل ما تقدّم أن أدلّ على خصائص يسيرة من هذا الأسلوب . لو لم يكن لأبي الفرج الأصبهاني فى كتاب الأغاني إلاّ المقدمة لـكان لنا في هذه المقدمة وحدها دليل واضح على أسلوبه ، فانّ فيهـا

خصائص كثيرة من تنسيق الألفاظ ومن التعبير عن الأفكار من وراء هذا التنسيق ؛ ولكني لن ألجأ الى المقدمـــة في المجيء بالبرهان على أسلوب أبي الفرج فان لي في كتاب الأغاني الضخم مجالاً ذا سعة في الدلالة على هذا الأسلوب ، من هذا النحو مثلاً دفاعه البليغ عن ابن المعتز ، ولولا اني وضّحت في كتابي « دراسة الأغاني » خصائص صاحبه في فنه ولغته لأفضت في هذا المقام في اليسير من هذه الخصائص ، على أني إذا أعفيت نفسي في مقالي الوجيز من تكرار ما قلته في الكتاب المذكور فلا أعفيها من إعادة ما اختتمت به هذا الكتاب ، فقد قلت :

اذا خلد كاتب لفطنته الى روح الألفاظ وأسرارها ، ولصبّه هذه الألفاظ في قوالبها ، ولخفّة لغته على القلوب والأفهام ، ولإرسال قلمه على سجيته وطبعه دون شيء من التصنع ، واصفاً ما يذكره من الأشخاص والأشياء بحقائق الصفات ، وازناً كل صفة من هذه الصفات بموازينها دون شطط ولا سرف ، اذا خلد كاتب لهذه الخصائص كلها فأبو الفرج الأصبهاني على رأس الخالدين .

شفيق جبري

اختلاف المبرد مع سيبويه

لم يستهل القرن الثالث حتى كان كتاب سيبويه موضوع درس وبحث ، ومحل نقد وتمحيص ، بما تلاحق عليه طيلة القرن الثاني من عناية علماء العربية : البصريين والكوفيين ، على السواء . ففي حين اتخذه البصريون اماماً لهم وحجة ، يتعصبون له ، وينصرونه ، ويستدلون لقواعده ، ويفصلون علله ، فعل الأخفش الأوسط والجرمي والمازني ، [1] كان الكوفيون محتفلين بالكتاب ، يدرسونه ، ويستكشفون مذاهبه ، ويقلبون مناحي أدلته ، ليتبينوا — في تعصبهم عليه — ما اختلف فيه طريقه عن طريقهم : صوغاً للقواعد ، وتحريراً للأدلة ، حتى يمهدوا بذلك مسلك الانتصار لمذهبهم بالرد على سيبويه ، ومعارضته ، فعل الكسائي والفراء وثعلب [2] . فتكونت لكتاب سيبويه ، من صنيع هؤلاء وهؤلاء ، هالة من التعاليق والشروح والبحوث والردود ، كانت ثروة للدارسين ، ومادة المصنفين .

وعلى تكامل هذه الثروة ، وتوافر تلك المادة ، نشأ أبو العباس المبرد ، أوائل القرن الثالث بالبصرة ، ثم دخل الى بغداد . فكانت نشأته بالبصرة على كتاب سيبويه ، وصلته بالبصريين أنصار سيبويه ورواة كتابه : من الزيادي والرياشي[3] واضرابهما ، ثم رحلته الى بغداد ، وصلته بالبصريين ، من رواة كتاب سيبويه أيضاً ودارسيه ، مثل الجرمي والمازني ، وبالكوفيين

(١) كتاب أخبار النحويين للسيرافي ص ٥٠ و ٧٢ و ١٠١ ط كرنكو .
(٢) ص ٥١ سيرافي وبغية الوعاة (ترجمة الفراء يحيي) والتعريف بكتاب سيبويه في نسخة الرباحي ص XXIV ٢٤ الطبعة الباريسية .
(٣) ص ١٩ وما بعدها سيرافي .

المتتبعين لأخطائه المتعصبين عليه ، مثل ثعلب[١] ، قد مكنت له أسباب الإحاطة بمـــا كان حول « الكتاب » من تعاليق مفصلة ، من كلام المادحين والقادحين .

فكان المبرد ، من جهة ، عظيم الإكبار لسيبويه وكتابه ، تام القيام عليه ، حريصاً على روايته وضبطه ، وكان ، من جهة أخرى ، مدركاً مآخذ فيه ومغامز ، بدا بعضها من ردود كوفية لم يجد لها مدافع ، مثل ردود الفراء ، وبعضها من نقود بصرية وجد من نفسه اقتناعاً باتجاهها ، مثل نكت كانت للزيادي[٢] ، ومخالفات المازني ، أو للجرمي ، أو للأخفش نفسه ، وهو راوي الكتاب ومبلغه للأجيال[٣] ، وفيه يقول الكسائي مستخفاً بالبصريين : إن الأخفش نبههم على عوار الكتاب وتركهم[٤] . من هذا يتبين أن ما كان مجتمعاً في نفس المبرد : من اكبار لكتاب سيبويه ، واقتناع بنقود ومخالفات معلقة عليه ، من شأنه أن يجعله شديد الاحتفال بتلك النقود ، عظيم الحرص على تتبعها ، وعلى استنباط نقود مثلها ، ليقينه بأن ادراك غور سيبويه ، والتمكن من الانتقاد عليه أمر لا يتاح الا لعظيم .

بهذا برز أبو العباس المبرد بين علماء العربية في بغداد ، فكان بصرياً متعصباً للبصريين ، معدوداً عليهم ، خصماً للكوفيين ، مبغوضاً منهم ، يتمثل النزاع المستحكم بين البصريين والكوفيين في ما بينه وبين أبي العباس ثعلب من تنافس وشنآن[٥] .

---

(١) ١٠٢ سيرافي .

(٢) ٨٨ سيرافي .

(٣) يوجد كثير من هذه المخالفات في كتاب الإنصاف لابن الأنباري وفي الطرر التي على النسخ القديمة من كتاب سيبويه ، مثل النسخة الزيتونية التي يأتي الكلام عليها .

(٤) مراتب النحويين لأبي الطيب ط ابو الفضل .

(٥) ١٠٢ سيرافي .

على أنه كان ينتهج نهج الزيادي والرياشي والجرمي والمازني ، في الانفراد عن جمهور البصريين بمقالات في مسائل ، لم تكن لتخرجه عن بصريته ، ولا لترفع ما بينه وبين الكوفيين من إحن ، كما لم يخرج أبو يوسف ولا ابن القاسم ولا المزني عن كونه حنفياً أو مالكياً أو شافعياً لمقالات خالف فيها جمهور أهل مذهبه .

فالمنهج النحوي الذي تكون في بغداد ، في القرن الثالث ، هو منهج لم يمتزج فيه المذهبان : الكوفي والبصري ، ولا تكوّن منه مذهب جديد مستقل ، بل لم يكن إلا اتصالاً وتلاقياً بين الواجهتين : الكوفية والبصرية ، عرف به أهل كل من المذهبين مقالات المذهب الآخر بصورة أتم وأوضح ، واقترن ذلك بانفراد رجال من الكوفيين أو من البصريين بمقالات خالفوا بها أئمة مصرهم ، ووافقت أقوالاً لأئمة المصر الآخر ، بدون أن تخرج واحداً منهم عن عصبية مصره ، وتلحقه بالعصبية الأخرى ، وإننا لنجد برهان ذلك جلياً في مسائل الخلاف التي أوردها ابو البركات الأنباري في كتابه « الإنصاف » حيث يذكر مذهب الكوفيين ويقول : ووافقهم المازني أو المبرد من البصريين ، ويذكر البصريين ويقول : ووافقهم الفراء أو ثعلب من الكوفيين .

كذلك كان وضع علم النحو في بغداد في القرن الثالث : مذهبان يتناظران ويتجادلان وينفرد عن كل من المذهبين أحد أتباعه في مسائل بدون أن يخرج عن أصول مذهبه . وكذلك نرى أن أثر هـذا في القرن الرابع ، الموالي ، يؤيد ما يذهب اليه صديقنا العزيز الدكتور مازن المبارك (١) من أن علماء بغداد بسطوا المذهبين ، واختاروا منهما ، وأنه إذا كان لبعض هؤلاء العلماء أقوال تفردوا بها من دون المذهبين ، فإن ذلك لا يعني قيام مذهب

(١) ص ٣٤ كتاب الرماني النحوي ط الجامعة دمشق .

جديد ، ولا يعني نشوء مدرسة بغدادية . وإذا كنا نذهب مع الدكتور الصديق مذهبه في عدم اندماج المدرستين البصرية والكوفية ، حتى في القرن الرابع ، قرن ابن كيسان ومن بعده ممن قال فيهم السيرافي انهم يخلطون المذهبين ، فإن القول الثالث ، الذي هو موضوعنا ، أجدر بذلك المعنى من القرن الذي والاه ، ما دامت العصبيتان : البصرية والكوفية ، جليتين في مثل المبرد وثعلب ، وان خالف كل منهما مقالات للبصريين أو للكوفيين . وعلى ذلك نتصور أن أبا العباس المبرد قد كان ، في نظر طلاب العربية وعلمائها في بغداد ، بصرياً ، له على مذهب أسلافه ، وعلى كتاب إمامهم : سيبويه انتقادات ومآخذ لا تخرجه عن كونه بصريا ، ولا تبعد به عن أن يكون كتاب سيبويه عنده هو « الكتاب » كما هو عند البصريين جميعهم ، أو هو « البحر » كما كان يقول ابو العباس لمن يريد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه[١] .

كان أبو العباس يتيه بكتاب سيبويه ، وبضبطه له ، وقيامه عليه . قرأه على الجرمي والمازني[٢] وقرأه المازني على الأخفش وهو الذي رواه عن سيبويه[٣] .

وكان المبرد قد كتب الكتاب بخط يده وضبطه[٤] فكان يعتز بذلك الأصل الذي كتبه ولا يمكن منه أحدا ، ويضن به ضنة شديدة . وان جميع النسخ المعتمدة ، المنسوبة ، التي تعرف اليوم من كتاب سيبويه ، راجعة الى نسخة المبرد (في الزيتونة وباريس والاسكوريال والروسيا) .

ومن شديد اعتنائه بكتاب سيبويه : أنه خدمه بكتب كثيرة ، ذكرها ياقوت في المعجم ، منها : المدخل لكتاب سيبويه ، ومنها شرح شواهده ،

(١) سيرافي ص ٥٠ .
(٢) ١٠١ سيرافي وارشاد الأريب لياقوت (ترجمة محمد بن يزيد المبرد) .
(٣) ٥٠ سيرافي .
(٤) ياقوت ومقدمة الطبعة الباريسية XXVI,VI .

ومنها كتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه ، ومنها معنى كتاب سيبويه ، مما يوجب أن يكون معدوداً في شراح الكتاب في القرن الثالث ، ويقتضي ادماجه في الجريدة التي رتبها الدكتور مازن المبارك[1] بعد المازني وقبل الأخفش الأصغر .

وإلى ذلك كله كان المبرد مشهوراً بالاختلاف عن سيبويه : في مسائل كثيرة ، قرعت لها الظنابيب منذ القرن الثالث . فالسيرافي ، في شرحه على كتاب سيبويه ، ذكر مسائل عديدة ، خالف فيها المبرد سيبويه وخطأه تخطئة : منها قوله أن علامات الاضمار كلها مبهمة ، خلافاً لسيبويه إذ قسم الأسماء المضمرة إلى مبهمة وغير مبهمة (ص ٢٥٦ ج ١ هامش الكتاب ط بولاق) ومنها تخطئته سيبويه في اعراب « خزا » حالا من « هذه جبتك خزا » وقوله إنما هو تمييز (٢٧٤ ، ١) ومنها اختياره النصب في مثل « يا زيد والرجل » خلافاً لاختيار سيبويه ـ تبعاً للخليل ـ الرفع (٣٠٥ ج ١) ومنها جعله « سراويل » جمعاً خلافاً لسيبويه في اعتباره مفرداً (١٦ ، ٢) ومنها ادعاؤه أن سدوس اسم امرأة و « تغليطه » سيبويه في جعله اسم رجل (٢٦ ، ٢) ومنها « تخطئة » سيبويه في عدل قرقار وعرعار واعتبارهما حكاية صوت (٤٠ ، ٢) ومنها اعتباره التنوين في « جوار » اسم رجل تنوين عوض لا كما اعتبره سيبويه ـ تبعاً للخليل ـ تنوين تمكن (٥٧ ، ٢) ومنها قوله ان تصغير ابراهيم واسماعيل : ابيريه واسيميع ورده على سيبويه في القول بتصغيرهما على بريهيم وسميعيل (١٢٠ ، ٢) .

وأبو البركات ابن الأنباري في كتاب « الانصاف » أورد مسائل كثيرة خالف فيها المبرد اجماع البصريين أو قول جمهورهم ، موافقاً الكوفيين [2]

(١) الرماني ١٣٤ .

(٢) كتاب الإنصاف لابن الأنباري ط ليدن المسألة ٦٤ .

أو متوسطاً بين الطائفتين [١] أو منفرداً بقول دون الطائفتين معاً [٢] .

وأبو الفتح ابن جني ، في الخصائص [٣] أشار إلى ما كان أبو العباس يتبع به كلام سيبويه ، وسماه « مسائل الغلط » وحدث عن أبي علي الفارسي عن أبي بكر ابن السراج أن المبرد رجع فيه وكان يعتذر عنه .

والمبرد نفسه ، في كتاب الكامل – على قلة مايهتم بمسائل النحو – أورد كلام سيبويه في معرض الرد والتغليط غير مرة : فمن ذلك قوله في تفسير أبيات وردت أثناء أخبار الخوارج : « سيبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء . . . . فيقال له الضمير في موضع ظاهره فكيف يكون مختلفاً .... قال أبو العباس والذي أقوله ان هذا خطأ » [٤] .

وفي قول زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة ... يقول لا غائب مالي ولا حرم

قال : « فسيبويه يذهب إلى أنه على التقديم والتأخير وهو عندي على إرادة الفاء » [٥] كما شاع ، في كتب النحو المتداولة ، ذكر خلاف المبرد لسيبويه بموافقة الكوفيين أحياناً : كما في مسألة تقديم خبر ليس [٦] أو خلافاً للجميع : كما في مسألة بدل الغلط [٧] .

(١) المسألة ٣٧ .
(٢) المسألة ٢٤
(٣) ص ٢١٣ ج ١ ط الهلال .
(٤) الـكامل ج ١ ص ٢٠٨ ط الخيرية بمصر .
(٥) ص ١٧٨ ج ١ .
(٦) الأشموني ج ١ ص ٣٣٩ هامش الصبان ط الوهبية .
(٧) الأشموني ص ٢٠٩ ج ٣ .

فإذا بان أن المبرد كثير الخلاف لسيبويه ، شديد الاحتفال بإيراد مخالفاته له في القواعد وفي التخاريج ، وأن شراح الكتاب ، ومصنفي الخلاف ، وعلماء النحو ، أوردوا من ذلك كثيراً ، فهل لهذا الخلاف مادة يغترف منها ، ونصاب يرجع إليه ؟ إن ياقوتاً ، في معجم الأدباء ، عند ترجمة المبرد ، هو الذي يفيدنا أن مادة خاصة بهذا الاختلاف هي المصدر الأصلي لما ينقل المؤلفون منه . وهي كتاب من وضع المبرد سماه « كتاب الرد على سيبويه » وإن كان السيرافي لم يذكر هذا الكتاب في ترجمة المبرد ، مع أنه نقل في شرحه لكتاب سيبويه كثيراً من تلك الاختلافات . واطرد ذكر هذا الكتاب ، بعد ياقوت عند الذين ذكروا كتب المبرد

ويتصل خبر هذا الكتاب بأخبار صلة المبرد بابن ولاد .

وذلك ان بيت علم ، في مصر ، كانت سلسلة مجده تنتظم أربعة رجال هم :

ولاد أبو الوليد بن محمد التميمي المتوفى سنة ٢٣٠	ترجم ثلاثتهم في معجم ياقوت وفي بغية الوعاة
ابنه ابو الحسين محمد المتوفى سنة ٢٩٨	
ابن الابن أبو العباس احمد المتوفى سنة ٣٠٢	

ابن الابن أيضاً أبو القاسم ابن ابي الحسين لم نقف على ترجمته ، وورد ذكره في سند رواية كتاب سيبويه عن والده عن المبرد من طريق محمد بن يحيي الرباحي الأندلسي .

فكان ثاني الثلاثة : أبو الحسين محمد ابن ولاد ، رحل من مصر الى العراق وأخذ عن المبرد[1] . وكان المبرد لا يمكن أحداً من نسخ كتاب سيبويه من عنده فكلم ابن ولاد المبرد في نسخه على شيء سماه له ، فأجابه ، فأكمل نسخه ، وأبى أن يعطيه شيئاً حتى يقرأه ، فغضب المبرد ، وسعى به الى بعض خدم السلطان ليعاقبه على ذلك ، فالتجأ ابن ولاد

(١) ياقوت ج ١٩ ص ١٠٦ ط دار المأمون مقدمة الطبعة الباريسية XXVI (٢٦) .

الى صاحب الخراج ببغداد ، وكان يؤدب ولده ، فأجابه ، ثم ألح على المبرد حتى أقرأه الكتاب . »[١]

وبرواية محمد بن ولاد عن المبرد نقل كتاب سيبويه ، من بعد ، في مصر : من طريقَي نقله : ١) طريق ابن النحاس عن أبي اسحاق الزجاج عن المبرد ، ٢) طريق أبي القاسم ابن ولاد عن أبيه أبي الحسين عن المبرد ، وجمع الطريقين بالرواية عنهما محمد بن يحيى الرباحي[٢] الذي ترجع اليه روايات الكتاب بالأندلس ، حسب النسخ الأندلسية الأصلية من كتاب سيبويه التي بالزيتونة ، وهي عن نسخة ابن خروف عن أصل الرباحي ، والتي بالاسكوريال ، وهي نسخة حسن بن أحمد بن علي بن يبقى عن نسخة أبي نصر هارون بن موسى المقروءة على الرباحي[٣] .

فيكون الثاني من الأربعة ، محمد بن ولاد ، هو الذي قرأ الكتاب على المبرد وقابله بأصله ، ويكون الرابع ، أبو القاسم ، هو الذي قرىء عليه الكتاب بمصر على نحو ما قرأه هو على أبيه .

ويبقى لنا مع الثالث ، وهو أبو العباس شأن في ما يرجع الى رد المبرد على سيبويه : فقد ذكر الذين ترجموا لأبي العباس أحمد بن ولاد أنه تلميذ أبي اسحق الزجاج ، سافر للطلب عليه في بغداد ونوهوا ببراعته في النحو — على عكس ما غضوا من منزلة أبيه — ولم يذكروا له قراءة ولا رواية[٤] ، فيظهر انه كان بالنظر والدراية أشد اعتناء ، بخلاف أخيه أبي القاسم ، وذكروا له من تآليفه « كتاب الانتصار لسيبويه في ما ذكره المبرد » أو « انتصار سيبويه على المبرد » .

(١) ياقوت ومقدمة الطبعة الباريسية وبينهما اختلاف في تفصيل القصة .
(٢) انظر ترجمته في بغية الوعاة .
(٣) مقدمة الطبعة الباريسية .
(٤) ياقوت وبغية الوعاة .

ولم نقف على عين ولا أثر للكتابين : كتاب المبرد في الرد على سيبويه ، وكتاب ابن ولاد في الانتصار لسيبويه ، الا في ما ظفرنا من كنز خفي في النسخة الزيتونية من كتاب سيبويه . وهي أصل عظيم من أصول نسخ الكتاب ، فاتت الأستاذ المستشرق درنبرغ الذي نشر كتاب سيبويه ، لذلك نرى أن نقدمها في جملتها قبل أن نذكر محل الحاجة منها لموضوعنا .

هي نسخة أندلسية بديعة الخط ، أصيلة التحقيق والضبط ، مكتوبة بخط عالم من أعيان علماء العربية ، هو ابن الحاج الأزدي الاشبيلي ثم التونسي ، وهو : أحمد بن محمد بن أحمد ابن الحاج ، من أصحاب أبي علي الشلوبين والدباج ، انتقل الى تونس ومات بهـــا سنة ٦٤٧ أو سنة ٦٥١ ترجمه السيوطي في بغية الوعاة ، نقلاً عن البلغة للفيروزابادي ، وترجمه ابن رشيد في رحلته ملء العيبة [١] وكان صاحب تصانيف في النحو منها املاء على كتاب سيبويه .

وهذه النسخة كتبت سنة ٦٢٣ وتمت مقابلتها سنة ٦٢٤ وتمتاز بأمور ـ زيادة على صحتها وضبطها وبديع خطها واتقان مقابلتها ـ : فهي مكتوبة ومقابلة على نسخة أبي الحسن ابن خروف الاشبيلي شارح كتاب سيبويه المتوفى سنة ٦٠٦ [٢] التي كانت لشيخه أبي بكر محمد بن أحمد بن طاهر الخِدَبّ [٣] ثم آلت الى أبي علي الشلوبين ومن عنده نقل عنها صاحبنا ابن الحاج ، وقابل بها .

وقد اهتم ابن الحاج بتلخيص شرح شواهد الكتاب للاعلم [٤] وكتب

(١) مخطوط الأسكوريال .
(٢) البغية .
(٣) البغية .
(٤) طبع بذيل الكتاب ببولاق .

ذلك في مقابلة كل شاهد : على الهوامش وبين السطور وقال في آخرها :
« قال ناسخ هذا الكتاب لنفسه أحمد بن الحاج كتبت في حواشي كتابي هذا تأليف أبي الحاج يوسف بن سليمان الشنتمري المشهور بالاعلم على الأبيات ، وهو الذي سماه تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب ، وتحريت في ذلك حذف ما لا يخل حذفه من تفسير لا يضطر اليه ولا يقف تفهم البيت عليه أو كلام في وجه الاستشهاد بالبيت هو باد من كلام سيبويه غير محتاج الى بسط ولا زيادة بيان ، وما عدا ذلك نقلته على حسب ما وجدته في النسخة التى نقلت من أصل المؤلف وقوبلت بحضرته وهي التي أقامها هو لأبي بكر بن زيدون رحمهما الله ، فربما نقلت كلامه نقلاً فأثبت لفظه وربما حذفت التطويل وآثرت الإيجاز فنقلته بلفظي على حسب فهمي ؛ وكل ذلك بحسب ضيق هذه الحواشي في بعض المواضع وبحسب السآمة والنشاط ، فإن وقع الناظر فيها على سهو وغلط فلا ينسبنه لأبي الحجاج رحمة الله عليه حتى يتبين أن ذلك لفظه ويحقق أنه قاله أو ما في معناه ، وعلى الجملة فانما عملته لنفسي وبقصد أن يحضرني مع كتابي هذا والله المسدد سبحانه لا رب غيره .

وقد أُلصِقت فوق ظهر الورقه الأولى من هذه النسخة ورقة حديثة : كتب بها وقف الكتاب على خزانة جامع الزيتونة الأعظم من المشير أحمد باشا الحسيني سنة ١٢٥٦ ، وكان والدي ـ حفظه الله وأبقاه ـ قد اهتم بقراءة ما يبدو تحت الورقة الملصقة ، فتبين أنها تبتديء بأربعة أسطر فيها حديث أخذ ابن ولاد الكتاب عن المبرد ، على ما مر عن ياقوت وكما هو مثبت في نسخة الاسكوريال .

وأعجب من ذلك كله أن سياق كلام سيبويه ، في العشرين ورقةِ الأولى من الكتاب ، التي تقابل الثمانية والثمانين صفحة الأولى من الكتاب في طبعة

باريس ، تتخلله تعاليق بالرد والاستظهار وتأويل التخريج معزوة الى شراح الكتاب : الأخفش والمازني والجرمي والمبرد والزجاج ، يعقب بحكاية قول القائل على كلام سيبويه ثم يكتب « رجع » ويعاود كلام سيبويه . وقد انقطع هذا من الورقة العشرين فأصبح الكلام بعدها خالصاً لكتاب سيبويه مطابقاً لعموم نسخ الكتاب بدون زيادة ، كما هو في الطبعة الباريسية والطبعة البولاقية ، إلا كلمة واحدة هي تفسير وجيز عن أبي الحسن في باب ما ينصرف وما لا ينصرف . فالأظهر أن هذه المدرجات كانت حواشي في بعض الأصول فأدرجت عن قصد بدليل ابتدائها بمثل « قال أبو الحسن » وانتهائها بكلمة « رجع » ؛ ويقرب هذا ما أفاده درنبرغ في مقدمة الطبعة الباريسية : من أن النسخة الغزنوية التي كانت بين يديه ، وهي نسخة سان بطرسبورغ من البلاد الروسية . تشتمل أحياناً على كلام شراح الكتاب مدرج في الصلب ، وعلى ابتدائه علامة « لا » وعلى انتهائه علامة « الى » وقد أورد درنبرغ نصوص تلك الزيادات في تعليقه على نص الكتاب في الطبعة الباريسية ، فاذا هي التي في النسخة الزيتونية ، مطابقة لبعضها مطابقة تامة ، الا ان زيادات النسخة الغزنوية تستمر ، الفينة بعد الفينة ، الى آخر الكتاب ، ولا تنقطع كما تنقطع زيادات النسخة الزيتونية ، ولعل ذلك راجع الى أن النسخة التي نقلت النسخة الزيتونية عنها كانت مؤلفة من أجزاء كما أفاد ذلك ناسخها ابن الحاج ، عند ذكر المقابلة في آخر النسخة ، فيكون بعض الأجزاء أدرجت فيه الشروح فأدرجها ، والبعض بقيت فيه على الهوامش فتركها لأن هوامش نسخته كانت مشغولة بشرح الشواهد ، وإن كانت النفس لا تطمئن إلى هذا الفرض تمام الاطمئنان .

والأمر الأعظم من كل ما تقدم في شأن هذه النسخة العجيبة أنها مذيلة بتلخيص لردود المبرد على سيبويه ، وانتصار ابن ولاد لسيبويه على المبرد .

وهذا التلخيص مكتوب بخط ابن الحاج ناسخ الكتاب ، كتابة دقيقة جداً ، ضيقة ، متراكمة ، ليست كالتي نسخ بها الكتاب ، تملأ فيها الكتابة كامل الورقة ، من الطرف إلى الطرف فلا تبقي لها هوامش أصلا ، وتستغرق ، على هذا الضيق ، سبع صفحات أي ثلاث ورقات ونصف ورقة تقريباً . يضع في ابتداء الكلام علامة (مـ) ويذكر انتقاد المبرد ، ثم يضع علامة (وَ) فيذكر رد ابن ولاد ، ويختصر اسم سيبويه في كلام المبرد بعلامة (س) .

فكانت جملة ما أورده من المباحث مائة وخمسة عشر مبحثاً ، في كل واحد منها كلام المبرد وكلام ابن ولاد في رده ؛ ويطول الكلام ويقصر باختلاف المسائل ، على أن الأطول باطراد انما هو كلام ابن ولاد . وقد تبرأ الكاتب من عهدة النقل ، فبين في آخر كلامه أنه لم يتحر النقل باللفظ ، ولا التزم الاستيعاب ، اذ ختم تلخيصه بهذه الجملة : « كمل الغرض من تلخيص رد المبرد على سيبويه وانتصار ابن ولاد له كتبه لنفسه وعلى قدر فهمه احمد بن الحاج وفقه الله » . فهو يصرح بأنه تلخيص ، وان ما أورده فيه هو ما تعلق غرضه بايراده ، بحيث ان لغرضه دخلاً في الإثبات والحذف والنقل والترك ، وانه صاغ العبارات على مقتضى مقام « التلخيص » و « بحسب فهمه » غير منقح للعبارة ، ولا مراع للاحتياط في الايضاح ، أو في التحرير ، لأنه « كتبه لنفسه » .

ولا ندري هل هذا التلخيص ، الذي هو غرضه ، قد كان مشتملاً على جميع البحوث وردودها ، بحيث لخص كل بحث باختصار عبارته وتحصيل معناه ، وذلك ما يتبادر من كلمة « التلخيص » أو انه ترك بعض البحوث التي لم يتعلق غرضه بتلخيصها فيصير التلخيص مراداً به معنى الاختصار تقريبا ؟

وأياً ما كان فان الذي أسداه الينا ابن الحاج يعطينا صورة من الكتابين

المفقودين ، كيفما تكون وافية ، فلن تكون كافية ، لأنها إن ُفرض أنها لم تترك بحثاً دار بين الكتابين فانها لا محالة لم تورد الكلام بنصوصه التي ورد بها في أصل الكتابين .

على أن الذي لا يتتبع نص كلام سيبويه ، المعلق عليه ، حتى ُيرجع كل فقرة إلى المحل المعلقة به ، لا يستطيع أن يبلغ من الفائدة في مطالعة الكلام مبلغاً ذا بال . لذلك أصبح العمل في استخراج هذه النقود والردود عملاً شاقاً ، لصعوبة قراءة النص ، بما في خطه من دقة وخفاء ، وفي مداده من انطماس ، وعلى ما أصابه في مواضع من محو أو بتر ، ثم للزوم العود بكل بحث إلى محله من كلام سيبويه في الكتاب ، أو ما نقل عن المبرد ، في الشروح أو غيرها من الكتب ، ليتبين بذلك عن المعنى ما يعين على فك الخط الحائل أو المطموس . وذلك ما أنا بصدد معاناته ، الآن ، حتى أتوصل بحول الله ، إلى تحقيق نسخة من هذا التلخيص ونشرها .

ولذلك يلوح بادىء ذي بدء أن ردود المبرد غير مستوفاة ، بدليل أن كل رد من ردوده معقب برد ابن ولاد عليه ، حتى أن الملخص ، ابن الحاج ، لما ذكر اعتراض المبرد على سيبويه ادخال حذف تاء التأنيث في مبحث الترخيم لأنه كله نكرة قال : « وفساد قوله هنا واضح لا يحتاج فيه إلى ما ذكره ابن ولاد » ولما أورد اعتراض المبرد على سيبويه في استشهاده على أن « يهود » مؤنث ولذلك منع من الصرف ، قال عقبه : « ولم يردّ عليه و(ابن ولاد) بأكثر من أن بين أنه لا أثر للعلة الثالثة وقد استقلت الاثنتان » . والأقرب ان ابن ولاد لم يتناول جميع الردود ، وانما أخـذ ما وجد له مدفعاً منها ، أو وجد فيه مساغاً لنكتة ، كقوله مرة بعد الزام

المبرد سيبويه في لبيك أن يقال لباك لأنه قرنها بسلام عليك (١) : « لا يليق مثل هذا بمنصب أبي العباس » .

والذي يؤيد هـــذا الاستظهار أن كثيراً من النقود التي هي تخطئة صريحة لسيبويه ، ورد منقولاً في بعض شروح الكتاب ، أو كتاب الـكامل للمبرد ، أو كتب أخرى ، ومع ذلك فإنه لا يوجد في التلخيص الذي بين أيدينا ، من ذلك ما نقل في تفسير القرطبي (٢) عن ابن النحاس من اعتراض المبرد على قول سيبويه في قوله تعالى « وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » أنه بمعنى تسلماً منكم لا خير ولا شر بيننا وبينكم : « أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة » .

هذا مع أن المفروض أن المبرد لما انتصب بضـــع كتاباً في الرد على سيبويه قد استقصى كل ما له من خلاف وتخطئة ، وتتبع كتاب سيبويه تتبع استيفاء ، وهو الذي كان تام القيام عليه فلا يصح أن يكون المبرد اعتراض على سيبويه ذكره هو بنفسه في الـكامل ، أو نقل عنه في الكتب ، غير مدرج في كتابه المصنف لجمع تلك الردود .

فالذي نستخلصه من هذا هو ان الذي كان بين يدي ابن الحاج يلخص منه ، انما هو كتاب ابن ولاد ، ولم يكن لديه كتاب المبرد ، فلم يكن ينظر إلا إلى ما أورده ابن ولاد في معرض رد الرد ، وانه كان ينقل كل مبحث نقلاً بالمعنى لا باللفظ ، يلخص ما فيه من النقد والدفع بحسب ما يبدو له من أهمية ، وبحسب ما يكون له بالموضوع من اعتناء ، كما قال هو بنفسه في تلخيص شرح الشواهد « بحسب السآمة والنشاط » فالذي يكون عندنا ،

---

(١) ص ١٤٧ ج ١ باريسية .

(٢) ج ١٣ ص ٧٠ دار الكتب .

حينئذ ، من كتاب المبرد هو تلخيص من تلخيص واختصار ، والذي عندنا من كتاب ابن ولاد : هو تلخيص مباشر بدون اختصار .

وهذا يفيدنا ، على كل حال ، نوع المسائل التي دار البحث حولها ، حتى ننتهي من ذلك الى تصور موقف المبرد مع سيبويه : هل كان موقف اختلاف في المذهب والأصول ، أو موقف اختلاف في البحث والتخريج ؟

فاذا صنفنا المائة وخمسة عشر مبحثاً التي اشتمل عليها الكتاب ، نجد منها أربعة وثلاثين مبحثاً متعلقاً بالقدح في الأمثلة والشواهد أو ابداء أوجه في تخريجها غير الذي خرج عليه سيبويه .

وتسعة وثلاثين مبحثاً متعلقاً بالتوجيه والتعليل والاحتجاج وما يلزم أدلة سيبويه من لوازم غير صحيحة .

وخمسة عشر مبحثاً متعلقاً بانتقاد التعبير أو فساد الترتيب أو تناقض الكلام وثمانية مباحث تتعلق بالقدح في قياس أو فساد تنظير .

وأربعة مباحث تتعلق بالمخالفة في اختيار وجه من وجهين أو وجوه جائزة .
وخمسة عشر مبحثاً تتعلق بالأحكام النحوية بما يشمل الخلاف في الجواز والمنع ، والخلاف في اثبات لغة وإنكارها ، والخلاف في الصرف والمنع .

وهذا يوضح لنا أن نسبة الخلاف في الأحكام النحوية من جملة ما ذكر لنا من خلاف المبرد مع سيبويه ، نسبة ضئيلة جداً ، لأنها خمسة عشر في مقابلة مائة ، زيادة على أن منها التافه الجزئي الذي لايكاد يؤبه للخلاف فيه ، ومنها ماكان اختلاف المبرد مع سيبويه فيه تبعاً لاختلاف غيره ، من قبل ، من أيمة البصريين مع سيبويه ، مثل الصور التي يرجع فيها المبرد ماقاله الأخفش أو الجرمي أو المازني .

وهذا ينتهي بنا إلى نتيجة موضوعية وهي أن أكثر مخالفات أبي العباس

المبرد لسيبويه إنما هي من باب الأبحاث الجدلية ، والمراجعات ، والتحقيقات التفصيلية الجزئية ، التي يسلكها مقتدٍ مع مقتدى به ، وليست من المخالفات الأصلية ، والمناظرات المذهبية ، التي يسلكها ذو مذهب مع ذي مذهب مباين له . فلا يصح أن يقال في المبرد : إنه ذو مذهب نحوي ، وإنما هو أحد أعلام البصرة ، القائمين بدراسة المذهب وبحثه ، وتحقيق كتابه الذي هو كتاب سيبويه . ولم يفتح المبرد بذلك طريقاً جديداً في النحو البصري لأنه درج على مسلك مشى فيه من قبله المتقدمون من أتباع سيبويه وشراح كتابه .

محمد الفاضل ابن عاشور

أبو الطيب يعثر على موضوعه

كل كاتب ممتاز أو شاعر أو قصصي ، بل كل فنان أياً كان فنه لا يستطيع أن يبدع إلا إذا كان ينطلق في إنتاجه عما نسميه (الإلهام) . قد يكون كل من هؤلاء مالكاً ناصية صناعته متحكماً في أدواتها ـ سواء أكانت أدواته لفظية أو لونية أو تصويرية ـ . وقد يستطيع أن يبلغ ذروة البراعة في صناعته ، ولكن الإبداع مرتبة أعلى من ذلك علواً كبيرا . إنه لا يستطيع أن يبلغ مرتبة الإبداع إلا إذا كان إنتاجه نابضاً بالحياة والصدق وكان موحياً مشعاً بالمشاعر القوية . إنه يكون في هذه الحالة جامعاً بين التحكم في أساليب الصناعة وشحن إنتاجه بالقوه الحيوية التي تحمل الى الناس حرارة نفسه وقوة شعوره فيجعلهم يشاركونه في شعوره العميق . وهذا هو السر في اننا نصطدم في بعض الأحيان ـ أو في كثير من الاحيان ـ بإنتاج تافه لأديب مشهور معروف بالإبداع . فالأديب أو الفنان قد يكون صادراً في بعض حالاته عن إلهام قوي غامر ، وقد يكون في حالات أخرى صادراً عن تكلف وتعمد . قد نجد الشاعر في بعض حالاته مليئاً بالمعنى متدفقاً في البيان تدفقاً طبيعياً مشبعاً بالحرارة موحياً بالحياة والجمال ؛ وقد نجده في حالات أخرى باهتاً لا نكاد نعرفه . وفحول شعرائنا العرب من الأمثلة الدالة على ذلك ، فهم يختلفون في الإجادة اختلافاً كبيراً بين الإبداع الذي يبلغ بهم الذروة ، وبين الهبوط والجمود والآلية التي قد تنزل بهم الى مستوى (السخف) . ومن أمثلة هؤلاء الفحول من اعتدنا ان نحلهم بأعلى مراتب الإبداع مثل أبي تمام والبحتري والمتنبي ، فكل منهم

يسمو حتى يحلق في أعلى الآفاق ، وقد يسف حتى يوقع في النفوس الاشمئزاز والأسف . وليس شعراء العربية هم الوحيدين في ذلك الاختلاف . فالشاعر الانجليزي (شكسبير) الذي اعتبره الانجليز يوماً من الأيام نبي شعرهم وعبقري زمانه ، هبط في بعض إنتاجه حتى بلغ عندهم مبلغ السماجة والجفاف . والقصصي (هنري جيمس) قد وصل إلى ذروة الإبداع في قصصه حتى اعتبره قومه معبود الأدب ، وهبط أحياناً حتى ان النقاد لم يجدوا سبيلاً الى تعليل هبوطه إلا بأن قالوا إنه قد خلا من الإلهام . فما السر في هذا الإلهام الذي يشبه في الأدب سر الحياة عند الأحياء في غموضه وخفائه ؟ فلنقتبس بعض ما قيل في محاولة تفسير ذلك السر الخفي : (١)

« إن كلاً منا يشتمل في نفسه على شيء من الشاعر وشيء من المثّال وشيء من الموسيقي ومن المصور والكاتب . ولكن الذي نشتمل عليه من هؤلاء جميعاً قليل جداً بالقياس إلى ماعند الفنانين الموهوبين . فإن هؤلاء الموهوبين يملكون من المقدرات البشرية مايسمو بهم إلى درجات العلا . فليس لنا نحن إلا المقدرات التي يمكن أن نسميها انطباعات أو مشاعر مما لايصل إلى مرتبة (الإدراك الكلي الشامل) أو الإدراك (الذوقي الإلهامي) ، وهي المرتبة التي تجعل الأديب أو الفنان يستوعب الصورة النفسية الشاملة الموضوع الذي يعالجه . وذلك على شرط أن يتوفر له (الموضوع) الذي يجعله يتوفر على استيعاب صورته النفسية الشاملة .

إن المصور إنما هو مصور مبدع لأنه يرى موضوعه فيرى فيه مايحسه الآخرون أو يلمحونه وإن كانوا لايرونه ولا يستوعبون صورته النفسية الشاملة . إننا نظن أننا نرى ابتسامة على وجه ولكنا لانرى في الحقيقة سوى أثر مبهم من الابتسامة . نحن لاندرك كل خصائص تلك الابتسامة

(١) خلاصة من أقوال فيلسوف الجمال (بنديتو كروتشي) .

كما يدركها المصور المبدع بعد أن يستوعبها بروحه ويكون قادراً على إثبات خصائصها على لوحته . إننا لاندرك من الناس ـ حتى من أقرب الناس الينا ـ أكثر من ملامحهم الجسمانية الظاهرة على أكثر تقدير حتى ولو كان ذلك الصديق ممن يكون معنا في كل يوم وكل ساعة . وأما الجوهر الذي يكمن في هذه الملامح الجسمانية فهو الذي يمكّننا من تمييزه عن سواه فالمعرفة الإلهامية التي ندركها بالروح هي المعرفة الشاملة الحقيقية .

وهذه المعرفة أثر روحاني لايحدث عند الفنان إلا إذا استغرق استغراقاً كاملاً صادقاً في الموضوع الذي يختاره وينصرف إليه انصرافاً تاماً فيهب له كل قوى روحه .

فإذا ماتحقق ذلك للفنان وأخذ في التعبير عن موضوعه بطريقته المادية التي اعتادها وبأسلوبه الذي تمكن منه في صناعته ـ سواء أكانت لفظية أو غير لفظية ـ أمكنه أن ينقل إلى الناس صورة صادقة طبيعية تمثل كل الخصائص الروحية التي شحن بها نفسه ، فيمكنه أن يطلع الناس على ما استوعبه في روحه من نافذته السحرية .

والأديب أو الفنان لايتعمد اختيار الموضوع الذي يمكن أن يملأ روحه فإن ذلك الاختيار لايتأتى له بالبحث عنه بالعقل بحثاً مقصوداً . فالأديب مثلاً لايقدر أن يختار لنفسه موضوعاً ليستغرق فيه بروحه بأن يجلس إلى مكتبه ويستعرض الموضوعات أو الأشخاص الذين يريد أن يتخذ منهم موضوعات للتعبير عنها بفنه ، ثم يختار بعقله ما يظن أنه يستطيع أن يستغرق بروحه فيه من هذه الموضوعات .

الاختيار الموفق إنما يحدث بالطبع من غير تعمد . التجربة وحدها هي التي تستطيع أن تتيح للفنان أو الأديب فرصة الاختيار الموفق الذي يصادف هوى في نفسه . التجربة وحدها هي التي تعرض على الأديب أو الفنـــان

ما يستطيع أن يقتفيه حين يندفع نحوه بروحه من تلقاء نفسه . ان الإنسان لا يمكن أن يشعر بالحب نحو شخص إذا بحث عن صورة يحبها بعقله . ولا يمكنه أن يشعر بالحب نحوه وإن رأى صورته الفوتوغرافية . ليس غير التجربة ما يتيح للإنسان أن يهتدي إلى الشخص الجدير بحبه . التجربة وحدها هي التي تحرك الروح وتجعلها تتأثر فتحب أو تكره وتشعر بالاعجاب أو النفور . وهكذا تكون الحال في اختيار الأديب أو الفنان الموضوع الذي يحرك نفسه ويجعله يستغرق فيه ويستوعبه بكل خصائصه في روحه . ومن هنا يحدث الإلهام وتحدث قدرة الفنـــان على الإبداع والتصرف فيما لديه من أساليب الصناعة . فما الإبداع والجمال وحسن التصرف الموفق في أساليب الصناعة الا نتائج للإلهام الذي يقع في روحه من الموضوع الذي اهتدى اليه فيمكنه ابلاغ ما في نفسه من المشاعر إلى الناس بطريقة بسيطة سهلة متدفقة تحمل كل ما في روحه من المشاعر الصادقة الموحية ـ وهنا سر الإبداع والجمال في الإنتاج الأدبي أو الفني .

ونكتفي في هـذه الكلمة الموجزة بالحديث عن الشاعر العربي الكبير أبي الطيب المتنبي وكيف قضى شطراً من حياته هائماً مضطرباً ضالاً كأنه يبحث عن موضوع جدير بأن يستغرق فيه ويستوعبه بروحه كي يبلغ ذروة الإبداع في فنه ، وكيف استمر هائماً ضالاً مجدباً بائساً حتى اهتدى آخر الأمر إلى الموضوع الذي يستطيع أن يبدع فيه .

بدأ المتنبي حياته كما هو معروف ـ في عصر مجدب ليس فيه الكثير مما يحرك الروح من جلال أو بطولة أو من عدالة ترتاح اليهـــا النفوس في الحياة السياسية أو الاجتماعية . لم يكن في ذلك العصر ما يحرك الشعور سوى مواطن محدودة شخصية كانت قد تشعر بحركة محدودة من حب أو كره ومن اعجاب أو نفور لا يبلغ مبلغ العمق المبدع الذي يحرك الروح .

كان الأديب قد يشعر بدافع جنسي نحو امرأة لا يرى منها سوى جسمها وهي في العادة جارية تحترف الحب . ولم يكن في مجال الحياة الاجتماعية مجال لبطولة تدفع الى الإعجاب أو عدالة اجتماعية تدفع الى الارتياح والسعادة . كان العصر مجدباً اجداباً محزنا . فنشأ أبو الطيب في البادية ، ولسنا نلمح في حياته ما يدل على أن البـــادية أشعرته بشيء من تلك الحركة الشعورية المحدودة التي ذكرناها . ولم يجد أبو الطيب في الحياة الاجتماعية في البادية فرصة تتيح له أن يجد لنفسه مكانة اجتماعية يرضاها . فحزن وسخط وقلق وهجر البادية الى الحضر لعله يجد فيه مكاناً يرضاه لنفسه في مجتمع أو في كنف أمير سياسي أو عظيم سري يستطيع أن يلجأ اليه ويستند عليه في محاولة بلوغ المـكانة التي يتوق اليها ، ولكنه كان حيث يذهب لا يجد إلا خيبة وراء خيبة تصدمه . وحاول أن يصل الى المـكانة التي يطمح اليها عن طريق الشعر ولكنه خاب أيضاً في ذلك كان يشعر في نفسه بكبرياء واعتزاز فضاق بما يتطلبه التقرب الى الأمراء والرؤساء من المدح والتزلف لأنه كان يشعر بالجدب من الدافع النفسي إلى الإبداع الذي يطمح اليـه ليصل إلى مكانة الشاعر الذي تلتفت اليه الأنظار وتُعلي مكانته .

فهو في هذه الفترة من حياته لا يعبر في شعره ـ وهو صادق ـ إلا عن شعور وحيد أجاد في التعبير عنه وهو الشعور بالخيبة والضيق بالحياة واليأس منها . وكان أحياناً يندفع في تعبيره مع حلم من أحلام اليقظة ، فيعبر عن رغبته في التحطيم والثورة وخوض الدماء في سبيل طموحه .

فيقول حانقاً قصيدته المعروفة التي مطلعها :

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقـــام المسيح بين اليهود

وفيها يتحدث عن شعوره بفضل نفسه ويلوم نفسه قائلا :

أين فضلي إذا قنعت من الدهـــــر بعيش معجل التنكيــد
ضاق صدري وطال في طلب الرز ق قيامي وقل عنه قعودي
أبداً أقطع البلاد ونجمي في نحوس وهمتي في ســعود

فهو في هذه القصيدة وأمثالها يعبر تعبيراً صادقا عن ضيقه بالبلاد وما فيها ومن فيها ، ويعبر عن طموحه أو غروره بنفسه التي ضاقت بالحيــاة وضاقت بها الحياة .

وكان يندفع أحياناً كما قلت مع أحلام يقظته إلى ثورة دموية لا يستطيعها في اليقظة فيخاطب نفسه قائلا :

عش عزيزاً أو مت وانت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح أذهب للغيـــــظ وأشفى لغل صدر الحقود

ولكن تلك الثورة لم تكن إلا في الخيال مع أحد الأحلام التي كان لا يلبث أن يراها بعيدة عن الواقع ، فلو كان يريد أن يجد له مكاناً في عالم القنا والبنود لوجـد ذلك المـكان ، لو كانت له موهبة الطعن والضرب . ولكنه لم يكن سوى شاعر موهوب لم يجد بعد فرصة في اظهار موهبته الحقيقية لأنه لم يجد وسيلة بعد إلى الإلهام .

كانت الحروب في ذلك العصر جديرة بأن تبلغ المتنبي ما يصبو اليه لو كانت موهبته الحربية تؤهله إلى التبريز في ميادينها ، ولكنه كان ثائراً غاضباً ولم يكن محاربا . لم يكن سوى شاعر موهوب ولكنه مغرور بقدراته التي لم يهبها الله له .

ومع هذا فهو يقول مدعياً :

إن أكن معجباً فعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد

وهذه نظرة المعجب بنفسه لا نظرة من كانوا يرونه في زمانه .

وأما سبيله إلى المـكانة الاجتماعية عن طريق التقرب إلى الرؤساء والأمراء

في عصره فقد كانت مغلقة أمامه لأنه كان يشعر في أعماقه باحتقار هؤلاء جميعاً . وكان احتقاره لهم يحول بينه وبين الإبداع فالشاعر لا يبدع إلا إذا كان ممتلئاً بموضوع شعره مؤمناً به مستغرقاً فيه بروحه كي يواتيه الإلهام والإبداع .

فكان لا يجد ما يملأ به فراغ مدائحه الزائفة التي كان يشعر في أعماقه بخلوها من الصدق إلا بأن يخلع عليها لوناً من البريق الزائف ، ببلاغيات متكلفة من صناعة الأسلوب الشعري المعروف في زمانه ، وبعبارات لفظية متأنقة وان كانت خالية من الروح . ونشير هنا إلى أمثلة من تلك الألفاظ الجوفاء :

فيقول في أحد ممدوحيه :

لو كان فيض يديه ماء غادية ... عز القطا في الفيافي موضع اليبس

ويقول في ممدوح آخر :

لم يخلق الرحمن مثل محمد ... أحداً وظني أنه لا يخلق
أمطر عليّ سحاب جودك ثرة ... وانظر اليّ برحمة لا أغرق
كذب ابن فاعلة يقول بجهله ... «مات الكرام» وأنت حي ترزق

ويقول في آخر من ممدوحيه :

فتىً الف جزء رأيه في زمانه ... أقل جُزَيْء بعضه الرأي أجمع

وقد يغلو في المبالغة الجوفاء كما قال في أحد ممدوحيه :

إذا خلت منك حمص لا خلت أبداً ... فلا سقاها من الوسمي باكرهُ
من قال « لست بخير الناس كلهم » ... فجهله بك عند الناس عاذره
أو شكّ أنك فرد في زمانهم ... بلا نظير ففي روحي أخاطره

وقد يهبط في مبالغاته إلى الحط من كرامة نفسه مع كبريائه ، والزراية بالكرامة الإنسانية نفسها في مثل قوله :

الى سيد لو بشر الله أمة بغير نبي بشرتنا به الرسل
الى القابض الأرواح والضيغم الذي تحدث عن وقعاته الخيل والرجل
وما تنقم الأيام ممن وجوهها لأخمصه في كل نائبة نعل
وما عنده فيها مراد أراده وإن عز ، إلا أن يكون له مثل

وقد تلجئه هذه المبالغات الخابية إلى وصف فاتر لا تخلع على قوله جمالاً صناعياً بل تخلع عليه قبحاً ممجوجاً ، مثل قوله :

بشر تصور غاية في آيه تنفي الظنون وتفسد التقييسا
وبه يُضن على البرية ـ لا بها ـ وعليه منها ـ لا عليها ـ يوسى

ومثل قوله :

متى ما يشر نحو السماء بوجهه تخر له الشعرى وينكسف البدر
ترى القمر الأرضي والملك الذي له الملك بعد الله والمجد والذكر

هـذه أمثلة من شعره الفاتر في أول حياته من قصائده التي تسمى « الشامية الأولى » والعراقية الأولى وهي جميعاً لا تتجاوز معنى واحداً مكرراً في صور شتى من العبارات المتأنقة وهو قوله : « إنك أيها الممدوح السيد الواحد الذي يفوق الناس جميعاً ، والناس جميعاً فداء لك وهم لا يستحقون أن يكونوا فداء لك . »

والسر في هذا الإجداب الأدبي في الشعر عامة وفي شعر أبي الطيب أيضاً هو الإجداب الشامل من سياسي واجتماعي في العصر كله . كان العالم العربي في ذلك الوقت مجدباً الى حد اليأس من كل ما يحرك النفوس من مثال بطولة أو مثال أمل . الأمراء أو أكثرهم الأكثر طائفة من الأنانيين مع كل منهم طائفة من السادة المزيفين الذين لا هم لهم الا الابتزاز من الشعوب التي يسيطرون عليها . الأمراء لا هم لأكثرهم إلا النظر إلى مصالحهم الخاصة في أفق ضيق ، يتنازعون ويتنافسون ويتحاربون حروباً صغيرة ،

وكل منهم يريد أن ينفذ سياسة موضوعة له من الدولتين الكبيرتين المحيطتين بهم . فبعض الأمراء يشترك في مؤامرة يدبرها لهم المسيطرون على سياسة الدولة العباسية بالعراق ، وبعضهم يشترك في مؤامرة أخرى يدبرها لهم المسيطرون على سياسة الدولة الفاطمية بمصر . امارات كلها قصيرة النظر ضحلة الهمة يدفعها دافع الجشع الشخصي والمطمح المادي . والسادة المتصلون بالأمراء ينسجون على منوال أمرائهم ، فكل منهم يشترك في حزب مناصر لإحدى الدولتين الكبيرتين . فكانت الأحوال السياسية والاجتماعية مصطبغة بألوان الجشع الشخصي والمطامح المادية الخسيسة . وهذه الحالة العامة هي مقدمة محتومة للنتائج المحتومة التي ترتبت عليها فيما بعد حين أغار الصليبيون على الحدود الشمالية في حملاتهم المعروفة في أواخر القرن الحادي عشر بعد الميلاد . مجتمع متفكك وفي داخله السوس وعوامل الفناء تعمل فيه من أعلاه في الطبقة المسيطرة سواء كانت سياسية أو اجتماعية . فاذا أراد أديب في ذلك العصر أن يكون صادقاً في تعبيره عن شعوره فلا مجال له في الصدق إلا أن يندب حظه وحظ قومه العرب لما آلت اليه أمور العرب من الفساد والاضمحلال . واذا أراد أحدهم أن يمدح أميراً أو سيداً من السادة ذوي السيطرة في المجتمع فليس له من وسيلة الى مدحه إلا أن يكذب وأن يعزز أكاذيبه بأسلوب لفظي أو وسيلة بلاغية براقة تخدع الناس عن الحقيقة البشعة الماثلة في حياتهم ، وتحاول أن تخلع على المرح الأجوف غشاءً من التمويه يستثير فيهم الإعجاب بالعبارات الجوفاء . لهذا كان كل ما قيل في النقد الأدبي في ذلك العصر لا يزيد على نقد الأساليب البلاغية اللفظية البعيدة عن المعنى وعن الروح الأدبي نفسه .

ولكن من حسن حظ الأدب العربي أن كانت في ذلك العصر فلتة من الفلتات بين أمراء ذلك الوقت المجدب وهو الفارس الحقيقي والبطل العربي

سيف الدولة ـ أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان الذي وقف حياته لتحقيق غاية جليلة بالتصدي للدفاع عن الحدود العربية برغم ما كان يسود أمراء العصر والسادة في الأمة العربية من أنانية وتحاسد وتناحر في سبيل مصالحهم الخاصة . فحين رأى أبو الطيب ذلك الفارس البطل ـ وأغلب الظن أنه رآه بغتة عن غير انتظار ـ أدرك بفطرته أنه حيال أمير فارس من نوع آخر غير الأمراء الذين اتصل بهم . فتعلق قلب أبي الطيب بذلك الفارس تعلقاً تلقائياً يشبه تعلق المحب بمحبوبه من أول نظرة . وكان بغير شك قد سمع عن بطولته وحروبه مع الدولة البيزنطية التي كانت منـذ ابتداء تكوين الدولة العربية هي العدو والمنافس الخطير لها . وكان سيف الدولة في زيارة لأنطاكية بعد انصرافه منتصراً عن حصن برزونة وهو أحد الثغور الأمامية بين العرب والروم . فلما رآه المتنبي عائداً بالنصر والفتح أحس بهزة دفعته تلقائياً الى التعبير عن إعجابه فأنشد قصيدته التي قال في مطلعها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

فهذا المطلع على ما فيه من غموض وتعقيد وتكلف يتصدر قصيدة فيها تعبير صادق عن إعجابه بالبطل العربي إذ يقول مستمراً بعد المطلع :

وما أنا إلا عاشق ـ كل عاشق أعق خليليه الصفيين لائمه

وقد يتزيا بالهوى غير أهله ويستصحب الانسان من لايلائمه

وفي هذين البيتين يقول أبو الطيب في صراحة بأن كثيراً من المدح يصدر عن شعراء يقولون الشعر فيمن لا يستحق المدح وان البطل الحقيقي قد يتصل بشاعر يمدحه وهو شاعر مزيف لا يلائم مجده .

ومضى في مدح سيف الدولة قائلا :

سلكت صروف الدهر حتى لقيته على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

فأبصرت بدراً لا يرى البدر مثله وخاطبت بحراً لا يرى العبر عائمه
غضبت له لما رأيت صفاته بلا واصف والشعر تهذي طماطمه

ففي هـذه الأبيات يعلن المتنبي في صراحة أنه سلك صروف الدهر حتى اهتدى الى البطل الجدير بشعره والى الموضوع الجدير بأن يهب له عبقريته في فنه ، ويعلن أيضاً أنه قد وجد البطل الذي يملأ قلبه وبصره ، ذلك البطل الذي جعله يغضب حين رأى صفاته الجليلة تخفى عن الإعلان بين الناس لأنها لا تجد واصفاً جديراً بالإعلان عنها على أن الشعر الزائف تهذي طماطمه في مدح أمراء لا يصدق فيهم المدح ولا يصدر عن الشعراء فيه الا هذيان من ألفاظ طنانة جوفاء لا تنطوي على روح أو صدق .

لقد أحسّ أبو الطيب في ذلك الموقف أنه قد اهتدى الى البطل الذي يصلح أن يكون موضوعاً لشعره ، وأنه يستطيع أن يبدع في وصف هذا الفارس وفي تخليد فضله ، واعلانه بين الناس ، لأنه سيجد الإلهام القوي الصادق في فروسيته وكرم خلاله . وقد صدقت فراسة أبي الطيب في ذلك الموقف فان شعره في الفارس الحمداني هو الذي خلده على صفحات التاريخ وهو الذي أعلن عن فضله وأغنى اللغة العربية بمدحه الصادق الملهم الموحي بالحياة والجمال .

وحين أراد سيف الدولة أن يغادر أنطاكية أحس أبو الطيب بانزعاج أشد من انزعاج المحب حين يؤذن محبوبه بفراقه ، فهو يقول له عند ذلك :

أين أزمعت أيهـذا الهمام نحن نبت الربى وأنت الغمام
نحن من ضايق الزمان له فيـك وخانتـه قربك الأيام

فهي صيحة عالية تعبر عن مدى فزع الشاعر وانزعاجه لأن البطل الذي اهتدى اليه بعد طول اضطرابه في الأرض فاهتدى الى الموضوع الذي يلهمه فجأة ، وعلى غير قصد يزمع ان يفارقه فيدعه يعود الى حيرته واضطرابه

وإجدابه . إنه كان يبحث عن موضوع يتيح له الإلهام ويمكنه من الإبداع في فنه ؛ وما كان أشد فجيعته حين أزمع هذا البطل أن يفارقه فيحرمه من الفرصة التي تتيح له الإلهام . انها فجيعة تشبه إلى حد بعيد ما يشعر به الموحى إليه حين يوشك الوحي أن ينقطع عنه . فأبو الطيب يخاطب سيف الدولة قائلا :

« أين تريد الذهاب بعيداً عنا مع أنك قد بعثت إلى قلوبنا من الحماسة لبطولتك والاعجاب بشخصك النبيل ما بدأ يحرك فينا نشوة الشعور الصادق الذي يحرك إلى الإبداع . اننا قد وجدنا فيك ما يروي في قلوبنا ما فيها من التعطش إلى البطولة في عصر قد عرفناه وجربنا إجدابه وحاجته إلى بطولتك وعلو نفسك . لقد كنا مجدبين فأدركنا بلقائك من كان بالنسبة إلينا صوب الغمام فصرنا به نبتاً فوق الربى .

لم يكن سيف الدولة محارباً فارساً فحسب ، بل كان مع شجاعته يمثل معنى آخر لم يشاركه فيه غيره من الفرسان . كان يحارب من أجل غاية سامية ومقصد عال . أعلى جلالاً من الانتصار في الحرب . فيقول أبو الطيب لسيف الدولة :

في سبيل العلى قتالك والسلـــــم وهذا المقام والإجذام
ليت أنّا إذا ارتحلت لك الخيـــــل وأنّا إذا نزلت الخيام
كل يوم لك احتمال جديد ومسير للمجد فيه مقـــام

فهو بذلك يخاطب الأمير العربي الذي وقف حياته على الدفاع عن الحدود العربية في وجه الدولة البيزنطية التي استمرت في حربها منذ قبيل الإسلام إلى العصر الذي عاش فيه أبو الطيب . فكان مثالاً عالياً لسلسلة من أبطال العرب الذين جمعوا بين الشجاعة في الحرب والتمسك بالمثل العليا في الشهامة التي صارت تقليداً للفارس النبيل منذ أيام خالد بن الوليد وسار على مثاله

مسلمة بن عبد الملك فالمعتصم العباسي . كان أبو الطيب يراه في حالة من البطولة العربية في عصر طالما ضاق به الشاعر إذ كانت السيادة فيه وقفاً على الأمراء غير العرب الذين كانوا يبيعون سيوفهم لسادة العرب لقاء اخضاع شعوبهم لسيطرتهم واذلالهم لها .

ففي هذا الموقف يعلن أبو الطيب أنه قد اهتدى الى ضالته ويجهر بشعور الفزع الذي اعتراه حين رأى ان ضالته توشك أن تفارقه . فقد وجد في هذا الأمير الشاب والفارس العربي النبيل موضوعاً يستطيع أن يلهمه بكل معنى جليل صادق يغنيه عن التماس الجمال في أسلوب التعبير الصناعي والعبارات البلاغية اللفظية التي يملأ بها فراغ شعره من الصدق والعاطفة . وكان أبو الطيب منذ بدء حياته يحاول أن يجد لنفسه مكاناً في الحيـــاة بالتقرب إلى أمير أو إلى سري من ذوي الجاه والسيطرة يستند إليه ويقيم في ظله . ولكنه كان كلما وجدَ ما يظنه ظلاً وارفاً لا يزيد في حقيقته على ظل باهت خادع يكلفه أن يكون مرتزقاً بشعره لا شريكاً في انشودة مجيدة ؛ فيبدأ قصائده بقطع من الغزل الكاذب ، وقد يدخل فيها بعض الشعر الصادق في شكوى زمانه ووصف بؤسه وشقائه في الحياة وثورته عليها . فحين خيل إليه أنه قد وجد موضوعه في الفارس النبيل الذي يستطيع أن ينصرف بفنه إليه والتغني ببطولته أخذ يتجه بفنه إلى أسلوبه الجديد فيما نسميه « السيفيات» التي يمتاز شعره فيها بالصدق والسهولة والبساطة الطبيعية في تصويره . فيقول في أسلوبه الجديد يخاطب سيف الدولة خطاباً مباشرا .

كلما قيل قد تناهى أرانا كرماً ما اهتدت إليه الكرام
وكفاحاً تكع عنه الأعادي وارتياحاً يحار فيـه الأنام
انما هيبة المؤمَّل سيف الدو لة المَلك في القلوب ، حسام
فكثير من الشجاع التوقي وكثير من البليغ السلام

فالصدق وحده كفيل بتصوير البطولة والشهامة لأن الشاعر كان ينبعث فيه عن مثال حي صادق أمامه .

ويعترف بهذا في انشاده حين يقول :

فلو قَدَّر السنان على لسان   لقال لك السنان كما أقول

فيعترف بأن الشعر الذي يقوله في مدح سيف الدولة لا يزيد على حكاية ما يقوله السنان عنه ولا يزيد عليه شيئاً من مخترعات القول المنمقة الزائفة .

وحسبنا في الإشارة إلى طريقة المتنبي الجديدة في شعره أن نذكر قصيدته التي يقول في مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم   وتأتي على قدر الكرام المكارم

فهو لم يقدم لقصيدته بمدخل متكلف يفضي به الى انشاده بل ابتدأ الابتداء الطبيعي الذي يدل على ما امتلأ به قلبه من شعور الإكبار نحو سيف الدولة ، ثم مضى يتدفق بما يوحيه ذلك الإكبار ، فلا نجد في قصيدته بيتاً متكلفاً ، ولا نلمح في بيت من أبياتها تعمد تجميل الأسلوب برصيعة براقه مصطنعة . وفيها يصور منظر البطل وهو في ساحة القتال كأنما هو مصور بارع يلتقط منظراً يعبر فيه بريشته عن الروح الذي يسري في المنظر كله ولا يزيد على تسجيل الحقيقة شيئاً إلا بمقدار ما يشحنها بشعوره :

وقفتَ وما في الموت شك لواقف   كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى هزيمة   ووجهك وضاح وثغرك باسم

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى   الى حد قول أنت بالغيب عالم

وقد أقام المتنبي مع سيف الدولة ما أقام فكان في كل قصيدة ينشدها له يتدفق مع شعوره الصادق ويعبر فيها عن إعجابه واستغراقه في موضوعه ، وقد يصف في ثنايا شعره ما يخامره من الألم اذا شعر بألم من إغفاءة غير

مقصودة من الأمير أو من لفتة غاضبة غير مقصودة أيضاً . فهو في ذلك كله يعبر عن أعمق وجدانه صادقاً بليغاً متدفقاً مبدعاً .

ولم يكن شعور أبي الطيب نحو سيف الدولة مقتصراً على بعث الحياة في أشعاره السيفية وحدها ، فان صورة الفارس البطل وشعور الإعجاب به والمحبة له لم يفارقه حين غضب غضبته من الأمير وفارقه وذهب ينشد شعره الى آخرين من الأمراء والملوك الذين كانوا يتنافسون على الاستئثار بفنه ، فكانت صورة سيف الدولة تبدو له كلما وقف ينشد بين يدي أمير أو ملك آخر . وكانت الصورة تهمس له وتثير نفسه برغمه فيأخذ في مناجاتها والانشاد لها . فهو في انشاده لكافور في مصر ينسى أنه يخاطب ذلك الملك ويبدأ قصيدته بالتعبير عن حزنه لفراق صديقه وبطله . فيخاطب قلبه قائلا :

أقِلْ اشتياقاً أيها القلب ربما رأيتك تصفي الود من ليس جازيا

ثم ينتقل بعد حين الى مدح كافور فيغير أسلوبه من الصدق الطبيعي المملوء حرارة الى أسلوبه القديم المتكلف الذي يتصيد فيه المعاني الخاوية ليملأ بها فراغ معانيه بالعبارات البلاغية الكاذبة فيقول :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا انسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها ومآقيا

ويخاطب الملك الأسود ـ انسان عين زمانه ـ قائلا :

أبا المسك ذا الوجهُ الذي كنت تائقاً اليه وذا الوجه الذي كنت راجيا
أباكل طيب لا أبا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغواديا
يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

فلما نزح الشاعر عن مصر كارهاً بعد أن أمضه فيها ألم الجسم والروح معاً وذهب الى العراق لم تفارقه صورة سيف الدولة ولازمه أسفه على فراقه

فيكون في انشاده لعضد الدولة معبراً عن شدة حزنه لفقد صداقة بطله الكريم لا مادحاً للأمير الذي وقف بين يديه فيقول :

أوّه بديلٌ من قولتي واهـا ... لمن نأت والبديل ذكراهـا
أوه من ألا أرى محاسنهـا ... وأصل واهاً وأوهِ مرآهـا
شامية طالما خلوت بهـا ... تبصر في ناظري محياهـا
فقبلت ناظري تغـالطني ... وإنما قبلت به فاهـا

ولولا خوف الإطالة لأفضت فى بيان ما تدل عليه هذه الصورة من الشعور القوي نحو سيف الدولة الذي فارقه الشاعر مع كل إعجابه به وحبه له .

لقد كانت صورة البطل لا تفارق الشاعر وهو بعيد عنه ، وكانت تملي عليه الشعر في كل موقف وقفه بعد فراقه له . فلا يبدو الصدق في شعر المتنبي بعد فراق سيف الدولة إلا حين كان يعبر عن أسفه لذلك الفراق أو كان يعبر عن مقته لأصحاب السلطان الآخرين في الأمة العربية الذين كان أبو الطيب يؤمن بأنهم قد اختلسوا السيادة في هذه الأمة وهم غير جديرين بهـا .

محمد فريد أبو حديد

مخطوطة معاني الشعر للاشنانداني

كانت جمعية الرابطة الأدبية(١) في السنة التي عاشتها مجلتها التي كنت مديراً لها ، ونشرت من تراث السلف كتاب معاني الشعر للاشنانداني من مخطوطة صحيحة نفيسة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، وقد نشرت الجمعية من هذه المخطوطة ما أملاه الأشنانداني ، وبقي في المخطوطة مما رواه أبو بكر ابن دريد وأبو حاتم السجستاني وغيرهما من أئمة اللغة كثير من أبيات المعاني لم تنشر ، وقد نفدت النسخ التي طبعتها جمعية الرابطة الأدبية ، وظلت الحاجة الى هذا الكتاب حاقة لفهم أبيات المعاني ، وسألني كثير من الاخوان عن المانع للمجمع الذي يعمل على احياء تراث السلف من اعادة نشر الجزء الأول النافد مع الجزء الثاني الباقي ومن هؤلاء العلماء والأدباء الراغبين في هذا العمل العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي وقد عزم المجمع على نشر معاني الشعر نشرة صحيحة كاملة بعد استحضار نسخ أخرى .

وجاء في آخر المخطوطة الدمشقية لمعـــاني الشعر العنوان التالي (في كتاب الترجمان المفجّع في باب أنواع من الاعراب) وبعد هذا الباب (أبيات معانٍ مما غلّط الأعراب فيها الأصمعي) ثم (أبيات خطّأ فيها

(١) اول جمعية أدبية عربية بدمشق تألفت سنة ١٩٢١ من الأدباء المعروفين وأنشأت مجلة أدبية لها ، وكانت الجمعية والمجلة طليعة النهضة الأدبية الحية بروحها القومية ، وقد قاومتها القوة الفرنسية المحتلة ، فحلت الجمعية ومنعت إصدار المجلة ، ولو بقيت لأنتجت ما أنتجه أدباء الرابطة القلمية في المهجر من روائع الأدب العربي الحديث .

أبو نصر صاحب الأصمعي" ابن الأعرابي) فوجدت من خدمة الأدب ولغة العرب نشر هذه الصحائف المفيدة مع التعليق عليها :

أما كتاب الترجمان الذي ألفه المفجّع فهو في معاني الشعر ولم نعثر له على أثر ، وهو شبيه بكتاب معاني الشعر للاشناندانى ، وقد ذكر صاحب الفهرست ابن النديم (المفجّع) بأنه أبو عبد الله المفجّع محمد بن عبد الله الكاتب البصري [1] وانه لقي ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره ، وكان بينه وبين أبي بكر ابن دريد مهاجاة وذكر له كتباً كثيرة أولها كتاب (الترجمان) في معاني الشعر ومن كتبه حدّ الإعراب ، وحدّ المديح ، وحدّ البخل ، والرأي ، والهجاء ، والمطايا ، والشجر والنبات ، والأعراب ، واللغز والمنقذ في الإيمان وأشعار الحرب ، وعرائس المجالس ، وكتاب غريب شعر زيد الخيل .

وهذه الصفحات التي ننشرها ، ولعلها من كتاب الترجمان هذا المفقود ، تدلنا على مسائل هذا الكتاب ونمط تأليفه ، وعسى أن نظفر به وننشره ، وما أكثر الكنوز العلمية الضائعة من الكتب التي ذكرها في الفهرست محمد بن اسحق النديم .

التنوخي

* * *

(١) وفي الأعلام للزركلي : هو محمد بن أحمد بن عبيد الله البصري أبو عبد الله وله ترجمة في بغية الوعاة ١٣ وارشاد الأريب ٣١٤/٦ ويتيمة الدهر ١٢٩/٢ ، وعرفه بأبي عبد الله الكاتب ، والمرزباني ٤٦٤ والوافي بالوفيات ١٢٩/١ وهو فيه محمد ابن محمد ، وهو في الفهرست لابن النديم في الفن الثالث من المقالة الثانية .

في كتاب الترجمان للمفجّع

في باب أنواع من الإعراب

وحكى أبو العباس أحمد بن يحيى قال قال الأصمعيّ في قول الفرزدق :

إلى ملكٍ ما أُمُهُ من مُحارب أبوه ولا كانت كليبٌ تُصاهِرُهْ(١)

قال : معناه ابوه ما أُمـه من محارب فأخّره ، وقال الفرزدق أيضاً :

وما مثلُـه في الناس إلا مملّكاً أبو أمّهِ حيّ أبوه يقاربُهْ(٢)

مدح هشام بن اسماعيل(٣) بن هشام بن الوليد أبا أم هشام

(١) من البحر الطويل .

(٢) من الطويل أيضاً .

(٣) في الإيضاح للجلال القزوينيّ الذي هذّبناه ما نصه : كان حقه أن يقول : وما مثله في الناس حي يقاربه إلا (مملّكا) ابو امه ابوه ، فانه مدح ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك ، (وما مثله) يعني ابراهيم الممدوح في الناس (حي يقاربه) أي أحد يشبهه في الفضائل (الا مملّكا) يعني هشاما (أبو امه) أي أبو أم هشام ابوه أي أبو الممدوح ، فالضمير في (امه) للملك وفي (أبوه) للممدوح .

قلت فهذا التقديم والتأخير والفصل والإضمار قد أدّى الى التعقيد اللفظي وهو مما يخل بفصاحة الكلام لمخالفته للقانون النحوي المعروف .

ابن عبد الملك فقال : ما مثله (إلا مملكاً) يعني هشام بن عبد الملك ، أبو أم هشام بن عبد الملك حيّ أبو الممدوح يقاربه ، يعني إنّ بني أمية وبني مخزوم جميعاً من قريش .

وقال الأخفش ابو الحسن سعيد بن مسعدة نصب (مملكاً) لأنه استثناء عنده[1] : ما مثله في الناس حيّ يقاربه إلاّ مملكاً أبو أمه أبوه ، يعني خال هشام والمملّك هشام بن عبد الملك .

هذه أبيات مَعانٍ

ممّا غلّط الأعرابُ فيها الأصمعيّ

أملاها أبو العبّاس أحمد بن يحيى ثعلب رحمه الله رواها أبو بكر ابن الخيّاط ، وجدتها في كتب ابي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السّيرافي .

قال الاصمعيّ في قول الرّاعي :

(١) (الا مملكا) مستثنى من (حيّ) تقدم على المستثنى منه فانتصب ، ولو كان مؤخّراً عنه لكان المختار فيه الرفع على البدلية من (حيّ) وهو المستثنى منه .

إذا ما دعت شِيباً بجَنبيْ عُنيزةٍ مشافِرُها في ماء مُزْنٍ وباقل[1]

قال: حكى أصوات مشافرها بقوله (شيبا) كقوله: (والبحر يدعو هَيْقَماً وهَيقَما) حكى صوت البحر، قال: و (باقل) يريد البقل، قال التّقيل: أخطأ، حَرَبه الله! إذا أكل البقلَ ما يصنَعُ بالماء، يا سُبحان الله! أما يَعلم الجاهل أنها إذا أكلت البقلَ لم تطعم الماء، ولكن (باقل) الرِّمث والغَضا والإخريط من الحَمض إذا أكلته أحرق أجوافَها فشربت الماء شرباً شديداً وأنشد:

حَرّقَها الحَمضُ فما تَقيلُ وما يَقيل تحتَها فَصيلُ
إلا فصيلٌ راسه مأكولُ

وأنشد (حرّقها من النّجيل أشهبُهْ).

وقال أيضاً في قول الرّاعي:

يَظلُّ يغنّيهنّ حَمْشٌ أنُوفُهُ وهنّ قيامٌ ما يُحَرِّكْنَ إصْبَعَا[2]

(١) من البحر الطويل. وجاء في لسان العرب (شيب): والشيب بالكسر حكاية صوت مشافر الإبل عند الشرب، قال ذو الرمة ووصف ابلا تشرب في حوض متثلّم وأصوات مشافرها (شيبْ شيبْ):

تداعين باسم الشيب في متثلّم جوانبه من بصرة وسِلام

(٢) من البحر الطويل.

يعني أنه حَمش القوائم ، وأنه يتألّف بهنّ المَرعى .

قال أبو الخضر وغيره من الأعراب : هذا باطل إنما يَعني ذبابَ الرّوض ، وقوله (أنوفه) لأنه يأكل من كلّ أنواره يتأنّفها[1] : يأكل أنفها وأنشد[2] :

كأن الذّبابَ الأزرقَ الحمشَ وسطها إذا ما تغنّى بالعَشيّات شاربُ[3]
عُقاراً سبتها التّجْر من خمر عانةٍ لها سَوْرةٌ في رأسهِ ذاتُ صالبِ[4]

وأنشد آخر :

حَريقاً زَهاه النّبتُ حتّى ذُبابُهُ ومُكّاؤه عند الضُّحى غَرِدانِ
كأنهما من قَرقفٍ أزرعِيّةٍ سَباها قطارُ الشام مُنتَشِيانِ[5]

---

(١) الأنوف والمتأنّف الذي لايرعى إلا أنف المرعى الذي لم يرعه أحد ، والمؤنَفَة والمؤنّفة من الإبل التي يُتبع بها أنف المرعى أي أوله .

(٢) أنشده اللحيانيّ أيضاً .

(٣) الحَمْش والحَمَاشة والحُموشـة : الدقّة ، وهو حَمْش الساقين والذراعين بالتسكين وحميشهما وأحمشهما دقيقهما وحمش القوائم دقيقها ، وكان عبد الله بن مسعود حَمش السّاقين ، وقال الشاعر يصف براغيث :

وحُمش القوائم حُدب الظهور طرقنَ بليـل فأرّقنني

وذُباب الروض كالبراغيث حُمش القوائم .

(٤) (عقاراً) مفعول به لشارب ، والتّجر التّجـار ، ويقال : سار الشراب في رأسه إذا وثب وهاج وله سورة (ذات صالب) أي حمى صالب يقال أخذته الصّالب .

(٥) أي كأن الذباب وطير المكاء منتشيان وثملان من خمرة إزرع الشامية .

وأنشد لحاجب بن ذبيان المازنيّ يصف راعياً :

إِذا تَوجّسَ لم تَرجِعْ مَسامِعُهُ   من صَوْتِ عُجمٍ ولا فُصْحٍ تُؤدّيها

إِلا مقامَ طَلىً أو صوتَ ذي هَزَجٍ   حَمْشِ القوائمِ في رَوضٍ يُغنّيها

ومنه قول عنترة :

هَزِجاً كصَوت الشارب المتَرنّمِ

هَزِجاً يَحكُّ ذراعَه بذراعِهِ   قَدحَ المُكبِّ على الزنادِ الأَجذَمِ

وقال في قول ذي الرّمة :

يجلو بها الليلَ عنّا في مُلمّعةٍ   مثلِ الأَديمِ لها من هَبْوِهِ نيمُ(١)

قال : النّيم : الفرو القصير(٢) ، وإنما هو بالفارسية للنّصف قال أبو الخضر : أخطأ ، إِنما أراد بقوله (نيم) كسوة من

---

(١) من البحر البسيط .

ورواية الصحاح (حتى انجلى الليل ...) وفي التكملة (يجلى بها الليل عنا ...) وقوله (في ملمّعة) قال ابن برّي : من فتح الميم أراد يلمع فيها السرابُ ، ومن كسر أراد تلمع بالسراب قال : وفُسر النيم في هذا البيت بالفرو (كما قال الأصمعيّ) وأنشد ابن برّي للمرّار بن سعيد :

في ليلة من ليالي القُرّ شاتيةٍ   لا يُدفىء الشيخَ من صُرّادها النيمُ

(٢) وفي اللسان (نوم) الفرو القصير إلى الصدر ، وقيل له نيم أي نصف فرو بالفارسية .

الهبْوة[1] ليّنة ، وكلّ ليّن من الثياب وغيرها نيم وأنشد :

وقد كانت الدنيا على عهد رابعٍ   تلين لنا من قرّة العين نيمها

أي من عيش ليّن ، وأنشدته قول العجّاج[2] :

(يُكسَينَ من لين الشباب نيما)

قال : هذا مما قلتُ لك .

وقال في قول أبي النجم :

تَزينُ لَحيَيْ لاهجٍ مخلَّلِ[3]

عن ذي قَراميصَ لها مُحَجَّلِ

(القراميص) مَفحص الناقة في الرّمل لئلا يَثقل عليها

(١) الهَبوة : النّعامة ، فكأنها من ريش النّعام على المجاز ، ولذلك فسر بعضهم (النيم) بفرو يسوّى من جلود الأرانب ، وهو غـالي الثمن ، وبالقطيفة .

(٢) ونسب ابن برّي هـذا الرجز لأبي النجم ، وقبله (وقد أرى ذاك فلن يدوما) .

(٣) من الرجز و (اللاهج) الفصيلُ يمتصّ ضرع أمه ، و (المخلّل) الذي جُعِل في فيه خِلالاً فشدّه لكيلا يرضع .

َضرعها فتخضده[١] فتدخله في الرّمل فتجعله كالقُرموص ، وإنما أراد بهذا ِضخَمَ الضّرع وِثقَله لأنها لاتقدر أن تتجافى عنه ولا ُبدّ لها من أن َتحفر له .

قال الصّقيل : كذب الأصمعيّ ، إنّما القراميصُ قراميصُ الضّرّة[٢] التي يجعل الله فيها اللبن وهي أفن في جوف الضّرّة وأبينُ ما تكون القراميص إذا دَفَعت وضخُمت قُبيل الولد أو بعده ، وكيف يفحص بضرعها الرمل[٣] .

وقال في قوله :

لا تَرِدُ الماءَ بعَظمٍ تَكْدِمُهْ تُجارفُ الحوضَ ولا تَشَمّمهْ[٤]

---

(١) تخضده : تثنيه وتكسره ، قال أبو الهيثم بعد أن أنشد الرجز : قراميص ضرعها بواطن أفخاذها ، وإنما أراد أنها تؤثر لعظم ضرعها إذا بركت مثل قرموص القطاة إذا جثت .

(٢) الضرة : أصل الضرع الذي لايخلو من اللبن .

(٣) قوله (وكيف يفحص بضرعها الرمل ؟) إذا بركت الناقة بعد أن تكون دفمت وضخمت ضرعها بغزارة اللبن فيه ، أثرت بثقل ضرعها في الرمل وتركت تحته حفرة كالقرموص ، والرمل سريع التأثر والانهيار بالثقل يوضع عليه ، وهذا شرح كلام أبي الهيثم الذي يؤيد كلام الأصمعيّ .

(٤) من الرجز .

يريد أن الإبل إذا وردت الماء أُلقيت لها العظام النَّخِرة لتشرب الماء وتلوكها لتتملَّحَ بها ليكون أكثر لشربها وأحرصَ لها على الماء ، وهذه تشرب شُرباً لاتحتاج معه إلى العظام ؛

فقال بهدَل الأسديّ وعُجرمة وغيره من الفُصَحاء : ليس كما قال ، الإبل إذا لم ترعَ الحمض وفقــدته اختلّت إليه[١] واعتلّت فتمرّ بالديران فتكدم ماوجدت من عظم وتعجمه ، والكدم بمقدّم الفم . والعَجم بالأضراس والفم كله ، يقول : فهي لاتحتاج إلى ذلك لإصبَعه[٢] عليها ، ولحسن قيامه عليها ، ورعيته إيّاها ، وإمكانه إياها من الحمض . وتقول إذا اشتقتَ إلى صاحبكَ : قد اختللتُ إلى فلان وإلى لقائه فأنا مختلّ إليه فأمّا أن يحمل الراعي العظام إلى الماء فلم نرَ ذلك ولاسمعنا به . وإنّما يرتمُّ من الإبل ماكان في العَذاة[٣] كلّ أرضٍ ليس

(١) احتاجت واشتاقت إليه و (الديران) الديار جمع دار .
(٢) أي لحسن رعيته وقيامه عليها كقول الراعي :
ضعيفُ العصا بادي العُروق تَرى له عليها إذا ما أجدَب الناس إصبَعا
(٣) العَذاة الأرض الطيّبة البعيدة من الماء والوخم ، و (ترتمّ) تأكل وتقضم الرمم .

فيها حمض فتتبع العظام وترتمّ بها : أي تقضم الرِّممَ ، فإذا كانت في حمضٍ لم تفعل ذلك .

وقال في قول حُميد :

وخاضت بأيديها النِّطافَ وذَعذعت بأقيادها إلاّ وَظيفاً مُخَدَّما[١]

خضخضت بأيديها ماء السّماء من الخِصب وقطعت أقيادها عنها من السِّمن والمَرَح إلا أن يبقى على الوظيف خَدَمةً[٢] والوظيفُ مابين الرُّسغ والرُّكبة ، وما بين الرّسغ وُعرقوب الرجل ، وهي أيضاً في اليد ، والقُيون واحدها قَين قال ذو الرُّمة[٣] :

(قينيه وانحسرت عنه الأناعيمُ)

قالت الأعراب : كيف تُخضخض بأيديها النِّطاف ، وقد

(١) من البحر الطويل .

(٢) الخَدَمة : السّير الغليظ المحكم مثل الحلقة تشدّ في رسغ البعير فيشدّ إليها سرائح نعلها ، والخلخال أيضا .

(٣) من البسيط وصدره :

(دانَى له القيدُ في دَيمومه قَذُفٍ قَينيه وانحسرت عنه الأناعيم)

جمع انعام .

وصف قبل هذا أنه قد تجرّم[١] الربيعُ وسَمِن[٢] حتى عاد مُدّ ماها كُميتاً، إنما أراد أنه نَشّتِ[٣] الغُدران فلم يبقَ من الماء إلا ما تخوضه بأيديها كما قال ذو الرّمة :

وخاضَ القَطا من مَكرعِ الحيّ باللوى ... نِطافاً بقاياهُنّ مَطروقةٌ كُدْرُ

أي نشّتِ الغُدْران والمواضعُ التي يكرع فيها القومُ حتى خاضها القَطا .

وقال في قول عمرو بن قعاس المرادي :

وصَادرة معاً والوردُ شَتّى ... على أدبارِها أُصُلاً حَدوتُ[٤]

قال : يعني قصيدة من الشعر ، واحتجّ بقول الحطيئة حيث سُئل عن أشعر أهل زمانه ؟ فقال : كفاكَ بي إذا حدوت في آثار القوافي .

---

(١) انقضى وانصرم واصله من الجَرم وهو للقطع .

(٢) وسمِن ويمكن قراءتها (تيمّن) ، أما وجه (سمن) فلعل الأصل (سمن السّرح) فحذف الناسخ الفاعل ، وأما (تيمّن) فقد تكون بمعنى مات لأن التيمّن من معانيه الموت : أي انقضى الربيع ومات .

(٣) نشّت الغُدران : أخذ ماؤها في النضوب

(٤) من البحر الوافر .

قالت العرب : فما قوله (أُصلاً) ، وقول الشعر بالغَداة والعشي سواء ؟ ؛ ولكنه أراد إبلاً أغار عليها وردت الماء شَتّى فلمّا اجتمعت معاً ساقَها وحَدا في آثارها ، وقالت الأعراب : كفَى بي إذا وضعتُ إحدى رجليّ على الأخرى ورفعت غريدتي[1] بالرُّكبانية جارياً منهم ، وقال آخر : (جاءت معاً وصدرت شتيتا) فهذا خلاف قوله (وصادرةٍ معاً . . .) ومثل (وصادرة معا . . .) قول مُرقَّش :

فلم يَشعُرِ الحيُّ حتى رأوا بَريقَ القوانسِ فوقَ الغُرَرْ
ففرّقتُهم ثم جمّعتُهم وأصدرتهم قبلَ حينِ الصَّدَرْ

قال : تفرّقت الإبل من الفزع ثم جمعوها وضَمّوها وساقوها وقت صَدَرها ومثله للجعديّ :

ففرّقتُهُ ثم جَمّعتُهُ ولم تكُ غارتُهنّ اختلاسا

آخر الأبيات

* * *

(١) غريدتي أي تغريدتي أو أغرودتي ، أو مصحّفة عن عقيرتي ، و (الركبانية) لم تذكرها كتب اللغة فلعلها أغاني الركبان بضرب من الألحان .

هذه أبيات

خطأ فيها أبو نصر[1] صاحب الأصمعي ابنَ الأعرابي

عن أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد رحمه الله :
سُئل ابنُ الأعرابيّ عن قول طفيل الغنويّ :

« ١ »

تَتَايَعنَ حتّى لم تكن ليَ ريبة ولم يكُ عمّا خَبّروا مُتعقَّبُ[2]

سألوه عن تفسيره وما معنى قوله (مُتَعَقَّبُ) ؟ فقال : متعقّب : تكذيب . قال أبو نصر الباهلي : هذا خطأ ، قوله (متعقب) : أي لم أسل عن الخبر ثانيةً ، والعرب تقول : « تعقَّبت الخبر » إذا سألتَ عنه غير من سألتَ عنه أولَ مرة ،

---

(١) أبو نصر هو أحمد بن حاتم الباهلي راويته روى عنه كتبه ، ويقال هو ابن أخته ، وذكر البغدادي في تاريخه أنه أوثق من روى عن الأصمعي ، وكان ثعلب يروي عن أبي نصر كتب الاصمعيّ . قال الزبيدي توفي سنة ٢٣١ هـ .

(٢) من البحر الطويل .
وقوله (تتايعن) التتايع التهافت في الشر واللجاج فيه من غير روية ولا يكون في الخير .

ومنه يقال : عقّبت في الغزو : إذا غزوتَ ثمّ ثنّيت [١] ، ومنه وأنشد لطفيل مثل هذا البيت أيضاً :

وأطنابُه أرسانُ جُرْدٍ كأنّها صُدورُ القَنامن باديء ومُعقِّبِ

أي أطناب البيت أرسانُ الخيل ، و (جُردٌ) قِصار الشّعور كأنها صدور القنا في الطول ، والمعنى كأنها القنا ، يُقال : جاء فلان على صدر راحلته أي جاء على راحلته ، ومنه قول الأعشى [٢] :

الواطئينَ على صدور نعالهم يمشونَ في الدَّفنِيّ والأَبرادِ

(الدفني) ثياب نسبت الى الدّفنة وهي من اليمن [٣] ، أراد : الواطئين على نعالهم .

---

(١) وهو التعقيب أن يغزو الرجل ثم يثنّي من سنته ، وقال طفيل أيضاً يصف الخيل :

طوال الهوادي والمتون صليبةٌ مَغاويرُ فيهـا للأمير مُعقّبُ

(٢) وقبله يفتخر بقومه بني قيس بن ثعلبة :

إني امرؤ من عَصبة قَيْسيةٍ شُمّ الأنوفِ غرائقٍ أحْشادِ

(٣) وهي ثياب مخطّطة كما جاء في لسان العرب ولم يذكر نسبتهـا الى الدفنة .

وُسئِل عن قول ُطفَيل :

« ٢ »

كأنّه بعدَ ما صَدّرنَ من عَرَقٍ سِيدٌ تَمَطَّرَ جُنحَ الليلِ مَبلولُ[١]

قال ابن الأعرابي : بعد ماسال العرق من صدورهن سيدٌ ، والسيد الذّئب .

قال أبو نصر : هذا خطأ ، إنما التفسير : كأن الفرس بعدما تقدمت الخيل بصدورها من عَرَق الصَّف صفّ الخيل ذئب أصابه مطر فهو ينجو . (تمطّر) أسرع يقال : تمطّر في العَدْو[٢] ، ومنه يقال : عَرَقة من قطاً ومن خيل ، وكلّ سطر وصفّ عَرقة[٣] .

(١) من بحر البسيط ، وروي في اللسان (مطر) و (عرق) : كأنهنّ وقد صدّرن . . .

(٢) واستشهد ابن منظور بالبيت على أن (تمطّر) اسرع في عدوه ، وقيل (ولعله تفسير ابن الأعرابي) تمطّر برز للمطر وبرده ، وأبو نصر فسره بمعنى اسرع في العدو ، وفهم أنه أصابه مطر من قوله (جنح الليل مبلول) .

(٣) وفي اللسان (عرق) والعَرَق السطر من الخيل والطير الواحد منها عَرَقة وهو الصف واستشهد ببيت طفيل ، وقال ابن بَري في شرحه : العرق جمع عَرَقة وهو السطر من الخيل (وصدّر الفرس فهو مصدّر إذا سبق الخيل بصدره ، و (صدّرن) أخرجن صدورهن من الصف ، وذكر اللسان تفسير ابن الأعرابي بأنه (صدرن بعد ما عرِقن) من العرق ، ولم يذكر تخطئة أبي نصر له في تفسيره .

وسُئِلَ عن بيت طُفيل :

« ٣ »

كأنَّ على أعْراقِـهِ ولجامهِ سَنا ضَرَمٍ من عَرفجٍ يَتلهّبُ[١]

فقال : كأن الفرس في شُقرته نار .

قال أبو نصر : هذا خطأ ، إنّما معناه . كأن حفيفَ جريه لهبُ نار ، وحَفيفها[٢] (صوت لهبها) ، واستشهد ببيت أوس :

إذَا اجتَهدا شَدًّا حسبتَ عليهما عَريشاً عليه النارُ فهو مُحَـرَّقُ[٣]

وقال العجّاج :

كأنّما يَستضرمان العَرفجا فوقَ الجَلاذيّ إذا ما أمْحَجا[٤]

(١) من البحر الطويل .

(٢) التعبير ناقص ، ولعل الأصل (وحفيفها صوت لهبها) لأن الحفيف صوت الشيء تسمعه كالرنة أو طيران الطائر أو التهاب النار أو حركة أوراق الأشجار .

(٣) من الطويل .

(٤) من الرجز ، والجَلاذيّ جمع جِلِذاء أو جُلذيّة عن ابن شميل ، وهي المكان الخشن الغليظ من القُفّ المرتفع يقطع أخفاف الإبل وقلّما ينقاد ، و (أمحج) أسرَع .

وقال رؤبة :

كأن أيديها تَهاوَى في الزَّهَقْ من كَفْتِها شَدًّا كإضرامِ الحَرَقْ[١]

وقال امرؤ القيس :

جَموحاً سَبوحاً وإحضارُها كَمَعْمعةِ السَّعَفِ الموقَدِ

وسُئِلَ عن بيت لعُروة بن الورد :

« ٤ »

مُطِلًا على أعدائهِ يزجرونهُ بساحتهم زجرَ المَنيحِ المشَهَّرِ[٢]

فقال : (المنيح) الذي لانصيبَ له في القِداح ، وإنما تُكَثَّر به القِداح .

قال أبو نصر : هذا خطأ ، إذا كان خاملاً[٣] لانصيبَ له فلِمَ يُزجرُ ، ولم قال (المشَّهر) ؟ وقال أبو نصر : المنيح القِدْح المعروف بالفَوز فيستعار لأنه يُتبرّك به لكثرة فوزه[٤] ،

(١) الزّهَق محركة : المطمئن من الأرض وفج الجبل المشرف ، والكفت الإسراع .

(٢) من البحر الطويل .

(٣) ساقطاً لا نباهة له

(٤) قال اللحياني : والمنيح قدح من أقداح الميسر يؤثر بفوزه فيستعار يُتَيمَّن بفوزه .

ومنه الناقة المنيحة لأنها تُعار فيُشرب لبنها ثم تُردّ ، يقال ، مَنحت فلانا ناقتي إذا أعرتَه إيّاها وأنشد [1] .

مُفدّى مُؤدّى باليدين ملعّنٌ خليعُ لجامٍ فائزٌ مُتمنّحُ
إذا امتنحته من قريش عصابةٌ غدا ربُّهُ قبل المُفيضينَ يقدحُ

وقال عمرو بن قميئة :

بأيديهم مَقرومةٌ ومَغالقٌ يُثيرُ بأرزاقِ العباد مَنيحُها [2]

قال فهل يثيرَ الرزق مالا نصيبَ له ؟ وأنشد للبيد :

ذعرتُ قِلاصَ الثّلجِ تحتَ ظِلالهِ بمشْي الأيادي والمَنيحِ المُعَقَّبِ [3]

(١) لابن مقبل من الطويل (الديوان « نشر وزارة الثقافة » ص ٣٠) ، ورواية اللسان لبيته الثاني (إذا امتنحته من مَعَدٍّ . . .) وبعده جاء شرحه في اللسان بقوله : يقول إذا استعاروا هذا القِدح غدا صاحبُه يقدح النار لثقته بفوزه ، وهذا هو المنيح المستعار ، وهذا يؤيد ما ذهب اليه أبو نصر ، على أنّه قد يطلق المنيح على ما لا نصيب له كقوله :

(فمهلاً ياقُضاعُ فلا تكوني مَنيحاً في قِداح يَديْ مُجيلِ)

فانه أراد بالمنيح في هذا البيت الذي لا غنم له ولا غُرم عليه ، قال الجوهري : والمنيح سهم من سهام الميسر مما لا نصيب له إلاّ أن يمنح صاحبه شيئاً ، فهذا ما أراد ابن الأعرابي وإنما أخطأ في تفسير (المنيح) الوارد في بيت عروة بن الورد فإنه كثير الفوز يتبرك به ويستعار .

(٢) مقرومة مقشورة وهي القداح ، (والمغالق) من نعوت القداح التي يكون بها الفوز وليست من أسمائها .

(٣) من الطويل و (المعقّب) من عقّبه تعقيباً جاء بعقبه .

وأنشد لدريد بن الصِّمّة :

وأصفرَ من قِداحِ النَّبع فرعٌ به عَلَمانِ من عَقَبٍ وضَرْسِ

وسُئِل عن بيت لأبي داود .

« ٥ »

وتدلّت بها المغارض فوق الـْ أرض ما إنْ يُعِلُّهنّ السّنامُ [1]

فقال ابن الأعرابي : المعارض بالعين .

قال أبو نصر : (المغارض) بالغين معجمةً الواحد مَغرضة وهو موضع الغَرْض من الناقة ، والغَرْض حِزام الرّحل .

وسُئِل عن بيت الراعي :

« ٦ »

تكسو المفارقَ واللَّبّاتِ ذا أرَجٍ من قُصبِ مُعتلفِ الكافورِ دَرّاجِ [2]

فقال : (من قُضب) بالضاد معجمةً .

فقال ابو نصر : صحّفتَ إنما هو بالصاد أراد المسك من قُصب معتلفة الكافور ، والقُصْبُ المِعَى والجمع أقصاب ،

(١) من البحر الخفيف .

(٢) من البحر البسيط ، وقد استشهد اللسان ببيت الراعي على القصب بمعنى الامعاء .

ثم قال أبو نصر : الست تقول : ليته بحوض الثعلب ؟ وإنما هو بخَوض الثعلب [١] فقال أقول : بحوض وبخوض وقال : ألست تقول : بلَّغ فيه الشيبُ بالغين المعجمة ؟ فقال نعم أقول : بلّغ وبلّع [٢] .

تمت الأبيات

قرأه عليّ إلى آخره . أبو نصر شاكر بن عبد الله وسمع بقراءته أبو محمد وأبو الحسن وأبو الفضل في ذي الحجة سنة عشر وأربعمائة .

وكتب محمد بن علي بن اسحق الكاتب بيده [٣] .

عز الدين التنوخي

(١) وفي اللسان : وخوض الثعلب موضع باليمامة حكاه ثعلب .

(٢) بلغ الشيبُ في رأسه : ظهر أول مايظهر ، وفي اللسان (بلغ) وزعم البصريون أن ابن الاعرابي صحّف في نوادره فقال مكان بلّع بلّغ الشيب فلما قيل له انه تصحيف قال : بلّغ وبلّع ، قال أبو بكر الصوليّ وقرىء يوماً على أبي العباس ثعلب ، وأنا حاضر هذا ، فقال : الذي أكتب (بلّغ) كذا قال بالغين معجمةً .

(٣) عبارة القراءة والسماع الأخيرة كتبت بخط غير خط ناسخ الكتاب فلا شكّ في أن تاريخ نسخه متقدم على تاريخ كتابة محمد بن علي الكاتب فقد يكون في أواخر القرن الرابع أو قبل ذلك والله أعلم .

ابن بطوطة

هو الرحالة العالمي الشهير أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللّوَاتي الطنجي المعروف بابن بطوطة ، بفتح الباء وضم الطاء الأولى مع التخفيف ، وبعضهم يشددها والجاري على الألسنة خلافه .

ولَواتة التي ينسب إليها هي بفتح اللام قبيلة مغربية منازلها الأصلية ببرقة من أرض طرابلس وتوطن منها بجهات المغرب المختلفة أقوام نبغ منهم بطنجة قبل المترجم أسرة بني سمجون الفقهاء الأعلام وبسبتة الفقيه المشاور أبو جعفر اللواتي المعروف بابن القابسي شيخ القاضي عياض وغيرُ هؤلاء .

على أن أسرة ابن بطوطة نفسها كانت أسرة علمية ظهر فيها القضاة ومشائخ العلم على ما أخبر هو عنها في الرحلة لما خيره ملك الهند في وظائف الوزارة والكتابة والإمارة والقضاء والتدريس فقال : « أما الوزارة والكتابة فليست شغلي ، وأما القضاء والمشيخة فشغلي وشغل آبائي » . وذكر في الرحلة أيضاً أنه لما قدم إلى رندة في رحلته إلى الأندلس كان القاضي بها هو ابن عمه الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى بن بطوطة . فهذا بيت ثان من لواتة نبغ بطنجة وإن لم نحط بأفراده علماً لسكوت المؤرخين وكتاب التراجم عن ذكرهم . ولولا هذه الإشارة العابرة من رحالتنا إلى ما كان لأهله من مجد علمي لما عرفنا عنه شيئاً من ذلك .

وكانت ولادة ابن بطوطة في مدينة طنجة يوم الاثنين ١٧ رجب عام ٧٠٣ (٢٤ شباط « فبراير » ١٣٠٤) والدولة المَرِينِيّة في عنفوان

القوة ، والشعب المغربي في أوج تقدمه العلمي والأدبي ، فمن الطبيعي أن ينشأ ابن بطوطة وهو سليل أسرة علمية عريقة ، على طلب العلم وينبت في حجر والديه نباتاً حسناً ، والظاهر أنه إنما درس على مشائخ بلده ، إذ لانعلم له رحلة في هذا الصدد قبل رحلته الكبرى .

أما طلبه العلم وتحصيله طرفاً منه فمما لاشك فيه ، ويدلنا على ذلك أنه في أثناء رحلته لم يكن يخالط إلاّ أهل العلم ولا يجنح إلا إليهم ، وإذا لقي أحداً من كبار المشائخ ، ومشاهير العلماء حرص على الأخذ عنه والقراءة عليه ، وتَخَيُّرُه هذا لشيوخ الرواية هو وحده دليل على نزعة علمية أصيلة فيه .

ولا ننس أنه لما كان بالبصرة وشهد صلاة الجمعة فيها بمسجد علِيّ ، لاحظ أن الخطيب يلحن لحناً كثيراً جلياً على حد تعبيره ، فعجب من ذلك وذكره للقاضي فقال القاضي له : « إن هذا البلد لم يبق به من يعرف شيئاً من علم النحو » . وهذا الأمر حمله على أن يسجل هذه الملاحظة للاعتبار فيقول : « وهذه عبرة لمن تفكر فيها ، سبحانه مغير الأشياء ومقلب الأمور ! هذه البصرة التي إلى أهلها انتهت رياسة النحو وفيها أصله وفرعه ، ومن أهلها إمامُه الذي لاينكر سبقه ، لايقيم خطيبها خطبة الجمعة على دؤوبه عليها » .

ثم لاننس أنه ولي منصب القضاء على المذهب المالكي في مدينة دهلي بالهند مدة تُنَيِّف على سبع سنين ثم بجزيرة ذيبة المهل أيضاً مايقرب من سنة ونصف ، كما ولي قضاء الركب التونسي للحج فورَ انفصاله عن المغرب ، ومات وهو قاض ببعض جهات المغرب كما يأتينا عن ابن مرزوق . فهذان الأمران ، وهما ملاحظة اللحن على خطيب البصرة وولايته للقضاء في بلاد عديدة ، زمناً طويلاً ، يرشدانا إلى ما كان عليه من ثقافة لغوية وفقهية لايستهان بها .

أضف إلى أنه كان ينظم شعراً وسطاً على عادة العلماء المتفننين ، وقد أعطانا نموذجاً منه في الرحلة ، وهو سبعة أبيات من قصيدة مدح بها ملك الهند ، فهذا أيضاً دليل على ثقافته الأدبية .

ولم يشر في الرحلة على طولها إلى أنه تلقى شيئاً من الدراسات المماثلة لمَا ذُكِر عن أحد من العلماء الذين لقيهم في البلاد المختلفة ، وإنما ذكر سماعه لبعض كتب الحديث على بعض كبار العلماء وإجازتهم له ، وأخذه للعهد عن بعض مشائخ الصوفية على ما كان عليه الحال في الزمن الماضي ، وتلك طريقة العلماء الذين يحرصون على سعة الرواية وعلو السند ، فلا يقال إنه درس أثناء رحلته ، لأن ذلك لايفهم منه بحال .

وعليه فهو قد درس ببلد « طنجة » وزاول دراسته في فجر حياته لأنه لما شد رحله كان ابن اثنين وعشرين عاماً ، وفي الوقت نفسه كان قد انتهى من الدراسة ، وإذا دل هذا على شيء فعلى أن طنجة كانت غنية بعلمائها في ذلك الوقت ، وهم من الصنف الذي يستغني به الطالب في دراسته الكاملة فلا يحتاج إلى الهجرة في طلب العلم . والغريب أنه لم يُسمِّ لنا أحداً من شيوخه هؤلاء ، ولم يذكر شيئاً عن أوليته في الطلب ، وإنما المرجح أن يكون من بين شيوخه بعض أقاربه الذين قال عنهم ما قال .

هذا استنتاجنا بالنسبة إلى تكوينه العلمي ، وأما بالنسبة إلى تكوينه الخلقي فيظهر أن والديه اللذين لم يفتَأ يحن اليهما أشد الحنين طَوالَ رحلته ، قد ربياه تربية دينية متينة . فكان قوي العقيدة ، محافظاً على أداء الشعائر الدينية ، صبوراً ، صدوقاً ، واثقاً بالعناية الإلهية ، لاسيما عند الشدائد . وذلك ماجعله يخاطر بالتوغل في أقاصي البلاد والرحلة إلى أقطار العالم في زمن كانت المواصلات فيه شاقة جداً ، والطرق غير مأمونة ، وأكثر الشعوب والأمم على عداء متصل فيما بينها . ومن الدليل على شدة

تدينه أن باعثه الأول على الرحلة كان هو ارادة الحج وأداء هذه الفريضة التي لا تجب على الفور ، وهو لم يزل بعدُ في عنفوان الشباب وطراوة الإهاب .

وفي أثناء رحلته الطويلة كان لا يسمع برجل من الصالحين في بلد من البلدان وإن لم يكن على طريقه إلاّ عرّج عليه وزاره وتبرك به وطلب منه الدعاء له ولوالديه . وكذلك كان لا يجنح إلا لأفاضل الناس ولا يصحب إلا ذوي المروءات منهم . وشيء آخر هو أنه منذ ابتداء رحلته ، جرى على الاستفادة من سماحة الشريعة الغراء فكان يتزوج في كل بلد يحل به وينوي الإقامة فيه ، وربما تزوج في الطريق ويصطحب معه زوجته ولا يفارقها حتى تكون هي الراغبة في الفراق ، يتحامى بذلك عن الوقوع في العنت وهتك حرمات أهل البلد الذي ينزله ، وكل ذلك مما يدل على قوة دينه ونقاء عرضه .

ومن أخلاقه الأصيلة أنه كان سريع التأقلُم إن صح هذا التعبير (١) ، ونعني به التكيف بطبيعة الإقليم الذي يستقر به ، والاندماج في أهله ومواطأتهم على عاداتهم ومألوفاتهم حتى يصبح كأنه واحد منهم وكأنما ولد بين ظهرانيهم وعاش معهم زماناً طويلاً ، ولعل لبلده طنجة التي هي طريق رئيسي بين الشرق والغرب وطبيعة أهلها المرحة المنشرحة دخلاً في ذلك ، وهذا على ما نظن مما كان له أثر كبير في تغلغله في الأوساط الاجتماعية المختلفة للبلاد التي زارها ، أضف الى ذلك ما كان عليه من شدة الملاحظة وقوة الذاكرة ، فلا جرم أن تمتاز رحلته بكونها سجلاً مهماً للحياة الاجتماعية حتى والسياسية والاقتصادية في أقطار لم نكن لنعرف عنها شيئاً في الوقت الذي زارها فيه لولا انطباعاته هذه التي سجلها بكل دقة وأمانة .

وإلى هنا نكون قد ألممنا بالعناصر الأولية التي كونت هـذه الشخصية القوية ، ولعل عنصراً آخر مادياً يكون ضروري الإضافة إلى هذه العناصر

(١) الأقلمة والتأقلم من المصطلحات العلمية الشائعة التي أقرها مجمع القاهرة . (لجنة المجلة)

المعنوية ، وهو متانة بنية الرجل وشدة أمره ، ولا نعدم في الرحلة ما يدلنا على ذلك من المشاق والمتاعب حتى والمعارك المسلحة التي اشترك فيها وواجهها بثبات وشجاعة . وبهذا تتم الصفات التي كان يتوفر عليها الرحالة الإسلامي الأكبر ، والتي هي بتوفيق الله سبب نجاحه المنقطع النظير .

وإذا قلنا الرحالة الأسلامي الأكبر فاننا نعني ما نقول ، لأنه لم يقم من بين المسلمين على كثرة الرحالين فيهم من جاب هذه البلاد العديدة التي جابها ابن بطوطة في الشرق والغرب والشمال والجنوب ، ودَوَّن مشاهداته فيها وترك لنا مثل هذا الأثر الجغرافي الممتع الذي يقِلُّ له الكفاء ، على أنه حتى بين الأوربيين لم يقم رحالة يَفْري فَريَّه قبل العصر الحديث . ولهذا نجد مثل سيتزن (Seetzen) الرحالة الألماني يقول :

« أي مسافر أوروبي في هذا العصر يمكنه الافتخار بأنه خصص قدر الزمن الذي يبلغ نصف حياة الإنسان في سبيل التفتيش عن مثل هذا العدد من البلدان السحيقة وذلك بشجاعة لا يزعزعها شيء ، وبتحمل المشقات العديدة ؟ بل أية أمة أوربية كان يمكنها لخمسة قرون خلت ايجاد مسافر يجوب المناطق الأجنبية بمثل هذا الاستقلال في الحكم ، وبمثل هذه المقدرة على المراقبة ، وبمثل هذه الدقة في كتابة الملحوظات ، ما اتصف به هذا الشيخ المراكشي المشهور في المجلدين من كتابه ؟ ان معلوماته عن الكثير من المقاطعات الإفريقية المجهولة وعن نهر النيجر وعن بلاد الزنج (زنجبار) الخ لا تقل فائدة عن معلومات لاون الإفريقي . أما جغرافية بلاد العرب وبخارى وكابول وقندهار فانها تستفيد كثيراً من كتابه ، حتى أخباره عن الهند وسيلان وسومطرة والصين فانه من الواجب على انكليز الهند [1] أن يقرأوها باهتمام خاص » .

---

(١) يقول هذا لما كان للانكليز هند .

واذ قد عرفنا قيمة الرجل وأهمية الرحلة التي قام بها ، فلنتأثر خطاه لمعرفة البلاد التي زارها والطرق التي سلكها ، من غير أن نقف معه في بلد أو طريق ، إلا نادراً جداً حين نمر بخبر طريف أو نكتة حارة أو وصف لشيء غريب يحسن الوقوف عنده . ولا نستوعب في ذلك أيضاً وإنما نعطي أمثلة قليلة منها لعلها تكون حافزاً لمطالعة أخبار الرحلة كلها في كتاب تحفة النظار .

وقد رحل صاحبنا ثلاث رحلات ، أولاهن وهي اطولهن بدأها في يوم الخميس الثاني من رجب سنة ٧٢٥ ﻫ (١٣٢٥ م) وانتهى منهـــا يوم الجمعة أواخر شعبان عام ٧٥٠ ، ومعلوم أن قصده الأول كان هو الحج إلى بيت الله الحرام وأن خروجه كان من طنجة ، وأنه كان له من العمر حين ابتداء الرحلة اثنان وعشرون عاما ، وذلك في أيام السلطان أبي سعيد المَرِيني الأكبر . وقد مر في طريقه بتلمسان وسلطانها يومئذ أبوتاشفين بن أبي حَمُّو ، ولم يمكث بها طويلا لأنه رغب في صحبة رسولَي ملك تونس الى بلاط تلمسان ، وهما القاضي أبو عبد الله النفزاوي والشيخ أبو عبد الله الزبيدي ، وكانا قد انفصلا عنها يوم وصوله اليها فلحق بهما ، وتوفي القاضي في الطريق فتأخر هذا الوفد لأجل دفن الميت . وارتحل صاحبنا مع رفقة من التجار ، ومات أحدهم أيضاً وترك مالاً فسطا عليه عامل بجاية ، قال : « وهـــذا أول ما شاهدته من ظلم عمال الموحدين » ، يعني الحفصيين أصحاب تونس . ثم مرض صاحبنا بالحمى ولكنه تحامل على نفسه . وكان قد لقى ثانياً الشيخ أبا عبد الله الزبيدي فساعده كثيراً ، وبعد لأي وصل الى تونس ، قال : « فبرز أهلها للقاء الشيخ أبي عبد الله الزبيدي ولقاء أبي الطيب بن القاضي أبي عبد الله النفزاري (المتوفى) فأقبل بعضهم على بعض بالسلام والسؤال ، ولم يسلم عليَّ أحد لعدم معرفتي بهم فوجدت من ذلك في النفس ما لم أملك

معه سوابق العبرة واشتد بكائي ، فشعر بحالي بعض الحجاج فأقبل علي بالسلام والإيناس وما زال يؤنسني بحديثه حتى دخلت المدينة » .

وهذا الضعف الذي بدا من صاحبنا في هذا الموقف هو مما يستغرب من رجل سيجوب فيما بعد أكثر المعمور وينقطع عن موطنه وأهله خمساً وعشرين سنة ، الا أنه كان الأول والآخر فلم نعد نراه شاكياً ولا باكيا ، وقد برهن بما بدا منه بعد ذلك في غير موقف من التجلد وعدم المبالاة بالأخطار مهما عظمت ، أنه إنما انفجر عند أبواب تونس لوداع المغرب ، وأن ذلك الضعف لم يكن له خلقاً أصيلاً كما حاول أن يلصقه به كل من كتب عنه من الكتاب المحدثين .

وعلى كل حال فقد دخل تونس ونزل بمدرسة الكتبيين منها ، وكان سلطانها يومئذ هو أبو يحيى بن أبي زكريا الحفصي ، ومن أعلامها حينئذ ابن الغماز وابن عبد الرفيع وابن قداح الهواري ، قال : « ومن عوائده أنه يستند كل جمعة بعد صلاتها الى بعض اساطين الجامع الأعظم المعروف بجامع الزيتونة ، ويستفتيه الناس في المسائل ، فإذا أفتى في أربعين مسألة انصرف » . وقد حضر صلاة عيد الفطر بها ، ورأى بروز السلطان الى الصلاة ، ثم خرج في ركب الحاج التونسي إلى الحجاز ، وكان أكثره من المصامدة ، قال : « فقدموني قاضياً بينهم » . وولايته هذه للقضاء في فور انفصاله عن المغرب مما يدل على انه كان يتوفر على مؤهلات علمية كافية .

وخرج الركب من تونس في أواخر ذي القعدة سالكاً طريق الساحل فوصل الى طرابلس في ١٣ من ذي الحجة وتزوج صاحبنا ببنت لأحد التونسيين ، ثم انفصل عن الركب الذي أقام بطرابلس خوفاً من البرد والمطر وغادرها هو أواخر محرم سنة ٧٢٦ ه في جماعة من المصامدة وتقدم عليهم ، وفي أثناء الطريق وقع بينه وبين صهره التونسي مشاجرة أدت

الى فراق بنته ، ثم تزوج بنتاً لبعض طلبة فاس ، وأولم وليمة حبس لها الركب الذي تلاحق بهم بعد ما كان قد تخلف في طرابلس .

وفي أول جمادى الأولى وصل الركب الى مدينة الاسكندرية ، ويخصها الرحالة بوقفة طويلة وصف فيها عجائبها وذكر بعض علمائها ، منهم قاضيها عماد الدين الكندي « إمام من أئمة علم اللسان ، وكان يعتم بعمامة خرقت المعتاد للعمائم ، لم أر في مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها ، رأيته يوماً قاعداً في صدر محراب وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب » .

وذكر أنه وجد في الإسكندرية ملك تونس المخلوع أبا يحيى زكرياء ابن أحمد بن أبي حفص المعروف باللحياني ومعه أولاده وصاحبه ووزيره .

وتجول في الأقاليم المصرية قصداً لزيارة بعض الصالحين ، وفي احدى القرى جرى بينه وبين ناظر القرية حديث عن مبلغ جباية بلده طنجة فأخبره أنها اثنا عشر ألف دينار ذهب فعجب الناظر وقال له : « رأيت هذه القرية ؟ فان مجباها اثنان وسبعون ألف دينـــار ذهباً » . قال : « وإنما عظمت مجابي ديار مصر لأن جميع أملاكها لبيت المال » . وفي مدينة أبيار حضر عند قاضيها يوم الركبة وهو يوم ارتقاب هلال شهر رمضان ، وفي مدينة دمياط شاهد عجباً وهو أنه « اذا دخلها أحد لم يكن له سبيل الخروج منها إلا بطابع الوالي ، فمن كان من الناس معتبراً طبع له في قطعة كاغد يستظهر به لحراس بابها ، وغيرهم يطبع على ذراعه فيستظهر به » ، وهذا الإجراء الذي كان يوحي به ـ ولا شك ـ موقع المدينة الحربي ، يشبه ما نسميه اليوم بتأشيرة السفر ، ولم يقل صاحبنا ما كان حظه بالنسبة الى هذا الإجراء ، هل الطبع في الكاغد أو على ذراعه فكان من أصحاب الأذرع الممدودة للكشف عنها عند الخروج ؟

وركب الرحالة النيل من مدينة سمنود مصعداً الى مصر « ما بين مدائن وقرى منتظمة متصل بعضها ببعض » قال : « ولا يفتقر راكب النيل الى

استصحاب الزاد ، لأنه مهما أراد النزول بالشاطىء نزل للوضوء والصلاة وشراء الزاد وغير ذلك . والأسواق متصلة من مدينة الإسكندرية الى مصر ، ومن مصر الى مدينة أسوان من الصعيد » . ووصل الى مصر فبهرته بعظمتها ، ووصف مشاهدها ومعالمها ، وذكر أشياء من أخبار أمرائها وأخلاق أهلها ، وكان سلطانها يومئذ محمد الناصر بن قلاوون ، وقد أثنى عليه وحمد سيرته ، وأعجب بالزاوية التي عمرها خارج القاهرة ، لكنه استطرد ففضل عليها الزاوية التي أنشأها السلطان أبو عنان بخارج فاس الجديد . ثم ذكر قضاة مصر فقال إن أعلاهم منزلة وأكبرهم قدراً هو القاضي الشافعي ، وكان إذ ذاك هو العالم بدر الدين بن جماعة الشهير . وذكر العلماء أيضاً فكان من بينهم النحوي الأندلسي المعروف أبو حيان ، وسافر من مصر متوجهاً الى الحجاز بطريق الصعيد ، وفي قوص عاصمة هذا الإقليم ، رأى العالم فتح الدين بن دقيق العيد ، وكان هو الخطيب بها ، فأثنى عليه بالفصاحة والبلاغة والسبق في هذا المضمار وقال : « لم أر من يماثله إلا خطيب المسجد الحرام بهاء الدين الطبري وخطيب مدينة خوارزم حسام الدين الشاطبي ، وواصل صاحبنا سفره في صعيد مصر الى مدينة أدفو ثم ركب النيل الى مدينة العطواني ومنها امتطى ظهر الجمال ودخل الصحراء مع جماعة من الأعراب الى مدينة عيذاب فوصلها بعد خمسة عشر يوماً . قال وأهلها البجاة وهم سود الألوان ، وأميرهم يعرف بالحدربي وكان تحت السيطرة الاسمية للناصر بن قلاوون . ولقي صاحبنا فيها مشائخ منهم الشيخ المسن محمد المراكشي « زعم أنه ابن المرتضى ملك مراكش (يعني الموحدي) وإن سنه خمس وتسعون سنة . »

ولم يتأت لصاحبنا أن يبحر من عيذاب إلى جدة كما كان يؤمل لأنه وجد صاحبها في حالة حرب مع الناصر ، وقد خرق المراكب وتعطلت طريق البحر ، فرجع عوده على بدئه مع قافلة الأعراب وقطع الصحراء

ثانية إلى الصعيد ثم إلى قوص ، وانحدر منها في النيل الى مصر ، وكان أوان مده ، فوصلها بعد مسيرة ثمان ، ولم يلبث فيها إلا ليلة واحدة وقصد الشام فاخترق شمال مصر كما اخترق جنوبها وذلك في منتصف شعبان سنة ٧٢٦ ه ، وفي مركز على الحدود يسمى قطيا وجد صاحبنا ديواناً للتفتيش أهم من الذي حكى عنه بدمياط ، يوجد به العمال والكتاب والشهود فتفتش فيه أمتعة التجار ويبحث عما لديهم أعظم البحث ، ويؤخذ منهم الأعشار ، ولا يجاوزه أحد إلى الشام إلا ببراءة من مصر ولا إلى مصر إلا ببراءة من الشام ، احتياطاً على أموال الناس وتوقياً من الجواسيس العراقيين . وذلك يدل على أن العلاقات السياسية بين ملوك مصر والمغول الحاكمين بالعراق لم تكن على ما يرام ، ويقول الرحالة إن الطريق الفاصل بين البلادين كان في ضمان العرب قد وكلوا بحفظه ، فإذا كان الليل مسحوا على الرمل حتى لا يبقى به أثر ، ثم يأتي الأمير في الصباح فينظر الى الرمل فإن وجد به أثراً طالب العرب باحضار مؤثره فيذهبون في طلبه فلا يفوتهم فيأتون به الأمير فيعاقبه بما شاء ، ويُعفي الأميرُ صاحِبَنا ومن معه من الرسوم الواجبة والاجراءات اللازمة ، حينما يتحقق أنه مغربي ، لأن المغاربة لا يتعرض لهم في هذا المركز ، ويوجد عند الأمير موظف مغربي يسمى عبد الجليل هو الذي يقوم بمهمة التحقق من مغربية المسافرين . وبذلك لا يختلف هذا المركز عن أي مركز تفتيشي على الحدود بين بلادين مختلفين في هذا العصر حتى في تنصيب الخبراء من الأشخاص . .

ويصل صاحبنا إلى غزة من بلاد الشام وينتقل منها الى الخليل ثم الى القدس فيزور كل ما يمر به من المعاهد والمشاهد ، ويصف المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، ويذكر أسماء مشائخ القدس ، وقد أخذ عن بعضهم العهد ثم يغادرها متنقلاً بين عدة مدن الى أن يصل الى صور قال : « وهي خراب

وبخارجها قرية معمورة وأكثر أهلها أرفاض ، ولقد نزلت بها مرة على بعض المياه أريد الوضوء ، فأتى بعض أهل القرية يتوضأ ، فبدأ بغسل رجليه ، ثم غسل وجهه ، ولم يتمضمض ولا استنشق ، ثم مسح بعض رأسه ، فأخذت عليه في فعله ، فقال لي إن البناء يكون ابتداؤه من الأساس » . ويواصل السير إلى أن يصل بيروت ويقصد منها لزيارة قبر أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب ، قال : « وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز ، وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر » . ثم يذكر حكايته في الفرار من الملك ومـا نسجه العوام حول ذلك من عناكب الخيال . والمعروف أن أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدي هو الذي راجت حوله هذه الأسطورة (١) ، وابن بطوطة يجعله أبا يعقوب يوسف فلعله أخطأ في اسمه إن لم يكن ذلك من تصحيف النساخ .

ويمضي صاحبنا في طريقه الى طرابلس فيصفها ويذكر من وجد بها من العلماء ومنهم شمس الدين بن النقيب . وما يزال ينتقل من بلدة الى أخرى حتى يصل مدينة حلب فينوه بها كثيراً ، ويغلط في تسمية نهرها بالعاصي ظناً منه أنه النهر الذي يمر بحَماة ، واسمه الصحيح القُوَيق ، على أنه يشرح لنا سبب تسمية النهر بالعاصي شرحاً طريفاً فيقول : « قيل انه سمي بذلك لأنه يُخَيِّلُ لناظره أن جريانه من أسفل الى علو » . ولا ينسى أن يذكر من وجد بها من العلماء ومنهم ابن الزملكاني ، ويمر بعد ذلك بأنطاكية ثم بحصون الإسماعيلية : « ويقال لهم الفداوية ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم ، وهم سهام الملك الناصر ، بهم يصيب من بعد عنه من أعدائه بالعراق وغيرها » الخ . كلامه عنهم ثم يمر بمنازل النصيرية ، الطائفة المعروفة ، فيتحدث عنهم وعن هوَسهم ، وبجبل لبنان فيصفه بخصب التربة

(١) انظر الاستقصا ج ل ص ١٨٤ .

وجمال الطبيعة وبأنه لا يخلو من المنقطعين الى الله تعالى ، ومن لبنان يصل الى بعلبك فيذكر من خيراتها ومصنوعاتها الشيء الكثير ومن ذلك صحاف الخشب وملاعقه التي لا نظير لها في البلاد ، يصنعون منها دسوتاً ، يُجعل بعضها في جوف بعض ، فيكون الدست يحتوي على عشر صحاف أو ملاعق ، واحدة منها أصغر من الأخرى الى النهاية ، ويصنعون لها غشاء من جلد تمسك به .

وفي ٩ من رمضان سنة ٧٢٦ هـ وصل صاحبنا الى دمشق ، وكان عظيم الاشتياق اليها ، فنزل منها بمدرسة المالكية التي تعرف بالشرابشية . ووصفها فقال : « ودمشق هي التي تفضل جميع بلاد الدنيا حسناً ، وتتقدمها جمالاً ، وكل وصف وان طال فهو قاصر عن محاسنها » .

ويجول فيها جولته فيتحدث عن الجامع الأموي باسهاب ، وعن غيره من المعاهد والمدارس والمزارات ، وعن الأوقاف الخيرية التي اوقفها اهل دمشق على السابلة والمحتاجين وتجهيز البنات الفقيرات إلى ازواجهن ، وإعانة العاجزين عن الحاج ، وفكاك الأسرى ، واصلاح الطرق ، ويذكر ان لطرق دمشق رصيفين في جنبيها يمر عليهما المترجلون ويمر الركبان في وسطها ، ويحكي هذه الحكاية الطريفة مما يتعلق بالأوقاف الخيرية قال : « مررت يوماً ببعض ازقة دمشق فرأيت مملوكاً صغيراً قد سقطت من يده صحفة من الفخار الصيني وهم يسمونها الصحن فتكسرت واجتمع عليه الناس فقال له بعضهم اجمع شقفها واحملها معك لصاحب أوقاف الأواني ، فجمعها وذهب الرجل معه اليه فأراه إياها فدفع له ما اشترى به مثل ذلك الصحن . وهذا من أحسن الأعمال ، فإن سيد الغلام لا بد له ان يضربه على كسر الصحن او ينهره ، وهو ايضاً ينكسر قلبه ويتغير لأجل ذلك ، فكان هذا الوقف جبراً للقلوب ، جزى الله خيراً من تسامت همته في الخير الى مثل هذا » .

وبالجملة فهو ينوه كثيراً بأخلاق أهل دمشق وبحسن معاملتهم للغريب وكرم ضيافتهم ، ومن كلامه يُعلم أن دمشق في ذلك العصر كانت لا تزال

عظيمة العمران برغم ما مر عليها من أحداث وأن المجتمع الإسلامي بها كان أرقى مايكون . ثم يذكر من لقي بها من العلماء وهم جماعة كثيرة ومنهم ابن الشحنة سمع عليه البخاري في أربعة عشر مجلساً بقراءة البرزالي وأجازه إجازة عامة كما أجازه غيره من أعلامها . ولم يأخذ عن ابن تيمية وإن قال انه رآه (١) .

وفي مستهل شوال السنة خرج من دمشق مع الركب الحجازي قاصداً معان ، ومنها دخل الصحراء « التي يقال إن داخلها مفقود وخارجها مولود » على حد تعبيره ، فوصل المدينة المشرفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وبعد قيامه بزيارة الروضة الشريفة وشفاء غليله من تلك المعاهد المنيفة توجه إلى مكة المكرمة على الطريق المعتاد ، فأدى الفريضـة على أتم وجه كما كان يؤمل ، وطاف بجميع المشاعر ، وزار كل المشاهد ، ووصف البيت الحرام والحياة في مكة ، وأثنى على أخلاق أهلها أحسن الثناء .

وفي ٢٠ من ذي الحجة خرج من مكة صحبة الركب العراقي ، وكان ركباً حافلا يحتوي على جمع من العراقيين والخراسانيين والفارسيين والأعاجم « لايحصى عددهم ، تموج بهم الأرض موجا ، ويسيرون سير السحاب المتراكم فمن خرج لحاجة ولم تكن له علامة يستدل بها على موضعه ضل عنه لكثرة الناس » . أما تجهيز هذا الركب بالمواد والمؤن والأدوية والأشربة ووسائل الراحة فحدث عنه ولا حرج ، وكان أميره يدعى البهلوان وهو من أهل الموصل ، وجميع مايتوفر عليه هذا الركب من الاستعداد الكامل هو من حسنات ملك العراق أبي سعيد ، وقد قرب أمير الركب صاحبنا وأكرمه

(١) الصحيح أنه لم يره لأن ابن تيمية قد دخل سجن دمشق في شهر شعبان (عام ٧٢٦ هـ) وبقي فيه الى أن توفاه الله تعالى ، وأما ابن بطوطة فقد دخل دمشق في رمضان من (سنة ٧٢٦ هـ) وبهذا يزول الاشتباه . (لجنة المجلة)

ويعجبك حديث الرحالة عن الطريق بين الحجاز والعراق عبر نجد وخاصة عن مصانع الماء في الصحراء القاحلة ، وسير الركب ليلاً ، وقد أوقدت المشاعل أمام القطار والمحارات فترى الأرض تتلألأ نوراً والليل قد عاد نهاراً ، وبالجملة فان ركب الحج العراقي فيما يحدث صاحبنا لايضاهيه ركب ، وهو يتأخر بمكة عن الركبين الشامي والمصري أربعة أيام تفتح فيها الكعبة الشريفة فيدخلها هو ومن ينضوي تحت لوائه ، ويكثر أفراده من الصدقة والعطاءات لأهل مكة حتى انهم « ربما وجدوا إنساناً نائماً فجعلوا في فيه الذهب والفضة إلى أن يفيق » . وتؤثر نفقاتهم السخية في سعر الذهب بمكة فيرخص سومه . وذكر الرحالة أنه لما عاد إلى مكة في سنة ٧٢٨ هـ بصحبة هذا الركب وقع التنويه باسم ملك العراق أبي سعيد على المنبر في الحرم . وما ذلك إلا لأن اللُّهى تفتح اللَّها كما يقولون .

ويترك صاحبنا الركب العراقي في النَّجَف ، بعد ما يزور مشاهد آل البيت ، فيقصد البصرة عن طريق واسط ، ويصف المدينة العربية الشهيرة ، ويقص حكاية خطيبها اللحانة التي تقدمت ، ثم يجوب شط العرب ويخترق بلاد فارس . وفي عبدان يلتقي بأحد العباد فيدعو له بقوله : « بلغك الله مرادك في الدنيا والآخرة » . ويعقب هو بهذه العبارة : « فقد بلغت بحمد الله مرادي في الدنيا ، وهو السياحة في الأرض ، وبلغت من ذلك ما لم يبلغه غيري فيما أعلم ، وبقيت الأخرى ، والرجاء قوي في رحمة الله وتجاوزه وبلوغ المراد من دخول الجنـة » . وهنا أعرب عن أن مراده كان هو السياحة في الأرض فقط ، ولم يكن قبل يذكر إلا الحج ، كما أنه ذكر هنا عادته في سفره ، وهي أنه لايعود من طريق سلكها ما أمكنه ذلك ، وأنه كان يريد زيارة بغداد ولكن بعض أهل البصرة أشار عليه بالسفر صوب بلاد العجم فعمل باشارته لما كانت موافقة لعادته . وزار في هذه البلاد مدينة تستر وأقام في ضيافة شيخهـا صدر الدين من ذرية سهل بن

عبد الله التستري الشهير ١٦ يوماً ، قال : فلم أر أعجب من ترتيبه ولا أرغد من طعامه . . . وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة وأقومهم سيرة ، وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع ، ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صغر لدي كل واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر ولم ألق فيمن لقيتهم مثله .

وزار أيضاً مدينة أصفهان ووصف من ترف أهلها ما يقضى منه العجب وأخذ العهد عن بعض شيوخها وذلك في ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٧٢٧ هـ . ثم زار شيراز وأثنى عليها كثيراً وجعلها نظيرة دمشق في كثير من الأوصاف ، وذكر من غريب أمورها أن النساء يجتمعن بها لسماع الوعظ كل يوم اثنين وخميس وجمعة في المسجد الأعظم ، وربما اجتمع منهن الألف والألفان بأيديهن المراوح يروحن بها على أنفسهن من شدة الحر ، قال : « ولم أر اجتماع النساء في مثل عددهن في بلدة من البلاد » . ولاحظ شدة تعظيم الأعاجم للعلم والعلماء حتى أن سلاطينهم ربما سموا أبناءهم بأسماء مشيخة العلم ، كسلطان شيراز أبي اسحق بن محمد شاه الذي سماه أبوه باسم الشيخ أبي اسحق الكازروني ، قال : « والفقيه ببلاد الأعاجم كلها انما يخاطب بمولانا » . وممن لقي بشيراز الشيخ مجد الدين اسماعيل بن محمد بن خداد إذ سمع عليه مسند الإمام الشافعي ، ومشارق الأنوار للصاغاني ، ومن المشاهد التي زارها هناك قبر الشاعر سعدي المشهور ، قال : « وكان أشعر أهل زمانه باللسان الفارسي وربما ألمع في كلامه بالعربي » .

ثم دخل البرية بعد ذلك قاصداً الكوفة ، ومنها توجه الى بغداد دار السلام وحاضرة الإسلام كما قال ، وكان يوجد بها في رجب السنة حين سمع مسند الدارمي على الشيخ سراج الدين القزويني . ولم يطل الكلام عليها ، لأنها كانت في إدبار من أمرها ، لكنه تبسط في الكلام على ملكها أبي سعيد بهادر وموكبه العظيم ، وكان قد سافر بمعيته أياماً ، ثم زار تبريز فأعجب

بسوقها الجامعة وخاصةً بسوق الجوهريين ، حيث حار بصره مما رأى من أنواع الجواهر وهي بأيدي مماليك حسان الصور عليهم الثياب الفاخرة ، وأوساطهم مشدودة بمناديل الحرير ، وهم بين أيدي التجار يعرضون الجوهر على نساء الأتراك ، وهن يشترينه كثيراً ويتنافسن فيه ، قال : « فرأيت من ذلك كله فتنة يتعوذ بالله منها » .

وكان ملك العراق أبو سعيد عرف أنه يريد الحج الى بيت الله الحرام ، فأمر له بالزاد والركوب في السبيل مع المحمل ، إلا أنه رأى الموسم لا يزال بعيداً فسافر الى الموصل وديار بكر ثم عاد فلحق بركب العراق ، وكان أميره هو البهلوان سابق الذكر فأظهر من الاعتناء بصاحبنا ما لا مزيد عليه . . ووصل مكة وحج ثانيةً عام ٧٢٧ ﻫ . ولما كان قد اختار المجاورة بالحرم الشريف ، فقد حج ثالثةً في العام الموالي ، وحضر في هذه الحجة أناس من بلده طنجة ومن قصر المجاز ومن القصر الكبير ، جلهم من الفقهاء ، فتعرف منهم أخبار المغرب ، ثم انه أقام مجاوراً بمكة أيضاً الى سنة ٧٢٩ ﻫ ، وحج للمرة الرابعة ، وفي السنة التي بعدها وقعت فتنة بمكة فخرج منها الى جدة وركب البحر لأول مرة الى اليمن عبر سواكن ، فطاف بأرجاء القطر العربي العريق ، ولم ينس أن يسجل التشابه بين اليمنيين والمغاربة في كثير من الأحوال « مما يقوي القول بأن صنهاجة وسواهم من قبائل المغرب أصلهم من حمير » . وأبحر من عدن الى مدينة زيلع بالصومال ، ولاحظ عليها شدة القذارة بحيث انه لم يستطع المبيت بها ، ففضل النوم بالمركب مع اضطراب البحر . ثم توجه الى مقدشو عاصمة تلك البلاد ولقي سلطانها وهو يلقب بالشيخ ، ومن غريب ما ذكر من أحوالها أنه عند ما تصدح الموسيقى الرسمية ، لا يتحرك أحد ولا يتزحزح من مقامه ، ومن كان ماشياً وقف كما يجري الآن تماماً في بعض البلاد ذات الحكم العسكري ، وعاد الى اليمن عبر ظفار ، ثم عرج على هرمز وسيراف والبحرين ،

ووصف مغاص اللؤلؤ فيما بين تلك البلاد ، ورجع أدراجه فعبر الى القطيف مجتازاً باليمامة قصد مكة فحج للمرة الخامسة وذلك سنة ٧٣٢ هـ وذكر أن الملك الناصر بن قلاوون حج في تلك السنة ، ولكنه لم يتصل به على ما يظهر كما لم يتصل به في مصر .

وهنا يكون ابن بطوطة قد قضى في الرحلة سبع سنين ونصفاً وحج خمس مرات ، وطاف العالم العربي كله وجانباً مهماً من العالم الإسلامي ، ومع ذلك فان القسم الأكبر من رحلته كان لا يزال أمامه . ولنتأثره مسرعين فقد أتى جدة وأراد أن يبحر الى اليمن قصد الهند ، ولكنه لم يجد مركباً ولا رفيقاً ، فعاد الى مصر بطريق الصعيد ثم الى الشام عن طريق بلبيس وركب البحر الى العلايا بجنوبي آسيا الصغرى قال : « وهي أول بلاد الروم ، فجاس خلالها وتحدث عن أمرائها ، وكان الأتراك حينذاك لم يستتموا وحدتهم بعد ، فحديثه عنهم في هذه الفترة من تاريخهم السياسي له أهمية كبيرة ، ومما يلفت النظر في حديثه عن هذه البلاد منظمات الفتيان المسماة بالأخيّة التي كان يلتقي بها في طول البلاد وعرضها ، وهي منظمات شبيهة بالنقابات والكشفية وتغلب عليها الصبغة الدينية والخلقية فتنتظم فيها جماعات من الشباب ينتسبون الى مهنة معينة ، ويتخذون مقراً لهم يجتمعون فيه كل ليلة ويأكلون ويشربون ويغنون ويرقصون ، مع المحافظة على الشعائر الإسلامية ، والاعتناء بإكرام الضيف وتسلية الغريب وإعانته على قضاء مآربه ، ولهم في هذه الطريقة التي يسمونها الفتوة سند يتصل بالإمام علي كرم الله وجهه ، وشعارهم فيها لبس السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة ، ولعلهم إنما اتخذوا السراويل شعاراً لما يهدفون اليه من التزام الصيانة والعفاف .

وانتقل صاحبنا الى شبه جزيرة القَرِيم من ثغر صنوب بشمالي آسيا الصغرى ، ثم الى أزاق فبلاد البلغار التي وصلها في رمضان ، قال :

« فلما صلينا المغرب أفطرنا وأذن بالعشاء في أثناء إفطارنا فصليناهـا وصلينا التراويح والشفع والوتر وطلع الفجر اثر ذلك ، وكذلك يقصر النهار بها في فصله » وفي هذه البلاد الفسيحة ركب العربات لأول مرة وأكل لحم الخيل وذاق البوزة وهي نوع من النبيذ ، وبما أن أهل البلاد أحناف فإنهم لم يكونوا يتحرجون من شربها . ولاحظ كثرة الخيل بها وانخفاض ثمنها بحيث يكون اصدارها إلى الهند تجارة رابحة جدا ، واتصل بالسلطان محمد أزبك خان في بلاطه المُتَنَقِّل ، وهو « مدينة عظيمة تسير بأهلها فيها المساجد والأسواق » ، وقد حظي عند هذا السلطان حتى أرسله بمعية إحدى زوجاته الأربع إلى القسطنطينية ، وكانت تقصد زيارة أبيهـا ملك الروم ، فأتيحت له فرصة زيارة العاصمة البيزنطية الشهيرة ولم تكن فُتحت بعد .

وعاد إلى مدينة السرا عاصمة السلطان أوزبك ، ثم اخترق طريق خوارزم فبخارى وسمرقند وترمذ فخراسان فأفغنستان إلى الهند ، ويطول بنا الأمر لو وقفنا معه في أي بلد من هذه البلاد وتتبعنا ملاحظاته الدقيقة وأحاديثه الطلية عن البلاد وأهلها .

وقد وصل الى الهند في محرم سنة ٧٣٤ هـ ، وفي الحين أخبر به ملك الهند محمد شاه بن تغلق ، إذ كان ذلك هو النظام المتبع في هذه البلاد لا يجاوز أحد حدودهـا حتى يرفع به الى الملك ، فصدر الأمر بإكرامه والاعتناء به ، ثم اتصل به بعد ذلك في الرابع من شوال السنة ، وحظي عنده ، وخيره في مناصب الدولة على ما سبقت الإشارة اليه فاختار القضاء لأنه منصب آبائه ، وفعلا وُلي القضاء المالكي بعاصمة الهند دهلي إلى سنة ٧٤٢ هـ أي ما ينيف على سبعة أعوام ، وبذلك أمكنه أن يذكر من أحوال هذا الملك وبلاطه وحاشيته الشيء الكثير ، وخاصةً عن كرمه وأعطياته الخيالية التي لايفوت صاحبنا أن يصرفها بالعملة المغربية ليدل على أهميتها ،

وكذلك ذكر فتكاته التي تغطي على إحسانه ، والحقيقة أن كتابته عن الهند وعن أمرائها وعن أحوالها الاجتماعية ، وهي تكاد تستبد بالجزء الثاني من الرحلة ، هي من خير ما كتب ابن بطوطة تعريفاً بالبلاد التي زارها ، وستبقى مرجعاً هاماً للمؤرخين والباحثين في شؤون الهند وحضارة أهله تحت الحكم الإسلامي .

وفي جمادى الآخرة من عام ٧٤٢ ﻫ ترك الهند على رأس سفارة عظيمة إلى الصين وبرغم الاستعدادات الفائقة ، فان هذه السفارة قد تعوقت عن الوصول إلى غايتها ، وطوحت الأقدار بصاحبنا إلى جزائر ذيبة المهل بالمحيط الهندي حيث أقام عاماً ونصفاً ، وولي القضاء من طرف سلطانتها خديجة بنت جلال الدين وهو يحكي غرائب عن حياة أهل هذه الجزائر لأنه بحكم إقامته هذه المدة بين أظهرهم وتوليه السلطة في بلادهم تعرف على كثير من أحوالهم .

ثم غادر هذه الجزائر متوجهاً إلى الصين عن طريق سيلان فبنغالة فالملايو فسومطرة فالزيتون التي هي ميناء صينية على المحيط الهادي تُعرف الآن بتسيوان تشو . وتوغل صاحبنا في داخل البلاد التي تقع على مقربة من ساحل المحيط الأعظم حتى وصل خان بالق التي هي بكين عاصمة الصين اليوم ، ومع أنه لم يجب الصين كما جاب الهند فإنه لم يخل رحلته من أخبار مهمة عن هذه البلاد ولا سيما أحوال المسلمين بها ، وتحدث عن براعة الصينيين في فن التصوير وصناعة الفخار ، وعن تعاملهم بأوراق النقد وادخارهم الذهب والفضة بشكل سبائك كما يعمل مصرف أي دولة في هذا العصر . واستمع إلى حديثه عنهم في التصوير : « ومن عجيب ماشاهدت لهم من ذلك أني ما دخلت قط مدينة من مدنهم ثم عدت اليها إلا ورأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في الحيطان والكواغد موضوعة في الأسواق » الخ . وما ندري هل اصطحب معه صورة منها أم لا ؟

أما حديثه عن أمن الطرق والتحفظ على أموال الناس وسهولة المواصلات وتنظيم الملاحة التجارية فشيء لايقل عما لدى أرقى الدول العصرية اليوم ، وفي الشرق على العموم كانت الطرق حسبما يروي صاحبنا ، مأمونة ومقسمة إلى مراحل يجد فيها المسافر كل مايحتاج اليه وبعضها كما في بلاد المليبار ، كان مكتنفاً من الجانبين في أكثره بدكاكين التجار وبعضها كالطريق بين دهلي ومدينة ظهار كانت عليها النصب فيها عدد الأميال التي قطعها المسافر والتي بقيت له ، فالأمر كما يقال لاجديد تحت الشمس .

ومن الصين ينكفىء صاحبنا راجعاً عن طريق سومطرة فالهند فاليمن فبلاد العجم فالعراق فالشام فمصر إلى أن يصل مكة في ٢٢ شعبان ٧٤٩ ﻫ فيقيم بها إلى موسم الحج ويحج للمرة السادسة ثم يسافر إلى المدينة المنورة ومنها إلى القدس ثم إلى مصر وينثني عائداً إلى المغرب بعد أن غاب عنه ٢٥ سنة فيدخل فاساً في أواخر شعبان عام ٧٥٠ ﻫ (١٣٤٩ م) ويمثل بين يدي السلطان أبي عنان المريني فيغمره بإحسانه كما قال ويثني عليه أحسن الثناء بل يعمل مقارنة بينه وبين من شاهدهم من ملوك الدنيا فيفضله عليهم .

* * *

لم تستقر النوى بصاحبنا بعد رحلته الأولى هـذه ، حتى عاد فبدأ رحلته الثانية في مملكة غرناطة بالأندلس وذلك لئلا يفوته هذا القسم من العالم الإسلامي مع أنه برُؤيةٍ منه ومَسْمَعٍ ، فقد أصبح الآن حريصاً على استيعاب البلاد الإسلامية بالزيارة ليتأتى له أن يقول مفتخراً على السائح المصري الذي لقيه بمدينة برصى (وهو من الصالحين جال الأرض إلا أنه لم يدخل الصين ولا جزيرة سرنديب ولا المغـرب ولا الأندلس ولا بلاد السودان وقد زدت عليه بدخول هذه الأقاليم) ، وليصبح بعد ذلك (مسافر العرب والعجم) كما قال له الشيخ جلال الدين التبريزي في بنغالة .

وقد خرج صاحبنا في هذه الرحلة من بلدة طنجة فمر بسبتة وجبل طارق ، وكان ملكها حينئذ أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن نصر ، ولقي بهـا من الأعلام أبا القاسم الشريف وأبا سعيد بن لب وأبا البركات ابن الحاج وأبا القاسم بن عاصم . وقد ذكره ابن الخطيب في الإحاطة ولم يزد على تسميته شيئاً غير ما نقله من خط شيخه أبي البركات تبييناً لحاله ونصه : (هذا رجل لديه مشاركة يسيرة في الطلب ، رحل من بلاده إلى بلاد الشرق يوم الخميس الثاني من رجب عـام خمسة وعشرين وسبعمائة ، فدخل بلاد مصر والشام وعراق العجم وبلاد الهند والسند والصين وصين الصين وبلاد اليمن ، وحج عام ستة وعشرين وسبعمائة ولقي من الملوك والمشائخ عالماً ، وجاور بمكة ، واستقر عند ملك الهند فحظي لديه وولاه القضاء ، وأفاد مالاً جسيماً وكانت رحلته على رسم الصوفية زياً وسجيةً ، ثم قفل الى بلاد المغرب ودخل جزيرة الأندلس فحكى بها أحوال المشرق وما استفاد من أهله فكُذِّب) .

وقال : « لقيته بغرناطة وبتنا معه ببستان أبي القاسم بن عاصم بقرية نبلة ، وحدثنا في تلك الليلة وفي اليوم قبلها عن البلاد المشرقية وغيرها فأخبر أنه دخل الكنيسة العظمى بالقسطنطينية العظمى وهي على قدر مدينة مسققة كلها ، وفيها اثنا عشر ألف أسقف » (١) .

وقد عقب ابن الخطيب على هذه الفذلكة بقوله : « قلت وأحاديثه في الغرابة أبعد غوراً من هذا . وانتقل الى العدوة فدخل بلاد السودان ثم إن ملك المغرب استدعاه فلحق به وأمره بتدوين رحلته » .

وهذا الاجتماع الذي كان في بستان ابن عاصم أشار له صاحبنا في الرحلة وحكى أنهم أقاموا فيه يومين وليلة . وزاد كاتب الرحلة أبو عبد الله بن

(١) هذا مخالف لما في الرحلة فانظرها .

جزي فقال : « كنت معهم في ذلك البستان ومتعنا الشيخ أبو عبـــد الله (يعني ابن بطوطة) بأخبار رحلته وقيدت عنه أسماء الأعلام الذين لقيهم واستفدنا منه الفوائد العجيبة » .

* * *

وعاد صاحبنا الى فاس ، فلم ينشب أن شرع في رحلته الثالثة الى بلاد السودان . وفي سجلماسة أخذ أهبته لهذه الرحلة والتحق برفقة يرأسها أحد رجال مسوفة ، وذلك في غرة محرم فاتح ٧٥٣ ﻫ ، فبعد ٢٥ يوماً وصل الى تغازي ، وهي قرية الملح بناؤها من أحجار الملح المسقفة بجلود الجمال ، وتجارتها في الملح مع السوادين تجارة عظيمة . وبعد استراحة عشرة أيام ، استأنف الرحلة عبر الصحراء ، وكانت رحلة شاقة ومحفوفة بالمخاطر ، وأخيراً وصل الى مدينة ايوالاتن أول عمالة السودان وهي مدينة أكثر سكانها من مسوفة ، وهم مع محافظتهم على الصلاة وقراءة القرآن وطلب العلم ، لا غيرة لهم على أزواجهم ، وللنساء هنالك حياة اجتماعية متحررة من كل القيود .

وخرج صاحبنا من ايوالاتن متوجهاً صوب مالي عاصمة البلاد فلقي سلطانها منسى سليمان ، ولم ينل منه خيراً ، غير أنه وصفه بالعدل والاستقامة وأتى بوصف معجب لبلاطه ولخروجه إلى صلاة العيد ، ثم توجه إلى تمبكتو ومنها الى تكدا ، ووصل في تنقلاته بين هذه المدن الى نهر النيجر ، فظنه النيل ، ورأى التمساح في بعض ضفافه « كأنه قارب صغير » كما رأى فرس البحر في بعض خلجانه ، ومن المحقق أنه جاب في هذه الرحلة أماكن لم يصل اليها سائح من قبله ، ووصفها وصفاً معجباً . فلهذا القسم من رحلته أهميته التي لا تقل عن أقسامها الأخرى .

وبينما هو في تكدا وافاه أمر السلطان أبي عنان بالرجوع إلى المغرب ، فكر راجعاً الى سجلماسة عن طريق توات . وفي نهاية عام ٧٥٤ هـ وصل إلى فاس بعد أن قضى في هذه الرحلة عامين كاملين ، وباضافتها مع الزمن الذي قضاه في رحلة الأندلس يكون قد صرف زهاء ثمانية وعشرين عاماً في التنقل والترحال ، فما أعظمها من همة وهكذا تكون الرجال .

وأمره السلطان بإملاء رحلته على الـكاتب أبي عبد الله بن جزي ، وهو أحد أولاد العالم أبي القاسم بن جزي ، فقام هذا بما كلف به من ضم أطراف الرحلة وترتيبها ، وتصنيفها وتهذيبها وسماها تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ؛ وانتهى من ذلك في ٣ من ذي الحجة عام ٧٥٦ هـ . . . وكأن السلطان أبا عنان لما وفد عليه ابن بطوطة أولاً في عام خمسين غفل عن أمره بتدوين رحلته ، والعذر له ، فقد كان مشتغلا بتثبيت دعائم ملكه ، ومصارعة أعدائه . ثم تنبه للأمر بعد ذلك فنفذه كما رأيت ، باستدعاء ابن بطوطة من أقصى بلاد السودان ، على أنه قد قيل إنه كان موفداً من قبله الى تلك الديار في مهمة ، ولا يظهر ذلك من سياق الخبر في الرحلة .

* * *

وبعد انتهاء الرحلة ينسدل حجاب كثيف على حياة ابن بطوطة التي وإن طالت بعد ذلك أكثر من عقدين من السنين فاننا لم نعد نعرف عنها شيئا بعد أن لابسناها وصاحبناها في أفراحها وأتراحها مدة ثمان وعشرين سنة ، غير أن ابن حجر في « الدرر الـكامنة » نقل من خط ابن مرزوق : « أنه بقي الى سنة سبع وسبعين ومات وهو متولي القضاء ببعض البلاد » فيرشد هذا الكلام الى أنه حظي عند بني مرين وولوه منصب القضاء الذي قال عنه « انه شغله وشغل آبائه » .

ويزيد ابن مرزوق فيقول فيما قرأه ابن حجر بخطه : « ولا أعلم أحداً جال في البـلاد كرحلته ، وكان مع ذلك جواداً محسناً » ، وهي شهادة لرحالتنا من العلامة ابن مرزوق تعضدها قراءة الرحلة . على أن ابن حجر أشار أيضاً الى دفاع ابن مرزوق عن الرحالة فيما كان من اتهام أبي البركات ابن الحاج له فقال : « وكان البلفيقي رماه بالكذب فبرأه ابن مرزوق » ، والبلفيقي هو أبو البركات بن الحاج . وقد سبق نقل كلامه عن الإحاطة .

ولم يبين ابن مرزوق الجهة التي كان ابن بطوطة يتولى بها القضاء ، ولكن ابن الخطيب في « نفاضة الجراب » أثبت نص كتاب وجهه إلى صاحبنا بصفته قاضي تامسنا ، يرجو منه المساعدة على شراء قطعة أرض بجواره ، يعدها للفلاحة عند الحاجة ، وذلك لما قرر الاستقرار بالمغرب ، فمن هذا نعرف مكان ولايته للقضاء الذي كان هو محل وفاته .

وعلى ظاهر كلام ابن مرزوق ، فان ابن بطوطة توفي سنة ٧٧٧ ﻫ ، وفي دائرة المعارف الإسلامية أنه توفي سنة ٧٧٩ ﻫ (١٣٧٧ م) وعليه كثير من الكتاب المحدثين .

ومن هنا يعلم أنه لم يتوف بطنجة ، وان كان يوجد بها ضريح ينسب اليه ، ويفد الرحالة من كل جنس إذا قدموا طنجة عليه . لكننا نستريب في أن يكون ذلك هو مرقد الرحالة الحقيقي .

أولاً ــ لأن وفاته لم تكن بطنجة .

ثانياً ــ لأن اسم الضريح في ألسنة الناس أحمـد بن علال وليس هو اسم بطوطة .

ثالثاً ــ لأن طنجة خضعت للاحتلال الأجنبي ، البرتغالي ثم الإنجليزي ما ينيف على قرنين من الزمن بعد موت ابن بطوطة فيبعد أن يبقى قبره محفوظاً ومعروفاً بعد هذه المدة الطويلة التي تغيرت فيها معالم المدينة من

جميع الوجوه . وعلى كل حال فهو وإن يكُنْ ذا صفة رمزية ، ضريح متواضع جداً لا يتناسب وعظمة الرجل الذي طبقت سمعته الآفاق .

وقبل أن نختم هذه الترجمة لا بد أن ننقل ما كتبه ابن خلدون في مقدمته عن رحلة صاحبنا ، لأن فيه رداً على ما سبق عن ابن الخطيب من الاستراية بأخبار الرحالة الصدوق ، قال ابن خلدون : « ورد على المغرب لعهد السلطان أبي عنان من ملوك بني مرين ، رجل من مشيخة طنجة يعرف بابن بطوطة ، وكان قد رحل منذ عشرين سنة قبلها الى المشرق وتقلب في بلاد العراق واليمن والهند ، ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند ، واتصل بملكها لذلك العهد ، وهو السلطان محمد شاه ، وكان له منه مكان واستعمله في خطة القضاء بمذهب المالكية في عمـــله ، ثم انقلب إلى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان ، وكان يحدث عن شأن رحلته ، وما رأى من العجائب بممالك الأرض ، وأكثر ما كان يحدث عن دولة صاحب الهند ويأتي من أحواله بما يستغربه السامعون ، مثل أن ملك الهند إذا خرج للسفر أحصر أهل مدينته من الرجال والنساء والولدان وفرض لهم رزق ستة أشهر يدفع لهم من عطائه ، وأنه عند رجوعه من سفره يدخل في يوم مشهود يبرز فيه الناس كافةً إلى صحراء البلد ويطوفون به وينصب امامه في ذلك الحفل منجنيقات على الظهر يرمي بها شكائر الدراهم والدنانير على الناس إلى ان يدخل ديوانه ، وامثال هذه الحكايات ، فتناجى الناس في الدولة بتكذيبه ، ولقيت أنا يومئذ في بعض الأيام وزير السلطان فارس بن ودرار البعيد الصيت ، ففاوضته في هذا الشأن وأريته انكار أخبار ذلك الرجل ، لما استفاض في الناس من تكذيبه فقال الوزير فارس : اياك أن تستنكر مثل هذا في أحوال الدول بما أنك لم تره فتكون كابن الوزير الناشىء في السجن ، وذلك أن وزيراً اعتقله سلطانه فمكث في السجن سنين ربى فيها ابنه في ذلك الحبس ،

فلما أدرك وعقل سأل عن اللُّحمان التي كان يتغذى بها ، فإذا قال له أبوه هذا لحم الغنم يقول وما الغنم ؟ فيصفها له أبوه بشياتها ونعوتها فيقول يا أبت : تراها مثل الفأر فينكر عليه ويقول أين الغنم من الفأر ، وكذا في لحم البقر والإبل إذ لم يعاين في محبسه الا الفأرة فيحسِبُها كلها أبناء جنس للفأرة ، وهذا كثيراً ما يعتري الناس في الأخبار كما يعتريهم الوسواس في الزيادة عند قصد الإغراب ، كما قدمناه أول الكتاب . فليرجع الإنسان الى أصوله ، وليكن مهيمناً على نفسه ، ومميزاً بين طبيعة الممكن والممتنع بصريح عقله ، ومستقيم فطرته ، فما دخل في نطاق الإمكان قبله وما خرج عنه رفضه ، وليس مرادنا الإمكان العقلي المطلق فان نطاقه أوسع شيء ، فلا يفرض حداً بين الواقعات وإنما مرادنا بحسب المادة التي للشيء ، فإذا نظرنا أصل الشيء وجنسه وفصله ومقدار عظمه وقوته أجرينا الحكم في نسبة ذلك على أحواله وحكمنا بالامتناع على ما خرج عن نطاقه ، (وقل رب زدني علماً) » .

عبد الله كنون

مفعول ـ مفاعيل

هل يُجمع (مفعول) جمعاً مكسراً على (مفاعيل) ؟

يقول ابن هشام [1] في شرحه (بانت سعاد) :

« والصفة المبدوء بالميم ، كمضروب ، يمتنع جمعها جمع تكسير . وشذ نحو (ملاعين) و (مشائيم) » .

ونقل الخضري في حاشيته على ابن عقيل ، على ابن مالك :

ما قاله الحريري في جمع التكسير : (من ان هذا الجمع لم تتعرض له طائفة من النحاة ، لفساد ألسنة العامة ، إلاّ في الجموع . فلم يُحْتَج للتنبيه عليها ، لأن النحو انما وضع لإصلاح ما فسد) وقيل : (لأن كل الجموع مرجعها السّماع ، فالأولى بها كتب اللغة ، التي تنبه عقِب كل مفرد على جمعه) .

وقال بعض المتأخرين : (أكثر الجموع سماعي ، لكن منها ما يغلب فنحتاج الى ذكره ليُحمل عليه ما لم يُسمع جمعه) .

ويوم أصدر رفيق العظم كتابه (أشهر مشاهير الإسلام) أخذ عليه الشنقيطي الكبير : أن جمع مشهور على مشاهير .

وفي هذا ، كتب الشيخ رشيد رضا [2] الى الأمير شكيب أرسلان ، كأنه يجيبه عن فتوى استفتاه فيها : (وأما جمع « مكتوب » على مكاتيب ،

---

(١) ابن هشام : صاحب السيرة النبوية ، ومن كبار أئمة النحو .

(٢) الشيخ رشيد ممن يستأنس برأيه في اللغة وفي النحو .

فلا يثبت الا بالسماع ، ولا أعرف فيه سَماعاً . فاجمعه على « مكتوبات » ــ لأنه قياسي) .

ثم قال : (وكان الشنقيطي الكبير ، انتقد رفيق بك العظم تسمية تاريخه : « أشهر مشاهير الإسلام » لهذه العلة . وهي « مفعول لا تجمع على مفاعيل قياساً » ولكن لفظ مشاهير استعمله المتقدّمون ، ومنهم صاحب القاموس في غير مادته .) اهـ

وقد نستخلص مما تقدم :

١ ــ ان مفعول لا يجمع جمع تكسير على « مفاعيل » إلاّ شذوذاً وفي كلمات معدودات .

٢ ــ ان الجمع من خصائص كتب اللغة لا كتب النحو . فهذه يستحيل عليها أن تذكر لكل مفرد جمعه . وانما تضع القاعدة العامة ، وكتب اللغة هي التي تذكر بعد كل مفرد جمعَه .

٣ ــ ما لم يرد له في كتب اللغة جمع ، يحمل على غيره .

١ً ــ قول ابن هشام ان مفعول لا يكسر إلاّ في ما شذ ، وضرب مثلاً (ملاعين) و (مشائيم)[١] جمع (ملعون) و (مشؤوم) .

يرد عليه : ان هذا الجمع المكسّر ذكرت كتب اللغة كثيراً من أمثلته ، ففي لسان العرب :

(ميامين) جمع (ميمون) و (مكافيف) جمع (مكفوف) و (مجانين)

---

(١) وللأحوص اليربوعي :

مَشائيمُ ليسوا مُصلحين عشيرةً ولا ناعياً إلاّ بشؤم غُرابها

تهذيب اصلاح المنطق ج ٢ ص ٢٣٦

جمع (مجنون) و (مماليك) جمع (مملوك) و (مراجيع) جمع (مرجوع)[(١)] و (متابيع)[(٢)] جمع (متبوع) .

ومن تتبع اللسان ، وسائر كتب اللغة ، وجد العشرات من جمع (مفعول) جمعاً مكسّراً على (مفاعيل) .

وجاءت (مجاهيد) جمعاً لـ (مجهود) في كلام لعروة ابن الزبير يصف فيه مصر. قال : (فرأيت أهلها مجاهيد ، قد حُمل عليهم فوق طاقتهم) !

وجُمعت (مشغول) على (مشاغيل) في قول ابن ابي حفصة ، من قصيدة يمدح بها الخليفة المأمون :

أضحى إمامُ الهُدى المأمونُ مشتغلاً في الدين والناسُ في الدنيا مَشاغيلُ[(٣)]

---

(١) ويقول زهير :

« مراجيع وشم في نواشر مِعصمِ »

مراجيع جمع (مرجوع) وهو الذي أعيد سواده .

(لسان العرب مادة رجع)

(٢) وقول المرار يصف إبلا :

« متابيـــع بسط متئمات رواجع »

(اللسان مادة رجع)

(٣) ومن حق الأدب أن نشير إلى قصة اتصلت بهذا البيت :

قال عمّار بن عقيل : قال لي ابن أبي حفصة الشاعر :

أعلِمت أن المأمون لا يُبصر الشعر ؟

قلت : ومن يكون أفرسَ منه ؟ واللهِ إنّا لننشد أول البيت ، فيسبق الى آخره ، من غير أن يكون سمعه .

قال : اني أنشدته بيتاً أجدت فيه ، فلم أرَهُ تحرك له . وهو :

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلاً في الدين والناسُ في الدنيا مشاغيلُ

فقلت له : ما زدت على ان جعلته عجوزاً في محرابها ، في يدها سُبحة . فمن يقوم بأمر الدنيا اذا كان هو مشغول عنها ، وهو المطوق لها . ألا قلت كما قال عمك في الوليد :

فلا هو في الدنيا يُضيع نصيبَه ولا عرضُ الدنيا عن الدين شاغلُه

قال : الآن عرفت أني أخطأت .

وكذلك جاءت في كتاب بعث به المأمون من مصر ـ وكان يومئذ فيها ـ إلى نائبه على بغداد : اسحق بن ابراهيم الخزاعي ، في المحنة بخلق القرآن :

(.. وأما ابن نوح ، وابن حاتم ، فاعلِمْهم : أنهم (مشاغيل) بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد . وان امير المؤمنينَ لو لم يستحلّ محاربتَهم في الله إلاّ لإربائهم ، وما نزل به كتاب الله في أمثالهم ، لاستحل ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شِركاً .

وجاءت (مناكيد) جمع (منكود) في قصيدة للمتنبي هجا فيها كافوراً الاخشيدي :

لا تشترِ العبدَ إلاّ والعصا معه إن العبيد لأنجاس مناكيد

ويسمي النحاة المفعول به واخواته : المفاعيل الخمسة .

وسمى ابن حبان البستي ـ وهو من علماء القرن الرابع الهجري ـ كتاباً له : (مشاهير علماء الأمصار) ذلك قبل ان سمّى العظم كتابه (مشاهير الإسلام) بمئات من الأعوام .

٢ ـ ان كتب اللغة :

(آ) في الكثير من صيغ (مفعول) لم تذكر له جمعاً مع الحاجة اليه ، لصعوبة الجري على القاعدة العامة فيها . هذا في القديم من المعاجم وقد جاراها الحديث في أغلب هذه الصيغ .

(ب) استعملت في العصرين : الحديث والمعاصر ، ألفاظ على صيغة (المفعول) كان لا بد من استعمالها ـ على تجوز في بعضها ـ كما كان لا بد من جمعها .

من ذلك :

المرسوم : من (رسم) ورسم على كذا إذا كتب . والرواسيم في ما قيل ـ كتب كانت في الجاهلية .

استعمل المتأخرون (المرسوم) لما يأمر به الأمير أو الحاكم أو يكتب به . وحصره المتأخرون بما يصدر عن رئيس الدولة بما له قوة القانون . وجمعوها على (مراسيم) خلافاً لما نص عليه ابن هشام .

فاللفظة صحيحة الأصل، محدثة الاستعمال، لاغنى عنها مفردةً ومجموعةً، جمعاً مكسراً على ما وردت في الوسيط [١]، وفي المنجد [٢]، وفي متن اللغة [٣] .

المشروع : لغة : ما سوّغه الشرع . استعاروه لما يهيأ من تدبير يُراد النظر فيه قبل اصداره مرسوماً أو قانوناً . وهو من هذه الناحية من طائفة المرسوم ، وهو في بعض حالاته مقدمةٌ له . فهو بهذا لا غنى عنه مفرداً ولا بد له من جمع .

جمعه المنجد على (مشاريع) جمعَه (مرسوم) على (مراسيم) .

وجمعه الوسيط على (مشروعات) جمعاً قياسياً .

وقد يكون في جمعه على (مشاريع) مطابقةٌ لجمع (مراسيم) ولما جرت عليه أكثر الحكومات العربية .

ولا يمنع هذا الجمع من أن يجمع (مشروع) جمعاً قياسياً على (مشروعات) في معنى آخر . فيقال (مشاريع) لما يقدم للدراسة القانونية ، على ما تقدم و (مشروعات) لما تقوم به الحكومة أو غيرها من الشركات والهيئات العامة من أعمال انشائية أو عمرانية ، ومن سائر الأعمال الحضارية .

المنشور : عرّفه (الوسيط) بأنه : (بيان يذاع بين الناس ليعلموه) وكذلك عرّفه (المنجد) فقال : (المنشور ما كان غير مختوم من كتب الملوك والرؤساء) ولم يجمعاه .

---

(١) المعجم الوسيط : هو المعجم الذي أخرجه مجمع اللغة العربية بمصر .

(٢) المنجد : معجم اليسوعيين .

(٣) متن اللغة معجم أحمد رضا العاملي .

وعرّفه (متن اللغة) تعريفاً يقرب من تعريفهما ، وزاد عليهما : (وهو المعروف عند الأتراك بـ الفَرَمان (بفتح الراء) وجمعَه على (مناشير) .

اما ان المنشور : هو الفَرْمان ففيه نظر . اذ المنشور وهو بيان أو اعلان يختلف عن الفَرْمان الذي هو عهد من السلطان بالولاية أو بما هو في حكمها إلى الولاة أو من هم في حكمهم .

والفَرْمان ساكن الراء ، لا كما جاء خطأً في (المنجد) وفي (متن اللغة) .

ويقال في (المنشور) ما قيل في المشروع من أنه يجوز أن يكون له جمعان جمع تكسير (مناشير) لما يصدر عن أمير أو حاكم أو رئيس ، وجمع سلامة (منشورات) لما تصدره المطابع ودور الكتب .

الموضوع : هو مصدر وضع ، واسم مفعول منه ، جمعه المنجد على مواضيع وموضوعات . أما الوسيط فلم يورد له جمعاً .

وعُرِّف (الموضوع) فيهما بأنه : « المادة التي يبنى عليها الكلام ــ ومن الأحاديث : المُختلَقة . أفلا يجوز أن نستعمل الجمعين في معنيين مختلفين ؟ : فنستعمل (الموضوعات) للأحاديث المختلقة ، و (المواضيع) للمادة التي يبنى عليها العلم أو الكلام ؟

المجرور : ومثل ذلك المجرور . جمعه النحاة في كلامهم عن الأعراب جمعاً قياسياً . فقالوا (المرفوعات) جمع (مرفوع) و (المنصوبات) جمع (منصوب) و (المجرورات) جمع (مجرور) واستعمل المعاصرون (المجرور) لمجرى من الماء ، يغلب أن يكون الماء المالح ، ولما هو تحت سطح الأرض وهو استعمال موفق لفظاً ومعنىً ، وجمعوا هذا (المجرور) على (مجارير) ففرقوا بذلك بين المعنيين . والتفريق بين الجمع لاختلاف في المعنى ، معروف في العربية .

والمجرور لفظ لم يرد له ذكر في المعاجم العصرية التي راجعتها مفرداً ولا مجموعاً . ومن صيغ (المفعول) التي وردت مجموعة على (مفاعيل) المزامير جمع (مزمور) والمياسير جمع (ميسور) جاءت في الوسيط [1] وفي المنجد .

وأما مجموع ، ومجروح ، ومركوب ، ومسعود ، ومستور ، ومكتوب ، فلم تجمع إلا في المنجد جمعها جمع تكسير ، على (مفاعيل) .

وأهملت الفاظ كثيرة من هذه الصيغة يحتاج الى نص على جمعها .

٣ — من هذا الذي قدمناه ، نرى : أن القول بأن صيغة (مفعول) لا تجمع على (مفاعيل) الا شذوذاً ، قول تنقضه ، ـ بل هو قد نقضت عدداً كبيراً منه ـ الأمثلة التي ضربناها من قديمة ومن حديثة ، لا بد من الأخذ بها .

ومن الألفاظ التي يلفيت جمعها النظر (المطمورة) فقد جاءت مجموعة على (مطامير) في قول المتنبي :

ودون سميساط المطامير والملا وأودية مجهـــولة وهجول

فقد ذهبت الشراح إلى أن (المطامير) جمع (مطمورة) وهي الحفيرة تحت الأرض .

وهكذا جاء جمعها في اللسان ، وفي المتن ، وفي المنجد .

وفي اللسان (المطمور) العالي . و (المطمور) الأسفل ولم يورد لها جمعاً .

فإذا جرينا على القياس جمعنا ، (مطمور) على (مطمورات) .

أفلا يكون غريباً . أن تجمع (مطمورة) على (مطامير) و (مطمور) على مطمورات . وكان من الأولى أن يعكس الأمر ، فتجمع (مطمورة) على (مطمورات) و (مطمور) على مطامير) .

---

(١) جمع (الوسيط) ميسور على (مياسير) غير انه جعله مصدراً على وزن مفعول . وكذلك فعل (متن اللغة) وهو رأي سيبويه في المعسور والميسور .

وبعد ، فهذه كلمة نريد أن نَلفِت اليها نظر المجامع العلمية — وهو موضوع من خصائصها ـ لتنظر فيه نظرة امعان ، مبعثها الضرورة والتسهيل ، فتقر ما يجب اقراره ، ليأخذ طريقه إلى دواوين اللغة ، فلا يظل الأمر لا ضابط له ولا وازع . كل معجم يجمع على ما يحلو له ، فما القول بعد بالخاصة ؟ فضلاً عن العامة ؟ التي كان الحريري قال فيها : ان ألسنتها لم تفسد بعد ...

عارف الشكري

ملاحظة : لا مُشاحّة ان هذا الجمع المكسر (مفاعيل) هو في كثير من ألفاظه أخف من الجمع السالم (مفعولون) و (مفعولات) . فقولنا مواليد سنة كذا ، كما هو مصطلحٌ عليه اليوم ، أخف من القول (مولودو) أو (مولودي) سنة كذا . واستعمال (المفاهيم) على ما جرى عليه الكتاب اليوم ، ألطف من (المفهومات) وأدل على المعنى المراد .

(ع)

قاضي قضاة بغداد
وأثره في الفقه الإسلامي

كانت العراق منذ القديم ، لا سيما في الكوفة ، مركزاً لمدرسة أهل الرأي ، التي أسسها وانتمى اليها ونشرها كثيرون ، أمثال الصحابي عبد الله ابن مسعود (المتوفى سنة ٣٢ ﻫ) ، وحماد بن أبي سليمان (المتوفى سنة ١٢٠ ﻫ) ، والإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان (المتوفى سنة ١٥٠ ﻫ) ، وصاحبيه أبي يوسف ، موضوع هذه الكلمة ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، وغيرهم .

أبو يوسف وآثاره :

أبو يوسف هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد الأنصاري ، من أهل الكوفة . ولد سنة ١١٣ ﻫ ، وتوفي سنة ١٨٢ ﻫ .

وكان عالماً كبيراً ، مجاهداً في العلم منذ طفولته ، شغوفاً به وداعياً له . فقد روي عنه انه قال : « العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك » .

وكان فقيهاً حافظاً ، ومن أكثر أهل العراق اتباعاً للحديث ، جالس منذ صغره الإمام الأعظم أبا حنيفة ، وجالس القاضي محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى (المتوفى سنة ١٤٨ ﻫ) ، وقال فيهما : « ما كان في الدنيا أحب إلي من مجلس أجلسه مع أبي حنيفة وابن أبي ليلى ، فإني ما رأيت فقيهاً أفقه من أبي حنيفة ولا قاضياً خيراً من ابن أبي ليلى » .

وفي الواقع تأثر أبو يوسف بفقه أبي حنيفة كثيراً ، ولازمه ، وشاركه في تدقيق المسائل وتدوين المذهب ونشره . وخالفه أحياناً في المسألة بعد

المسألة من مسائل الأصول والفروع ، حتى عدّه بعضهم ، أمثال الكوثري وغيره ، مجتهداً مطلقاً . ولكن أبا يوسف حافظ على انتسابه لأبي حنيفة اعترافاً بجميله . وعدّه معظم المؤرخين ، مع محمد بن الحسن الشيباني ، من أشهر أصحابه ، على اعتبار أن فقه الإمام الأعظم وأصحابه فقه جماعة عن جماعة ، لا فقه مجتهد واحد .

وكذلك أخذ أبو يوسف بعض أساليب فن القضاء ونهجه عن ابن أبي ليلى ، الذي أخذها بدوره عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعن القاضي شريح . وكان بوجه خاص يعتمد على قضاء الإمام علي ، لا سيما في مسائل الفرائض ، لقول النبي (ﷺ) : « أقضاكم علي » .

وروي عن عمار بن أبي مالك انه قال : « لولا أبو يوسف ما ذُكر أبو حنيفة ولا ابن أبي ليلى ، ولكنه هو نشر قولها ، وبث علمها » . وهذا القول ، على ما فيه من مبالغة ، يدل على الأثر البارز الذي كان لأبي يوسف في تاريخ الفقه الإسلامي .

وقد ساعده على ذلك قدومه الى بغداد ، وتوليه القضاء لثلاثة من الخلفاء ، وهم المهدي وموسى الهادي ثم هارون الرشيد . وهو أول من دعي بقاضي القضاة في الإسلام ، وأول من خص العلماء بما هم عليه من لباس خاص . فاشتهر في القضاء ، ثم أورثه ابنه يوسف الذي ولاّه في حياته قضاء الجانب الغربي من بغداد ، وأقره الرشيد على هذا التعيين .

وبذلك لم ينفر أبو يوسف من القضاء ، كما نفر منه أبو حنيفة ، إذ رفض أن يتولى منصب القضاء عندما عرضه عليه ابن هبيرة ثم أبو جعفر المنصور . ولكن روي عن أبي يوسف أنه قال قبيل وفاته : « يا ليتني مت على ما كنت عليه من الفقر واني لم أدخل في القضاء ، على أني ما تعمدت بحمد الله ونعمته جَوراً ولا حابيت خصماً على خصم من سلطان أو سُوقة » .

وروي أنه قال : « اللهم إنك تعلم أني لم أجُر في حكم حكمت به بين عبادك متعمداً ، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك . وكل ما أشكل عليّ جعلت أبا حنيفة بيني وبينك ، وكان عندي والله من يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه » .

وكان للقضايا العملية التي عرضت على ابي يوسف في القضاء أثر كبير في اجتهاده ، وفي تفريع المسائل والتوسع بأعمال الرأي ، والتيسير على الناس ، وذلك كله بطريق الأدلة الشرعية النقلية من قرآن كريم وحديث ، أو الأدلة العقلية من إجماع وقياس ، وأحياناً أيضاً بطريق الاستحسان والمخارج وما أشبه .

وكذلك فتح منصب القضاء لأبي يوسف المجال لأجل تطبيق المذهب الحنفي ، والتأثير في نشره الواسع ، فقاضي القضاة بالإضافة إلى إشرافه على الأحكام ، كان مشرفاً على الحكام وعلى توليتهم في مختلف أقاليم الدولة . وكان الى ذلك مقرباً الى الخليفة والى أولي الأمر في الحكم والإدارة ، فكان يشير عليهم ويفتيهم في مشاكلهم وواقعاتهم .

وعلى الجملة ، توصل أبو يوسف الفقيه والقاضي والمشاوَر والمفتي إلى الاشتراك الفعلي البارز في تأسيس المذهب الحنفي ، وفي بنائه وإغنائه بما اشترك فيه من تعديل وإضافة اقتضاهما اطلاعه على بعض الأحاديث التي صحت عنده ، وخبرته التي اكتسبها في فصل المنازعات القضائية . وهكذا ساعد ابو يوسف على نشر المذهب الحنفي وإشاعته علمياً وعملياً ، حتى أصبح اليوم أوسع المذاهب الإسلامية انتشاراً .

وأقوال أبي يوسف في الفقه مشهورة في كتب المذهب الحنفي . وله مؤلفات عديدة . وصل إلينا منها بوجه خاص كتاب الخراج ، وكتاب

الرد على سير الاوزاعي ، وكتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى . فكتاب الخراج سنشير إليه فيما بعد .

أما كتاب الرد على سير الاوزاعي ، فيبحث في أمور الجهاد والغنائم وأحكام السلم والحرب . ويتطرق إلى بيان أقوال الإمام الاوزاعي فيها ، ثم يقارنها ويرد عليها بما جاء عن أئمة المذهب الحنفي . وهذا الكتاب نشرته لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدر آباد . وكذلك نشر الكتاب في الجزء الأخير من كتاب الأم للشافعي ، مع تعليقات هذا الإمام عليه .

وأما كتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى ، فإنه طبع أيضاً في آخر كتاب الأم ، مع تعليقات الشافعي عليه . ففي هذا الكتاب يذكر ابو يوسف الخلاف بين أستاذيه في ابواب الفقه المختلفة ـ وهو خير من اطلع على هذا الخلاف ـ ثم يقارن ذلك بما قاله بعض أئمة السلف كالإمام علي وابن عباس والقاضي شريح وغيرهم ، وينتهي إلى مايراه صوابا ، وهو غالباً ما يكون مع أبي حنيفة . وعلى كل ، فهذا النوع من الكتابة والتصنيف يدل على التدقيق العلمي العميق ، وعلى الخبرة الواقعية والدراية العملية . وهو مساهمة ثمينة فيما عرف باختلاف الفقهاء ، أو بحث مقارنة المذاهب والشرائع .

نهج أبي يوسف الفقهي :

كان نهج أبي يوسف في أصول الفقه نهج مدرسة العراق ومدرسة أهل الرأي على العموم . ولكنه قبل بكثير من الأحاديث النبوية التي صحت عنده ، والتي لم يقبل بها سائر أصحابه . فلذا كان يميل أحياناً إلى أهل الحديث وإلى الأدلة النقلية من كتاب وسنة ، إذ روي عنه أنه قال عند

وفاته : « كل ما أفتيت به فقد رجعت عنه ، إلا ماوافق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ » .

وكذلك روي عن الإمام احمد بن حنبل أنه قال : « أول ماطلبت الحديث ذهبت إلى أبي يوسف القاضي » . ولكنه لم يحدّث عنه لا هو ولا معظم المحدثين الثقات في صحاحهم وسننهم .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد كانت طريقة أبي يوسف طريقة أهل الرأي اجمالا . فلذا توسع مثلهم في الاجتهاد واعمال الرأي ، بطريق الأدلة العقلية من اجماع وقياس واستحسان . لا بل رويت عنه أقضية كان فيها أكثر تحرراً من سائر أصحابه في المذهب ، كما نرى من الأمثلة التي نعرضها فيما بعد .

ولا يسمح لنا المجال بتفصيل هذه الأدلة جميعاً . ولكن لابأس بتوضيح وجيز لدليل الاستحسان ، بالنظر لتأثيره في بعض أقوال أبي يوسف بوجه خاص .

فالاستحسان ، كما عرّفه السرخسي صاحب كتاب المبسوط في شرح كتب ظاهر الرواية في المذهب الحنفي ، هو « ترك القياس والأخذ بما هو أوفق للناس ... وترك العسر لليسر » . وقد أسنده إلى الآية الكريمة « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » ، وإلى الحديث الشريف : « خير دينكم اليسر » ، والى أمثال ذلك من الأدلة والسابقات . وبكلمة أخرى ، الاستحسان هو دليل شرعي معناه ترك القياس واتباع ما يقتضيه العرف أو المصلحة أو الضرورة أو الحاجة . مثاله : جوّز الحنفية بيع الوفاء لحاجة الناس اليه ، وذلك بطريق الاستحسان وخلافاً للقياس .

وقد برز أثر الاستحسان الفقهي وأثر منصب القضاء والمشاورات الإدارية في مواضيع عديدة من أبواب الفقه التي عالجها أبو يوسف . منها عنايته بالخراج وأمور الادارة ومسؤولية الولاة . ومنها توسعه في المخارج أو الحيل الشرعية ،

وتغير الاجتهاد وفق تغير الحاجات والعادات ، والتيسير للضرورة وعموم البلوى ، ومنع التعسف في استعمال الحقوق ، وبعض الأقضية الخاصة . ونحن نذكر بعض الأمثلة من هذه المسائل جميعا .

الخراج والإدارة :

من الكتب التي صنفها أبو يوسف ووصلت الينا كتابه المشهور في الخراج . وهو رسالة قيمة كتبها الى الخليفة هارون الرشيد ، تبحث بوجه أصلي في الغنائم والخراج والصدقات والجزية والعشور وسائر أمور الدولة الضرائبية والمالية ، كما تبحث بايجاز في بعض أحكام الضمان وما أشبه .

والرسالة مصدرة بمقدمة كلها عظات وحكم ، تنوه بفضل العمل والتقوى ، وتؤكد على أهمية العدل والمساواة بين الرعية . ومن هذه الحكم ما سار مثلا بين الناس وتواتر على الألسنة . نذكر ببعضها ان نفعت الذكرى .

قال ابو يوسف للرشيد في العمل والإصلاح : « لا تؤخر عمل اليوم الى غد ... وليس شيء أحب إلى الله من الإصلاح ولا أبغض اليه من الفساد » .

وقال له في التأني والتقوى والمساواة : « واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد ، ولا تخف في الله لومة لائم ، واحذر فان الخوف بالقلب وليس باللسان ، واتق الله فانما التقوى بالتوقي ومن يتق الله يقه » .

أما في العدل ، فقد أكثر النصح ، وحذّر من الجور وذكّر بالمسؤولية ، حيث قال : « ان الرعاة مؤدون الى ربهم ما يؤدي الراعي الى ربه ، فأقم الحق فيما ولاّك الله وقلدك ولو ساعة من نهار ... وجور الراعي هلاك للرعية ، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة ... ويجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب » .

ثم تعرض أبو يوسف في كتابه إلى مسألة خطيرة ، ألا وهي مسؤولية الدولة في المحافظة على حقوق الرعية . فقال : « ليس للإمام أن يخرج شيئاً من يد أحد إلا بحق ثابت معروف » . وروى عن عمر بن عبد العزيز كيف عوّض رجلا من إفساد زرعه بسبب مرور الجيش عليه .

وهذا مثل رائع عن مسؤولية الإدارة عن ولاتها وعمالها ، وتوكيد لفكرة المصلحة العامة وواجب الدولة في رعايتها وفي خدمة الرعية ، مصداقاً لقوله ﷺ : « الإمام راع ومسؤول عن رعيته » . وهذه لعمري قاعدة عادلة ، توافق أحدث النظريات في مسؤولية الدولة في العلم الإداري اليوم . ومعناها أن الدولة وموظفيها ، كباراً كانوا أم صغارا ، هم خدام الرعية وحماة حقوقهم ، لا أسيادهم وظَلاّموهم . وقد صدق المعري حيث انتقد من تناسى هذه القاعدة بقوله :

ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدَوا مصالحها وهم أجراؤها

ولم يكتف أبو يوسف بتنبيه الرشيد الى هذه القاعدة فحسب ، بل أشار عليه بالإشراف الفعلي على تطبيقها ، وذلك باقتراحه عليه : « أنا أرى أن تبعث قوماً من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به في البلاد ، وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به وعلى ما وظف على أهل الخراج واستقر . فإذا ثبت ذلك عندك وصح ، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ ، حتى يؤدوه بعد العقوبة الموجعة والنكال ... » . فهذا والله من أحسن الإشراف ، وأحزم الرقابة ، وأصوب النظر الى مصلحة الرعية ، وأصح المحافظة على الولاية العامة كما يجب أن تكون . ثم بمعناه أشار أبو يوسف على هارون الرشيد بوجوب أمر القضاة أن يضعوا في بيت مال المسلمين ما يقع في أيديهم من مال الغرباء وليس لذلك طالب ولا وارث ، أو ما وجد مع اللصوص مما ليس له طالب ولا مدع . وهذا كله حرص على مال الرعية ومال الدولة جميعا .

أما بحث الخراج وسائر الضرائب ، فهو بحث قيم ، يلقي نوراً واضحاً على أحكام هـــذه المسائل ، من الناحيتين التاريخية والفقهية . ولم يكتف أبو يوسف بتوضيح ذلك ، بل دقق فيما جرى عليه أئمة السلف من تعديل لأحكام الخراج ، وذكر أدلتهم بروح علمية انتقادية .

مثاله ذكر أبو يوسف كيف كان مقدار ضريبة الخراج في ايام عمر ابن الخطاب (ض) ، ثم كيف تغير في أيامه وفاقاً للمصلحة . وكذلك ذكر كيف كان العمل قبل عمر ان تقسم الأرضون بين الفاتحين كما توزع الغنائم بعد حسم خمسها ليصرف في مصارفه الشرعية وفاقاً للآية الكريمة في سورة الأنفال ، ثم كيف عَدَل عمر عن هذا النهج بعد فتح الشام والعراق ومصر وخراسان ، إذ رفض توزيع الأرضين بين الفاتحين ، بل أبقاها بيد أهلها بعد أن وضع عليها الخراج ووضع عليهم الجزية ، وذلك لأجل تأمين موارد دائمة للدولة .

وكذلك وردت في كتاب الخراج أحكام أخرى كثيرة في فروع الفقه ، لاسيما في مسألة الضمان في التصرفات الفعلية والجنايات . وسنرى بعض الأمثلة منها فيما بعد .

المخارج والحيل الشرعية :

اختلف الفقهاء كثيراً في جواز الحيل والمخارج في مسائل الفقه . فجمهورهم ، ومنهم الأئمة مالك والشافعي وابن حنبل ، حرموا الحيل جميعاً على اعتبار انها ذرائع تفوّت مقاصد الشريعة ، وإنه يجب سد كل الذرائع لإحياء هذه المقاصد وتطبيقها .

ومنهم من أجاز الحيل بشروط معلومة ، كما نرى ذلك في كتب بعض الحنفية ، أمثال كتاب أبي بكر الخصاف في الحيل . وقد نسب إلى

الإمام أبي يوسف أنه ألف كتاباً في الحيل . ولكنه لم يصل إلينا ، بل نقلت إلينا بعض الأمثلة منه .

وخلاصة طريقة الحيل أو المخارج المشروعة ، التي جوزها أبو يوسف وأمثاله ، انها ـ بعبارتهم ـ تدابير لطيفة لا تصطدم مع النصوص ، ويقصد منها التخلص من المآزق والمآثم والحرام ، والخروج إلى الحلال من غير إبطال حق أو احقاق باطل أو الدخول في التمويه والشبهة .

مثال ذلك ما روي عن أهل الرأي من انهم اعتبروا اليمين على نية الحالف ان كان مظلوماً ، على حين أن الأصل في اليمين أن تكون على نية المستحلف لتعلق حقه به . وما هـذا الاعتبار إلا للخروج من الظلم من دون ابطال حق الغير .

وكذلك روى الخطيب عن أبي يوسف أن أمير المؤمنين هارون الرشيد استدعاه مرة إلى داره ليلا ، وأخبره أن عيسى بن جعفر ، الذي كان يجلس إلى جانبه ، رفض أن يهبه جاريته أو ان يبيعها منه ، متعللا بأنه كان قد حلف يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة مايملك أن لا يبيع تلك الجارية ولا يهبها . وطلب الرشيد إلى أبي يوسف أن يجد له مخرجاً من ذلك . فأجابه : « يهب لك نصفها ويبيعك نصفها » ، على اعتبار أن اليمين كانت على البيع الكامل أو الهبة الكاملة لا على بيع البعض أو هبته . وهكذا انتهى الأمر حسب فتوى أبي يوسف ، وأخرجت حيلته الاثنين من المأزق من غير إبطال حق ولا إحقاق باطل .

ولا شك في أن المجال لايسمح هنا باطالة شرح هذا الموضوع ، ولا التبسط في أمثلته العديدة ، التي سردها وافترضها الفقهاء الحنفية ، الذين صنفوا في المخارج والحيل .

تغير الأحكام :

من أهم القواعد التي أفتى بها أبو يوسف بطريق الاستحسان قاعدة تغير الأحكام . فهذه القاعده قد نوّه بها كثير من الفقهاء ، أمثال العز بن عبد السلام وابن قيّم الجوزية وشهاب الدين القرافي ونجم الدين الطوفي وغيرهم . ومعناها تغيّر الاجتهاد والفتاوى والأحكام بتغير الأزمنة والأمكنة والأحوال ، تبعاً لتغير العلة أو العادة أو لاقتضاء الضرورة أو المصلحة ، وذلك وفق الضوابط والشروط التي وضعها الفقهاء .

ومن أمثلة تطبيق هذه القاعدة ، التي رواها ابو يوسف في كتاب الخراج والتي أشرنا إليها آنفاً ، تنقيص ضريبة الخراج في أيامه عما كانت عليه في أيام عمر بن الخطاب (ض) ، بسبب تغير الأمصار والأحوال .

ولا بد من الإشارة إلى أن الرأي السائد عند جمهور الفقهاء وأئمة المذاهب ، ومنهم أبو حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن الشيباني ، يحصر قاعدة تغير الأحكام في المسائل التي لا نص عليها في أدلة الشرع المنقولة . أما إذا كان في المسألة نص شرعي ، فالأصل اتباع النص والتزامه وعدم الخروج عنه ، ولو تغيرت الحاجات والعادات والأعراف ، لأن « النص أقوى من العرف والعادة والاجتهاد » ولأنه « لا مساغ للاجتهاد في مورد النصّ » كما جاء في القواعد الكلية .

أما قاضي قضاة بغداد أبو يوسف ، فقد قال بأنه إذا كان النص الشرعي مبنياً على العرف والعادة ، ثم تغيرت العادة ، فيجوز اتباع العادة استحسانا لأنها « كانت هي المنظور إليها » في النص الشرعي نفسه . وهذا ، كما نرى ، تطبيق واسع للقاعدة الكلية الأصولية : « إن الحكم الشرعي المبني على علة يدور مع علته وجوداً وعدماً » .

مثاله كان البر والشعير في أيام النبي (ﷺ) من المكيلات ، أي كانا يباعان بالكيل . وهكذا ورد الحديث الشريف باعتبارهما كذلك . ولكن العادة كانت تغيرت في أيام أبي يوسف ، وأصبحت هذه الأشياء من الموزونات أي أصبحت تباع بالوزن . فأقر ابو يوسف العادة الجديدة ، على الرغم من النص الشرعي ، وذلك باعتبار أن العادة كانت هي علة النص وشرط تطبيقه ، وان تغير العلة ينفي شرط تطبيق الحكم المبني عليها .

وبعبارة أخرى ، كما نقل ابن عابدين ، « انما أراد (أبو يوسف) تعليل النص بالعادة ، بمعنى انه انما نُص على البر والشعير والتمر والملح بأنها مكيلة وعلى الذهب والفضة بأنها موزونة لكونها كانا في ذلك الوقت كذلك . فالنص في ذلك الوقت انما كان للعادة ، حتى لو كانت العادة في ذلك الوقت وزن البر وكيل الذهب لورد النص على وفقها . فحيث كانت العلة للنص على الكيل في البعض والوزن في البعض هي العادة ، تكون العادة هي المنظور اليها . فان تغيرت تغير الحكم . فليس في اعتبار العادة المتغيرة الحادثة مخالفة للنص ، بل فيه اتباع النص » .

وبعبارة أخرى ، فاستحسان أبي يوسف في قاعدة تغيير الأحكام لايعني تغيير النص لا سمح الله . فالنص الشرعي مقدس عنده وعند غيره ، لا يجوز مسه بحال من الأحوال . ولكن معنى هذا الاستحسان هو اتباع النص نفسه ، لأنه مبني على عادة ظاهرة ، فيستوجب استيفاء شرط تطبيقه ، وهو بقاء علته أي العادة التي بني عليها .

ومثل آخر طريف رواه الخطيب عن استحسان أبي يوسف . وهو أن أم جعفر كتبت اليه تستفتيه في قضية ، فأفتاها بما أحبت ، فبعثت اليه بهدية ثمينة تحوي الفضة والطيب والدراهم والدنانير . فرآه جليس له ، فروي له عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من أهديت له هدية فجلساؤه

شركاء فيها » . فأجابه أبو يوسف : « كان ذلك حين كانت هدايا الناس التمر واللبن » . وبكلمة أخرى ، تخلص أبو يوسف من الحكم الشرعي الوارد في الحديث ، بتغيير العادة التي بني عليها ذلك الحديث ، والتي اعتبر انها كانت المنظور اليها فيه .

وبرأي أبي يوسف أخذت مجلة الأحكام العدلية العثمانية ، اذ نصت على انه « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان » (المادة ٣٩) . وهي قاعدة من قواعد كتاب الجامع المعروف . وقد أوضحت لجنة المجلة هذه المادة ، بقولها في تقريرها ، الذي رفعته بشأنها إلى الصدر الأعظم : « انه بتبدل الأعصار تتبدل المسائل التي يلزم بناؤها على العرف والعادة » .

وهذا ، كما نرى ، قول وجيه . يدل على تعمق تفكير أبي يوسف وأمثاله ، وعلى تأثرهم بمطالب القضاء العملية ، وعلى فائدة الاستحسان في التيسير على الناس ، وفي تطوير معاملاتهم وفق مقتضيات الحضارة والتقدم والفلاح .

قاعدة التيسير للضرورة :

من نظائر قاعدة تغير الأحكام قاعدة أخرى ، هي التيسير في المعاملات بسبب الضرورة ولرفع المشقة والحرج . وقد وردت هذه القاعدة في كتب الفقه بعبارات عديدة . منها : « المشقة تجلب التيسير . والأمر إذا ضاق اتسع . والضرورات تبيح المحظورات » .

ومن الأمثلة على تطبيق هذه القاعدة ، جواز القتل دفاعاً عن النفس ، والترخيص في حالة خوف هلاك النفس بأكل لحم الميتة للجوعان عند عدم الطعام ، أو بشرب الخمر للعطشان عند عدم الماء ، وترخيص الحنفية بشرب الخمر للتداوي استحساناً ، والتيسير أحياناً بسبب العسر وعموم البلوى ، استناداً الى الآية الكريمة : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة » .

وقد قيد جمهور الفقهاء هذه القاعدة بضابط هو : « ان المشقة والحرج انما يعتبر في موضع لا نص فيه » . ومن هؤلاء الإمامان أبو حنيفة وصاحبه محمد بن الحسن الشيباني . أما قاضي القضاة أبو يوسف ، فإنه قال استحساناً باعتبار المشقة والحرج حتى في مواضع النص :

وقول أبي يوسف في هذا المعرض يستند إلى سابقات مروية عن عمر ابن الخطاب وغيره ، وإلى أدلة شرعية أخرى لا مجال لتفصيلها في هذا المقال . وعلى كل ، فهذا القول منسجم مع قول أبي يوسف الذي مر معنا بمناسبة قاعدة تغير الأحكام .

التعسف في استعمال الحقوق :

من أقضية أبي يوسف ، التي خالف فيها القياس ، واتبع الاستحسان مسألة التعسف في استعمال الحقوق .

فمن المعلوم ان استعمال الحق جائز ، وانه لا يوجب الضمان بحد ذاته . لذا جاء في القاعدة الكلية الواردة في الجامع وفي مجلة الأحكام العدلية ان : « الجواز الشرعي ينافي الضمان . مثلاً لو حفر انسان في ملكه بئراً ، فوقع فيها حيوان وهلك ، لا يضمن حافر البئر شيئاً » (المادة ٩١) . وسببه ان حافر البئر فعل ما هو جائز شرعاً ، وان الجواز الشرعي هذا يرفع عن الفاعل مسؤولية الضرر الذي لحق بالحيوان ، بسبب وقوعه وهلاكه في البئر المحفورة .

غير انه في بعض الأحوال قد يسبب استعمال الحق أضراراً جسيمة للغير ، وقد يكون حاصلاً بطريق التعسف . فهل يمنع هذا الاستعمال المضر أو يكون سبباً للضمان ؟ اختلفت المذاهب والقوانين في ذلك ، ولا مجال هنا لتفصيل الخلاف .

ولكن المهم ان الأئمة الحنفية اختلفوا فيما بينهم في الجواب عن هذا السؤال الدقيق، لا سيما في قضية المعاملات الجوارية . فقال أبو حنيفة ، كما روي في فتاوى قاضيخان ، ان : « من تصرف في ملكه لا يمنع عنه وان كان يتضرر جاره به » . وبهذا الرأي أخذ المذهب الحنفي في ظاهر الرواية عملاً بالقياس .

أما أبو يوسف ، فإنه ترك القياس ، وقال بعكس ذلك استحساناً . وبرأيه أخذت مجلة الأحكام العدلية ، حيث جاء فيها أنه « لا يمنع أحد من التصرف في ملكه أبداً إلا إذا كان ضرره لغيره فاحشا » (المادة ١١٩٧) . وانه « يدفع الضرر الفاحش بأي وجه كان ... » (المادة ١٢٠٠) .

وهذا الاستحسان مبني على القاعدة الكلية في كتب الأشباه والنظائر وفي المجلة . وهي : « درء المفاسد أولى من جلب المنافع » (المادة ٣٠) . ومعنى ذلك ان المرء يمنع من استعمال حقه إذا نتج عنه ضرر فاحش لجاره ، لأن منع الضرر الفاحش عن الجار أولى من ابقاء المنفعة لصاحب الحق . وهو قول وجيه ، يوافق فكرة العدالة الاجتماعية ، التي لا تنظر إلى الحقوق نظرة فردية مطلقة ، بل تعتبرها نسبية مقيدة بالمصالح التي ترتكز عليها . وهذه المصالح يقيد بعضها بعضاً ، لأجل ايجاد التوازن بين الحقوق المتضاربة ، ولأجل سعادة أصحابها في الحياة الاجتماعية .

ونظرية التعسف في استعمال الحقوق تعد اليوم من أهم النظريات العصرية . وهي بوجه عام مبنية على فكرة نية الضرر ، التي سبق ونوّه بها أحد فقهاء المالكية في القرن الثامن الهجري ، ابرهيم اللخمي الغرناطي المعروف بأبي اسحق الشاطبي ، في كتابه الموافقات في أصول الشريعة . ولا مجال في هذا المقال للتوسع في تفصيل معنى هذه النظرية .

أقضية وفتاوى خاصة :

أقضية أبي يوسف القاضي ، وفتاوى أبي يوسف الفقيه ، واجتهادات أبي يوسف المجتهد ـ كلها أكثر من أن تحصى . وهي متفرقة في كتب الفقه الحنفي العديدة ، وفي غيرها من كتب المقارنات الفقهية . فلا مجال اذن لحصرها في مقال أو في كتاب .

غير أن لبعض هذه الأقضية والفتاوى والأقوال اتجاهاً خاصاً ، يصور لنا تعمق أبي يوسف ودرايته وتدقيقه وعدالته ، ويعطينا دليلاً على تأثره بمنصب القضاء وبصعوبات المنازعات القضائية التي عاناها .

ونحن نذكر بعض الأمثلة البارزة منها ، وقد وردت في معرض أبحاث البينة ، وحماية النية والإرادة في العقود والتصرفات ، وتوثيق الحقوق بالكفالة ، وتسهيل المعاملات وتيسيرها . ووردت بوجه خاص في باب الضمان في التصرفات الفعليـــة ، أو ما نسميه بالمسؤولية الجرمية المدنية في الاصطلاح الحديث .

أولا ـ البينة .

قال النبي العربي (ﷺ) : « لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم ... » . لذلك كان للاثبات والبينات أهمية كبرى ، وكان من اللازم التحوّط في تدقيقها وقبولها .

فمن الضوابط الأساسية في المسألة ان البينة لا تقبل على عكس الاقرار ، لأن الإقرار أقوى البينات ، ولأن المرء مؤاخذ باقراره . ولكن بعض الفقهاء ، ومنهم أبو يوسف ، قالوا بأن المقر ان يحلّف المقر له اليمين في مثل هذه الحالة . وبقولهم أخذت مجلة الأحكام العدلية (المادة ١٥٨٩) .

ومثل آخر : على الرغم من أن الأصل ان لا يحلف أحد اليمين إلا بطلب خصمه ، فقد ذكر بعض الأئمة أحوالاً أعطوا فيها الحاكم الحق بأن يحلف

المدعي اليمين بلا طلب ، توثيقاً لدعواه وحرصاً على احقاق الحق . من ذلك ما قضى به أبو يوسف من أنه إذا طالبت المرأة بفرض نفقة على زوجها الغائب ، تحلف بالله انه ما خلّف لها زوجها شيئاً ولا أعطاها النفقة . وبقوله أخذ المذهب الحنفي .

ثانياً ـ حماية النية والإرادة في العقود والتصرفات .

من تعمق أبي يوسف في مقاصد الأحكام ومعاني الأشياء ، ومن حرصه على احياء تعامل الناس وفق عاداتهم انه خالف أبا حنيفة أيضاً في تفسير نية المتعاقدين أحيانا . مثاله إذا تعارض المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في قضية ما ، وكان استعمال المعنى الثاني غالباً ومستمراً في العرف ، فان ابا يوسف يفضله على المعنى الحقيقي ، باعتباره يمثل نية المتعاقدين . وبقوله أخذت مجلة الأحكام العدلية العثمانية في القاعدة الكلية أن « الحقيقة تترك بدلالة العادة » (المادة ٤٠) .

ومن أمثلة حماية الإرادة مسألة الحجر على السفيه ، أي على المبذر والمسرف والمغفل . فأبو حنيفة منع هذا الحجر ، لأنه تصرف على النفس ، والنفس أعظم خطراً من المال ، فلا يجوز عنده تضييق حرية المرء الشخصية المحافظة على ماله . ولكن أبا يوسف وجمهور فقهاء المذاهب خالفوه في ذلك ، وجوزوا الحجر على السفيه ، بالاستناد الى أدلة عديدة من المنقول والمعقول . وقول أبي يوسف وأترابه قول عملي يوافق عادات الناس في معاملاتهم الاجتماعية ، لأن السفيه ضعيف الارادة ، والحجر عليه حماية له من استثمار المحتالين ، ومحافظة على نفسه وماله جميعا .

وكذلك جوّز أبو يوسف الحجر على المديون المفلس أو المماطل بناء على طلب الغرماء ، وذلك خلافاً لأبي حنيفة أيضاً .

وقريب من ذلك مخالفة أبي يوسف لظاهر الرواية في المذهب الحنفي في مسألة الولاية على المعتوه ، إذ خصصها بالحاكم عملاً بولايته العامة ، وكذلك

خالف ظاهر الرواية بقوله بجواز تخصيص وصاية الوصي المختار في الولاية على المال .

ثالثاً – توثيق الحقوق بالكفالة القضائية .

للزوجة حق النفقة في ذمة زوجها . فإذا خيف سفره ، أجاز أبو يوسف للزوجة استحساناً أن تأخذ الكفيل من الزوج قبل سفره تأميناً لنفقتها مدة شهر . وقوله هو المفتى به في المذهب الحنفي .

وكذلك إذا كان بين الورثة حمل ، وأراد هؤلاء اقتسام التركة قبل ولادته ، فقد اشترط عليهم أبو يوسف ، علاوة على توقيف حصة ولد واحد ، أن يقدموا كفيلاً يضمن حصة الحمل إذا ولد متعددا .

رابعاً – تسهيل المعاملات .

مسائل الفقه معقدة عويصة ، ولا يعرف قدر ذلك إلا من خبرها وعاناها من ولاة القضاء . فلذا نراهم يسعون ما أمكن إلى تبسيطها وتيسيرها ، تصحيحاً للعقود والمعاملات، وتسهيلاً لفصل الخصومات ، ورفعاً للمشقة والحرج .

ومن ذلك أقضية أبي يوسف في أعمال الفضولي ، والتوسع في إحيائها بطريق الاستحسان . مثاله : إذا باع الفضولي ثوباً بلا اذن صاحبه ، فخاطه المشتري قميصاً ، فأجاز المالك البيع ، كان هذا البيع جائزاً عند أبي يوسف .

وكذلك اذا اقتسم الشركاء التركة وبعضهم غائب ، توقف نفاذ القسمة على اجازة الغائب . ولكن إذا مات الشريك الغائب قبل الإجازة ، ثم أجاز ورثته عنه ، فلا تصح الإجازة عند الإمام محمد بن الحسن عملاً بالقياس ، ولكنها تصح استحساناً عند الإمام أبي يوسف .

ومن أقضية أبي يوسف العملية قوله في الوقف انه يلزم بمجرد صدور صيغته مستوفية شروطه ، ولا يتوقف لزوم الوقف عنده على حكم أو تسليم ،

على حين ان ذلك يتوقف على حكم القاضي عند أبي حنيفة ويتوقف على التسليم عند محمد بن الحسن .

ومن باب تسهيل فصل القضايا في الإرث توزيع التركة بين الورثة المعروفين بذوي الأرحام . فأبو يوسف قال بقسمة التركة بينهم أحياناً بالنظر إلى صفة رؤوس الفروع ، لا صفة أصولهم كما قال محمد بن الحسن ، حسبما هو مفصل في كتب المواريث .

ومثل أخير : أجاز أبو يوسف البيع والشراء بثمن المثل بين المريض بمرض الموت وأحد ورثته ، وذلك خلافاً لقول أبي حنيفة ، الذي اعتبر مثل هذا البيع مشبوهاً وموقوفاً على اجازة الورثة بعد وفاة المريض .

خامساً ـ الضمان في التصرفات الفعلية .

لا شك في ان ميدان التصرفات الفعلية كان من أخصب ميادين الفقه والقضاء . ففيه يبرز علم القاضي ودرايته وخبرته ، ويظهر تفهمه لحقائق الأمور ولحاجات المجتمع . وهذه التصرفات ، كما هو معلوم ، تتعلق بأعمال المرء غير المشروعة وبالجرائم التي يرتكبها وينجم عنها ضرر للغير .

ففي هذا الميدان ، كان لقاضي القضاة أبي يوسف أقضية نادرة وأحكام طريفة ، نذكر بعضاً منها على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر أو الإسهاب .

ففي مسألة غصب الصبي والتقصير في حفظه ، لو قتل الصبي نفسه أو رمى نفسه من الدابة بسبب هذا التقصير ، فإن الغاصب يضمن الضرر في قول ابي يوسف .

وكذلك في مسألة الضرب أو الجراح التي لا تترك أثراً بعد برئها ، قال أبو يوسف بأن للمضروب أو المجروح ان يطالب الجاني بما أنفقه من ثمن الدواء وأجرة الأطباء .

ومن أطرف الأقضية والفتاوى ما روي عن أبي يوسف في مسألة حفر البئر في الطريق العام . فإذا عثر رجل بحجر فوقع فيها ، فالضمان على واضع الحجر كأنه دفعه بيده . فإن لم يعرف للحجر واضع ، فالضمان واجب على صاحب البئر . وإذا زلق رجل بماء صبه رجل آخر في الطريق فوقع في البئر ، فيلتزم واضع الماء بالضمان . فإن كان الماء ماء سماء فزلق به رجل فوقع في البئر فعطب ، فالضمان واجب على صاحب البئر . أما إذا أمر أحد أجيره بحفر البئر في الطريق العام ، فوقع فيها رجل ومات ، كان الضمان على قبيلة (عاقلة) المستأجر الآمر ، وذلك بطريق الاستحسان .

وكذلك لو حفر أحد بئراً بلا اذن اولي الأمر ، فوقع فيها انسان ومات جوعاً أو غماً ، فأبو حنيفة نفى الضمان عن صاحب البئر ، ومحمد بن الحسن أوجبه عليه . أما أبو يوسف ، فإنه أوجب الضمان في حالة الموت غماً ، لا في حالة الموت جوعا .

وأيضاً في مسألة بيع الكلب العقور ، فقد منعه أبو يوسف لعدم المنفعة منه ، خلافاً في ذلك لسائر أئمة المذهب الحنفي .

☆ ☆ ☆

ونحن في هذا المقال الوجيز ، وفي هذا المجال اليسير ، نكتفي بما ذكرنا من الأمثلة . ففيها الدلالة الكافية على ان أبا يوسف ، الذي كان أول من لقب بقاضي القضاة في بغداد وفي العالم العربي والإسلامي ، وأول من ارتدى زيّ العلماء الخاص اجلالاً للعلم والقضاء ، ان أبا يوسف جمع الى التبحر العلمي العميق التفرس العملي الدقيق . وقد اكتسب مبادىء الفقه من أبي حنيفة ، ومبادىء القضاء من ابن أبي ليلى ، ولكنه زاد على ما اكتسب ، بجده واجتهاده ، كثيراً من قواعد علم الفقه وضوابط فن القضاء .

وان فوز أبي يوسف في جمعه للعلم مع العمل ، وللفقه مع القضاء بآن واحد ، يفسر لنا كيف تمكن هذا الفقيه القاضي من أن يوفق بين كونه أشد محافظة من أصحابه في المذهب من ناحية ميله إلى أهل الحديث من جهة ، وبين كونه أكثر منهم تحرراً وتوسعاً في الرأي من جهة ثانيه ، على ما أوضحنا في تطبيقه الاستحسان في مسائل تغير الأحكام ، والتيسير للضرورة ، ومنع التعسف في استعمال الحقوق .

فالتطبيق العملي لا يتقيد بنهج واحد ، بل يرتكز على أساس العدالة الثابت ، ثم يتفرع منه توسعاً وتحرراً حسب متطلبات الحياة وحاجات الحيوية . وبهذا أثبت أبو يوسف ، كما أثبت غيره قبله وبعده ، ان الشريعة الغراء كانت تماشي الحضارة في جميع الأمصار والأعصار ، لا بل كانت تمشيها وتوجهها تبعاً لسنة التطور والتقدم .

صبحي المحمصاني

حقائق التاريخ وقواعد البناء

جاء في مقدمة تاريخ البابليين وشريعة حمورابي (أن التاريخ بمعناه الصحيح ، دراسة الحياة البشرية وما انتهت إليه مظاهر فعاليتها من وقائع وتجارب ، واحداث ، ونتائج ، ومعرفة الأسباب التي أدت اليها وما هي غاياتها ، وأهميتها لا بالنسبة الماضي والحاضر فحسب ، بل بالنسبة للمستقبل).

ويشرح الكاتب الغاية فيقول : (ويهمنا ونحن ندرس التاريخ أن تكون دراستنا لا لتمجيد الأشخاص ، ولا لبيان محاسن الأمم ، ومساوىء الشعوب ، ولا لسرد الوقائع الحربية من فتوحات ، وقتل ونهب وغيرها ، ولا لذكر الانتصارات ، والانكسارات وأسبابها ، ونتائجها ، بل لندرس ناحيتين مهمتين لها ارتباطها الوثيق بالمسببات والغايات ، والنتائج . الناحية الانقلابية ، أي الثورات ، والانقلابات ونتائجها ، والناحية التطورية ، أي التحولات ونتائجها . لأن الثورات من شأنها ربط الماضي بالحاضر لتهيئة المستقبل)

ويعقب هذا ببيان وجيز عن ماهية الناحيتين فيقول :

(ولما كانت الثورات تلزم الهدم ، وتقوم به فجأة ، فلا تخلو عواقبها من الأخطار والوقوع بالخطأ ، وعدم الاستقرار . وليس من يستطيع أن يتنبأ تماماً عن نتائجها هل هي لصالح الحال والمستقبل أم لضررهما) ؟ .

وأما التحول وهو التطور الذي إذا سار في خطواته الطبيعية وفقاً لقانون (النشوء ، والتقدم ، والارتقاء) القائم على (التغذية والنمو والوراثة ، والاستعداد ، وقابلية التكيف ، وحسن الانتخاب) فإن عواقبه تكون مضمونة ، وتحفظ الحياة صالحة للبقاء ، ودائمة الفعالية والنشاط ، والتقدم

والارتقاء ، مع سلامة الحاضر بما هو معلوم ، وصالح المستقبل بما يمكن أن يكون) .

هذا ماورد في المقدمة لتاريخ بابل ، وشريعة وضعها حمورابي مؤسس أعظم دولة بين دول العالم القديم وكان وضعها في سنة (٢٠٨٤ – ٢٠٨٠) قبل الميلاد . ودامت أحكامها حتى بعد ظهور موسى بستماية سنة ، تدين بها الأمم السامية في أقطارها المتعددة .

والآن ماذا تفيدنا هذه المقدمة ؟

إن الشعوب العربية بأقطارها ودولها تبرز في حياتهـا الحاضرة ثلاث ظواهر : (الأولى) ظاهرة الوعي القومي والسياسي ، (والثانية) ظاهرة الوعي الاجتماعي للتحرر من قيود الماضي وجمود الحاضر ، و (الثالثة) ظاهرة النضال والثورة ضد مايعوق انطلاقتها للنهوض والبناء والتجدد .

وما هو الدافع لهذه الظواهر ؟

أما الدافع والمحرك لها فكما يتراءى للعالم المدقق ليس عاملاً واحداً ، بل هي (القوى الوراثية ، والخلقية ، والفكرية والروحية) الكامنة في جوهرها النفسي وعنصرها القومي ، يضاف اليها (فعالية الحياة في التحرك والعمل لتأخذ مداها بالثورات في بعض الأقطار ، وبالتطور والتحول في أقطار أخرى) ، ثم [الحاجات الزمنية الملحة والتيارات الخارجية الجارفة] .

ولكن أي الطريقين أصلح لبلوغ الهدف والغاية ؟

للاجابة على أحد السؤالين يجب أن نعرف الواقع ، وأن نعطي لكل من الطريقين تقديره وحقه من العلم والتجرد ، والاستقصاء ، والانصاف مع اعتبار الضرورات الداعية لتفضيل واختيار أحدهما ، واعتبار الصراع القائم في العالم بين الشعوب والدول من المؤثرات التي لايستهـان بملاقاتها مع الواقع .

ولما كان هذا الواجب يشمل التعميم والتخصيص فلاختصار البحث نحصر الجواب في واقعنا السوري ونجيب عليه بما يلي :

إن البلاد السورية بما يجري في داخلها من تحولات وانطلاقات تكاد تشابه غيرها من الأقطار العربية ، وتتماثل معها بدوافعها وقاسمها المشترك بينها في (الآمال ، والذهنية ، والتاريخ والتأخر الحضاري وفي العقائد ، والحاجات الزمنية ، وتسلط القوى المستعمرة ، وتغلب الطفرة ، والأنانيات المستحوذة على النفوس) ؟

إذا عرفنا هذا وعرفنا مخاطر الأغراض التي تحرك الثورات ، ومطامع الطبقات الأقلية ، فوضعنا يمكن وصفه ، بأن سورية نظراً للأحداث التي رافقت تاريخ نضالها ، لايزال شعبها يعاني دور التجارب ويعاني الأزمات والصعوبات في تطبيقها ، وتكتنف مجتمعاته ، وطبقاته ، في تفكيرهم وخططهم ، وأعمالهم غيوم القلق ، وعدم الاستقرار ، والخوف من المصير ، لقساوة الظروف ، وتقلب الأحوال ، وقصور الامكانيات ، وحيرة اختيار أفضل الطرق ، لبلوغ الغايات ، ولتدارك مافات والتقدم في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية ، والسياسية والصناعية .

وعليه إذا كان الواقع كما ذكر ، وكانت الظاهرات الثلاث تعني فيما تعني قلب الأوضاع السائدة والخلاص مما مر ، ومن تأثيرها المحسوس المخيف ، وإقامة وضع سليم على أنقاضها ، وأن يكون للثورة قيادة تعمل هي والشعب باخلاص لشعاراتها ؛ فالصواب والسلامة فيما تسعى اليه تكون باتباع مُثُل تتجه نحوها ، وأهداف عملية تسعى لبلوغها ، ومبادىء سليمة تتبعها ، ودعائم قوية تستند عليها ؛ وإلا تمادى الهدم ، وتمادت الأزمات والصعوبات والموانع دون بناء .

وما هو العلاج ؟

يقول العقد الفريد : ان أعرابياً دخل على عبد الملك بن مروان وقال له (يا أمير المؤمنين اليك مني أربع نصائح إن عملت بها استقام ملكك) فسأله مخاطباً . وما هي يا عبد الله ؟

فأجابه قائلاً أولاً (لا تعدنّ عدة لا تثق بنفسك من نجاحها) فقال له عبد الملك أحسنت . وما هي الثانية ؟

فأجابه (لا يغرّنّك المرتقى ، وإن كان سهلاً ، اذا كان المنحدر وعراً) . قال أحسنت . وما هي الثالثة ؟ فقال له (إن لكل شيء نهاية فاخش العواقب) قال أحسنت ، وما هي الرابعة ؟

فأجابه أما الرابعة (فاعلم أن الأمور تأتي فجأة فكن على حذر) . قال أحسنتَ ، ثم قال له عبد الملك (اطلب منا ما تريد نعطك إياه) .

فقال الأعرابي (يا أمير المؤمنين نحن ما جئناك لنطلب مالاً أو جاهاً ، انما جئنا لنطلب منك عدلاً ، فان أعطيتنا اياه كفيتنا مؤنة ما سواه) . فأثنى عليه عبد الملك ، وقال بعدئذ ما زلت أعمل بها حتى استقام ملكي .

هذا ما تفرضه التجارب وحقائق التاريخ وتفرضه قوى الوعي من المثل لضمان السلامة . وأما المبادىء في بناء الحضارة التي تعمل لإشادتها وبنيان صرحها فيرشدنا اليها تاريخنا القومي عند الانطلاقة الأولى لأمتنا ، ولا محيص لنا عن اتباعها واتباع هديها . يقول فيلسوف تاريخ الحضارات (شبنغلر) في كتابه عن تدهور الحضارة الغربية (إن لكل حضارة تاريخاً ، وان هذا التاريخ هو تاريخ النفس الأولية للأمة ذات الحضارة) .

وانه لا يمكن أن تكون هناك حضارتان متماثلتان كل التماثل ، وذلك لأن كل حضارة هي تاريخ مستقل بذاته لا يتأثر بتاريخ أي حضارة أخرى . واذا ما تأثر فانما لا يعبر أبداً عن جوهره بل انما يمثل أشكالاً كاذبة تتنافى

وأصالته الحقيقية ، وينشأ تمثله هذا عن ظروف تحد من حرية عمل النفس الأولية للحضارة ، لكن هذه النفس الأولية المحدودة الحرية تسعى حتى في مثل هذه الظروف الى طبع الحضارة المتأثرة بها بطابعها كما هو الواقع بالحضارة العربية التي تمكنت حتى في اعتمادها القواعد الكلاسيكية في الهندسة المعمارية أن تفرض طابعها على المباني الرومانية ابتداء من عهد (هادريان أحد أباطرة روما) فالبانتيون يعتبر أول مسجد اسلامي بني في التاريخ .

وفي رأي شبنغلر (أن الحضارة تولد وهي تحمل معها صورة وجودها . وهي على صلة رمزية عميقة تكاد تكون صوفية بالمكان الذي فيه ، وبواسطته تريد أن تحقق وجودها وهي تصارع وتناضل داخل المكان الذي اختاره لها مصيرها ، لتنظم كل خليط فيه على صورتها) .

ومعنى ما تقدم (ان الحضارة التي هي من تراث أجدادنا وآبائنا لا يمكن أن يستعاد بنيانها بغير المبادىء التي قامت من أجلها . وبغير الأسس التي شيدت عليها صروحها . في دمشق وبغداد ، والقاهرة ، وفي القيروان ، والأندلس وفي القدس ، وحلب ، وفي المغرب الأقصى ، وفي السند ، وسمرقند ، وطاشكند ، وفي كل قطر أشرقت عليه شمسها بشعاراتها ، وشريعتها ، ومبادئها وأخلاقها وعلومها ، وروحها ، وآدابها ، وصناعاتها ، وفنونها .

والحق لا يمكن فهم وتقدير أي ظاهرة سياسية أو اجتماعية ، أو اقتصادية أو علمية أو أدبية أو خلقية ، إلا بواسطة فهم كل ما للحضارات من مظاهر .

ويرى شبنغلر (ان فكرة الأمة ـ عند العرب ـ تقوم على أساس من الروابط الروحية المجردة . ولذلك فالشعوب العربية في وحدتها تريد من زعيمها أن يتمتع بصفات النبي ومؤهلاته . لأن الأمة العربية ذات وجود روحي يكاد يكون مطلقاً في روحيته . وعليه فالعربي إذا أردت أن تستفزه وتدفع به إلى أقاصي الأرض فعليك أن تتوجه الى وجدانه لا إلى معدته ،

ولذا تلعب النخوة والمروءة والبطولة أدواراً هامة في السلوك الأخلاقي للفرد العربي ، كما ان الإيمان لا للعقل المركز الأول والممتاز لديهم) .

ويستشهد على دعواه بالكتاب الذي وجهه عمر بن الخطاب (ر . ض) في ارشاداته الستراتيجية ، والتكتيكية ، إلى سعد بن أبي وقاص وهو يحارب في العراق جيوش الفرس فيقول له فيه : (أما بعد فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى مكيدة في الحرب . وآمركم أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم . فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم . . . واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه العون على عدوكم) .

ومن هذا الكتاب وغيره استنتج شبنغلر الأدلة على معرفة (سر الحميّا التي دفعت بالحضارة العربية عندما انطلقت من قيودها لتلقي بظلالها على جميع البلدان التي تنتمي إليها باطنياً منذ قرون وقرون سبقت انطلاقتها الأولى) . ويضيف عليها (ان النفس العربية هي في عجلة دائمة من أمرها ، تلاحظ أعراض شيخوختها قبل بلوغ شبابها) . ويسوقه التقدير والاعجاب بهذه النفس المنطلقة الوثابة إلى تعداد أنها فتحت سورية وحررتها سنة ٦٣٤م وفتحت دمشق عام ٦٣٧ م . واكتسحت جيوشها مصر عام ٦٤١ م وبلغ العرب الهند . وفتحوها سنة ٦٤٧ م وحرروا شمالي افريقية . وسمرقند عام ٦٧٦ م ، وسقطت اسبانيا في أيديهم عام ٧٣٢ م وبعدها أخذوا يقرعون أبواب باريس .

ويستنتج أيضاً من سرعة هذه الفتوحات وسعتها (بأن هذه السنوات القلائل ، ضغطت جميع العواطف العربية المدخرة والآمال المؤجلة ، والأعمال المحفوظة وجعلتها تكفي لتملأ قروناً وقروناً من التاريخ) .

ثم أكد بأن الصليبيين أمام القدس ، وسلالة هوهنشاوفن في صقلية

والهانسا في البلطيق ، والفرسان التوتينيين في الشرق السلافي ، والاسبان في أمريكا ، والبرتغاليين في شرقي آسيا ، وامبراطورية شارل الخامس التي لاتغرب الشمس عنها ، وبداية عصر الاستعمار الانكليزي تحت رعاية كرومويل ، كل هذه الانطلاقات تعادل في زخمها ، زخم انطلاقة واحدة حملت العرب إلى إسبانيا وفرنسا ، والهند وتركستان ، وما وراء النهرين) ومن بعد هذا نستطيع الادعاء ونحمل المنصف على الاعتراف ، بأن النفس العربية الأولى ذات قومية متفتحة لاتسعها إلا الإنسانية ، ولا تنتظمها إلا الأخلاق ، والأخلاق الحميدة ، والحميدة فقط على وجه التخصيص [الأخلاق التي تغلّب الحق على المصلحة ، والوجدان على العقل ، والعدل على الظلم والروّية على الاندفاع ، والعطف على الفتك ، أخلاق تنبذُ الميكيافية ، وتؤمن بأن الغاية الشريفة لايجوز أبداً أن يسلك إليها بوسائل غير شريفة] ، فالأخلاق العربية كقوة انسانية تسمو وتتسامى فوق كل مذهب فلسفي ، أو سياسي ، أو اقتصادي ، أو اجتماعي ، أو عقائدي مهما تكنَ شعاراته ، وذلك لأن النفس العربية تسامت فيما مضى فوق كل الأعراف والمفاهيم وأعني بكلمتي فيما مضى ! عهد صاحب الرسالة وخلفائه الراشدين ، ولهذا كل الانطلاقات التي جاءت بعد عهدهم كما قال شبنغلر تعادل في زخمها انطلاقة واحدة حملت العرب إلى اسبانيا وفرنسة وايطاليا والهند وتركستان .

وإقراراً بالحقيقة إن لكل شعب خصائصه وتاريخه ومشاكله . وهي وليدة تطوره الحضاري عبر التاريخ وتطوره الاجتماعي ، والفكري ، والاقتصادي ، والروحي ، ولكل شعب خصائص انسانية حصيلة تراثه الموروث وعلى هذا وإن كنا أهملنا التاريخ عدة قرون قضيناها في سبات عميق ، وخلال قرون عشناها على هامش الحياة ، فما تم في العالم من تبدلات جذرية في الأفكار ، وفي الحاجات وفي وسائل العيش المادية يجبرنا أن

نتلمس حقائق الوقائع ونتكيف مع مقتضيات الزمن وتطلبات المدنية ، والحضارة . والعصر عصر السرعة والذرة ، والصاروخ ، وغزو الفضاء .

ونحن كما قلنا نعمل لهدم ما أورثنا إياه ماضينا من الأوضاع التي أصبحت لاتتلاءم مع انطلاقتنا وإقامة أوضاع سليمة للخلاص من القلق ، والحيرة ، والخوف ، وعدم الاستقرار ، ومن العوز والحاجة والتبعية التي فرضها الاستعمار ، ونناضل لاسترداد ما سُلب من أجزاء وطننا ، وجمع ما تفرق من شملنا ، والإسراع ببناء وحدتنا وحضارتنا ، ولكن لكي نبلغ الغاية ونصيب الأهداف ، ماذا نتذكر ونعمل ؟

يجب أن لا ننسى إحياء النفس العربية وأن نعمل على تغذيتها وتنميتها وتربيتها على المبادىء والفضائل التي تحلت بها نفوس أمتنا في فجر انطلاقتها الأولى ، وترعرع بها وجدانها ، لتغدو مظاهر وعينا الثلاثة وبناء حضارتنا الحالية في التأسيس والنهوض ، منبعثين عنها وعن مقدماتنا ذات الطاقات المبدعة الخلاقة .

ومهما تكن أنواع النظم وأشكال الحكم فلا يستقيم بنياننا ما لم يتحل المسؤولون بالصفات والفضائل ، والمثل العليا ، والمبادىء التي تحلى بها الأولون واتبعوا في حكمهم ومعاملاتهم وفي رعايتهم مصالح الشعب و (دستوره الخالد) ، ومن العدل ، والرحمة ، والصدق في الوعد والعهد ، والإقدام في النضال ، والوفاء لكل ذي حق مشروع ، والنظر الى أفراد الرعية كافة كأنهم أعضاء جسم واحد ، وأفراد عائلة واحدة ، أن يكونوا القدوة المثلى فيما يأمرون وينهون وان يخططوا للأمة ما يقيها شر الانحراف والفوضى ، لأن أخطاء المسؤولين في إدارة الأمور ، وفي توجيه السياسة ، وتخطيط العمل قد يكون عثرة لا تقال .

الدكتور عبد الرحمن الكيالي

العلم في العصر الأموي[1]

.... والذي يبدو أن العرب في العصر الأموي لم يكن لهم اهتمام بالعلوم الرياضية الطبيعية ، لأن اهتمامهم كلّه كان منصباً على العلوم العربية في اللغة والشعر والخطابة والرواية ثم على العلوم الدينية وعلم الكلام خاصّةً . أما ما ورد على لسان العرب ، في شعرهم ونثرهم ، في العصر الأموي ، من الكلام على السماء والنجوم والأرض فكان روايات نصفها ديني ونصفها من إرث الأمم القديمة . ولم يكن البحث العلمي هدفاً لهم في ذلك ، بل كانوا يرمون من ذكر تلك المظاهر الفلكية خاصةً الى ضرب المثل للعبرة أو للتهويل . من ذلك مثلاً [2] ما روي من أن الشمس والقمر طولها وعرضها تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ، وأن سعة الشمس مثل سعة الأرض وثلثها ، وأن سعة القمر مثل الدنيا سواء . وشبيه بذلك قولهم ان السماء كهيئة القبّة وأن الكواكب معلّقة فيها كالقناديل [3] .

ويشذّ عن هذا الاتجاه ، فيما قيل ، خالد بن يزيد بن معاوية . ولكنّ أمر خالد بن يزيد غامض ، وسنبسط القول فيه لأن الفصل في هذا الموضوع مهمّ جدًّا في تاريخ العلم عند العرب .

---

(١) المقال التالي فقرات من فصل في كتاب يعدّه الكاتب في « تاريخ العلم عند العرب » .

(٢) أولى كارلو نلّينو (علم الفلك : تاريخه عند العرب في العصور الوسطى ، روما ١٩١١ ، ص ١٣٧ ــ ١٤٠) هذا الموضوع اهتماما ، وان كانت الأمثلة التي جاء بها ليست قاصرة على العصر الأمويّ وحده ، بل يمكن أن تكون سابقة عليه حيناً أو لاحقة له حيناً آخر .

(٣) القول بأن السماء قبّة وأن النجوم معلّقة (مثبتة) في هذه القبّة قول أناكسيماس الملطي اليوناني (ت ٥٤٦ ق . م .) .

خالد بن يزيد بن معاوية :

تجمع المصادر والمراجع العربية ، في نقل بعضها عن بعض ، على أن اهتمام العرب بالعلوم اليونانية بدأ في العصر الأموي . وأصحاب تلك المصادر والمراجع يذكرون أن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان المُتَوَفّى سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤ م) لمّا يئس من الفوز بالخلافة ، بعد انتقال الخلافة من الفرع السفياني الى الفرع المرواني ؛ انقلب الى العلم ثم درس الكيمياء خاصةً على راهب اسكندراني اسمه مريانوس . ثم إن خالد بن يزيد أمر مريانوس بنقل كتب الصنعة (الكيمياء) الى اللغة العربية . ويبدو أن نقل الطب والفلك أيضاً قد بدأ في العصر الأموي ، ولكن لم يصل الينا شيء مكتوب من العصر الأموي سوى ما ذكره نلّينو[١] من أن كتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب الى هرمس قد نقل الى اللغة العربية سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣ م) ، قبل انتهاء العصر الأموي بسبع سنوات ؛ وأن هذا الكتاب اقتنته المكتبة الامبروسيانية في مدينة ميلانو في مطلع القرن الحالي .

على أن اهتمام خالد بن يزيد بالعلوم اليونانية كان دائماً موضوع نقاش شديد . أما أن خالد بن يزيد شخصية تاريخية فأمر لا جدال فيه البتّة ؛ وأما اشتغاله بالعلم الطبيعي في ذلك الدور المتقدّم من حياة العرب السياسية فأمر بعيد عن الوضوح .

يذكر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ = ٨٦٩ م) خالد بن يزيد فيقول : «كان خطيباً شاعراً وفصيحاً جامعاً وجيّد الرأي كثير الأدب ؛ وكان أول من ترجم كتب النجوم والطبّ والكيمياء[٢] . على أننا نلمح في

(١) علم الفلك . . . لكارلو نلّينو ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ (بتحقيق عبد السلام محمد هارون) القاهرة ١٣٥٦ هـ = ١٩٣٨ م ، ١ : ٣٢٨ .

قول الجاحظ نفسه أن عمل خالد بن يزيد كان الاشراف على نقل العلم لا نقلُ العلم ولا العلمُ ، ولذلك يقول [١] : « ومتى كان خالد مثل أفلاطون ! »

وفي الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م) اشارة الى خالد بن يزيد في هذا الشأن ، هي [٢] : « وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه » .

ثم يأتي ابن النديم (ت ٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م) فيقول [٣] : « كان خالد ابن يزيد بن معاوية يسمّى حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً في نفسه وله همّة ومحبّة للعلوم ، خطر بباله الصنعة فأمر جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصّح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة [٤] من اللسان اليوناني والقبطي الى اللسان العربي . وهذا (كان) أول نقل في الإسلام من لغة الى لغة » . ثم يذكر ابن النديم بعد صفحتين [٥] اصطفن القديم [٦] وأنه نقل لخالد بن يزيد بن معاوية كتب الصنعة وغيرها .

ثم إن ابن النديم يذكر بعد ذلك خالد بن يزيد ويخصه بترجمة موجزة (ص ٤٩٧ — ٤٩٨) يقول فيها نقلاً عن محمد بن اسحق :

---

(١) كتاب الحيوان ١ : ٧٦ .

(٢) الأغاني (طبعة بولاق) ١٦ : ٨٨ .

(٣) الفهرست لابن النديم (طبعة المكتبة التجارية الكبرى) ، مصر ١٣٤٨ هـ ، ص ٣٣٨ .

(٤) الصنعة : الكيمياء القديمة (تحويل المعادن الخسيسة كالنحاس والرصاص إلى معادن شريفة كالذهب والفضّة) .

(٥) الفهرست ٢٤٠ .

(٦) راجع في اصطفن القديم مناقشة يوليوس روسكا .

Julius Ruska, Arabische Alchemistent I (Châlid Ibn Yazid Ibn Muâwiya), Heidelberg 1924.

ص ٩ — ١١ ، ٣٠ الخ .

«كان خالد بن يزيد بن معاوية ، خطيباً شاعراً فصيحاً حازماً ذا رأي . وهو أول من تُرجم له كتبُ الطب والنجوم وكتب الكيمياء . . . ويقال ـ والله أعلم ـ إنه صحّ له عمل الصناعة ؛ وله في ذلك عدّة كتب ورسائل . وله شعر كثير في هذا المعنى رأيت منه نحو خمسمائة ورقة [١] . ورأيت من كتبه : كتاب الحرارات ، كتاب الصحيفة الكبيرة (في الفلك ؟) ، كتاب الصحيفة الصغيرة ، كتاب وصيّته إلى ابنه في الصنعة» .

ويذكر صاعد الأندلسيّ (ت ٤٦٢ هـ = ١٠٧٠ م) خالد بن يزيد فيقول [٢] : «كان بصيراً بالطبّ والكيمياء . وله في الكيمياء رسائل وأشعار دالّة على معرفته وبراعته فيها» .

وعقد ابن خلّكان (ت ٦٨٠ هـ = ١٢٨١ م) ترجمة موجزة لخالد بن يزيد قال فيها [٣] : «كانت له صنعة الكيمياء والطبّ ، وله رسائل دالّة على معرفته وبراعته ؛ أخذ الصنعة من رجل من الرهبان يقال له مريانس [٤] المذكور الرومي [٥] .

وكذلك يذكر ابن الطقطقي (ت ٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م) في كتابه الموجز [٦] خالد بن يزيد بن معاوية فيقول: «وكان فصيحاً بليغاً ، وقيل أصاب عمل الكيمياء» .

---

(١) الورقة نحو عشرين سطرا .

(٢) طبقات الأمم (بيروت) ، ص ٤٨ .

(٣) وفيات الأعيان (مطبعة الوطن الجميلة في ثلاثة أجزاء ، ١٢٩٩) ، ١ : ٣٠٠ ،

(٤) راجع في مريانوس مناقشة يوليوس روسكا في كتابه المذكور آنفا ، ص ٨ ، ١١ ، ٢٦ ، ٣١ وما بعدها .

(٥) المذكور : المشهور (!) .

(٦) الفخري في الآداب السلطانية (عني بنشره محمود توفيق الكتبي ، المطبعة الرحمانية بمصر) ، ص ٨٧ .

وينكر ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ م) أن يكون لخالد بن يزيد ابن معاوية شيء من العلم بالكيمياء فيقول في مقدمته [١] :

« وربّما نسبوا إليه بعض المذاهب والأقوال فيها (في الكيمياء) لخالد ابن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم . ومن المعلوم البيّن أن خالداً من الجيل العربي ، والبداوة إليه أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة ؛ فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركّبات وأمزجتها ! وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم تترجم ، أللهمّ إلا أن يكون خالد بن يزيد آخَر ، من أهل المدارك الصناعية تشبّه باسمه [٢] فممكن [٣] » .

* * *

أما المستشرق الذي أولى خالد بن يزيد عناية خاصّة فهو يوليوس روسكا (١٨٦٧ – ١٩٤٩ م) الألماني [٤] قال [٥] :

---

(١) مقدمة ابن خلدون (دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٦١ م ، ص ٩٧٧ – ٩٧٨) .

(٢) تسمّى باسمه أو كان اسماهما متشابهين .

(٣) في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (المطبعة الوهبية بمصر) ، الطبعة الأولى ١٢٩٩ هـ = ١٨٨٢ م ، ٢ : ٤١ خالد بن يزيد بن رومان النصراني كان من أهل قرطبة ، وكان معاصراً لنسطاس بن جريج المصري . وكان نسطاس هذا في دولة الاخشيديين (طبقات الأطبّاء ٢ : ٨٠ – ٨٦) ، في النصف الأول من القرن العاشر للميلاد) ، راجع أيضاً طبقات الاطبّاء والحكماء لابن جلجل ٨٣ ، ٩٦ . – غير أن هذا لا يبدّل شيئاً من رواية الجاحظ الذي سبق خالد بن يزيد بن رومان بقرن كامل من الدهر .

(٤) تلقّيت علم الجغرافية عند العرب على الأستاذ المستشرق يوليوس روسكا في جامعة برلين ، في الفصل الأول من العام الجامعي ١٩٣٥ – ١٩٣٦ .

(٥) راجع كتاب يوليوس روسكا المذكور نفاً ١ : ٥٥ وما بعدها ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٤٨ – ٤٩ ، ثم قارن ذلك بما بعد في ص ٥٠ (أسفل الصفحة) ، ٥١ – ٥٢ ،

ان كثيراً مما يروى عن خالد بن يزيد في شأن الصنعة (الكيمياء) وفيما يتعلّق باتّصاله براهب اسمه اصطفن أو ماريانوس أو مورينوس، كما يذكر بعض المتأخّرين كابن خلّكان مثلاً، ليس بثبت. على أن هذا لا يعني أن خالد بن يزيد لم يشتغل بالكيمياء قطّ، أو لم يكن يميل الى الاشتغال بها على الأقلّ. ولكنّ الذي نعني: أننا لا نستطيع، من مراجعة ما بين أيدينا من المصادر والمراجع، أن نثبت أو ننفي أنه عمل في الصنعة. وأما الكتب المنسوبة اليه في الصنعة فمنحولة كلّها وليست له. حتّى اصطفن القديم الذي يقال إنه نقل كتب الكيمياء لخالد بن يزيد يجب أن يكون استفانوس الاسكندراني المنجّم الذي عاش في بلاط هرقل امبراطور الروم، وكانوا ينسبون إليه معرفة بالكيمياء. إلاّ أن استفانوس هذا قد توفّي قبل أيام خالد بن يزيد بزمن غير قصير[1].

إذن، ليس لنا دليل، كما يقول يوليوس روسكا، على أن خالد بن يزيد قد ألّف كتباً في الكيمياء أو في غيرها، أو أنه أمر بنقل هذه الكتب إلى اللغة العربية، أو كان له عمل في الكيمياء، ذلك لأن العمل في الكيمياء يقتضي الإلمام بمعارفَ كثيرةٍ لم تكن متوفّرة لخالد بن يزيد أو لغيره من العرب في ذلك الطور الباكر من حياة العرب السياسية. وهذا هو رأي ابن خلدون، كما رأينا قبل قليل.

تفريخ الدجاج آليًّا:

كانت سُكينة بنت الحسين تمازح أشعب الطمّاع فتأمره أحيانا بأن يجلس على سلّة مملوءة بيضاً كأنه دجاجة تحتضن بيضها لتخرج منه فراخ.

(١) راجع فوق، قبل بضعة عشر سطرا؛ مقدّمة ابن خلدون ٩٧٨، السطر الثاني وما بعده.

وأرادت يوماً أن تُخرج مزحها هذا مخرج الجِدّ « فصنعت [١] بيتاً كبيراً من خشب ووضعت فيه تبناً وسرجيناً [٢] ثم وضعت فيه بيضاً كثيراً وأمرت أشعب بأن يحضن ذالك البيض [٣] كأنه طائر يَفْقِسُ بيضَه . فلم يزل (أشعب) يحضن ذلك (البيض) حتّى فُقِسَ وخرج منه الألوف من الفراريج . وربّيت (تلك الفراريج) في دار سكينة ، فكانت سكينة تنسبهن (تنسب تلك الفراريج) إليه وتقول : بنات أشعب » .

وعرف العصر الأموي براعة في الطب على اختلاف أنواعه المألوفة يومذاك ، وفي الجراحة خاصةً . جاء في الأغاني[٤] :

إن سُكينة بنت الحسين خرجت لها سلعة [٥] في أسفل عينها فكبرت حتّى أخذت وجهَها وعينها ، ثم عَظُم شأنها . وكان بدراقس [٦] منقطعاً إليها في خدمتها [٧] . فقالت له (سكينة) : ألا ترى ما وقعتُ فيه : فقال لها : أتَصْبِرين على ما يَمَسُّكِ من الألم حتّى أعالجك ؟ قالت : نعم !

---

(١) الأغاني ١٦ : ١٤٨ — ١٤٩ .

(٢) السرجين والسرقين (بكسر السين فيهما) : الزبل ، روث الحيوان (راجع القاموس) .

(٣) يجلس في جانب من ذلك البيت كأنه يحضن . . .

(٤) ١٦ : ١٦٠ .

(٥) السلعة بكسر السين أو فتحها وسكون اللام ، وتكون أيضاً بفتح السين واللام أو تكون بكسر السين وفتح اللام ، غدّة (بالضمّ وتشديد الدال) أو خراج (بضم الجيم من غير تشديد الراء) أو زيادة في البدن تتحرك إذا حركت ، وتكون من (مقدار) حمّصة (بكسر الحاء وتشديد الميم المفتوحة أو المكسورة) إلى (مقدار) بطّيخة (القاموس ٢ : ٢٩٩) ،

(٦) لم أعثر على تفاصيل تتعلّق بهذا الطبيب (بدراقس) .

(٧) منقطعاً إليها في خدمتها : طبيباً خاصاً لها .

فأضجعها وشقّ جلدة وجهها حتّى ظهرت السلعة ؛ ثم كشط الجلد عنها أجمع وسلخ اللحم من تحتها حتى ظهرت عروق السلعة ، وكان منها شيء تحت الحدقة ، فرفع الحدقة عنه حتّى جعلها ناحية ، ثمّ سلّ عروق السلعة من تحتها فأخرجها أجمع وردّ العين إلى موضعها ، وسكينة مضطجعة لا تتحرّك ولا تئنّ حتّى فرَغ مما أراد . فزال ذلك عنها وبرئت منها ، وبقي أثر تلك الجراحة في مؤخّر عينها ، فكان أحسن شيء في وجهها ، وكان أحسن على وجهها من كلّ حَلْيٍ وزينة . ولم يؤثّر ذلك في نظرها ولا في عينها .

الدكتور عمر فرّوخ

لغة عالمية

لسنا ممن يدعون إلى الاستشهاد بالنصوص المقدسة في مجال العلم ، فللبحث العلمي تطوراته أو زلاته ، ولا يصح لهذا أن ترتبط به العقيدة . فليس يتسم البحث العلمي بالصحة المطلقة ، بل إن نظرياته ونتائجه قد تتعرض للتغير والتبدل عصراً بعد عصر أو جيلاً بعـــد جيل . فبعض ما عدّه « نيوتن » صحيحاً في وقت مّا ، برهن « أينشتين » وأمثاله على خطئه ، وبعض ما عالج به ابن سينا مرضاه يسخر منه أطباؤنا في العصر الحديث . وذلك لأن النظريات العلمية مهما سما قدرها لا تعدو أن تكون جهوداً إنسانية ، اهتدى إليها الباحثون على قدر ما سمحت به عقولهم وتجاربهم ، فليس لها سمة الدوام أو الخلود .

في حين أن العقيدة عند المؤمنين بها عاطفة روحية سماوية ينزهها أصحابها عن تلك الهزات التي قد تعرض لمسائل العلم الدنيوي ، وليس دوام صحتها محل خلاف أو شك عند المؤمنين ، بل توصف دائماً بأنها لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . وربطها من أجل هذا بجهود الإنسان ، وشطحاته في كثير من الأحيان ، يهبط بها من عليائها ويدع تعاليمها عرضة للتغيير والبطلان على توالي العصور والأجيال .

ومع هذا فلست أدري كيف وجدتني أنساق الى الحديث عن موقف الديانات من اختلاف اللغات البشرية وأنا بصدد البحث في تاريخ اللغات ودورها في الحياة الاجتماعية منذ عرفنا التاريخ الى العصر الحديث ؟ ربما لأني وقد قرأت الكثير عن دور اللغة في تاريخ البشرية ، أحسست أن

انطباعاتي من تلك القراءة تتسق إلى حدّ كبير مع فهمي للنصوص المقدسة ، أو ما أستوحيه منها حين عرضت تلك النصوص لاختلاف اللغات وتنوعها بعد أن كانت لغة واحدة .

فتحدثنا التوراة في الإصحاح الحادي عشر من سفر التكوين أن الأرض كانت كلها لساناً واحداً ولغة واحدة . ثم إن الناس قال بعضهم لبعض هلموا نبن لأنفسنا مدينة فيها برج يطاول السماء ، وهلموا نخلع على أنفسنا شعاراً يوحّد بيننا ، ويحول دون تبددنا وتشتتنا فوق ظهر البسيطة . فلما رأى الرب ما هموا بصنعه ، وتبين لحكمته أن وحدة اللغة ستدفعهم الى الطغيان والجبروت فلا يمتنع عليهم أن يعملوا كل ما ينوون عمله بلبل ألسنتهم فلم يعد يفهم بعضهم بعضاً ، وبدّد وحدتهم على وجه الأرض ، فكانت لغات مختلفة لبني الإنسان بالرغم من أنهم أبناء أب واحد وأم واحدة . وتلك هي لعنة بابل التي كثيراً ما يشار إليها في كلام المفكرين من علماء أوربا .

فنصوص التوراة ولا ريب تجعل من اختلاف اللغات بين البشر مظهراً من مظاهر ابتلاء الرب لعباده في الحياة الدنيا حين بدا لحكمته أن توحدهم في لغة واحدة قد استُغل في تحدّي ربوبيته .

فوحدة اللغة كانت في بدء الخليقة خيراً ، أو أريد بها أن تكون خيراً للإنسان ، ولكنه أساء استغلالها ، وتحدّى عن طريقها خالقه . فلولا لعنة بابل لكان الناس أمة واحدة أصحاب لسان واحد ، يتفاهمون بعضهم مع بعض في سهولة ويسر ، ويقضون مصالحهم في الدنيا دون نزاع أو شقاق .

هذا هو مبلغ فهمي لموقف التوراة من اختلاف اللغات ، فما موقف القرآن الكريم ؟ جاء النص على اختلاف الألسنة مرة واحدة في القرآن الكريم وبين آيات سورة الروم ، تلك السورة التي تتضمن بعض آياتها

صورة رائعة لقصة الحياة البشرية فوق الأرض . فيها ست آيات متواليات تبدأ بالآية التاسعة عشرة وتحكي في إيجاز قصة البشرية منذ الخليقة إلى البعث وهي : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ، ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون) .

وهكذا نرى أن هذه الآيات الست تلخص لنا في ايجاز رائع قصة الحياة البشرية فوق الأرض ، وتبدأ كلّ هذه الآيات بعبارة « ومن آياته » أي من علاماته ومن دلائل قدرته وربوبيته وحكمته لعل الإنسان يتفكر ، لعله يسمع ويفهم ، لعله يعقل . فكلمة الآية في الأسلوب القرآني تعني العلامة ، وهو المعنى الأساسي في أكثر ما استعملت فيه ، وعنه يتفرع معنى المعجزة أو الحكمة أو المشيئة ونحوها .

ثم إن كلمة الآية بمعنى العلامة قد توحي بنفع مباشر للإنسان ، مثل (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً) ، وقد تدل في بعض النصوص القرآنية على الضرّ المباشر ، وذلك حين يشاء سبحانه أن يبتلي الإنسان في دنياه ليطهره من شروره وطغيانه . وأوضح مثل لهذا قوله تعالى في آل فرعون :

(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات)، فكل هذه المحن أصابتهم وكانت بمثابة آيات بينات من عند الله .

ولكن كلمة الآية في الأسلوب القرآني وفي أكثر حالاتها لا توحي بأكثر من أنها علامة على قدرة الخالق .

ونتساءل بعد هذا ، هل كان اختلاف الألسنة والألوان من مظاهر نفع الإنسان فوق الأرض كما يقول بعض المفسرين ، أو هو ابتلاء من الله لخلقه في الحياة الدنيا ؟

أما اختلاف الألوان فما نراه الآن في بعض الشعوب من تعصب الإنسان وكراهيته لأخيه الإنسان بسبب اللون ، وبما نسمع عنه من مآسي التفرقة العنصرية لأكبر دليل على أن اختلاف الألوان مظهر ابتـــلاء الإنسان في الحياة الدنيا .

وكذلك الشأن في اختلاف الألسنة واللغات حين نتذكر المآسي التي كانت في كل عصور التاريخ بسبب اختلاف اللغات من حروب وثورات ليس لها من سبب حقيقي سوى أن المجتمعات البشرية قد عجزت عن فهم بعضها البعض حين افتقدت وسيلة موحدة للتفاهم تنتظمهم جميعا .

أما بعد : فهل كتب على الإنسان أن يظل فوق سطح البسيطة أسير تلك الأصوات التي ركب منها ما يسمى باللغات ، والتي تنوعت وتباينت حتى أصبح منها الآن ما يجاوز ألفين من الألسنة تفرق بين الجنس البشري ، وتقيم بين الإنسان وأخيه الإنسان حصوناً لم تستطع المدنية الحديثة بالرغم مما أوتيت من إمكانيات التغلب عليها أو اقتحامها ؟

فكم من مؤتمرات عالمية فشلت ولم تحقق هدفاً لا لشيء سوى أن المجتمعين بها كانوا يصطنعون لغات متباينة ، أو بعبارة أخرى يفكرون بعقليات متنافرة . ولا تزال للترجمة مشاكلها وزلاتها حتى في أرقى الأوساط العالمية كمنظمة الأمم المتحدة .

وصفحات التاريخ زاخرة بالمآسي التي مرّ بها الإنسان بسبب اختلاف اللغات . وأدركت الشعوب والأمم في عصور التاريخ ضرورة الوحدة اللغوية

بين الناس ، فكان أن نشأت في كل عصر تاريخي لغة مشتركة اصطنعتها عدة شعوب حيناً من الدهر ثم بادت أو اندثرت . فاللغة الأكادية أو لغة بابل وأشور تلك التي سادت في حوض دجلة والفرات قد انتظمت العالم القديم فترة من الزمن ، ثم جاءت بعدها الآرامية والإغريقية ثم اللاتينية ثم العربية ، وأخيراً في العصور الحديثة الفرنسية والإنجليزية . وكل لغة من هذه اللغات حاولت ما وسعتها المحاولة أن تصبح لغة الناس كافة .

وأحس بعض المفكرين من اللغويين منذ القرن السابع عشر بضرورة عمل جدي لعلاج هذه الحال ، فقاموا بوضع لغات مصنوعة بلغ عددها عشرات من اللغات ، راجين أن يصبح أيٌّ منها لساناً للناس جميعاً يجمع شملهم ويلم شتاتهم ، وذلك بعد أن يئسوا من تلك اللغات الطبيعية ، ورأوا أن أمثلة التاريخ لا تشجع على أن تصبح إحداها لغة عالمية . وأشهر هـــذه اللغات المصنوعة ما وضع في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . ويكفي أن نشير هنا إلى ثلاث لغات مصنوعة : أولاها تلك التي وضعها مفكر من بافاريا سنة ١٨٧٩ وسماها « فلابيك » Volapük ، وهذا الاسم منحوت من كلمتين معناهما « لغة العالم » . وقد قوبلت هذه اللغة المصنوعة في أول الأمر بحماس كبير ، غير أنه لم يكد يمر عليها أكثر من ثماني سنوات حتى وضع لغوي آخر من بولندا لغة مصنوعة أخرى ، فهجر معظم أنصار الأولى والمتحمسون لها تلك اللغة ، واتجهوا نحو اللغة المصنوعة الجديدة التي سميت « اسبرانتو » سنة ١٨٨٧ .

وقد تلمس هذا اللغوي البولندي طريقه على حذر ، فأخذ يدعو إلى لغته الجديدة متنكراً تحت اسم « الدكتور اسبرانتو » أو الدكتور المتفائل ، حتى أقبل الكثيرون عليها وتكوّن لها أنصار ، وحينئذ كشف عن اسمه الحقيقي . وتلك هي المحاولة الثانية ، بل إن « الاسبرانتو » تعدّ الآن أشهر اللغات العالمية المصنوعة . وقد أسّسها صاحبها على عناصر استمدها من لغات

متباينة كاللاتينية والفرنسية والانجليزية والألمانية . واتخذت هذه اللغة أداة التفاهم في عدة مؤتمرات ، وآمن بها آلاف من الناس في شعوب مختلفة ، وذلك لأنها تتسم بالمرونة والاطّراد . غير أنهـا لم تستطع منافسة أقل اللغات الطبيعية انتشاراً ، وتبيّن حتى لأنصارها أنه قد يكون من اليسير أن يتحدّث بها الروميّ مع الأمريكي في مسائل السياحة والطعام والشراب والملابس ، فإذا تطرقا الى الحديث عن مسائل الدين والعـلم والفلسفة لم تكد تلك اللغة تحقق الهدف من الحديث .

والغريب أنه في حياة واضع لغة الاسبرانتو قام جماعة من أنصارها بإدخال عدة تحسينات عليها جعلتها أكثر دقة وإحكاما ، وكانت بهـذا المحاولة الثالثة للغات المصنوعة ، وتلك هي التي سميت Ido « إيدو » سنة ١٩٠٧ ، ويرمز الحرفان الأولان من هذا الاسم الى كلمتين همـا International Delegation أي البعثة العالمية .

أما الحرف الأخير فهو علامة الاسمية على حسب النظام الموضوع في الاسبرانتو .

ويشهد العالم الحديث وسائل للاتصال بين الشعوب لم يكن يحلم بهـا من قبل حتى أكثر الناس تفاؤلاً في مستقبل الإنسانية ، فلم تعد البحار أو الجبال أو الصحارى تحول بين الشعوب ، ولم يعد من الممكن لأحد هذه الشعوب أن ينعزل عن العالم أو أن يعيش على الاكتفاء الذاتي . فحتمية الاتصال من أوضح مظاهر العصر الحديث . ولدينا الآن من الطائرات ما يفوق سرعة الصوت ، بل لدينا الإذاعة والتليفزيون وسفن الفضاء وغيرها من وسائل جعلت قول « الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك » أمراً قريب الاحتمال غير بعيد المثال .

وتحاول الشعوب الآن جاهدة زيادة الصلة بينها ، ونجحت حتى الآن في لغة الموسيقى ورموزها العالمية ، فأصبح الموسيقيون في العالم الآن يفهم بعضهم

بعضاً في سهولة ويسر ، كما نجحت في كثير من مصطلحات العلوم ورموزها ولا سيما في الكيمياء والرياضة ، ثم أخيراً تلك المنظمات العالمية كاليونسكو ومنظمة الأمم المتحدة .

ومع كل هذا لا يزال الاتصال قاصراً والتفاهم غير تام ، بسبب ما يعوز الإنسان فوق الأرض من وسيلة مشتركة يتخاطبون بها ويعبرون بها لا عن أفكارهم وآرائهم فحسب ، بل عن أحاسيسهم وعواطفهم أيضاً ، وتلك هي اللغة العالمية التي يتطلع إليها الآن كثير من المفكرين في العصر الحديث .

والمفكرون بصدد هذه اللغة العالمية فريقان : فمنهم المتشائمون الذين يؤكدون لنا استحالة وجودها ، ويرون في أمثلة التاريخ ما يؤيد رأيهم ، وأن لعنة بابل ستظل تلاحق الإنسان في حياته الدنيا إلى أن تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، فهناك في رأيهم دورة لغوية حتمية تتلخص في أن لهجات اللغة الواحدة قد ينشأ بينها صراع ثم لا يلبث أن تتغلب إحداها وأن تنشأ على أساسها لغة مشتركة تضم شعوباً مختلفة ، ثم يصيب الهرم أو الشيخوخة هذه اللغة المشتركة فتندثر حيناً، أو تنحل إلى لهجات متباينة وتعود سيرتها الأولى. اللغات إذن في رأيهم تتنازعها الوحدة ثم الفرقة أو الاندثار ، ولن يكتب لإحداها الخلود أو انتظام كل المناطق ، وبين كل الشعوب ، سواء منهـــا اللغة الطبيعية أو اللغة المصنوعة .

أما المتفائلون من علماء اللغة المحدثين فمنهم « لويس » في كتابه اللغة في المجتمع ، و « ماريوباي » في كتابه قصة اللغة . ويرى هؤلاء المتفائلون أن مصير العالم إلى الوحدة اللغوية وأن كل الدلائل في العصر الحديث تشير إلى هذا . ذلك لأن انحلال اللغة إلى لهجات فيما مضى من عصور التاريخ إنما كان بسبب انعزال البيئات بعضها عن بعض ، وهو ما لا سبيل إلى تصور حدوثه في العصر الحديث . فشبكة الاتصال بين شعوب العالم الآنَ وثيقة

محكمة الحلقات ، ولن يشهد عالم المستقبل ما كان يسمى في الماضي بالبيئة المنعزلة ، إذ تزيد الحاجة إلى توثيق الصلات بين بني البشر يوماً بعد يوم .
وكل الذي يتطلبه تحقق هذا الحلم السعيد هو صدق العزيمة من جانب المسئولين الحاكمين في كل شعب . فإذا اتفقت كلمتهم في منظمة الأمم المتحـدة مثلاً ، وخلصت نواياهم ، وآمنوا أن كثيراً من شرور الدنيا ومآسيها مبعثه الحقيقي فقدان الوسيلة المشتركة للتفاهم بينهم جميعاً ، أمكن تحقق ما يصبون إليه . وهؤلاء المتفائلون لا يتصورون مع هذا ان اللغات المحلية مقضيّ عليها بالفناء والاندثار ، بل كل الذي يطمع فيه ويطمح اليه من هو أكثرهم تفاؤلاً أن يصبح المرء ثنائيّ اللغة ، يحسن لغتين في آن واحد إحداهما تقتصر على بيئته المحلية والأخرى للناس كافة . أما الأولى فيلقنها في السنين الأولى من حياته ، وأما الأخرى فيبدأ تعلمها بعد هذا في المدارس ودور الحضانة . وتظل اللغتان تنموان معه حتى يستطيع السيطرة عليهما في دور المراهقة . وأيّاً كانت تلك اللغة العالمية التي ستستقر عليها إرادة الشعوب ، صعبة أو سهلة ، طبيعية أو مصنوعة ، واسعة الانتشار الآن أو ضيقة ، فكل هذه في رأيهم تفاصيل يمكن أن تدرس وأن تكون محل البحث بين مندوبي الشعوب في هذه المنظمة ، وإنما العامل الحاسم في هذا الأمر هو أن يحسّ حكام الشعوب إحساساً صادقاً أن في اللغة العالمية خير البشر وسعادته وهدوءه .

الدكتور ابراهيم أنيس

صفحات من تاريخ الاستشراق

- ١ -

ماذا يقصد بالشرق ؟

إن كلمة « الشرق » رغم كثرة استعمالها منذ ألفي سنة على الأقل ، ليس لها مفهوم واضح ، محدد ، ثابت . فهي تفيد أحياناً مجموعة معينة من البلاد في آسيا الغربية وافريقيا الشمالية ؛ وهي أحياناً أخرى تشمل ، في نظر الأوربيين ، جميع أقطار آسيا ما عدا (سيبريا) . على أنه كثيراً ما يطلق على (الصين) و (اليابان) اسم خاص هو « الشرق الأقصى » بينما هناك اختلاف في تحديد البلاد التي يتضمنها مفهوم « الشرق الأوسط » و « الشرق الأدنى » .

وكلمة « الشرق » في الأصل من المصطلحات الفلكية . وهي لا تدل إلا على الجهة التي تشرق منها الشمس . فكل بقعة من الأرض هي شرق وغرب في وقت واحد حسبما يكون موقع الشخص الذي يتحدث عن هذه البقعة ، أما وصف قارة (آسيا) خاصة بأنها الشرق وقارة (أوربا) بأنها الغرب فيرجع الى زمن اليونان ، عندما كان الناس يعتقدون بأن الأرض مسطحة وأن القسم المعمور منها محدود .

واذا تأملنا في كتاب (هيرودوت) تبين لنا أن مفهومي الشرق (آسيا) والغرب (أوربا) قد برزا لأول مرة خلال الحرب الفارسية . فإن الاصطدام بالفرس قد خلق الوعي الذاتي لدى اليونانيين الذين كانوا ينظرون الى جميع الشعوب الأخرى كبرابرة ، رغم اعتراف كتابهم بأن بعض هذه الشعوب ، كالمصريين والبابليين ، كانوا يتقدمونهم في الحضارة .

وكانت (أوربا) في نظر اليونانيين تقتصر على العالم الهيليني (أي بلاد اليونان وشواطيء آسيا الصغرى وصقلية وجنوب ايطاليا) ، بينما تعتبر بلاد السكيت والجرمن والسلت والاسبان من عالم البرابرة .

وفي عهد الرومان ، عندما كانت (روما) تعتبر مركز المعمورة ، أطلقت كلمة (الشرق) على البلاد الواقعة في الجهة الشرقية من ايطاليا . إلا أن الرومان كانوا في بعض الحالات يقصدون بالشرق مملكة فارس القديمة ، وفي ظروف أخرى الامبراطورية المكدونية . ثم اكتسب اصطلاح (الشرق) مضموناً سياسياً محدوداً في عهد (فيليب العربي) ، إذ سمى هذا الامبراطور أخاه (يوليوس بريسقوس) حاكماً للشرق (Rector Orientis) . وكانت كلمة الشرق هنا تعني وحدة ادارية تشمل خمس ولايات من الامبراطورية الرومانية هي :

(١) الشرق بالمعنى الضيق (Oriens) ويتألف من مقاطعات (ليبيا) ومصر و (العربية) وفلسطين وفينيقية وسورية والفرات و (كيليكيا) وقبرص وما بين النهرين .

(٢) ولاية (بونتيكا) (الجسر) الممتدة من قبادوسيا حتى أرمينية .

(٣) (آسيانا) من فريجيا حتى الدردنيل .

(٤) (تراقيا) .

(٥) (موزيا) من رومانيا حتى اليونان وكريد .

وكانت عاصمة الولايات الشرقية كلها هي أنطاكية ، حيث كان يقيم الحاكم العام (Praefectus praetoris) .

وقد ازداد الاختلاف السياسي بين الشرق والغرب منذ أن انقسمت الامبراطورية الرومانية في سنة (٣٩٥) الى الامبراطورية الغربية والامبراطورية الشرقية (التي كانت تسمى أيضاً الشرق Oriens) . وبالاضافة الى ذلك نشأ في العصور التالية الخلاف المذهبي بين البابوية في روما وبين البطريركية

في القسطنطينية ، الذي أدى الى الانفصال والى قيام الكنيسة الشرقية (الأرثوذكسية) .

ثم تبدل مفهوم (الشرق) بعد ظهور الإسلام وتأسيس الامبراطورية العربية ، فأصبح يطلق بوجه عام على البلاد الإسلامية . وفي أثناء الحروب الصليبية صار الدين الإسلامي رمزاً للشرق والديانة المسيحية رمزاً للغرب .

ومرة أخرى حصل تحوير طفيف في مضمون كلمة (الشرق) بعد قيام الأتراك العثمانيين واتساع فتوحاتهم في أوربة ، فأصبح الشرق في نظر الأوربيين مرادفاً للدولة العثمانية . ولذلك أطلقوا اسم « المسألة الشرقية » على مجموعة المشاكل التي نجمت عن الاصطدام بين العثمانيين والأوربيين وعن التضارب في سياسة الدول الأوربية تجاه الامبراطورية العثمانية وتقرير مصيرها بعد ما ظهر عليها الانحطاط والتفسخ والتفتت . تبعاً لهذه التقلبات التاريخية كان يتغير مدلول (الشرق) و (الغرب) ويختلف امتدادها الجغرافي . وبينما تقدمت حدود أوربة في عهد الإسكندر المكدوني حتى حوض (السند) وتوقفت في عهد الرومان عند حوض الفرات ، إذا بها تتقهقر بعد ظهور الإسلام وفتوحاته وترجع حتى أبواب (فيينا) سنة ١٥٢٩ في عهد العثمانيين .

يتبين من ذلك أن كلمة (الشرق) عبارة عن اصطلاح سياسي – جغرافي – تاريخي يشير إلى النزاع بين الفرس واليونان في القديم ، وبين الإسلام والمسيحية في القرون الوسطى ، وإلى الاصطدام بين الدولة العثمانية والدول الأوربية في العصور الحديثة ، كما يتضمن شعوراً بالفروق في العقلية والثقافة والحضارة بين شعوب أوربا من جهة وشعوب آسيا وافريقية من جهة ثانية .

بسبب هذه النظرة الإجمالية السطحية غفل الكثيرون عن الفروق والتناقضات بين الشعوب الأوربية نفسها فشاعت مصطلحات مثل (الغرب) أو (الحضارة الغربية) أو (العقلية الغربية) . فهل يقصد بالغرب مثلاً القارة الأوربية

كلها بما في ذلك البلقان وروسيا وسائر البلاد السلافية أم بعض أجزاء أوربا فقط كفرنسا وانكلترا وإيطاليا وبلجيكا وهولندا واسكندينافيا ؟

وأخيراً ألم نشاهد في هذه السنوات تطوراً جديداً لمفهومي (الشرق) و (الغرب) إذ أصبحا يرمزان إلى الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية من جهة ثم إلى الولايات الأمريكية المتحدة ودول الحلف الأطلسي من جهة ثانية . فكلمة (الشرق) في الصحف والخطب السياسية إنما تعني اليوم الاتحاد السوفياتي وحلفاءه . أما البلاد التي كانت تطلق عليها هذه الكلمة في السابق فلا بد من تحديدها باصطلاحات خاصة مثل الشرق الأدنى أو الشرق الأوسط أو الشرق الأقصى أو جنوب شرقي آسيا أو الأقطار العربية أو العالم الإسلامي .

هكذا لا يمكننا ادراك المعاني التي تتضمنها كلمة (الشرق) إلا إذا لاحظنا تطور العلاقات بين الشعوب الأوربية من جهة وشعوب آسيا وافريقيا من جهة ثانية . بذلك تتضح لنا أيضاً العوامل التي أدت إلى نشأة « الاستشراق » واهتمام الأمم الغربية بهذه الدراسات .

العلاقة بين الشرق والغرب :

ان العلاقات بين الشرق والغرب قديمة ومتشابكة جدا . فمنذ فجر التاريخ كانت شعوب القارات الثلاث : آسيا وافريقيا وأوربا — وهي التي كان يتألف منها العالم المعمور — يقتبس بعضها عن بعض ، ويؤثر أحدها في الآخر .

ومن المعلوم أن قدماء اليونان قد أخذوا العناصر الأولى في حضارتهم عن المصريين والبابليين والفينيقيين ، وظلوا مدة عصور طويلة يعتبرون أنفسهم تلامذة لهذه الأمم الشرقية التي تقدمتهم في الحضارة والثقافة .

ولما نشبت الحروب الفارسية استولى الفزع على اليونانيين فقام شعراؤهم وكتابهم يلهبون المشاعر والعواطف في سبيل الدفاع عن كيانهم القومي ،

واندفعوا ، في حماستهم الوطنية يصفون الفرس والشعوب الأخرى الخاضعة للامبراطورية الفارسية بالهمجية ويسمونهم « برابرة » ولا شك في أن مؤلفات هؤلاء الشعراء والكتاب ، التي أصبحت فيما بعد أساساً لثقافة الغرب ، كان لها بعض التأثير في تشويه صورة الشرق لدى الغربيين .

وعلى أثر فتوحات الاسكندر المكدوني ، الذي حاول توطيد حكمه بالتقريب بين الشرقيين والغربيين . انتشرت الثقافة اليونانية في آسيا وإفريقيا ، حيث امتزجت بالعقائد الدينية والنزعات الصوفية . ومن هذا التمازج نشأت الحضارة « الهلّينستية » ذات الصبغة العالمية .

وكان يبدو ، بعد قيام الامبراطورية الرومانية ، أن الغرب قد فرض سيطرته على الشرق . ولكن سرعان ما تجدد الصراع بانقسام الامبراطورية الرومانية الى شرقية وغربية ، وباحتدام الاختلافات المذهبية واستئناف الحروب بين البزنطيين والساسانيين .

ثم جاء الإسلام . فتولى العرب قيادة الشرق وتوحيد كلمته . والمؤرخون الغربيون لا يجدون تفسيراً للسرعة التي فتح بها العرب سورية ومصر (بين سنة ٦٣٤ و ٦٤٣) الا رغبة السكان السريان والأقباط « الشرقيين » في التخلص من الاضطهاد البزنطي « الغربي » . ولم يعترف الغربيون بأن الإسلام إنما أراد إتمام ما بدأته الديانات السماوية السابقة ، ونسوا أن المسيحية نفسها كانت قد جاءت إليهم من الشرق ، فاعتبروا الدين الجديد مظهراً للثورة الكبرى تقوم بها آسيا ضد سيطرة اليونان والرومان ، وصاروا منذ ذلك الوقت يصورون الاختلاف بين الشرق والغرب كصراع بين الإسلام والمسيحية . هكذا يصفون صمود القسطنطينية لحصار العرب (سنة ٧١٧ — ٧١٨) ، أو انتصار (شارل مارتيل) في بواتيه (سنة ٧٣٢) على أنهما عمليتا انقاذ للحضارة الغربية ـ المسيحية .

وقد بلغ النزاع بين الطرفين ذروته أثناء الحملات الصليبية التي قام بها الغرب فاستخدم العقيدة الدينية ستاراً ووسيلة لتحقيق مطامعه الاستعمارية . ولكن نجاح الصليبيين لم يستمر طويلاً واستطاع المسلمون أن يسترجعوا بعد مائتي سنة كل البلاد التي فقدوها . وعلى الرغم مما اتصفت به الحملات الصليبية من تعصب وحقد وما رافقها من أعمال العنف والقسوة فقد لاحظ الغربيون ، بعد الاحتكاك المباشر ، أن الشرقيين يفوقونهم في جميع نواحي الحضارة . وكان طبيعياً أن يمتزج الخوف والبغض لديهم بشيء من الاعجاب ثم بالرغبة في المعرفة والميل إلى الاقتباس . إلا ان الحضارة العربية — الإسلامية كان لها تأثير أعمق في تطور الغرب عن طريقين آخرين هما : الأندلس وصقلية .

فقد كان ملوك النورمانديين في صقلية من (روجر) الأول إلى (فريدريك) الثاني إلى (مانفريد) يستعينون بالموظفين العرب في إدارة البلاد وتنظيم الشرطة والمالية ، كما انهم جمعوا حولهم كثيرين من علماء المسلمين ، واعتنوا بترجمة المؤلفات العربية في مختلف العلوم والفنون وتدريسها في الجامعات التي أسسوها على نمط المدارس الإسلامية .

وكانت طليطلة في الأندلس من أكبر مراكز العلم عند العرب المسلمين ، فلما سقطت في أيدي الاسبان (سنة ١٠٨٥) أسرع اليها طلاب العلم من كل أنحاء أوربا ، وقام رئيس أساقفتها (ريموند) بين (١١٣٠ — ١١٥٠) فأسس فيهـــا المدرسة المشهورة للترجمة التي دامت حتى القرن الثالث عشر وساعدت على نقل أهم كتب الطب والفلك والطبيعة والفلسفة من العربية إلى اللاتينية . ومن اسبانيا انتقلت حركة الترجمة إلى إيطاليا ، حيث استمرت حتى منتصف القرن السادس عشر . وإذا ظل بعض العلماء في النمسا وألمانيا وفرنسا يعتمدون على مؤلفات الأطباء والصيادلة العرب في القرن السابع عشر حتى أوائل القرن التاسع عشر فلا شك في أن الأوربيين لم يعودوا يشعرون

بالحاجة إلى التعلم من العرب بعد اختراع الطباعة وبعد اكتشافات (كوبرنيكوس) و (باراسلسوس) و (فيزاليوس) .

ومن جهة أخرى لاحظ رجال الكنيسة الغربيون منذ الحملات الصليبية أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً واضحاً عن العقيدة الإسلامية وأنه لا بد لهم من ترجمة القرآن والأحاديث النبوية وأقوال العلماء المسلمين ليستطيعوا الرد عليها ومحاولة نقضها والحيلولة دون تأثيرها في نفوس شعوبهم . لذلك نرى المجمع الديني الذي عقد في (فيينا) سنة (١٣١١ – ١٣١٢) يدعو العلماء المسيحيين إلى الرد على آراء الفلاسفة المسلمين .

هكذا بدأت الدراسات الشرقية على أساس غير صحيح ، لأنها كانت منذ بادىء الأمر خاضعة لفكرة الجدل الديني .

لم تنقض مدة طويلة على نهاية الحملات الصليبية حتى تجددت الحروب بين الشرق والغرب بعد قيام الدولة العثمانية التي استطاعت أن تفتح القسطنطينية ، والتي ظلت جيوشها تتوغل في قلب البلاد الأوربية حتى القرن السادس عشر . وكانت اوربا تعتبر الأتراك العثمانيين ممثلين لروح آسيا ولقوة الإسلام . وكان طبيعياً أن ينقلب الخوف والفزع من الأتراك إلى حقد على الإسلام وكره لآسيا ، فنرى الكتاب الأوربيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر يسمون محمداً (ﷺ) بنبي الأتراك ويسعون إلى مكافحة العثمانيين بالتهجم على الرسول والطعن في الإسلام .

ولكن في الوقت ذاته أخذ الأوربيون يفكرون في مهاجمة العالم الإسلامي من الخلف بالدوران حول افريقيا عن طريق البحر . ولا ننس ان فشل الحملات الصليبية ثم احتكار تجارة الهند من قبل المماليك كانا من العوامل التي دفعت الأوربيين الى البحث عن طريق آخر إلى الهند والشرق الأقصى ، فبدأت بذلك الرحلات والاكتشافات البحرية الكبيرة في أوائل القرن

السادس عشر . وقد جاء في البيان الذي أصدره القائد البحري البرتغالي (البوكرك) في (مالاقا) بالهند الصينية ، أن البرتغاليين بسيطرتهم على تجارة الأفاويه إنما يطمعون في إضعاف قوة المسلمين . وكان المبشرون البرتغاليون يقومون بحملة صليبية ضد الإسلام . وكانت الظروف في الهند خاصة ملائمة إذ ذاك للاستعمار البرتغالي . ولكن بعد قيام ملوك المغول الكبار واعادة توحيد المملكة الإسلامية في الهند تبدلت الحالة هناك في القرن السابع عشر . وانتهز الهولنديون والانكليز الفرصة ليحلوا مكان البرتغاليين فأخذوا يساعدون الهنود ضد هؤلاء. واتبعت الشركتان الهندية ـ الهولندية ، والهندية ـ الانكليزية سياسة سلمية ، تجارية بحتة في باديء الأمر ، والتزمتا الحياد التام تجاه سكان البلاد في المسائل الدينية كما انهما كانتا ، تبعاً لعقيدتهما البروتستانتية ، تكافحان من جهة ثانيـــة الجمعيات الكاثوليكية التي كانت تقوم بالدعوة التبشيرية وتثير نفرة السكان .

ومنذ انكسار الأتراك العثمانيين في معركة (لبانتو) البحرية (عام ١٥٧١) أخذ خوف الأوربيين منهم يخف . وما كاد ينتهي القرن السابع عشر حتى تلاشى هذا الخوف بعد أن لاحظ الأوربيون اضطراب أحوال الدولة العثمانية وتدهور قوتها ، فاتجهت أطماعهم إلى سلب ممتلكاتها . وكانت أوربا في ذلك العهد تتقدم في طريق القوة العسكرية والازدهار الاقتصادي ، وأخذت تشعر بالحاجة إلى أسواق لتصريف منتوجاتها الصناعية . وبذلك بدأ التوسع الاستعماري واستيلاء الغربيين على آسيا وإفريقيا ، وتشابكت المصالح التجارية مع المطامع السياسية . وليس تاريخ هذا التوسع سوى سلسلة من أعمال العنف والخداع والخيانة ونقض العهود والمساومات الحقيرة والمؤامرات الدنيئة .

وكانت القيـــادة قد انتقلت في القرن السابع عشر من البرتغاليين إلى الهولنديين ، ثم برزت انكلترا وفرنسا اللتان استمر التنافس بينهما خلال القرن الثامن عشر وانتهى الأمر بسيطرة انكلترا في القرن التاسع عشر . وفي

أواخر ذلك العصر أخذت ألمانيـــا وايطاليا أيضاً تشتركان في التوسع الاستعماري بينما ظلت روسيا القيصرية منذ القرن الثامن عشر تطمع في ميراث الدولة العثمانية وتعمل على بسط سيطرتها ونفوذها في البلقـان والقفقاس وآسيا الوسطى .

وخلال جميع هذه المراحل لعب المستشرقون دوراً هاماً في التمهيد للتوسع الاستعماري وتوطيد سيطرة الغربيين في الشرق .

متى بدأ الاستشراق ؟

يقول بعض المستشرقين إن أول مدرسة للدراسات الشرقية في اوربا هي التي أسست في طليطلة سنة (١٢٥٠) ، وكانت تدرس فيها اللغة العربية والعبرية لإعداد رجال يستطيعون التبشير بين المسلمين واليهود .

ومن أشهر المبشرين الذين تخرجوا من هذه المدرسة (رايموندوس لوللوس) (Raymundus Lullus) حوالي سنة (١٣١٥) . وكان (لوللوس) يتقن اللغة العربية ويعرف المؤلفين العرب معرفة جيده ربما لا يضاهيه فيها أحد من الغربيين حتى العصور الحديثة . فقد درس القرآن والحديث واطلع على كتب المتكلمين والفلاسفة . ونراه في مؤلفاته الجدلية للرد على المسلمين يستشهد بأقوال الفارابي وابن رشد وعلى الأخص الغزالي الذي اقتبس قسماً كبيراً من كتابه « تهافت الفلاسفة » .

ويبدو أنه كان هناك شعور عام بالحاجة إلى معرفة اللغات الشرقية والغربية . ومما يؤيد ذلك الرسالة التي نشرها الـكاتب الفرنسي (بيير دوبوا Pierre Dubois) في سنة ١٣٠٦ بعنوان « استرجاع الأراضي المقدسة » فقد رسم فيها منهاجاً لاستعمار الشرق من قبل شعوب أوربا المسيحية بقيادة ملوك فرنسا . ويقتضي هذا المنهاج تأسيس مدارس لتعليم اللغات لا تقتصر

على اعـداد ما تستلزمه هذه الخطة السياسية من موظفين وضباط وتراجمة ومفاوضين ومبشرين وأطباء ، بل تهيء كذلك الفتيات الأوربيات اللواتي يجب تزويجهن بالزعماء الشرقيين للقيام بالمهمة الملقاة على عواتقهن .

وفي سنة (١٣١١ ـ ١٣١٢) تقدم (رايموندوس لوللوس) إلى المجمع الديني الذي عقد في (فيينا) باقتراح يطلب فيه :

١ ـ تأسيس معاهد لتدريس مختلف اللغات واعـــداد رجال يبشرون بالكتاب المقدس بين جميع الشعوب ؟

٢ ـ تكوين منظمة دينية من الفرسان تسعى إلى استرداد البلاد المقدسة .

٣ ـ العهدة إلى العلماء بتأليف الكتب للرد على العقائد المنافية للكاثوليكية .

وفي الواقع قرر مجمع (فيينا) تأسيس كرسيين لتعليم اللغات العربية والعبرية والكلدانية واليونانية في كل من جامعات (روما) و (بولونيا) و (باريس) و (اكسفورد) و (سلمنكا) . على أن هذه الكراسي ظلت شاغرة مدة طويلة من الزمن لفقـدان المدرسين الأكفياء . وقد انصرفت الجهود حتى القرن السادس عشر إلى الترجمة عن العربية التي كان يتولاها في الغالب اليهود الاسبانيون . واتجهت العناية هنا إلى نقل الكتب الطبية والفلكية والفلسفية إلى اللغة اللاتينية والاطلاع على محتوياتها والاستفادة منها ، فلم يهتم الرأي العام بدراسة الشرق ذاته .

ومن جهة أخرى فإن فشل محاولات التبشير لم يكن من شأنه أن يشجع رجال الكهنوت على دراسة اللغات والديانات الأجنبية . لذلك لم تنشط الدراسات الشرقية إلا بعد القرن السادس عشر بتأثير عوامل عديدة.

(للبحث صلة) محمد كامل عياد

الكلام المولد في معاجمنا الحديثة

اللغات كالناطقين بها تنمو وتضمحلّ أو تتقدم وتتأخر تبعاً لناموس عامّ يشمل جميع الكائنات الحية . ويحدث النموّ في اللغة بتأثير عاملين رئيسيين : أحدهما هو الكسب الخارجيّ أي مايتسرّب اليها من لغات أخرى ثم يتأصّل فيها حتى يصبح جزءاً ثابتاً منها . وقلّما تجد لغة لم تتأثر كثيراً أو قليلاً بسواها ، فلا بدعَ أن يكون في لغتنا العربية ألفاظ وأوضاع دخيلة استقرّت فيها على توالي العهود وأصبحت تعدّ بين الفصيح من كلامها ، وها نحن نستعملها في نثرنا وشعرنا دون أن نحسبها غريبة الأصل ، بل ان بعضها قد غلب على مايقابله من العربي الأصيل وأقصاه عن الاستعمال حتى أصبح في حكم الميت أو المهجور كهذه المعرّبات مثلا وهي قُلٌّ من كُثر :

المسك	وفي العربية الأصلية		المشموم
البلور	«	«	المها
فخّ	«	«	الطِرق
الترياق	«	«	المَسوس
العربون	«	«	المَسكان
الهندباء	«	«	اللّعاعة
الدسكرة	«	«	الدسيعة

على أن المعربات غير داخلة في بحثنا هذا ، وقد خصصناه للكلام المولّد . فحسبي الآن هذه الإشارة الوجيزة اليها . ولا يخفى انها تشمل المئات ان لم نقل الألوف من ألفاظ العلوم والفنون والحضارة والحياة العامة .

أما العامل الثاني فهو التولّد الذاتيّ أي ماينشأ في داخلها من ألفاظ استُحدِثت عفواً أو قصداً لأغراض ومعانٍ جديدة ، وقد كان ذلك على الطرق التالية :

(١) طريق التحوّلِ المعنوي : وهو أن تكتسب اللفظة معنى جديداً غير معناها الأصلي والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخنا اللغوي أكتفي منها للإيضاح بما يلي :

الكفر — والمعنى الأصلي التغطية : ثم اكتسبت معنى الإلحاد او الإنكار

التوقيع — » » التأثير : وهي الآن وضع اسم الكاتب على مايكتبه .

المقامة — والمعنى الأصلي المكان أو المجلس : فتحولت إلى نوع من القصص المسجع .

الدولة — والمعنى الأصلي انقلاب الزمن والحال : ونستعملها الآن للملك أو الحكومة .

فكّهه — ومعناها الأصلي قدّم له الفاكهة : وتستعمل الآن للتسلية بكلام طريف .

القطار — ومعناها الأصلي صفّ مقطور من الجمال . وهي الآن سكّة الحديد .

السّجادة — معناها الأصلي ما يسجد عليه وقت الصلاة . وهي الآن الطنفسة أو البساط .

النظم — معناها الأصلي جمع اللؤلؤ في سلك . وتستعار الآن لنظم الكتابة أو الشعر .

النحو — معناها الأصلي القصدأو الجهة . واستعيرت لعلم العربية المعروف .

المُضيفة — معناها الأصلي من تستقبل الضيوف في المنزل . وأصبحت الآن للفتاة التي تعتني بركاب الطائرة .

الحضارة ـ معناها الأصلي ضدّ البداوة . ويفهم منها الآن المدنية او العمران الاجتماعي والعلمي والصناعي .

وقس على هذه الأمثلة الدينية والإدارية والعلمية وسواها مما اكسبها الزمان وتطور الحياة معاني غير معانيها الأصلية .

(٢) طريق الوضع اللفظي : أي وضع ألفاظ جديدة لمختلف المعاني والأغراض . وقد توفر على ذلك أهل العلم والأدب قديماً وحديثاً فأضافوا إلى اللغة كثيراً مما لم تعرفه من قبل . وباب الوضع واسع يدخل فيه النحت والقياس والاشتقاق . وقد زاد اتساعاً إبّان نهضتنا الجديدة . وهاك بضع ألفاظ حديثة وهي نقطة من بحر مما وضعه المحدثون فضلاً عما سبق إليه السلف في شتى العصور .

العُضويّة ـ أي الانتساب إلى جمعية أو هيأة ذات نظام خاص .

المنطاد ـ لما يعرف بالغرب بالبالون .

الدراجة ـ وهي ترجمة للبيسكلات

الشيوعية ـ للنوع المعروف من الحكم الاشتراكي .

التلاشي ـ الاضمحلال وهي منحوتة من لا شيء وقد ولّدت في عصر سابق .

التقاليد ـ الأمور أو السُّنن المتبّعة أو الموروثة عن السلف ، وقد استعملها بعضهم قبلا .

الهاتف ـ للتلفون .

المذياع ـ لآلة الراديو المذيعة .

الممطر ـ للثوب الواقي من المطر وهو توليد قديم .

المأساة ـ للرواية المسرحية المحزنة .

البستنة ـ علم زرع البساتين .

البَلاط ـ لقصر الملك أو مركز حكمه وإدارته للمملكة .

(٣) الوضع المجازي : أي توليد اصطلاحات مجازية للتعبير عن معانٍ خاصة كقولنا .

القوة الضاربة — أي السلاح الكافي لضرب العدو .
اجتمع المؤتمر على صعيد الوزراء أي كان مؤلفاً من وزراء الدول .
غسل يديه من المسألة — أي تبرأ منها .
ضرب الرقم القياسي — أي تجاوزه إلى حد أبعد .
السوق السوداء — السوق يتعامل بها خفية تهرباً من التسعير القانوني .
هو صاحب الكرسي — أي رئيس المجلس .
الشارع يناصر فلانا — أي السوقة وعامّة الناس .
أخذ المبادرة — أي سبق غيره في أمر ما .
انتهاك صارخ لحقوق الشعب — أي انتهاك واضح وشديد .
ركب رأسه — لمن تعسف وسار على هواه .
ناطحات السحاب — للأبنية الشاهقة العلو .
توترت العلاقات بينهم — أي ساءت واشتدت .
صوّت في الجلسة لفلان — أي كان من مؤيديه . اظهر تأييده له .
وقس على ما ذكر من مفردات ومصطلحات ما لا يمكن حصرة في مثل هذا المقام .

(٤) الاشتقاق الاسمي : أي اشتقاق صيغ من أسماء خاصة . ومن أمثلته :

قنّن — من القانون . نقول قنّن الطعام أي تناوله بحسب قانون محدّد.
موّل — من المال . موّل المشاريع أي قدم المال اللازم لها .
تطور — من الطّور . فنظام التطور هو التقدم من طور الى طور .
عيّد — من العيد . احتفل بالعيد أو هنأ به .
قوّم — من القيمة . تقويم الأشياء أي تقدير قيمتها .
استجوب — من الجواب . استجوب القاضي فلاناً أي طلب منه الجواب .

وقد شاع حتى كاد يصبح قياسياً وزن تفعَّل من أسماء المدن والبلدان والأمم كقولهم : تمصّر أي اتخذ الجنسية المصرية ، وتفرنس اتخذ الجنسية الفرنسية ، وهكذا تأمرك وتألمن ، وتبلشف وتعرّب واشباهها .

فالتوليد في اللغة حركة نموّ متصلة الأسباب لم تنقطع في زمن من الأزمنة على أنها كانت تختلف قوةً واتساعاً من عصر إلى عصر . ولعلّ عصر العربية الذهبيّ أيام العباسيين وعصر نهضتنا الحديثة هما أكثر العصور انتاجاً في هذا الباب . ففي كليهما نشأت حاجات اجتماعية وفكرية دفعت أهل الأقلام إلى التوليد اللغوي . فلم يتلكّأوا عن سدّ تلك الحاجات بألفاظ وأوضاع لم تُروَ عمّن يُحتجّ بكلامهم من أهل اللغة الأقدمين . وهنا يمكن القول أن نظر القدماء من علماء اللغة إلى هذه المولّدات يختلف عن نظر المحدثين منهم . فالقدماء أوصدوا الباب دونها فلم تثبتها معاجمهم وهكذا بقيت خارج حرم اللغة الفصحى . وكانوا إذا ذكروا المولّد ذكروه على أنه غير عربي الأصل . وعليه يقول السيوطي في المزهر : « المولّد ما أحدثه المولدون الذين لا يُحتجّ بألفاظهم » . ويذهب الفارابي إلى أبعد من هذا فيصنّف الألفاظ بقوله : « هذه عربية وهذه مولّدة » . وكثيرون حاولوا وقف هذا التيار اللغوي الجديد فوضعوا الكتب في اصلاح ماخرج عن الأصول ، أو في تعريف المتأدبين مايحتاجون إليه من قواعدَ وأحكامٍ تقيهم مغبّة الخطأ أو الانحراف عن طريق الصواب ، كما فعل ابن قُتَيبة في أدب الكاتب ، والحريري في درّة الغوّاص ، والجواليقي في التكملة ، وغيرهم من سابق ولاحق . وفي القرن الحادي عشر الهجري يضع شهاب الدين الخفاجي كتابه « شفاء الغليل في ماورد في كلام العرب من الدخيل » . فيثبت من هـذا الدخيل ما يقارب مئة لفظة عربية مولّدة . ولم يكن الخفاجي من المترمّتين بدليل ما نرى له من مواقف في ردّه على أوهـام

الحريري في درّة الغوّاص ، ولكنه جارى الرأي العام القديم في نظره إلى الفرق بين المولّد والعربي الأصيل .

فاللغويون السالفون من مُعْجَمِيّين وسواهم ظلوا منذ أخذ الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري يؤلف كتاب العين حتى بدء النهضة العربية في القرن التاسع عشر للميلاد لايرون في ما لم يُروَ عن عصر الاحتجاج مايؤهله لدخول المعاجم أو يرفعه إلى درجة الاستشهاد به ولو ورد في كلام كبار الكتبة والشعراء . فلما قام الرائد العلاّمة بطرس البستاني ووضع أول معجم حديث وهو المعروف بمحيط المحيط جعل معتمده القاموس المحيط للفيروزبادي كما جعل هذا الأخير معتمدَه المحكم لابن سيده والعباب للصاغاني وقد أدرك أن محيط الفيروزبادي وسائر المعاجم القديمة تخلو من معظم الكلام المولّد فأضاف إليه كثيراً من هذه المولّدات التي نشأت مع الزمن . على أنه لم يجرُؤ على الجزم بعدّها مساوية في الفصاحة للأصول المثبتة في الكتب القديمة فتراه يقف هنيهة عند نهاية حرف الراء من معجمه محيط المحيط ليقول معتذراً :

« وقد أضفت إلى أصول الأركان (أي مواد قاموس الفيروزابادي) فروعاً كثيرة وتفاصيل شتى . وألحقت بذلك اصطلاحات العلوم والفنون وكثيراً من المسائل والقواعد والشوارد مما لايتعلق بمتن اللغة . وذلك لكي يكون هذا الكتاب كاملاً شاملاً ، يجد فيه كل طالب مطلوبه من هذا القبيل . وبهذا الاعتبار تنازلت إلى ذكر كثير من كلام المولدين وألفاظ العامة ، منبهاً في أماكنها على أنها خارجة عن أصل اللغة . وعسى بذلك يتمهد لي العذر في هذا التساهل الذي ارتكبته .

وقد يتزيّا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لايلائمه »

فالبستانيّ وهو رائد واضعي المعاجم الحديثة قد رأى الفائدة العامة من إثبات المولّد في « محيط المحيط » ولكنه عدّ إثباته تساهلاً ينبغي

الاعتذار عنه للمحافظين من أرباب اللغة . والواقع أنّ اعتذاره لم يذهب بفائدة مافعل . فقد فتح باب المعجم العربي لغير مارُويَ عن عصر الاحتجاج . وتبعه في ذلك ولكن بخطوات أبطأ سعيد الشرتوني في « أقرب الموارد » والشيخ عبد الله البستاني في معجمه البستان . وقد كتب مقدّمة البستان الخوري بطرس البستاني مصرحاً بأن « ما خطته يده فيها إنما هو من بحر أستاذه مؤلف المعجم المذكور » . وهو يعبّر عن الروح التي أخذت تتحرك في نفوس أدباء هذا العصر إذ يحمل على ما يسميه « تحرّج اللغويين القدامى وحرصهم على فُصَح اللغة في ما رُوي عن أهل الحجاز وبعض القبائل المتوغلة في البداوة دون سواها » فيقول :

« ولولا هذا التقصير لما كنّا اليوم على مانحن عليه من العجز الفاحش عن تأدية كثير من المعاني والأدوات الحضرية بألفاظ نستخرجها من معدن اللغة نفسها » . إلى قوله : « على انهم لو وقفوا عند هذا الحد من التفريط لكانت البلية أخفّ وطأةً وايسر محملا . ولكنهم أعرضوا أيضاً عن أغلب الألفاظ التي جدّت في اللغة ، ولا سيما عهد العباسيين ، بحجة أنها من استنباط المولّدين لم تجر على ألسنة العرب الخلصاء لا في الجاهلية ولا في صدر الإسلام » .

وكذلك أثبت معجم « المنجد » للأب لويس المعلوف عدداً غير قليل من الألفاظ المولّدة دون أن ينبته اليها أو يبحث في حركة التوليد وأثرها . فهو كما قال واضعه مؤلف مدرسي وضع ليسدّ الحاجة الى معجم « ليس بالمخلّ المعوز ولا بالطويل المملّ المعجز يكون قريب المأخذ ممتازاً بما عرفت به المعجمات المدرسية في اللغات الأجنبيــة من إحكام الوضع ووضوح الدلالة » .

ولبعض المستشرقين اهتمام خاص بالألفاظ والمصطلحات العربية الجديدة

نذكر منهم على سبيل المثال اللغوي الألماني هانز فيهر Hans Weher الذي وضع في أعقاب الحرب الثانية معجماً بالمفردات العربية المستعملة في الكتابات الحديثة . وبعد سنوات قليلة اشترك مع لغوي آخر هو : ج . ملتون كَوَن G. Milton Cowan فنقله هذا الأخير الى الإنكليزية بعد أن نقّحاه وتوسّعا فيه ونشراه سنة ١٩٦١ باسم « معجم للعربية الكتابية الحديثة A Dictionary of Modern Written Arabic وقد نظرتُ فيه فوجدته يحوي كثيراً من الكلمات المولدة التي يستعملها كتابنا في هذا العصر (عدا كثير من المعربات والألفاظ العاميّة) . ومن أمثال ما ورد فيه :

المذهب التأثري .

أُذونات البريد .

الأساسيات (المبادىء الأساسية) .

انسانيّة .

الإبداعية (الرومانسية) .

تجريدة (كتيبة من الجيش) .

جارور (للدرج) في المنضدة .

المعارضة (الحزب المعارض للحكومة في المجلس)

منزول منزل للضيوف .

ملخلخ — مهزوز — غير ثابت .

وقس عليها عشرات مما تقع عليه في الصحف أو كتب الأدب الحديثة .

ومهما يكن فالذي لا شك فيه أن معاجمنا الحديثة أكثر تساهلاً من القديمة في النظر الى المولدات . على أن هذا التساهل ظلّ غير قائم على دراسات وافية تعالج الموضوع من أساسه ، الى أن ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى هيئات لغوية « رسمية » فاضطلعت بهذه المهمّة ، كالمجمع

العلمي العربي في دمشق ، ومجمع اللغة العربية في القاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد . وكان لكل منها يد تذكر في ذلك . على أن أنظار أرباب اللغة كانت بالأكثر متجهة الى مجمع القاهرة أولاً لما يتمتّع به من صفة التمثيل العام ، وثانياً لأنه جعل غايته وضع معجم كبير للغة العربية جامع لجميع موادّها الأصلية والمولدة والمعربة من قديمة ومحدثة مع شرح واف لها ، وتاريخ للدخيل منها ، وتبيان لأصولها وطرق استعمالها . والذي يراجع مقرراته والأسس التي وضعها ليبني عليها هذا البناء العظيم يجد أنه مع حرصه على سلامة اللغة ومحافظته على تراثها القديم لم يقف إزاء التطوّر العام وقفة المستنكر ، ولا تردّد في اقتباس الجديد الموافق ، ولا سمح للعاطفة القوميّة أن توجه نظره الى ما وراء فقط ، فتعميه عن رؤية ما هو أمام ، بل جابه مشكلات اللغة بحسّ علمي سليم في أكثر الأحيان ، وناقش حلولها بصراحة وحرية تامة . ولا ينكر أنه كان يتعثّر أحياناً في طريقه فيتعسّف في بعض مقرراته ، ولكنه لم يكن يأبى النقد العام ، أو يأنف من أن يتراجع عن الخطأ .

ويدلّك على أخذه بأسباب التطوّر في نظره الى الكلام المولّد أن المعجم الوسيط الذي صدر بإشرافه سنة ١٩٦٠ قد شمل من هذا الكلام أكثر مما شمله أي معجم آخر . فلا عجب أن يقول أمين سرّ المجمع في تصديره للوسيط مشيراً الى منهج المجمع فيه : « وتوسع في المصطلحات العلمية الشائعة ، ودعا الى الأخذ بما استقرّ من ألفاظ الحيـــاة العامة ، وخطا في سبيل التجديد اللغوي خطوات فسيحة ففتح باب الوضع للمحدثين ، شأنهم في ذلك شأن القدامى سواء بسواء . وعمّم القياس فيما لم يُقس من قبل ، وأقر كثيراً من الألفاظ المولدة والمعربة والحديثة وشدّد في هجر الحوشي والغريب » .

ولقد جهدتُ أن أتحرّى الشائع على أقلام كتابنا وشعرائنا من الألفاظ والأوضاع المولدة (غير الدخيلة وغير المصطلحات العلمية والفنية الخاصة) فوجدت منها مايقرب من ستمائة كلمة ومصطلح . ثم راجعت من معاجمنا الحديثة محيط المحيط وأقرب الموارد ، والبستان ومتن اللغة ، والمنجد ، والوسيط ، فإذا هي تشمل منها مايلي :

محيط المحيط ٢٧٥ ، أقرب الموارد ١٥٢ ، البستان ١٦٥ ، متن اللغة ٢٣٧ ، المنجد ٢٢٥ ، الوسيط ٥٥٠ . ولم يرد منها في القاموس المحيط للفيروزابادي أكثر من ٦٠ . أما معجم Cowan Weher فيشتمل على نحو ٥٢٠ .

وقد يكون هناك ألفاظ فاتتني في كل من هذه المعاجم ، على أني لا أعتقد أن مافاتني يغيّر كثيراً من هذه الأعداد . فإذا أضفنا اليها مئات الألفاظ الدخيلة ومئات الأوضاع العلمية الخاصة ، ثم اعتبرنا ما بطل استعماله من ألفاظ قديمة وما تحوّل من معنى إلى آخر ، اتضح لنا أن العربية ليست كما يتوهم بعضهم لغة جامدة ، بلى هي ككلّ اللغات الحيّة لغة متطورة ، وستبقى سائرة في طريق التطوّر إلى ماشاء الله . وإذا قيل إن أثر التطور فيها قليل بالنسبة إلى بعض اللغات الأوربية كالانكليزية مثلا فهي اليوم تختلف نطقاً وتهجئةً في كثير من ألفاظها عما كانت عليه قبل أربعة أو خمسة من القرون ، وقل كذلك في الفرنسية وسواها . أما العربية فهي هي منذ بزوغ الإسلام حتى الآن . قلنا إن ذلك لايعني جموداً أو توقّفاً عن السير في سبيل التطور ، بل يعني أن سبيلها لم يكن كسبيلهن ، بل كان نمواً مستمراً حافظت في أثنائه على شخصيتها ، ولكنها كانت في الوقت نفسه تهذّب ألفاظها فتحوّلها من الحوشيّ إلى المأنوس ، وتتنكب بها عن الإبهام إلى الوضوح ، وعن الإسراف الذهني إلى الاقتصاد . وعلى ذلك وضعت أسس بلاغتها وجمال مبانيها .

وهذا يحتّم على أرباب اللغة عند وضع الكلام توليداً وتعريباً مراعاة ما يتطلبه ناموس التطور المذكور ، فلننظر قليلاً إلى أي حدّ بلغت هذه المراعاة في عصرنا الحاضر . ولنحصر نظرنا الآن في الكلام المولّد دون المعرّب .

عالج التوليدَ اللغوي منذ فجر القرن العشرين عدد من الأفراد والمجامع وسنكتفي للتمثيل بذكر أربعة من الأفراد وأربعة من المجامع . فمن الأفراد ابراهيم اليازجي ، وأحمد تيمور ، وأنستاس الكرملي ، وأحمد رضا . ومن المجامع مجمع نادي دار العلوم (أسس بمصر ١٩١٠) ، والمجمع العلمي العربي (بدمشق ١٩١٩) ، ومجمع اللغة العربية (بالقاهرة ١٩٣٢) ، والمجمع العلمي العراقي (١٩٤٧) .

ومما لا ريب فيه أنهم أفراداً ومجامع قد بذلوا جهوداً مشكورة في هذا السبيل ، وأدوا خدمات جلّى للغة العربية . على أنهم لم يأمنوا العثار أحياناً فعرّضوا كثيراً من آرائهم ومقترحاتهم لنقد حادّ من الرأي الأدبي العام وذلك لتكلفهم في بعض أوضاعهم ما لا ينسجم مع مقتضيات النموّ السويّ في الحياة اللغوية .

وقد ظهر لي من معارضة العمل الفردي بالعمل المجمعي أن نسبة ما مات من المولدات الحديثة إلى ماعاش أو مايمكن أن يعيش أقل في الأخير منه في الأول . وبكلمة أخرى أن ما وضعته أو أقرته المجامع كان على العموم أكثر ملاءمة للذوق الأدبي العام ، وأحرى بسد حاجات العصر . وإيضاحاً لذلك نوازن بينهما ضمن منطقة واحدة فقط من مناطق التوليد اللغوي أعني منطقة الحضارة والحياة العامة التي تعنى بها أقلام الكتاب عادةً غير متعرضين للأوضاع العلمية والفنية الخاصة التي قلما يستعملها جمهرة المتأدبين . في هذه الموازنة نجد مايلي :

لإبراهيم اليازجي	نحو ٥٥	كلمة	لم	يعش	منهـا	غير	٢٠
ولأنستاس الكرملي	« ٦٠	«	«	«	«	«	١٨
ولأحمد تيمور	« ٣٠	«	«	«	«	«	١٢
ولأحمد رضا	« ١٢٣	«	«	«	«	«	١٤

أما المجامع فنسبة الوفيات فيها الى المواليد هي كما يلي :

نادي دار العلوم	وضع أو أقرّ ١٢٣	عاش منها نحو				٨٠
المجمع العلمي العربي	« « ١٤٧	عاش أو سيعيش منها نحو				١٢٠
المجمع العلمي العراقي	« « ٢٣٠	«	«	«	«	١٩٠
مجمع اللغة العربية	« « ٢٤٦	«	«	«	«	٢٠٠

ولا أدعي قطّ أن هذه الأرقام بالغة كال الصحة ، فهي تقريبية ، ولكنها مهما عدّلت فلا إخالها تبتعد عن حقيقة مانروم إيضاحه هنا .

وليس بغريب أن يرتفع معدل الألفاظ الحية في مقررات المجامع ، لما يتهيأ فيها من مناقشة وغربلة وتصفية . ولولا ذلك لما كان لها هذا الحظ من التفوّق على أوضاع الأفراد . ولعلّ من المفيد أن أذكر بعض أمثلة مما رفضه الرأي الأدبي العام فمات معظمه ، وما بقي منه ففي حالة الاحتضار . وهذه الأمثلة مأخوذ بعضها مما وضعه الأفراد وبعضها مما أقرته المجامع أو مما اقترحته أولاً ثم عدلت عنه . وأكثرها من باب الحياة العامة .

الطّرر — لما يعرف عند الافرنج بالفيلاّ (Villa) .

الفرّوج — للسترة أو القباء المشقوق .

دسار — بعضهم وضعه للدبّوس وبعضهم للمسمار (١) .

---

(١) الدّسار في اللغة المسمار . وقد وضعت لما يسمى بالفرنسية Rivet ، وهي بالعامية البِرْشام والبَجّن . ودَسَرَ هو بالفرنسية River و Riveter . وهو عند العامة بَرْشَمَ وبَشَّمَ وبَجّنَ . وأنواع الدُسُر في المعجم العسكري كثيرة . (لجنة المجلة)

الأُجَميّة ـ للحمّى المعروفة بالملاريا (Malaria) .
المثعب ـ لما يعرف في الأبنية بالسيفون (Siphon) .
الإماعة ـ للراديو والمذياع .
السفير ـ للتلفون ، أو الهاتف .
الراجبيّات ـ للبكتريا (Bacteria) أو الجراثيم المسبّبة للأمراض .
مِدره ـ للذي يتعاطى المحاماة (Avocat) .
الجديلة ـ للزيّ العام أو الموضة (Mode) .
حذاقة ـ لشهادة المدرسة كالبكالوريا وسواها .
الرّميز ـ للعالم المتفنن . فالرمازة عند الواضع تقابل Technicology .
النابل ـ لسائق المركبة أو السيارة .
الجهبذ ـ لأمين الصندوق في مؤسسة ما .
الخضخاض ـ للمازوت (النفط غير المصفّى) .
البزيع ـ لما يقابل لفظة جنتلمان Gentleman عند الانكليز .
الدّلق ـ للجبّة التي يلبسها القاضي أو المحامي .
الضاغط ـ لرئيس قلم التحصيل .
النّثور ـ المضرب الذي يستعمل في لعبة التنس (Racket) [١] .
الحسبان ـ للمدفع الرشاش .
الدِحال ـ لخنادق الحرب .
الإردبّة ـ للبالوعة التي تتصل بها أنابيب الماء من مرافق البيت .
المشجر ـ شمّاعة تكون في مدخل المنزل وفيها مرآة .
المِنبرة ـ الطراحة التي تفرش للجلوس .

---

(١) وقد أشار معجم وبستر الانكليزي الى أن (راكت) من العربية (راحة) لأنها تشبه الراحة التي قد يضرب بها . (لجنة المجلة)

العُقابية ـ الأداة التي يكشط بها الخشب وسواه .

الميدعة ـ ما تلبسه الفتاة فوق الثوب في أثناء عملها (المريول) .

وهناك كثير غيرها مما لم يلبث أن ولد حتى مات [١] .

ومما ينبغي ذكره ان المولّد في اللغة نوعان ـ نوع مقصود وهو الذي يتولّد من إعمال الفكر في اللفظة المناسبة للمعنى ، ويعنى به أفراد متخصصون أو مجامع لغوية كالذي سلف النظر ذكره فيه ، ونوع غير مقصود وانما تسوق اليه الحاجة سوقاً طبيعياً لا كلفة فيه ولا بحث ، فيجري على الألسنة والأقلام منبثقاً عن سليقة لغوية حساسة كقول المتنبي مثلاً :

تقصّده المقدار بين صحابه   على ثقةٍ من دهره وأمان

وقوله :

إنما أنفس الأنيس سباعٌ   يتفارسن جهرة واغتيالا

فليس في المعاجم صيغة تقصّد ولا تفارس ، ولكن السليقة دفعت الشاعر إلى استعمالها فلم يتردد .

وكذلك فعل ابن المعتز فاستعمل (أثمر) متعدياً إذ قال :

فأثمر همّاً لا يبيد وحسرة   لقلبيَ يجنيها بأيدي الخواطر

والبحتري في حمله اغترب على استغرب اذ قال :

وضحكن فاغترب الأقاحي عن ندٍ   غض وسلسال الرضاب برود

وعمر بن أبي ربيعة [٢] في استعماله تبدّى بمعنى بدا فقال :

وتبدّت لي فأبدت   واضحاً منها نحيضا

(١) راجع ما أثبته أحمد رضا في كتابه معجم متن اللغة من أوضاع المعاجم والأفراد . في مقدمة الجزء الأول .

(٢) وقبله قال الشاعر الحماسيّ :

وبدت لميس كأنها   قمر السماء إذا تبدى   (لجنة المجلة)

وابن نباتة [١] في استعمال التلاشي المولدة من لا شيء . فقال في خطبة له « بقايا جسوم متلاشية »

والطغرائي في استعمال التشويش إذ قال :

وإن قدرتِ على تشويش طُرّته فشوّشيها ولا تبقي ولا تذري

والغزالي في استعمال الصفة حذور اذ قال في مقدمة المنقذ من الضلال : أخوض غمرته خوض الجسور ، لا خوض الجبان الحذور .

وابن خلدون في قوله : حتى يتأذن الله بهلاكهم ، بدلَ حتى يأذن .

ومثل ذلك غير نادر في أقوال المتقدمين من الشعراء والكتبة . ومنه في عصرنا الحاضر استعمال كلمات واصطلاحات جاءت عفواً فعبّرت عن الفكر تعبيراً حسناً . كقولهم :

فَنّان — للماهر في الفنون ولم ترد أصلاً بهذا المعنى .

حدا به إلى كذا — والاستعمال الأصولي حداه .

احتج على أمر ما — أو قدّم احتجاجاً بمعنى أنكره ووضع فاعله موضع اللوم

اكتشف الأمر — أي كشفه وأظهره لأول مرة .

خابره — أي فاوضه أو بادله الخبر ومنه قلم المخابرات .

حكم على المجرم بالإعدام — أي بالموت . والإعدام أصلاً فقدُ المال فحولوها إلى فقد الحياة .

النظام الوحدوي — نسبةً إلى الوحدة ، والأصل أن يقال وحدي . ومثلها الكتلوي نسبةً إلى كتلة . وكانوا بالسليقة يقولون الثوروي نسبة إلى الثورة عدلوا عنها إلى الثوري .

---

(١) والتلاشي مستعملة في نهج البلاغة المنسوب لعلي بن أبي طالب قبل عصر ابن نباتة . (لجنة المجلة)

احتفل الشعب بالعيد ـ بمعنى احتفى به .

تكرير الشراب ـ أي تصفيته بتكرير نقله من حال إلى حال .

المظاهرات الشعبية ـ أي التظاهر بمناصرة قضية ما .

الدعايات ـ لما يقابل بروباغندا عند الافرنج .

وقس على ما ذكر كثيرا من الأوضاع الشائعة التي عاشت وستبقى حية لأن السليقة السوية هدت الناس اليها .

ولا شك ان المعجم الكبير الذي يسعى مجمع اللغة العربية بالقاهرة الى إخراجه سيعنى بالمولّدات عناية خاصة . وسيختار منها ما هو أمسّ بحياة العصر وأدلّ على الأغراض المنشودة ، وأكثر نصاعة وخفة في الاستعمال . وعلى كل حال فالزمان هو المهذّب الأكبر لكلّ لسان .

أنيس المقدسي

المعجم العربي

حروف المعجم وترتيبها - بناة المعجم العربي - المعجم الحديث بين الصناعة والفن

١ ـ الإعجام في المعجمات

قال ابن فارس في « مقاييس اللغة » : العين والجيم والميم ثلاثة اصول : أحدها يدلّ على سكوت وصمت ، والآخر على صلابة ، والآخر على عضّ ومذاقة .

وذكر ابن جني في مقدمة « سر الصناعتين » : إن مادة ع ج م وقعت في لغة العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان .

قال الجوهري : الأعجم : الذي لا يفصح ولا يبين كلامه وإن كان من العرب ، والأعجم أيضاً الذي في لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمية .

وأعجم الكتاب : خلاف أعربه ، وفي الصحاح : قال رؤبة :

الشعر لا يسطيعه من يظلمه　　يريد أن يعربه فيعجمه (١)

أي يريد أن يبينه فيجعله مُشْكِلا لا بيان له ، وقيل : يأتي به أعجمياً

---

(١) نسب الجوهري الشعر الى رؤبة ، وتابعه صاحب اللسان . وقال الصاغاني : الشعر للحطيئة ، وكذلك ورد في العمدة وفي ديوان الحطيئة ، وأوله ، كما في التاج :

الشعر صعب وطويل سلمه　　إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به الى الحضيض قدمه

يعني يلحن فيه ، وقال ابن فارس : ومعناه : يريد أن يُبين عنه فلا يقدر على ذلك ، فيأتي به غيرَ فصيح دالٍّ على المعنى .

والأعجم أيضاً : المستعجم الأخرس ، والمرأة : عجماء ، والعجماء : كل بهيمة ، وفي الحديث « جُرح العَجماء جُبار » أي لا دية فيه ولا قَوَد ، وفي الحديث أيضاً : « بعدد كل فصيح وأعجم » قيل : أراد : بعدد كل آدمي وبهيمة .

واستَعْجَم الرجل : سكت ، واستعجمت عليه قراءته : انقطعت ، فلم يقدر على القراءة من نُعاسٍ ونحوه ، ومنه حديث عبد الله : « إذا كان أحدكم يُصلّي فاستعجمت عليه قراءته فليَنَم » .

وكذلك استعجمت الدار عن جواب سائلها : سكتت ، قال امرؤ القيس :

صَمّ صداها وعفا رسمُها واستعجمت عن منطق السّائِل

قال الجوهري : والعَجْم : النَقْط بالسواد . مثل التاء عليها نقطتان . يقال : أعجمت الحرف : نَقَطته ، والتعجيم مثله . وقال الأزهري : سمعت أبا الهيثم يقول : مُعْجَم الخَط : هو الذي أعجمه كاتبه بالنقط ، تقول : أعجمت الكتاب أعجمه إعجاماً ، ولا يقال : عجمته ، إنما يقال عجمت العود : إذا عضضته لتعرف صلابته من رخاوته .

وأعجم الكتاب وعجّمه : نقطه . قال ابن جني في « سر صناعة الإعراب » : أعجمتُ الكتابَ : أزلتُ استعجامه ، وهو عنده على السّلب ، لأن افعَلتُ ، وإن كان أصلها الإثبات ، فقد تجيء للسّلب ، كقولهم : أشكيتُ زيدا : أي زُلت له عما يشكوه ، ولقوله تعالى : « إن الساعة آتيةٌ أكاد أُخفيها (١) » تأويله ، والله أعلم ، عند أهل النّظَر : أكاد أظهِرها . وتلخيص هذه اللّفظة : أكاد أُزيل عنها خفاءها ، أي سِترها .

(١) سورة طه : ١٥ .

وقالوا : عجّمت الكتاب ، فجاءت فَعّلْت للسَّلب أيضا ، كما جاءت أفْعَلْت ، وله نظائر .

٢ ـ حروف المعجم في المعجمات

حروف المُعْجم : هي الحروف المقطعة التي يختص أكثرها بالنقط من بين سائر حروف الأمم . قال ابن الأثير : حروف المعجم : حروف أ ب ت ث . . سميت بذلك من التّعجيم ، وهو إزالة العُجْمة بالنقط . وإذا قلت كتابٌ مُعَجّمٌ . فإن تعجيمه تنقيطُه لكي تستبينَ عُجْمَتُه وَيَضِحَ .

وقالوا : حروف المُعْجَم ، فأضافوا الحروفَ إلى المُعْجم ، فإن سأل سائل فقال : ما معنى قولنا حروف المُعْجم ، هل المعجم صفةٌ لحروف هذه ، أو غيرُ وَصْف لها ؟

قال ابن سيده في « المحكم والمحيط الأعظم » ومثله في اللسان : إنّ المُعجَم ، من قولنا : حروف المُعجم ، لا يجوز أن يكون صفة لحروف هذه ، من وجهين : أحدهما : أن حروفاً هذه ، لو كانت غير مضافة إلى المعجم لكانت نكرة ، والمعجم ، كما ترى معرفة ، ومحالٌ وصف النكرة بالمعرفة ، والآخر : أن الحروف مضافة ، ومحالٌ إضافة الموصوف إلى صفته ، والعلة في امتناع ذلك : أن الصفة هي الموصوف ، على قول النحويين ، في المعنى ، وإضافة الشيء إلى نفسه غير جائزة ، وإذا كانت الصفة هي الموصوف عندهم في المعنى ، لم يَجُز إضافة الحروف إلى المعجم ، لأنه غير مستقيم إضافة الشيء إلى نفسه . قال : وإنما امتنع ذلك من قبَل أن الغرض في الإضافة ، إنما هو التخصيص والتعريف ، والشيء لاتعرّفه نفسُه ، لأنه لو كان معرفة بنفسه ، لما احتيجَ إلى إضافته ، وإنما يُضاف إلى غيره ليعرّفه ..

وذهب محمد بن يزيدَ إلى أن المعجم مصدر ، بمنزلة الإعجام ، كما تقول : أدخلْته مُدْخَلا ، وأخرَجْته مُخرَجاً ، أي إدخالاً وإخراجاً . وحكى الأخفش أن بعضهم قرأ « ومَنْ يُهِنِ اللهُ فما لهُ من مُكْرَمٍ (١) » . بفتح الراء ، أي : من إكرام ، فكأنهم قالوا : هذه حروف الإعجام .

ويرى ابن سيده ، وتابعه ابن بريّ في رأيه ، أن ماذهب اليه محمد ابن يزيد المبرّد ، أسَدّ وأصوبُ من أن يُذهب إلى أن قولهم «حروف المُعْجم » بمنزلة قولهم : صلاةُ الأُولى ومَسْجد الجامع ، لأن معنى ذلك : صلاة السّاعة الأولى أو الفريضة الأولى ، ومسجد اليوم الجامع ، فالأُولى غير الصلاة في المعنى ، والجامع غير المسجد في المعنى ، وإنما هما صفتان حُذِفَ مَوْصُوفاهُما ، وأُقيما مُقامَهُما ، وليس كذلك حروف المُعْجم ، لأنه ليس معناه حروف الكلام المُعْجم ، ولا حُروف اللّفظ المعجم ، إنما المعنى أن الحروف هي المُعْجمة ، فصار قولنا حروف المعجم ، من باب إضافة المفعول إلى المصدر ، كقولهم : هـذه مطيّة رُكوب ، أي من شأنها أن تُركب ، وهذا سَهْم نِضال ، أي من شأنه أن يُناضل به ، وكذلك حروف المعجم : أي من شأنها أن تُعجَم .

قال ابن فارس : والذي عندنا في ذلك أنه أريد بحروف المُعجم : حروف الخط المعجم ، وهو الخط العربي ، لأنّا لانعلم خطّاً من الخطوط يُعجم هذا الإعجام حتى يدلّ على المعاني الكثيرة ؛ فأما أنه إعجام الخطّ بالأَشكال فهو عندنا يدخل في باب العضّ على الشّيء لأنّه فيه ، فسمي إعجاماً لأنه تأثير فيه يدلّ على المعْنى .

قال ابن سيده : فإن قيل : إن جميع هذه الحروف ليس مُعجما ، إنما المعجم بعضُها ، ألا ترى أن الألف والحاء والدال ونحوها ليس مُعجما ،

---

(١) سورة الحج : ١٨ .

فكيف استجازوا تسمية جميع هذه الحروف حروف المُعْجَم ؟ قيل له : إنما سميت بذلك : لأن الشكل الواحد إذا اختلفت أصواته ، فأعجمتَ بعضَها ، وتركت بعضَها ، فقد عُلِم أن هذا المتروك بغير إعجام ، وهو غير ذلك الذي من عادته أن يُعجم ، فقد ارتفع أيضاً بما فعلوه الإشكال والاستبهام عنها جميعاً ، ولا فَرْق بين أن يزول الاستبهام عن الحرف بإعجام عليه ، أو يقوم مَقام الإعجام في الإيضاح والبيان ، ألا ترى أنك إذا أعجمت الجيم بواحدة من أسفل ، والخاء بواحدة من فوق ، وتركت الحاء غُفْلا ، فقد عُلِم بإغفالها أنها ليست بواحدة من الحرفين الآخرين ، أعني الجيم والخاء ، وكذلك الدال والذال ، والصاد والضاد ، وسائر الحروف ، فلما استمرّ البيان في جميعها ، جاز تسميتها : « حروف المُعْجم » .

٣ ـ حروف الهجاء في المعجمات

قال أبو زيد : الهجاء : القراءة ، قلت لرجل من بني قيس : أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ فقال : والله ما أهجو منه حرفاً ، يريد ما أقرأ منه حرفاً ؛ قال : ورويت قصيدة ، فما أهجو اليوم منها بيتين ، أي ما أروي .

قال ابن فارس : الحاء والراء والفاء ثلاثة أصول : حدّ الشيء ، والعدول ، وتقدير الشيء ، فأما الحد فحرف كل شيء حده ، كالسيف وغيره ، ومنه الحرف وهو الوجه ... وهَجَاه إذا وقع فيه بالشعر .. والهِجاء : المهاجاة . ومما شذّ : هِجاء الحروف ، يقال : تَهَجّيتُ .

قال الجوهري : حرف كل شيء طرفه وشفيره وحدُّه ، ومنه حرف الجبل ، وهو أعلاه المحدّد ، والحرف : واحد حروف التهجي . وهجوت الحروف هجواً وهجاء وهجيتها تهجية ، وتهجيت كله بمعنى .

قال ابن سيده : والهجاء تقطيع اللفظة بحروفها ، وهجوت الحروف وتهجيتها هجواً وهجاءً ، وهجيتها تهجية وتهجيت كله بمعنى .

وتقطيع الحروف على أبجد : حساب الجُمَّل ، بتشديد الميم . قال ابن دريد : لا أحسبه عربياً . وحساب الجمَّل : حساب مبناه الحروف المقطعة على أبجد . كل حرف يدل على رقم من الأعداد ، آحادها ، وعشراتها ، ومئاتهـــا .

٤ ـ حروف الهجاء العربية وترتيبها

ظهر الإسلام ، في القرن السابع الميلاد ، وعرب الحجاز شعب أميّ لا يقرأ ولا يكتب ، إلا بضعة عشر رجلاً من قريش وبعض أهل المدينة ، عرفوا الكتابة بالحروف التي كانت شائعة في الأقطار العربية الأخرى كالشام والعراق واليمن (١) ، حتى أن بعض من كان يكتب ، كان يصور حروف الكلمات العربية بصور الحروف النبطية أو السريانية ، كما كان الذين تلقوا الكتابة عن يهود يكتبون بحروف عبرية (٢) .

وكان العرب في الأقطار التي كانت الكتابة شائعة فيها ، اقتبسوا من الأبجدية الفينيقية ترتيبها للحروف (٣) ، ذلك الترتيب الذي ورثته عنها جميع

---

(١) في كتب اللغة والأدب أخبار كثيرة عن أول عهد العرب بالكتابة وبدء انتشارها بينهم ، منها ما أورده السيوطي : « .. قال أبو بكر ابن أبي داود في « كتاب المصاحف » قال سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا تعلمنا من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة من أين تعلمتم الكتابة ؟ قالوا : من أهل الأنبار .. » انظر المزهر ج ٢ ص ١٧٥ طبعة ١٢٨٢ هـ .

(٢) انظر جرجي زيدان في كتابه « تاريخ الآداب العربيـــة » ج ١ ص ٢٧ و ٢٠٣ القاهرة ١٩١١ م .

(٣) الأبجدية نسبة إلى كلمة « أبجد » وهي أولى الكلمات الست : أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ، وهي الكلمات التي جمعت فيها حروف الهجاء الفينيقية الاثنان والعشرون بترتيبها المأخوذ من تسلسل الحروف في الكلمات نفسها .

الأبجديات السامية الأخرى (١) ، وكانوا يلحقون الأحرف العربية الزائدة بما يشبهها في رسمها من حروف تلك الأبجديات(٢) .

إن عدد حروف الهجاء في الأبجدية الفينيقية اثنان وعشرون حرفاً هي : أ ب ج د ، هـ و ز ، ح ط ي ، ك ل م ن ، س ع ف ص ، ق ر ش ت ، أما الأحرف العربية الزائدة فست (٣) هي : ث خ ذ ، ض ظ غ ، وقد ألف العرب منها كلمتين ، أطلقوا عليها اسم « الروادف » لأنهم أردفوها بالكلمات الست الأولى ، وأطلق على هذه الكلمات الثمانية اسم « الأبجدية العربية » (٤)

(١) انظر René Dussaud في كتابه « Les Arabes en Syrie avant l'Islam » ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد مصطفى زيادة ص ٥٥ القاهرة ١٩٥٩ م . وانظر E. H. Minns في بحثه « الحروف الهجائية ــ أصولها وأهميتها بالنسبة للحضارة » ترجمة عبد الحافظ معوض في مجموعة « تاريخ العالم » ج ٢ ص ٣٦٤ القاهرة .

(٢) انظر جداول مختلف الأبجديات في المصادر السابق ذكرها .

(٣) الإجماع منعقد بين علماء العربية على أن أصل حروفها ثمانية وعشرون يتألف منها الكلام كله . انظر أحمد بن فارس في كتابه « الصاحبي » ص ٧١ القاهرة ١٩١٠ م ــ على أن بعض العلماء جعل حروف العربية تسعة وعشرين معتبرين الهمزة حرفاً مستقلاً عن الألف ، ومن هؤلاء الخليل والقالي ، وقال سيبويه مثل قولهما وأضاف : وتكون ــ الحروف ــ خمسة وثلاثين حرفاً بحروف هن فروع وأصلها من التسعة والعشرين الخ .. انظر « الكتاب » ج ٢ باب الإدغام ص ٤٠٤ ــ ونقل القلقشندي عن أبي العباس البوني صاحب كتاب « أسرار الحروف » حديثاً منسوباً إلى أبي ذر الغفاري جعل حروف العربية تسعة وعشرين عدّ معها لام ألف حرفاً واحداً ــ انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ١١ ، وهـــذا الحديث المنحول ورد بصيغة أخرى في مقدمة كشف الظنون ص ٢٥ .

(٤) وهم بعض علماء العربية فسجلوا أسطورة عن كلمات الأبجدية ، فقال الفيروزابادي مثلاً : أبجد إلى قرشت وكلمن رئيسهم ملوك مدين ، ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم هلكوا يوم الظُّلة ... ثم وجدوا بعدهم ثخذ ضظغ فسموها الروادف ــ انظر القاموس المحيط مادة ب ج د ــ وبلغ الوهم بعلماء آخرين فزعموا أن كلمة أبجد عربية النجار وأصلها « أبو جاد » انظر تاج العروس مادة ب ج د ــ ونقل ــ

وإلى الحروف المقطعة لهذه الأبجدية يستند « حساب الجُمَّل » على خلاف في ترتيبها بين العرب من أهل المشرق وإخوانهم المغاربة (١) .

وكان من آثار انتشار الإسلام ، أن كثر سواد الكاتبين بين المسلمين ، وفي عهد عثمان بن عفّان (رض) تم جمع القرآن في مصحف واحد ، بعد أن كان محفوظاً في الصدور أو مسطوراً في العُسب واللّخاف والأكتاف من قبل كتاب الوحي .

وكانت كتابة القرآن في أول عهدها بحروف خالية من أي إعجام أو شَكْل ، فلما زاد اختلاط العرب بغيرهم من المسلمين فشا اللحن بينهم ، فخيف على القرآن من قراءة غير العلماء له ، فقام أبو الأسود الدؤلي (٢) ، في زمن معاوية بن أبي سفيان ، بضبط أواخر الكلام في المصاحف بالنقط ، فجعل علامة الفتحة نقطة من فوق الحرف ، وعلامة الكسرة نقطة من أسفله ، وعلامة الضمة نقطة بين يديه ، ونهج الناس هذا النهج ، واستعملوا مداداً أحمر في النقط مخالفين بذلك لون الحروف .

— القلقشندي عن الجوهري قصة آل مُرامر بن مرّة الذي سمّى كل واحد من أولاده بكلمة من « أبي جاد » وهم ثمانية ـ كما ذكر أن الأبجدية العربية كانت تعلم في زمن عمر بن الخطاب (رض) مستشهداً بقول الأعرابي :

أتيت مهاجرين فعلموني ثلاثة اسطر متتابعات
وخطوا لي أبا جاد وقالوا تعلم سعفصاً وقريشات

أنظر صبح الأعشى ج ٣ ص١٣ و ٢٣ ـ وانظر صحاح الجوهري مادة م ر ر . ونقل السيوطي عن أبي سعيد السيرافي أن سيبويه فصل بين أبي جاد وهوز وحطي فجعلهن عربيات ، وبين البواقي فجعلهن أعجميات .. والمهم أن أبا سعيد المذكور قال : إن هذه الحروف عليها يقع تعليم الخط السرياني . انظر المزهر ج ٢ ص ١٧٨ .

(١) انظر مقدمة ابن خلدون « فصل علم اسرار الحروف » وانظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٢ ـ وانظر أيضاً Encyclopédie de l'Islam مادة Abdjad باريس ١٩١٣ .

(٢) ابو الأسود واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي الكناني من فقهاء التابعين ، وهو مؤسس علم النحو ولد قبل الهجرة بسنة واحدة (٦٢١ م) وولي إمارة البصرة في خلافة علي وتوفي فيها سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٣ ص ٣٤٠ .

وإذا كان من شأن عمل أبي الأسود أن يحول دون اللحن الناشىء عمّا نسميه اليوم الجهل بالإعراب ، فإنه ما كان ليحول دون تحريف الكلم ، نظراً لتشابه كثير من حروف العربية في رسمها ، فالجيم كانت تلتبس على القارىء بالحاء أو بالخاء ، والدال بالذال ، والراء بالزاى ، والسين بالشين ، والعين بالغين ، وكان ممن انتبه إلى هذا الأمر وخشي مغبته ، الحجاج بن يوسف الثقفي [١] ، أمير العراق في خلافة عبد الملك بن مروان [٢] ، قال ابن خلكان [٣] : وحكى ابو احمد العسكري [٤] في كتاب « التصحيف » أن الناس غبروا [٥] يقرأون في مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه نيفاً وأربعين سنة إلى أيام عبد الملك بن مروان ثم كثر التصحيف وانتشر بالعراق ففزع الحجاج بن يوسف إلى كتّابه ، وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات ، فيقال إن نصر بن عاصم [٦] قام بذلك ، فوضع النقط افراداً وأزواجاً ، وخالف بين أماكنها ، فغبر [٥] الناس بذلك زماناً لا يكتبون إلا منقوطاً ، فكان

(١) الحجاج الثقفي أحد دهاة العرب ولد في الطائف سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) ولاه عبد الملك بن مروان امارة العراق فثبت له الملك ، توفي في واسط سنة ٩٥ هـ (٧١٤ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢) عبد الملك بن مروان خامس خلفاء بني أمية وهو من أعاظمهم ودهاتهم وفي أيامه عربت الدواوين واعجمت الحروف وصكت الدنانير . ولد سنة ٢٦ هـ (٦٤٦ م) وتوفي في دمشق سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٤ ص ٣١٢ .

(٣) أحمد بن محمد بن خلكان المؤرخ الحجة صاحب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، وهو أشهر كتب التراجم ومن أحسنها ضبطاً واحكاما . توفي في دمشق سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ١ ص ٢١٢ .

(٤) الحسن بن عبد الله العسكري من أئمة اللغة ولد سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٦ م) وتوفي سنة ٣٨٢ هـ (٩٩٣ م) انظر ترجمته في أعلام الزركلي ج ٢ ص ٢١١ .

(٥) غبر كقعد مكث وبقي ومضى . وقد حقق هذه الكلمة فريد رفاعي في طبعته لوفيات الأعيان ج ٤ ص ٥٤ وفي طبعة سنة ١٢٩٩ هـ وما نقل عنها وردت كلمة عبر بعين مهملة تصحيفاً ـ انظر ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي ج ١ ص ١٥٥ .

(٦) نصر بن عاصم الليثي ترجم له ياقوت في ارشاد الأريب فقال : « كان فقيهاً عالماً بالعربية ، من فقهاء التابعين ، وكان يُسند الى أبي الأسود الدؤلي في القرآن والنحو مات بالبصرة سنة تسع وثمانين وقيل سنة تسعين » انظر معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٢٤.

مع استعمال النقط أيضاً يقع التصحيف ، فأحدثوا الإعجام ، فكانوا يُتبعون النقط الإعجام .. »[١] .

أما ما صنعه نصر بن عاصم ، فهو أنه أخذ من كلمة « أبجد » حرفيها الأولين ، وألحق بثانيهما كلاً من التاء والثاء ، لتشابه رسمهما مع رسم الباء ، معجماً الباء بنقطة من تحتها ، والتاء باثنتين من فوقها ، والثاء بثلاث نقط من فوقها أيضاً ، ثم عاد نصر إلى كلمة « أبجد » فأخذ الجيم ووضعها بعد الثاء ثم ألحق بها كلاً من الحاء والخاء لتشابهها في الرسم ، معجماً الجيم بنقطة من تحتها ، والخاء بواحدة من فوقها ، تاركاً الحاء مهملة بين شبيهتيها بحكم التناظر ، ثم وضع بعدها دال « أبجد » مهملة وألحق بها الذال بعد أن أعجمها بنقطة من فوقها ، وهكذا أنهى ترتيب تسعة أحرف من حروف الهجاء .

ثم نظر نصر في كلمة « هوز » ثاني كلمات الأبجدية ، فوجد أن كلا من الهاء والواو حرف منفرد في رسمه ولا مثيل له بين حروف العربية فأخرهما ، واثبت الزاي في ترتيبه الجديد ، بعد أن أعجمها بواحدة من فوقها ، وجعل الراء ، وهي تماثل الزاي في الرسم ، مهملة وتسبق شبيهتها المعجمة في الترتيب ، وذلك اتباعاً لترتيب كل من الدال والذال ، وقبلها الحاء والخاء .

---

(١) في كلام ابن خلكان التباس بين النقط والإعجام ، فالنقط كان من عمل أبي الأسود الدؤلي ، والإعجام كان عمل نصر بن عاصم ، وأما ما صُنع بعد نصر فهو الشَّكْل ، وفي أصح الأقوال أن الخليل بن أحمد لم يستعمل النقط للدلالة على حركات الإعراب ، انما استعمل الشكل بصور تدل على الحركة الصوتية للحرف ، فاختصر من الألف الفتحة بشكلها القائم ، ومن الواو الضمة ، ومن الياء الكسرة ، أما العلامات الأخرى ، كالمدة والوصلة والشدة ، فقد وضعت في العصر العباسي . انظر وقارن : جرجي زيدان في « تاريخ التمدن الإسلامي » ج ٣ ص ٦٠ طبعة جديدة ــ والزيات في « تاريخ الأدب العربي » ص ١٥٢ القاهرة ١٩٣٠ .

وكأن ارداف كل من الحاء والدال والراء بشبيهه المعجم ، جعل نصراً يلزم نفسه بهذا النهج في ترتيب الحروف الباقية ، فيتبع كل مهمل من الحروف بشبيهه المعجم ، لأن ذلك أدعى إلى زيادة التناسق في الترتيب والجمال في تلاؤم الجوار ؛ وهكذا اختار نصر مما تبقى من حروف العربية ما له نظير في الرسم ، فكانت لديه كل من : السين والصاد والطاء والعين فألحقها بهذا الترتيب بحرف الزاي مردفاً كل حرف منها بما يشبهه بعدأن أعجمه تمييزاً له عن المهمل ، وقد أعجم الشين بثلاث نقط مجتمعات من فوقها ، خوفاً من التباس أحد أسنانها بحرف آخر إذا ما أعجمها بواحدة أو باثنتين ، وأعجم الضاد بواحدة من فوقها ، وكذلك أعجم الظاء والغين ، ثم ألحق بالغين الفاء والقاف معجماً القاف باثنتين من فوقها بعد أن رأى ضرورة اعجام الفاء بواحدة خوفاً من التباسها بالميم إذا ما توسطتا في كلمة من الكلمات .

وانتهى الترتيب بنصر بن عاصم إلى أحرف « كلمن » فوضعها متلاحقة كما هي ، بعد أن أعجم النون بواحدة من فوقها ، حتى لا تلتبس بمثل الباء أو التاء ، ثم ختم ترتيبه لحروف العربية بالباقي منها وهي : الهاء والواو والياء ، بعد أن أعجم الياء بنقطتين من تحتها ، خوفاً من التباسها بالباء أو بالتاء أو بالنون إذا ما توسطت الكلمة .

وإذا كان المعجم العربي مديناً لنصر بن عاصم بترتيب حروفه إلى يومنا هذا ، فلا بد من الإشارة إلى أن ترتيبه لم ينتشر إلا في أواخر القرن الثاني للهجرة [1] وكان لأبي عمرو الشيباني المتوفى سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١ م)

(١) إن تأخر انتشار ترتيب نصر كان ـ في رأينا ـ بسبب طبيعة المعاصرة عند الناس ، وهذا الخليل بن أحمد ـ على ما يبدو لنا ـ لم يلجأ الى اختراع ترتيب الحروف بحسب مخارجها ، وهو العبقري الفذ ، إلا ليبتعد عن الأخذ بترتيب عرف معاصروه مبتدعه نصراً ، وكأن هذه الطبيعة نفسها ، هي التي دفعت علماء الأندلس لمخالفة ترتيب نصر لحروف الهجاء ، كما دفعتهم لتغيير نقط الإعجام في بعض الحروف . إذ جعلوها تحت الحرف لا فوقه ،

الفضل في دعم انتشار ترتيب نصر للألف باء العربية [١] ، بتأليفه أول معجم بالترتيب نفسه [٢] ، كما لا بد لنا من الإشارة إلى أن ترتيب نصر لم ينتشر في الأندلس والمغرب العربي ، إذ وجد هنالك ترتيب لحروف الهجاء العربية يختلف بعض الاختلاف عن ترتيبها في المشرق ، كما هو الحال في اختلاف ترتيب حروف كلمات الأبجدية [٣] .

هذا وقد وضعنا جدولاً خاصاً بالحروف العربية ، بينا فيه موضع كل حرف في أي نهج عرف في مشرق البلاد العربية وفي مغربها ، وقيمة كل حرف في حساب الجُمَّل .

---

(١) « الألف باء » اصطلاح عمّ جميع اللغات التي تتصل حروف كتابتها بنسب إلى الأبجدية الفينيقية ، وذلك للدلالة على حروف الهجاء جميعها ، وهذا الاصطلاح مركب من اسمي الحرفين الأولين من حروف الأبجدية ، وكثير من كتاب العصر الحديث يكتبون هذا المصطلح موصولاً فيقولون « الألفبـاء » وكان ابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٦ م) سابقاً إلى استعمال هذا المصطلح متصلاً تعريباً عن الإغريقية ، فذكر عند كلامه على أسرار الحروف قوله : « إذا أردت أن نعلم قوة كل حرف من حروف الفابيطوس ، أعني أبجد إلى آخر العدد .. » انظر المقدمة ص ٥٨٧ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .

(٢) يبدو أن ترتيب حروف الهجاء العربية ، من قبل أمثال الخليل وسيبويه وغيرهما ، ظل ينافس ترتيب نصر بن عاصم بعض المنافسة لمدة قرون ، بدليل أن الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٤ م) وهو الذي أخذ بترتيب عاصم مثنياً عليه ، قال في مقدمته لأساس البلاغة : « وقد رُتِّب الكتـاب على أشهر ترتيب متداولاً ، وأسهله متناولا » .

(٣) انظر ص١٩٤ والمصادر المذكورة في الهامش رقم ١ . هذا وإن القلقشندي عند كلامه على ترتيب الحروف يذكر أن ترتيبها على ضربين : مفرد ومزدوج ، وهو يقصد بالمفرد الترتيب الذي نسميه اليوم « ترتيب الألف باء » أما المزدوج فهو ما نسميه « الترتيب الأبجدي » انظر صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٢ .

حروف المعجم وترتيبها

العدد	الأبجدية عند الشعوب السامية	الأبجدية السامية بعد إلحاق الزوائد العربية بأشباهها	أبجدية حروف الهجاء العربية: عند المشارقة	عند المغاربة	قيمة الحرف في حساب الجمّل	حروف المعجم كما رتبها نصر بن عاصم	ترتيب الحروف بحسب مخارجها: عند الخليل	عند سيبويه	عند القالي	الحروف كما شاع ترتيبها في الأندلس
١	ا	ا	ا	ا	١	أ	ع	ء/ا	ه	ا
٢	ب	ب	ب	ب	٢	ب	ح	ه	ح	ب
٣	ج	ج	ج	ج	٣	ت	ه	ع	ع	ت
٤	د	د	د	د	٤	ث	خ	ح	خ	ث
٥	ه	ذ	ه	ه	٥	ج	غ	غ	غ	ج
٦	و	ه	و	و	٦	ح	ق	خ	ق	ح
٧	ز	و	ز	ز	٧	خ	ك	ق	ك	خ
٨	ح	ز	ح	ح	٨	د	ج	ك	ض	د
٩	ط	ح	ط	ط	٩	ذ	ش	ج	ج	ذ
١٠	ي	خ	ي	ي	١٠	ر	ض	ش	ش	ر
١١	ك	ط	ك	ك	٢٠	ز	ص	ي	ل	ز
١٢	ل	ظ	ل	ل	٣٠	س	س	ض	ر	ط
١٣	م	ي	م	م	٤٠	ش	ز	ل	ن	ظ
١٤	ن	ك	ن	ن	٥٠	ص	ط	ن	ط	ك
١٥	س	ل	س	ص	٦٠	ض	ت	ر	د	ل
١٦	ع	م	ع	ع	٧٠	ط	د	ط	ت	م
١٧	ف	ن	ف	ف	٨٠	ظ	ظ	د	ص	ن
١٨	ص	س	ص	ض	٩٠	ع	ذ	ت	ز	ص
١٩	ق	ع	ق	ق	١٠٠	غ	ث	ز	س	ض
٢٠	ر	غ	ر	ر	٢٠٠	ف	ر	س	ظ	ع
٢١	ش	ف	ش	س	٣٠٠	ق	ل	ص	ذ	غ
٢٢	ت	ص	ت	ت	٤٠٠	ك	ن	ظ	ث	ف
٢٣	.	ض	ث	ث	٥٠٠	ل	ف	ذ	ف	ق
٢٤	.	ق	خ	خ	٦٠٠	م	ب	ث	ب	س
٢٥	.	ر	ذ	ذ	٧٠٠	ن	م	ف	م	ش
٢٦	.	ش	ض	ظ	٨٠٠	ه	ء/ي	ب	و	ه
٢٧	.	ت	ظ	غ	٩٠٠	و	و	م	ا	و
٢٨	.	ث	غ	ش	١٠٠٠	ي	ا	و	ي/ء	ي

٥ ــ المعجم في الاصطلاح

كان علماء العربية الأوائل ، يصفون هذا الخط العربي الذي نكتب به ، بأنه « معجم » لأنه لا يبين إلا بالإعجام تنقيطاً وشكلا ، وكانوا إذا ما أضافوا كلمة « معجم » إلى الحروف ، اعتبروا الكلمة صفة لموصوف محذوف هو « الخط » وأرادوا من التركيب الإضافي لهاتين الكلمتين : حروف العربية المرتبة ترتيبها المشهور ، ثم أخذ بعض العلماء من المؤلفين ، يرون في ترتيب الحروف نهجاً يمكن التزامه في عرضهم للمعلومات التي يريدون تدوينها ، فيسهلون بذلك الرجوع إليها ، إذ يكتفي المُراجع بالنظر في المعلومات المدونة في الفصل المعقود للحرف الذي تبتدىء به الكلمة الدالة على الموضوع ، ويكون هذا في الموضوعات التي يمكن ترتيبها تبعاً للحرف الذي تبتدىء به أول كلمة في الموضوع أو أي كلمة أخرى تدل عليه ، كما في ترتيب الأحاديث النبوية ، أو تراجم الرجال من صحابة وعلماء وشيوخ ، أو كما في تقويم البلدان والأمصار .

وكان أن أطلق أحد العلماء على كتاب ألفه بترتيب المعجم ، أو كان أن أطلق بعض الناس على كتاب مؤلف بحسب النهج المذكور ، اسم « المعجم » اصطلاحاً ، ثم شاع هذا الاسم وانتشر ، وأصبح كل كتاب رتبت المعلومات فيه بترتيب حروف الهجاء يسمى عند الناس « معجماً » . وإذا كان من غير الممكن معرفة أول من أطلق كلمة « معجم » على الاصطلاح المذكور ، ولا أول كتاب سمي « معجما » فيكاد يكون من المتفق عليه ، أن رجال الحديث هم الأوائل الذين ألفوا الكتب بترتيب حروف الهجاء ، وكان الإمام البخاري

صاحب الصحيح ، وهو من رجال القرن الثالث للهجرة [١] ، من رواد التأليف المعجمي ، وقد ألف كتباً كثيرة منها : كتاب التاريخ الكبير الذي قال في مقدمته [٢] : « قال أبو عبد الله محمد بن اسماعيل : هذه الأسامي وضعت على : أ ، ب ، ت ، ث ، وإنما بدىء بمحمد من بين حروف أ ، ب ، ت ، ث لحال النبي ﷺ .. فإذا فُرغ من المحمدين ابتدىء في الألف ثم الباء ثم التاء ثم الثاء ثم ينتهي بها إلى آخر حروف أ ، ب ، ت ، ث ، وهي : ي » .

وقيل إن الإمام البخاري كان نفسه أول من أطلق لفظة « معجم » وصفاً لأحد كتبه المرتبة على حروف المعجم [٣] .

ومن أوائل المؤلفات ، التي وصل خبرها الينا ، وهي تحمل اسم « معجم » كتاب أبي القاسم عبد الله بن محمد البغوي [٤] ، واسمه « معجم الحديث » وقيل إن البغوي نفسه الف كتاباً آخر باسم « معجم الصحابة » كما أن أبا بكر محمد بن الحسن النقاش [٥] ، ألف معجماً كبيراً في أسماء القراء ، واختصره في معجم صغير ، وألف ابراهيم بن أحمد البلخي المعروف بالمستملي [٦] معجماً للشيوخ ، ووضع أبو عبـــد الله محمد بن عمران المرزباني [٧] ، معجماً

---

(١) الإمام محمد بن اسماعيل البخاري ، ولد سنة ١٩٤ للهجرة (٨١٠ م) وتوفي سنة ٢٥٦ هـ (٨٧٠ م) انظر أعلام الزركلي : ج ٦ ص ٢٥٨ .

(٢) انظر التاريخ الكبير ص ١١ طبعة حيدر آباد الدكن سنة ١٣٦١ هـ .

(٣) انظر احمد عبد الغفور عطار في « الصحاح ومدارس المعجمات العربيـــة » ص ٥٣ القاهرة ١٩٥٦ م .

(٤) توفي في بغداد سنة ٣١٧ هـ (٩٢٩ م) انظر أعلام الزركلي ج ٤ ص ٢٦٣ .

(٥) توفي سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) انظر الأعلام ٣١٠/٦ .

(٦) توفي سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م) انظر الأعلام ٢٣/١ .

(٧) توفي سنة ٣٨٤ هـ (٩٩٤ م) انظر الأعلام ٢١٠/٧ .

للشعراء ، ذكر فيه اسم نحو من خمسة آلاف شاعر رتب أسماءهم بترتيب حروف المعجم .

وشاعت بعد ذلك تسمية الكتب المرتبة على حروف الهجاء بالمعجمات ، حتى أن واحداً من علماء القرن الخامس للهجرة ، وهو علي بن الحسن المشهور بابن عساكر (١) ، اطلق على عديد من مؤلفاته اسم « معجم » فمن معجم للصحابة ومعجم للشيوخ ، إلى معجم للنسوان ورابع لأسماء القرى والأمصار .

وتتالى بعد القرن الرابع للهجرة تأليف المعاجم في أغراض علمية شتى ، حتى يكاد يكون حصر ما ألف منها من الصعوبة بمكان كبير ، على أن علماء العربية الذين ابتدعوا فكرة « المعجم » ودونوا مفردات اللغة في المعجمات العديدة التي ألفوها ، لم يطلق أي واحد منهم على مؤلفه اسم « معجم » بل اختار كل واحد اسماً خاصاً بمعجمه فمثلاً :

أطلق الخليل على معجمه اسم « العين » ،

وأطلق الشيباني على معجمه اسم « الحروف » ،

وأطلق ابن دريد على معجمه اسم « الجمهرة » ،

وأطلق القالي على معجمه اسم « البارع » ،

وأطلق الأزهري على معجمه اسم « تهذيب اللغة » ،

وأطلق الجوهري على معجمه اسم « الصحاح » ،

وأطلق الأزدي على معجمه اسم « المنجد » ،

وأطلق ابن منظور على معجمه اسم « لسان العرب » ،

وأطلق الفيروزابادي على معجمه اسم « القاموس المحيط » .

---

(١) توفي سنة ٥٧١ هـ (١١٧٦ م) انظر الأعلام ٥/٨٢ .

٦ ــ بناة المعجم العربي

إذا كانت كلمة « معجم » تطلق اليوم على : كل ديوان يجمع مفردات اللغة ومرتب على حروف الهجاء ، فإننا نهدف من قولنا « المعجم العربي » : مجموع الثروة العظيمة التي خلفها علماء العربية ، على مدى العصور ، فحفظوا لنا بها لغة العرب ، لغة القرآن الكريم ، اللغة التي نفخر بها ونعتز .

لقد ابتدأت الأبحاث اللغوية ، في القرن الأول للهجرة ، مستهدفة لتفسير غريب القرآن ومشكله ، وغريب الحديث ، وغريب ما ورد في الشعر العربي ونوادره ، وكان أن فكر رجل من نوابغ العرب ، هو الخليل بن احمد الفراهيدي[1] ، في أسلوب يؤدي إلى جمع العربية وتدوينها بين دفتي كتاب ، ووضع نهجاً يقوم على قواعد رياضية بحتة ، إذا ما طبقت ، أمكن إيجاد معجم يحفل بألفاظ اللغة العربية بأسرها .

وقام كثير من العلماء منذ القرن الأول للهجرة وحتى القرن الثاني عشر ، يبحثون ويؤلفون ويجمعون ، فجمع بعضهم غريب اللغة ونوادرها ، وجمع آخرون ما يذكر ويؤنث أو ما يفرد ويثنى ويجمع من كلماتها ، وقام البعض بجمع كل ما يتصل بصفات الإنسان ، أو يتصل بالحيوان أو بالنبات ، أو بالمطر والأنواء وما شابه ذلك ، كما قام آخرون بالتأليف في الطبقات أو بالمواضع والبلدان ، وهنالك من بحث الاشتقاق في اللغة ، أو جمع المترادف أو المتشابه ، أو عني بما يُلحن فيه أو بالمعرب والدخيل ، ومن العلماء من قام بجمع مفردات اللغة ، وبيان معانيها ، مرتباً إياها بترتيب حروف الهجاء ، أو

(١) انظر « قصة عبقري » ليوسف العش في سلسلة إقرأ ١٩٤٦ م ـ وله أيضاً « أولية تدوين المعاجم » في مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ١٦ دمشق ١٩٤١ .

بترتيب مخارجها ، كما فعل الخليل بن أحمد،وهؤلاء هم رواد المعجم العربي الأوائل ، وتكاد الإحاطة بكل ما ألفه علماء العربية في اللغة ، تكون مستحيلة ، لكثرة تلك المؤلفات ، واضياع قسم كبير منها ، ولأن بعضها لم يصل إلينا كاملا ، أو لم يصل إلينا منه غير خبره أو اسمه ، وغير ما استفاده منه من اطلع عليه من المؤلفين السابقين ، دون أن يشير فيما ألفه إلى المصدر الذي استقى منه العلم الذي تركه لنا .

وإذا كان مؤلفو المعجمات الأول ، هم بلا منازع روّاد المعجم العربي ، الذين وضعوا أسسه والقواعد التي يقوم عليها ، فإن بناة المعجم العربي ، هم في الحقيقة ، جميع اولائك العلماء الذين كتبوا وألفوا في أي ناحية من نواحي اللغة ، أو ساعدوا غيرهم في ذلك بالنقل أو الرواية أو بالتحشية أو بالتعليق ، أو بشرح بعض المسائل اللغوية أو بالاستدراك على من سبقهم من المؤلفين .

إن ثروتنا من كتب اللغة ، على اختلاف موضوعاتهـــا والهدف منها وأسلوبها ، إنما تؤلف وحدة ، كل كتاب منها بحسب قيمته ، يعتبر لبنة أو حجراً أو زاوية أو عموداً أو دعامة في بناء المعجم العربي ، وبناة هذا المعجم ، هم جميع الذي اشتركوا في أقامة هذا الصرح العربي الضخم ، وسنذكر أشهر من عرفنا منهم في جداول تتضمن موجزاً في التعريف بكل واحد منهم ، وأهم معطياته للمعجم العربي .

كما أننا سنضع لأمهات المعاجم العربية وأشهرها ، جدولاً مستقلا ، يتضمن تعريفاً مقتضباً لكل منها ، مع بيان النهج الذي اختاره المؤلف أو امتاز به .

أشهر المشتركين في بناء المعجم العربي

١

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	معطياته للمعجم وأهم مؤلفاته اللغوية	مرجع معجمي لترجمته
القرن الأول	الليثي	نصر بن عاصم	..	٨٩ هـ ٧٠٧ م	ترتيب حروف الهجاء	الأدباء ١٩/٢٢٤
القرن الثاني الهجري	أبو مالك الأعرابي	عمرو بن كركرة النميري	..	..	خلق الإنسان . الخيل . النوادر .	البغية ٢/٢٦٧
	أبو خيرة	الأعرابي العدوي	..	..	الحشرات .	الفهرست ١/٤٥
	أبو عمرو	زبان بن العلاء عمار التميمي	٧٠ هـ ٦٩٠ م	١٥٤ هـ ٧٧١ م	النوادر	الأعلام ٣/٧٢
	الخليل	بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن	١٠٠ هـ ٧١٨ م	١٧٠ هـ ٧٨٦ م	العين معاني الحروف . النقط والشكل .	الأعلام ٢/٣٦٣
	الليث	بن المظفر الخراساني أبو هشام	..	١٨٠ هـ ٧٩٦ م	اتمام العين	الأدباء ١٧/٤٣
	يونس النحوي	ابن حبيب الضبي	٩٤ هـ ٧١٣ م	١٨٢ هـ ٧٩٨ م	معاني القرآن . اللغات .	الأعلام ٩/٣٤٤
	الكسائي	علي بن حمزة الأسدي أبو الحسن	١١٩ هـ ٧٣٧ م	١٨٩ هـ ٨٠٥ م	معاني القرآن . المصادر . الحروف . ما تلحن فيه العامة	الأعلام ٥/٩٣
القرن الثالث الهجري	النضر	بن شميل التميمي أبو الحسن	١٢٢ هـ ٧٤٠ م	٢٠٣ هـ ٨١٩ م	الصفات . السلاح . غريب الحديث .	الأعلام ٨/٣٥٧
	أبو عمرو	الشيباني اسحاق بن مرار	٩٤ هـ ٧١٣ م	٢٠٦ هـ ٨٢١ م	الحروف غريب الحديث . النخلة . الابل . الخيل . النوادر . خلق الانسان .	الأعلام ١/٢٨٩
	الفراء	يحيى بن زياد الديلمي أبو زكريا	١٤٤ هـ ٧٦١ م	٢٠٧ هـ ٨٢٢ م	معاني القرآن . اللغات . ما تلحن فيه العامة . مشكل اللغة .	الأعلام ٩/١٧٨
	اللحياني	علي بن حازم أبو الحسن	..	٢٠٧ هـ ٨٢٢ م	النوادر	معجم المؤلفين ٧/٥٦
	أبو عبيدة	معمر بن المثنى التيمي	١١٠ هـ ٧٢٨ م	٢٠٩ هـ ٨٢٤ م	ما تلحن فيه العامة . الانسان . الزرع . الشوارد . معاني القرآن . غريب الحديث .	الأعلام ٨/١٩١
	أبو زيد	الأنصاري سعيد بن أوس	١١٩ هـ ٧٣٧ م	٢١٥ هـ ٨٣٠ م	النوادر . المطر . المياه . خلق الانسان . الشجر . غريب الأسماء .	الأعلام ٣/١٤٤
	الأخفش الأوسط	سعيد بن مسعدة المجاشعي أبو الحسن	..	٢١٥ هـ ٨٣٠ م	تفسير معاني القرآن . الاشتقاق .	الأعلام ٣/١٥٤
	الأصمعي	عبد الملك بن قريب أبو سعيد	١٢٢ هـ ٧٤٠ م	٢١٦ هـ ٨٣١ م	غريب الحديث . الابل . الأضداد . النخل . الانسان . المترادف . النبات . الخيل .	الأعلام ٤/٣٠٨
	ابن سلام	القاسم الهروي أبو عبيد	١٥٧ هـ ٧٧٤ م	٢٢٤ هـ ٨٣٨ م	الغريب المصنف غريب القرآن . غريب الحديث . الأنساب .	الأعلام ٦/١٠
	أبو مسحل	الأعرابي عبد الوهاب بن حريش	..	٢٢٨ هـ ٨٤٣ م	النوادر . الغريب .	معجم المؤلفين ٦/٢١٨
	ابن الأعرابي	محمد بن زياد أبو عبد الله	١٥٠ هـ ٧٦٧ م	٢٣١ هـ ٨٤٥ م	أسماء الخيل . البئر . النوادر . الدرع .	الأعلام ٦/٣٦٥
	الباهلي	أحمد بن حاتم أبو نصر	..	٢٣١ هـ ٨٤٦ م	اشتقاق الأسماء . ما تلحن فيه العامة . الزرع والنخل . الشجر والنبات . الجراد .	الأعلام ١/١٠٤
	ابن السكيت	يعقوب بن إسحق أبو يوسف	١٨٦ هـ ٨٠٢ م	٢٤٤ هـ ٨٥٨ م	الألفاظ اصلاح المنطق . الأضداد . الحشرات . غريب القرآن . النبات والشجر .	الأعلام ٩/٢٥٥
	ابن حبيب	محمد البغدادي أبو جعفر	..	٢٤٥ هـ ٨٦٠ م	المحبّر . خلق الانسان . المنمق . الأمثال على أفعل .	الأعلام ٦/٣٠٧
	السجستاني	سهل بن محمد الجشمي أبو حاتم	..	٢٤٨ هـ ٨٦٢ م	ما تلحن فيه العامة . الشجر والنبات . الأضداد . الطير . الوحوش . الحشرات . العشب والبقل .	الأعلام ٣/٢١٠
	أبو اسحاق	ابراهيم بن سفيان الزيادي	..	٢٤٩ هـ ٨٦٣ م	أسماء السحاب والرياح والأمطار .	الأعلام ١/٣٤
	المازني	بكر بن محمد أبو عثمان	..	٢٤٩ هـ ٨٦٣ م	ما تلحن فيه العامة .	الأعلام ٢/٤٤
	الهروي	شمر بن حمدويه أبو عمرو	..	٢٥٥ هـ ٨٦٩ م	الجيم غريب الحديث . السلاح . الجبال والأودية .	الأعلام ٣/٢٥٣
	ابن قتيبة	عبد الله بن مسلم الدينوري	٢١٣ هـ ٨٢٨ م	٢٧٦ هـ ٨٨٩ م	غريب الحديث . الاشتقاق . مشكل القرآن . النبات . غريب القرآن . أدب الكاتب .	الأعلام ٤/٢٨٠
	الدينوري	أحمد بن داوود أبو حنيفة	..	٢٨٢ هـ ٨٩٥ م	النبات . ما تلحن فيه العامة . اصلاح المنطق .	الأعلام ١/١١٩
	المبرد	محمد بن يزيد الأزدي أبو العباس	٢١٠ هـ ٨٢٦ م	٢٨٦ هـ ٨٩٩ م	الكامل . المذكر والمؤنث . اعراب القرآن . المقتضب .	الأعلام ٨/١٥
	ثعلب	أحمد بن يحيى الشيباني أبو العباس	٢٠٠ هـ ٨١٦ م	٢٩١ هـ ٩٠٤ م	الفصيح . المجالس . معاني القرآن . معاني الشعر . ما تلحن فيه العامة .	الأعلام ١/٢٥٢

أشهر المشتركين في بناء المعجم العربي ٢

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	سنطياته للمعجم وأهم مؤلفاته اللغوية	مرجع معجمي لترجمة
القرن الرابع الهجري	كُراع النمل	علي بن الحسن الهنائي أبو الحسن	..	بعد ٣٠٩ هـ ٩٢١ م	المنجد . المنضد . المجرد . غريب اللغة .	الأعلام ٥/٧٩
	الأخفش الأصغر	علي بن سليمان النحوي أبو الحسن	..	٣١٥ هـ ٩٢٧ م	المهذب . الأنواء . التثنية والجمع .	الأعلام ٥/١٠٣
	الهمذاني	عبد الرحمن بن عيسى	..	٣٢٠ هـ ٩٣٢ م	الألفاظ الكتابية .	معجم المؤلفين ٥/١٦٣
	ابن دريد	محمد بن الحسن الأزدي أبو بكر	٢٢٣ هـ ٨٣٨ م	٣٢١ هـ ٩٣٣ م	الجمهرة . الاشتقاق . الملاحن . السرج واللجام . المطر والسحاب . اللغات .	الأعلام ٦/٣١٠
	نفطويه	ابراهيم بن محمد الأزدي أبو عبد الله	٢٤٤ هـ ٨٥٨ م	٣٢٣ هـ ٩٣٥ م	غريب القرآن	الأعلام ١/٥٧
	الأنباري	محمد بن القاسم أبو بكر	٢٧١ هـ ٨٨٤ م	٣٢٨ هـ ٩٤٠ م	الزاهر . الأضداد . غريب الحديث . شرح المعلقات .	الأعلام ٧/٢٢٦
	قدامة	بن جعفر البغدادي أبو الفرج	..	٣٣٧ هـ ٩٤٨ م	جواهر الألفاظ .	الأعلام ٦/٣١
	الزجاجي	عبد الرحمن بن إسحق أبو القاسم	..	٣٣٧ هـ ٩٤٩ م	الابدال والمعاقبة والنظائر . الأمالي . معاني الحروف .	الأعلام ٤/٦٩
	غلام ثعلب	محمد بن عبد الواحد أبو عمر	٢٦١ هـ ٨٧٥ م	٣٤٥ هـ ٩٥٧ م	اليواقيت في غريب القرآن . غرائب الحديث . المداخل . المستدرك .	الأعلام ٧/١٣٢
	البشتي	أحمد بن محمد الخارزنجي	..	٣٤٨ هـ ٩٥٩ م	تكملة العين .	الأعلام ١/٢٠٠
	الفارابي	اسحق بن ابراهيم أبو ابراهيم	..	٣٥٠ هـ ٩٦١ م	ديوان الأدب .	الأعلام ١/٢٨٤
	أبو الطيب	اللغوي عبد الواحد بن علي الحلبي	..	٣٥١ هـ ٩٦٢ م	الاتباع . المثنى . الابدال . الأضداد . الفروق .	الأعلام ٤/٣٢٥
	الأصبهاني	علي بن الحسين الأموي أبو الفرج	٢٨٤ هـ ٨٩٧ م	٣٥٦ هـ ٩٦٧ م	الأغاني .	الأعلام ٥/٨٨
	القالي	اسماعيل بن القاسم البغدادي أبو علي	٢٨٨ هـ ٩٠١ م	٣٥٦ هـ ٩٦٧ م	البارع . الأمالي . الممدود والمقصور . الابل .	الأعلام ١/٣١٩
	الأزهري	محمد بن أحمد الهروي أبو منصور	٢٨٢ هـ ٨٩٥ م	٣٧٠ هـ ٩٨١ م	تهذيب اللغة . غريب الألفاظ .	الأعلام ٦/٢٠٢
	علي أبو القاسم	ابن حمزة البصري اللغوي	..	٣٧٥ هـ ٩٨٥ م	التنبيهات على أغلاط الرواة . رد على اصلاح المنطق . الفصيح .	الأعلام ٥/٩٤
	الزبيدي	محمد بن الحسن الأندلسي أبو بكر	٣١٦ هـ ٩٢٨ م	٣٧٩ هـ ٩٨٩ م	مختصر العين . لحن العامة .	الأعلام ٦/٣١٢
	العسكري	الحسن بن عبد الله أبو أحمد	٢٩٣ هـ ٩٠٦ م	٣٨٢ هـ ٩٩٣ م	تصحيفات المحدثين . المختلف والمؤتلف .	الأعلام ٢/٢١١
	الرماني	علي بن عيسى أبو الحسن	٢٩٦ هـ ٩٠٨ م	٣٨٤ هـ ٩٩٤ م	الألفاظ المترادفة .	الأعلام ٥/١٣٤
	الصاحب	بن عباد اسماعيل أبو القاسم	٣٢٦ هـ ٩٣٨ م	٣٨٥ هـ ٩٩٥ م	المحيط . جوهرة الجمهرة .	الأعلام ١/٣١٢
	ابن جني	عثمان الموصلي أبو الفتح	..	٣٩٢ هـ ١٠٠٢ م	الخصائص . سر الصناعة .	الأعلام ٤/٣٦٤
	الجوهري	اسماعيل بن حماد أبو نصر	..	٣٩٣ هـ ١٠٠٣ م	الصحاح .	الأعلام ١/٣٠٩
	ابن فارس	أحمد بن زكريا القزويني أبو الحسين	٣٢٩ هـ ٩٤١ م	٣٩٥ هـ ١٠٠٤ م	مقاييس اللغة . المجمل . الصاحبي . الفصيح . فقه اللغة .	الأعلام ١/١٨٤
	العسكري	الحسن بن عبد الله أبو هلال	..	بعد ٣٩٥ هـ ١٠٠٥ م	الفروق . أسماء بقايا الأشياء . ما تلحن فيه الخاصة .	الأعلام ٢/٢١١
	البرمكي	محمد بن تميم أبو المعالي	..	بعد ٣٩٧ هـ ١٠٠٧ م	المنتهى في اللغة . ترتيب الصحاح بحسب أوائل الكلمة .	معجم المؤلفين ٩/١٣٨
القرن الخامس الهجري	الهروي	أحمد بن محمد أبو عبيد	..	٤٠١ هـ ١٠١١ م	غريب القرآن . غريب الحديث .	الأعلام ١/٢٠٣
	الاسكافي	محمد بن عبد الله الخطيب	..	٤٢٠ هـ ١٠٢٩ م	غلط العين . مبادئ اللغة .	الأعلام ٧/١٠٣
	الثعالبي	عبد الملك بن محمد أبو منصور	٣٥٠ هـ ٩٦١ م	٤٢٩ هـ ١٠٣٨ م	فقه اللغة . المتشابه . المضاف والمنسوب .	الأعلام ٤/٣١١
	ابن التياني	تمام بن غالب الأندلسي	..	٤٣٦ هـ ١٠٤٤ م	الموعب .	الأعلام ٢/٧٠
	ابن سيده	علي بن اسماعيل أبو الحسن	٣٩٨ هـ ١٠٠٧ م	٤٥٨ هـ ١٠٦٦ م	المحكم والمحيط الأعظم . المخصص . شرح مشكل شعر المتنبي .	الأعلام ٥/٦٩

أشهر المشتركين في بناء المعجم العربي ٣

العصر	الشهرة	الاسم الكامل	الولادة	الوفاة	مطبوعاته للمعجم وأهم مؤلفاته اللغوية	مرجع معجمي لترجمته
القرن السادس الهجري	الراغب الأصفهاني	حسن بن محمد أبو القاسم	.. ..	٥٠٢ هـ ١١٠٨ م	المفردات في غريب القرآن . تحقيق البيان .	الأعلام ٣/٢٧٩
	التبريزي	يحيى بن علي الشيباني أبو زكريا	٤٢١ هـ ١٠٣٠ م	٥٠٢ هـ ١١٠٨ م	تهذيب اصلاح المنطق وتهذيب الألفاظ لابن السكيت	البغية ٢/٤١٣
	الحميري	نشوان بن سعيد	.. ..	٥١٣ هـ ١١٧٨ م	شمس العلوم .	الأعلام ٨/٣٣٦
	ابن القطاع	علي بن جعفر السعدي أبو القاسم	٤٣٣ هـ ١٠٤١ م	٥١٥ هـ ١١٢٢ م	التنبيه والإيضاح عما وقع في كتاب الصحاح . تهذيب الأبنية والأفعال .	معجم المؤلفين ٧/٥٢
	الحريري	القاسم بن علي البصري أبو محمد	٤٤٦ هـ ١٠٥٤ م	٥١٦ هـ ١١٢٢ م	مقامات أبي زيد . درة الغواص في أوهام الخواص .	الأعلام ٦/١٣
	البطليوسي	عبد الله بن محمد أبو محمد	٤٤٤ هـ ١٠٥٢ م	٥٢١ هـ ١١٢٧ م	المثلث . الاقتضاب .	الأعلام ٤/٢٦٨
	ابن الأشتركوني	محمد بن يوسف التميمي الأندلسي	.. ..	٥٣٨ هـ ١١٤٣ م	المسلسل في غريب اللغة .	الأعلام ٨/٢٢
	الزمخشري	محمود بن عمر أبو القاسم	٤٦٧ هـ ١٠٧٥ م	٥٣٨ هـ ١١٤٤ م	أساس البلاغة . مقدمة الأدب . الفائق في غريب الحديث .	الأعلام ٨/٥٥
	الجواليقي	موهوب بن أحمد أبو منصور	٤٦٦ هـ ١٠٧٣ م	٥٤٠ هـ ١١٤٥ م	المعرب . تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة .	الأعلام ٨/٢٩٢
	البيهقي	أحمد بن علي	٤٧٠ هـ ١٠٧٧ م	٥٤٤ هـ ١١٥٠ م	ينابيع اللغة . المحيط بلغات القرآن . تاج المصادر .	الأعلام ١/١٦٨
	الأنباري	عبد الرحمن بن محمد الأنصاري أبو البركات	٥١٣ ١١١٩	٥٧٧ هـ ١١٨١ م	أسرار العربية . لمعة الأدلة .	الأعلام ٤/١٠٤
	ابن بري	عبد الله بن محمد المقدسي أبو محمد	٤٩٩ هـ ١١٠٦ م	٥٨٢ هـ ١١٨٧ م	حواشي على الصحاح . حواشي على درة الغواص .	الأعلام ٤/٢٠٠
القرن السابع الهجري	ابن الأثير	مجد الدين مبارك بن محمد الجزري	٥٤٤ هـ ١١٥٠ م	٦٠٦ هـ ١٢١٠ م	النهاية في غريب الحديث . الأثر على حروف المعجم .	الأعلام ٦/١٥٢
	ابن الأثير	محمد بن نصر الله الشيباني	٥٨٥ هـ ١١٨٩ م	٦٢٢ هـ ١٢٢٥ م	نعت الفواكه والثمار .	الأعلام ٧/٣٤٧
	الصاغاني	الحسن بن محمد العمري	٥٥٧ هـ ١١٨١ م	٦٥٠ هـ ١٢٥٢ م	العباب . مجمع البحرين . التكملة والذيل . الشوارد في اللغات . الأضداد .	الأعلام ٢/٢٣٢
	الزنجاني	محمود بن أحمد أبو المناقب	.. ..	٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م	تهذيب الصحاح . تنقيح الصحاح .	الأعلام ٨/٣٧
	الرازي	زين الدين محمد بن محمد	.. ..	بعد ٦٦٦ هـ ١٢٦٨ م	مختار الصحاح . غريب القرآن	الأعلام ٦/٢٧٩
	الشاطبي	محمد بن علي الأنصاري أبو عبد الله	٦٠١ هـ ١٢٠٤ م	٦٨٤ هـ ١٢٨٥ م	حواشي على صحاح الجوهري .	الأعلام ٧/١٧٣
القرن الثامن الهجري	ابن منظور	محمد بن مكرم الأنصاري	٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م	٧١١ هـ ١٣١١ م	لسان العرب .	الأعلام ٧/٣٢٩
	أبو حيّان	محمد بن يوسف الأندلسي	٦٥٤ هـ ١٢٥٦ م	٧٤٥ هـ ١٣٤٤ م	تحفة الأريب في غريب القرآن . ارتشاف الضرب من لسان العرب .	الأعلام ٨/٢٦
	الفيّومي	أحمد بن محمد المقري أبو العباس	.. ..	٧٧٠ هـ ١٣٦٨ م	المصباح المنير .	الأعلام ١/٢١٦
القرن التاسع	الفيروزابادي	مجد الدين محمد بن يعقوب أبو طاهر	٧٢٩ هـ ١٣٢٩ م	٨١٧ هـ ١٤١٥ م	القاموس المحيط . الجليس . البلغة . تحبير الموشين . المثلث . اللامع المعلم . الإشارات .	الأعلام ٨/١٩
القرن العاشر	السيوطي	جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر	٨٤٩ هـ ١٤٤٥ م	٩١١ هـ ١٥٠٥ م	المزهر . الأشباه والنظائر . بغية الوعاة . أسماء الأسد .	الأعلام ٤/٧١
القرن الحادي عشر	الخفاجي	شهاب الدين أحمد بن محمد	٩٧٧ هـ ١٥٦٩ م	١٠٦٩ هـ ١٦٥٩ م	شرح درة الغواص . شفاء الغليل .	الأعلام ١/٢٢٧
القرن الثاني عشر	الزبيدي	مرتضى محمد بن محمد الحسيني	١١٤٥ هـ ١٧٣٢ م	١٢٠٥ هـ ١٧٩٠ م	تاج العروس . مختصر العين . التكملة والصلة والذيل للقاموس . الروض المسلوف فيما له اسمان إلى الألوف .	الأعلام ٧/٢٩٧

أمهات المعاجم العربية وأشهرها مصنفة بحسب نهجها

النهج	المعجم	المؤلف	وفاة المؤلف	مكان الوفاة	الميزات	ملاحظات
معجمات نهجت طريق الاعتماد على حرف الكلمة الأول بحسب مخرجه مع الأخذ بنظام الأبنية ومقلوبات الكلمة.	العين	الخليل	١٧٠ هـ ٧٨٦ م	البصرة	المؤلف مبتدع فكرة المعجم لحصر ألفاظ اللغة ومبتكر الترتيب على حروف المعجم، وقد جعل لكل حرف كتاباً ذكر فيه الثنائي المضاعف أولاً فالثلاثي الصحيح ثم اللفيف ثم الرباعي فالخماسي، وهو يذكر الكلمة ثم مقلوباتها.	طبعت منه شذرات والباقي مفقود وأشيع أن مخطوطة وجدت في عمان.
	البارع	القالي	٣٥٦ هـ ٩٦٧ م	قرطبة	رتب القالي معجمه ترتيباً خاصاً فقسمه الى ستة أبواب واحد لكل من الثنائي المضاعف والثلاثي الصحيح والثلاثي المعتل والحواشي أو الأوشاب والرباعي والخماسي، وقد أخذ بنظام المقلوبات تبعاً للخليل.	نشر جزء منه وتوجد بعض أجزائه مخطوطة.
	تهذيب اللغة	الأزهري	٣٧٠ هـ ٩٨١ م	خراسان	التزم المؤلف ترتيب الخليل للحروف وجعل لكل حرف كتاباً وفي الكتاب ستة أبنية للثنائي المضاعف والثلاثي الصحيح والثلاثي المهموز والثلاثي المعتل والرباعي والخماسي وتابع الخليل في نظام المقلوبات.	طبع حديثاً.
	المحيط	الصاحب	٣٨٥ هـ ٩٩٥ م	الري	التزم المؤلف ترتيب الخليل والأزهري والتزم القالي في ترتيب الأبنية ووافقهما في نظام المقلوبات الا أنه اختصر وأفاض في مواد كثيرة.	مخطوط وفي القاهرة قسم منه.
	المحكم والمحيط الأعظم	ابن سيده	٤٥٨ هـ ١٠٦٦ م	دانية	أخذ المؤلف بترتيب الخليل ونظام المقلوبات وجعل لكل حرف كتاباً وقسم كل كتاب الى أبواب للثنائي المضاعف الصحيح وللثلاثي الصحيح وللثنائي المضاعف المعتل وللثلاثي المعتل وللثلاثي اللفيف وللرباعي ثم الخماسي.	طبع أخيراً جزءان منه
معجمات اعتمدت على الموضوعات ومعاني الكلمات دون الالتفات الى حروفها.	الغريب المصنف	ابن سلام	٢٢٤ هـ ٨٣٨ م	مكة	معجم مختصر مقسم بحسب المعاني والموضوعات المختلفة ويضم أكثر من سبعة عشر ألف حرف.	يعمل بعض المستشرقين على نشره.
	الألفاظ	ابن السكيت	٢٤٤ هـ ٨٥٨ م	بغداد	معجم مطوّل مقسم الى أبواب بحسب المعاني وهو من أقدم وأدق كتب العربية.	مطبوع وله تهذيب مطبوع ومختصر مدرسي مطبوع أيضاً.
	المخصص	ابن سيده	٤٥٨ هـ ١٠٦٦ م	دانية	أوسع المعجمات العربية المقسمة بحسب المعاني والموضوعات.	مطبوع
معجمات اعتمدت ترتيب نصر بن عاصم لحروف المعجم تبعاً لحرف الكلمة الأول مع طرح نظام الأبنية والمقلوبات.	الحروف	الشيباني	٢٠٦ هـ ٨٢١ م	بغداد	معجم مختصر ومؤلفه أول من أخذ بترتيب نصر بن عاصم لحروف المعجم فجعل لكل حرف باباً والتزم الحرف الأول من الكلمة دون بقية الحروف.	مخطوط يفكر مجمع اللغة في طبعه بعناية المستشرق كنز
	أساس البلاغة	الزمخشري	٥٣٨ هـ ١١٤٤ م	خوارزم	معجم البلاغة العربية التزم مؤلفه ترتيب نصر بن عاصم بحسب أول حروف الكلمة وثانيها وثالثها مع تقديم الواو على الهاء في الأبواب دون المواد، ولم يسبق المؤلف في هذا الترتيب الا البرمكي في ترتيبه للصحاح.	مطبوع
	المصباح المنير	الفيومي	٧٧٠ هـ ١٣٦٨ م	حماة	معجم مختصر للكتاب مؤلفه عن غريب شرح الوجيز للغزالي. مرتب على حروف المعجم بحسب أوائل الكلمات وثانيها وثالثها.	مطبوع
معجمات اعتمدت ترتيب نصر بن عاصم تبعاً لحرف الكلمة الأول مع الاحتفاظ بنظام الأبنية.	الجمهرة	ابن دريد	٣٢١ هـ ٩٣٣ م	بغداد	أخذ المؤلف ترتيب نصر بن عاصم للحروف بحسب أوائل الكلمات وما يليها مراعياً ترتيب الخليل للأبنية ونظامه في المقلوبات.	مطبوع
	المجمل	ابن فارس	٣٩٥ هـ ١٠٠٤ م	الري	معجم مرتب على حروف المعجم لكل حرف كتاب وفي الكتاب ثلاثة أبواب بحسب الأبنية أولها للثنائي المضاعف والمطابق ثم للثلاثي ثم لما جاء على أكثر من ثلاثة ويبدأ فيه بالكلمة المبدوءة بحرف الباب وبحسب الحرف التالي له ثم يذكر الحروف السابقة عليه مع طرح نظام المقلوبات.	مخطوط وقد طبع الجزء الأول منه.
	المقاييس	ابن فارس	٣٩٥ هـ ١٠٠٤ م	الري	اتبع المؤلف ما ألزم به نفسه في المجمل وزاد عليه دقة في بحث الاشتقاق وقوة في نقد ما لا يرى صحته.	طبع حديثاً
معجمات اعتمدت ترتيب نصر بن عاصم تبعاً لحروف آخر الكلمة فلكل حرف باب ثم فصل للحرف الأول فالثاني من الكلمة وتشترك في أواخر الأبواب الكلمات المنتهية بالواو والياء وفي تقديم الواو على الياء في الفصول.	ديوان الأدب	الفارابي	٣٥٠ هـ ٩٦١ م	زبيد	معجم مقسم الى ستة كتب للسالم والمضاعف والمثال وذوات الثلاثة - الأجوف - وذوات الأربعة - الناقص - والهمزة. وفي كل كتاب شطر للأسماء وشطر للأفعال وفي كل شطر أبواب للأبنية وما في الأبواب مرتب على الحروف بحسب أواخر الكلمة ثم بحسب أوائلها، والمعجم طرح نظام المقلوبات وترك المقيس	مخطوط وله أكثر من تهذيب ونشرت مقدمة منه حديثاً.
	الصحاح	الجوهري	٣٩٣ هـ ١٠٠٣ م	نيسابور	رتب الجوهري ما صح عنده على حروف المعجم بحسب أواخر الكلمات وجمع الواو والياء في باب واحد، وأتى بعده بباب للألف اللينة وقسم الأبواب الى فصول بحسب الحرف الأول، واتبع الترتيب نفسه في الحرفين الثاني والثالث، ويضم الصحاح أربعين ألف مادة.	مطبوع وله مختصرات أهمها المختار ومنه طبعات بعضها مرتب بحسب أوائل الكلمات.
	العباب	الصاغاني	٥٥٧ هـ ١١٨١ م	بغداد	معجم جمع المؤلف فيه ما تمكن من جمعه ملتزماً خطة الجوهري في صحاحه.	مخطوط وفي القاهرة جزء منه.
	لسان العرب	ابن منظور	٧١١ هـ ١٣١١ م	القاهرة	أضخم معجم موسوعي التزم مؤلفه ترتيب الصحاح وعمل على استقصاء اللغة من الأمهات، ويضم اللسان ثمانين ألف مادة.	مطبوع وله تهذيبان طبع من أحدهما خمسة أجزاء.
	القاموس المحيط	الفيروزابادي	٨١٧ هـ ١٤١٥ م	زبيد	جمع مؤلفه ما في العباب والمحكم وكثيراً مما في الكتب الفاخرة مختصراً اياها ناقداً ما في الصحاح من أوهام ملتزماً ترتيبه، والقاموس من أحسن المعجمات نظاماً وترتيباً وايجازاً واستقصاء وان لم يخل من أوهام، وهو يضم نحواً من ستين ألف مادة.	مطبوع وطبع حديثاً ترتيب له بحسب أوائل الكلمات.
	تاج العروس	الزبيدي	١٢٠٥ هـ ١٧٩٠ م	القاهرة	أضخم معجم عربي شرح فيه مؤلفه القاموس جامعاً ما تفرق في مؤلفات كل من سبقه من علماء اللغة والنحو والأمثال والطبقات والحديث والبلدان والحيوان والنبات والطب والدواوين ويضم التاج عشرين ومئة ألف مادة.	مطبوع

٧ ـ المعجم العربي في العصر الحديث

أفاق العرب في القرن الماضي ، بعد رقاد دام قروناً اضمحلت خلالها دولتهم ، وفسدت لغتهم ، وتقهقرت آدابهم ، فرأوا الأوربيين في أوج الحضارة والمدنية ، مما حمل الزعماء منهم على الدعوة إلى النهوض واللحاق بركب العالم المتمدين ، وأخذوا ينشرون الوعي بين الناس ، ويبثون بينهم حب العلوم والآداب ؛ وكان لا بد للنهضة اللغوية والأدبيـــة من الاستعانة بالمعاجم لإحياء اللغة وآدابهـــا ، مما دعا إلى الاعتماد في بادىء الأمر على المعجمات القديمة ، وإلى ظهور طبعات لكل من القاموس المحيط ولسان العرب وأساس البلاغة ومختار الصحاح والمصباح المنير ، وقام بعض العلماء بإعادة ترتيب بعض هذه المعاجم بحسب أوائل الـكلمات ، ولكن جميع المعاجم التي ظهرت طبعاتها كانت قاصرة عن مسايرة النهضة العلمية التي استجاب العرب للدعوة إليها ، لأنها معاجم ألفت في عصور تختلف الحضارة فيها عن مفهومها في العصر الحديث ، ولأنها تبعاً لذلك كانت محشوة ببعض الأوهام والأخطاء السائدة في عصور مؤلفيها ، مما دفع بعض العلماء الغيارى على العربية ، إلى حمل العبء، والقيام بإعداد المعاجم الحديثة ، ناقلين أكثر موادها من المعجمات القديمة ، فوضع المعلم بطرس البستاني سنة ١٨٦٩ م المعجم الذي أسماه « محيط المحيط » وقد التزم فيه عبارة القاموس المحيط مع شيء من التصرف والتهذيب واتباع ترتيب حروف الهجاء بحسب أوائل الـكلمات ، ثم جاء المعلم الشرتوني فوضع معجمه « أقرب الموارد » آخذاً إياه من الأمهات ، وإن كانت عبارة القاموس فيه أغلب ، مع دقة في التهذيب وسلامة في الترتيب بحسب أوائل الكلمات ، وتتالى بعد ذلك تأليف المعاجم ، وكانت كلها تحذو حذو محيط المحيط وأقرب الموارد ، وأشهر المعاجم التي ما زالت تخدم طلاب العربية معجم الأب لويس معلوف ، وقد أسماه بـ « المنجد » وظهرت طبعته الأولى سنة ١٩٠٨ م ،

ويعتبر المنجد اليوم خير معجم مدرسي للعربية في ترتيبه وإخراجه ، إذ هو يحاكي في ذلك أحدث المعاجم الأوربية فناً ، خاصةً بعد أن أضاف اليه الأب فردينان توتل سنة ١٩٥٦ م ملحقاً باسم « المنجـد في الأدب والعلوم » وهو معجم لأعلام الشرق والغرب ، وذلك رغم ما في المعجم وملحقه من مآخذ ، وما يرد عليهما من ملاحظات ، إنما يؤمل من المشرفين على إخراج « المنجد » تلافي ما يشوبه من نقص وهنات في طبعاته المتلاحقة .

على أن جميع المعاجم المذكورة ، على عظم الخدمة التي أدتها للعربية وما زالت تؤديها حتى هذا العصر ، ظلت عاجزة عن مسايرة النهضة الحديثة للبلاد العربية ومتابعة التطور الكبير في مختلف العلوم العصرية ، مما زاد العرب في مختلف ديارهم شعوراً بالحاجة الشديدة إلى معجم حديث يضاهي المعاجم المعروفة في اللغات الأجنبية ، ويتسع لمصطلحات العلوم وألفاظ الحضارة المعاصرة ، على أن هذا الشعور مشروط بوجوب إغناء المعجم العربي الحديث بطريق الإفادة من الثروة الطائلة التي تشتمل عليها المعجمات القديمة وكتب اللغة العديدة ، استناداً إلى خصائص العربية ومرونتها إلى حد يمكن معه أن تستوعب كل جديد تدعو اليـه ضرورة أو مصلحة أو يتطلبه علم أو فن ، ولا ضير على العربية من أن يحوي معجمها أي لفظ مولد أو معرب أو دخيل ، إذا جرى اشتقاقه وفق القواعد القياسية أو كان لفظه لا يخالف النطق بالفصيح من الـكلمات ، وأخذ كثير من العلماء ينادون إلى العمل من أجل المعجم المطلوب ، كما نادى بعضهم بوجوب إعادة النظر فيما ورد في المعجمات القديمة ، عند الاقتباس منها ، من أوهام وأخطاء وتصحيف ، مع اهمـــال الغريب الحوشي ، وتضييق دائرة الـكلمات المترادفة والمشتركة والأضداد ما أمكن .

وحمل مجمع اللغة العربية في القاهرة عبء العمل على سد هذه الثغرة ، فأخرج سنة ١٩٦٠ م « المعجم الوسيط » في جزأين ، وقد أشرفت على

اخراجه لجنة من أعضاء المجمع ، فبذلت جهداً في صياغتها لكثير من مواد المعجم وفق القواعد والقرارات التي اتخذها المجمع في دوراته المختلفة ، وبرغم ما أريد لهذا المعجم من أن يكون لغوياً ، فإنه أخذ طابعاً علمياً في تعريف كثير من المصطلحات والأسماء مما يجعل له رجحاناً على غيره من المعجمات ، وقد دفعتنا الرغبة في رؤية الطبعة الثانية من المعجم الوسيط أكثر كمالاً ودقة في ترتيب المواد وتعريف المصطلحات ، إلى إلقاء نظرات عليه وتدوين الملاحظات التي أخذت مجلة مجمعنا تنشرها تباعاً في أعدادها الأخيرة .

ولا تفوتنا الإشارة إلى فضل بعض علماء العربية المعاصرين ، الذين وضعوا اللبنات الأولى في المعجم العربي المنشود ، من ناحية المصطلحات العلمية ، ومن هؤلاء العلماء الفريق أمين المعلوف . وقد وضع معجم الحيوان والمعجم الفلكي ، بالإنكليزية والعربية ، مراعياً جهده التعريفات العلمية وإحياء كثير من الكلمات العربية القديمة في معجميه المذكورين . ومنهم الدكتور محمد شرف مؤلف معجم العلوم الطبية والطبيعية ، بالإنكليزية والعربية ، وهو عمل ضخم رغم مافيه من أخطاء وهنات .

ومن الرواد المعجميين الأول ، وأوثقهم في اختصاصه ، الأمير مصطفى الشهابي ، في معجم الألفاظ الزراعية، بالفرنسية والعربية ، وفي معجم المصطلحات الحراجية ، بالفرنسية والإنكليزية والعربية ، وفي المصطلحات والتصويبات التي ينشرها في مجلة المجمع العلمي العربي ، وفي منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة .

ومن رواد المعجم العربي الحديث ، الشيخ عبد الله العلايلي ، الذي قام ، فيما نشره حتى اليوم ، بجهد يقدر في خدمة العربية ، وكان آخر ما نشره المجلد الأول من معجمه « المرجع » وهو معجم وسيط ، وعلمي بمقدار ما هو لغوي ، وقد رتبه وفق المفرد بحسب لفظه ، وبالرغم من أن الشيخ العلايلي اعتمد الأمهات من معاجم العربية ، ونقل التعريفات العلمية

عن أوثق معاجم المصطلحات ، كان من الطبيعي أن تكثر هنات معجمه ، لأنه ألزم نفسه بعمل لايستطيع فرد واحد أن يضطلع به دون أن تزل قدمه .

٨ ــ المعاجم بين الفن والصناعة

يقول الدكتور ابراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية في القاهرة ، في تصديره المعجم الوسيط ، الذي أخرجه المجمع : « المعاجم فن يسير بسير الزمن ، وقد خطا خطوات فسيحة في القرنين الأخيرين ، وكانت له آثار واضحة في المعاجم الغربية ، بين إنكليزية وفرنسية ، وألمانية وروسية » .

ويقول الدكتور مدكور أيضاً في دراسته عن المعجم العربي في القرن العشرين (١) : « والآن نستطيع أن نقرر أن فن المعجم العربي نما وتطور في القرن العشرين ، وأخذ يحاكي نظيره في اللغات الأوروبية الكبرى أو يزيد عليه ، وطرحت تلك النظرية التي كانت تقول بأن العربية لغة لا تقبل التجديد ولا التطور ، وأصبحنا نسلم بعربية معاصرة إلى جانب العربية القديمة ، وبكلاسيكية وكلاسيكية محدثة . وفتح باب القياس على مصراعيه في اللغة كما فتح في الفقه والتشريع ، ومن حقنا أن نبتكر ألفاظاً وعبارات كما ابتكر أجدادنا » .

إن الفن ــ في رأينا ــ مظهر لإرادة الكمال في أمر من الأمور ، فإذا هدف إنسان في عمل يؤديه ، إلى تصوير ما يشعر به من عاطفة ، أو تسجيل ما يعتلج في صدره من أحاسيس ، أو إبراز ماينتوخاه من دقة ، أو تحقيق ما يستلزمه العمل من إتقان ، فإنما هو يمارس فناً من الفنون ، وكلما اقترب الإنسان في عمله من الكمال ، زاد فنه سمواً ، ومن طبيعة هذا الكمال ومظهره ، أخذت بعض الفنون وصفها بالجمال .

---

(١) بحث ألقي بالفرنسية في مؤتمر المستشرقين بموسكو سنة ١٩٦٢ ، ونشر بالعربية ملخصاً في الجزء ١٦ من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٦٣ .

ونحن نحب أن نتساءل عن حظ المعاجم ، عربية كانت أو أجنبية ، من « الفن المتطور » بالمقاييس التي أشرنا اليها ؟

إن فن المعاجم ، في هذا العصر ، على نموه وتطوره ، إنما يتمثل بالدقة في ترتيب المواد وتنسيقها وضبطها ، كما يتمثل بالجهد في توضيح مواده بالأمثلة الدقيقة وبالرسوم المعبرة ، ويتمثل فن المعاجم أخيراً في إتقان الإخراج الذي يشمل جودة الطباعة ، وحسن المظهر ، فهل هذا هو كل ما يجب أن يستهدفه واضعو المعاجم العربية اليوم ؟

إن العرب في حاجة إلى معاجم جديدة تمتاز ، بالإضافة إلى مقتضيات « الفن المتطور » التي ذكرناها ، بما فيها من مواد جديدة تفي بمتطلبات مختلف العلوم والفنون ، على أن يتوصل إليها باتباع قواعد سليمة يمكن معها ، بقدر ما تدعو اليه الضرورة ، التوسع في قياسية صيغ الزوائد والمصادر ، وبذلك تغنى العربية بالاشتقاق في يسر وسهولة ، مع ضبط هذا الأمر حفاظاً على سلامة اللغة وصحتها .

كما يجب أن تمتاز المعاجم الحديثة ، بما تحويه من تعريفات علمية صحيحة ، يستبعد معها ، جميع ما ورد في المعجمات القديمة من أخطاء وأوهام وتصحيف ومجانبة للدقة في التعريف .

إن معجماً بالصفات المذكورة ، إذا أريد له أن يفي بحاجات العصر ، لا يمكن أن يكتفى فيه بمسايرة « فن المعاجم الحديث » إنما يجب أن يكون وضعه في مستوى « الصناعة » ولسنا نعني بالصناعة هنا ، المعنى الشائع لهذه الكلمة ، أي مجرد العمل الذي يمارسه الإنسان ، وقد يحترفه ، مستنداً فيه إلى جهد عضلي ، أو نظام آلي ، أو إلى قواعد رتيبة ، لأن الصناعة بهذا المعنى ، تكاد تكون منبتة الصلة بالفن ، حيث يجري الإنسان فيـــه

وراء الجمال مدفوعاً بمشاعره وأحاسيسه غير متقيد بنظام أو قاعدة ، إنما نقصد بالصناعة ذلك العمل الذي يشعر القائم به رغبة في إجادته وإتقانه ، فيخطط له ثم يوفيه حقه من الدراسة والإعداد له ، يعرف الغاية منه ، فيسلك اليها أوضح نهج وأقوم سبيل ، ثم يجعله بالفن المتطور مع الزمن ، المصقول بالمران ، المهذب بالارتقاء ، حقيقة واقعة في أجمل صورها وأسمى معانيها ، إن مثل هذا العمل الجيد هو « الصناعة » كما يدل عليها جوهر اللفظة في متن العربية ، وكفى « الصناعة » بهذا المعنى ورودها في قوله عزّ وجلّ « صُنع الله الذي أتقن كل شيء[1] » ، وقوله عزّ وعلا : « اصنع الفلك بأعيننا ووحينا[2] » .

إن معاجم اللغات الحية ، اجتازت اليوم ، مرحلة الفنون ، وأصبحت صناعة ، تحشد للعمل فيها طوائف عديدة من العلماء الأعلام ، ومن رجال الفن الجهابذة ، كل منهم يعمل في نطاق اختصاص معلوم . والمعجم اللغوي أو العلمي الذي نريده للعربية . لا يكفيه تأليف لجنة من كبار علماء اللغة للإشراف على إخراجه ، بل لا بد له من علماء في اللغة ، الى جانب مختصين بمختلف العلوم الأخرى ، يتوازعون مواده ، ويسهمون في الإشراف على مختلف أقسامه ، كما لا بد له من رجال يتقن الواحد منهم فناً من الفنون اللازمة لإخراج معجم حديث ، يعملون جميعاً في تنسيقه وتبويبه وتزيينه وطباعته حتى يخرج للناس المعجم العربي المنشود .

عبدالله الخطيب

(١) سورة النمل : ٨٨ .
(٢) سورة هود : ٣٧ .

تحقيق لغوي

في الصيغ والاستعمالات

هذا بحث حققت فيه طائفة من الصيغ والاستعمالات مما يكثر في عربيتنا الحديثة المعربة . وأقصد بهذه العربية عربية الدواوين الرسمية ، وعربية الصحافة والإذاعة والمقالة الأدبية . على ان هذا البحث لا يقتصر على هذه النماذج من اللغة الحديثة ، بل يتعدى ذلك للتحقيق في طائفة من الاستعمالات العربية التي عرفت في عربيتنا الفصيحة القديمة . وأنا إذ أبحث في هذا اللون من العلم اللغوي لا أقصد أن أشير إلى مكان التجاوز ، أو قل مواطن الخطأ في هذه العربية الحديثة ، ولكني أريد أن أشير إلى أن هذه العربية الحديثة هي لغة هذا العصر الحاضر بحاجاته العديدة ووسائله المختلفة وما جد فيه وما يجد من أشياء ومستحدثات . وهي استعمالات وصيغ قائمة دائمة أردنا أم لم نرد خضعت لسنة التطور شأن جميع اللغات في هذا الموضوع .

ومن الواجب أن نسجل هذا التجاوز ، أو قل هذا الجديد لنربط بينه وبين عربيتنا الفصيحة القديمة عملاً بالمنهج اللغوي التاريخي . وسنجد أن علم اللغة في العربية لا يتنكر للجديد المولد أو قل لا يريد أن ينسب الى الخطأ مواد كثيرة . فالشذوذ في العربية والقول باللغات الخاصة ومسائل التوهم يؤيد ما نذهب اليه في هذه الحقيقة اللغوية .

وسأتناول في هذا البحث طائفة من الصيغ تشتمل على جموع مختلفة وأفعال وغير هذا مما دخله شيء من الجديد صرفه عن الوجه الفصيح المشهور .

ألفاظ الجمع

(١) لقد شاع جمع « مدير » بصيغة اسم الفاعل من « أدار » على « مدراء » في لغة الدواوين الرسمية، وكأنهم لا يعرفون ان الكلمة تجمع جمع تصحيح على « مديرون » . وأغلب الظن أن الذي سهل هذا التجاوز أنهم حملوا « مدير » على « فعيل » التي تجمع على « فعلاء » . وربما لم يبق « مدراء » مكاناً لـ « مديرين » في الاستعمال الجاري في العراق .

(٢) ورد في لغة الصحف استعمال « شُقاة » جمعاً لـ « شقي » والصحيح أن الكلمة تجمع على « أشقياء » كما هو مشهور معلوم، فاستعمالهم « شُقاة » من باب الخطأ إذ ليس المفرد « شاقي » كما نقول : غازي غزاة ووزنه « فُعَلَة » .

(٣) ومثل هذا الخطأ الجديد استعمالهم « ثقاة » بالتاء المربوطة وهم يريدون بها جمع « ثقة » فكأن المفرد من ذلك « ثاقي » وهي تجيء في نطقهم بضم الثاء .

(٤) ويجمعون « سائح » على « سوّاح » فكأن الكلمة جاءت من فعل أجوف واوي والصحيح أن يقال « سُيّاح » ويبدو أن الذي جر الى هذا الخطأ ضمة السين في الكلمة المجموعة « سُيّاح » على « فُعّال » .

(٥) ويجمعون « مدينة » على « مدائن » بالهمز ، ومثلها « مصيدة » على « مصائد » بالهمز والصحيح أن تثبت الياء لا الهمزة ذلك أن ما كان فيه الياء أو الواو أصلية لم يجز أن تبدل همزة ، وعلى هذا حملت « معائش » في قراءة نافع على الخطأ في قوله تعالى : « ولقد مكنّاكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون »(١) . وعن ابن عامر : أنه

(١) الأعراف ١٠ .

همز على التشبيه بصحائف .⁽¹⁾ وقد خرج اللغويون والنحويون قراءة نافع هذه بالهمزة على أن « معيشة » وهي « مفعِلة » شبهت بـ « فعيلة » .

وقد جدّ في لغتنا العربية الحاضرة جموع لم تعرف في المأثور من نصوص اللغة ، ولكن البحث يهدي إلى شيء يمكن أن ترد إليه هذه المولدات ومن ذلك استعمالهم « مشاكل » جمعاً لمشكلة و « مهامّ » جمعاً لمهمة ولم ترد « مفاعل » جمعاً لـ « مفعلة » صيغة اسم الفاعل . وجمع المؤنث السالم يغني عن هذا التجاوز . غير أن كتب النحو تورد قول أبي ذؤيب الهذلي :

وان حديثاً منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذ مطافل[2]

فالمطافل جمع « مُطفل » وهي ذات طفل وقد جمعت « مطافيل » بالإشباع . وربما استطعنا حمل « المشاكل » على « المصائب » وعلى « المراضع » جمع « المرضعة » كما في قوله تعالى : « وحرمنا عليه المراضع من قبل »[3] .

(٦) وقد يعرض لشيء من ألفاظ الجمع خطأ في الشكل فيقولون : « زخارف » بضم الراء و « تجارب » بضم الراء أيضاً و « قنابل » بضم الباء وبذلك خرجت هذه الجموع عن الصيغة الصحيحة الفصيحة ، وهي « فعالِل » بكسر اللام ، والذي أراه أن الضمة اجتلبت خطأ من ضمة المفرد فالمفردات هي « زخرف » بضم الراء و « تجرُبة » بضم الراء على النطق العامي السائر فكأنها ليست مصدر « جرّب » على « تفعِلة » . ومثلها « قنبُلة » بضم الباء بمفرد « قنابل » .

(٧) وربما تحول الجمع في هذه العربية الدارجة الى مفرد في الاستعمال .

---

(١) الزمخشري ، الكشاف ٢/٨٩ (طبعة الاستقامة القاهرة ١٣٦٥) .

(٢) الرضي ، شرح الشافية ٤/١٤٥ .

(٣) الزمخشري ، الكشاف ٣/٣٩٦ .

ومن ذلك استعمالهم « آونة » فكأنها تحولت عن جمع لـ « أوان » وهي لذلك تعقب في الاستعمال أحياناً لفظ « طوراً » أو « حيناً » ولذلك أيضاً خفيت على كثيرين من طلاب الدرس .

(٨) وقد يجمعون « حاجة » على « حاجيات » فيقولون « الحاجيات المنزلية » ولا ندري كيف جيء بهذه الياء .

(٩) وقد تتوهم صيغة الجمع في ألفاظ منها : « أثاث » فيقولون : أثاث فاخرة والصفة تشعر باستعمال الجمع . ودلالة « الأثاث » معروفة فهي تدل على مواد المنزل من رياش ومتاع . وفي كتب اللغة ان الأثاث المال أجمع ، الإبل والغنم والعبيد والمتاع . وقال الفراء : الأثاث لا واحد لها ، كما أن المتاع لا واحد له . وجاءت الكلمة في لغة التنزيل : « وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورئيًا »(١) ، وقوله : « ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً »(٢) .

على أن هذا المعنى يثبت للكلمة في صورتها العبرانية אֵת . واذا تتبعنا فرائد العربية وجدنا شيئاً يدلنا على وجود هذه الكلمة في صورة أخرى في مادة عربية وهي « لات » النافية العاملة عمل « ليس » وكأن النحويين قد وقفوا على التاء في « لات » وفطنوا الى ان النافية هي « لا » ثم ركبت مع التاء ، ولكنهم لم يهتدوا الى حقيقة التاء فقد قال جماعة : انها تاء التأنيث ، وقال آخرون : إنها للمبالغة ، وقالوا انها لكليهما(٣) . والذي يرجحه التحقيق ان « لات » هي « لا ايت » ثم خففت وركبت على نحو ما ركبت « ليس » التي هي « لا ايس » و « ايس » تعني « وجود »

---

(١) مريم ٧٤ .
(٢) النحل ٨٠ .
(٣) ابن عقيل ، شرح ألفية ابن مالك .

فكأن « لا ايس » لا شيء ، ويدل على هذا ان العبرية « ايش » تعني وجود أو قل ان « شيء » مقلوب « ايش » .

ومثل « أثاث » في الإفراد « رفات » ولكن العربية الحديثة حملتها على جمع المؤنث لوجود الألف والتاء . والرفات الحطام من كل شيء تكسر . وفي التنزيل العزيز : « أئذا كنا عظاماً ورفاتاً »[1] وقد عرض هذا الخطأ للغة الحديثة فهذا السيد أحمد الصافي النجفي يستعمل الكلمة جمعاً غير مرة في شعره .

(١٠) وقد منعت لغتنا الدارجة الحديثة - ولا سيا ما نسمعه على ألسنة المذيعين في العراق - الصرف عن الجموع على زنة « أفعال » فقد منعوا « ألوان » و « أغراض » وغير ذلك من الصرف وكأنهم حملوا ذلك على « أشياء » وما علموا أن في منع « أشياء » من التنوين كلاماً كثيراً لا نرى حاجة لنعرض له في هذا المكان .

مواد أخرى

يقال الآن : « رجل مجرِّب » بصيغة اسم الفاعل وهو قياس صحيح ، فالرجل المجرِّب هو الذي عرف الأمور وجربها ، أما المجرَّب بالفتح فهو من جربته الأمور وأحكمته . والذي نعرفه ان الكلمة في صيغة المفعول هي التي تكلمت بها العرب وجاءت في كلامهم ، ولا بد أن نسجل هنا ان اللغة الحديثة عدلت عن اسم المفعول الى اسم الفاعل وذلك لاختلاف النظر إلى الفعل وعلاقة الفعل بالفاعل من حيث الإيجاب والسلب وهذا لون من ألوان التطور اللغوي .

(١) الاسراء ٩٨ .

ندب

التزمت العربية المعاصرة بصيغة « انتدب » في حالة التعدي والفصيح المشهور هو الفعل الثلاثي « ندب » يقال : ندب القومَ إلى الأمر يندبهم ندباً ، وندبت فلاناً ولا يقول : انتدبته . أما « انتدب » فهو فعل لازم يقولون : انتدبوا إليه أي أسرعوا ، وانتدب القومُ من ذوات أنفسهم أيضاً دون أن يندبوا له .

قال الجوهري في الصحاح : ندبه للأمر فانتدب له أي دعاه له فأجاب وفي الحديث : انتدب الله لمن يخرج في سبيله أي أجابه إلى غفرانه . ويتبين من هذا أن استعمال الفعل « انتدب » بمعنى « ندب » كما في عربيتنا الفصيحة شيء لم تجر به لغة العرب الفصيحة القديمة . ولم يشذ عن أصحاب المعجمات في هذه المادة إلا الفيومي في « المصباح المنير » فقد أثبت أن « انتدب » مثل « ندب » ولم يشر إلى مرجع يؤيده في هذا على غير عادته في ذكر المراجع .

استهتر

والاستهتار الولوع بالشيء والمستهتَر بزنة اسم المفعول المولع ، وفي الحديث المستهتَرون بفتح التاء الثانية المولعون بالذكر والتسبيح ، وجاء في حديث آخر : هم الذين استُهتِروا بذكر الله أي أولعوا ومنه : ان لله ملائكة مستهترين به . وأريد أن أقف على هذه المادة بصيغتها في البناء للمجهول وبصيغة اسم المفعول لأسجل أن عربيتنا المعاصرة بنتْ الفعل للمعلوم وينبني على هذا أن الوصف منه بزنة اسم الفاعل وليس بزنة اسم المفعول ثم إن « المستهتِر » في لغتنا الحاضرة الخارج عن القصد والمتزيد من العبث واللهو

« فالمستهتِر » قد يكون المكثر من شرب الخمر والذي لايحترم الحدود في عبثه ولهوه . وهذا التحول في المعنى والصيغة لون من ألوان التطور جاءت به عربيتنا الحديثة .

سهم

السهم النصيب والقِدح الذي يقارع به . واستهم الرجلان تقارعا . وساهم القومَ فسهمهم سهماً قارعهم فقرعهم ، وأسهم بينهم أي أقرع . هذا هو المعروف في كتب اللغة ، ولكن عربيتنا الحاضرة توسعت وأفادت من الاشتقاق فأخذت من « السهم » بمعنى النصيب « أسهم » أو « سَاهم » بمعنى شارك وهذان الفعلان من المولدات الحديثة التي لانجدها في الفصيحة القديمة . وهـذا التوليد باب يظهر غنى العربية في توليد الألفاظ للافادة منها في معان جديدة اقتضاها عصرنا الحاضر .

هدف

والهدف : الغرض المنتَضَل فيه بالسهام . والهدف : كل شيء عظيم مرتفع ، وهو كل بناء مرتفع مشرف . هذا هو الذي نصت عليه مطولات اللغة ، والكلمة في عربيتنا الحاضرة من الكلمات التي كتب لهـا الشيوع واستخدمت استخداماً كثيراً ، ومن أجل هذا توسعت اللغة فيها فأخذت من الاسم فعلاً ثلاثياً هو « هَدَفَ » وهذا الفعل يتعدى بحرف الجر « إلى » فهم يقولون : « هذه الحركة تهدف إلى عدة أغراض » وكأنهم يريدون بذلك « تقصد » واشتقاق هذا الفعل واستعماله على هذا النحو شيء جديد لم يثبت في كلام العرب وهو من المولدات التي جدت في لغتنا الحاضرة فقد كانوا يستعملون الرباعي من هذه المادة ، فالإهداف عندهم الدنو والقرب ، وأهدف الشيء دنا وقرب ، ومثله استهدف الشيء أي انتصب .

طمن

وهذا فعل جديد شاع في لغتنا الحاضرة وهو مضعف على « فعّل » فيقولون « يطمن الرغبات » أي « يكفي الحاجات ويسد النقص » . وهذا الفعل لا وجود له في العربية الفصيحة القديمة ، وهو مولد على طريقة التضعيف والجزم من « طمأن »[1] والطمأنينة والاطمئنان معروفان .

قرن

ومن هذه المادة الفعل « قارن » وقارن الشيءُ الشيءَ مقارنةً وقراناً اقترن به وصاحبه . ولغتنا الحاضرة تستعمل الفعل « قارن » في قولهم : « قارن الشيءَ بالشيء » على نحو غير الذي أثبتته كتب اللغة وهو استعمال جديد . والمقارنة في لغتنا اليوم لا يراد بها الاقتران والمصاحبة وانما يراد بها « الموازنة » فهم إذا وازنوا بين موضوعين من الموضوعـات أحدثوا « المقارنة » بمعناها الجديد . والموازنة هي الكلمة المقتضاة في هذا الباب ، فقد عرفنا « الموازنة بين أبي تمام والبحتري » للآمدي وهو من الكتب الشهيرة في النقد والبلاغة .

والاستعمال الحديث في موضوع « الأدب المقـارن » هو من تحميل مادة « المقارنة » هذا المعنى الجديد ، فالموازنة فيما أسموه بالأدب المقارن حاصلة موضوعاً وتطبيقاً .

---

(١) لم يرد « طمأن » الرباعي على هذا النحو في معجمات اللغة وإنما ورد مقلوبه « طأمن » كما ورد المزيد « اطمأنّ » وذهب سيبويه إلى أن « اطمأنّ » المزيد بالهمزة والتضعيف مقلوب ومعنى ذلك أن الأصل هو « طأمن » وحجـة سيبويه أن « طأمنَ » غير ذي زيادة . ويبدو لي من هنا أن « طأمن » بهذا الشكل جاء من « أمن » ثم زيدت الطاء على هذا النحو الذي لم يجر كثيراً في العربية .

برر

ومن هذه المادة فعل مضعف هو « برّر » على « فعّل » وهو من الأفعال الشائعة التي حفلت بها لغتنا الحديثة فهم يقولون مثلاً : « الغاية تبرر الواسطة » أي تجوزها وتحقها ، وهذا شيء جديد لم يرد في كتب اللغة .

عوض

والعِوض البَدَل . وهذه الكلمة لا تتبع إلا بحرف الجر « من » فيقال : « عوض من » على أننا لا نقول إلا : « عوض عن » في عربيتنا السائرة الدارجة . ومثل هذا التجاوز في استعمال حروف الجر قـد حصل كثيراً في لغتنا الحاضرة بحيث خفي وجه الصواب في أفعال كثيرة وسنعرض لجملة من ذلك .

كلم

وفي هذه المادة يرد الفعل « تكلم » فيعدونه بحرف الجر « عن » والوجه فيه أن يقال : « تكلم على الشيء » و « الكلام على الشيء » ولا نقول : تكلم عن الشيء كما هو شائع في لغتنا الحاضرة .

جوب

وفي هذه المادة يرد الفعل « أجاب » فيعدونه بحرف الجر « على » والوجه فيه أن يقال : « أجاب عن السؤال » و « الجواب عن السؤال » ولا نقول : أجاب على السؤال كما هو معروف في لغتنا الحاضرة .

ضلع

وفي هذه المادة يرد الفعل « تضلّع » فيعدونه بحرف الجر « الباء » فيقولون : « تضلع بالشيء » والوجه أن يقال : « تضلع من الشيء » و « هو ضليع من الشيء » .

عمق

وفي هذه المادة يرد الفعل (تعمق) وهو من الأفعال التي تتعدى بنفسها في لغتنا الحديثة ، فيقولون (تعمق الشيء) والوجه أن يُتعدى بحرف الجر (في) فيقال : (تعمق في الأمر) .

بدل

والفعل من هذه المادة (بدّل) مضعف على وزن (فعّل) و (تبدّل) و (استبدل) وهذه الأفعال ترد في لغتنا العربية في عصرنا الحاضر وهم يستعملونها على النحو الآتي : (بدّل الكتاب بكتاب آخر) و (استبدل الشيء بشيء آخر) وحرف الجر في هذا الاستعمال يباشر ما أخذ عوضاً من الشيء . وهذا الاستعمال لا يجري على ما جاء في لغة التنزيل فقد جاء في قوله تعالى : (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهن من أزواج)[١] وفي قوله تعالى : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدّلوا الخبيث بالطيب)[٢] وفي قوله تعالى : (ومن يتبدّل الكفر بالإيمان)[٣] وفي قوله تعالى : (قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير)[٤] . على أن هـــذا الفعل قد يأتي في لغة التنزيل دون أن يتعدى بالحرف : (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً)[٥] .

---

(١) الأحزاب ٥٢ .
(٢) النساء ٢ .
(٣) البقرة ١٠٨ .
(٤) البقرة ٦١ .
(٥) النور ٥٥ .

كفأ

الكفيء : النظير وكذلك الكُفء والمصدر الكفاءة بالفتح والمد ، ويقال لا كِفاء له أي لا نظير له وهو في الأصل مصدر . ومن الكُفء الكفاءة في النكاح ، وهو أن يكون الزوج مساوياً للمرأة في حسبها ودينها ونسبها وبيتها وغير ذلك . وهكذا فان المعنى الذي تنصرف إليه هذه المادة وهو المساواة حاصل في كثير من المشتقات . غير أن عربيتنا الحاضرة قد عدلت عن هذا المعنى وصار الكفء فيها هو (الكافي) القدير فيقولون : هو كفء في عمله أي قادر ذو كفاية وكان الصحيح أن يقال : هو كاف في عمله . وعلى هذا فان (الكفاءة) قد أخذت هذا المعنى المولد الجديد وهو القدرة على الشيء و (فلان ذو كفاءة) يراد به (ذو كفاية) .

والكفاية هي المتطلبة في هذا الاستعمال فقولهم : (رجل كافٍ وكفيٌ) أي يكفي الأمر ، ويقال : رجل كافيك من رجل .

وأرى أن سبب هذا الوهم الذي أدى الى أن يكون (الكُفء) (كافياً) عدم فهم هذه الكلمة حين وردت في كلام الله تعالى في سورة الاخلاص : (ولم يكن له كفؤاً أحد) (١) فقد وقعت الكلمة منصوبة خبراً لـ (كان) وقد سهلت الهمزة إلى الواو فصارت الكلمة ترسم بالواو خطأً (كفؤ) وقد حُرف معناها إلى معنى (الكافي) الذي أشرنا إليه . ومن الخطأ في الرسم بالواو وانحراف الهمزة عن مكانها على الواو تولدت كلمة جديدة لاوجود لها في مفردات العربية وهي (كَفوء) على وزن (فَعول) للدلالة على معنى القدرة والجدارة فقد قالوا : (فلان كفوء بين أقرانه)

(١) الإخلاص ٥ .

ثم حلا للمتكلمين بهذه اللغة أن يؤنثوا الكلمة فيقولوا : (العناصر الكفوءة) وهكذا فقد ولد الخطأ في الرسم كلمة مولدة جديدة شاعت في كتابات أبناء هذا العصر ولا تعدم أن تجدها فيما يكتبه المتأدبون .

سبق

نقرأ في لغة الدواوين الرسمية في العراق كلمة (مُسبَق) وهي بزنة اسم المفعول المشتق من الرباعي (اسبق) فيقال مثلاً : (وكانت النتائج قد نشرت مسبقاً) والكلمة تستعمل ظرفاً . وإذا نظرنا إلى الفعل الرباعي (اسبق) في كتب اللغة وجدناه في قولهم : (أسبق القومُ إلى الأمر وتسابقوا بادروا) . وهذا الاستعمال بعيد عما يستعمل في لغة الدواوين الرسمية في أيامنا .

فني

يقال : (التفاني في سبيل الوطن) والمراد : بذل النفس في سبيله ، وحقيقة التفاني لاتفيد هذا المعنى الذي شاع في عربيتنا الحاضرة ، فإذا قلنا : (تفانى القوم) فالمراد قتل بعضهم بعضاً .

وعي

وشاع منذ ما يقرب من سنتين مصدر جديد هو (توعية) على أن فعل هذا المصدر المضعف (وعّى) لم يشع بل لم يعرف . وهذا المصدر وفعله من المولد الجديد في عربيتنا الحاضرة . وقد استعملت ، (التوعية) لغرض سياسي فالمراد منها (ايقاظ الجمهور وتنبيهه) نحو الوطنية الجديدة القائمة على الاشتراكية والنظم الاجتماعية الأخرى .

كتف

وفي هذه المادة الفعل (تكاتف) وهو مادة جديدة استعملت في العربية الحديثة ، ولا أحسب أنه استعمل في الفصيح المأثور من العربية ، وقد خلت معجمات اللغة من هذا الفعل ، ولكن اللغة الحديثة تفيد من الاشتقاق فتتوسع فيه لمعنى من المعاني . ومن المفيد أن نقول : أن علاقة المعنى الجديد للفعل (تكاتف) بالأصل وهو (كَتِف) من مفردات (خلق الإنسان) مفهومة معروفة .

ضمن

ومن هذه المادة الفعل (تضامن) والمصدر (تضامن) والفعل والمصدر من المواد التي تشيع في لغة الجيل الحاضر بمعنى (الاتحاد) فيقال مثلاً : (إن الأمة بتضامنها تبلغ الآمـال) . ومعنى (التضامن) في الفصيح المأثور (التكافل) وبعيد مابين (الاتحاد) و (التكافل) ومادة (ضمن) تعني (كفل) و (الضمين) (الكفيل) . ويبدو من هذا أن (التضامن) بمعنى (الاتحاد) شيء من المولد الجديد الذي جاءت به لغة العصر .

وأكبر الظن أن الذي حمل (التضامن) على معنى (الاتحاد) الخلط بين مادتين هما (تضامن) و (تضامّ) ذلك أن (التضامّ) مصدر الفعل (تضامّ) بتشديد الميم ، وأن المصدر (تضامٌّ) منوناً يجر إلى الخلط بينه وبين (تضـامن) فقد توهمت نون التنوين نوناً أصلية فتولد هذا الخطأ .

اخصائي

يراد بالاخصائي الاختصاصي أو المختص ، والكلمة تستعمل وصفاً لأصحاب

العلوم والفنون فالطبيب الأخصائي هو الاختصاصي بمرض معين وكذلك يقال عن أصحاب العلوم الأخرى . ومن المفيد أن نذكر ان (إخصائي) لايمكن أن تسد سد الاختصاصي ولا يفهم منها ذلك إلا على سبيل شيوع الخطأ . فليس في مادة (خصص) شيء من هذه الكلمة . وإذا أردنا وجه الصواب فلا بد أن نقول : ان (الاخصائي) منسوب إلى (الإخصاء) وفرق بعيد بين (الاختصاص) المطلوب لأصحاب العلوم و (الاخصاء) مصدر أخصى يخصي باعتبار الفعل رباعياً وإن كان الثلاثي (خصى) هو الثابت الصحيح والمصدر خِصاء بالكسر والمد [1] .

رئيسي

والوصف بـ (الرئيسي) معروف كثير في عربيتنا الحاضرة ، يقال : (السبب الرئيسي) و (العنصر الرئيسي) وغير ذلك . والذي أراه أن الوصف بهذه الصفة المنسوبة غير صحيح ، والوجه أن يقال : (السبب الرئيس) دون نسبة (الرئيس) ولا حاجة هنا إلى أن ينسب الشيء إلى نفسه ، وأكبر الظن أن هذه الصفة المنسوبة هي من بقايا ما ورثته العربية من العصور التركية ، لأنه ليس المراد بهذا الوصف المنسوب كونه خاصاً بـ (الرئيس) ، فليس هو مثل الوصف بـ (الأساسي) المنسوب إلى الاساس . وإنما هو مثل قولهم (السبب المهم) .

حياتي

وتساهل أهل هذا العصر في لغتهم حتى ارتكبوا الخطأ فقد نسبوا إلى (الحياة) قالوا (حياتي) دون النظر إلى ألف الحياة وعلامة التأنيث فيها فكما ينسبون إلى (وطن) ويقولون (وطني) كذلك نسبوا إلى (حياة)

---

(١) جاء في لسان العرب (أخصى الرجل) : تعلم علماً واحداً على سبيل المجاز . (لجنة المجلة)

فقالوا : (حياتي) وكأن (حيوي) ليست نسبة إلى (حياة) وقد بلغ من شيوع الخطأ أن صارت وزارة التربية التي تشرف على صيانة العربية تجعل في منهاج المدارس الابتدائية (العلوم الحياتية) . وربما كان (وحدوي) أخف وطأة من هذا الارتكاب الشنيع .

مصونه

اسم المفعول من (صان) وكأن هذه الكلمة في لغة الجرائد على وزن (فَعول) توهماً على الخطأ ، ومعلوم أن (فعول) يستوي فيها المذكر والمؤنث نحو عجوز وغيره ، ولذا فقد كتبوا في الصحف في الإخبار عن عقد قران مثلا : جرى يوم أمس عقد قران السيد فلان على الآنسة المصون ...!

وقد جر التوهم إلى أخطاء كثيرة ولذلك ينبغي ألا ينصرف الذهن إلى التوهم الذي أحدث مواد لغوية جديدة نحو توهم أصالة الياء في (قيمة) فقالوا في الفعل (قيّم) بدلاً من (قوّم) ومثله (عيّد) من (عيد) .

أما التوهم الذي نباشره فهـو من الأخطاء نحو توهم الياء أصلية في (يحيك) والذي جر إلى هذا (الياء) في المصدر (حياكة) . ومثله الواو في (سُوّاح) بدلاً من (سُياح) والعدول عن الياء إلى الواو في هذا الجمع كان بسبب ضمة السين . التي اجتلبت الواو من أجلها خطأً .

لا زال

من أفعال الاستمرار ومجيء (لا) قبل (زال) الفعل الماضي يمحضها للدعاء كما هو في العربية . قال ذو الرمة :

ألا يا اسلمي يا دار ميّ على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

على أن هذا الدعاء لم تحتفظ به عربيتنا الحاضرة . وان متأدبي عصرنا لا يميزون بين (لا زال) و(ما زال) فيقولون : (لازالت الأنباء تتوارد) .

والأنكى من ذلك

وهذا خطأ آخر في استعمال اسم التفضيل ، فالمعلوم ان اسم التفضيل إذا كان محلىً بالألف واللام لا يؤتي بالمفضل عليه مجروراً بمن ، فالصحيح أن يقال :

(والانكى والأمرّ ، والأدهى) دون الإتيان بالمفضل عليه مجروراً بمن . ولا حجة بالشاهد النحوي :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

فقد خرج على أن (من) ليست تفضيلية بل للتبعيض أي : لست من بينهم بالأكثر حصىً .

ومعظم الأسباب تؤكد ...

هذا باب عود الفعل على المضاف إليه وهو غريب في العربية الفصيحة إلا في شواهد سنعرض لها . أما في العربية المعاصرة فهو استعمال شائع . ولغة اليوم في الصحيفة والاذاعة والمقالة الأدبية تعطي مئات الشواهد على ذلك .

أما في المأثور الفصيح فمنه قوله تعالى : (وكنتم على شفا حفرة من النار . فأنقذكم منها) [١] .

وقال جرير :

رأت مرّ السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال

وقال آخر :

وما حب الديار شغفن قلبي . . . . . .

(١) آل عمران ١٠٣ .

وقال العجاج :

طول الليالي اسرعت في نقضي طوين طولي وطوين عرضي

ما دخلت الدار الا ورأيت الطفل يلهو

هذه جملة صدرت بالنفي ثم جيء بـ (إلا) بعدها وهي متلوة بالواو التي تفيد الحال . وهذه الواو ترد كثيراً في مثل هذه الجملة في لغتنا الحاضرة وربما وجدت في لغة العصر العباسي ولكن لغة التنزيل قد خلت من هذا الاستعمال . جاء في قوله تعالى : (ما تأتيهم آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) [١] وفي قوله تعالى : (وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) . [٢] وفي قوله تعالى : (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) [٣] .

الجملة الواقعة في جواب اذا الفجائية

هذه الجملة تكون إسمية وهي في لغة هذا العصر تكون مصدرة بـ (باء) زائدة إذا كان المبتدأ ضميراً نحو : (خرجت فإذا به واقف في الباب) ، وقد خلت لغة التنزيل من هذه الباء في مثل هذا الاستعمال . فقد جاء في قوله تعالى : (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) [٤] وفي قوله تعالى : (فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) [٥] .

---

(١) الانعام ٤ .

(٢) الحجر ١١ .

(٣) الشعراء ٥ .

(٤) الزمر ٦٨ .

(٥) الصافات ١٩ .

اجتماع الشرط والقسم «لئن»

قالوا : ان اللام في «لئن» موطئة للقسم ومعنى ذلك أن الجواب لابد أن يكون للقسم نحو قول الشاعر :

فلئن عفوت لاعفونْ جللا ولئن وهنت لأوهننْ عظمي

ثم قال النحويون : وقد جـاء قليلا ترجيح الشرط على القسم عند اجتماعهما وتقدم القسم ، وان لم يتقدم ذو خبر ، ومنه قوله :

لئن مُنيتَ بنا عن غِب معركةٍ لاتلفنا عن دمـاء القوم ننتفلُ

أقول : إن هذا الاستعمال غير قليل وترجيح الشرط على القسم عند اجتماعهما وتقدم القسم وارد منذ عصور العربية الأولى .

قال عمر بن أبي ربيعة :

لئن كان ماحدثتَ حقاً فما أرى كمثل الألى أطريت في الناس أربعا

وفي العصر العباسي نجد أبا تمام في مثل هذا المقام يأتي شعره على نحو ما أقره النحويون في استعماله «لئن» . قال يمدح محمد بن يوسف الطائي .

لئن عمت بني حواء نفعاً لقد خصت بني عبد الحميد

وعلى هذا جرى في جميع قصائده . غير أن البحتري في جميع قصائده يجعل الجواب في مثل هذا الاستعمال إلى الشرط ، فهو يقول :

لئن صنت شعري عن رجال أعزةٍ فان قوافيه بوصفـك أليق

أما في شعر الشريف الرضي فالأسلوبان قد وردا ، فهو يقول :

لئن راب مني مايريب فانني على عدواء الدار غير مريب

وقوله :

لئن فارقتهم وبقيت حيـاً لقد فارقت أيام الشبـاب

أما شعراء هذا العصر فهم يجعلون الجواب في مثل هذا المكان للشرط ولا عبرة في هذه اللام الموطئة للقسم .

في الاستفهام

يستفهم كثيراً بـ « ما » وبـ « من » من أدوات الاستفهام . وقد يحصل أن يتوسط ضمير الغيبة المنفصل بين اسم الاستفهام والمستفهم عنه فنقول :

« ماهي المسألة ؟ » و« ماهو السبب ؟ » و« من هو المسئول » وهذا الأسلوب شائع كل الشيوع في عربيتنا السائرة ، غير أن الاستقراء لايؤيد هذا الاستعمال ، والإيجاز الذي هو صفة العربية في بلاغتها يأبى هذا الحشو . قال تعالى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها »(١) وقال تعالى : « قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي »(٢) .

لا يتفق والحالة الراهنة

الواو في هذه الجملة للمعية ومعنى هذا أن الاسم التالي لها منصوب على أنه مفعول معه ، ومثل هذه الجملة كثير غيرها مما يكون فيها الفعل دالاً على المشاركة . وهذه الأفعال لا يمكن أن تأتي بعدها واو للمعية وانما تتمحض هذه الواو الى العطف . واذا صح العطف فلا يمكن عطف اسم ظاهر على ضمير مستتر وانما يجب أن يؤكد هذا الضمير المستتر بضمير منفصل حتى يتم العطف نحو :

(لا يتفق هو والحالة الراهنة) . ولكن الجملة كما أثبتناها في أعلاه شائعة في لغتنا الحاضرة .

وبعد فهذه جملة مواد أجريتُ فيها تحقيقات لغوية لأسجل شيئاً من التاريخ اللغوي وكيف يعرض له التبدل والتطور سلباً وإيجاباً .

الدكتور ابراهيم السامرائي

(١) البقرة ٦٩ .
(٢) البقرة ٦٨ .

الوهراني ورقعته

عن مساجد دمشق

كان عصر نور الدين محمود بن زنكي (المتوفى سنة ٥٦٩ هـ) بداية العصر الذهبيّ الثاني في تاريخ دمشق . فبعد عصر الأمويّين (٤٠ – ١٣٢ هـ) ، لم تشهد هاذه المدينة حقبة أكثر ازدهاراً ، ورخاءً ، وأشدّ قوّة ، وأحفل بالأمور الجِسام والحوادث الكبار ، من عهد نور الدين والأيوبيين (٥٤٩ هـ – ٦٤٨)[1] .

في هاذا العصر الذهبيّ الثاني كانت دمشق قبلة الأنظار تهوي اليها أفئدة الناس من كل حدب وصوب ، من المدن القريبة ، والبلدان القاصية .[2] وقد استهوت ألباب المغاربة والأندلسيّين خاصة فسارعوا اليها ، وقالوا : « إنْ كانت الجنّة في الأرض فدمشق لا شكّ فيها ، وإن كانت في السماء فهي بحيث تسامتُها وتحاذيها » ،[3] بل أوصوا بقصدها

(١) عن هاذه الحقبة انظر كتابنا « دمشق في القرن السادس الهجري » والمصادر المذكورة فيه .

(٢) انظر مثلاً مقالتنا « دار الحديث العروية بدمشق » ، في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٢٩ ، الجزء الثاني ؛ وجزء من الفوائد المنتقاة عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم (مخطوط في الظاهرية ، مجموع ٢٨ ، الرسالة الخامسة ، ورقة ٥٦ آ) .

(٣) القول لابن جبير ، الرحلة ص ٢٣٥ (طبعة صادر ، بيروت ١٩٥٩) .

والسكنى فيها(١). فزارها بعضهم زورة قصيرة تبرّكاً بها وبمشاهدها، أو أخذاً للعلم عن علمائها. وحلا العيش فيها لآخرين منهم وطاب، لما وجدوه من إنعام، وإكرام، وترحاب، فأقاموا بها، واتخذوها وطناً. (٢)

فمِن هؤلاء المغاربة الذين رحلوا الى دمشق وأقاموا فيها محمد بن محرز بن محمد الوهراني(٣). كان أديباً صناعته الإنشاء. أقدمُ مَنْ ترجم له هو القاضي ابن خلّكان قال عنه إنه «أحد الفضلاء الظرفاء، قدم من بلاده الى الديار المصرية في أيام السلطان صلاح الدين – وفنُّه الذي يمتّ به صناعة الإنشاء. فلما دخل البلادَ ورأى بها القاضي الفاضل وعماد الدين الاصبهاني الكاتب وتلك الحلبة علم من نفسه أنه ليس من طبقتهم، ولا تنفق سلعته مع وجودهم، فعدل عن طريق الجد، وسلك طريق الهزل ...» (٤).

فيُفهم من قوله أنّ الوهراني عدل عن طريق الجد بعد أن لقي العماد والفاضل عند صلاح الدين بمصر.

وهاذا الكلام يحتاج الى تصحيح. فسلوك الوهراني طريق الهزل كان قبل أن يصبح صلاح الدين سلطاناً. لأنه كتب كثيراً منّ مقاماته الهزلية ورسائله في أيّام نور الدين بدمشق كما سنرى. ولم يجتمع العماد والفاضل بمصر إلا بعد موت نور الدين.

(١) ابن جبير يقول: «فمن شاء الفلاح من نشاة مغربنا فليرحل إلى هاذه البلاد» الرحلة، ص ٢٥٨.

(٢) لزيادة التفصيل انظر كتابنا «دمشق في نظر المغاربة والاندلسيين».

(٣) وهران بلدة معروفة في المغرب الأوسط (الجزائر اليوم).

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان ٤ : ١٩ (طبعة محيي الدين عبد الحميد)؛ وقد تابع ابن خلكان على ما قال كل من ترجم بعده للوهراني.

ثم إن مجيئه من بلاده الى الشرق لم يكن في أيام صلاح الدين ، بل كان أيام نور الدين . وقد وصفه في إحدى رسائله عندما سئل عنه وهو في بغداد ، فقال عنه « سهم للدولة سديد ، وركنٌ للخلافة شديد ، وأمير زاهد ، وملك مجاهد ، تُساعده الأفلاك وتخدمه الجيوش والأملاك . »(١)

وعجيب أن يخطيء ابن خلـّكان مثل هاذا الخطأ ، والأمر واضح ، على تتبعه وشدّة تحرّيه . وقد تبعه فيه الصفدي في « الوافي »(٢) فقال : « قدم من المغرب الى مصر وهو يدّعي الانشاء فرأى الفاضل والعماد ... »

والذي عرفناه عن سيرته ، بعد مطالعة آثاره المخطوطة ، خاصةً أنه زار دمشق في أيام نور الدين واتصل به(٣) . وأنه مرّ بصقلية ، وزار بغداد . ثم اتخذ دمشق داراً واستوطنها . وكان نور الدين شديد العطف على المغاربة ، فوُجّهت اليه خطابة مسجد داريّا . فبقي فيها . وقد زار مصر . ونرجّح أنه زارها بعد وفاة نور الدين . وعاد الى دمشق ، وبقي في داريّا حتى توفي سنة ٥٧٥ هـ ، أيام صلاح الدين . ودُفن على باب تربة أبي سليمان الداراني(٤) . وله رسالتان كتبهما الى صلاح الدين « يتوقّع نظرة من سعوده ، أو درّة من نجار وعوده »(٥) .

---

(١) الوهراني ، جليس كل ظريف (مخطوطة جامعة برنستن ، ورقة ٤ آ) ؛ وأبو شامة الروضتين ٢/٨٤ (ط حلمي) .

(٢) الصفدي ، الوافي بالوفيات ٤ : ٣٨٦ (تحقيق ديدرنغ) ؛ وانظر أيضاً مثل هذا القول عند الزركلي في الأعلام ٧/٢٤١ ، وكحالة في معجم المؤلفين ١١/١٧٤ .

(٣) يذكر الوهراني في « منامه » الكبير حادثة وقعت في دمشق لأحد من يذكرهم ، في دار الفوّارة بجيرون ، في شهور سنة ٥٥٣ هـ .

(٤) ابن خلـّكان ، المصدر السابق . وعن داريا وأبي سليمان ارجع الى تاريخ داريا للخولاني .

(٥) جليس كل ظريف ، ورقة ٢٢ آ ــ ب .

استطاع الوهراني أن يجذب القلوب اليه . فقد كان « ظريفاً خفيف الروح » ، وكان بارعاً في الهزل والسخرية . فصبّ سخريته وتهكمه على كبار علماء دمشق وفقهائها وأطبائها وكُتّابها كالتاج الكندي ، والمهذّب ابن النقّاش ، والقاضي الفاضل ، والقاضي ضياء الدين الشهرزوري ، والقاضي ابن أبي عصرون ، وغيرهم . ولم يسلم من لسانه وقلمه علماء مصر ورجالها أيضاً ، كالخبوشاني ، وابن مماتي . فألّف رسائل هزلية مختلفة . وابتدع فن المنامات الأدبيّة . وقد شُهر « منامه » الكبير « الذي سلك فيه مسلك أبي العلاء في رسالة الغفران » [1] ، و « جمع فيه أنواعاً من المزاح والأدب » [2] . فتخيّل أنه رأى في المنام كأن القيامة قامت . ومنادياً يُنادي : هلموا الى العرض على الله . فخرج من قبره حتى بلغ أرض المحشر . فلقي هناك كثيرين ممن عاصره وعرفه ، أو مات قبل . فسخر منهم جميعاً وذكر ما حوسبوا عليه .

وقد جمع في كتابه « جليس كل ظريف » الكثير من رسائله ومناماته وفصوله الهزلية . [3]

والذي يُطالع آثار الوهراني هاذه تبدو له براعته في التهكم والتصوير الهزليّ . كان لا يتورع عن السخرية بنفسه . متخيّلاً ما يقوله أعداؤه عنه . وصف القاضي الفاضل فقال : « فلم أشعر إلاّ والحائط قد انشقّ ، وخرج منه شخصٌ عجيب الصورة ، ليس له رأس ولا رقبه ، وإنما وجهه في صدره ، ولحيته في بطنه » [4] ووصف مجلساً ضمّ القاضي الشهرزوري ،

(١) الصفدي ، الصدر السابق ، ص ٣٨٧ وقال : « لكنه ألطف مقصداً وأعذب عبارة » .
(٢) الذهبي ، العبر في خبر من غبر (بالغين المعجمة) ٢٢٦/٤ (تحقيقنا) .
(٣) وفي دار الكتب المصرية مجموعة من رسائله أيضاً . انظر فهرس دار الكتب ١٦٢/٣ ؛ وبروكلمن ، الذيل الأول ص ٤٨٩ .
(٤) من رسالته الى مجد الدين ابن المطّلب . وتصوير الوهراني هذا أبرع من هجاء ابن عنين للقاضي الفاضل وسخريته بحدبته .

وابن النقّاش ، وابن العميد ، جرى فيه حديث المغاربة الذين يأتون من الغرب الى الشام ، ومنهم هو نفسه فقال :

« فيقول ابن العميد : ضيّعتم الوقت في حديث الوهراني ، والله إن مُلْك المغرب نحس . ما جاءنا قطّ منهم إلاّ حارس كرم ، أو ناطور بستان [مع] الركوة والتاسومة ، وهاذا الوهراني من بينهم ، شهد الله ، أثقل على القلوب من الغدّة الخارجة في الحلق ، وأوحش من الورم النافر في الأوداج . فيندفعُ حينئذٍ ابن النقّاش بفلسفته فيقول : اللهم العن الوهراني من الجهات الستّ ، اللهم العن ما يُقابل الوهراني من الأوج الى الحضيض . اللهم العن الهيولىٰ التي شاركت العناصر في تكوينه . والله ما أعرف في مقعر فلك القمر ، ولا على مُحدودَب هاذه الكرة الترابيّة شرًّا من ذلك الخبيث . . . .

« فيقول أبو المعالي ابن العميد بفصاحته : بالله عليكم اقصروا واقتصروا . . . ما للوهراني عرض يُثلم ، ولا مجد يُهْدَم . وهو دون كل ما ترموه (كذا) به ، وإن اشغالكم الوقت بحديثه يُضيع الزمان ، فإنه لا يصلح إلاّ لحمل المِشْعَل ، أو لنظارة القنّبيط . والمصيبةُ أنه مع هاذا يَتَمَكْتَب ويتمَشْعَر ، ويعمل أشياء تشبه جوف لحيته . . .

« ثم يشرع يجلو محاسن نفسه ، ويُظهر فضيلته التي تقدّم بها على الأقران فيقول : يا غلام ! اغسل حلوقَ القوم من ذكر الوهراني بشيء من الكمثرى : العَيْلاني ، والسُكَّري ، والعُثْماني ، والسمرقندي ، والخلاّني ، والعزّي ، والبيطاري ، والدينَوَري ، والبردي ، والديجوري ، والخنافسي ، والحمدوني ، والصقلابي ، والمعنّق ، والملكي ، والذهبي ، والرحبي ، وشيء من التفّاح : البطيحي ، والبدندى (كذا) ، والبربري ، والنبطي ، والصيفي ، والخشخاشي ، والفضّي ، والحلواني ، والجنّابي ،

والقحابي ، والهامي ، والفتحي ، والحديثي ، والقبتلمبامي ، واللبناني . . .[١]

« .. ثم يقعوا (كذا) في هاذا الوادي من الحديث ، فيشتغلوا (كذا) عن ذكر وهران » .

« هاذا إن صدق ظنّ الخادم وتخيّله ، فالأمر يجري على هاذه الصورة »[٢].

وكتب الى رجل اسمه قسيم الأعور رسالة ، كلها سخرية ، خاطبه فيها بقوله:

« يا مولاي الشيخ الزاهد ! دبّوس الإسلام ، لتّ الشريعة ، قنطارية العلماء ، باقوروت (كذا) الائمة ، طبل باز السنّة ، نصر الله خاطرك ...!»[٣]

ووصف بعض ألفاظ قصيدة قالها التاج الكندي ، في رسالة كتبها اليه ، فقال :

« ... ألا ترى أنها لا ينطق بها اللسان حتى ينخلع منها الفكّ ، مع ما فيها من التدقضرم (كذا) ، والرقاعة المعجونة بالتبظرم ، ولأجل ذلك جاوبتها الألسن بأنواع من الضـ ...»[٤].

وهاكذا نرى من النصوص التي سقناها أن الوهراني كان « صاحب دعابة ومزاح » على حد قول الذهبيّ ، وأنه « ما سلم من شرّ لسانه أحد

(١) هذا التعداد لأصناف التفاح والكمثرى ذو شأن كبير لمعرفة ماكان يوجد منها في دمشق أيام الأيوبيين . وما زال بعض هذه الأصناف موجوداً حتى يومنا . وقد تعمدنا نقل النص لمعرفتها وفي معجم الألفاظ الزراعية أن شجر الكمثرى اسمه Poirier بالفرنسية وهو الصحيح . وهـذا مدلول الكمثرى في مصر أما في الشام فيسمونه إجاصاً على حين أن الإجاص في اللغة هو الـ Prunier بالفرنسية والبرقوق في مصر .

(٢) جليس كل ظريف ، ورقة ٣٣آ ـ ٣٥ ب ، من رسالته إلى الأمير شمس الدين ابن الوزير البعلبكي .

(٣) جليس كل أنيس ، ورقة ٣٧ ب ، والأسماء المذكورة كلها أسماء لضروب السلاح .

(٤) المصدر السابق ، ورقة ١٧ ب .

بمن عاصره » ، على قول الصفدي . وأنه كان كاتباً في الهزل والسخرية والتهكم ، مقبول الكلام خفيف الروح ، على ما عنده من لذع وحدة .

وهو ثاني اثنين سلّطهما الله على أهل دمشق ايام الأيوبيين : ابن عُنَيْن في « مقراض الأعراض » شعراً ، وهو في « رسائله » و « منامه » نثراً .

ونعتقد أن السبب الذي دعاه الى اتباع هاذا الطريق هو طلب المال . فقد كان يسعى إلى جمعه . يحدثنا هو عن نفسه فيقول :

لما تَعذّرَتْ مآربي ، واضطربتْ مغاربي ، ألقيتُ حَبْلي على غاربي ، وجعلتُ مذهبات الشعر بضاعتي ... فما مررتُ بأمير إلاّ حَلَلْتُ ساحته ، واستمطرتُ راحته ، ولا بوزير الاّ قرعتُ بابه وطلبتُ ثوابه ، ولا بقاضٍ إلا أخذت سَيْبه ، وأفرغتُ جَيْبَه ... » (١) .

فهو يستمطر راحــة الأمراء ، ويطلب ثواب الوزراء ، ويُفرغ جيوب القضاة .

ولم يغمز الوهراني نور الدين إلاّ لأنه كان لا يُعطي الأدباء والشعراء الأموال . فقد قال عنه : « عُرف بالمَحْلِ الجديب للشاعر الأديب . فما يُرْزَى ولا يُعَزّى ، ولا لشاعر عنده من نعمة تُجزى » (٢) .

وكيف كان أمر الوهراني فيما ابتغاه من سخريته ، فإنه يكاد يكون نسيج وحده في أدبنا العربي ، فيما كتب . وهو جدير بدراسات واسعة تُكتب عنه . وآثاره المخطوطة ينبغي أن تنشر .

---

(١) جليس كل ظريف ، ورقة ١ ب .

(٢) انظر الروضتين ٢/٨٤٥ (نشرة محمد حلمي) وقد أخطأ المحقق في ضبط اسم الوهراني ، فجعله يحيى بن محمد !

- ٢ -

أما الرقعة التي ننشرها ، والتي مهدنا لها بما ذكرناه ، فهي من مضمونات كتابه « جليس كل ظريف » . وهو كتاب نادر حلو وجدناه في مجموعة يهودا المخطوطة ، بجامعة برنستن بالولايات المتحدة الأميركية ، وهو محفوظ فيها (برقم 665 .ah ١/) . ولم يعرف بروكلمن هذه المخطوطة .

وقد رأينا نشر هذه الرقعة لأنها من النصوص المتعلّقة بتاريخ مدينتنا دمشق ، وخاصةً بتاريخ مساجدها . وخلاصتها أن مساجد دمشق والضياع التي من حولها أصابها في زمن نور الدين الخراب والضَّياع . فاجتمعت هاذه المساجد ، ولجأت الى أميرها وسيدها جامع بني أمية . وكتب لها جامع النيرب قصة قدّموها اليه . ذكر فيها ما تلقاه المساجد من جور العمال ، ونهب الوقوف ، وخراب الحيطان والسقوف . ثم تكلّم جامع المزّة ، ثم مشهد برزة . فلما استمع مسجد دمشق الى الكلام أشار أن يكتبوا شكواهم الى قاضي القضاة أبي سعد بن عصرون . فقرأها وكتب على ظهرهـا هجاءً لمسجد دمشق . فغضب المسجد ، ورفع شكواهم مع شكواه الى الملك الزاهد نور الدين . فلما وقف نور الدين على ماكتبوا اهتمّ فأصلح أحوال المساجد . وعزل ابن عصرون .

هاذه خلاصة الرقعة . ومن الممكن أن يكون الوهراني قد كتبهـا لعلمه بحالة المساجد يومئذ ، وقد كان - كما مرّ بك - خطيباً في مسجد داريّا . ولعله كتبها ودسّها الى نور الدين نفسه ، فكانت بمدها عنايته بإصلاح المساجد وتطييبها مما ذكر أخباره أبو شامة وابن كثير وابن واصل ، وسبط ابن الجوزي ، وابن قاضي شهبة ، وغيرهم فقد تقدّم بإحصاء ما في محال دمشق من المساجد الخراب فأناف على مئة مسجد ، فأمر بعمارة

ذلك كله . وعيّن له وقوفاً .(١) ورأى جامع دمشق داثراً فأتى بالقاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري" الموصلي" فولاّه قضاء قضاة دمشق ، وولاّه نظر الجامع فأصلح أموره . وكذلك وقف نور الدين عليه أوقافاً لتطييبه . وذكر العماد الاصبهاني أنه عمر في سنة ٥٦٥ ﻫ جامع داريّا ، ومشهد أبي سليمان الداراني (٢) ، الى غير ذلك ، مما يدل" على سوء حالة المساجد وصدق ما في الرقعة .

وتشير الرقعة أيضاً الى أن نور الدين عزل ابن عصرون بسبب إهماله المساجد . وابن عصرون هاذا هو شرف الدين أبو سعد عبد الله بن محمد ابن أبي عصرون الموصلي المتوفى سنة ٥٨٥ ﻫ . قدم الى دمشق لما فتحها نور الدين سنة ٥٤٩ ﻫ فدرّس بالغزالية وولي أوقاف المساجد ثم سافر الى حلب ، ثم عاد الى دمشق بعد وفاة نور الدين ، سنة ٥٧٥ ﻫ . وهو الذي تنسب اليه المدرستان العصرونيتان بدمشق وحلب .(٣)

ولم يذكر ابن خلـّكان ، ولا ابن كثير ، ولا ابن العماد صاحب الشذرات ، سبب تركه نظر أوقاف المساجد ، وهذه الرقعة تفيدنا في معرفة السبب .

وها هوذا نصّ الرقعة :

---

(١) ابن واصل ، مفرّج الكروب ٢٨١/١ ؛ ابو شامة ، الروضتين ١١/١ ؛ سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ٣١٢/٨ ؛ البدر ابن قاضي شهبة الكواكب الدرّية (مخطوط) .

(٢) ابن كثير ، البداية ٢٦١/١٢ ؛ النعيمي ، الدارس ٤٣٢/٢ . الأول نقلاً عن العماد ، والثاني نقلاً عن البدر ابن قاضي شهبة .

(٣) ابن خلـّكان ، وفيــات ٢٥٦/٢ (ط . محيي الدين عبد الحميد) ؛ وانظر الدارس ٣٩٨/١ .

نسخة الرقعة التي رفعها المساجد

الى جامع دمشق

لمّا تحكّمت يدُ الضّياع في مساجد الضّياع ، وأرتج بابُ العدلِ وأُغلق ، ونُبذَ كتابُ الله وخَلَق ، فزعت المساجدُ إلى جامع جِلّق ، وهو يومئذ أميرُها ، عليه مدارُ أمورها . فلما وصلوا إلى بابه ، واجتمعوا تحت قبّته ومحرابه ، كتب لهم جامعُ النّيْرَب قِصّةً اليه ، وتوصّلوا إلى مَنْ عَرَضها عليه . فكانت الرقعةُ مسطورةً على هاذه الصورة[1] .

«المماليكُ مساجدُ الكورة يُقَبِّلون الأرضَ بين يديْ الملكِ المعظم ، البديعِ الرفيعِ المكرّم ، كهفِ الدين ، جمال الاسلامِ والمسلمين ، بيتِ الأتقياء والصالحين ، مدفنِ الأنبياء والمرسلين ، مَعْبَدِ المِلّتَيْن ، صاحبِ الدولتيْن ، بُنْيَةِ أمير المؤمنين ، أعلا الله منارَه ، وأيّد أنصارَه ، وعَمَرَ بالتوحيد أقطاره .

(١) انظر جليس كل ظريف ، ورقة ٥ ب – ٧ ب .

« ويُنْهون اليه ما يُقاسونه من جَوْرِ العُمّال ، وتضييعِ الأعمالِ ، ونَهْبِ الوقوفِ ، وخرابِ الحيطان والسقوف .

قد ألِفَهُم الظُلْمُ والظلام ، وأنكرهم المؤذّن والإمام ، فلا يُسمعُ فيهم إلاّ أذانُ البوم ، وتسبيح الغيوم . قد ركعتْ أركانُها ، وسجدتْ سقوفُها وحيطانُها ، تبكي عليها النواقِس ، وترثي لها البِيَعُ والكنائس .

« يا وَيْح مَنْ يرثي له الشامتُ »

وقد فزِعْنا ، أيّها الملك ، إلى بابك ، وأوَيْنا تحت جَنابك ، فافعلْ بنا ما هو أولى بك .

والسلام . »

فلما وقف على هـــذه الحكاية ، وفهم مُقتضى الكناية ، استوى جالساً في مقعده ، وضرب بيده على يده ، وقال : كيف وأنى ، أمْ للإنسان ما تمنّى ، ثم رفع رأسه وغنّى :

« وما شَرِبَ العُشّاقُ إلاّ بقيّتي
ولا وردوا في الحب إلاّ على وِرْدي »

ثم أشرف على إيوانه ، بين حَفَدَته وأعوانه ، وأقْبَلَ يُقلّبُ

طَرْفه في الجموع ، ويكفكف انسراب الدموع، لِما يرى من اختلالهم، وفسادِ أحوالهم .

فابتدر جامع المزّة للمقال ، فتقدّم بين يديْ الملك وقال :

« الحمد لله الذي قضى علينا بالخراب ، وصيّر أموالنا كالسراب ، وجعلنا مأوىً للبوم والغُراب .

« أحْمَدُه حَمْد مَنْ كان فقيراً ثم استغنىٰ ، وأدرك بمالِ الوَقْفِ ما تمنّىٰ . وأشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله ، وَحْدَه لا شريكَ له ، شهادةَ عالمٍ عاملٍ ، متحمّلٍ لثقلِ الأمانة حامل ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسوُله ، الصادقُ الأمين . صلّى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الطيّبين الأكرمين .

« أما بعدُ أيُّها الملكُ السعيد ، ثبّت اللهُ قواعد أركانك ، وشيّد ما وَهىٰ من بنيانك ، فإنّ الخراب قد استولى على المساجد ، حتى خَلَتْ من الراكع والساجد ، وأصبحت جوامع الغوطة غيطان ، لا سقوفَ لها ولا حيطان . ومشاهدُ البقاع[1] ، صَفْصَفاً كالقاع ، ومساجدُ حوران مخازن وأفران ، فكم بُنيــة لعب

(١) يشير الى البقاع العزيزي ، في لبنان اليوم .

الجوْرُ بأربابها ، ونَسَجَ العنكبوتُ على بابها ، وكم بيوت لله غلّقت دون أصحابها ، فَعَشْعَشَ الحمامُ في محرابها . ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أنْ يُذكَرَ فيها اسْمُه وسَعىٰ في خَرَابها ﴾ [1] . وقد دُخِلَ أيّها الملك على الوقوف ، بحجّة العمارة والسقوف . فاتفقَتْ علينا الأهواء ، واختلفتْ فينا الامطارُ والأنواء ، فلا يزال المسجدُ يَنْهار ، وتأخذُه السيولُ والأنهار ، حتىٰ يُمحىٰ رسمُه ، ولا يبقىٰ منه الاّ اسمُه . وأنتَ ، أيّها الملكُ ، عمادُنا ، واليك بعد الله معادُنا ، فالتَفِتْ الى حالنا ، وأنظرْ في صلاح مآلنا ، يُصْلِح اللهُ أحوالك ، ويُسَدّد في الخير أقوالك وأفعالك . والسلام » .

ثم جلس .

فقال الملك : هاؤلاء المساجد ، فما بالُ المشاهد ؟

فبرزَ مشهدُ بَرْزَة متوكّئاً على مسجد الأرْزَة ، وهو يُصلصلُ ويصول ، ويلطمُ وجهه ويقول :

(١) سورة البقرة ، ٢ ، الآية ١١٤ .

« كلّما حاولتُ أشكو قصّتي
لا اُلاقي غَيْرَ ذي قلبٍ جريح
يتشكّىٰ مثـــلَ شكوايَ له
يا لقومي ما عليهـا مستريح ! »

« أمّا بعدُ ، أيّها الملك السعيد ، أدام الله جمالَك ، وبلّغك في العدوّ آمالك ، فإنّ مقام ابراهيم أصبح في كلّ وادٍ يهيم ، ومغارةَ الدمّ ، لا تستفيقُ من الذمّ ، ومسجدَ الكهف ، لا يَفتر من اللهف ، وقبرَ شيث ، قد استأصله الخبيث . وقبرَ نوحٍ ، يبكي وينوح ، وقبر جيلة مالنا فيه حيلة ، وقبر الياس تعوّضنا عنه بالياس . وأمْسَتِ المشاهدُ كأربابها ، وأصبحت رسماً كأصحابها . قد محتْها العوادي ، وحدا بها الحادي :

« جرَتِ الرياحُ على رسومِ ديارهمْ
فكأنّما كانوا على ميعـــادِ »

فقال الملكُ : رُبَّ طارقٍ على غير وعد ، وفي كلّ وادٍ بنو سعد .

ثم تنحنح عجبا ، وحرّك رأسه طرَبا ، واستفتح المقال بأن قال :

« الحمدُ لله الذي لا يحمدُ على المكروه سواه . نَصَبَ العدلَ وسوّاه ، وأمدّه بعونه وقوّاه . فمَنْ أضلّ ممّن اتّبع هواه ﴿ وأضلّه اللهُ علىٰ عِلْم ، وخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وقَلْبِهِ ، وجعَلَ على بَصَرِهِ غِشاوة ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ الله ﴾ (١) .

« أحمدُه على ما رزقني من الاحتمال ، وأشكرُه على ذهابِ العِرْضِ والجاه والمال . وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله ، وحدَه لا شريك له ، شهادةَ مَنْ أعطى الأمانةَ حقّها ومُستَحقّها ، وأنّ محمداً سيّدُ الأوّلين والآخرين رسولُ الله .

« أما بعد ، يا معشرَ المتكلّمين ، وطائفةَ المساجد المتظلّمين ، فإنه والله ما يصلُ اليكم من الجوْر إلاّ ما يفضُل عني ، ولا ينتهي اليكم إلا ما يُستعار مني . ولولا أنّ أركاني سليمة ، وبُنْيتي قديمة ، لأصبح جامع بني أميّة ، يغنّي : يا دار ميّة .

« وقد والله شرِقتُ بغصّتكم ، وحِرْتُ في قصّتكم ، إنْ رفعْتُ أمركم إلى الملكِ العادل (٢) ، ردّكم إلى الشيخ العالم

(١) اقتباس من سورة الجاثية ، ٤٥ ، الآية ٢٣ .

(٢) يعني نور الدين .

العامل [١] ، فلا يرعى لكم حرمة ، ولا يراقب فيكم إلاً ولا ذِمّة ،

« شَكوى الجريحِ إلى الغِرْبان والرَّخَمِ »

والرأيُ عندي أن تكتبوا للشيخ قصة ، ولا تتركوا في صدوركم غصّة ، وأن تجعلوا في الكتاب أنواعاً من العِتاب ، فإن التأم رأيه برأيكم ، وإلاّ فالسلطان من ورائكم .

« أقولُ قولي هاذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم . »

فنادوا بالغلام ، فأتى بالدواة والأقلام ، فقال : استَعِذْ بالله من الشيطان الرجيم ، واكتب : بسم الله الرحمن الرحيم .

« من ملك الجوامع بجيْرون الى أبي سعد بن عُصْرون [٢]

« لقــــد أسمعْتَ لو نادَيْتَ حيًّا

ولاكنْ لا حياةَ لمن تُنادي »

« أما بعدُ يا غدّار ، فقد هيّجتَ الألم ، وأبهمتَ الظُلَم ، ومن استرعى الذيب فقد ظَلَم . طالما تغاضَيْنا عن خياناتك ، حتى اكتنَزْتَ الأموالَ وادّخرْتَها ، وجمَعْتَ الذخاير واعتزلتَها .

---

(١) يعنى ابن أبي عصرون .

(٢) كذا مشكولة في الأصل بضم العين .

أَمِنْ أجْلِ هاذا كانتْ سياحتُك ، وبسببه كانت نياحتُك ؟ ولأجله كنتَ تسيح وتصيح ؟ حتى غَبَطَك المسيح . لقد عجبتُ أيُّها الشيخُ من مُحَالِك ، في ابتداء حالِك ، ومن فسادِ أمْرِك عند آخرِ عُمْرِك ، صَلَّيْتَ بالمسوح والقَيْد ، حتى ظفرتَ بأنواع الصَّيْد ، وتقلَّدتَ بالقرون والعِظام حتى تقلّدت الذبوب(١) العِظام . إنْ كنتَ في هاذا العمل، إلاّ كما قيل في المَثَل :

«صَلّى وصَامَ لأَمْرٍ كان يأمُلُهُ
حتى حواه ، فما صَلّى ولا صاما »

« فعَرِّفْني ، أيّها الشيخُ المفتون ، والبايع المغبون ، لِمَ بِعْتَ الباقية بالفانية ، والقاصية بالدانيه ؟

إنْ فعلتَ ذلك إلاّ لعلّة ، أو لتحقيق ملّة ، إمّا أن تكون استطَبْتَ السكباج ، واستَلَنْتَ الديباج ، وإما أن نصدّق أهلَ الأحقاد ، في أنّكَ نُصَيْرِيٌّ في الاعتقاد . لا تقولُ بالنجعة ، ولا تصَدّقُ بالرجعة . وكِلاهُما أنتَ فيه مَلُوم ، ومُعاقَبٌ

(١) في هامش الأصل : خ « الأمور » .

وَمذموم . وحسبُك قد بلغني ما أنتَ عليه من قِلـة الوفا ، مع هاؤلاء الضُعَفا . فاْحسمْ عنهم أذاهم ، ولا تُمَكّنْ منهم أعداهم . والسلام » .

فلمّا وَصلت الرقعةُ اليه ، وقرَأ ما قد انطَوَتْ عليه ، ﴿ فَكّرَ وقَدّرْ ، فقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرْ ، ثم قُتِلَ كَيْفَ قَدّرْ . ثُمّ نَظَر ، ثُمّ عَبَس وبَسَر ، ثُمّ أدْبَرَ واسْتَكْبَرَ ﴾ (١) وشتم المساجدَ وبانيها ، ولَعَن المشاهد وقانيها ، وقَلَبَ الرقعةَ وكَتَبَ فيها :

وَصلَتْ رقعتُك ، أصلحك الله ، كأنّها ضربةُ مَوْتور ، أو نفثةُ مصدور ، تخلطُ فيها الهزْلَ بالجدّ ، وتُبْدي غيْظَ الاسير على القِدّ . وأيْم الله ، لقد فَرَقْت بَريّا وقذفْتَ سَريّا ، وجئت شيئاً فَرِيّا . فاشْدُد من عِقالك ، وتأيّد في مَقالِك ، فما كُلُّ شخص يُذَمُّ شكلُه ، ولا كُلُّ طائرٍ يجوزُ أكلُه ، وما كُلُّ بيضةٍ شحمة ، ولا كلّ سوداء فحمة . ولو كان لكَ عقْلٌ يهديك ، لوارْيتَ أُوارَك ، ولستَرْتَ عُوارَك . أليس قد اشتهر عند الداني والقاصي ، بأنك قطبُ المعاصي ؟ حتى لقّبوك : بسوق الفسوق ، وميدان المردان ، ورِحاب القِحاب ، وحتى قال فيك الشاعر :

(١) اقتباس من سورة المدثر ، ٧٥ ، الآيات ١٨ – ٢٢ .

« تجنّبْ دمشقَ ولا تأتِها
وإن راقكَ الجامعُ الجامعُ
فسُوقُ الفسوقِ به قائم
وفَجْرُ الفجورِ به طالِعُ »

لا جَرَم أنّ الله قطعَك بالطريق ، وعاقبك بالحريق ، وعَذّبك بالنيران ، وقَرَنَكَ بِشَرّ الجيران ، وجعل المِيَضَ على أبوابك ، والزُطّ في قبلة محرابك . وجعل خطيبك أفوهَ دايصا ، وإمامَكَ أعمى ناقصا . فلو أنّك البيتُ المعمور لهُجرتَ ، أو بيْتُ مَكّة لما حُجِبْتَ . فتوَقّفْ عند مقدارِك ، وانظر في ايرادِك وإصدارِك . والسلام . »

فلما وقَف الجامعُ على رقعته ، ورأى ما فيها من رقاعته ، قام وقَعَد ، وأبْرَقَ وأرعد ، وقال : اكتب يا غلام :

« باسم الملك العلاّم

مِنَ العاتبِ الواجد ، إلى الملِك الزاهد .

قال الحائطُ للوَتِد : لِمَ تشقّني ؟

قال : سَلْ مَنْ يَدُقّني .

أمّا بعدُ ، أيّها الملكُ العادِل ، أدام الله أيامك ، ونَشَرَ في

الخافقَيْن أعلامك . فقد طاوَلْتَ بعدِلكَ القَمَرَيْن ، وسِرْتَ سيرةَ العُمَرَيْن، فإنّ الله شَرّف بُنْيَتي وحَرّمها ، وطَهّر بُقْعَتي وكَرّمها .

طالما زوحمتُ بالمناكب لمّا كنتُ هيكلاً للكواكب .

وكمْ أمسيتُ مِشكاةً للأنوار وبيْتاً لِعَبَدَةِ النار .

ثم انتقَلْتُ الى اليهود بَعْد انقِراضِ مِلّةِ هود ، فتأنسْتُ بالزبور ، وبالأنبياءِ في القبور .

ثم جاءتْ دولةُ الصلبان ، فقرّبتُ بالقربان ، ومعاشرةالرهبان.

ثم جاء الإسلامُ ، فتشرّفتُ بدين سيّدنا محمّد عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام .

فأنا المعظّم في كل زمان ، والمقدّم في كلّ قِران .

وكيفَ يَسَعُكَ ، أيّدك الله ، التغافلَ عن حالي ، والتحسينَ لنهب أموالي ، ويَدُك مبذولة في البلاد ، ومتحكمة في رقاب العباد ؟ وأيُّ شيءٍ يكونُ جوابك يوم النشور ﴿ إذَا بُعْثِرَ ما في القُبُورِ ، وحُصِّلَ ما في الصُّدُورِ ﴾ [1] . وقد أوقَفْتُكَ موقفَ الذليل بيْن يَدَيْ الملكِ الجليل ، وأقولُ لكَ : أيْ ربِّ ! سَلْ هاذا لِمَ أهمَلَني ، وسلّمني لِمَنْ أكلني ؟ فلا تردّ

(١) اقتباس من سورة العاديات ، ١٠٠ ، الآية ٨ ، ٩ .

جواباً ، ولا تحيرُ خطابا ، ولا آخذُ منك ضميناً ولا كفيلاً ، ولا أقبلُ عنك شفيعاً ولا وكيلاً . فتقول : ﴿ يا لَيْتَني اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسولِ سَبيلا . يا وَيْلَتَا ، لَيْتَني لَمْ أتَّخِذْ فلاناً خَليلاً . لَقَدْ أَضلّني عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءني ، وَكانَ الشَّيْطانُ للإنسَانِ خَذُولا ﴾[١] .

فَقَدِّم ، أيها الملك ، لنَفْسِكَ ما تجدْه غداً في رَمْسِك. وخُذْ هاذه التذكرة بالحساب ، قبل يوم الحِساب ، تبرأْ من التباعة ، وتدخلْ في أهْلِ الشفاعة .

والسلام على مَنْ عَمَرَ مساجدَ الاسلام ، ورحمة الله وبركاته ».

فلما وقف نور الدين على كتابه ، وتجرّع أليم عتابه ، التفتَ إلى المساجد ، فرثىٰ لهم ، وسَدّد أحوالهم ، وأسَرّها يوسف في نفسه ، ولم يُبْدِها لهم .

ثم نظر الىٰ ابن عصرون فأنزله واعتزله ، وحجبه عن بابه واختزله ، وألقاه في سجن الصدود ، وخلّده فيه الى يوم الخلود ، وقرأ عليه :﴿ ألا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعُدَتْ ثَمُود ﴾[٢] والسلام» .

* * *

(١) اقتباس من سورة الفرقان ، ٢٥ ، الآيات ٢٦ ـ ٢٨ .
(٢) اقتباس من سورة هود ، ١١ ، الآية ٩٥ .

ملحق

عن الأماكن المذكورة في نصّ الرقعة

حسب ورودها

جامع جلّق : هو المسجد الأموي . أنظر عنه :
ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، المجلدة الثانية (تحقيقنا) ص ٥ وما بعدها (دمشق ١٩٥٤ م) .
المنجد ، خطط دمشق ، ص ٥٥ (بيروت ، ١٩٤٩ م) .
مجهول ، ذكر ما استقرّ عليه الجامع إلى سنة ٧٣٠ هـ . (تحقيقنا) ، دمشق ، ١٩٤٨ م .
النعيمي ، الدارس (تحقيق الأمير جعفر الحسني) ٢/٣٧١ .
بدران ، منادمة الأطلال ، ص ٣٥٧ (نشرت بدمشق سنة ١٣٧٩ هـ على نفقة الشيخ عليّ بن عبد الله آل ثاني . وهي طبعة سيئة جداً) .

جامع النيرب : النيرب قرب الربوة ، معروف . وهما نيربان . أنظر عنهما : ابن طولون : القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية . (تحقيق الأستاذ دهمان) . وجامع النيرب وُصف بأنه كان حسناً تُقام فيه الجمعة . ثم خرب ، في آخر العهد المملوكي ، وأخذت آلاته إلى عمارة تكية السلطان سليمان ، سنة ٩٦٥ هـ . أنظر : النعيمي ، الدارس ٢/٤٣٨ – ٤٣٩ .
وذكر ابن عساكر مسجدين في النيرب . سمّى الأول : مسجد في النيرب الأسفل . والثاني : مسجد النيرب من مساجد القرى (تاريخ دمشق ، المجلدة الثانية ص ٨٩ – ٩٠) .

جامع المـزّة : المزّة قرية قرب دمشق معروفة . وكانت تسمى مزة كلب لنزول قبائل كلب بها . أنظر : المنجد ، منازل القبائل العربية حول دمشق . في مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد الثلاثون . الجزء الأول ؛ وياقوت ، معجم البلدان ؛ وصفي زكريا ، الريف السوري ٢/١٥٦ ؛ محمد كرد علي ، غوطة دمشق .

ليس عندنا نصوص عن جامع المزّة الذي عناه الوهراني . وتوجد نصوص عن جامع المزّة الذي عمره الصفيّ بن شكر سنة ٦٢٢ هـ . (الدارس ، ٤٣٢/٢) وجامع المرجاني بضواحي المزّة (الدارس ٤٤٢/٢) .

الغوطـة : غوطة دمشق . معروفة . أنظر كتاب غوطة دمشق .

البقاع : هي البقاع العزيزي . في لبنان اليوم . معروفة .

حوران : معروفة ، جنوب دمشق .

مشهد بَرْزَة : بَرْزة قرية من غوطـة دمشق . معروفة . أنظر : غوطة دمشق . ومشهد برزة هو الذي زعموا أنه مقـام ابراهيم الخليل . أنظر : العدوي ، الزيارات بدمشق ، ص ١٦ (تحقيقنا) .

مسجـد أرزة : أرْزة قرية كانت في محلة الشهداء ، على طريق الصـالحية . دثرت منذ زمن بعيد . لم يبق من آثارها إلاّ قبور الشهداء . أنظر : العدوي ، الزيارات ص ١٥ ؛ ودهمان مقدمة القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، ص ١٨ ؛ وعلق في ص ٢٤٧ بقوله : « ومن كلام العوام : مابين برزة وأرزة أربعون ألف نبي » وفي قصيدة مصطفى البكري التوسلية ، ورد :

يارب بالذات العليّة وبسرّ أسرار الهويّة

. . . .

بالشـام ثم ببرزةٍ مع أرزة والصالحيّة

مقـام ابراهيم = مشهد برزة .

مغـارة الدم : بجبل قاسيون . أنظر العدوي ، الزيارات ، ص ٥ ؛ والربعي ، فضائل دمشق (تحقيقنا) ص ٦٢ ــ ٦٧ .

مسجد الكهف : هو كهف جبريل . بجبل قاسيون . أنظر الزيارات ص ٦ .

قبر شيث : في قرية نبي شيث تبعد نحو (١٥) كم شرقي زحلة (البقاع) .

قبر نوح : في قرية كرك نوح شرقي زحلة وبجوارها (البقاع) .

قبر اليـاس : في قرية قب لياس جنوب غربي شتورة (البقاع) .

جيرون : أنظر عنها ابن طولون ، قرّة العيون (تحقيقنا) ، وكتابنا خطط دمشق .

صلاح الدين المنجد

العربيـــة

وشقيقتها السريانية الوفية

إنها اللغتان العريقتان اللتان تفرعتا عن الدوحة السامية الكبرى لكي تظل الواحدة في معزل عن الأخرى دهراً طويلا ، ثم تصب الواحدة إلى الأخرى فتلتقيان لتعيشا متعانقتين متآزرتين متقارضتين .

لقد دخلت أمهما في خبر كان منذ العصور السحيقة في القدم ، وعبثاً حاول الباحثون الوقوف على آثارها رغم تقريرهم أن كثيراً من عناصرها لا يزال محفوظاً فيهما وفي شقيقتيهما العبرية والحبشية اللتين تشكلان معهما حلقات لسلسلة واحدة متماسكة .

نستنتج مما ورد في سفر التكوين أن المشرق أي بلاد العراق اليوم ، هو الوطن الأول للدوحة السامية . قال الكتاب : وكانت الأرض كلها لغة واحدة وكلاماً واحداً . وكان أنهم لما رحلوا من « المشرق » وجدوا بقعة في شنعار فأقاموا هناك . . هناك بلبل الله لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة بعض ، وبددهم وشتتهم على كل وجه الأرض ... ولذلك سميت بابل (تكوين ١١ : ١ — ٩) . من هنا رأى بعض أعلام الفكر وفي طليعتهم المستشرق الإيطالي الكبير أغناطيوس غويدي ، أن الجزء الأسفل من نهر الفرات هو المهد الأول للساميين ومن هنا كذلك قول العلامة ابن العبري في ترجمة ناحور جد ابراهيم ، أن كتب الكلدانيين وعلومهم نقلت في عهده إلى مصر .

ان اللغة السريانية الآرامية تنسب الى آرام - أي بمد الهمزة والراء على الإطلاق - كما ترد في الكتاب العزيز ، لا إلى إرم كما ارتأى الأب أنسطاس الكرملي ، أو راما أي العالي السريانية كما ذهب بعض ذوي الاجتهاد . وآرام هو الابن الخامس لسام بن نوح كما ذكر سفر التكوين (١٠ : ٢٢) . من هنا كانت اللغة السامية الآرامية أكبر سنّا من شقيقتها العربية التي تنسب إلى اللفظة السريانية ܥܪܒܐ (عَرَبا) أي الصحراء لا إلى لفظة ܥܪܒ (عرب) أي غرّب السريانية أيضا كما ذهب بعض الباحثين .

بيد أن اللغة العربية أقرب من السريانية الحالية إلى اللغة الأم وأكثر منها شبهاً بهـــا ، إذ بذتها باحتفاظها بكثير من العناصر اللغوية الأصلية المتحدرة اليها منها . والسبب في ذلك كما قرره الباحثون يعود إلى ان العربية عقيب انفصالها عن الأم انزوت دهراً طويلاً في بقعة نائية عن العالم المعروف يومذاك مما ساعدها على التشبث بالأصول القديمـــة ، حتى إذا حان وقت انتشارها العظيم مع الفتوحات الإسلامية في القرن السابع للميلاد ، استطاعت ان تحتفظ بتلك العناصر الأصلية . أما السريانية الآرامية فقد تأثرت فور تفرعها عن دوحتها ، بألسنة شتى العناصر التي اصطدمت بهـــا في طريق انتشارها الهائل . فبعد أن كانت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد لغـــة قبائل رُحَّل تتنقل في الصحراء الواقعة غربي الفرات ، كقول المستشرق الفرنسي جان شابو ، إذا بها تضحي اللغة الرسمية لشعوب الشرق الأوسط قاطبةً من فارس شرقاً إلى سورية غرباً ، ومن آشور شمالاً إلى فلسطين ومصر جنوباً . من هنا تطورها بل تباعدها عن أمها السامية الأصلية ، هذا مع العلم أن ما ورد منها في التوراة وفي حِكَم أحيقار وزير سنحريب ملك اشور (٧٠٥ - ٦٨١ ق . م) يطابق كل المطابقة لحالتها اليوم .

وإلى القارىء الكريم بعض العناصر اللغوية التي فقدتها :

١ ـ تبتدىء الكلمة في السريانية الحالية بالإسكان نحو ܠܡܐ ܫܒܩܬܢܝ lma chbaktan أي لِمَ تركتني . وذلك ليس من خصائص اللغة السامية الأم التي كانت الكلمة فيها تبتدىء بحركة على الإطلاق كما هي الحال في العربية وفي السريانية القديمة . ويتضح ذلك من لهجتها الفلسطينية نحو ܠܡܐ ܫܒܩܬܢܝ Iama chabaktani

٢ ـ تسكّن السريانية الحالية نون الوقاية الفاصلة بين الفعل والضمير المتصل للمفرد المتكلم نحو ܫܒܩܬܢܝ chbaktan بينما كانت اللغة السامية الأم تكسرها تماماً كالعربية نحو ܫܒܩܬܢܝ chabaktani كما مر بك في اللهجة السريانية الفلسطينية . وكذلك تسكّن كاف المخاطب والمخاطبة رغم إضافة ياء المخاطبة نحو ܩܛܠܟ ܩܛܠܟܝ katlak, katlek بينما في اللغة الأم لم تكن بالإسكان بل بكسرها كالعربية ، كما تدل الياء المتصلة بكاف المخاطبة . وتسكّن أيضاً في أمر المخاطبة ما قبل الياء نحو ܩܘܡܝ koum بينما كان مكسوراً في اللغة الأم كالعربية كما تدل لهجتها الفلسطينية نحو ܛܠܝܬܐ ܩܘܡܝ Talitha koumi .

٣ ـ ان السريانية الحالية تسكّن أول المضارع في الأجوف نحو ܢܩܘܡ nkoum بخلاف ما كانت عليه اللغة الأم كما هو اليوم في العربية .

وقد ظلت خصائص السريانية هذه متغلبة حتى اليوم في سورية ولبنان على اللهجة العربية العامية التي حلت محلها .

٤ ـ إن حرف المضارعة للمفرد المذكر الغائب في السريانية الحالية هو نون نحو ܢܟܬܘܒ nektoub وفي هذا يتساوى والجمع المتكلم . بينما كان هذا الحرف في اللغة الأم ياء كما في العربية نحو ܝܥܩܘܒ yakoub من ܥܩܒ ekab عقب و ܝܘܣܦ yawsef من ܐܣܦ eisef ازداد ، وعلى

هذه القاعدة تمثت اللهجة السريانية الفلسطينية ولهجة معلولا اليوم كقولهم ܢܐܩܘܠ yakoul بدلاً من ܝܐܩܘܠ nekoul .

وقد توطدت علاقات وثيقة العرى ما بين اللغتين الشقيقتين ، تُقرض الواحدة الأخرى وتستقرض منها كما يتضح من الأمور التالية :

١ ـ لقد تأثر نحو اللغة العربية بالنحو السرياني . ذلك أن أبا الأسود الدؤلي المتوفى سنة ٦٩ هـ استعان في وضع نحوه ببعض علماء اللغة السريانية في الكوفة ، ثم اقتبس النقاط السريانية التي تتميز بها الكلمات ، فالحركات التي كان قد استنبطها قبيل ذلك العلامة مار يعقوب الرهاوي (١) .

٢ ـ في القرن الأول قبل الإسلام اقتبست العربية من الخط السرياني الاسطرنجيلي ، أبجديتها ، وخطها الذي عرف بالكوفي . فاستعمل بعدئذ لكتابة القرآن الكريم شأن الاسطرنجيلي عند السريان (٢) .

٣ ـ لقد تشابهت في كلتا اللغتين مئات من الألفاظ معنى ولفظاً . وهي إما مما توارثناه عن اللغة الأكدية أو مما استقرضته كل منهما من الأخرى . ومما لاشك فيه أن السريانية نقلت إليها كثيراً من فرائد الأدب العربي ولا سيما بواسطة العلامة ابن العبري في القرن الثالث عشر . أما العربية فقد استقرضت من السريانية عن طريق الترجمات التي قام بها علماء السريان ، بضع مئات من ألفاظهـا ، أفعالاً وأسماءً ، ولا سيما المعاني الاصطلاحية والعبارات العلمية والدينية ، بعد أن صقلتها بما يلائم قواعدها ، فجرت على يراع الكتّاب الثقات ، ودخلت المعاجم العربية . وقد سبق سلفنا

(١) الأدب العربي للأستاذ الزيات ص ١٤١ والآداب السامية تأليف محمد عطية الابراشي ص ٢٠٠ .

(٢) الآداب السامية الأبراشي ص ١٩٦ ـ ١٩٧ وتاريخ التمدن الإسلامي للبحاثة جرجي زيدان ج ٣ ص ٥٤ ، واللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك أفرام الأول برصوم ص ٢٦ طبعة أولى .

الطيب الذكر البطريرك أفرام الأول برصوم أن أبرز عدداً وافراً منها على صفحات هذه المجلة الغراء . وإذا كانت قد نُسيت من السريانية ألفاظ بمتق الزمان كما نوه اللغوي الكبير أنطون الفصيح التكريتي في القرن التاسع[١] ، فان العربية حفظت كثيراً من تلك الألفاظ الضائعة كما أثبت العلامة اللغوي مار سويريوس يعقوب البرطلي في القرن الثاني عشر[٢] . وقد كشفنا نحن أيضاً القناع عن وجه بعض هذه الألفاظ والمصطلحات في دراستنا للفيلسوف الكندي منها : إيسْ ، ليسْ ، هُويّة ، قُنية ، مائية ، إنيّة والكمّات .

واليك جدولاً ببعض الألفاظ المتشابهة :

ܐܓܝܪܐ	agira	اجير[٣]	ܥܝܢܐ	aina	عين	ܟܬܒ	ktab	كتب
ܐܓܘܪܐ	agoura	آجر	ܒܝܫܐ	baicha	بائس	ܩܪܒ	kreb	قرب
ܐܓܢܐ	aggana	اجانة	ܐܣܝܪܐ	asira	أسير	ܚܟܡ	hakkem	حكم
ܐܕܢܐ	edna	اذن	ܕܡܥ	dammaa	دمّع			
ܐܝܕܐ	eada	يد	ܕܫ	dach	داس			
ܒܙ	baz	بزّ	ܬܪܥܐ	taraa	ترعة ، باب			
ܨܒܥܐ	ssebaa	اصبع	ܦܬܚ	ftah	فتح			

انا لن نحاول هنا أن نحاكي بعض من سبقنا الى بحث هذا الموضوع ، بل نبحثه بطريقة مبتكرة ، تاركين الحكم للقارىء الكريم أن يقول كلمته في اللغة التي اقتبست هذه الألفاظ من الأخرى . ولكننا في الوقت

(١) كتاب معرفة الفصاحة المقالة الأولى الفصل السادس والعشرون .
(٢) كتاب المسائل والأجوبة المقالة الرابعة المسألة الثانية عشرة .
(٣) لقد راعينا في الفرنجي الفتحة بحسب اللهجة الشرقية حفاظاً على تركيب اللفظة .

نفسه نؤكد جازمين في أن العربية اقتبست من السريانية الألفاظ التالية ܓܕܫ gaddech كدّس ܓܙܐ gazza كنز ܓܫܫ ghass كحص أي مر في الأرض لا يُرى ܓܠܐ gella كلأ ܓܢܛ gnat كنظ ، غمه الأمر ܓܢܫ gnass كنّص ، رفع أنفه استهزاء ܓܦ gaf كفّ ܓܦܐ gefa كهف ܓܘܦܪܐ goufra كَفَرّى ، وعاء طلع النخل ܬܓܪܝܬ tegrit تكريت ، المدينة المعروفة . ان هذه الألفاظ كما تبدو ، تبتدىء بالكاف ، ولكننا عند مقارنتنا اياها بالسريانية تأكد لدينا انها دخلت العربية كما هي في السريانية أي بالكاف الفارسية التي تلفظ كالجيم المصرية ، ومع تمادي الزمان انقلبت الى الكاف العربية كما هي اليوم .

على أن هنالك ألفاظاً أخرى انقلبت فيها الجيم السريانية إلى قاف كما هي العادة عند بعض العرب منها ܓܠܨ glass قلّص ܓܪܣܐ gerssa قرصة ܓܫܛ gchat قشط . كما انقلبت القاف السريانية في بعض الألفاظ إلى جيم نحو ܒܠܩ blak بلج أو انبلج و ܕܩܠܬ Deklat دجلة .

للسريانية الحالية لهجتان فقط تعرفان بالشرقية والغربية ، اذ اندثرت اللهجة الفلسطينية التي تظهر بعض عناصرها في لغة معلولا . ومن ميزات اللهجة الشرقية لفظها حرف الفاء كحرف (P) الفرنجي ، والألفاظ العربية التالية تدل دلالة واضحة على انها اقتُبست من السريانية عن طريق اللهجة الشرقية . وحيث ان الحرف (P) لا أثر له في الأبجدية العربية فقد انقلب فيها إلى حرف باء : ܐܦܐ apaa ضبع ܥܦܪܐ apra غبراء ܝܫܦܐ yachpa يشب ، حجر كريم ܣܪܦ srap شرب .

ومن ميزات اللهجة الشرقية أيضاً استعمالها الشدة كما في العربية ولها وزن فعّل . أما اللهجة الغربية فلها وزن فاعل . وتمتاز عن الشرقية بحركة الزقاف التي تلفظ كحرف (O) الفرنجي . وقد جمعت العربية هاتين اللهجتين مقتبسةً من كلتيهما ، مثال ذلك كلمة ܥܦܪܐ afra فاللهجة الشرقية تلفظ فاءها كالحرف (P) بعكس الغربية . أما العربية فقالت في اللهجة الأولى غبراء وفي الثانية عفر وعفّر .

وفضلاً عن تشابه كثير من الألفاظ معنى ولفظاً في اللغتين كما أسلفنا فان هنالك كثيراً غيرها يتبدل فيها حرف الشين غالباً سيناً في العربية وبالعكس نحو ܫܡܫܐ chemcha شمس ܪܝܫܐ richa راس ܢܦܫܐ nafcha نفس ܠܒܘܫܐ lboucha لباس ܫܗܪܐ chahra سهر ܣܗܪܐ sahra شهر (قمري) ܣܗܕܐ sahda شاهد أو شهيد ܣܒܥ sbaa شبع . وهنالك أيضاً ألفاظ تنقلب فيها العين غالباً غيناً أو ضادا وأحياناً همزة نحو : ܥܪܒ erab غرب ܥܒܐ aaba غابة ܨܒܥ ssbaa صبغ ܥܢܐ ani غنّى ܒܥܬ baet بغت ܡܥܪܬܐ maarta مغارة . ܐܪܥܐ araa ارض ܪܥܐ raa رضّ ܒܝܥܬܐ beita بيضة ܪܚܥ rhaa رحض . ܓܥܪ gaar جار . وهنالك ألفاظ تتبدل فيها الجيم (الجيم المصرية) غالباً جيماً عربية وأحيانا غينا نحو : ܓܡܠܐ gamla جمل ܒܘܪܓܐ bourga برج ܡܓܕܠܐ magedla مجدل ܪܓܠܐ regla رجل ܓܡܘܫܐ gamoucha جاموس ܓܫܡ gachem جسم ܓܘܫܡܐ gouchma جسم ܓܙ gas غزا ܓܫܡ gcham غشم ܓܫܐ gcha غشي ܓܪܦ graf غرف ܓܡܨ gmass غمض .

أما حرف الطاء فهو أحياناً كثيرة ظاء في العربية نحو ܛܒܝܐ tabia ظبي ܩܝܛܐ kaita قيــظ ܛܦܪܐ tefra ظفر ܛܠܡ tlam ظلم ܓܢܛ gnat كنظ . وأما حرف الحاء فهو غالباً خاء في العربية وأحياناً همزة نحو : ܚܡܪܐ hamra خمر ܚܠܐ hala خل ܚܠܬܐ halta خالة ܚܡܫܐ hamcha خمسة ܦܫܚ fchah فسخ ܐܚܕ eihad اخذ ܚܪܬܐ harta آخرة ܐܚܪ eihar اخـّر ܪܚܦ rhaf رأف .

وهنالك ألفاظ كثيرة تغير تركيبها كقولنا ܓܚܫ gchah سحج ܥܡ am مع ܣܒܪ sabbar بشّر ܨܥܩܬܐ skaata صاعقة ܟܘܦܐ couva كوفة (المدينة) .

فلا بد والحالة هذه لمن يريد التعمق في أصول اللغة العربية من اتقان السريانية ، فضلاً عن أن هنالك ألفاظاً كثيرة دخلت المصنفات العربية ولا يمكن التوصل الى معناها الصحيح إلا بمعرفة السريانية ومنهـــا : « زقفونا » ܙܩܦܘܢ zakfoun أي صلبونا الواردة في رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ، و « اللصوت » ܠܣܛܝܐ lestayé أي اللصوص الواردة في عهد عمر بن الخطاب لأهل إيلياء ، و « النيران » ܢܗܝܪܐ nahiré أي الشموع أو المصابيح الواردة في كتاب أهل دمشق لأبي عبيدة ، و « فاروق » ܦܪܘܩܐ farouka اللقب الذي أطلقه السريان على عمر بن الخطاب ومعناه مخلص ، و « يقلسون » ܡܩܠܣܝܢ mkalsin و « المقلسون » ܡܩܠܣܢܐ mkalsané أي يمدحون والمادحون الواردتان في تاريخ البلاذري ، و « الحيرة » ܚܝܪܬܐ hirta أي القصر ، و « المرة » ܡܥܪܬܐ maarta

أي المغارة ، و « الكرخ » ܟܪܟܐ karka أي المدينة المدورة ، و « تدمر » ܬܕܡܘܪ tedmour أي أعجوبة ، و « الكوفة » ܟܘܒܐ couva أي الشوكة وعاقولا ، و « تكريت » ܬܓܪܝܬ Tegrit أي التجارة ، و « مكة » ܡܟܐ makka أي الأرض المنخفضة والمنبسطة ، وما اليها من أسماء عشرات من المدن والقرى في سورية ولبنان وفلسطين والعراق . أجل ، إن من أتقن السريانية أدرك سبب استعمال القرآن الكريم الألفاظ حيوة ، وصلوة وزكوة بالواو لا بالألف ، ولفظة صرط بدون ألف ، وذلك كما هي في السريانية ܚܝܘܬܐ hayouta ܨܠܘܬܐ slouta ܙܟܘܬܐ zakouta ܨܪܛܐ serta ؛ بل أدرك المعنى الصحيح لكثير من الألفاظ السريانية المقتبسة في اللغة العربية العامية في سورية ولبنان ومنها شوب ܫܘܒܐ chawba وزبون ܙܒܘܢܐ zabouna .

قداسة مار أغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس

أمين الريحاني

وأثر القرآن الكريم في شعره المنثور

تفتّحت براعم أذهاننا يومَ كنّا ناشئين نتلمّس طريقنا إلى الحيــاة والنور ، ونتمسّح عراةً بالحرف الوضيء الطهور ، ونستسقي قطرة من حنان الندى ، ونلتمس دفقة من ضياء الهدى ، ونعلّل الآذان بصوت بشير عميق الصدى ، بعيد المدى ، ونلوب ونلوب ونلوب ولا نجعة ولا منتدى ، حتى إذا أعيانا الأمر شرقنا بريقنــا خائبين ، فلا نأمة ولا ومضة ولا وشَل ينقع الصدا . .

نعم ، تفتّحت براعمنا يوم كنّا ناشئين نطارد الحرف الرقراق البجيل ، مطاردة الحرمان للدينــار المتجهّم البخيل ، على أذان فجرٍ فكريٍّ عربي أصيل ، جديدٍ رفّاف حفيل . مجوّدِ الترتيل . وكأنّ عليه مسحةً من التنزيل ، ووضاءة الحرف الريّان النبيل . . .

هذا الصوت الذي دوى من وراء البحار ، على غير استحياء واستكبار ، قوياً ندياً ذهبي الأوتار ، وكأنه هزيم الرعد في آذار ، وعزيف الزفزاف في الإعصار ، وأغاريد الربيع النشوان في أيّار ، والحُلم المكوكب الزهّار ، وما أحلاه انساني النجعة ، حضاري الشرعة عربي الهوى والشعار ، وما أشباه مصلصلاً مجلجلاً وكأنه البركان الثائر الهدّار ، يحطم الأصنام بعداد من نار ، ويدكّ عرش الجمود بقذائف الأفكار . بلى ، وكأنه نفحات النسيم المعطار ، تطلقها أنفاس الأسحار ، في نشيدٍ مفتون للحرّية والأحرار . .

هذا الصوت هو صوت أمين الريحاني عملاق الفكر العربي في المهجر ، ورسول الحرف المتحرر الأزهر ، وخطيب الثورة الأنور ، وصقر العروبة في وطنيه الأصغر والأكبر ، وصخرة العقيدة القومية بنضاله المتسامي مظهراً في مخبر ، وعطائه الدفّاق الكوثر ، وحصانة قرابينه من كل مكسب أو متجر .

هذا الصوت الذي هزّ الملايين من الناطقين بالإنكليزية والضاد ، هو صوت أمين الريحاني ، ولله درّه كم زرع من بذور المعاني ، وشيّد للفصحى من المباني ، وكم عالج الأسقام طوراً بالمباضع وتارة بالأغاني ، وكم شحذ للعزائم من سيف يماني ، وكم أتحف التراث العربي بنفائس الجاني .

* * *

قرأنا الحرية والتحرر على أمين الريحاني يوم كنّا ، ولا تسل كيف كنّا ، نتغنّى خانعين بسلاسل الطغاة العابثين ، ونركع مترلّفين للأصنام المستبدّين الماكرين ، ونلثم خاشعين متسكّعين أيدي المتعجرفين الجلاّدين ونتهافت متسابقين على حرق البخور لأبناء الأفاعي ، من اقطـاعيين سود وحمر وبيض يسوقنا كالمطايا بالصوالجة والتيجان ، وسياط الإرهاب والعدوان وأرجوان المكر والروغان ، فنطأطيء الرؤوس ونمضي غير مأجورين ، والنصر للسلطان ، والبسمة الماكرة للثعلبان .

وتعلّمنا الصدق والجرأة من أمين الريحاني ، يوم كان الأدب العربي موميا. مكحولة الأجفان ، مطرّزة الأكفان ، تتهادى على نعشها رنّات القوافي والأوزان ، وتنهال على شفتيها وخدّيها قبلات لا حرارة فيها ولا حنان ، ويتمسّح بلمسها قلم رنّان وحرف ظمآن .

هذا أدبنا المحنّط الجامد التقليدي في عصر الانحطاط ، حيث ينساب الغزل ولا رعشة ولا حب ولا افتتان ، وحيث تسحّ الدموع ، ولا أشواق ولا تنهدات ولا أحزان ، وحيث يضطرم الصدر ولا قلب ولهان ، ولا صدّ

وهجران ، وحيث تجلجل الألفاظ الجامدة ، ويصمت الحسّ والوجدان ، فإذا هناك لسان ثرثار ، وأدب مهذار ، وفم مكثّار ، وقلب متقطّع الأوتار .

عندما عمد جمال باشا السفّاح إلى سياسة التجويع في لبنان وسورية في غضون الحرب العالمية الأولى ، وذاعت أخبار هذه المأساة القومية في المهاجر الأميركية ، رأى أمين الريحاني أن يحث أغنياءنا على التبرع لمن لا يملكون ثمن الرغيف فجاعوا وتألّموا وهاموا على وجوههم وقد انسدّت أمامهم أبواب الحياة . نعم رأى أمين الريحاني أن يصف للأغنياء المتخمين آلام الجوع وأحوال الجائع في مقال ينشره في مجلة الفنون النيويوركية التي خصصت عدداً ممتازاً لهذه المأساة ، وقد كان يصدرها الشاعر المبدع نسيب عريضة (الحمصي) .

ولكن أيعلم القراء ماذا صنع الريحاني قبل أن يكتب مقاله في الجوع ؟ إنه فرض على نفسه الجوع ، فتجوّع وصام عن الطعام عمداً ، حتى إذا سغب واشتدت به الشهوة إلى الطعام ، أخذ يطوف بين المطاعم فيرتادها ، ويقف هنيهة أمام المطابخ وقد انتشرت ريح الشواء والطبيخ فيتشمّمها ويتلهّف ويتحسّر ويتصبّب جسمه عرقاً ، ثم يعود وقد أخذ منه الطوى ، ليتحسّس ألم الجائع وانفعالاته النفسية ، ولما أدرك غايته بعد هذه التجربة الطوعية القاسية التي استمرت بضعة أيّام ، وكتب مقاله الفريد في الجوع وهذا هو الصدق في الأدب والحياة .

وبهذا الصدق الصادق الجريء ، العنيف أحياناً ، امتاز أمين الريحاني في كل ما كتبه ، فما جامل ولا تجمّل ، ولا تكلّف ولا تعمّل ، ولا تلوّن ولا تصنّع أو توسّل ، ولا جاوز قط إلى غير مايحسّه ويشعر به ويؤمن به ، بل كان واحداً في مظهره ومخبره ، وسرّه وجهره .

* * *

ودرسنا الكثير من أبجدية القومية العربية على أمين الريحاني ، ولعلنا لا نغالي إذا قلنا بأنه رائدها الفكري ومنظمها العملي . لم تكن أبجديّته مجرّد أشعار حماسية ومقالات وطنية ، بل خاض معركتها البيضاء البنّاءة ونذر لها دماغه وقلبه وحياته وسقى قلمه بدمه ، وأشرق بثقافته واخلاصه وتضحيته الصوفية ، ولم يكن تطوافه في بلاد العرب بين البدو والصحاري على ظهور النياق ، سوى مغامرة فذّة محفوفة بالأخطار والمهالك ، ولكنه لم يعبأ بالمتاعب والمشقات ، وأبى الاّ أن يحقق حلمه العربي الأكبر ، فإذا الحلم يتوثب وينفتح عن أوراد وأزهار ، وإذا السديم يجمد ويصلب وينقلب إلى حقول خصبة تشتاق الحراث والبذور ، وإذا الضباب يهطل غيثاً وفيضاً ويتفجّر فراتاً سلسبيلا . .

وكان الريحاني في ماكتبه ونشره حول البلاد العربية وملوكها وأمرائها ومشايخها وقضاياها وأوضاعها ، ذلك الرائد الأمين الصادق ، وذلك المؤمن الواثق ، وذلك الأريحي العاشق .

نعم ، كان الريحاني المسيحي المعتزّ بالعرب وصوفيّة الإسلام ، وهو ابن الجبل وأميركة لا السهل ولا البادية ، أوّل من فتح الجزيرة العربية المستغلقة بعد الانهيار العثماني ، وأوّل من راد البلدان العربية في المشرق والمغرب ، مستطلعاً مستقصياً ، دارساً متحرّياً ، واعظاً مصلحاً مداوياً ، وأول من ركب المجاهل والبوادي مستهدفاً للأخطار وشظف العيش وشراسة الصحراء مضحّياً بكل ثمين ونفيس ، ممتطياً كل شموس وضروس ، باحثاً منقّباً ، حاسراً بنظراته العميقة النقّادة ، عن وجوه الملوك والأمراء والشيوخ ، وعن قلوبهم وسرائرهم تلك الأقنعة الأسطورية التي حجبتهم عن العيون ، وحجبت العالم عن هذه العيون . .

وليست مؤلفاته كتب سياحية وجغرافية وانطباعات وارتسامات في رحلات ، وإنما هي خطوات عملية في بناء القومية العربيّة التي كانت حلماً ذهبياً يرتمش بين الشفاه المحمومة الهامسة الهاجسة ، وفكرة مترنحة بكماء ، أُسُسها من زبد البحر ، وجدرانها من خيوط العنكبوت .

وكان الريحاني أوّل من عُني بالكشف عن كنوز الفكر العربي في العالم الجديد ، فاختار ناسك المعرة وفيلسوفها أبا العلاء ، وعكف على لزومياته ، وصاغها بلغة انكليزية متينة السبك ناصعة الديباجة مذيّلة بالحواشي الايضاحيّة ، ومتى علمنا أن لزوميات المعري يعسر فهمها على قراء العربية ، أدركنا عظمة العمل الأدبي الذي تطوّع له الريحاني ، وكان نجاحه الباهر في هذه الترجمة في طليعة أسباب شهرته بين الناطقين بالإنكليزية ، ولا شك ان غيرته على الفكر العربي هي التي دفعته إلى ترجمة اللزوميات متحدياً بها رباعيات الخيام التي نالت رواجاً عظيما .

* * *

وأخذنا القوّة والمضاء والانطلاق يوم كنا ناشئين عن أمين الريحاني ، كان مفكراً عميقاً عقلانياً بعيد المدى ، واسع الثقافة والمعارف ، حازماً عزوماً ، صريحاً جريئاً . وكأننا بعقله النيّر ، كان يفيء إلى قلبه الخيّر ، وهو مرهف حسّاس يفيض حباً وسماحة ، ويتدفّق نبلا وصباحة ، ولكن الدموع المتميّعة لم تجد سبيلها إلى أدبه ، ولا امتزجت بمداده ، فما بكى ولا تباكى ، وما شكى ولا تشاكى ، ولا بلّل القراء بوابل عبراته ، ولا ألهب قلوبهم بزفرات شجونه ونشيج تأوّهاته .

بلى ، ثار على الأدب الباكي المريض الذي يتناغم فيه صرير الأقلام بنشيج الصدور ، في كبوات عاطفية تستأثر بأحلام المراهقين ، فإذا هم في خبال العقد النفسية يعمهون ..

وكان سيفاً في مضائه لا يحجم ولا يتردّد ولا يجمجم أمام فكرة اصلاحية جريئة أو رأي غريب شديد يري فيه الخير أو نصيحة مرّة قاسية يسديها إلى بني قومه ، ولا يخشى الأعاصير تهبّ عليه أمام اصلاح قومي اجتماعي يدعو إليه ، بل يمضي في سبيله حاملا تبعته الثقيلة ، مؤدّياً ما تفرضه عليه رسالته الأدبية الإصلاحية بنبالة وإخلاص غير مرتقب شكرانا ، وغير مغازل ديناراً رنّاناً ونيشانا .

ولقد أحسن ظنه بالانتداب الفرنسي في بادىء الأمر ، متأثراً بأدب الثورة الفرنسية من نحو ، وبالوعود (الصادقة ؟) المقطوعة للعرب من نحو آخر ، ولكنه لم يلبث بعد عودته إلى لبنان في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وقد رأى ما رأى ، وسمع ما سمع ، ولمس ما لمس ، حتى أصلى الانتداب الفرنسي ناراً حامية ، ووقف على المنابر في بيروت ، مندّداً بحفداء الثورة الفرنسية ، مطالباً بالحرية والاستقلال ، حتى إذا أعيا أمره السلطة الفرنسية المنتدبة حكمت بنفيه من لبنان ، فغادره إلى العراق حيث قوبل بالترحاب وآيات الإعجاب .

وآية أمين الريحاني وهو العملاق المعطاء في خدمته للقضايا العربية قولاً وعملاً ، أنه لم يمنّ ولا تبجّح ولا تمدّح ، ولا لقي الغرور إلى نفسه سبيلا بعد ما شهد من حفلات الحب والإكرام ، ومظاهر الإجلال والاحترام ، أفي المغرب الأقصى والجزيرة العربية أم في العراق وسفوح الأهرام والشام ، ما لم ينله رجال عظام ، لا قبله ولا بعده ، ولولا أصالة في شمائله المشرقة لازدهاه الغرور وكان ذلك الزهزاه ، المختال التيّاه ، والعياذ بالله . .

* * *

والانطلاق توأم المضاء ، وكلاهما وليد أمّ واحدة هي القوّة .

بهذين الجناحين طار النسر وحلّق في الآفاق ، حتى إذا هوى مثخناً بالجراح ، نثر علينا من تراثه الفكري أنفس الأعلاق .

فلقد كان مولده بشرى بزوغ فجر جـــديد ، في الأدب العربي ، والانطلاق العربي ، والنبل العربي . ولبنان الفتّان حمل الى العالم هذه البشرى السخيّة التي تردّد صداها في العالمين القديم والجديد .

وسيعيش ضيوفاً على ذكرى الريحاني الكبير طائفة من الملوك والأمراء ، والمشايخ والوزراء .

أمّا كرْمه الخصيب ، كرْمه الجواد المطار المدرار ، حيث العناقيد الجنيّة الشهيّة وحيث الدنان والنغم النشوان ، والحرف الريّان ، وحيث الظلّ والانس والضيافة وحُسن الوفادة ، أمّا هذا الكرْم فهو يرحب دائماً كل رائد وزائر وضيف وطالب زاد ومعرفة .

☆ ☆ ☆

هذه خطوط عريضة سطحية من صوَر لأمين الريحاني الكاتب المجدّد والمفكّر والقومي والاصلاحي والمؤرخ الرحّالة والشاعر ، رسمتها قصيرة سريعة من باب إيجاز الموجز تمهيداً للموضوع الرئيسي وهو « أمين الريحاني وأثر القرآن الكريم في شعره المنثور » ، ولا يخفى على أحد براعة الريحاني في هذا الفن وإجادته في هذا المضمار حتى قال فيه بعض النقّاد إنه أمير الشعر المنثور بالعربية .

والمقصود بالشعر المنثور ، ذلك القريض الحر الطليق من الأوزان والقوافي ، وقد وصفه الريحـاني نفسه في مجموعته « هتاف الأودية » بأنه « آخر ما اتصل إليه الارتقـاء الشعري عند الافرنج وبالأخص عند الانكليز والأميركيين » .

وبعد ما يحدثنا عن الشاعر الأميركاني ولت ويتمان مبتكر هذا الفن يقول : « أما مزايا شعر ويتمن فلا تنحصر بقالبه الغريب الجديد فقط ، بل بما فيه من الفلسفة والخيال ممّا هو أغرب وأجدّ » وويتمن هـذا هو الذي أوحى إلى الأمين بالشعر المنثور ، كما قال الريحاني نفسه .

أما القالب الغريب الجديد الذي ابتدعه ويتمن ، فهو مما يستعصي نقله إلى العربية ، كما يستعصي علينا نقل الأوزان العربية إلى الفرنجية ، فتبقى إذن من مزايا شعر ويتمن الفلسفة والخيال « وهما أغرب وأجدّ من القالب » كما قال الريحاني .

وغريب أن نسمع هذا القول من الأمين ، فهل خلا الشعر العربي ، قديمه وحديثه ، من فلسفة وخيال حتى نستوردها من الخارج ؟ ولكن يبدو لنا أن الريحاني ما آثر هذا الطراز من الشعر ، على القريض الموزون المقفّى إلا لأنه أخفق في تجربته الشخصية ، ولم يلبث بعدئذٍ أن أصدر حكماً عاماً نعى فيه على الشعر العربي إذ قال : « إنني لا أزال أعجب من بعض شعرائنا كيف يتمحلون المعاني تمحّلا . إن القافية والوزن اللذين يعبدهما العرب عبادتهم المشهورة ، قيد ثقيل على الشعر . إنّهما منافيان لروحه . سرّ الشعر أن يكون طبيعياً متدفقاً من النفس ، والوزن يقول له : لاتستطيع أن تخرج إلاّ بهذا الطريق ، كما يقول الأنبوب الماء » . (الشعر العربي في المهجر الأميركي لوديع ديب) .

ولا بدّ لنا من كلمة في هـذا الموضوع ، فنحن لا ننكر أن الوزن والقافية قيد ثقيل ، ولكن الشعر لايستقيم أمره ، أي أن الكلام لاينتظم شعراً بدونهما ، ذلك بأن الجرس الموسيقي هو الذي يميّز الشعر من النثر ثم يجب علينا أن نميّز بين الشاعر المطبوع ، والمتشاعر الذي يستعصي عليه النظم المضبوط ، وهذا لا شأن له في حديثنا ، أما إذا كان الناظم مطبوعاً بملكته وسجيّته وذوقه ورهافة الأذن الموسيقية ، فليس للوزن وتوابعه أن تعاسره وتضايقه وتسدّ عليه المنافذ والأبواب ، بل تنقاد له عفواً وتفتح له الطريق مرحّبةً باشّة ، وهذا ما نلقاه في قصائد الشعراء المطبوعين قديماً وحديثاً .

أما أن نظم الشعر طبعٌ وملكة قبل أن يكون علماً وجهداً وإعناتاً ، فدليلنا أولئك الشعراء الذين أجادوا كل الإجادة ، وأبدعوا كل الإبداع دون أن يدرسوا أو يعرفوا أسماء البحور وأوزانها على الأقل ، ودليلنا أيضاً أولئك الشعراء الذين نظموا قصائدهم قبل أن ينظّم الخليل أوزان الشعر ويضبط علم العروض . فالشعر نشأ إذن قبل كتاب الخليل ، وهو إذن ليس علماً ، وإنما هو موهبة طبيعية كسائر المواهب الذهنية والروحانية والجسدية وسواها من القوى المحسوسة وغير المحسوسة ، إذا استعصى أمرها على رجل فهي لاتستعصي على آخر .

فعلى الناظم أن يكون ذا موهبة شعريّة أولاً ، وإذا لم ينجح فالذنب ذنبه لا ذنب الشعر . إنه لم يخلق بحكم طبيعته شاعراً .

هذه واحدة ، وأخرى يا ويل الشعر إذا كسرنا أوزانه وحطّمناها وأخرسنا قوافيه ، الويل له إذا طرحنا قوالبه وموسيقاه ، فسلس قياده لكل راكب ، واستكان لكل طالب . اننا سنوباً بحمى العجائب وفوضى الغرائب ، وتهافت الملكات والمواهب ، وأين منها برج بابل والنوائب ، والعياذ بالله والأدب والفن من شرّ هذه المصائب ، وما تجرّه من سوء العواقب .

* * *

ولننتقل الى الشعر المنثور أو الشعر المرسَل ، ولندرسه على ضوء زعمائه ودعاته ، فما هي ميزاته ، وما هو طابعه ومادّته ؟

ان الشعر المرسَل لا يختلف عن الشعر الموزون المقفّى إلاّ من حيث « الهندسة » أو الهيكل ، غير أننا إذا أطلقنا الشعر من قيود القوافي والأوزان ، وخلعنا عنه حلله وكسرنا قوالبه وصيغته ، وطردناه من « وطنه الأصيل وجوّه » تحتّم علينا أن نعوّض عن الأوزان والقوافي ونأخذ بشيء من الجرس الموسيقي ، وأن نكسوَه ونلبسه ثوباً جديداً ،

وأن نقطعه « وطناً جديداً » نلمح فيه الالتماعات الفنيّة والومضات الشعرية . امّا طرافة هذا الشعر فهي أنه لا يجري على قياس مطّرد أو قاعدة ثابتة أو نظام مقرّر مدروس ، بل يُترك الأمر لقوّة التوليد والإبداع في المخيّلة . ولا بأس بعد هذا أن نُلمّ ببعض الأسس التي يجب أن يرتكز عليها الشعر المرسَل حتى يتميّز عن النثر ، وحتى يكتسب جوّه الشعري ولونه وريحه .

١) الجرس الموسيقي القائم على التواؤم في اللفظة والعبارة ليستقيم التناغم والإيقاع الى حدٍّ ما . والألفاظ تشبه المعادن فبينها الكريمة وغير الكريمة والنفيسة والرخيصة ، وبينها الصامتة الخرساء ، والرنّانة المصفّقة واللمّاعة البسّامة وذات الإشعاع .

٢) الجوّ الشعري الذي ينقل القارىء من جوّ النثر العادي المألوف الى الجوّ الشعري الملوّن الفسيح حيث يتّسع مدى الخيال وخصب الخيال وصور الخيال وحقيقة الخيال . فالخيال الذي لا يستمدّ وحيه من الحقيقة ، إنما هو هذر صقيل شفّاف . .

٣) الاستعارات والمجازات والتشابيه والكنايات العميقـــة التي تولّد التعابير المجنّحة والصوَر المستحدثة والألوان البيانيّة دون أن يكون للإغراق والإغراب أشباح الغموض والإبهام أو الرمزية المغلَقة التي يغمض معناها على صاحبها نفسه لأنها تنطوي على « لا شيء » .

٤) الأسلوب الشعري الذي يقوم على الأصالة والفن والانطلاق ، كما يقوم على سلامة اللغة وفصاحة اللفظ ، ويتميّز بالعبارات المجوّدة الرشيقة والنبرات المصلصلة تارة ، والموسوسة الهامسة أخرى ، وبالإطار النغوم الذي يمتزج بالفكرة امتزاجاً منسجماً ملوّناً فلا يطغى عليها ، بل يبدو ، وكأنه فلذة منها وجارحة من جوارحها .

٥) وحدة الموضوع وروعته وجلاء الهدف ، فالسرّ لا يكمن في الصيغة الفنية الموسيقية مقدار ما يكمن في جماليّة الموضوع .

فهذه الخطوط الخمسة يصحّ أن نتّخذها أسساً أوّلية لما نسمّيه الشعر المرسَل أو المنثور ، ولكن ما أصعب ممارسة كتابة هذا الفنّ ضمن هذه الشروط ، إنها ولا شك أصعب من قيود الأوزان والقوافي ، ولذلك يندر الوقوع على الجيد الرائع المكتوب باللغة العربية على كثرة من يمارسون هذا الفن . وقد تكون خطوط ويتمن وأساليبه وقوالبه وآراؤه وفلسفته على جانب خطير من جلال الشأن في اللغة الانكليزية ، أمّا في العربية فاننا لا نستسيغ التهجين ، ولا نهضم التنغيل ، ما دمنا نملك الأصيل الأثيل ، وما دام الإبداع نفسه يفرض علينا التأصيل ، فلكل لغة أريجها ومذاقها وألوانها البيانية وأساليبها التعبيرية ، ونحن يشوقنا أن نرى البدوية بخمارها وحلاها على رأسها ، ولا يشوقنا أبداً أن نراها بقبّعة افرنجية ذات ألوان وأرياش منتصبة أو مستلقية ، هذا المظهر هو من مظاهر « الكرنفال » والمساخر . .

* * *

والصحيح أني وقفت وأطلت التفكير في حديث الريحاني عن الشعر المنثور و « ولت ويتمن » وعدت الى قصائده المرسلة لعلّني أرى فيها لوناً لهذا الشاعر الأميركاني . فكرةً وأسلوباً وتعبيراً ، فبحثت وبحثت ونقّبت ونقّبت ، ولكني أخفقت . وحمدت الله إذ خاب أملي ، لأني أضنّ بالريحاني العملاق أن يكون مقلداً في أدبه ، وهو المتفنّن المجدّد ، طابعاً على غرار شاعر أجنبي .

ثمّ حمدت الله مرة ثانية ، إذ رأيت الريحاني مقتبساً من صميم الأدب العربي في الدرجة الأولى ، منتهلاً من ينبوع سليقته وفطرته في الدرجة

الثانية ، وعندئذٍ لم أملك إلاّ أن أتساءل مستغرباً مدهوشاً : كيف أضاع هذا الجبّار نفسه في قضيّة الشعر المنثور ؟

وكيف نبحث عن الشعر المنثور في « ويتمن » وغيره ، وعندنا القرآن الكريم الذي شقّ لنا طريق الشعر المرسَل بألوانه البيانية الفتّانة ، وجوانه المتألقة ، وصوَره المرصعة بلاغةً ومجازاً وكنايةً ، وتعابيره المبتكرة المجنّحة ، ومعانيه العميقة المعجزة ، وانطلاقاته العبقرية البعيدة ، وفصاحة ألفاظه ونضارتها وعذوبة وقعها ، أضف الى هذه كلها جرسه الموسيقي في آياته البيّنات الموصول بين تناغم وإيقاع ؟

اذا كان القرآن الكريم كتاباً دينياً يعلّمنا ثورة الحق على الباطل والنور على الظلام ، فلا جدال أيضاً في أنه أعظم فتح عبقري جديد في الأدب العربي ، وثورة رائعة على الجمود والمحاكاة أو التمثّل ، وينبوع فيّاض لمن شاء أن يبتكر ويستحدث ويستولد .

ولنأخذ بعد هذا قصيدة الريحاني الأولى التي استهلّ بها مجموعته (هتاف الأودية) وعنوانها (ريح سموم) ، لنأخذها ولنتأمّلها فكرة وأسلوباً ونغماً ، نلقَ فيها لفتة قرآنية جليّة ، أمّا الشاعر الاميركاني « ويتمن » فلا نلقى له فيها أيّ ظلّ أو أثر .

١) فقد تخيّل الريحاني في المقطع الأول – هلاك الأرض – بريح سموم – وهذه الريح تذكّرنا « بريح صرصر » أهلكت عاداً .

٢) ويستحلف الريحاني قارئه قائلاً – بربّك القيّوم – والقيّوم من أسمائه الحسنى التي وردت في القرآن الكريم .

٣) ويلتزم الريحاني السجع فيقول : بربّك القيّوم ، ما الذي تظنه يدوم . صوت سمعته في الكروم . وقد مرّت عليها ريح سموم الخ . . وهذا مقتبس من السجع القرآني .

٤) ثم يصف ما تقع عليه العيون من مظاهر العمران بين أبراج ومعامل وأنفاق وقباب وجسور وأسداد وأبنية العشرين طبقة ومعابد وقصور وصروح وبوارج وأساطيل ، ويلتفت الى الرياض والجزُر والجبال ، حتى اذا انتهى انتقل الى الشرائع والعادات والدول والحكومات والطوائف والجماعات ، فيتساءل : ما الذي تظنّه يدوم ؟

وكل ما يستعرضه الريحاني في هذا الموضوع يشبه معالم الحضارات الغابرة التي وصفها القرآن العزيز بعد ما أباد الله أصحابها : (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلّهم يتذكّرون) مثل إرم ذات العماد ، وثمود وفرعون الخ .

٥) وفي المقطع التاسع يردّ على السؤال ويقول : « لا يدوم إلاّ السجايا الروحية الفريدة ، سجايا النفس البشرية المجيدة » . وهذه الديمومة أو الخلود نراها في قوله تعالى : « وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار الخ » ، أي ان العمل الصالح هو الذي يدوم ، ومبعث العمل الصالح هو السجايا الروحية ، سجايا النفس البشرية المتسامية ، فرمزَ الريحاني الى الله تعالى بشيء من نوره أي النفس والروح ، والاشتقاق واضح .

٦) ثم لا يلبث الريحاني أن يصوّر الحشر أو القيامة أو الحاقّة أو البعث بمعانيه الواسعة فيقول : « يومئذٍ يبطل الجدال ، وتنكسر شوكة المال ، وتحشر الرجال ، وتكبر الآمال » . وفي سورة المجادلة : « لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من دون الله شيئاً » . وفي الحاقّة : « وأما من أوتيَ كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوتَ كتابية . ولم أدرِ ما حسابيه . يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عني ماليه . هلك عني سلطانيه » . وليتأمل القارىء جمال هذا الشعر المنثور الرفيع بصوره الرائعة وإيقاعه الموسيقي الساحر .

فالكتاب العزيز صوّر ندامة (الضالّين) وأسفهم وحسرتهم ، والريحاني فاتته صورة هذه الانفعالات النفسية في مواقف الهلاك واقتصر على المظاهر المادية فقال : « يومئذٍ تنكسر شوكة المال ، وتُحشر الرجال » . وهذا الوصف مأخوذ من قوله تعالى : « ما أغنى عنّي ماليه . هلك عني سلطانيه » . وفي سورة الليل : « وأمّا من بخل واستغنى . وكذّب بالحسنى . فسنيسّره للعسرى . وما يُغني عنه ماله إذا تردّى » .

أمّا عبارة الريحاني « وتكبر الآمال » ففيها نظر . إن الآمال في موقف الدينونة لا تتخذ شكلاً واحداً ، إنها تكبر حقاً في قلوب الصالحين ، ولكنها تتمحّق وتضمحلّ في قلوب الضالّين . وما أجمل ما جاء في القرآن الكريم في هذا الصدد : « يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً ليُرَوا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » .

٧) ويتابع الريحاني وصف (القيامة) أو الحشر فيقول : « يومئذٍ تنقلب المجتمعات ، وترتعد فرائص الطغاة ، وتهبّ على الأرض الذاريات السافيات » . وهذا الوصف خطّ من صورة مصغّرة لما ورد في القرآن الكريم في هذا المعنى أو هذا الموضوع ، كما أن « الطغاة والعتاة والذاريات والسافيات » ألفاظ كثر ورودها فيه ، فما أتانا الأمين بجديد ، لفظاً أو معنى أو أسلوباً .

٨) وتنتهي قصيدة الريحاني بالدعوة إلى الجدّ والعرفان والمعروف والإحسان فيقول : « يومئذ وربّ الأكوان . لا بقاء لسوى الجدّ والعرفان ، والمعروف والإحسان » . وهذه فضائل أو مكارم خلقية ونفسية وفكرية ، وهي مما دعا اليه القرآن الكريم والحديث الشريف كقوله تعالى : « وبشّر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أنّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار » . وقد استشهدنا بهذه الآية سابقاً . والإيمان بالله يعني ضمناً الإيمان بمكارم الأخلاق ونور العلم . ودعوة الريحاني المذكورة تذكّرنا أيضاً بالحديث

الشريف : « لك ما لبست فأبليت وما أكلت فأفنيت وما تصدّقت فأبقيت » ، أي لا بقاء لسوى الصدقات ـ المعروف والإحسان . ولا ينحصر جمال هذا الحديث في الدعوة الى الخير فقط ، بل يتعدّاها أيضاً الى الروعة البيانية في الإيجاز المعجز ، وإلى الجرس الموسيقي الهادىء الناعم ، والوعظ والإرشاد لا يصلح لهما سوى النغم الرقيق المعبّر ، وهذا هو الشعر المرسل العبقري .

وتذكّرنا أيضاً بالحديث النبوي المشهور : « اطلب العلم ولو بالصين » وفيه أشدّ الحث على طلب المعرفة .

٩) ألا يحقّ لنا بعد هذا أن نتساءل ونتساءل مدهوشين مشدوهين : أين هو أثر « ويتمن » الذي كان يجب أن يبرز جليّاً قويّاً ، وخصوصاً في القصيدة الأولى وهي فريدة العقد في مجموعة شعره المنثور (هتاف الأودية) ؟

أوَلا يحقّ لنا أن نجزم ، في أن الأمين استقى أوّل ما استقى من كوثر القرآن ، واستهدى أول ما استهدى بنور القرآن ، فرسخت في ذهنه صوره وألفاظه وتعابيره ، كما علقت أذنه بجرسه الموسيقي وايقاعه ، فكان له عمدةً في شعره المنثور فكرةً وأسلوباً وإطاراً ولفظاً ؟ إن الريحاني استوحى شعره المرسل من صميم القرآن ، أي من صميم الأدب العربي ، ولذلك نحار أشدّ الحيرة عندما نراه يشير الى « ويتمن » الأميركاني ويتغنى به ، ويغفل القرآن معلّمه الأوّل ، ولا ندري كيف نعلّل هذه الظاهرة الغريبة ، مع أن الريحاني عملاق في أدبه وفكره وأصالته .

* * *

أما وقد تحدّثنا عن الشعر المنثور فلنتابع جولتنا في مجموعة (هتاف الأودية) ودراستنا لأمين الريحاني في هذا الفن ، ففي القصيدة الثانية ـ رماد ونجوم ـ صورة لنفاق المجتمع ، وهي صورة ملوّنة حسّاسة

لها جرسها الموسيقي وإن خلا بعض مصاريعها من السجع ، وأجمل ما فيها هاتان الفقرتان الحكيمتان : « في الصعلوك نفس تكبر إذا انطلقت من القيود ، وفي الملك نفس تصغر إذا جرّدت من ترّهات الأبّهة والإجلال » . ثم تنتهي القصيدة بالوعظ والتأنيب والإنذار ، يقول الريحاني : « إلى مَ نميل وجهنا عن الفقراء الأذلاّء ، ونعفّره أمام الأغنياء والأمراء ؟ احذروا مَن تكرهون ومن تحبّون ، مَن تحتقرون ومن تجلّون . لعلّ علية القوم أدناهم » . وهو وعظ مطروق نثراً وشعراً وكان على الأمين أن « يلقّحه » بشيء من عبقريته ليرتفع عن المستوى العادي .

وعندما نطلّ على (الثورة) نوتع تارةً في جوّ موسيقي هادىء أنيس ، وطوراً في جو إرهابي مزمجر محموم لما يتخلّل القصيدة من ألفاظ صاخبة حامية وصوَر حمر دامية ، مثل القطوب والعصيب والرهيب والنحيب والزئير والنعيب ، والنار والسيف والأغلال والسعير والقنابل وقطع الرؤوس وحزّ الرقاب والمشنقة ولهيب الأتون والبراكين ، وويل للظالمين الخ . وقد التزم السجع في كل مقاطعها فكان الإيقاع جميلا ، وكان لفقراتها المدجّجة العنيفة النبرات ، صداها البعيد في الجوّ الشعري الثائر ، غير أن الريحاني وهو الذي يعدّ الأوزان والقوافي قيوداً تحمل الشاعر على « التعمّل » في المعاني والمباني ، اضطر في سبيل السجعة أو القافية أن يرتكب خطأ لغويّاً فاضحاً إذ قال في آخر المقطع الثاني :

. . . ونساؤها (أي الثورة) المتنمّرات
وخطباؤهـــا وخطيباتها الفصيحـــات
وزعماؤهـــا وزعيماتهـــا المتمرّدات

والصواب : وخطباؤها وخطيباتها الفصحاء ، وزعماؤهـا وزعيماتها المتمردون أي بتغليب الذكور على الإناث لا بتغليب التأنيث على التذكير ، ولا يدفع هذا التغليب قولنا إن الفصاحة صفة للخطيبات وحدهنّ وإن

التمرّد صفة أيضاً للزعيات دون الزعماء ، فالفصاحة والتمرد تغلبان على الذكور ، وخصوصاً في المواقف الثورية .

وارتكب هفوة لغويّة أخرى في سبيل التسجيع إذ قال : ألم نقصّ عليك قصص باريس ، يوم دُكّ البستيل وزفّت المحابيس ، ولا يُجمع محبوس على محابيس كما تقول العامّة ، على أنه تفشّى خطأ جمع مفعول على مفاعيل وهو انما يجمع جمعاً مؤنثاً سالماً ، وجرى على ألسنة الخطباء وأقلام الكتّاب والأدباء فقالوا : مفاهيم ومشاريع ومواضيع ومراسيم ومضامين الخ وصوابها مفهومات وموضوعات ومرسومات ومضمونات ، وأحصى علماء اللغة ست لفظات ُجمعت على مفاعيل لوقوعها صفة لازمة مثـــل مجانين ومناكيد وملاعين .

والإيحاء القرآني واضح وخصوصاً في لازمة القصيدة ، « وويل للظالمين الخ » وبعض التعابير الأخرى . فاللازمة تنطوي على الوعيد والتهديد طبقاً لما جاء في كتابه العزيز إذ ينذر الـكافرين والمفسدين بالعقاب والعذاب الأليم : « ان لدينا أنـكالاً (أغلالاً) وجحيما ، وطعاماً ذا غصّة وعذاباً أليما » ، ولنلاحظ السجع وحُسن الإيقاع . و « إنا أعددنا للـكافرين سلاسل وأغلالاً وسعيرا » ؛ و « .. والظالمين أعددنا لهم عذاباً أليما » ؛ و « .. ويل يومئذٍ للمكذّبين . . وما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفسٍ شيئاً والأمر يومئـــذٍ لله » و « ويل للمطفّفين . ويل لكل همزة لمزة » ؛ و « فويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » ، أي الزكاة والطاعة والإغاثة .

ويقول الريحاني : « ويل يومئذ للظالمين . ويل يومئذ للمفسدين . هو يوم من السنين . بل ساعة من يوم الدين . أنذرهم بأغلال وسعير .. ويوم عسير » ، والشبه واضح .

ويستعمل الريحاني التعبير القرآني في الحث على الاعتبار بالآخرين فيقول : ألم نقص عليهم .. ألم يأتهم .. ألم يروا .. الخ

وقد اقتصر الريحاني في قصيدته هذه (الثورة) على تصوير أربع ثورات تاريخية وهي مصرع يوليوس قيصر ، وسقوط البستيل أو الثورة الفرنسية ، وثورة كرومويل على شارل الأول الانكليزي ، والحرب الأهلية لتحرير الزنوج العبيد ، وهي كلها ثورات سياسية إصلاحية محلية وبالتالي ليست لها صفة عالمية أو امتداد عالمي كالثورات الروحيّة الكبرى التي هزّت شعوب الأرض وأيقظتها واتخذت منها مذاهبها وعقائدها كالمسيحية والإسلامية اللتين قادتا أمم العالم ولا تزالان تقودانها ، ولا شك أنهما أجدر بالتنويه من الثورات السياسيّة الإصلاحية ذات الطابع المحلّي ، ولولاهما ما عرف العالم معنى الثورة والتحرر والانتفاض ؛ ولكن يشفع بهذه القصيدة أنها نُظمت في عصر السلطان عبد الحميد (١٩٠٧ م) وكأنها نذير لسلطانه الأسود الأحمر . .

* * *

أمّا في قصيدته « غريبان » فقد أبدع فكرةً وأسلوباً وفناً وإيقاعاً . الريحاني عميق الإيمان بالله وجماله ومحبّته وحكمته ، ولكنه لا يأخذ بالطقوس والمراسم ، ولا يجري وراء المظاهر والتقاليد ، بل يحرص أشدّ الحرص على الجوهر واللباب والأعمال ، العمل الصالح هو الدين وهو العبادة ، أما الاقتراب الى الله بالشفاه وحدها فتقليد لا طائل وراءه .

كان الريحاني ، رحمه الله ، يزور الكنيسة مرّة واحدة في السنة ، وذلك يوم الجمعة العظيم حين يحتفلون بذكرى آلام المسيح وجنّازه ، وقد أوحى له هذا الاحتفال الديني الكنسي بقصيدته الجميلة (غريبان) . ولنسمع الآن هذا المقطع أو هذا المشهد الرائع لجنّاز المسيح في الكنيسة ،

كما تخيّله وكما ترجمه ، ولا حرج علينا لأن الدراسة تقتضي أحياناً خوض ما لا يُستحسن الخوض فيه قال الأمين :

« ها قد مشى في الجنازة المدمدمون . وهم في الكنيسة يطوفون . هو ذا الصليب ، وقد تصاعد وراءه النحيب ، وأمامه البخور والطيب ، وصل الموكب إليّ . فما جثوتُ على ركبتيّ . سرّحت في الناس نظري فرأيتهم ساجدين . ورأيت بقربة مني رجلاً واحداً من الواقفين . رأيت في وجه هذا الغريب . ما خالج قلبي الكئيب . فصرخت ساكتاً : إلهي إنّا غريبان ههنا . أسمعت خدّامك ينعبون . ألتمثالك الناس يسجدون ، وهم عنك بعيدون . نفحة من جنانك . كلمة لإخوانك » .

أمّا الغريبان اللذان عناهما الشاعر في قصيدته فهما المسيح والريحاني نفسه ، وغفر الله للأمين ، وتغمّده بالرفق واللين ، وأثاب إيمانه العربي في يوم الدين .

* * *

ورثى الريحاني ابن اخته فؤاداً بقصيدة وارفة الظلال ، شجيّة الخيال ، خاشعة الألوان ، متجاوبة الألحان ، عبقرية الأشجان ، سمعنا فيها الشاعر النظّام الى جانب الشاعر الناثر ، قال الأول :

بهـــاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يماد
ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد

وهناك أبيات أخرى مطلعها :

فجبنا نجوم الحياة عراةً وفينا الخجول وفينا الخليع

ولا ندري هل نظم هذه الأبيات — على ركاكتها — منساقاً بسليقة شعريّة أم أنه تحامل على نفسه ، فجذبه الوزن والقافية الى حيث لا يشاء . نعم أصاب العروض وأرضى الخليل ، ولكنه لم يُصب البيان وجمال الأداء

والتمثيل . فالشاعر خُيِّل اليه أن بهاء جمال الميت المرثي حوّل تراب القبر الى جمال ، وهنا العجب ! كما أن نور عينيه انحجب في ظلمة القبر ولكن هذه الظلمة غلبت على النور وأصبح النور شديد السواد ! وهذا يعني أن « بهاء الجمال » استطاع أن يصنع أعجوبته في التراب ولم يفقد عنصره وخصائصه ، ولكن نور العينين عجز عن الإتيان بمثل هذه المعجزة ، فاستحال الى سواد شديد !

وقد يكون في قوله : « عجبت لنور شديد السواد » مجاز عميق أو رمز وفكرة باطنية ولكنه لم يمهّد له بما يهيىء الذهن لاستيعاب هذا المجاز وهذه الفكرة . ثم إن الشاعر جارى العامّة في استعمال « خجول » بدلاً من خَجِل بالفتح فالكسر .

ولقد صدق الريحاني إذ قال إنه « يعجب من بعض شعرائنا يتعملون المعاني تعمّلاً بسبب الوزن والقافية اللذين يقيّدان الشعر » ، ولا شك أن حكمه هذا ناتج عن تجربة شخصيّة كما قلنا سابقاً . وقد انتهت هذه التجربة بالإخفاق فحكم على الوزن والقافية بأنهما قيد يشلّ حركة الشاعر . ولكن تجربته الشخصية الخائبة لا تصلح حكماً على الكل ، فالصحيح أن الريحاني وإن يكن شاعراً بروحه وذوقه ، لا يملك الموهبة الشعرية المتدفقة التي تصوغ الأوزان والقوافي بطواعية الشمع بين أصابع رجل صناع اليدين . ولا شكّ أنّ ملكته الاستقصائية الدراسيّة ، وعقلانيّته في معالجة الموضوعات ، واعتماده في تفكيره على الحقائق المجرّدة ، وأسلوبه في سبك الجدّ في قالب السخرية ، وهذه في قالب الجدّ ، ونزعته الثوريّة الإصلاحيّة بين هدم وبناء . لا شكّ أن هذه كلها ملكت عليه أمره ، حتى إذا طارد الشعر الموزون المقفّى ، أفلت منه وطار . . ثم إن في الشعر شيئاً من الوحي .

نعود إلى مرثاته لابن شقيقته فؤاد ، فالقارىء يقع فيها على تفجّع وأي تفجّع ، وعلى أسى وأي أسى ، وعلى وجد وأيّ وجد ، ولكن

القارىء لا يغرق بالدموع ، ولا تصطك أذناه بالزفرات والآهات والنشيج . في هذه القصيدة نلقى قلباً حسّاساً يحزّ فيه الألم ، قلباً مثخناً بالجراح ، ولكنه قلب شجاع حكيم لا يبكي ولا يستبكي ولا يتهافت هلعاً وجزعاً ويغمى عليه ثم يشدّ القاريء باغماءته ، بل كأن الألم يشقّ لهـذا القلب آفاقاً جديدة تتكشّف عن خيال وحقيقة ، وأشباح وأحلام ، ورؤى وفلسفة ، فإذا الحزن والألم تجربة وقوّة وانتفاضة وانطلاقة روحانية بعيدة المدى ، فلا عبرات وتشنّجات وشقّ جيوب ولطم خدود وانهيار في الجسم وخؤور في الروح ، وهو المنهج الذي نهجه شعراؤنا الأقدمون والمحدثون في الرثاء ، وما أعظم المعري إذ قال :

« غير مجدٍ في ملتي واعتقادي   نوح باكٍ ولا ترنّم شادي »

لولا إفراطه في السلبية .

ورثى الريحاني في مجموعته « هتاف الأودية » صديقه ورفيقه جبران خليل جبران بقصيدة منثورة لمت فيها جروح قلبه شعراً وبياناً وخيالاً وفلسفة ، ولكن لم نلمح في مرثاته دمعة . ولقد سمعنا فيها الترنيم والترتيل ، ولكننا لم نسمع النحيب والعويل . وهنا يبرز طابع الريحـــاني النفساني وشخصانيته وسر قوّته في تفكيره وصوَره وأهدافه .

☆ ☆ ☆

ولأدب الطبيعة في شعر الريحاني المنثور طابع جليّ بارز ؛ إنه ذلك الهائم المشغوف الذي انسبكت روحه وقلبه وذهنه وعينه وكل قواه في الطبيعة ، هذه « الأم الأزلية الأبدية » التي يفيض صدرها حناناً وعطاء ، ورواءً وثراء ، وأملا وعزاء وحباً وإيحاء ، وصلاحاً وصفاء ، وتعاوناً واخاء ، وصوراً أخـّاذة تلتمع فيها الإنسانية الزهراء ، والـكلمة العذراء ، كلمة الله باسط الأرض والسماء ، وخالق الجماد والأحياء .

أخبرنا السيد ألبرت الريحاني أن شقيقه الأمين لم ينقطع قط عن الهبوط إلى وادي الفريكة، يتردّد اليه في كل الفصول، وما كانت الأمطار والثلوج في الشتاء لتصدّه عن زيارة الوادي والاستمتاع بخرير المياه وهدير الشلالات وهطول الأمطار التي هي سيل مرّة وبحيرة أخرى، وكان للعواصف والرياح وقعها الطروب في أذنه ونفسه، كما كان يقف خاشعاً أمام شجرةٍ اقتلعها السيل الجارف أو أخرى سلخت عنها العاصفة بعض أغصانها، حتى إذا أعيا عاد إلى المنزل تقطر ثيابه ماء، وتفيض البهجة في صدره، وبعد أن يستبدل ثيابه ويشرب الشاي ينصرف إلى غرفته ليترجم كل ما رأى في ذلك الوادي.

ونحن لا نستغرب بعد هذا أن يبني الريحاني الكبير معبده في أحضان وادي الفريكة حيث تجلّى له « الإيمان والدين والله » كما يقول. وهذا يعني ان حب الطبيعة كان أصيلاً كل الأصالة في أدب الريحاني، وليس كما زعم بعضهم أنه تأثّر بالأدب الغربي واقتبس منه في شعره المنثور وسائر ما كتبه. والصحيح أن شعراء المهجر عموماً من الكبار إلى الصغار، شمالاً وجنوباً، برعوا كل البراعة في أدب الطبيعة مدفوعين إلى الإجادة بذلك الحنين المشبوب إلى الوطن النائي، إلى سورية ولبنان، عروس الجمال الطبيعي في العالم.

ويشوقنا بعد هذا أن نلقي نظرة خاطفة على قصيدته المنثورة « معبدي في الوادي » وقد ترجم فيها ما ارتسم في عقله وقلبه من آثار وادي الفريكة، وكان طبيعياً ان يلتزم التسجيع كعادته في معظم شعره المنثور مدفوعاً بالتناغم وحسن الإيقاع، فانساقت له القوافي إلاّ في فقرتين حيث يقول: « وقفت على ضريح الشتاء ليلاً. فشاهدت هناك مشهداً جليلاً »، وياء (الليل) ساكنة تتقدمها فتحة أمّا ياء (الجليل) فليّنة ممدودة.

وأيضاً حيث يقول: « شاهدت ربّة الوادي تقبّل جبين أبيها.

فينوّر الأقحوان تحت شفتيها » ، وياء (أبيها) ممدودة لينة ، أما ياء (شفتيها) فساكنة تتقدمها فتحة .

ولنسمع هذا المقطع الجميل الذي ترجم فيه شيئاً من صور الوادي : « إن في قلبي اليوم شيئاً مما في قلب جاري . وفي قلب الغاب أثراً من آثاري . إن قلبي في عقل هذا القرويّ ، وعقله في قلبي الخفيّ . فما يراه في الأرض من نور العالمين ، أراه في أكام الورد وبراعم الياسمين . إن في ورقة التوت ، سراً لا يكشفه اللاهوت » . ولورقة التوت كما يعلم الجميع ميزة على كل أوراق الأشجار ، فهي غذاء دودة القز دون سائر النباتات ، ودودة القز ترمز إلى الموت والبعث ، فبعدما تنسج كفنها الحريري بلعابها وتستقر في ضريحها الصغير وكأنها ماتت إلى الأبد ، لا تلبث أن تستحيل إلى فراشة تمزّق الكفن وتخرج من مدفنها حاملةً بيوض الحياة إلى مئات من دود القز .

ثم ينطلق الريحاني ، وكأنه كشف عن السرّ العميق الدفين : « هناك بين أشجار البطم والزمزريق وتحت أدواح الصنوبر والسنديان ، هناك في بيتي ، في بيت الطبيعة ، في بيت الله ، هناك محراب الإنشاد والتغريد ، لا منصّة التحذير والوعيد ، أبني لك أيتها النفس هيكلاً من الإيمان . أقيم فيه تمثالاً للوداد والإخاء . وأدعو اليه كل بشر تحت السماء » . ولا يسعنا إلا أن نقف أمام لفظة (تمثال) لنتدبر وقعها في النفس ، بعدما ارتفعت النفس إلى المحل الأرفع . إن هيكل الإيمان يضمّ أسمى ما في الكائنات ، يضم عجائب الله ، ومحبة الله ونور الله ، فأيّ شأن لهذا (التمثال) الذي يهبط بنا إلى الوثنية المادية في حب الطبيعة وعبادة الله ؟

ويختم الريحاني قصيدته بهذا المقطع وقد تغنّى فيه بالشوك ، وبابتسامة الشوك ، وبشعاع ابتسامة الشوك ، ذلك بأن الريحاني المتحرر لم يستطع إلا أن يجاري العقيدة المسيحية القائلة بصلب السيد المسيح واستشهاده على

الصليب ، وعلى رأسه إكليل من شوك كما جاء في الأناجيل ، قال الريحاني : « إن الأريج المنتشر في هذه الأدغال ، هو البخور الذي يحرقه الربيع على مذبح الحياة والإيمان . بين هذه الأدغال الندية وتحت شعاع ابتسامة الأشواك ، يلذ لي التأمل في من مات ليحيي الحب والوداعة في الناس ، بين هذه الأشواك يحملني الخيال ، إلى حيث وضع الإكليل على رأس الشهداء » . والريحاني في هذا المقطع صرف نظره عن الصليب ، وله من القداسة ما له في العقيدة المسيحية ، وتراءى له جمال يسوع في إكليل الشوك الذي ضفره رؤساء اليهود ووضعوه على رأسه قبل الصلب استهزاءً به وازدراءً ، فلقي الريحاني في الشوك شيئاً من وداعة يسوع ، وابتسامة يسوع ، وشعاع يسوع ، ولعله أول من رفع الشوك إلى هذه المرتبة القدسية بعد ما صار إكليلاً ليسوع ، على حين أن الكنيسة المسيحية لم تُعنَ قط بهذا الإكليل الشوكي الدامي .

☆ ☆ ☆

وتبرز لنا مذاهب الريحاني الدينية في قصيدته « إلى الله » حيث نرى قبساً صوفياً إسلامياً يواكبه قبس علمي . أمّا القبس الصوفي فيذكرنا بمحيي الدين بن عربي في أبياته المشهورة التي يختمها بقوله :

أدين بدين الحبّ أنّى توجّهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

وهي حالة من الإشراق الروحي المتسامي تتجلّى فيه وحدة الحقيقة الدينية في الحب المطلق ، ولكن الريحاني الذي انساق بقلبه وحدسه وحسّه الباطني فكان صوفياً في نظرته الدينية ، لا يلبث أن ينساق بعقله العلمي المفكّر مدمجاً في الدين خطوطاً علمية ، ولنسمع قوله مخاطباً « الله » في القصيدة المذكورة : « فلقد توضّح لي حرف ساكن من اسمك في (الفيدا) (كتاب الهندوس) ، وحرف في الزندآفستا (كتاب زردشت) ، وحرف

في الإنجيل ، وحرف في القرآن . أجل ــ وفي كتاب الجمعية العلمية الملكية (البريطانية) وسجلات جمعية المباحث النفسية » .

أمّا ان الريحاني يؤمن بالله إيماناً كلياً ، فهذا أمر لا شك فيه مطلقاً ، ولكنه ينظر إلى الله جل جلاله من وراء أديان إلهيّة وأديان غير إلهيّة ، ومن وراء المباحث العلمية والنفسية ، أي انه يجب حذف الشيء الكثير من الكتب الدينية لترتبط بالمباحث العلمية والنفسية ارتباطاً وثيقاً يؤلف ديناً جديداً ، وهذه بدعة البدع ، بل هذا هو الهدم عينه ، دون أن يكون لنا من وراء هذا الهدم ما نبني وما ننشيء ، مع أن الريحاني في كل مطالبه الإصلاحية كان يهدم ويبني الأفضل والأصلح والأكمل .

ولكن هـذه الأحرف التي توضّحت للأمين في أربعة كتب دينية ، ولا ندري لماذا أهمل الموسوية وهي إحدى الديانات السماوية الثلاث ، نقول هذه الأحرف التي توضحت له أيضاً في كتابين علميين ، هي في نظره أحرف ساكنة تحتاج إلى حركات لدِنة وهمزات وصل ، حتى يستطيع البشر أن يحسنوا النطق باسم الله .. ، ولنتأمل هذه الانطلاقة التائهة في الفضاء اللانهائي : « كل أمة من الأمم أدركت حرفاً من هذا الطلسم العظيم . لكن الحركات وهمزات الوصل لا بدّ أن يأتي بها علماء المستقبل لتحيي جموداً في أحرف الكتب المقدسة الساكنة . وتبعث فيها سلالة الماء والهواء ، وتزيل اللكنة من لسان هذا البشري الطفل ومن قلبه » .

فالريحاني مقتنع إذن كل الاقتناع بأن علماء المستقبل هم المعوّل عليهم في تدريب شعوب العالم على النطق باسم الله كاملاً ، ولكن متى كان للعقـل المحدود أن يكشف عن غير المحدود ، ومتى كان النطق باسم الله يفتقر إلى معامل ومخابر ومعادن وغازات وصواريخ ومراصد وتراكيب كيماويّة وآلات الكترونيّة وسواها ؟

* * *

ويضيق بنا المجال عن متابعة النظر في القصائد الأخرى ونقدها ، وهي لا تقل شأناً عن شقيقاتها ، فنكتفي بهذا القدر لنرسم ما يأتي :

(١) ان الريحاني استقى أوّل ما استقى في شعره المنثور من القرآن الكريم ، فالفقرات المجوّدة المجمّلة ، المصلصلة النبرات ، الجديدة الاستعارات ، البارعة الكنايات ، إنما هي في قوالبها وأساليبها من صور القرآن الكريم .

(٢) تمكّز الريحاني على تعابير وألفاظ قرآنيـــة ظهرت جليّة في منظوماته الرئيسيّة كما ومضت الصوفية الإسلامية في تفكيره وخياله الباطني ، واستقى أشياء من نشيد الأناشيد وسفر الجامعة لسليمان الحكيم والمزامير لداود ، وسفر أيوب الصدّيق ، وقد اشتهرت هذه الأسفار المدوّنة في التوراة ، بفقراتها الشعريّة النثريّة العاطلة من السجع ، وفيها فلسفة وخيـــال وصوفية عميقة .

(٣) جاء في مقدمة (هتاف الأودية) أن الريحاني هو أول مَن عني بالشعر المنثور في الأدب العربي ، والصحيح أنه جدّد وردّد ، فالشعر المنثور المطلق ، عرفناه مترجماً إلى العربية في أسفار التوراة المذكورة آنفاً ، وعرفنا الشعر المنثور الساجع في القرآن الكريم ، وعرفناه أيضاً في أطواق الذهب للزمخشري ، كما عرفناه في مواعظ قس بن ساعدة وسواه في العصر الجاهلي ، واستساغ أدباء الأندلس هذا الفن فألّفوا فيه ، وكانت مجلة (الفنون) النيويوركية التي هي صحيفة الرابطة القلمية في الشمال قد نشرت نماذج من الشعر الأندلسي المرسل .

(٤) نلقى في شعر الريحاني خصب الفكرة وقوتها وانطلاقها ، ولكن « الفكرة » كثيراً ما يتضاءل نورها أو يخبو لسوء الأداء وجمود الصيغة الفنيّة ، هذا مع اعترافنا بأن الريحاني كاتب عربي بليغ متين العبارة متصرف في ضروب الإنشاء ، وقد اشتهر أسلوبه الإنشائي بطلاوته وسلاسته وتدفق الحيويّة في معانيه .

ومصيبة الريحاني في الشعر المنثور نفسه أنه تقيّد بالجرس الموسيقي والتسجيع والفقرات المحدودة الألفاظ، المحصاة الأنفاس، فكان شبه متعمّل متكلف، إذ دفع نفسه إلى غير سجيّتها وسليقتها، فكان في شعره ينحت من صخر، وفي نثره المرسل يغرف من بحر، ويقطف من زهر، ويستطرف من فجر.

(٥) لا يعتمد الريحاني في شعره المنثور على حواسّه الخارجية فقط، بل يتخطّاها إلى الفطرة والحسّ الباطني والحدس والإشراق الروحي أحياناً وجماله أنه صهر في ثقافته العربية ثقافات متعددة المصادر.

(٦) ان الفلك الذي يدور فيه هتاف الأودية، هو البعث الفكري والروحي والثورة على الجمود والجهل. وقد عالج فيه قضايا المجتمع العربي من الناحية السياسيّة القوميّة، ولكنه ما تطرّق إلى التيارات الاجتماعية الاشتراكية التي كانت شائعة في عصره، ولعله معذور إذ أخذ بالتكوين السياسي الاستقلالي أولاً أي بأبجديّة النشوء.

(٧) لا يدين الريحاني بمذهب معيّن من المذاهب الدينية المشهورة، فقد نشأ مسيحياً مارونياً بحكم ولادته، ولكن عندما بلغ أشدّه ونضج تفكيره أخذ من كل دين بنصيب أو بالقدر الذي صبا اليه قلبه وفكره. وقد دشّن حياته الأدبيه بقذيفة رماها في أحضان رجال الدين (المسيحي) قالوا وقتئذ إنه مهّد بها للشهرة في دنيا العرب، ولكن قذيفته كانت «بيضاء» لم تجرح أحداً، ولا كسرت زجاجاً..

(٨) آية الريحاني المثلى أنه هجر وطنه في الثانية عشرة من عمره وفي صدره الخوف ممّن يتكلّم لغتهم والبغض لمن في عروقه شيء من دمهم، والبغض والخوف هما توأما الجهل، كما قال في مقدمة كتابه «ملوك العرب» ثم يتابع فيقول: «جمعني الله سبحانه وتعالى بأبي العلاء المعري بعد أن

هداني بواسطة الفيلسوف الانكليزي (كارايل) إلى الرسول العربي . قرأت اللزوميات معجباً بها ، ثم قرأتها مترنحاً ورحت أفاخر بأني من الأمة التي نبغ فيها هذا الشاعر الحرّ الجسور الحكيم » . وبعد ما وصف زيارته للأندلس يمضي ويقول : « فوقفت في (الحمراء) ، وسمعت أصواتاً تناديني باسم القومية ومن أجل الوطن ، وتدعوني إلى مهبط الوحي والنبوءة » . ثم أتاح له القدر الزهّار أن يزور الجزيرة العربية ويرتادها من أقصاها إلى أقصاها ، ويحادث ملوكها وأمراءها وشيوخها ، ويطلع على العالم العربي بكتابه النفيس « ملوك العرب » الذي كان باكورة رحلاته العربية . ووجه الغرابة أن يهتدي عربي إلى الرسول العربي عن طريق مؤلف أجنبي ، وهذا ما أصاب الريحاني العملاق .

ولكنّ ابن خاله الشاعر الياس طعمة وهو الذي تكنّى بعدئذٍ باسم أبي الفضل الوليد بن عبد الله بن طعمة إمعاناً في العروبة ، كان أحسن حظاً إذ اهتدى إلى الرسول العربي بنور الحرف العربي ، فمدحه بقصائد رنّانة نشرها في البرازيل حيث كان يصدر جريدته (الحمراء) متغنياً بالعرب ومجد العرب ، كما نشر سواها في الوطن بعد عودته .

(٩) ولنا أن نتساءل بعد هذا ، ما هو الأثر الذي تركه « ويتمن » الأميركاني في ذهن الريحاني ونفسه ؟ أكونه أول من أطلق الشعر الانكليزي من قيود العروض مجاراةً لشكسبير في اطلاق الشعر الانكليزي من قيود القافية ؟ قد يكون هذا صحيحاً من ناحية الأدب الإنكليزي ، أما من ناحية الأدب العربي فلا . ذلك بأن القرآن الكريم هو الذي أطلق الشعر العربي وأرسله من قيوده ، مع الحفاظ على الجرس الموسيقي تناغماً وايقاعاً وسجعاً مطرداً .

☆ ☆ ☆

وبعد فإن الصوت الذي أيقظنا وأهاب بنا ، وأثارنا واهتاجنا ونكاد نقول مهّد لنا وقادنا يوم كنا ناشئين نتلمس طريقنا إلى النور والحياة ، لم يكن صوت الريحاني في « هتاف الأودية » وإنما كان صوته في مجموعة مقالاته الريحانيات ، والتطرف والإصلاح ، والقوميّات ، ومجموعة كتب الرحلات العربية مثل ملوك العرب وتاريخ نجد الحديث ، وقلب العراق وقلب لبنان ، والمغرب الأقصى ، وفيصل الأول . فهنا سمعناه وطربنا له واستقمناه ، وهنا رأيناه ، عملاقاً عبقرياً ، وعربياً مؤمناً وفياً ، ومفكراً جريئاً نهيّا ، وحرفاً حرّاً أبيّا ، وأديباً بارعاً ألمعيا ، هنا رأينا النسر يشق عنان السماء ، ويرتاد الفضاء ، ويناجي النجمة الزهراء ، ويعود مثقلاً بالعطاء ، والديمة الهطلاء ، والكلمة الظليلة الهدباء .

أمّا في « هتاف الأودية » فما أشبهه بنسر مربوط الساق ، ينشد الانطلاق ، وارتياد الآفاق ، حتى إذا بسط جناحيه وتحفّز للسباق ، شدّه الوثاق ، وأعجزه الإخفاق ، عن اللحاق ..

واعجب بعد هذا للعملاق ، يضيع نفسه في عَتَمة المحاق ..

نظير زيتون

ابن هشام أنحى من سيبويه

١ — تمهيد

في طليعة العلماء العرب الأفذاذ الذين منحوا تراثنا النحوي خلوده يجيء اسم عبد الله بن يوسف الأنصاري المصري المعروف بـ (ابن هشام) صاحب الكتاب الفريد في بابه (مغني اللبيب) . ولهذا الكتاب في العالم العربي اليوم شهرة كبيرة ، فهو يُدرَّس في أكثر الجامعات العربية لمزايا ينفرد بها من كتب النحو الجامعة الأخرى ، وبه وبمثله من مصنفات ابن هشام النحوية فاز المؤلف بإعجاب علاّمة عصره ابن خلدون ودفعه إلى أن يعلن في (مقدمته) العبقرية دون تحفّظ : « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالمٌ بالعربية يقال له ابن هشام ، أنحى من سيبويه ! » وسنحاول في هذا البحث أن نعرّف بهذا العالم النحوي الكبير ومصنفاته وكتابه الجامع (المغني) وخصائصه .

٢ — العصر

عاش ابن هشام في القرن الثامن الهجري (٧٠٨ – ٧٦١ هـ) في مصر ، وقد كانت يومذاك تحت حكم المماليك الذين انتزعوا السلطة من أيدي سادتهم الأيوبيين منذ منتصف القرن الماضي (سنة ٦٤٨ هـ) ، وكانت القاهرة قد بدأت تنهض بالدور الحضاري الكبير الذي كانت بغداد مسرحاً له قبل نكبتها بالغزو المغولي ، واستيلاء هولاكو عليها (سنة ٦٥٦ هـ) ، وقضائه على خلافة العباسيين فيها ، وتدميره مكتباتها العامرة ، وإعماله

السيف في أهلها ، وبينهم صفوة من كبار العلماء وأعلام الأدب . وكذلك تحوّل مركز الإشعاع الحضاري الإسلامي إلى القاهرة ، بانتقـال ذوي المواهب إليها ، فتعددت فيها المدارس ، ونشطت حركة التأليف في مختلف العلوم والفنون . وكان لتشجيع السلاطين المماليك للعلماء وتقريبهم إياهم وحرصهم على نشر العلم وازدهار التأليف أثرٌ ملحوظ ، وأصبحت القاهرة تستقبل وفود المهاجرين إليها من علماء المسلمين ، من الشرق والغرب : فهم يفرون من جور المغول في الشرق كما يفرون من بطش الاسبان المتغلبين على الأندلس في الغرب ، وهم جميعاً يلقون في مصر - وفي سورية التي كانت يومذاك تابعة لها - مُقاماً آمناً وعيشاً مستقراً يعين على التأليف والإنتاج ، وإن تكن الكثرة من مؤلفات هذا العصر - شأن غيره من عصور الانحطاط والظلام - قد ماتت فيها روح الابتكار وانعدمت الأصالة ، فهي جمع وتصنيف واجترار وتقليد يابس لا أثر للاجتهاد فيه !

٣ — الرجل

في هذا العصر ، وفي مدينة القاهرة ولد ابن هشام سنة ٧٠٨ هـ ونشأ فيها ، ودرس على كثير من شيوخها ، فلزم الشيخ شهاب الدين عبد اللطيف ابن المرحّل ، وقرأ على ابن السرّاج ، وحضر دروس الشيخ تاج الدين التبريزي والشيخ تاج الدين الفاكهاني ، وحدّث عن ابن جماعة بالشاطبية ، ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، وقد أتيح له أن يلقى النحويّ الأندلسي المشهور أبا حيان أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي أثناء رحلته إلى مصر ، وسمع منه ديوان زهير بن أبي سلمى ، ولكنه لم يلازمه ولم يقرأ عليه ، وكان شديد المخالفة له ، كثير الانحراف عنه ، على الرغم من أنه تولى شرح بعض كتبه : (اللمحة البدرية لأبي حيان ، وشرحه الكواكب الدرية لابن هشام ، وقد ذكره السيوطي) .

وهكذا نجد أن ثقافة ابن هشام جامعة للنحو واللغة والأدب والفقه والحديث ، وقد كان ابن هشام على همة طيبة في الجد والطلب والتحصيل والصبر على الدرس ، وهو القائل :

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله   ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

وقد ظفر ابن هشام بنيل درجة رفيعة من العلوم التي حصّلها ، وأتيح له أن يتقن العربية اتقاناً كاملاً ، حتى فاق الأقران ، بل الشيوخ – كما يقول بحق ٍ ابن حجر – وتصدّر من بعد للتدريس ، فأخذ عنه جماعة من أهل مصر وغيرهم ، ويشهد بعض تلامذته أنه كان مدرساً محبباً لدروسه طلاوة ، كما نستخلص ذلك من مرثية ابن الصاحب بدر الدين له بعد وفاته :

فما لدروس ٍ غبتَ عنها طلاوة   ولا لزمان ٍ لستَ فيه جمالُ

ويصوّر لنا ابن حجر مدى ثقافة ابن هشام وما امتاز به صاحبها من ذلاقة لسان وطلاقة تعبير إلى الأخلاق المتواضعة الفاضلة التي كان يتحلى بها فتعصمه من الافتتان بنفسه والغرور بعلمه ، فيقول : « وتصدّر ابن هشام لنفع الطالبين ، وانفرد بالفوائد الغريبة والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البالغ ، والاطلاع المفرط ، والاقتدار على التصرف في الكلام ، والملكة التي كان يتمكن بها من التعبير عن مقصوده بما يريد ، مسهباً وموجزاً ، مع التواضع والبرّ والشفقة ودماثة الخلق ورقة القلب » فلا عجب بعد ذلك أن تطير شهرة الرجل في أقطار العالم الإسلامي ، فتبلغ المغرب وتفوز من علاّمتها ابن خلدون بتلك (الشهادة) الرفيعة : « ابن هشام أنحى من سيبويه ! ».

تحدثنا كتب التراجم أن ابن هشام ، العالم الشافعي ، تولى تدريس التفسير بالقبة المنصورية بالقاهرة ، وأنه تحنبل في السنوات الأخيرة من حياته (سنة ٧٥٦ ه ، أي قبل خمس سنوات من وفاته) ، وتولى التدريس بالمدرسة الحنبلية بالقاهرة ، وحفظ لذلك عن ظهر قلب كتاب (المختصر

للخِرَقي) في أقل من أربعة أشهر ، وفي ذلك دليل ذكائه وشباب حافظته ، ولا ريب في أن انتقال ابن هشام إلى المذهب الحنبلي في أواخر سني حياته دليل حيّ على نشاط الرجل وحرية فكره ومرونته ، وعلامة لا تخطيء على شباب نهمه العلمي ورغبته ــ وهو في الخمسين ــ أن يطل على آفاق جديدة تزيد حدود ثقافته واطلاعه بعداً واتساعاً .

قام ابن هشام بعدد من الرحلات في العالم الإسلامي ، ولكننا لا نعلم اليوم عن أسفاره تلك غير ما حدثنا هو به في مقدمة كتابه (المغني) فقد قام برحلتين إلى مكة ، أولاهما سنة ٧٤٩ هـ ، وقد بقي في البلد الحرام مدة استطاع خلالها أن يؤلف كتاباً في الإعراب ، ولكنه فقده في طريق عودته إلى مصر ، والرحلة الثانية كانت سنة ٧٥٦ هـ ، وقد أتيح له خلال مجاورته للحرم في أثنائها أن يصنف كتابه الجامع الكبير (المغني) الذي يشهد له بالنبوغ والتفوق .

عاش ابن هشام بعد تأليف المغني نحو أربع سنوات ، وقد وافته منيته سنة ٧٦١ هـ في الخامس من ذي القعدة ، ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر بمصر ، وخلّف ولدين هما محب الدين وعبد الرحمن ، وترك ثروة علمية كبيرة تشهد أنه أنفق عمره كله في تأليفها وتحبيرها وكان مثلاً رائعاً للعالم المجد ، رحمه الله وأجزل مثوبته .

٤ ـــ التصانيف

ألف ابن هشام وصنّف عدداً كبيراً من المؤلفات والرسائل ، يزيد على الثلاثين ، ولكن ما وصل إلينا منها لا يجاوز النصف بكثير ، وهو بين مطبوع أو مخطوط محفوظ في مكتبات الشرق والغرب ! أما باقي مصنفاته فلسنا نعرف عنها غير أسمائها الواردة في كتب التراجم : وعند السيوطي نجد أسماء الكتب التالية :

- عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب (في مجلدين) .
- رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة (في أربع مجلدات) .
- الجامع الكبير .
- التذكرة (في خمس عشرة مجلدة) .
- التحصيل والتفصيل لكتاب التذييل والتكميل (في عدة مجلدات) .
- شرح الشواهد الصغرى .
- شرح الشواهد الكبرى .
- شرح البردة (ولعله شرح قصيدة كعب بن زهير المطبوع مراراً) .
- الكواكب الدرية في شرح (اللمحة البدرية لأبي حيان) .
- القواعد الصغرى .
- القواعد الكبرى .
- المسائل السفرية في النحو .
- شرح التسهيل (مسودة) .

وذكر الزركلي في قاموس (الأعلام) اسم كتاب : نزهة الطرف في علم الصرف .

وأما ما نجد اليوم نسخاً مخطوطة منها فهي المصنفات التالية :

- الروضة الأدبية في شواهد علوم العربية : وهو شرح للشواهد الشعرية التي أوردها ابن جني في كتابه (اللمع) – برلين رقم ٧٦٥٢ .
- الجامع الصغير – المكتبة الأهلية بباريس رقم ٤١٥٩ .
- رسالة في استعمال المنادى في تسع آيات من القرآن – برلين رقم ٦٨٨٤ ويحتمل أن تكون هي الرسالة التي ذكرها ديرنبورغ في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالاسكوريال – رقم ٦,٨٦ .
- شوارد المُلَح وموارد المنح : رسالة في سعادة النفس برلين – ٢٠٩٧ .

- مختصر الانتصاف من الكشّاف : اختصر فيه كتاب ابن المنيّر (الانتصاف من الكشاف) في الرد على آراء المعتزلة التي وردت في (الكشاف) للزمخشري . برلين رقم ٧٩١ .
- مُوقد الأذهان وموقظ الوسنان : في الألغاز النحوية ، ومنه نسخ مخطوطة في برلين (رقم ٦٧٤٨ ، ٦٧٤٩) والمكتبة الأهليـة بباريس (رقم ٤١١٥ ، ٢ – ٤١٦٢ ، ١) ودار الكتب المصرية بالقاهرة (فهرس الكتبخانة الخديوية : ٦٩/٧ ، ١٠٤ ، ١٧٢ ، ٥٩٨) ، ويذكر « الأعلام » أن الكتاب مطبوع ، ولعله كتاب (الألغاز) الذي سيجيء ذكره في جملة المطبوعات من مصنفات ابن هشام .

ونذكر أخيراً المصنفات المطبوعة وهي :

- قطر الندى وبل الصدى : وهو رسالة صغيرة تيسّر النحو ودراسته للمبتدئين ، نشرت مرات كثيرة ، ولمحمد محيي الدين عبد الحميد شرح عليها .
- شرح على القطر : طبع مرات كثيرة في مصر وتونس وليدن ، وترجمه المستشرق غوغييّه Goguyer إلى الفرنسية .
- شذور الذهب في معرفة كلام العرب : رسالة متوسطة في النحو طبعت مراراً .
- شرح شذور الذهب : طبع مراراً
- الإعراب عن قواعد الإعراب : رسالة مختصرة طبعت في القسطنطينية ، ونشرها المستشرق دو ساسي de sacy مع ترجمة فرنسية ، وشرحها الشيخ خالد الأزهري .
- الألغاز : كتاب في مسائل نحوية ، ألفه ابن هشام لخزانة السلطان الملك الكامل (٧٤٦ – ٧٤٧ ﻫ) وقد طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٤ ﻫ .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : وقد يعرف باسم (التوضيح) وطبع مرات كثيرة في الهند ومصر ، ولمحمد محيي الدين عبد الحميد شروح عليه .

- شرح (بانت سعاد) : شرح القصيدة اللامية التي مدح بها كعب بن زهير النبي ﷺ ، وتاج العروس يسميه (شرح الكعبية) ـ مادة غزل ـ طبعة المستشرق غويدي Guidi في ليبسك ١٨٧١ م وطبع بالقاهرة : ١٣٠٤ هـ ، ١٣٠٧ هـ .
- رسالة في انتصاب « لغةً وفضلاً » وإعراب « خلافاً وأيضاً » والكلام على « هلمّ جرا » وهي رسالة في إعراب هذه الكلمات ، وهي برمتها في كتاب (الأشباه والنظائر) للسيوطي : الطبعة الثانية بحيدر آباد : ١٨٧/٣ ـ ٢٠٥ ؛ ومن الرسالة نسخ مخطوطة في ليدن ودار الكتب المصرية.
- فوح الشذا في مسألة (كذا) وهو شرح لرسالة (الشذا في مسألة كذا) لأبي حيان ، ونجده في (الأشباه والنظائر : ١١١/٤ ـ ١٢٢) .
- شرح القصيدة اللغزية في المسائل النحوية : نجده في (الأشباه والنظائر : ٢/ ٣٠٢ ـ ٣٢٣) ومنه نسخة مخطوطة في ليدن .
- وفي كتاب الأشباه والنظائر عدد كبير من رسائل ابن هشام : ٢ / ٢٩٢ ، ٢٩٩ ـ ٤ / ٢ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ١٠٠ إلخ ..
- وأهم ما وصل إلينا من مصنفات ابن هشام كتابه الكبير الجامع في النحو (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) وسنفصّل الكلام عليه .

٥ ـ كتاب المغني

يعده صاحب « مفتاح السعادة » من الكتب المبسوطة في النحو ، وقد استوفى فيه ابن هشام أحكام الإعراب بجملةً ومفصّلة ، وتكلم فيه على الحروف والمفردات والجمل ، فجاء نمطاً وحده في الدقة والاستقصاء والمنهج والإيجاز الجامع الوافي .

والذي شجّع ابن هشام على تأليف كتابه هذا أنه شاهد انتفاعَ الطلاب

بكتابه « الإعراب عن قواعد الإعراب » الذي نهج فيه نهج المغـــني ، ورأى إقبال العلماء عليه ، على الرغم من أنه مختصر ، فعمد الى تصنيف (المغني) مطوّلاً ، وقد صنّفه أول مرة في مكة سنة ٧٤٩ ﻫ ثم فقده في طريق عودته إلى مصر ، وهو يحدثنا في مقدمة (المغني) أنه انكب ثانية على تصنيفه في رحلة ثانية إلى مكة سنة ٧٥٦ ﻫ فيقول :

« وقد كنتُ في عام ٧٤٩ أنشأتُ بمكة كتاباً في الإعراب ، ثم إنني أصبت به وبغيره في مُنصرفي إلى مصر ، ولما منّ الله عليّ في عام ٧٥٦ بمعاودة حرم الله والمجاورة في خير بلاد الله شمّرت عن ساعد الاجتهاد ثانياً ، واستأنفت العمل لا كسلاً ولا متوانياً ، ووضعتُ هذا التصنيف ، وتتبّعت فيه مُقفلات مسائل الإعراب فافتتحتها ، ومعضلاتٍ يستشكلها الطلاب فأوضحتُها ونقّحتُها ، وأغلاطاً وقعت لجماعةٍ من المعربين وغيرهم فنبّهتُ عليها وأصلحتُها الخ .. » .

يقع المغني في جزأين يبحثان في الموضوعات التالية التي تشير إليها أبواب الكتاب الثمانية :

الأول : في تفسير المفردات وذكر أحكامها .
الثاني : في تفسير الجمل وذكر أقسامها وأحكامها .
الثالث : في شبه الجمل (الظرف والجار والمجرور) وذكر أحكامها .
الرابع : في ذكر أحكام كثيرة الورود ويقبح بالمُعرب جهلها .
الخامس : في ذكر الأوجه التي يدخل على المُعرب الخلل من جهتها .
السادس : في التحذير من أمور مغلوطة اشتهرت بين المعربين .
السابع : في كيفية الإعراب .
الثامن : في ذكر أمور كلية تتخرّج عليها الجزئيات .

فالكتاب إذاً بحث منهجي مفصّل في معاني الحروف (الأدوات) وأحوال الجمل وشبه الجمل وتبيين لأحكام الإعراب وتصحيح لما شاع من

أغلاط المعربين ؟ وقد امتاز (المغني) بجملة من الخصائص نحاول ايجازها في النقط التالية :

١ ـ منهج المغني في تبويبه وترتيبه يدل على استقلال شخصية ابن هشام عن غيرها من النحاة المتقدمين ؛ وطريقته في تأليف المغني محاولة موفقة لتجنّب مساويء من سبقه من المصنفين وعيوب طرائقهم ، ولتلافي تطويلاتهم في كتبهم ، يقول في مقدمة المغني : « واعلم أنني تأمّلت كتب الإعراب فإذا السبب الذي اقتضى طولها ثلاثة أمور أحدها كثرة التكرار ... والثاني إيراد ما لا يتعلق بالإعراب ... والثالث إعراب الواضحات كالمبتدأ وخبره » . وقد استطاع ابن هشام أن يتخلص في المغني من هذه العيوب ، فجمع المسائل المتكررة الجزئية وصنّفها وأفرد لها باباً ، وحذف من الكلام على الإعراب الشوائب التي لا علاقة لها به (كالكلام في اشتقاق اسم : أهو من السِّمة أم السمو الخ ...) وأهمل إعراب الواضحات من المسائل ، واستعاض عن كل ذلك « بما يتبصّر به الناظر ، ويتمرّن به الخاطر من إيراد النظائر القرآنية والشواهد الشعرية وبعض ما اتفق في المجالس النحوية » كما يقول هو نفسه في المقدمة ؛ وبذلك نجد طريقة ابن هشام في المغني تتلخص في جمع الأحرف (الأدوات) وضرب الأمثلة والشواهد عليها ثم تنسيق المعاني واستنباط القواعد منها ، وعلى الرغم من التزام ابن هشام حدود منهجه الدقيق فإنه لم ينج من آفة الاستطراد ، وأمثلته كثيرة في كتابه .

٢ ـ أكثر ابن هشام من ايراد الشواهد : من القرآن حتى كاد لا يترك من آياته شيئاً ، ومن الحديث النبوي ، حتى حق للمؤلف أن يعلق في مقدمة المغني أن غايته منه أن « يتيسّر به فهم كتاب الله المنزل ، ويتضح به معنى حديث نبيّه المرسل » ، كما أكثر ابن هشام من ايراد الشواهد الشعرية فيه ،

وقد أفرد السيوطي (ـ ٩١١ هـ) لها شرحاً خاصاً (شرح شواهد المغني) وهو مطبوع ومشهور .

هذه الكثرة من الشواهد ، من أبلغ النصوص القرآنية والأدبية ، منحت كتاب المغني ميزة كبرى وهي التخفيف من جفاف النحو وقواعده بالجمع بين ذلك والأدب ، فأصبح (المغني) كتاباً في النصوص الأدبية الرفيعة والكشف عما فيها من نكات إعرابية ، ولعلّ واحداً ممن اختصروا كتاب المغني ـ واسمه أحمد المشتهر بالنائب كما يذكر صاحب كشف الظنون ـ قد أدرك صلة المغني بالأدب حين سمى مختصره « قراضة الذهب في علمي النحو والأدب » ، ولا ريب في أن هذه الميزة من مزايا كتاب المغني تشف عن سر من أسرار خلود الكتاب وحرص الأوساط التعليمية العليا في أقطار العالم العربي على تقريره والعناية بتدريسه منـــذ عصر المؤلف إلى يومنا هذا .

٣ ـ أسلوب ابن هشام في المغني أسلوب بالغ المتانة ، وعبارته فيه موجزة محكمة شديدة الإيجاز والإحكام ، حتى إن القارىء ليحتاج إلى كثير من النظر والتدقيق فيها قبل أن يصل إلى الفوائد الكثيرة ، ولهذا ـ ولأسباب أخرى ـ كثرت شروح المغني واستفاضت تعليقات المعلقين عليه ، وتعددت الحواشي والتقارير منذ القرن الثامن حتى اليوم ، وليس من المبالغة في شيء أن نقرر أن (المغني) وشروحه وحواشيه وتقاريره أصبح مدرسة خاصة ، أو أصبحت له مكتبة خاصة به ، وسنتحدث عن بعض تلك الثروة النحوية التي كسبها المغني للعربية بعد قليل .

والكلام على كثرة شروح المغني يسوقنا إلى الكلام على الشهرة المستفيضة التي نالها الكتاب ، فمنذ ظهوره أقبل الناس عليه إقبالاً شديداً ، وابن هشام كان ما يزال حياً ـ كما يذكر ابن حجر ـ . ووصل الكتاب إلى المغرب

وقرأه ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) فأكبره وأثنى على مؤلفه في مقدمته ثناءً كله إعجاب وتقدير : « ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى ابن هشام من علمائها استوفى فيه أحكام الإعراب مجملةً ومفصّلةً ، وتكلّم على الحروف والمفردات والجمل ، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في أكثر أبوابها ، وسمّاه بـ « المغني في الإعراب » ، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها ، وضبَطها بأبواب وفصول وقواعد انتظم سائرها ، فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلوّ قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته منها ، وكأنه ينحو في طريقته منحاة أهل الموصل الذين اقتفوا أثر ابن جني واتبعوا مصطلح تعليمه ، فأتى من ذلك بشيء عجيب دالٍ على قوة ملكته واطلاعه ، والله يزيد في الخلق ما يشاء ! » .

وابن خلدون يفضل ابن هشام على سيبويه ، كما قدّمنا ، ويعده أنحى منه ، ويحدثنا الدماميني بما يؤكد إعجاب ابن خلدون بصاحب المغني فيقول : « حضرتُ يوماً مجلس شيخنا قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون - رحمه الله - وكان شديد التغالي في الثناء على مصنف هذا الكتاب (المغني) ذاهباً في تفضيله وتفضيل كتابه هذا كل مذهب ، فقال للشيخ محب الدين ولد المصنف - وقد كان حاضراً في ذلك المجلس - : لو عاش سيبويه لم يمكنه إلا التلمذة لوالدك والقراءة عليه ! فقال الشيخ محب الدين : يا سيدي إذا فهم الوالد كتاب سيبويه كفاه هذا شرفاً ! أو كلاماً هذا معناه » (انظر شرح الأمير : ٢ / ٢٦) .

وليس عجيباً بعد هذا أن يعنى العلماء بالمغني فتكثر شروحه كثرة عجيبة ، وعدد كبير من هذه الشروح مطبوع ومتداول ، ونذكر منها :

- تنزيه السلف عن تمويه الخلف : وهو حاشية للشيخ شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن ابن الصائغ الزمردي (المتوفى سنه ٧٧٦ هـ) ، ولم تصل

إلينا ، ولكن الشمنّي حدثنا عنها في مقدمة شرحه المغني وقال إنها إلى أثناء الباء الموحدة ، وانظر كشف الظنون : ١٧٥٣/٢ .

— تحفة الغريب بشرح مغني اللبيب : وهي حاشية لمحمد بن أبي بكر الدماميني (المتوفى سنة ٨٢٨ أو ٨٣٣ ؟) ، ألفها بمصر ثم شرح المغني شرحاً أطول منها في رحلته إلى الهند ، ثم شرحه شرحاً ثالثاً حتى وصل إلى حرف الفاء ، ومات عنه قبل إكماله ، ويقول صاحب كشف الظنون : « ولو كمل لكان أحسن الشروح كلها » . وقد استفاد من شرح الدماميني من جاء بعده ، والأمير يسميه (الشارح) وينقل عنه كثيراً ؛ وشرح الدماميني الذي لم يتم مطبوع بهامش الجزء الأول من حاشية الشمنّي على المغني ، وهناك نسخ مخطوطة من شروحه في مكتبات ليدن والإسكوريال ودار الكتب المصرية .

— كافي المغني لشمس الدين محمد بن عماد المالكي النحوي (المتوفى سنة ٨٤٤) وفي كشف الظنون أنه في ثلاث مجلدات .

— نظم المغني للشيخ أبي النجا بن خلف المصري (المتوفى سنة ٨٤٩) ، فقد نظم المغني ثم شرحه ، كما في كشف الظنون نقلاً عن (الضوء اللامع) للسخاوي .

— اختصار المغني ، للشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم البيجوري (المتوفى سنة ٨٦٣ هـ) كما في كشف الظنون .

— المنصف من الكلام على مغني ابن هشام : وهو حاشية لتقي الدين احمد ابن محمد الشُّمُنّي (المتوفى سنة ٨٧٢ هـ) ، وتقع في جزأين مطبوعين ، وقد استفاد الشمني مما كتبه ابن الصائغ ولخّص حاشية الدماميني ، وزاد إلى ذلك أشياء أخرى نفيسة (وانظر مقدمته لحاشيته ١: ٢/١—٣) .

— شرح مغني اللبيب للشيخ نور الدين علي العُسَيْلي المقري ، وهو — كما يقول صاحب كشف الظنون — من رجال القرن العاشر .

- الفتح القريب في حواشي مغني اللبيب لجلال الدين السيوطي (المتوفى سنة ٩١١ ﻫ) وهي حاشية غير تامة وصل المؤلف فيها إلى الأداة (حتى) وهي بخطه في دار الكتب المصرية ، وللسيوطي شروح أخرى يذكرها صاحب كشف الظنون ، وله شرح شواهد المغني كما قدّمنا .
- ديوان الأريب في مختصر مغني اللبيب ، وهو مختصر المغني للشيخ محمد ابن عبد المجيد السامولي الشافعي ، مرتباً على ترتيب المغني ، مهملاً أكثر الأمثلة والإعراب ، مضيفاً إلى ذلك نزراً يسيراً يناسبه من كلام غيره ، ثم تتبع ما لخصه بحواشٍ فرغ منها سنه ٩٦١ ﻫ .
- مغنى الحبيب على مغني اللبيب : للشيخ محمد بن ابراهيم الحنبلي الحلبي (المتوفى سنة ٩٧١ ﻫ) .
- شرح ابن الملا وهو أحمد بن محمد الحلبي المعروف بابن الملا (المتوفى في حدود سنة ٩٩٠ ﻫ) ومنه نسخة في مكتبة الأوقاف ـ الأحمدية ـ بحلب .
- مواهب الأديب : وهو شرح مفيد جامع في ست مجلدات للشيخ محمد ابن محمد المعروف بوحي زاده الرومي (المتوفى سنة ١٠١٨ ﻫ) وقد أحسن فيه وأجاد ، كما يقول حاجي خليفة .
- شرح شواهد المغني لعبد القادر البغدادي (المتوفى سنة ١٠٩٣ ﻫ) صاحب خزانة الأدب ، ومنه نسخة خطية بدار الكتب المصرية .
- شرح المولى القاضي مصطفى بن الحاج حسن الانطاكي (المتوفى سنة ١١٠٠ ﻫ) وهو شرح مفيد كما يقول حاجي خليفة .
- حاشية الأمير على مغني اللبيب : للشيخ محمد الأمير (المتوفى سنة ١٢٣٢ ﻫ) وقد انتهى من كتابتها سنة ١١٨٨ ﻫ كما يذكر فيها ، وهي مطبوعة ومشهورة .
- حاشية الدسوقي على مغني اللبيب : لمحمد بن أحمد بن عرفة الدُّسوقي

(المتوفى سنة ١٢٣٠ هـ) وقد استفاد فيها من تعليقات والده على متن المغني ، كما يصرح هو بذلك في مقدمة حاشيته المطبوعة .

- فتح الصمد : وهو شرح على السبك العجيب لمعاني حروف مغني اللبيب ، لعلي المبارك (انظر : الأدب العربي لمحمود مصطفى : ١٩٨/٣) .
- الأرجوزة لمولاي عبد الحفيظ باي تونس (المصدر السابق) .
- القصر المبني على حواشي المغني : وهو تقرير على حاشية الأمير لعبد الهادي نجا الأبياري (المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ) ويقع في جزأين ينتهيان بأول الباب الثاني من المغني ، وهو يعترف بأنه استفاد فيهما من حاشية الدسوقي ، والكتاب مطبوع ومتداول .

وهكذا تتوالى الشروح خلال القرون ، وما يزال المغني إلى اليوم موضع عناية الشراح والنحاة ، ولمحمد محيي الدين عبد الحميد شرح على المغني لم يطبعه بعد ، وللأستاذ سعيد الأفغاني عملٌ كبير فيه ما يزال مخطوطاً ، ونحاول اليوم أن نحصي طبعات المغني التي بين أيدينا فلا نجد السبيل إلى ذلك ، ويكفي أن نذكر أنه طبع في طهران (١٢٧٤ هـ) وتبريز (١٢٧٦ هـ) وطبع في مصر مراراً ، وهو الآن يطبع طبعة جديدة منقحة في دار الفكر بدمشق ، بعناية بعض أساتذة العربية في جامعة دمشق . ومثل هذه العناية الفائقة بالمغني خلال القرون ، من حياة المؤلف إلى اليوم ، دليلٌ قاطع على نبوغ مؤلفه وخلود كتابه .

ورحم الله ابن هشام ، فإنه رغم تواضعه ، أدرك أنه صنع بكتابه المغني للنحو ما لم يصنعه أحد ممن تقدّموه ، وأن الأجيال من بعده ستكون حريصة عليه ، فقال في مقدمة المغني :

« فدونك كتاباً تُشد الرحال فيما دونه ، وتقف عنده فحول الرجال

ولا يمدونه ، إذ كان الوضع في هذا الغرض لم تسمح قريحةٌ بمثاله ولم ينسج ناسجٌ على منواله » .

وليس وراء هذا الكلام غرورٌ أو تبجّح ، وحسب صاحبه أن يكون في رأي ابن خلدون ، وهو من هو ، أنحى من سيبويه !

الدكتور صالح الأشتر

مصادر البحث

١ ــ مقدمة ابن خلدون .

٢ ــ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ج ٢ .

٣ ــ بغية الوعاة للسيوطي .

٤ ــ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي

٥ ــ مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج ١ .

٦ ــ كشف الظنون لحاجي خليفة ج ٢ .

٧ ــ شذرات الذهب لابن العماد ج ٦ .

٨ ــ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج ١٠ .

٩ ــ تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج ٣ .

١٠ ــ معجم المطبوعات العربية والمعرّبة ليوسف سركيس ج ١ .

١١ ــ الأدب العربي وتاريخه لمحمود مصطفى ج ٣ .

١٢ ــ الأعلام للزركلي ج ٤ .

١٣ ــ دائرة المعارف الاسلامية .

١٤ ــ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان .

وكتب ابن هشام المطبوعة والحواشي والشروح عليها .

المعاجم اللغوية

بين ماضيها وحاضرها

منذ كانت اللغة العربية ، كان معجمها الجامع لمفرداتها بحقيقتها ومجازها وتراكيبها بصفاتها النحوية والبيانية ، لا يغيب من ذلك كله شيء ، معجم غير مدوّن ولكنه يجري على الألسنة ، وتتلقفه الأسماع ، وتعيه الحوافظ .

شأن اللغة العربية في ذلك شأن جميع اللغات ، وهكذا كانت صور المعاجم قبل أن يكون تدوين ، وقبل أن يكون جمع ، وقبل أن يكون تبويب .

وما كان الناس في حاجة إلى غير تلك الصور غير المدونة من المعاجم يوم أن عاشوا جماعات متفرقة لم تعرف الوحدة ، تعيش كل جماعة صغيرة على ما لها ... في بيئة محدودة وبين آفاق لا تعدوها ، لا يخالف يومها أمسها ، ولا يبعد غدها كثيراً عن يومها ، يكاد يكون ما على ألسنتهم هو ما يضمه معجمهم ذلك غير المدون ، ويكاد يكون ما في معجمهم ذلك غير المدون هو ما على ألسنتهم .

وما ان اتصلت الجماعات ، حتى دخل على هؤلاء ما لا عهد لهم به ، وحتى أخذ هؤلاء يستقبلون مدداً جديداً متصلاً يفوت الوعي ، ويفوت الحفظ .

وإذا تلك الجماعات التي لم يكن يفوتها شيء ، وإذا هـذا المعجم غير المدون الذي كان صورة مما يجري على الألسنة ، والذي كان ما يجري على الألسنة صورة منه ، يضم أكثر مما تضمه الحوافظ .

وتدخل على الناس ثقافات وحضارات تعبر عنهـا ألفاظ وعبارات ،

وتشير إليها دلالات ، فيعرفها قوم ويجهلها آخرون ، فإذا هـذا المعجم الواحد يعود معاجم مختلفة ، يخص العامة والخاصة .

وما حرص الإنسان منذ كتب له وجوده المشترك على شيء ، حرصه على أن يفهم عن أخيه ، ولن يكون له هذا إلا إذا كان معجمه ذلك غير المدون صورة مما يجري على لسانه ، وما يجري على لسانه صورة منه . من أجل ذلك كانت الندوات ، وكانت الأسواق : على الإنسان أن يحقق بها ما فاته ، ويستدرك ما أعجلته دورة الزمن عن أن يستدركه .

غير أن الناس على هذا لم يكونوا بعيدين أول الأمر عن معجمهم غير المدون بعداً واسعاً ، إذ لم تكن الحياة قد غلبتهم على كل شيء مما تقوى له الذاكرة ، بل كان ثمة شيء في ملكهم ، وثمة شيء يعز عليهم ...

من أجل هذا لم يتجه التدوين للغة في عمومها ، بل اتجه أول ما اتجه إلى هذا الشيء الذي يعز على الذاكرة ، ويندّ عن الحفظ . وما كان هذا التدوين حين بدأ ، يراد به العامة ، ولكن يراد به الخاصة ، إذ العامة لا يعنيهم من اللغه إلا القدر الضئيل الذي عليه يعيشون ، وبه يتفاهمون .

ولكن الخاصة يعنون بالحذق الشامل ، والإدراك بمختلف صوره ، فمنهم الكاتب والقارىء ، والشاعر والناثر ، والمؤلف والمنشىء ، وتلك كلهـا أمور لا تقوم إلا على دراية واسعة ، تستوعب الخاص والعام .

وهكذا بدأ التدوين المعجمي بصورته الأولى الخاصة ، يلتفت إلى الشأن الخاص السامي الدقيق ، قبل أن يلتفت إلى الشأن العام البيّن الواضح .

وما من شك في أن كثيراً مما ألف في هـذا الميدان وذاك ـ أعني الميدانين الخاص والعام ـ لم يصل إلينا ، وكان أكثر ما فقد هو ما ألف في الميدان الخاص ، لأنه كان كغيره مما جاء سابقاً لم تتهيأ له البيئة بالرعاية ، ولأنه كان شيئاً خاصاً لا يعني إلا قلة ، ولأنه لم يدخل إلى الميـدان العام فيرعاه الناس .

أوقن بهذا ؛ وأوقن أن هذا التأليف الخاص ، كان الخطوة الأولى إلى التأليف العام . فالأجزاء أولاً ، ثم من الأجزاء يكون الكل ، ثم هو كان نظاماً بدائياً عليه طبيعة العرب الأولى البدائية .

ثم لا يعنينا نحن ، حين نؤرخ لذلك العمل ، ما اجتمع بين أيدينا من كتب فيه ولكن الذي يعنينا أن نستملي العقل فيما يجب أن يكون عليه عمل كهذا . .

على أن الذي وصل إلينا في ذلك الميدان الخاص ، يختلف باختلاف الغرض الذي ألف له ، ولكنه على هذا كان يحمل الطابع الجزئي الذي هو صورة من تدرج المعاجم وترتيبها .

فما من شك أن الناس التفتوا أول ما التفتوا إلى تلك المسائل الجزئية ، أو إلى تلك المسائل الخاصة التي تعني الطبقة المثقفة ، وتدق عليها وتشغلها ، وهكذا كانت تلك المسائل الخاصة ، هي التي أملت تلك التآليف الخاصة التي كانت أشبه شيء بمعاجم لألوان مستقلة ولأغراض متنوعة لكل لون معجمه ، ولكل غرض معجمه ، ثم كان من هـذه المعاجم ذات الألوان المستقلة والأغراض المتنوعة ، المعاجم العامة التي انتظمت كل هذه الألوان وكل هذه الأغراض .

والأمثلة على ذلك كثيرة :

فمنذ القدم والقبائل العربية ، تختلف اختلافاً كبيراً في حرف من حروف الهجاء وهو الهمزة ، ينطقه بعضهم مخففاً ، وينطقه بعضهم سهلاً ، وينطقه بعضهم بين التخفيف والتسهيل . ولقد ظل هذا الحرف إلى اليوم مشكلة من المشكلات ، وكان هذا الاختلاف فيما مضى ، جديراً بأن يلفت النظر ، وتوجه اليه عناية الخاصة الذين شغلوا به وألفوا فيه .

فنجد لأبي بحر عبد الله بن زيد (١٢٧ هـ) فيها كتاباً ، لا ندري أكان أسبق من ألف في الهمزة أم سبقه غيره . ومن بعد أبي بحر ألف قطرب (٢٠٦ هـ) ومن بعد قطرب ألف أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (٢١٥ هـ) ثم جاء بعدهم غيرهم يؤلفون في هذا الباب . فكان الحيوان في تفصيله ودقائقه غرضاً خاصاً ، يفوت العقل العام ، وكان لا بدّ من تدوينه حتى لا يفوت العقل الخاص مع العقل العام ، فأفردوا للخيل كتباً ، والإبل كتباً ، ذكروا فيها كل ما يتصل بها .

فممن شغلوا بالتأليف في « الخيل » جملة كبيرة منهم : النضر بن شميل (٢٠٤ هـ) وابن الكلبي : هشام بن محمد (٢٠٦ هـ) وأبو عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ) وقطرب (٢٠٦ هـ) وأبو عبيدة (٢١٠ هـ) والأصمعي : عبد الملك ابن قريب (٢١٣ هـ) وابن الأعرابي (٢٣١ هـ) .

كما أفردوا للطير والحشرات والزواحف والهوام كتباً تعرض لصفاتها وخصائصها ، وأسماء أجناسها وأسماء أجزائها .

ألف علي بن عبيدة الريحاني (٢١٨ هـ) كتاب : « النحلة والبعوضة » وألف ابن الأعرابي (٢٣١ هـ) كتاب : « الذباب » وألف أبو نصر أحمد ابن حاتم (٢٣١ هـ) كتاب : « الجراد » وغير هؤلاء ممن ألفوا في هذا اللون كثيرون . .

ثم عدوا الحيوان إلى الإنسان ، فألفوا كتباً في خلق الإنسان في أعضائه وفي صفاته . ألف في هذا الغرض الخاص : النضر بن شميل (٢٠٤ هـ) وأبو عمرو الشيباني (٢٠٦ هـ) والمفضل بن مسلمة (٢٠٨ هـ) والأصمعي (٢١٣ هـ) وكثير غيرهم .

وأفردوا السلاح بكتب ، وأفردوا الملابس بكتب ، كما أفردوا النبات بكتب ، وكذلك أفردوا بعض المطعومات بكتب ، وخصوا الصفات بكتب ، والأبنية والمصادر بكتب ، والأفعال بكتب .

وهم حين تناولوا هذه الموضوعات الخاصة الجزئية، تناولوا منها خصائصها التي تدق، وأوصافها التي تغمض، يجمعون ما يجمعون بحاجة الاحساس، مخافة تشتته وتوزعه، ومخافة أن يضل مع هذا التوزع وذلك التشتت . .

وكانوا كلما تقدمت بهم الحياة إلى الحضارة، أحسُّوا الضرورة إلى تدوين تلك الأغراض الخاصة والمناحي الجزئية، تملي عليهم تلك الضرورة، فيستجيبون لها، حريصين على أن تبقى لهم لغتهم طيِّعة مواتية لبيئتهم وحاجاتهم . فلقد كان العصر عصر حياة لا تكاد تدب الحياة في شيء إلا دبت في غيره . واللغة نصف الحياة المؤثر والمتأثر، وهي أداة التعبير، إن جمدت في بيئة، جمدت معها الحضارة في تلك البيئة من علم وفن وأدب .

ولقد كان ثمة للقرآن معجم، يجمع غريبه . ويقال إن أول من يُعزَى اليه كتاب يضم فيه غريب القرآن هو : عبد الله بن عباس (٦٨ هـ) ومن بعده كان أبو سعيد بن تغلب بن رباح السكري (٤١ هـ) وجاء بعدهما غيرهما يؤلفون في هذا الغرض الخاص، أو في هـذا الضرب من المعاجم الخاصة . نذكر منهم مؤرجا السدوسي (١٩٠ هـ) واليزيدي : محمد بن يحيى (٢٠٢ هـ) والنضر بن شميل (٢٠٣ هـ) وأبا عبيدة معمر بن المثنى (٢١٠ هـ) . .

ومن بعد القرآن الكريم بفترة طويلة، شغل الناس بغريب الحديث، كما شغلوا بغريب القرآن . ويقال إن أول كتاب وضع في غريب الحديث، كان لأبي عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى : راوية أبي البيداء الرياحي، ثم كان من بعده أبو عبيدة : معمر بن المثنى (٢١٠ هـ)، ثم النضر بن شميل (٢١٣ هـ) وتبعهم كثير غيرهم .

ومما يذكر، أن العرب حين استقبلوا في ظل دينهم الجديد، القرآن والحديث، استقبلوا في ظلهما علوماً جديدة اقتضى بعضها معاجم خاصة : من هذه العلوم : علم الفقه : إذ كان له معاجم خاصة به تتناول اصطلاحاته

التي جرت على ألسنة الفقهاء ، وحملت الألفاظ اللغوية معاني لم تكن لها . ومن ألّفوا في هذا الغرض الخاص ، الأزهري : أبو منصور محمد بن أحمد (٢٨٢ – ٣٧٠ هـ) وله كتاب « الزاهر » في غرائب ألفاظ الإمام الشافعي ، ثم المطرزي : أبو الفتح ناصر بن عبد السيد (٥٣٨ – ٦١٦ هـ) وله كتاب المغرب في ترتيب المعرب ، ثم النووي : أبو زكريا : محيي الدين بن شرف (٦٣١ – ٦٧٦ هـ) وكانت هذه المعاجم هي الأخرى ، ذات طابع معجمي خاص شأن معاجم غريب القرآن وغريب الحديث .

ولقد أحسّ الناس وهم يجمعون هذه المعاجم الخاصة ، أنهم يصطدمون بلهجات القبائل وما فيها من خلاف ، وما عليه هذا الخلاف اللفظي من خلاف معنوي . وهكذا انبرى لهذا الغرض الخاص تحت إملاء هذه الظروف قوم يؤلفون في لغات القبائل . وكان أول من ألف في ذلك الغرض الخاص : يونس بن حبيب (١٨٢ هـ) ثم أبو عمرو : إسحاق بن مرار الشيباني (٢٠٦ هـ) والفراء (٢٠٧ هـ) وتوالى بعدهم غيرهم يؤلفون في هذا الغرض الخاص بعد جمع مستوعب ، ودراسة مستفيضة .

وتبع هذا الجهد جهود قريبة منه ، تفرعت عنه . فلقد رأى الجامعون للغات القبائل ، أن منها ما يجري على ميزان الفصيح ، ومنها ما تأثر بالأجنبي الطارىء ، فكان لا بدّ من تأليف خاص يتناول هذا الغرض الخاص ، يميز الصحيح من الدخيل ، أو المعرب كما كانوا يسمونه . ومن ألف في ذلك : الجواليقي والخفاجي وغيرهما من بعدهما كثيرون .

فهذه أمثلة من تلك الأغراض الخاصة التي نرى أنها كانت الخطوة الأولى في عمل المعاجم العامة . وما من شك في أن التدوين المعجمي خطا من هذا الخاص إلى ذلك العام ، غير أن التأليف في القطاع العام ، أخذ ينمو ويزيد ، على حين أخذ التأليف في القطاع الخاص ، يجمد لم يتناول جديداً ، غير أن يصور ويشكل ويبوب على أنماط جديدة وذلك :

١ ـ لأن جانباً من تلك المعاجم الخاصة لم يجد عند المؤلفين اللاحقين مزيداً يزيدونه وذلك : مثـــل الكتب الخاصة بالإبل . فما نظن بعد الأصمعي (٢١٣ هـ) مؤلفاً عنّى نفسه بشيء من هذا . وكذلك كانت الحال في الكتب الخاصة بالخيل ، فما نظن بعد النمري (٦٥٧ هـ) مؤلفاً شغل بهذا الموضوع . هذا إذا استثنينا محاولات هينة لا يعتدُّ بها .

٢ ـ ثم من هذا الجانب الخاص ، بدأ يأخذ مكانه في الجانب العام ، ويكون جزءاً منه ففقد استقلاله .

وما ندعي أن التأليف العام ، لم يبدأ إلا حين انتهى التأليف الخاص ، بل ما ندعيه هو : أن تلك المرحلة الخاصة سبقت المرحلة العامة في التفكير أولاً ، ثم في التأليف ثانياً لا يصرفنا عن هذا الرأي : أن التدوين الخاص كان يعاصر التدوين العام ، وكأنهما نشآ معاً ، ومردُّ هذا إلى ما وصلنا من المؤلفات في هذا أو ذاك ونحن نعلم ضياع الكثير من هـذا التراث ، ثم لا ننسى أن التأليف الخاص كان حين بدأ شيئاً يروى حتى إذا ما جاء عصر التدوين الحق ، وأخذ التأليف المعجمي العام طريقه ابتلع من هذا التأليف الخاص ما ابتلع ، وعوق أكثره عن أن يأخذ وجوده المستقل .

وحين نشأ هذا التأليف العام ، نشأ هو الآخر متأثراً بهذه الخصوصية . فلم تخضع تلك المعاجم العامة للمنهج اللفظي : أعني الترتيب الأبجدي الذي هو المفتاح الطبيعي لتلك المعاجم ، ثم هو من الناحية العامة التي يجب أن يتصف به كل ما هو عام يفيد منه العامة في يسر ، بل خضعت تلك المعاجم لمناهج خاصة ذات أسلوب عقلي يستلزم جهداً خاصاً هو للخاصة .

وكان أول معجم وصل إلينا من هذه المعاجم العامة ، هو معجم العين للخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) .

فحين أراد الخليل أن يبوب معجمه هـــذا ، لم يخضعه للمنهج اللفظي الميسور الذي هو المنهج العام ، بل كان لا يزال متأثراً بالناحية الخاصة .

فإذا هو يفلسف الترتيب فلسفة خاصة، تلزم الناس بعلم خاص قبل أن ينتفعوا بهذا المعجم. فقد رتب الخليل معجمه وفق مخارج الحروف، كما تصور الخليـــل تلك المخارج، لم يجر على الترتيب الهجائي الشائع، وإذا ترتيب الحروف عنده يجيء على هذا النحو: ع . ح . هـ . خ . غ . ق . ك . ج . ش . ض . ص . س . ز . ط . ت . د . ظ . ذ . ث . ر . ل . ن . ف . ب . م . و . ي . أ ..

وسمى الخليل معجمه بالعين لأنه يبدأ بحرف العين ...

وما أريد أن أذكر، أن العلم الحديث، اعترف للخليل بشيء، وأنكر عليه شيئاً آخر، فقد شقّ الخليل على الناس في معجمه وألزمهم أن يكونوا على علم قبل أن يفلحوا، وهو بهذا قد جرد معجمه من صفات المعاجم العامة.

وما أفلت من هذا المنهج العقلي من لحقوا بالخليل، فقد ألف عليه: القالي: إسماعيل بن القاسم معجمه «البارع» فقد وضع هو الآخر معجمه على مخارج الحروف، كما رآها سيبويه لا كما رآها الخليل، فأدخل على العقول بلبلة جديدة، وإذا هذا الترتيب يكون على النحو التالي:

هـ . ع . غ . ق . ك . ص . ج . ش . ل . ر . ن . ط . د . ت . ص . ز . س . ظ . ذ . ث . ف . ب . م . و . أ . ي ..

وألف بعدهما الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد (٢٨٢ ــ ٣٧٠ هـ) معجمه: التهذيب، ملتزماً الترتيب الذي التزمه الخليل، فجاء على ذلك النمط الخليلي.

وعلى نمط الخليل والأزهري، ألف الصاحب بن عباد (٣٤٣-٣٨٥ هـ) معجمه المحيط، وكان آخر من ألفوا على هـــذا المنهج: ابن سيده: أبو الحسن علي بن اسماعيل (٣٩٨ ــ ٤٥٨ هـ) فوضع كتابه: «المحكم» يحكي فيه منهج الخليل مع تعديل طفيف فيه.

على أن هناك مدرسة عامة عاشت إلى جانب المدرسة الخاصة بدأت متأخرة شيئاً ما . كان على رأس هذه المدرسة الثانية ـ أعني المدرسة التي التزمت الترتيب الحرفي إلى حد ما : ابن دريد : محمد بن الحسن (٢٢٣ ـ ٣٢١ هـ) فقد عدلت هذه المدرسة عن المنهج الذي وضع أساسه الخليل إلى منهج آخر أقرب إلى وظيفة المعجم وإلى طبيعته اليسيرة التناول ، القريبة المأخذ ، فوضع كتابه : « الجمهرة » مرتباً على حروف الألف باء . وقد أغنانا ابن دريد عن تناول عمل تلك المدرسة الأولى بالتنقص حيث يقول في مقدمة معجمه « الجمهرة » : « وقد رتبته على هذا النحو إذا كانت الحروف المرتبة على الألف باء بالقلوب أعلق وألزم ، وفي الأسماع أنفذ وكان علم العامة بها كعلم الخاصة ، كان طالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة مشفياً على المراد » .

ولقد صدق ابن دريد وصدق ظنه ، فما خلقت المعاجم لتكون على هذا العسر العسير الذي التزمه الخليل ومن تبعه .

وعلى نمط ابن دريد ، ألف ابن فارس أحمد : المقاييس ثم المجمل . غير أن هذه المدرسة الثانية على ما كان معها من تيسير وتقريب ، كان فيها إيجاز مضيع كالذي وقع فيه ابن فارس ، وتعقيد مفوت كالذي وقع فيه ابن دريد ، فقد قسم مادته أولاً وفق الأبنية : الثنائي ثم الثلاثي ثم الخماسي ثم السداسي ، ثم رتب تلك الأبنية على الحروف .

وغير بعيد من هاتين المدرستين ، كانت مدرسة ثالثة ، بدأت متأخرة شيئاً ، وكان لهذه المدرسة نهج جديد يجمع بين النهجين السابقين : يجمع بين الصفة الخاصة والصفة العامة ، غير أن الصفة الخاصة كانت أكثر ملاحظة . فقد عدت هذه المدرسة أواخر الكلمات لا أولها أساساً في الترتيب ، ثم مضت ترتب الكلمات بعد هذا على حروف الألف باء ، ذاهبة إلى أن آخر

الـكلمة هو الحرف الثابت ، وأن أولها تلحقه الزيادات التي تشكل صورته ، من أجل ذلك رأوا ألا يعتدوا بالأول ، كما أخرجت هذه المدرسة الباحث بأن يكون على علم بالاشتقاق ، وأن يعرف أصل كل كلمة بجرد الـكلمة من الزوائد أولاً ليعرف أين مكانها من المعجم .

وهذه نظرة كما أرى ، فيها شيء من العقل ، وفيها فكر . على الباحث في المعجم أن يتدبر ويفكر قبل أن يبحث . والمستفيد من المعجم يجب أن يلقاه في أيسر صورة .

كان على رأس هذه المدرسة ، الجوهري : أبو نصر إسماعيل بن حماد (٣٠٠ هـ) فقد ألف كتابه : « الصحاح » وكما تأثر بالمدرستين الأوليين ناس ، تأثر بهذه المدرسة ناس كان منهم : الصغاني (٥٧٧ ـ ٦٥٠ هـ) فوضع كتابه : « العباب » و ـ « التكملة » و « الذيل » ثم « مجمع البحرين » وبعد الصغاني ، كان ابن منظور الافريقي المصري (٦٣٠ ـ ٧١١ هـ) فوضع كتابه : « لسان العرب » ثم الفيروزابادي : محمد بن يعقوب (٧٢٩ ـ ٨١٦ هـ) صاحب القاموس المحيط .

وكان فيما بين هذه المدارس الثلاث المعجمية ، مدارس متفرقة ليست ذات منهج جزئي أشبه في طريقتها بتلك المدارس الخاصة الأولى ، أعني تلك المدارس الخاصة ، إن صح لها أن نسميها مدارس ، وهي التي سبقت التأليف العام وكانت مشغولة بأغراض بعينها .

وهكذا كان شأن تلك المدرسة الأخيرة المتفرقة مع خلاف في الغرض بينها وبين أصحاب المناهج الأولى . فأولئك الأوائل قصدوا باباً معيناً ، وهؤلاء قصدوا مع العموم شيئاً من الخصوص ، فوضعوا معاجم عامة ، لكنها كانت حول غرض خاص ، كما فعل مع العموم شيئاً من الخصوص ، فوضعوا معاجم عامة ، لكنها كانت حول غرض خاص ، كما فعل ابن الأثير

في كتابه : « النهاية » الخاص بغريب الحديث ، وكما فعل الزمخشري : محمود بن عمر في كتابه : « الفائق » ، وكما فعل الراغب الأصفهاني في كتابه : « المفردات » وهو خاص بغريب القرآن . فهم قد ألفوا في أغراض أقرب إلى الخصوص ولكنها خالفت ذلك الخصوص في تشكلها على أسلوب معجمي تخضع في طريقته لأسلوب المدرسة الثانية ، ويخضع لها أيضاً في أنه خرج عن الموضوعية ـ أعني معالجة الموضوع المستقل ـ إلى اللغة كلمات ، ثم شرح هذه الكلمات . وما كانت هذه وظيفة المعاجم الخاصة التي كانت تجمع أسماء الموضوع وأجناسه وصفاته دون ترتيب معجمي .

وليس بعيداً عن هذا أيضاً ـ أعني عن تلك المدارس الأخيرة المتفرقة ـ ما فعله الزمخشري في كتابه « أساس البلاغة » ، فهو وإن كان حول موضوع عام ، وهو اللغة ، من حيث هي لغة ، إلا أنه كان ذا منهج خاص ، فكانت عنايته بالمجاز ، لا يقصد إلى الجمع الشامل ولا إلى التفصيل الذي هو من حق المعجم العام .

ولقد دخلت على الشعب العربي ، حضارات أجنبية كثيرة ، كان هذا والشعب العربي على حال من التخلف مُني بها ، فاستكانت لغته شيئاً ، فكانت تملي عليه الحضارات فلا يستجيب ، ويبلبل الدخيل لسانه فلا يغار ، وإذا هو بعد غفوة طال أمدها يجد نفسه بعيداً عن لغته ، ويجد لغته بعيدة عنه ، ويجد لغته قاصرة عن استيعاب تلك الحضارات ، وإذا هو يكاد يتنكر لهذه اللغة ، مما جعله يفكر في أن يستبدل بها غيرها ، لولا بقية من غيرة وحمية وإيمان .

وما ذابت الشعوب في غيرها ، إلا حين تنسى لغتها أولاً ، وحين تحس أن لغتها عاجزة عن أن تساير الحياة ، عندئذ تتوزع أشتاتاً وتتخطفها حضارات مختلفة ، وتفقد طابعها الجامع حين تفقد لغتها الجامعة .

غير أن اللغة العربية ، قد ثبتت لهذه العانية وحدها بتليدها وموروثها ، لا تجد إلا العون الضعيف ، والحضارات في زحفها الغازي ، واللغة في سكونها الهامد ، لا تملك معجماً عربياً سليماً يساير تلك الحضـارات ، وييسر الحاجات ، ويفي بالرغبات .

ومن الحق ، أننا لا نتهم تلك الفترة الغافية بالمحل ، ولا نصمها بالجدب . فلقد جاءت بشيء من المعاجم مكن للناس كل التمكين حين عزّ عليهم الانتفاع بالمعاجم الأولى كلها : صعبها وسهلها .

في ظل تلك الأزمنة ، كانت المدرسة الرابعة للمعاجم ، قد أحست أن المدرسة الأولى ، لم تصل إلى المعجم الحق ، الذي يخضع في ترتيبه للحرفية المطلقة لا يكلف الباحث عناء التلبث ، ليتعقل ويفكر . .

وكان على رأس تلك المدرسة : بطرس البستاني الذي ألف كتابه : « محيط المحيط » في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم سعيد الخوري الشرتوني في ١٨٨٩ م الذي الف معجمه : « أقرب الموارد في فصيح اللغة والشوارد » وفي سنة ١٩٠٧ م أخرج جرجس همام الشويري معجمه : « الطالب » وفي سنة ١٩٠٨ م أخرج الأب لويس المعلوف معجمه : « المنجد » وفي سنة ١٩٣٠ م وضع عبد الله البستاني معجمه : « البستان » مُعْتمداً على محيط المحيط لبطرس البستاني .

وكان ثمة معاجم أخرى ألفت في ظل هـذه المعاجم ، تقرب منها شيئاً ، وتبعد عنها شيئا ، ولكنها كانت كلها على هـذا المنهج الحرفي ، يستقي بعضها من بعض ، وتستقي كلها من المعاجم القديمة .

ولكن اللغة العربية بعد تلك الأزمان القاصمة ، وبعد ذلك التخلف الطويل ، كانت في حاجة إلى وثبة جريئة شريفة متصلة ، في حاجة إلى أن تقرب نفسها من الناس ، وتقرب الناس إليهـا على صفحات معاجم ميسّرة مذللة ، في حاجة إلى معاجم ، تضم إلى القديم الحديث ، وتضم

إلى اللغة ما يتصل بحياة الإنسان في غير اللغـة من أشياء حول العلوم والفنون والصناعات والزراعات ، بل شئون الحياة كلها تتناوله بالقـدر المعروف الموجز ، وتترك تفصيله لمراجعه الخاصة .

وهكذا أصبحنا في حاجة مع هذا العصر الزاخر بحضارته الصاخبة إلى تمهيد اللغة بين يدي الناس ، لتمضي وتساير تلك الحضارات بعلمها وفنها ، وفي حاجة إلى أن تصل الناس باللغة ، لتشيع على ألسنتهم ، فتصقلها وتقومها ، فما ولدت اللغة إلا على الألسنة ، ولا استقامت ولا نمت إلا على هذه الألسنة .

ولا ريب في أن بعض هذه المعجميات التي تشغل بعض الناس ، إنمـا تبشر بخير كثير ، لو أتيح لها أن تظهر إلى الوجود دون ما تعثر أو التواء ، أو ابتغاء المنفعة أو التجارة في وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى بذل الجهود ، وتضافر الهمم ، لإخراج معاجم ، تساير الحضارة ، وتضع للأجيال اللاحقة ما تبني عليه المجد والعزّ والجاه في ظل لغـــة العرب ، وبطولات الأقدمين .

(القاهرة) أبو طالب زيان

أبو حيان التوحيدي(١)

ربما كان هذا الأديب الفيلسوف أقل الأدباء حظاً وأكثرهم بؤساً ، ولعله ، من جهة أخرى ، كان من أقوى أهل عصره بديهةً وأشدهم ذكاءً وأسطعهم فكراً ، وكان لا يقف في صفه منافساً ولا يتعلق به مماثلاً إلا الجاحظ . وأنت تدري من هو الجاحظ عظمةً وعبقرية تنقطع دونها الآمال وتكبو وراءها الأماني . ولست أعلم من الأدباء الذين قرأت سيرهم رجلاً تعرض لمصاعب الحياة وشقاء الوجود كأبي حيان التوحيدي ، فقد كان فقيراً إلى أبعد حدود الفقر ، وكان لا يكاد يمسك أوده أو يتبلغ بطعامه ، لشدة إعراض الأيام عنه ، وانصراف الزمن إلى غير جهته ، وكأن ابن الرومي قد عناه في قوله :

أذاقتني الأسفار ما كرّه الغنى ... إليّ وأغراني برفض المطالب

فأصبحت في الإثراء أزهد زاهدٍ ... وإن كنت في الإثراء أرغب راغب

حريصاً جباناً ، اشتهي ثم انتقي ... بلحظي جناب الرزق لحظ المراقب

ومن كان ذا حرص وجبن فانه ... فقير أتاه الفقر من كل جانب

وكاتبنا هذا ، هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي ، وقد اختلف في أصل كنيته والرأي الأرجح أنه انتسب للمعتزلة لأنهم يسمون أنفسهم أهلَ العدل والتوحيد ومن هنا جاءته هذه الكنية . وهو عربي أصيل ،

(١) بمناسبة قرب صدور كتاب « أخلاق الوزيرين » أو « مثالب الوزيرين » ، من مطبوعات المجمع .

عاش عمراً مديداً إذ ولد في أوائل القرن الرابع للهجرة ومات في نهاية هذا القرن . ودفن في بلدة شيراز عام ٤١٤ للهجرة .

ومن ظلم الزمن لأبي حيان أنه ولد في العصر العباسي الثالث ، وهو العصر الذي ارتبكت فيه الأمور ، وأعضلت المشاكل ، وفسدت أمور الخلافة ، وتدخل في الدولة العربية الإسلامية من ليس منها ولا يمت إليها بصلة من جنس أو دين أو رأي أو ثقافة ، وتغلغل الأعاجم في جسم الأمة وكلهم يروم منها مكسباً أو يسعى ليقتطع مغنماً ، وقام الثائرون من كل جانب يريدون أن يتقسموا هذا الملك الباذخ والرقعة المتسعة ، فابن رائق يستولي على البصرة ، والبريدي يستأثر بالأهواز ، وأبناء بويه يحتلون فارس وما يتبعها من كور ومقاطعات ، وقامت الدولة السامانية في خراسان ، وتملك بنو حمدان في الموصل وديار بكر وربيعة ومضر ، وانتقلت مصر والشام إلى الاخشيدية ؛ والبحرين واليمامة في يد القرمطي ، والمغرب في حكم القائم العلوي ، والأندلس تحت سيطرة عبد الرحمن الناصر الأموي .

أما الخليفة في بغداد فقد اضطرب حبله ، وارتبك أمره ، وقام عليه من أعوانه الأتراك والفرس والديلم والأكراد من يريد الاستئثار بالملك دونه ، حتى لم يبق للخليفة المغبون الا الصورة ، بل اشتط هؤلاء الأعوان حتى أقدموا على قتل الخلفاء وخلعهم من مثل المقتدر والقاهر والراضي والمتقي والمستكفي ، وهم من الخلفاء الذين ذهبوا مثلما جاءوا لم يشعر بهم أحد ولم يخلفوا في هذه الدنيا من أثر إلا الحسرة على ملكهم العربي والعبرة فيما أصابهم من ريب الزمان وغير الدهر ، وهم الذين جنوا على أنفسهم أو جنى عليهم آباؤهم في التفاتهم إلى غير العنصر العربي ، واعتمادهم على من لا يحس كما يحسون ولا يشعر كما يشعرون ، ذلك أن القومية رابطة دونها كل رابطة وآصرة أضعف منها كل آصرة ، ولو اعتمد أولئك الخلفاء على العنصر العربي وحده ، لقوي الملك ورسخت أركانه وبذخ بنيانه .

في هذا العصر عاش أبو حيان التوحيدي ، وكان أشد الناس تأثراً بهذه الأحداث التي تتقطع لها الكبد وتسيل الدموع ، ولقد نزل بغداد وهو شاب صغير ، وأقدم على الدراسة ، فالتفت إلى النحو ثم الفقه والمنطق وعلم الكلام ، فلحظ عليه أساتذته وهم من جلة العلماء وأعيان الفكر أنه حكيم عظيم صافي الذهن يعتمد على عقله ولا يأخذ الأمور على ظواهرها ، ولا يتحيز لفئة ولا يتعصب لرأي .

وكان إجماع الأدباء على أنه أكثر الأدباء شبهاً بالجاحظ ، فقد التزم طريقته في التصنيف والتأليف ، ونبغ في مناحي شتى من أبواب المعرفة ، فهو شيخ في الصوفية ، وفيلسوف متأدب ، وأديب متفلسف ، وبليغ لا يدانيه بليغ . جمع في فكره من العلم ما لا يستطيع احتجانه عشرة رجال من الأذكياء ، ولكن الحظ ، والحظ وحده ، هو الذي حال دون ذيوع اسم هذا النابغة ، ومنع عليه أن يعرفه الأدباء والمؤرخون معرفة صحيحة حتى قال فيه ياقوت متعجباً : ولم أر واحداً من أهل العلم ذكره في كتاب ، ولا أدمجه في ضمن خطاب وهذا من العجب العجاب .

ولقد أخلص هذا الرجل الكبير للعلم اخلاصاً لا يكون إلا عند أولئك الذين تجعلهم الطبيعة وقفاً على التأليف واخراج الكتب ؛ وأكثر أبو حيان من تأليف المؤلفات ومن أشهرها : كتاب المقابسات ، وكتاب الاشارات الإلهية ، والردّ على ابن جني في شعر المتنبي ، وكتاب الإمتاع والمؤانسة ، وكتاب رياض العارفين ، وكتاب تقريظ الجاحظ ، وكتاب مثالب الوزيرين وهما ابن العميد والصاحب ابن عباد ، وكتاب الحج العقلي ، وغير ذلك كثير ، ويتبين من هـذا التنويع والتشكيل المدى الواسع الذي كان يشرف عليه عقل هذا الرجل ، فهو كما ترى يتنقل بين الفلسفة والأدب والفن والتاريخ مما يؤكد لنا أنه كان كفؤاً لكل دراسة وأهلاً لكل تمحيص .

أما طريقته الفكرية فتتلخص في أنه كان يميل إلى أهل التصوف من أصحاب الباطن كما كان أحياناً من أهل الظاهر فقد جمع النقيضين لقوة ذهنه ورجاحة فكره ، فهو لم يكن ناسكاً متطرفاً في الإعراض عن الدنيا وان كان يشارك هؤلاء في التفكير ولا يماثلهم في السلوك وطريقة العيش حتى عرف فيه هذان اللونان ، وقلده في ذلك جماعة جاءوا من بعده ، أما هو فلم يتقيد في حياته كلها بمذهب أو نظرية ،ولكنه عاش مع هـذه المذاهب وتنقل فيما بينها وساوي أصحابها أو بز أهلها حتى صار أعجوبة الزمن ومعجزة الدهر .

كان أبو حيان ، في جلالة قدره وعلو منزلته ، فقيراً معدماً مقتراً عليه في رزقه ، لم يُستعمل في الدولة لأن العمل في الدولة يناقض ما كان عليه من حب للقراءة وادمان المطالعة وانصراف تام للاطلاع ؟ ولم يلتفت إليه أصحاب الجاه والسلطان الالتفات الذي يليق به أو يتناسب مع مقامه العالي ، وكان للتوحيدي زميل في الفقر والعلم ، فكانا يتناجيان فيما آل اليه أمرهما من فاقة وعوز ، كما كانا ينعيان على الحظ هذا الظلم الفادح والغبن الظاهر ،كان هذا الزميل هو الفيلسوف الكبير أبو بكر القومسي ، وقد قال للتوحيدي في يوم من الأيام : ما ظننت أن الدنيا ونكدَها تبلغ من إنسان ما بلغت مني : إن قصدت إلى دجلة لأغتسل منها نضب ماؤها ، وإن خرجت إلى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلداً أملس . وهذا الوصف ذاته ينطبق على أبي حيان ، ولكن أبا حيان لم يكن صاحب شكوى إذ كان له من نفسه ما يمنعه من اظهار حاله وشرح ما يخصه .

كان ابن العميد والصاحب بن عباد وزيرين جليلين ، وكانا يتفضلان على أهل الأدب والعلم من اولئك الذين يخفضون لهم جناح الذل ، أما الذين يعرفون أقدار أنفسهم من مثل المتنبي وأبي حيان التوحيدي فلم تكن لهم

حظوة عند الوزيرين الجليلين ، والذي يبدو أن الوزيرين كانا يحبان المدح ، وكانا يريدان أن يجمعا اليهما دنيا السياسة والأدب ، فإذا عرفا أن من يقصد اليهما من الأدباء ، أديب له منزلته العالية خافا منه وتنكرا له ، وقلبا له ظهر المجن وتمحلا الأعذار في البخل ، وعمـــدا الى الإساءة اليه ليتخلصا منه حتى لا تكون هنالك فرصة المقارنة بينه وبينهما فيغلبهما في مجال التنافس والمقارنة . وهكذا اختلف ابن العميد والصاحب مع المتنبي ، حين حسداه وحاولا الإساءة اليه ولا سيا الصاحب ، وكذلك فعلا مع أبي حيان التوحيدي بعد أن انقطع اليهما فلم ينل منهما رغيبتـه ، وعاد بعد ثلاث سنين قضاها عند الصاحب دون أن ينال منه دانقاً أو درهماً . ولكن التوحيدي ليس من العلماء الذين يسكتون على الضيم ويتحملون الإساءة . وقد رزق من قوة الشكيمة والاعتداد بالنفس بحيث كان يرى الوزيرين بعين فكره . وهما صغيران هينان لا يستأهلان اهتماماً ولا يستحقان التفاتاً . ولقد كاف الصاحب ابن عباد أبا حيان بنسخ رسالة من رسائله تقع في ثلاثين مجلدة ؟ فقال له : نسخ مثل هذه يأتي على العمر والبصر . فحقد الصاحب عليه ذلك ؟ وكانت النتيجة أن كتب التوحيدي كتابه « مثالب الوزيرين » فاستفاد الأدب كتاباً جديداً على حساب هذا الخلاف الخصب . وكان لهذا الخلاف أثر مادي في أبي حيان فقد أعرض عنه الناس ارضاءً للوزيرين وتقرباً اليهما ، وأحدقت التهم بعد ذلك بأبي حيان وكانت هذه التهم في أكثرها دينية على عادة ذلك العصر ، وكانت الزندقة هي السبة التي يمكن أن توجه إلى الأظناء ، وقد لقي العلماء وأصحاب الفن والأشخاص البارزون عناء كبيراً من هذه التهمة ، وهكذا فقد اتهم الصاحب ابن عباد ، وهو الوزير القوي ، ابا حيان بالزندقة مما اضطره إلى الاختفاء ، وتعرض للقتل ، ولجأ إلى دياربكر حيث لقي إكراماً بالغاً من الوزير صمصام الدولة بن سعدان وله ألف كتاب « الصديق والصداقة » و كتاب « الإمتاع والمؤانسة » وهما من أشهر كتبه .

أما فنّ أبي حيان فينحصر في هذه الكتب التي ألفها ، وكانت تمتاز بأسلوب قوي أقرب الى أسلوب الجاحظ من حيث تقطيع العبارة وتقصير الجملة والإحساس الرقيق بالموسيقى اللفظية ، وسلامة الإنشاء ، إذا كتب لم تشرد عنه لفظة ولم تندّ عنه كلمة ، وهو يؤثر في ذلك بأذن سامعه وإحساسه حتى يجتذبه اجتذاباً ، واللغة عند التوحيدي وسيلة للتعبير ، لا طريقة للتظرف والتكلف ، فاذا وضع الكلمة فهي لا بد أن تقع في محلها الذي خلقت له بحيث لا يمكن إبدال غيرها منها ، لأن هذه اللفظة ذات علاقة وشيجة بالصورة التي تتكون من اجتماع الكلمات بعضها إلى بعض في عقد واحد . وقد قال أبو حيان في هذا المعنى : « والكلام إذا خرج في غير تكلف وكدّ وشدة تفكر وتعمل كان سلساً سهلاً ، وكان له ماء ورواء ورقراق ، وعليه فرند لا يكون على غيره مما عسر بروزه واستكره خروجه » .

ولعل هذه العبارة تعطيك صورة واضحة عن طريقة أبي حيان في الكتابة ، وبعده عن التكلف والتعمل ، وهي صنعة الأديب الموهوب المطبوع ، ولعل من أهم أسباب الخلاف الذي نشب بين أبي حيان والوزيرين ، أن الوزيرين كانا متكلفي الأسلوب متصنعين في إخراج أدبهما وهذا ما جعل أبا حيان يستثقل ظلهما وينظر اليهما نظرة لا يخالطها إعجاب وربما صرح بذلك ، وهذا ما أحنق الوزيرين عليه ، إذ من العسير أن يصحب الأديب من لا يجود عليه بالإعجاب ، وهذه الصفة من مستلزمات الأدباء في كل الأمم والعصور .

واقرأ هذه العبارة من كتابه (ثمرات العلوم) : « أطال الله بقاءكم ، وأدام كرامتكم ، وحرس نعمه عليكم ، وحفظ مواهبه لديكم ، ولا أخلاكم من عوائده الجسيمة ، وفوائده الكريمة ، وقد كان يقال من لم

يغضب لنفسه ناصراً ، لم يغضب لبني جنسه منتصراً ، ومن لم يقف عند العظيمة منتصفاً ، لم يرج عند النوائب مسعفاً ، ومن لم يأنف من القذع في عرضه آبياً ، لم يبت على الخسف إلا راضياً ، والغضب وإن كان مذموماً عند بعض الخلال ، فإنه محمود في بعض الأحوال ، وكما أن استمرار الغضب في جميع الأحوال ، نوع من فساد الأخلاق ، كذلك أيضاً الرضا في جميع الأمور ضرب من ضروب النفاق ، ولا بد من التقلب بين الرضا والغضب ، كما أنه لا بد من التردد بين الراحة والتعب » .

ولقد سقت لك هذه العبارة لتتبين قوة الفكر وصفائه وسلاسة الإنشاء عند هذا العبقري .

أما في الشعر فإن الزمن لم يحفظ لأبي حيان إلا بعض أبيات قالها مصادفة ، فإن نسكه كان يمنعه من ذلك ، لأن للشعر دوافع ودواعي لم تكن متوفرة له ، أما هذه الأبيات فقد جمعت في قطعة واحدة مشهورة مطلعهـــا :

يا صاحبيَّ دعا الملامة واقصرا   ترك الهوى يا صاحبي خسارة

الى أن يقول هذا البيت المشهور :

يا من أحب ولا أسمي باسمها   إياك أعني واسمعي يا جارة

وإني لأشك شكاً كبيراً في نسبة هذه الأبيات إلى أبي حيان فهي لا تنسجم مع تاريخه وحياته وأسلوبه الكتابي ؛ أو ربما كانت من شعر الصبا الذي يبدأ الأديب به حياته الأدبية حتى إذا وجد التقصير حليفه أقلع عنه كما فعل الكثيرون من الأدباء في مطلع حياتهم .

ومما يؤسف له أسفاً شديداً أن التشاؤم قد امتد بأبي حيان بعد ما أصابه من أحداث الزمان فعمد الى إحراق كتبه ؛ ولولا أن سبق للناس تلقفُ ما كتبه وحفظه لخسرت اللغة العربية كل آثار هذا الكاتب

العبقري . وأبو حيان يعتذر عن إحراق كتبه بأعذار واهية إن قبل بعضها بعض أهل عصره فنحن في زمننا نردها إليه جملة ولا نقبل منها شيئاً ، لأن النتاج العقلي ملك للناس جميعاً لا للشخص الذي خرجت على يديه ، والمنتحر لا يعذره الدين كما لا يعذره القانون ، لأن نفسه ليست له وإنما هي أمانة وضعت في جسمه .

ذلك هو الرجل الكبير الذي أوردت لك شيئاً من سيرته في هـــذا المقال لتقف على صورة من أزهى صور التاريخ الأدبي عند العرب في عصر من أزهى عصورهم الفكرية .

أحمد الجندي

التعريف والنقد

(مكتب عنبر)

بقلم الأستاذ النقيب السيد ظافر القاسمي

عدد صفحاته ١٤٠ من القطع الوسط ، طبع في المطبعة الـكاثوليكية
في بيروت سنة ١٩٦٤

مَن تصفح هذا الكتاب للـكاتب المؤرخ الأديب السيد ظافر القاسمي ، رأى فيه العجب العجاب ، من سيرة أئمة العربية والدين ، الذين كانوا مجدّين في تعليم الطلاّب ، مختلف العلوم والآداب ، فقد كانوا قدوةً صالحةً في تربيتهم وتعليمهم ، وصدق وطنيتهم ، ودفاعهم عن بلادهم بما أوتوا من قوة ، وكان لطلابهم فيهم أسوة حسنة . رحم الله من مضى منهم ، وحفظ من بقي ذخراً لأمتنا وفخراً .

(مكتب عنبر ، وما أدراك ما مكتب عنبر !)

لقد كان معقلاً للوطنية ، ومرجعاً للغة العربية بأدبها وأخلاق أهلها ، فمن أساتذة اللغة والدين ، هؤلاء العلماء الأجلاّء : الشيخ عبد الرحمن سلام ، والشيخ محمد الداوودي ، والشيخ عبد القادر المبارك ، والشيخ سليم الجندي ، ومن كبار أساتذتها محمـــد البزم . ومن الأبطال الذين أقاموا صرح العلم والوطنية والأخلاق ـ كما قال المؤلف ـ : جودة الهاشمي ، ومحمد علي الجزائري ، وجميل صليبا ، وجودة الكيال ، ويحيى الشماع ، وحسن يحيى الصبان ، وغيرهم من هذه الطبقة العالية الغالية . فقد تخرج على

أيديهم ألوف كثيرة من الطلاب . أما هذا الضعيف فقد جمعتني ببعضهم مهمة التعليم في المدارس الرسمية كتجهيزي الذكور والإناث . ومنهم مَن تولّى الإدارة مع التعليم . والرعيـــل الأول ، الذي تخرج على أيديهم لا نظير لهم في مَن جاءوا بعدهم .

ثم ذكر المؤلف المحسن والمسيء من أساتذته الفرنسيين ، مقيماً ميزان النصفة والعدل بينهم ، ونوّه بالمودة الثابتة الدائمة ، على القرب والبعد ، بينه وبين أستاذ له وصديق في مكتب عنبر من الفرنسيين (١) وبينه وبين طالب مسلم تركي ، فأما الأستاذ فيكاتبه بالفرنسية ، وأما الطالب فيكتب بالعربية بعد سنين طويلة ، إذ يرى أنها لغة كلّ مسلم ، ويجب المحافظة عليها .

وفي طليعة الكتاب مقدمة حافلة بقلم الأستاذ الكبير الشيخ علي الطنطاوي وهو من طلاّب مكتب عنبر أيضاً وزميل المؤلف في حياته العلمية والأدبية ، فكانت مواردهما ومصادرهما متشابهة ، وقلمهما يجري في هذا السبيل جريان الماء العذب السلسبيل .

(اللغة العربية والإسلام)

إن أفضل وسيلة لتعود اللغة العربية لنا ، لغةَ محادثة وكتابة وخطابة ، ويكون الإسلام لناشئتنا ديناً ، علماً وعملاً واعتقاداً ، هو قيام أساتذة اللغة والدين ، بواجبهم العربي والإسلامي على الوجه المطلوب ، فإنا نرى الأجانب في بلادنا يكلمون أولادنا بلغتهم الأعجمية ليسهل عليهم تعلمهـــا والنطق بها ، فهل يكون أساتذتنا أقل حظاً ونصيباً في تعليم اللغة العربية والدين من الأجانب في ديارنا . وهذه كلمة لأحد حكماء الإسلام ، في هذا الموضوع العام ، قال : أما سير الإسلام مع اللغة فقد كان من العجائب التي لم يعهد لها نظير في التاريخ :

(١) الأستاذ غولميه Gaulmier .

لم يمض على انتشار الإسلام في بلاد الروم والفرس ، وبلاد افريقية وغربي أوربا إلاّ زمن يسير ، حتى علت اللغة العربية على لغات هذه الأمم ، بل نسختها كما تنسخ آية النهار آية الليل ، من غير مدارس ولا معلمين ينصرفون إلى تعليم اللغة . فهذا دليل على أن الصحابة الكرام ، ومن اهتدى بهديهم من الفاتحين كانوا يلقنون الناس الدين على وجه يبعثهم على تعلم العربية من أنفسهم ، وما كان ذلك الانتشار إلاّ بهذا الوازع النفسي الذي يفعل ما لا تفعل السياسة ولا المدارس ، وما أوقف هذا السير إلاّ ضعف الدول العربية ، ووثوب الأعاجم على عروشها ، وإفتاء علماء الأعاجم بجواز العبادة وقراءة القرآن والذكر في الصلاة باللغات الأعجمية .

ويلاحظ أن اللوحة (بعد ص ١١٢) وفيها صورة زيارة الملك فيصل لمكتب عنبر (عام ١٩٢٠) انها كانت أخذت في دار المعلمين الأولية في كرخ بغداد .

وأختم كلمتي باسداء الشكر للأستاذ المؤلف السيد ظافر الذي نالني شرف تدريسه الحديث والتوحيد ، فقد نوّه بي في هذا الكتاب الوحيد من نوعه ، بوصفي بما أملاه عليه فضله ونبله ، على أني أحمده سبحانه وأشكره على أن كنت تلميذ علاّمة الشام في المعقول والمنقول : والده أستاذنا الشيخ محمد جمال الدين القاسمي ، فإليه يعود الفضل كلّه ، رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وحفظ لنا نجله الذي يعيد لنا مجد أبيه ، جدًّا واجتهاداً ، وهمة ونشاطاً ، بمنه وكرمه .

محمد بهجة البيطار

ملاحظات وتعليقات [1]

على (دِعبل بن علي الخزاعي ـ دراسة تحليلية لحياته وشعره)

تأليف الدكتور : عبد الكريم الأشتر

نشر الدكتور عبد الكريم الأشتر الأستاذ بجامعة دمشق : دراسته التحليلية لحياة دعبل بن علي الخزاعي وشعره سنة ١٩٦٤ بدمشق ، وانتهت اليّ نسخة منها ، في وقت تعوقني فيه عدةُ عوائق ُقدِّرَ لها أن تتزاحم وتتفاقم في وقت واحد ! فرأيت أن أُؤجل النظر فيها إلى فرصةٍ سانحة ، ثم إلى أن يصل إلي ما جمعه الدكتور وصنفه من شعر دِعبل ، ولكن الكتاب كان ُنصبَ عيني من جهة ، وموضع اهتمامي من جهة أخرى ، فتركتُ ما يجب أن يكون إلى ما هو كائنٌ ، وبدأتُ أقرأ .. في ضوء فكرةٍ قديمة عن الدكتور في معاناته الطويلة ، وأتعابه الكثيرة ، لدراسة حياةِ دعبل وشعرهِ ، وكانت هذه الفكرة مشبعةً بالشعور بصبر الدكتور وجلده على مواصلة التتبع والتحري والاستقصاء فيا يخص هذا الشاعر الكبير والوقوف على منازعه واتجاهاته ...

وقد أفلح الدكتور الأشتر إلى حدٍ بعيد في وقفاته على مختلف الأبحاث والدراسات والكتب والمقالات ـ على اختلاف مذاهب ومشارب ذويهـا ومؤلفيها ـ في هذا الشأن ... ولا أراني بعيداً عن الصواب إذا ما قلتُ انه قد ألمّ بأكثرها الماماً محموداً ، وكانت الفِكَرُ والإشاراتُ التي قدّمها إلى القراء عما كُتبَ عن الشاعر في الغابر والحاضر ، شيئاً مهماً ! .

(١) أثبتنا أهم اللاحظات والتعليقات الواردة في مقال الأستاذ الدجيلي ، ونعتذر عن نشر البحث كاملاً لطوله . (لجنة المجلة)

أما الدراسة التحليلية هذه فقد كان الدكتور موفقاً في أكثر مواردها كما وُفّقتْ هي الأخرى فكانت كتاباً مستقلاً عن حياة دعبل وسيرته مع لمحاتٍ عن شعره ، وقد دلّت على مدى الجهود التي بذلها الدكتور فيها ، لولا ما شابَها من تطويل في التعبير ، وتكرار في المعاني وتناقض في بعض الأفكار أو تفسير لبعض المواقف لا يتفق والواقع . ولولا عدم تبويبها ..

وقد عنّت لي في أثناء قراءتي ملاحظاتٌ وتعليقاتٌ هامة رأيت أن ادوّنها استجابةً للأخ الدكتور ، وخدمةً لهذا التراث الجليل ، وها أنا الآن اقدّمها للقراء منبّهاً إلى أنها بعض ما لاحظته على كتاب الدراسة ، ولعلي أعود مرةً أخرى عند سنوح الفرصة ، راجيــاً منه تعالى أن يمدّنا بالصحة والأمان ..

☆ ☆ ☆

١ ــ لفتَ نظري عدم افتتاح الكتاب بالبسملة ! وهذه عادة درج عليها بعض كتابنا ، لم اهتدِ إلى تفسيرها !

٢ ــ في ص ٨ قال عن دعبل : « ولكنه في السنوات الأخيرة منها (من حياته) ، وقد استكان قليــلا ، كأنما خمدت الجذوة ، يلجأ إلى إلى النثر فيكتب كتابين في طبقات الشعراء ومثالب العرب ومناقبها .. »

آ ــ كيف نوفق بين هذه الاستكانة وهجائه للمتوكل في أيامه الأخيرة ، بالبداهة ؟ بل وهجائه لمالك بن طوق الذي دبّر لاغتيال دعبل ؟ ثم أليس هذا يناقض قول الدكتور ص ١٩٤ « وكان دعبل بعد أن ولي المتوكل قد طعن في السنّ ولكنه لم يتعب من المغالبة » ! وقوله ص ١٩٧ : « فأي رجل في مثل السنّ التي بلغها دعبل تبقى له مثل هذه الأنياب الحادة ؟ وأي أتونٍ لا يبرد في أعماقه .. »

ب ـ وما هو الدليل على أنه ألف كتابيه في أيامه الأخـيرة ؟ أما ما ذهب اليه الدكتور من أنه ترجم لأحمد بن أبي دواد المتوفى ٢٤٠ هـ ـ كما في ص ٢٧٩ ـ فهو غير مقبول ، ولا يصح الاستدلال به على ذلك إذ قد يكون ترجم للمذكور في حياته ـ وقد كان شائعاً ، حتى اليوم تدوين (التراجم) في حياة ذويها ، وهو كثير في الكتب .

٣ ـ في ص ١٨ قال : « فلا يبعد كثيراً اذن أن تكون النسبة الى بديل من عمل رجال من الشيعة ظنوا انهم يكسبونه به شرفاً يمحو ما علق به من قالة السوء » .

هذا غير صحيح ، ان الشيعة لا تزوّر أبداً ، لأن قالة السوء هي من تقوّلات المؤرخين ، وذوي النيات غير الحسنة ، مع علمنا بأن إضفاء النسب أو عمله لا يدرأ عن صاحبه قالة السوء أو يمحو ما علق منها .

٤ ـ في ص ٢٣ قال « وقد كان دعبل يجهل معنى اسمه حتى فسّره له أبو عمرو الشيباني يوماً . » نقلاً عن الأغاني .

وأبو عمرو الشيباني هذا معاصر دعبل وقد توفي ٢٠٦ هـ وأعتقد ان الدكتور لو تأمل هذا الخبر لما كتبه ازدراءً به ، الاّ أن يكون قد تألّى يميناً على كتابة كل شيء ! . كيف يُعقل أن يجهل معنى اسمه (أو لقبه) رجل من صميم العروبة ، وشاعر مثقف مثل دعبل بشهادات الدكتور ، مع أنّ هناك أخباراً يرويها دعبل أو يذكرها عن اسمه وما حدث له ، لم يذكرها الدكتور ! وكان تعقيبه على خبر الأغاني بقوله : « ونعتقد أنه لو كان لقباً لُقب به لما جهل معناه بعد أن تقدمتْ به السن » وهذا أعجب من الخبر ! ..

٥ ـ وفي ص ٢٧ ـ ٢٩ قال : « وليس في الوسع أن نقبل ما روي في مصدر من مصادر الشيعة من عدّه في المقتصدين .. » نقلاً عن معالم العلماء

لابن شهراشوب ص ١٣٩ ثم أخذ الدكتور يفنّد ذلك ، يفند كون دعبل مقتصداً بما عرف عنه من إكرام الضيف ، وذمه البخل والمطل ، ويورد الشواهد من شعره على ذلك .. وغيرها .

ثم قال في ص ٢٩ « ونعتقد ان الأصل في رواية ابن شهراشوب عن عدّه في المقتصدين ما نعرف من زيارته لسهل بن هارون الذي كان يُرمى بالبخل ويحتج له ، ورواية دعبل عنه حكاية الديك .. »

آ ـ ليس في معالم العلماء لابن شهراشوب (ـ ٥٨٨) أية رواية بهذا المعنى اطلاقاً .

ب ـ وقد جاء في أواخر الكتاب ما يلي بالنص « باب في بعض شعراء أهل البيت عليهم السلام ، وهم أربع طبقات : المجاهرون والمقتصدون والمتقون والمتكلفون » ثم أخذ المؤلف ـ أعني ابن شهراشوب ـ يعدد أسماء رجال كل طبقة من هذه الطبقات بعنوان (فصل) . وكان دعبل مع جملة من مشاهير وكبار العلماء والأدباء والشعراء في فصل المقتصدين . . . أي المقتصدين في الدعوة والمجاهره بالتشيع ، لا المقتصدين بالإنفاق والبذل ! ـ كما وهم الدكتور ـ .

وعلى هذا فلم يقصد ابن شهراشوب من عده في المقتصدين المعنى الذي فهمه الدكتور .

جـ ـ كان الأولى بالدكتور أن ينقد من اتهم دعبلاً بالبخل صراحةً ففي المنتخل ـ المطبوع بذيل المنتحل للثعالبي ـ لأحمد الأزهري أبي علي ص٣٢٢ قال عن دعبل : « وكان شديد البخل ونوادره في ذلك شتى » !! وكنت قد رددت ذلك في الديوان ص ٤٨ .

هـ ـ اما ما ذهب اليه الدكتور من تفسير المقتصدين بالبخلاء كما يفهم من كلامه فغير صحيح ، والذي نعرفه من اللغة ان الاقتصاد ضد الافراط أي

ضد التبذير ، وفرق بين البخــل والاقتصاد ، والاقتصاد هو الاعتدال والاستقامة « والذين إذا أنفقوا لم يُسرِفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قَوَاما ـ سورة الفرقان » وقيل قديماً : « لا وجود مع تبذير ولا بخل مع اقتصاد » ولا يصح تفسير (ما عالَ مَن اقتصد) ـ أو أعال ـ بمن بخل ..

٦ ـ وفي ص ٢٩ ـ ٣١ قال : « وكان يكثر من شرب الخمر على عادة أغلب شعراء العصر بدليل ما بقي من شعره ... وفي ص ٣٠ : ويغلب على الظن انه ظل يشربها حتى غلب عليه الكِبَر ... وفي ص ٣١ : على انه كان لا يشربها صرفاً بل يمزجها بالماء لأن الصرف يورث الحتف ... » ثم : « وكان أولاده يعرفون ـ على ما يبدو ـ ولعه بالخمرة حتى ان عليـاً وهو أكبرهم روى انه : لما حضرت أبي الوفاة تغير لونه وانعقد لسانه واسود وجهه ، فكدت الرجوع عن مذهبه فرأيته بعد ثلاثة أيام فيما يرى النائم وعليه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء فقلت له يا أبتِ ! ما فعل الله بك ؟ فقال : يا بني ان الذي رأيته من اسوداد وجهي وانعقاد لساني كان من شربي الخمر في دار الدنيا .. » نقل الخبر عن (عيون أخبار الرضا لابن بابويه ص ٢٧٠ وعنه في منتهى المقال لأبي علي ص ١٣٢) .

وقد بتر الدكتور الخبر من أوله وآخره ! وتتمته : « في دار الدنيا ولم أزل كذلك حتى لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وعليـــه ثياب بيض وقلنسوة بيضاء ، فقال لي : انت دعبل ؟ قلت : نعم يا رسول الله ! قال فأنشدني قولك في أولادي فأنشدته قولي :

لاأضحك اللهُ سنّ الدهر إن ضحكت وآل أحمد مظلومون قد قهروا
مشردون نُفوا عن عُقر دارِهمُ كأنهم قد جنوا ما ليس يُغتفر

قال : فقال لي أحسنتَ ، وشفع في وأعطاني ثيابه وها هي وأشار الى ثياب بدنه » .

هـــذه بقية خبر عيون أخبار الرضا ونقل الخبر عنه أبو علي في « منتهى المقال » .

أقول : أما الاستشهاد بالشعر في ذكر الخمرة ووصفها ومعاطاتها وغير ذلك من الأخيلة فيها ، فلا يدل على شربها واحتسائها وقد وصفها كثير من الشعراء وصف عالم بفعلها ، خبير بمرارتها وحرارتها ، دون أن تمس شفاههم قطرة منها ، ومن هؤلاء من هم في عداد رجال الدين والعلم ، ولو كان في هذا المجال متسع لشفعتُ ذلك بالأمثلة الكثيرة ولأوردتُ نماذج غير قليلة في ذلك ، كما ادعى كثير من الشعراء دعاوى عريضة في الفخر والشجاعة والكرم ، والوطنية وغيرها ولم يكن واقعهم ليدل على ذلك ! ..

٧ ـ وفي ص ١٤٣ قال : « فأما الحِجاج فلم يكن دعبل يطيقه لما نعرف من حرارة مزاجه وتوثب قلبه في الشعر ، ولأن دعوى الهاشميين في الخلافة وقد كانت قويّة في أيام الكميت ـ ضعفت حجتها كثيراً بعد أن تولّى العباسيون الخلافة » .

والظاهر انها دعوى العلويين في أيام الكميت وبعده لا دعوى الهاشميين من العباسيين ، ولم تضعف حجة هذه الدعوى ـ أعني دعوى العلويين في كلتا الدولتين كما هو معروف ..

٨ ـ ص ١٩٤ قال : « فلما خرج المتوكل إلى تعقُب الشيعة شدد النكير عليهم وهدم قبور آل البيت في كربلاء والنجف سنة ٢٣٦ هـ » .

والمعروف عن المتوكل انه تعرض لمرقد الإمام الحسين بن علي في كربلا ومنع الناس من زيارته ، ولم يرد شيء عن تعرضه لمرقد الإمام علي في النجف . وفي طبقات الشافعية الكبرى « ٢١٦/١ » لتاج الدين السبكي (ـ ٧٧١ هـ) قال عن المتوكل « وأمر بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من الدور وان يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وتألم المسلمون لذلك

وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه دعبل وغيره من الشعراء وقال قائلهم :

تالله إن كانت أمية قد أتت   قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثـله   هذا لعمرك قبره مهـدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا   في قتلـه ، فتتبعوه رميا

٩ - وفي ص ٣٠٣ قال - عن المقدمة التي قدمتُ بها (ديوان دعبل ابن علي الخزاعي) - « .. تجميع طويل جاد .. تحكمـه فكرة مسبقة بالدفاع عن الشاعر وإعلاء شأنه ومذهبه ، ولو كلفه ذلك تكذيب الموثوق من أخبـاره ، والطعن على معاصريه ومهجويه . . وقد أكثر الكاتب من ادراج النقول الواسعة عن كتب الشيعة حتى وقع في استطرادات غريبة ، ونحسب أنه لم يصل - مع ذلك - إلى شيء كبير يوقف عنده .. »

هذا هو رأي الأخ الدكتور ، وفيه تحامل على الكاتب وعلى ما كتب ! فهذه المقدمة التي بلغت الثمانين بالحرف الدقيق لم تصل إلى شيء كبير يوقف عنده في رأيه ! وهذه المقدمة التي لم تكن تجميعاً لفظيا ، بل تجميعاً للمعاني المضغوطة فيها ، مرتبة ومبوّبة ، قال الدكتور عن كاتبها : تحكمه فكرة مسبقة بالدفاع عن الشاعر ! ...

هذا كلامٌ ليس فيه نَصَف ، ولم يكن جديداً لما يتهم به الدكتور فكثيراً ما قال مثل هذا المنتقِدون غير المنصفين في المنتقَدين !! وقلما رُوعيتِ الحقيقية ، وقد وُجّه بالنقد إلى دعبل أكثر من مرة ولم يُحمد في بعض تصرفاته ، في هذه المقدمة التي عابها الدكتور .

أما ما قاله عن تكذيب الموثوق من أخبـاره والطعن على معاصريه ومهجويه ، فهو في رأيه ، لأني لم أكذّب الموثوق من أخباره في رأيي ، والذي لا يحتمل الشك ورود أخبار وروايات بقصد الإساءة اليه والحطّ منه ،

وقد أورد أبو الفرج أخباراً متضاربة متناقضة ، بعيدة عن الحقيقة ، دون تحقيق أو تمحيص ، وجاء الذين أخذوا عنه فزادوا وأضافوا من (عندياتهم) الكثير من الطعون ! . .

ألم يقل الدكتور نفسه ص ٣ « فأكثر هذه الترجمات أخبار متفرقة وروايات متضاربة ، موجهة في بعض الأحيان . »

ألم يقل ص ٢١٤ – ٢١٥ « ونخشى أن يكون لما قذفته به أكثر مصادرنا الأدبية ولما اختارت له من شعره أثر في الأحكام التي ترمي الشاعر بكل نقيصة حتى تجعله عصارة اللؤم المصفى ، ونخشى أن يسأل أبو الفرج نفسه صاحب السلطان الواسع على معظم تراثنا الأدبي القديم عما شاع من ذلك في هذه المصادر ، كما يسأل عن كثير من مثل هذه الأحكام ! »

ليَعُدْ الدكتور الى أقواله ويتأملها ! . .

وأود – وأنا أرجو أن أعود الى تحليل « الدراسة التحليلية » أن أذكر شذراتٍ قليلةً جداً من أقوال العلماء والباحثين عن مقدمة ديوان دعبل الذي نشرته سنة ١٩٦٢ م للموازنة بينها وبين قول الدكتور الأشتر :

قال العلاّمة الأمير الرئيس مصطفى الشهابي في ١٩٦٢/١٢/٩ من رسالة : « وأثني على التحقيقات الدقيقة وعلى إنصاف ذلك الشاعر الفذ » . وقال الأستاذ الكبير السيد جعفر الحسني في ١٩٦٤/١/١٤ من رسالة : « أهنئكم على هذا الجهد الكبير فقد أحسنتم الجمع والتحقيق والتعليق أحسن الله اليكم . . » وقال الأستاذ البحاثة كوركيس عواد في ١٩٦٢/٩/١ من رسالة « وهي تحفة أدبية رائعة قد أوفت على الغاية في بعد التحقيق والتدقيق ، وفي كل صفحة من صفحات هذا الديوان يتجلى ما بُذل من جهد وعناية بالغين في إخراجه بهذا الوجه العلمي الذي يستوجب كل مديح وثناء ، وما أثمن هذه المقدمة التحليلية التي صدرتم بها هذا الديوان للتعريف بدعبل ، وعندي أنها خير ما كتب في هذا الشاعر . . » وقال العالم المحقق توفيق

الفكيكي في بحثه الطويل المنشور في مجلة المكتبة ، تشرين الثاني ١٩٦٢ : « . . فقد كان الأستاذ الدجيلي موفقاً غاية التوفيق ، بالغاً الغاية المنشودة التي كثيراً ما قصر عن بلوغهـا بعض أصحاب (الدكترة) والدراسات الجامعية . . . »

هذه فقرات من عشرات ، وسننشرها ان شاء الله في المستدرك أو في طبعة الديوان الثانية .

* * *

ملاحظات وأخطاء :

لاحظت هذه الأخطاء في مصادر ومراجع (الدراسة التحليلية) ومنها أخطاء هامة جداً ، ولم أجزم بأنها كل ما لاحظت :

١ ـ جاء في ص ٣٠٨ « الإرشاد لأبي علي الحسن بن محمـد الطوسي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) .

والصحيح : لأبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي . وسنة وفاته كما ذكرها .

٢ ـ وجاء في ص ٣١٠ : البداية والنهاية لابن كثير القرشي . . . عشرة أجزاء والصحيح : ١٤ جزءاً .

٣ ـ وجاء في ص ٣٢١ : سنة وفاة ابن النديم صاحب الفهرست (٤٣٨ هـ) والصحيح : ٣٨٤ هـ أو ٥ .

٤ ـ وجاء في ص ٣٢٣ « المصون لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ..

وقد اشتبه الدكتور والتبس عليه الأمر فنسب الكتاب لأبي هلال العسكري وذكر وفاته ٣٩٥ بينما المصون لأبي أحمد العسكري المتوفى ٣٨٢ هـ وهو أستاذ أبي هلال مؤلف (ديوان المعاني) و (الصناعتين) وعلى المصون

اعتمد أبو هلال في النقل والنقد في كتابيه المذكورين وقد اتفقا في اسميهما واسمي أبويهما وجديهما !

٥ - وجاء في ص ٢٢٥ : تاريخ وفاة الميرزا محمد الاسترابادي صاحب منهج المقال (ت ١٣١٣) وكان الدكتور قد ذكر تاريخ وفاته في ص ٢٩٢ بالحاشية (١٣١٢) .

والصحيح أن تاريخ وفاته هو سنة (١٠٢٨ هـ) .

٦ - وجاء في ص ٣٢٧ : تاريخ وفاة المؤرخ محمد بن يوسف الكندي سنة ٣٥٥ هـ والصحيح انها سنة ٣٥٠ هـ .

* * *

أخطاء الكتاب !

وقد صححتُ الأخطاءَ التي نبّه عليها بجدول في آخر الكتاب قبل قراءته غير اني عثرتُ على الأخطاء الآتية التي لم ينتبه اليها الدكتور لينبّه عليها ، فدونتُها اثناء القراءة ، وربما فاتني غيرها لم انتبه اليه :

ص	س		
٤٩	٤	تشيعو	— تشيعوا
٥٧	٤	الجائرة	— الجائزة
٦٢	٢	ببلدتهَ	— ببلدتهِ
٦٨	—	تكرر رقم ٣ مرتين في الأصل .	
٧٧	٤	من وَلدَ	— من ولدِ
٩٢	١٣	ثلاثون حجةٍ ...	حجةً
٩٢	١	ويتراءى له آل البيت مهزوابن متعبين وخصومهم غلاظ عراض والصحيح : غلاظاً عِراضا .	
١٠٨	١	ونكن	— ولكن

ص	س			
١٠٨	٢	قبل شر الخلق	—	قبر شر الخلق
١١٣	١٢	سنوات قلية	—	.. قليلة
١١٧	٣	على ضوء	—	والصحيح في ضوء
١٢٢	٨	بأل يجيئه	—	بأن . . .
١٢٤	٧	علاقات	—	والصحيح علائق ، تكررت
١٢٥	٩	بالمبلونَ	—	بالمليونِ
١٤٣	١٣	الدعوة التي يدعوها	—	يدعو اليها .
١٤٤	١١	علاقات	—	علائق
١٤٤	١٢	فاعاد بذلك تصورُ	—	. . . تصورَ
١٥٧	٤	وجيدةُ	—	وجيدهُ
١٦٨	١٣	أُنكرهتَم	—	أُنكرهُم
١٧٢	—	اختلاف أرقام الحواشي		
٢٠٩	٣	واسقيهِمْ	—	واسقِهِمُ
٢٣٥	١١	سثلم	—	سيثلم
٢٧٩	١١	بما خزائن	—	بما في خزائن
٢٨٠	١٦	المقرطة	—	المفرطة
٢٩٠	٥	كتبة	—	كتبه

هذا آخر ما لاحظته في قراءتي للكتاب السريعة وأرجو المعذرة من الصديق الدكتور ومن القراء الكرام .

(النجف) عبد الصاحب عمران الدجيلي الخزرجي

آراء وأنباء

انتخاب نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

عقد بتاريخ ١٩٦٤/١١/١ مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق اجتماعاً قانونياً انتخب فيه بالإجماع العضو العامل الأستاذ عز الدين التنوخي نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية الشاغرة وصدر بذلك قرار سيادة وزير التربية والتعليم الآتي :

قرار رقم (٢٤٤٣)

وزير التربية والتعليم

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لعام ١٩٦٠ ولا سيما المادة (٨) منه .

وعلى القرار رقم (٣١) عام ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية .

وعلى القرار الوزاري رقم (٤٨) تاريخ ١٩٦١/٦/١٦ الصادر تنفيذاً لحكم المادة ٢٥ من القرار ١١٤٤ المذكور .

وعلى ضبط الجلسة القانونية التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني ١٩٦٤ والتي تم فيها انتخاب نائب الرئيس .

يقرر ما يلي :

مادة ١ ـ يعين الأستاذ عز الدين التنوخي عضو مجمع اللغة العربية العامل نائباً لرئيس مجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات من تاريخ هذا القرار .

مادة ٢ ـ يتقاضى الأستاذ عز الدين التنوخي نائب رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق تعويضاً شهرياً معادلاً لراتب الدرجة الثالثة من المرتبة الأولى ، ويصرف من الباب الأول (الرواتب) من موازنة المجمع .

مادة ٣ ـ ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه .

دمشق في ١٣٨٤/٨/١٧ و ١٩٦٤/١٢/٢١

وزير التربية والتعليم

مصطفى حداد

تجديد انتخاب أمين مجمع اللغة العربية بدمشق

عقد بتاريخ ١٩/١٢/١٩٦٤ مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق اجتماعاً قانونياً جدد فيـــه انتخاب الأمين السابق الأستاذ جعفر الحسني بالإجماع وصدر بذلك قرار سيادة وزير التربية والتعليم الآتي[١] :

قرار رقم (٢٤٥٠)

وزير التربية والتعليم

بناء على القرار الجمهوري رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ ولا سيما المادة (٨) منه .

وعلى القرار رقم (٣١) لسنة ١٩٦١ المتضمن اللائحة الداخلية لمجمع اللغة العربية ولا سيما المادة ٣٧ منه .

وعلى القرار الوزاري رقم (٤٨) تاريخ ١٦/٦/١٩٦١ الصادر تنفيذاً لحكم المادة (٣٥) من القرار ١١٤٤ المذكور .

وعلى ضبط الجلسة القانونية التي عقدها الأعضاء العاملون بمجمع اللغة العربية بدمشق في ١٩/١٢/١٩٦٤ والتي تم فيها انتخاب أمين المجمع

يقرر ما يلي :

١ – يجدد تعيين الأستاذ جعفر الحسني أميناً لمجمع اللغة العربية بدمشق لمدة أربع سنوات من تاريخ ٥/١/١٩٦٥ .

٢ – يتقاضى الأستاذ جعفر الحسني أمين المجمع تعويضاً شهرياً معادلاً لراتب موظفي الدرجة الثالثة من المرتبة الأولى . يصرف له من الباب الأول (الرواتب) من موازنة المجمع .

٣ – ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذ أحكامه .

دمشق في ١٨/٨/١٣٨٤ و ٢٢/١٢/١٩٦٤

وزير التربية والتعليم

مصطفى مراد

---

(١) جدد انتخاب الأستاذ الأمير أميناً للمجمع للمرة الثالثة .

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ 〃 احمد الطرابلسي
٤ الأمير جعفر الحسني (أمين المجمع)
٥ الدكتور جميل صليبا
٦ 〃 حسني سبح
٧ 〃 حكمة هاشم
٨ 〃 سامي الدهان
٩ الاستاذ شفيق جبري
١٠ الدكتور شكري فيصل
١١ الاستاذ عارف النكدي
١٢ الدكتور عدنان الخطيب
١٣ الاستاذ عز الدين التنوخي (نائب الرئيس)
١٤ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٥ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٦ 〃 محمد كامل عياد
١٧ الاستاذ محمد المبارك

الأعضاء المراسلون

الجمهورية العربية السورية

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي
٢ الاستاذ عمر ابو ريشة
٣ 〃 محمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل)
٤ الدكتور قسطنطين زريق
٥ الاستاذ نظير زيتون

الجمهورية العربية المتحدة

٦ الاستاذ احمد حسن الزيات
٧ الدكتور احمد زكي
٨ 〃 طه حسين
٩ الأمير يوسف كمال

لبنان

١٠ الاستاذ أنيس المقدسي

١١ الاستاذ بشارة الخوري (الأخطل الصغير)
١٢ الدكتور صبحي المحمصاني
١٣ 〃 عمر فروخ

فلسطين

١٤ الاستاذ قدري حافظ طوقان

المملكة الهاشمية الاردنية

١٥ الاستاذ محمد الشريقي

الجمهورية العراقية

١٦ الاستاذ احمد حامد الصراف
١٧ 〃 ساطع الحصري
١٨ 〃 عباس العزاوي
١٩ الشيخ كاظم الدجيلي
٢٠ الاستاذ كوركيس عواد
٢١ الشيخ محمد بهجة الاثري
٢٢ الاستاذ محمد رضا الشبيبي
٢٣ الدكتور مصطفى جواد
٢٤ الاستاذ منير القاضي

السودان

٢٥ الشيخ محمد نور الحسن

المملكة العربية السعودية

٢٦ الأستاذ حمد الجاسر
٢٧ 〃 خير الدين الزركلي

المملكة الليبية

٢٨ الاستاذ علي الفقيه حسن

الجمهورية التونسية

٢٩ الاستاذ حسن حسني عبدالوهاب
٣٠ 〃 محمد الطاهر ابن عاشور

الجمهورية الجزائرية

٣١ الاستاذ محمد البشير الابراهيمي

المملكة المغربية

٣٢ الاستاذ عبد الله كنون
٣٣ 〃 علال الفاسي

تركية

٣٤ الاستاذ احمد اتش

ايران

٣٥ الدكتور علي أصغر حكمت

الهند

٣٦ الاستاذ آصف علي أصغر فيضي
٣٧ 〃 أبوالحسن علي الحسني الندوي

باكستان

٣٨ الاستاذ عبد العزيز الميمني
٣٩ 〃 يوسف البنوري

فرنسة

٤٠ الدكتور بلاشير (رجيس)
٤١ الأستاذ كولان (جورج)

٤٢ الاستاذ لاوست (هنري)

٤٣ 〃 ماسه (هنري)

بريطانية

٤٤ الاستاذ أربري (أ٠ ج٠)

٤٥ 〃 جب (ه٠ا٠ ر٠)

٤٦ 〃 غليوم (الفرد)

المانية

٤٧ الاستاذ ريتر (هلموت)

٤٨ 〃 هارتمان (ريشارد)

السويد

٤٩ الاستاذ ديدرنغ (س ٠)

الولايات المتحدة الاميركية

٥٠ الدكتور ضودج (بيارد)

٥١ الاستاذ فيليب حتي

اسبانية

٥٢ الاستاذ غومز (اميليو غارسيا)

النمسة

٥٣ الدكتور اشتولز (كارل)

٥٤ الاستاذ موجيك (هانز)

ايطاليا

٥٥ الاستاذ جبرايلي (فرنشيسكو)

هولاندة

٥٦ الدكتور شخت (يوسف)

الدانيمرك

٥٧ الاستاذ بدرسن (جون)

فنلاندة

٥٨ الاستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)

البرازيل

٥٩ الاستاذ رشيد سليم الخوري

أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق الراحلون

الجمهورية العربيـــة السورية

١ الشيخ طاهر الجزائري
٢ 〃 سليم البخاري
٣ 〃 مسعود الكواكبي
٤ الاستاذ الياس قدسي
٥ 〃 أنيس سلوم
٦ 〃 جميل العظم
٧ 〃 سليم عنحوري
٨ 〃 عبد الله رعد
٩ 〃 رشيد بقدونس
١٠ 〃 اديب التقي
١١ الشيخ عبد القادر المبارك
١٢ الاستاذ معروف الأرناءوط
١٣ السيد محسن الأمين
١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي
١٥ 〃 محمد البزم
١٦ 〃 سليم الجندي
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي
١٨ الاستاذ الرئيس خليل مردم بك
١٩ الدكتور مرشد خاطر
٢٠ الاستاذ فارس الخوري
٢١ الأب جرجس شلحت
٢٢ 〃 جرجس منش
٢٣ الاستاذ قسطاكي الحمصي
٢٤ الشيخ كامل الغزي
٢٥ الاستاذ ميخائيل الصقال
٢٦ الشيخ بدر الدين النعساني
٢٧ 〃 راغب الطباخ
٢٨ 〃 عبد الحميد الجابري
٢٩ 〃 عبد الحميد الكيالي
٣٠ 〃 محمد زين العابدين
٣١ الدكتور صالح قنباز
٣٢ الشيخ سليمان الأحمد
٣٣ الاستاذ ادوار مرقص
٣٤ الشيخ سعيد العرفي
٣٥ البطريرك ماراغناطيوس افرام
٣٦ الشيخ امين سويد
٣٧ الدكتور جميل الخاني
٣٨ الاستاذ متري قندلفت

الجمهورية العربيـــة المتحدة

٣٩ الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي
٤٠ 〃 رفيق العظم
٤١ 〃 احمد كمال
٤٢ 〃 احمد تيمور
٤٣ 〃 احمد زكي باشا
٤٤ الدكتور يعقوب صروف

٤٥ السيد محمد رشيد رضا
٤٦ الاستاذ حافظ ابراهيم
٤٧ « احمد شوقي
٤٨ الشيخ احمد الاسكندري
٤٩ الاستاذ اسعد خليل داغر
٥٠ « داود بركات
٥١ الدكتور امين المعلوف
٥٢ الاستاذ مصطفى صادق الرافعي
٥٣ الشيخ عبد العزيز البشري
٥٤ الدكتور احمد عيسى
٥٥ الأمير عمر طوسون
٥٦ الشيخ مصطفى عبد الرازق
٥٧ الاستاذ انطون الجميل
٥٨ « خليل مطران
٥٩ « ابراهيم عبد القادر المازني
٦٠ « محمد لطفي جمعة
٦١ الدكتور احمد امين
٦٢ الاستاذ عبد الحميد العبادي
٦٣ الشيخ محمد الخضر حسين
٦٤ الدكتور عبد الوهاب عزام
٦٥ « منصور فهمي
٦٦ الاستاذ احمد لطفي السيد
٦٧ « عباس محمود العقاد
٦٨ « خليل ثابت

لبنان

٦٩ الاستاذ حسن بيهم
٧٠ الأب لويس شيخو
٧١ الشيخ عبد الله البستاني
٧٢ الاستاذ جبر ضومط
٧٣ « عبد الباسط فتح الله
٧٤ الشيخ عبد الرحمن سلام
٧٥ « مصطفى الغلاييني
٧٦ الاستاذ عمر الفاخوري
٧٧ « بولص الخولي
٧٨ « امين الريحاني
٧٩ الامير شكيب ارسلان
٨٠ الشيخ ابراهيم المنذر
٨١ الاستاذ جرجي يني
٨٢ الشيخ احمد رضا
٨٣ الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف
٨٤ « فيليب طرازي
٨٥ الشيخ فؤاد الخطيب
٨٦ الدكتور نقولا فياض
٨٧ الشيخ سليمان ظاهر
٨٨ الأستاذ مارون عبود

فلسطين

٨٩ الشيخ سعيد الكرمي
٩٠ الاستاذ نخلة زريق

٩١ الشيخ خليل الخالدي

٩٢ الاستاذ عبد الله مخلص

٩٣ 〃 محمد اسعاف النشاشيبي

٩٤ الاستاذ عادل زعيتر

٩٥ الأب ا٠ س٠ مرمرجي الدومنكي

الجمهورية العراقية

٩٦ الاستاذ محمود شكري الآلوسي

٩٧ 〃 جميل صدقي الزهاوي

٩٨ 〃 معروف الرصافي

٩٩ 〃 طه الراوي

١٠٠ الاب انستاس ماري الكرملي

١٠١ الدكتور داود الجلبي

١٠٢ الاستاذ طه الهاشمي

الجمهورية الجزائرية

١٠٣ الشيخ محمد بن ابي شنب

المملكة المغربية

١٠٤ الاستاذ محمد الحجوي

١٠٥ 〃 عبد الحي الكتاني

تركية

١٠٦ الاستاذ زكي مغامز

ايران

١٠٧ الشيخ ابو عبد الله الزنجاني

١٠٨ الاستاذ عباس إقبال

الهند

١٠٩ الحكيم محمد أجمل خان

فرنسة

١١٠ الاستاذ فران (جبرئيل)

١١١ 〃 هوار (كليمان)

١١٢ 〃 بوفا (لوسيان)

١١٣ 〃 مالنجو

١١٤ 〃 كي (ارتور)

١١٥ 〃 باسه (رينه)

١١٦ 〃 ميشو بلّير

١١٧ 〃 مارسيه (وليم)

١١٨ 〃 دوسو (رينه)

١١٩ 〃 ماسينيون (لويس)

بريطانية

١٢٠ الاستاذ مرجليوث (د٠ س٠)

١٢١ 〃 بفن

١٢٢ 〃 براون (ادوارد)

١٢٣ 〃 كرينكو (فريتز)

المانية

١٢٤ الاستاذ هومل

١٢٥ 〃 ساخاو (ادوارد)

١٢٦ 〃 هوروفيتز (يوسف)

١٢٧ الاستاذ هارتمان (مارتين)
١٢٨ 〃 ميتفوخ (اوجين)
١٢٩ 〃 بروكلن (كارل)

المجر

١٣٠ الاستاذ غولد صيهر (اغناطيوس)
١٣١ 〃 ماهلر (ادوارد)

الولايات المتحدة الاميركية

١٣٢ الاستاذ ماكدونالد (د· ب·)
١٣٣ 〃 هرزفلد(ارنست)
١٣٤ 〃 سارطون (جورج)

الاتحاد السوفياتي

١٣٥ الاستاذ كراتشكوفسكي (أ)
١٣٦ 〃 برتلز (ابفيكين)

اسبانية

١٣٧ الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)

البرتغال

١٣٨ الاستاذ لوبس (دافيد)

ايطالية

١٣٩ الاستاذ جويدي (اغنازيو)
١٤٠ 〃 نالينو (كارلو)
١٤١ 〃 غبريفيني (اوجينيو)

سويسرة

١٤٢ الاستاذ مونته (ادوارد)
١٤٣ 〃 هس (ج· ج·)

بولونية

١٤٤ الاستاذ كوفالسكي (ت·)

تشكوسلوفاكية

١٤٥ الاستاذ موزل (الوا)

هولاندة

١٤٦ الاستاذ هورغرنيه (سنوك)
١٤٧ 〃 اراندوك (ك·)
١٤٨ 〃 هوتسما (م· ث·)

الدانيارك

١٤٩ الاستاذ بوهل (ف· م· ب·)
١٥٠ 〃 استروب (ج·)

السويد

١٥١ الاستاذ سترستين (ك· ف·)

البرازيل

١٥٢ الاستاذ سعيد ابوجمرة

بيان ما حققه

مجمع اللغة العربيـــة بدمشق (المجمع العلمي العربي)(١)

في دورة (١٩٦٣ – ١٩٦٤)

ودع مجمعنا الدورة السابقة لعام ١٩٦٣ – ١٩٦٤ مرتاحاً للأعمال التي أنجزها من مشروعاته المقررة سابقاً للدورة المذكورة . وكان وافق على نشر (١٨) كتاباً ومخطوطة تم تحقيقها وأعدت للطبع بالاضافة إلى اصدار مجلته . وقد انجز المجمع طبع قسم منها على أن ينتهي من طبع البقية الباقية في الدورة اللاحقة . وهذه أسماء الكتب التي تم طبعها :

١ – أخطاء شائعة في ألفاظ العلوم الزراعية والنباتية : للأستاذ الأمير مصطفى الشهابي .

٢ – حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر (الجزء الثالث والأخير) لعبد الرزاق البيطار بتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار .

٣ – الحيدة لعبد العزيز الكناني : بتحقيق الدكتور جميل صليبا .

٤ – خريدة القصر وجريدة العصر (الجزء الثالث – في ذكر محاسن فضلاء الحجاز واليمن للعماد الأصفهاني الكاتب) بتحيق الدكتور شكري فيصل .

٥ – وصف المطر والسحاب لابن دريد : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

٦ – شعر الراعي النميري وأخباره : للدكتور ناصر الحاني .

٧ – تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (المجلدة العاشرة) بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان .

(١) تلاه الأستاذ أمين المجمع في اجتماع مجلس المجمع المنعقد بتاريخ ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٦٤ .

٨ ـ سؤال في يزيد بن معاوية لابن تيمية بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٩ ـ قرة العيون في أخبار باب جيرون لابن طولون الصالحي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

١٠-١١ كتاب الأضداد في كلام العرب (الجزء الأول والثاني) لأبي الطيب اللغوي الحلبي : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

١٢ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (الفقه الشافعي) وضعه الأستاذ عبد الغني الدقر .

١٣ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم الشعر) وضعه الأستاذ الدكتور عزة حسن .

١٤-١٥ فهرس مجلة المجمع العلمي العربي للسنوات العشر الثالثة (الجزء الثالث ـ القسم الأول والثاني) وضعه الأستاذ عمر رضا كحالة .

١٦ ـ الألفاظ المعربة والموضوعة الواردة في السنوات العشر الثالثة في مجلة المجمع العلمي العربي جمعها الأستاذ عمر رضا كحالة .

١٧ ـ المقدمة في كتـــاب المسائل والأجوبة « مسألة ربّ » لابن السيد البطليوسي : بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي .

١٨ ـ النصف الثاني من المجلد (٣٨) والنصف الأول من المجلد (٣٩) من مجلة المجمع العلمي العربي .

ونأمل أن يتم طبع الكتب التي تأخر طبعها بسبب تحقيقها أو لأسباب مالية ، وذلك خلال دورة عام ١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ .

* * *

الشؤون الادارية :

١ ـ جدد السادة أعضاء المجمع بالاجماع رئاسة سيادة الرئيس الأمير مصطفى الشهابي وصدر بذلك المرسوم ذو الرقم (٢٠٤) المورخ في ١٩٦٤/١/٢٦ .

٢ ـ تقرر بمناسبة بلوغ مجلة المجمع عقدها الخامس اصدار عدد ممتاز ، ذكرى لهذه المناسبة ، يشترك بتحريره أعضاء المجمع العاملون والمراسلون وأعلام أدباء البلاد العربية .

٣ ـ وتقرر بهذه المناسبة ان يطبع بطريقة التصوير الجزء المخطوط النفيس (ديوان الفرزدق) المحفوظ بدار الكتب الظاهرية .

٤ ـ استكمل المجمع معاملة استملاك المقسمين من العقارين المجاورين لدار الكتب الظاهرية بغية توسيع دار الكتب وتحسينها .

٥ ـ اهدى المجمع مجموعات من مطبوعاته الى بعض الجامعات ودور الكتب في البلاد العربية .

دار الكتب الوطنية الظاهرية :

حققت دار الكتب بعض مشاريعها وادخلت تحسينات ادارية ملموسة منها :

آ ـ عدلت دوام موظفيها في شهور الشتاء والربيع والخريف من ست ساعات إلى اثنتي عشرة ساعة يومياً لتفسح مجال المطالعة لجميع فئات المواطنين .

ب ـ جردت في أيام العطلة الصيفية مستودعات الكتب المخطوطة والمطبوعة وجددت ما تلف من جزازات فهارسها .

ج ـ صورت عدداً كبيراً من مخطوطاتها ، وقد تم حتى الآن تصوير نحو ثلثها ، كما انها أمنت تصوير كل ما طلب منها تصويره للبلاد الأجنبية .

د ـ عهدت إلى الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني وضع فهرس لكتب الحديث المخطوطة ، وقد أنجز أكثره .

هـ ـ عهدت الى السيدة أسماء الحمصي أمينة المخطوطات وضع فهرس لكتب اللغة والأدب المخطوطة ، وقد باشرت عملها فيه .

اهداء كتب :

أهدى ورثة المرحوم عطا الأيوبي إلى دار الكتب الظاهرية كتب مورثهم ، كما أهدى ورثة المرحوم عبد الغني القادري كتب والدهم ، وهي كتب قيمة فاستحقوا شكر المجمع وتقديره .

الوفيات :

فقد المجمع من أعضائه المراسلين في الجمهورية العربية المتحدة :

١ ـ المرحوم عباس محمود العقاد .

٢ ـ المرحوم خليل ثابت .

تغمدهما الله برحمته وأجزل ثوابهما .

جعفر الحسني

مشروعات المجمع

لدورة ١٩٦٤ – ١٩٦٥ (١)

يستقبل مجمعنا دورته الحالية لسنة ١٩٦٤ – ١٩٦٥ بأمل أقوى وعزيمة أمضى تحقيقاً لأغراضه العلمية والإدارية، معتمداً على جهود الأساتذة أعضاء المجمع وعلى مؤازرة أهل العلم والأدب .

ان نشر التراث القديم الذي أخذ مجمعنا على عاتقه إحياء نفائسه وبعث نوادره قد حظي بتقدير أهل الفضل في سائر البلاد العربية ، وتقدير المستشرقين في البلاد الأجنبية ، وزاد الإقبال على اقتناء كل ما نشره المجمع حتى نفد أكثره ، وهذا ما يشجع المجمع على المضي في خطته ضمن حدود مخصصاته المالية . وعزم المجمع في دورته هذه على طبع الكتب التالية :

١ – الجامع في أخبار أبي العلاء المعري (الجزء الثالث والأخير) لسليم الجندي : بتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم .

٢ – تراجم الأعيان من أبناء الزمان (الجزء الثاني) للبوريني : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٣ – أخلاق الوزيرين (أو مثالب الوزيرين) لأبي حيان التوحيدي : بتحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي .

٤ – شعر دعبل بن علي الخزاعي : للدكتور عبد الكريم الأشتر .

٥ – جمهرة المغنين لخليل مردم بك : بمراجعة الأستاذين عدنان مردم بك وأحمد الجندي .

---

(١) تلاه الأستاذ أمين المجمع في اجتماع مجلس المجمع المنعقد بتاريخ ١٠ تشرين الأول سنة ١٩٦٤ .

٦ ـ ديوان عبد الرحمن ابن النقيب : بتحقيق الأستاذ عبد الله الجبوري ومراجعة الأستاذ أحمد الجندي .

٧ ـ ما بنته العرب على فعال للصغاني : بتحقيق الدكتور عزة حسن .

٨ ـ معاني الشعر لسعيد بن هارون الأشناندانى : بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي .

٩ ـ فهرس المجلدة العاشرة من تاريخ دمشق لابن عساكر : وضع الآنسة ملك هنانو .

١٠ ـ فهرس مخطوطات الظاهرية (قسم الحديث) : وضع الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني .

١١ ـ ديوان الغزي : بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

١٢ ـ كتاب الهفوات النادرة لغرس النعمة الصابي : بتحقيق الدكتور صالح الأشتر .

١٣ ـ منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك بن ميمون (بتحقيق الأستاذ عز الدين التنوخي) .

١٤ ـ خريدة القصر وجريدة العصر (الجزء الرابع ـ قسم شعراء بلاد العجم) بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

١٥ ـ ديوان الفرزدق .

١٦ ـ معجم مصطلحات الآثار (فرنسي ـ عربي) وضع الأستاذ الأمير يحيى الشهابي ، بمراجعة لجنة مجمعية .

١٧ ـ مجلة المجمع العلمي ومنها العدد الممتاز .

* * *

الشؤون الإدارية :

١ ـ انتخاب نائب رئيس المجمع العلمي العربي .

٢ ـ ملء شواغر الأعضاء العاملين .

٣ ـ انتخاب أعضاء مراسلين .

٤ ـ انتخاب عضوي اللجنة الإدارية .

الإنشاءات :

توسيع دار الكتب الظاهرية .

وتحقيق هذه المشروعات منوط بما سيرصد لها في ميزانية عام ١٩٦٥ .

جعفر الحسني

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٥ م ٣٠ من ذي القعدة سنة ١٣٨٤ هـ

سوانح في اللغة والمصطلحات [١]

ألقيت في الدورة الماضية لمؤتمر المجمع جملة من السوانح في اللغة والمصطلحات . وهي خواطر شتى كانت ترد على البال عندما كنت أطالع في كتب قديمة أو حديثة .

والى الزملاء الأفاضل جملة أخرى من هذه الخواطر ليروا رأيهم الصائب فيها :

١ ـ ضم كواسع أعجمية إلى ألفاظ عربية :

وجدتُ في بعض الكتب الحديثة المؤلفة بالعربية أو المنقولة اليها بعض مصطلحات عربية كل مصطلح منها مؤلف من قسمين قسم عربي وقسم أعجمي . ففي كتاب فلسفي وُضع بالفرنسية ثم نقل الى لساننا بعنوان

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع في الدورة ٣١ (١٩٦٤ ـ ١٩٦٥) لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة .

« منَ الكائن الى الشخص » لمؤلفه الفاضل الدكتور محمد عزيز الحبابي عميد كلية الآداب في الرباط وجدت مثلاً مصطلحات عربية محدثة أطلقت على بعض العلوم ، أصولها عربية وكواسعها أعجمية كالمصطلحات الآتية :

فِكْرُولوجيا	:	Idéologie
أُسْطُورلوجيا	:	Mythologie
جمالُوجيا (إستيتيك)	:	Esthétique
قِيَمُولوجيا (علم القِيَم)	:	Axiologie
كائِنلُوجيا	:	Ontologie

فالاقتصار على تعريب الكاسعة (logie) الدالة على العلم أو البحث ، أو المذهب ، ولصقها بكلمات عربية النجار ، أمر لا أظن ان الذوق العربي يسوغه . ومن الأصلح أن يقال على التتابع : علم الأفكار ، وعلم الأساطير ، وعلم الجمال ، وعلم القِيَم ، وعلم الكائن . وإذا أريد أن تُترجم الكلمة الفرنسية الواحدة بكلمة عربية واحدة يمكن اللجوء الى المصدر الصناعي فيقال : فِكْرِيّات وأُسْطُوريّات الخ .

أما إذا جاز مسايرة المتساهلين في شؤون التعريب وجب تعريب الكلمة الأعجمية كلها فيقال : إيدلوجية ، وميتولوجية ، وإستاتيك ، وأكسيولوجية ، وأنتولوجية ، ومع هذا فالتعريب لا يجوز في نظري اللجوء اليه في مثل هذه الكلمات التي تسهل ترجمتها .

ومن هذا القبيل كلمات تدل في علم الكيمياء على أجسام أو جذور عضوية كالكلمات الأعجمية الآتية ، فقد وجدت أنها نقلت الى العربية على الشكل الآتي :

خَلْتُون	:	Acétone
خَلْتِيل	:	Acétyle
فَحْميل	:	Carbonyle

تَمْليل	:	Formyle
ثُوْميل	:	Allyle
سُكَّريد	:	Glucoside
سُكَّريات	:	Glucides
هَضْميد	:	Peptide
هَيُوليد	:	Protéide

ولا أدري مبلغ الحاجة الى التمسك بالأصول العربية صحيحةً كانت أو غير صحيحة في مثل هذه الأجسام أو الجذور . والذي أراه تعريب الكلمات الأعجمية كلّها لا الاكتفاء بتعريب الكواسع فيها . والكيمياء ، على ما هو معروف ، هي العلم الذي يكون فيه للتعريب المجال الأوسع ، لأن العناصر الكيمياوية التي كُشف النقاب عنها حديثاً كثيرة ، ولأنّ المركبات الكيمياوية التي تُصنع بإضافة الصدور والكواسع ، ولا سيا باستعمال التركيب المزجي ، لا حد لها .

وهذه الملاحظات ترد في علوم مختلفة . ففي الزراعة مثلاً لا نقول خيلولوجيا Hippologie بل نقول علم الخيـــل . وفي النبات لا نقول شجرلوجيا Dendrologie بل نقول علم الشجر . وهكذا في العلوم السائرة .

٢ ــ المُتَخَصِّص والإخصائي والاخْتِصاصي :

هذه ثلاث كلمات عربية تُطلق على ما يسمى بالفرنسية Spécialiste . وقد لاحظتُ أن عدداً كبيراً من أعضاء مجمعنا لا يستعملون في مكتوباتهم إلا كلمة متخصص ، أو أنهم قلما يستعملون غيرها . ولاحظت أن بعض الكتاب يرجحون كلمة إخصائي على غيرها لقربها من معنى الأعجمية ، فالإخصائي هو من يتعلم علماً واحداً ، فكأنه قصر عليه جهده . ولكن كتاباً آخرين تمج أذواقهم هذه الكلمة لأنها هي والخصية من أرومة واحدة .

وقد سُهي عن ذكر الإخصاء بهذا المعنى في المعجم الوسيط . ولم يذكر فيه إلا المتخصص .

والكتاب الذين يستعملون كلمة اختصاصي قلة . أما أنا فكثيراً ما استعملتها . ولها أشباه كثيرة في العلوم الحديثة . فنحن كثيراً ما ننسب الى المصدر أو الاسم في مثل قولنا : « اقتصاديون واجتماعيون واشتراكيون وقوميون ووطنيون وجغرافيون » ، أو الى اسم الفاعل كقولنا : « مؤرخون ومتخصصون وزارعون » وهلم جرا .

ويلوح لي أن استعمال المنسوب الى المصدر أصلح من استعمال اسم الفاعل في كثير من المصطلحات الحديثة الدالة على الذين يمارسون علوماً أو ينتسبون الى مذاهب خاصة . فالاقتصادي غير المقتصد . ولا أحد يجهل أن الأول في اصطلاحنا هو الذي يمارس علم الاقتصاد أو يكون له خبرة فيه ، وأن الثاني هو الذي لا ينفق إلا الضروري في معيشته ويوفر البقية من دخله . ونجد مثل ذلك أن الاشتراكي غير المشترك والشيوعي غير الشائع وهكذا . ومن الواضح أن النسبة الى المصادر والأسماء كثيرة في مصطلحات العلوم الحديثة .

٣ – هل يُعد قياسياً استعمال ُفعِلَ (بضم الفاء) لإصابة النبات بآفة ؟

صادفتُ غير مرة في المعجمات وفي كتب قديمة شتى مثل قولهم أُرِضَ الخشبُ : أكلته الأرَضة ، وسُرِفَتِ الشجرةُ : أصابتها السُّرْفة .

وفي المخصص (ج ١٥ ص ٧٢) ورد باب سماه ابن سيده « باب ما جاء من الأفعال على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعلُه » . وذكر من أفعال هذا الباب عُنِيَ بالحاجة ، وغُبِنَ في البيع ، وهُزِلَ الرجلُ . . . الى أن قال : «وأُرِقَ الزرعُ : أصابهُ الأرَقان وكذلك جميع آفات النبات» .

فهذه الجملة الأخيرة هي التي استوقفت نظري ، وجعلتني أتساءل هل يجوز

لنا اشتقاق أفعال على هذا الوزن من أسماء تدل على آفات تصيب النباتات وليس لتلك الأفعال ذكر في المعجمات ؟ كأن نقول مثلاً ُفئِرَ الزرعُ : أصابه فأر الحقول ، وُقتِعَ الخشبُ : أصابه دود القَتَع ، وشُقِرَ النباتُ : أصابه مرض الشَّقِران وهو المسمى مرض الصدأ Rouille ، ورُصِعَ الزرعُ : أصابه الرَّصَعُ وهو اختناق الجذور لكثرة الماء في التراب Asphyxie ، وهُدِلَ اللوزُ : أصابه طفيلي الهَدال أي الدِّبْق Gui ، وكُشِثَ الكتانُ : أصابه الكَشُوثُ Cuscute (الحامول في مصر والهالوك في الشام) وهكذا .

ومن الطبيعي أن اتخاذ قرار في هذا الموضوع يحتاج الى دراسة للعثور على نص آخر علاوةً على النص الذي يستوقف النظر في المخصص .

٤ ــ أيقال وِقاء الحريق أي من الحريق وَوِقاء الصَّقيع أي من الصقيع ؟

كثيراً ما نحتاج في ترجمة المصطلحات الأعجمية إلى استعمال باب الإضافة في لساننا ، فالقضيب المسمى Paratonnerre مثلاً سماه بعضهم موصل الصواعق ، وسماه آخرون حربة الصاعقة ، وقال غيرهم مانعة الصاعقة ودافع الصاعقة ، على حين أن هذا القضيب لا يدفع الصاعقة بل يجذبها فتتقيها البيوت المجاورة .

فأرى أنه من المستحسن استعمال كلمة « الوِقاء » في هذا الاصطلاح وأشباهه من المصطلحات الأعجمية المصدرة بالصدر Pare أو Para بمعنى الوقاية ، فيقال مثلاً وقاء الصاعقة ، ووقاء الحريق Pare - feu ، ووقاء الصقيع Paragelée ، ووقاء البَرَد Paragrêle ، ووقاء الصدمات Pare - chocs ، ووقاء الدخان Pare - fumée ، الخ . وكلها بمعنى ما وَقَيتَ به من الصاعقة أو الحريق أو الصقيع أو البَرَد أو الصَّدَمات أو الدُّخان ، ولكن الوقاء (بالفتح والكسر) هو ما وقيتَ به الشيء لا ما وقيتَ به من الشيء . فوقاء الصاعقة هو لغوياً ما تقي به الصاعقة ، لا ما تقي به من الصاعقة . وهكذا في بقية الأمثلة . ويكون إذن قولنا وقاء الصاعقة معناه ما يقي

الصاعقة نفسها من شيء آخر يحل بها ، وهو عكس ما نريد . وكذلك قولنا مثلاً وقاء الصدمات فقد يكون معناه واقي الصدمات لا الواقي من الصدمات

وقد فتشتُ فيما لديّ من كتب الصرف عن نص أو تخريج يجيز لنا في مثل هذه الإضافات إلقاء حرف الجرّ « مِنْ » ، فلم أعثر على شيء . ولكني وجدتُ في الكامل للمبرد (ج ١ ص ٢٤٣ – ٢٤٤) شرحاً للبيت الآتي :

أهابوا به فازداد بعداً وصَدّهُ عن القرب منهم ضوءُ برقٍ ووابلُه

فقال المبرد : إن صاحب هذا البيت قد أضاف الوابل من المطر الى البرق وليس هو له . . الى أن قال : وقد يضاف ما كان كذلك على السعة كما قال الشاعر :

حتى أنخت قلوصي في دياركم بخير من يحتذي نَعْلاً وحافيها

فأضاف الحافي الى النعل والتقدير حافٍ منها .

قلت في وسعنا إذن أن نعمل برأي المبرد ، وهو من هو ، فنقول على السعة : وقاء الصاعقة ووقاء الصقيع الخ . وبذلك نكون قد جعلنا المصطلح العربي مؤلفاً من كلمتين بدلاً من ثلاث كلمات . ولا يُحتمل حصول التباس في المعنى لأنه لا يتصور أحد أن المراد وقاية الصاعقة لا الوقاية منها . وكذلك في بقية الأمثلة .

٥ ــ صوغ مُفَعْلَلة من أسماء الأعيان التي جاوزت ثلاثة أحرف ، للمكان الذي تكثر فيه الأعيان .

من قرارات المجمع : « تصاغ مَفْعَلة قياساً من أسماء الأعيان الثلاثية الأصول للمكان الذي تكثر فيه الأعيان ، سواء أكانت من الحيوان ، أم من النبات ، أم من الجماد » .

وقد كنت وضعت على هذا الوزن عدة ألفاظ عربية أمام ألفاظ افرنسية تدل على أماكن أعيان مثل مَلْبَنَة ومَزْبَدة ومقشدة ومقطنة وموردة ومرزّة ومقصبة ومأسلة ومفرسة ومبقرة الخ .

ولكن أسماء المواليد الثلاثة ليست كلها مؤلفة من ثلاثة أصول . والأسماء المؤلفة من أربعة أحرف أو أكثر ليست قليلة . وفي المعجمات جاءت صفات الأرضين التي تكثر فيها تلك الأعيان إما على وزن مَفْعَلَة أو على غيره . فما جاء على وزن مَفَعَلَة قولهم مَتَفَحَة من التفاح ومَدْرجة من الدُّرّاج ، ومَبْطَخة من البطيخ ، ومَرْمَنة من الرمان ، ومقثأة من القثاء . ومما جاء على وزن فَعِلَة قولهم : أرض جَرِذَة من الجرذان ، وضَبِبة من الضِّباب . وقالوا على وزن مَفْعُولة أرض مَذْبُوبة من الذباب ، ومسروّة من السروة الخ .

والذي استوقف نظري في المخصص قول ابن سيده (ج ١٤ ص ٢٠٥) : « . . . وقد قدمتُ (ج ١٤ ص ١٩٨) أنهم لم يستعملوا مفْعَلة فيما جاوز الثلاثة ، وأبدلوا مكانه مفَعْلَلة كراهية الحذف كما قدمتُ وذلك قولهم أرض مُثَعْلَبة من الثعالب ، ومعقرَبة من العقارب . وحكى أبو الحسن معنكَبة من العناكب . وقد قالوا أرض مؤرنَبة من الأرانب ، ومخرنَقة من الخرانق وهي أولاد الأرانب » .

وجاءت هذه الألفاظ كلها على وزن لفظ المفعول . وعلل ابن سيده ذلك عن سيبويه (ج ١٤ ص ١٩٨) بأن الوزن المذكور هو أيضاً لفظ المكان فيما جاوز ثلاثة أحرف . أما أصحاب الصحاح واللسان والتاج فقد جعلوا الألفاظ المذكورة بالكسر فقالوا مثعلِبة ومعقرِبة وهكذا .

وبعد أفي وسعنا يا ترى أن نستعمل وزن مفَعْلَلة (أو بالكسر) للمكان الذي تكثر فيه أجناس وأنواع من مختلف النباتات والحيوانات ، مشتقين هذا الوزن من أسماء جاوزت ثلاثة أحرف ؟ فالفرنسيون عندهم

الكاسعة (aie) وهي تدل خاصةً على مغرس نوع من أنواع الشجر . وعندهم الكاسعة (erie) وغيرها ، ومن معانيها مكان الشيء أو العمل . أما عندنا فوزن مفعلة في هذا الباب غير قياسي ، ثم ان بعض الكلمات التي تصاغ على هذا الوزن مما جاوز ثلاثة أحرف قد يمجها الذوق أحياناً . وهاكم بضعة أمثلة .

مُصَنْبَرة	Pineraie	حَرَجة صنوبر
مُزَيْتَنة	Olivaie	مغرس زيتون
مصفصفة	Saulaie	غيضة صفصاف
ممرنة	Frênaie	حرجة مُرّان
مسرخسة	Fougeraie	كثيرة السرخس (أرض)
متذرجة	Faisanderie	مربى التَّدْرُج
مُدَجّجة	Poulailler	بيت الدجاج . وهو الخُمّ . والناس تقول مَدْجَجة على وزن مَفْعَلة وهي أصلح .
مُتَنَوّبة	Sapinière	حَرَجة تَنّوب . ويمكن أن يقال مَتْنَبة على وزن مَفْعَلة .
مبرتقة	Orangérie	بستان برتقال

الخ .

ولا بد من التساؤل عما هو الأرجح ، أهو اشتقاق كلمة واحدة على وزن مفعلة أم الدوام على استعمال كلمتين عربيتين أمام كل كلمة فرنسية ، وهو ما اتبعته حتى الآن ؟ والجواب عن ذلك رهن بالذوق ، وبمدى قبول كل كلمة مشتقة ، ومدى شيوعها .

مصطفى الشهابي

بقايا الفصاح

ذكرت في مقالٍ متقدم أن العامّة تتصرف في اللغة تصرفاً غريباً ، فتنقل معنى اللفظ من وجهٍ خاصٍ الى وجهٍ عام ، من هذا الشكل نقلها معنى الخشخشة ، فانّا نجد في القاموس المحيط أن الخشخشة معناهـــا : صوت السلاح وكلّ شيء يابس إذا حُكّ بعضه ببعض . إلاّ أنّ هذه المادّة لم تبق على وضعها ، فقد نقلتها العامة في عصرنا الى معنى أعم [1] ، كما أنّ هذه المادّة قد نقلت في القديم الى مثل ما نقلت اليه في الحديث ، فقد نجد في المجلّدة العاشرة من تاريخ ابن عساكر في أخبار بلال بن رباح ما يلي : أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال : يا بلال ، بمَ سبقتني الى الجنة ، ما دخلت الجنة قطّ إلاّ سمعت خشخشتك ، إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك أمامي . وقد تكرّر هذا الحديث في الأخبار نفسها على أوجهٍ شتّى .

من ذلك يتبيّن لنا ان الخشخشة لم يبق لها المعنى الذي أشار اليه الفيروزابادي . فالخشخشة في الحديث الشريف الذي وردت فيه تومىء الى صوت رجل لا إلى صوت سلاح ولا الى صوت شيء يابس حُكّ بعضه ببعض فمهما تحدّد معجمات اللغة معاني الألفاظ فانها لا تستطيع أن تحدّد هذه المعاني من مجامع وجوهها ، فلا بدّ في كثير من الأحوال من الرجوع الى المصطلح والمتعارف ، ولا بدّ لبعض الألفاظ من انتقال معانيها على

(١) وقوله (وكل شيء يابس إذا حك بعضه ببعض) هو معنى عام لا خاص بالسلاح . (لجنة المجلة)

تعاقب العصور من وجهٍ الى وجه . ولفظ الخشخشة دليل على ما ذكرت ، إلاّ أن الذي يهمنا في هذا المقام إنما هو بقاء هذا اللفظ الفصيح حتى يومنا هذا ، ونحن نظنه عامياً ، ولكنّه في هذا البقاء تحوّل من وجه الى وجوهٍ كثيرة ، فانّا نطلقه على أصوات مختلفة لم تحدّد معانيها المعجمات ، فاذا زحفت مثلاً حيّة بين التعاشيب وسمعنا صوت زحفها فإنّا نقول في أحاديثنا : سمعنا خشخشةً بين العشب (١) ، أو إذا سمعنا حركة ورقة تلعب بها الريح قلنا : سمعنا خشخشة ، وما أكثر المواطن التي تستعمل فيها الخشخشة على غير الوجه الذي ذكره الفيروزابادي .

فالخشخشة من بقايا الفصاح التي تقع على ألسن العامّة كلّ يوم . ومن هذا القبيل لفظ نَتَرَ يده ، فقد يجوز أن نعتقد أن النتر محرّفة وأن أصلها نثر ، بالثاء ، إلاّ أن النتر بالتاء فصيحة ولها معـــانٍ كثيرة ، في جملة هذه المعاني : الجذب بجفاء وتغليظ الكلام وتشديده ، وقد حافظت هذه المادة على أصل معناها ، فإنّا نجد في تاريخ ابن عساكر ، في المجلّدة التي تقدّم ذكرها ، في أخبار تميم بن أوس الداري حديثاً طويلاً جاء في تضاعيفه : ثمّ ينتره ملك الموت نترةً فينزع روحه من ركبتيه ، فيلقيها في حقويه . فالنتر في هذا المقام يتضمّن الشدّة وهذا ما دلّت عليه معجمات اللغة ، ونقول في دمشق : نتر في وجهه ، ونحن نريد بذلك تغليظ الكلام وتشديده ، فلم نخرج في قولنا هذا عن أصل معنى المادّة ، فكما تنتقل معاني الألفاظ على مرّ السنين من وجهٍ الى وجهٍ فكذلك قد تحافظ على أصل معناها ، كما حافظت مادّة نترَ على هذا الأصل .

ومن الألفاظ التي نستعملها كل يوم في أحاديثنا ونظنّ أنّها عامية لفظ باخَ ، ولست أدري هل أشرت اليها في المقالات المتقدمة ، وكيف كان

(١) لأنها بحركتها تتحرك الأشياء اليابسة تحتها كالأعشاب والأوراق والعيدان فيسمع لها خشخشة . (لجنة المجلة)

الأمر فقد ظفرت بهـا في موطنٍ جديد لا بأس بذكره ، في معجم الفيروزابادي من معاني باخ : سكن ، فيقولون باخت النار ، وباخ الغضب . جاء في شعر الشريف الرضى :

قد مضى الدهر وعفّى بعدكم لا الجوى باخ ولا الدمع رقا

فالشريف ، نضّر الله أعظمه ، استعمل هذه المادّة على معناها الحقيقي ، فالجوى : الهوى الباطن أو الحزن أو الوجد الشديد ، وكلّ هذه الأمور قد تسكن ، إلاّ أن العامّة في دمشق قد تصرّفت في هذه المادّة ، فنقلت معناها من وجهٍ حقيقي الى وجهٍ مجازي ، فنحن نقول : باخَ الثوبُ ، ونريد بذلك تغيّر لونه أو ذهب بريقه من وقع الشمس أو من الغسل وغير ذلك ، ثم توسعنا في باب المجاز فقلنا : نكتة بايخة ، أي باردة لا رونق لها .

ليست الغاية من بقايا الفصاح الإتيان على الألفاظ الفصيحة في لغة العامّة ، فأكثر ألفاظ العامّة فصيحة ، مثل الأكل والشرب والنوم واللبس ونظائرها ، وإنما الغاية من بقايا الفصاح ذكر طائفةٍ من الألفاظ نظنها عاميـة وهي فصيحة وردت في كلام المتقدمين ، إمّا على أصل معناها وإمّا على معنى معدّل ، من هذا النوع ألفاظ كثيرة تتصل بالعمران والأكل واللباس ونحو ذلك ، أو ألفاظ تتصل بمخاطبة الحيوانات مثل : هِش ، وزَعّرَ بالجحش تزعيراً إذا دعاه للسفاد فقال : إزعرّ إزعرّ !

فمن لغة الأكل : الناطف ، وهي أكلة شامية معروفة في أيّامنا ، فقد جاء في الأغاني في أخبار ابن هرمة ما يلي : واذا حيال الدكّان رجل بين يديه ناطف يبيعه في يوم شاتٍ ، شديد البرد ، ثم جاءت هذه المادة في شعر ابن هرمة نفسه :

لا تبتغي لبن البعير وعندنا ماء الزبيب وناطف المعصارِ

* * *

ولا بأس بأن ننتقل الآن من المواد المفردة الى بعض الجمل الفصيحة التي لا تزال شائعة على ألسن العامة على نحو ما شاعت في القديم ؛ فمن قولنا في دمشق حطّ عينه عليه ، والضمير في عليه إمّا أن يرجع الى شيء وإمّا أن يرجع الى شخص وغير ذلك ، ونحن نريد بقولنا : حطّ عينه عليه ، استحسنه وأراد الاستبداد به ؛ وقد ورد هذا التركيب نفسه في لغة المتقدمين على تعديل يسير ، فبدلاً من حطّ ، قالوا وضع ، فقد جاء في الأغاني في أخبار حمّاد عجرد ما يلي : كنت في مجلس فيه حمّاد عجرد ومعنا غلام أمرد فوضع حمّاد عينه عليه وعلى الموضع الذي ينام عليه . . . الى آخر الخبر . وقد نتصرف في استعمال هذا التركيب تصرفاً كثيراً فنقول في بعض مخاطباتنا : حطّ عينه على الوزارة أو على الرياسة أي أرادها وأخذ يسعى في سبيلها .

ومن الجمل الفصيحة قولنا : لا أخلّيه يمشي على الأرض . إنّا نقول مثل هذا القول إذا بلغ منا الغضب على فلان كلّ مبلغ حتى كأنّا عزمنا على قتله ، وقد جاء في السيرة لابن هشام في كلامه على إسلام عمر بن الخطّاب ، رضي الله عنه ما يلي : فقال له نعيم : والله لقد غرّتك نفسك يا عمر ! أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً ... فلم يتغير من قوّة هذا التركيب شيء في عصرنا ، فقد بقي على قوّته ، إلاّ أنّا استعملنا في لغتنا العامية : خلّى بدلاً من ترك ، وليس في هذا الاستعمال ما يضعف من قوة الكلام .

والجمل الفصيحة التي لا تزال تقع على ألسن العامّة في أيامنا كثيرة ولا بأس بذكر قليل منها في خاتمة هذا المقال .

إنّا نقول في بعض أحاديثنا : إنتظر حتى تهدأ الرِّجْل . ونحن نرمي في ذلك الى خفّة الازدحام أو الى خلوّ الطريق ، وقد نجد هذا التعبير نفسه في القديم ، فقد جاء في الأغاني في أخبار عدي بن زيد ما يلي :

وقال لعدي : ائتني الليلة إذا هدأت الرجل لتعلم حالي ... فلم يطرأ على هذا التعبير القديم طارىء .

كما اننا نقول في مخاطباتنا : كأني أحكي مع الحيطان ؛ وهو قول يدل على موت حسّ من تخاطبهم ، جاء في الأغاني في أخبار حنين الحيري : قال حنين خرجت الى حمص ألتمس الكسب بها وأرتاد من أستفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفتيان وأين يجتمعون ، فقيل لي : عليك بالحمّامات ، فانهم يجتمعون بها إذا أصبحوا ، فجئت الى أحدها فدخلته ، فاذا فيه جماعة منهم ، فأنست وانبسطت وأخبرتهم أني غريب ، ثم خرجوا وخرجت معهم ، فذهبوا الى منزل أحدهم ، فلما قعدنا أُتينا بالطعام فأكلنا وأُتينا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم في مغنٍّ يغنّيكم ، قالوا : ومن لنا بذلك ، قلت : أنا لكم به ، هاتوا عوداً ، فأُتيت به ، فابتدأت في هُنَيّات أبي عباد معبد ، فكأنما غنّيت للحطيان ، لا فكهوا لغنائي ، ولا سرّوا به .... فاذا جاوزنا ما يشتمل عليه هذا الخبر الظريف من إعلامنا بمجتمعات الناس في حمص أيّام حنين وهي الحمّامات ، فاننا نقف على هذا التعبير الطريف : فكأنّما غنّيت للحيطان ، وهل في اللغة تعبير أقوى من هذا التعبير في الدلالة على موت الحس والذوق ، ولم يفقد هذا التعبير شيئاً من قوته وطرافته في عصرنا هذا .

وأخيراً أيّ كناية أحلى من هذه الكناية : إغسل يديك منــــه ، نقولها كل يوم اذا قطعنا الأمل من أمرٍ من الأمور شغلنا به أذهاننا ، أو من رجل من الرجال صرفنا اليه آمالنا ، لقد عاشت هذه الكناية في لغتنا العامية ألف سنة ، فاننا نجدها في شعر أحمد بن علي القاساني في أخباره في معجم الأدباء :

اغسل يديك من الثقاتْ واصرمهم صرمَ البتاتْ

وهكذا نجد ان العامّة تميل في أحاديثها الى المجازات والكنايات وهي لا تشعر بأنها تستعمل لغة الشعراء في كلامها .

* * *

أكتفي في هذا المقال بما ذكرته من بقايا الفصاح ، وسواء أكانت هذه البقايا من المفردات أم كانت من الجمل إنا لا نشكّ في قوتهـا ، وسأعود الى هذا الموضوع حتى نرى كيف نقلب معاني المفردات في بعض الحالات من وجـه شريف الى وجهٍ دنيء كما فعلنا في نقل معاني العصابة والجرثومة .

شفيق جبري

أدب الفقهاء

-٣-

ولم أعرج على ذكر القضاة أمثال شريح ويحيى بن أكثم وأحمد بن أبي دؤاد ، فانهم بحكم منصبهم الكبير ومداخلتهم للخلفاء وتعلق آمال الناس بهم ومدح الشعراء لهم وقيامهم في المقامات المشهودة وتمكنهم من ناصية الكلام ، قد ارتفعوا عن مستوى الفقهاء الذين لا يُظَنّ بهم الأدب وينتقَد شعرهم بجافاته لأساليب العرب .. على أن تتبع ذلك يطول فلننتقل الى طبقة الفقهاء المتقدمين من أتباع المذاهب بعد ما ذكرنا من شعر فقهاء التابعين والأئمة المجتهدين . فمنهم :

أحمد بن المعذل

من فقهاء المالكية الكبار ، ولم يكن لمالك بالعراق أرفع منه ، كان يسمى الراهب لفقهه ونسكه ، وكان يُعدَلُ بأحمد بن حنبل ، وهو أخو عبد الصمد بن المعذل الشاعر المشهور وكان يسكن مع أخيه في دار واحدة . وكان عبد الصمد منهمكاً في الشراب ، فكان أحمد يبكر إلى صلاة الصبح وهو إمام المسجد ، فيمر بأخيه وهو سكران ، فيحركه ويقول : (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض) الآية . وتارة يقول (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا) الآية . فيقول عبد الصمد ويرفع رأسه (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية .

ومن شعره ما رواه المبرد قال : رأيت أحمد بعرفات مضحياً للشمس لا يستظل . فقلت ما هذا يا أبا الفضل ؟ فقال :

ضَحيتُ لكيما أستظل بظله إذا الظل أضحى في القيامة قالصا
فيا أسفي إن كان سعيك باطلا ويا حزنا إن كان أجرك ناقصا

قال في المدارك : وأنشد له الحضرمي :

أخو دنف رمته فأقصدته سهام من لحاظك لا تطيش
قواتل لا قداح سوى احورار بهن ولا سوى اللحظات ريش
أصبن سواد مهجته فأضحى سقيماً لا يموت ولا يعيش
كئيب إن تحمل عنه جيش من البلوى ألمّ به جيوش

وهذه الأبيات في رقتها وجزالتها لا تصدر إلا عن طبع مهذب وشعور عميق بالجمال ، وهو الجمال البشري المرموق المعشوق ، لا ما يرمز اليه الصوفية من جمال الحضرة العلية ، فان هذه النزعة لم تكن ظهرت في ذلك الوقت . وقد تستغرب من صاحب البيتين آنفي الذكر ، ولكن الأمر هو على ما يعهد في أصحاب النفوس ذات الحساسية البليغة ، من شدة التأثر بالمواقف العاطفية والمشاهد الوجدانية .

فشاعرنا الفقيه لما كان بعرفات متعرضاً لنفحاتها مستغرقاً في روحانية مشاعرها لم يملك إلا أن يكون كما رآه المبرد ويقول ما قاله من ذلك الشعر المطبوع بطابع الزهد والتقى . وفقيهنا الشاعر أمام العيون التي في طرفها حور لم يستطع أن يخفي انفعاله بسحرها ووقوعه في أسرها ، فقال تلك الأبيات الرائقة المعجبة التي لا تُؤتَى من ضعف في الشكل ولا في المضمون . إنها طبيعة واحدة فما يصدر عنها وإن اختلف في صورته لا يختلف في مادته ، والشعر ليس خاصاً بالكاس والطاس وما كان من ذلك بسبيل ، فرب أبيات في المطالب العالية للنفس أقرب الى الشاعرية من كثير من الشعر الذي يقوله أصحابه في الهوى والشباب مما يظن أنه مادة الشعر الأولى . على أنه لا بد من تدبير النفس بين نزَعاتها المختلفة والتنقل بها من حال الى حال :

ولله مني جانب لا أضيعه ... وللهو مني والبطالة جانب

وقال المبرد : ذكر الدولابي في كتاب نزهة الأسرار أن ابن المعذل قال له أهله حين ورد القاضي يحيى بن أكثم البصرة : لو أتيت يحيى فسألته ، وقد أصابهم ضر ، فلم يجبهم . ثم قال هذين البيتين :

تُكَلِّفُني اذلالَ نفسي لعزها ... وهان عليها أن أذل وتُكْرَما

تقول سل المعروف يحيى بن أكثمٍ ... فقلت سليه رب يحيى بن أكثما

هكذا جعل القاضي عياض في المدارك البيتين والحكاية ، لأحمد بن المعذل وجعلهما ابن خلكان في الوفيات لأخيه عبد الصمد وهما بحال صاحبنا أحمد أشبه .

القاضي عبد الوهاب

ومنهم القاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر ، من أعلام مذهب مالك من أهل بغداد ، ونبت به على عادة البلاد بذوي فضلها كما قال ابن بسام في الذخيرة فغادرها الى مصر ، وشيعه جمع من أهلها وطلبة العلم فيها متأسفين لرحيله عنها فقال لهم لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين في كل يوم ما عدلت عنكم فأطرقوا ولم يحيروا جواباً . وفي ذلك يقول :

سلام على بغداد في كل موطن ... وحُقَّ لها مني سلامٌ مضاعَف

فو الله ما فارقتها عن قِلىً لها ... واني بشطَّيْ جانبيها لعارف

ولكنها ضاقت علي بأسرها ... ولم تكن الأرزاق فيها تساعف

وكانت كخِل كنت أرجو دنوه ... وأخلاقه تنأى به وتخالف

وقال فيها لمّا ضاقت به الحال :

بغداد دار لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظلَلتُ حيرانَ أمشي في أزِقّتها ... كأنني مصحف في بيت زنديق

قالوا واجتاز أثناء رحيله الى مصر بمعرة النعمان وبها يومئذ أبو العلاء المعري فأضافه وقال فيه من أبيات :

والمالكي ابن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفرا
إذا تفقه أحيا مالكاً جدلاً وينشر الملك الضلّيل إن شعُرا

والملك الضليل هو امرؤ القيس . وكفى بها شهادة لشاعرية هذا الفقيه من أبي العلاء فيلسوف الشعراء ، وطاب له المقام بمصر ورغد عيشه ولكنه ما لبث أن اعتـــل ومات . وفي مرض موته قال الكلمة المأثورة : « لما عشنا متنا » وكانت وفاته عام ٤٢٢ .

ومن رقيق شعره في الغزل :

ونائمـــة قبلتهـــا فتنبهت فقالت تعالوا واطلبوا اللص بالحد
فقلت لها إني فديتك غاصب وما حكموا في غاصب بسوى الرد
خذيها وكُفّي عن أثيم ظُلامَةً وإن أنتِ لم ترضَيْ فألفاً على العد
فقالت قصاص يشهد العقل أنه على كبِد الجاني ألذّ من الشهد
فقالت ألم تُخبَر بأنك زاهد فقلت بلى . مازلتُ أزْهد في الزهد

ونشير إلى استغلال القاضي عبد الوهاب لمعلوماته الفقهية وتضمينها في هذه القطعة الشعرية بما زادها طرافة ولم يبعد بها عن صناعة الشعر ، كما ألمعنا لذلك فيما مضى ، ونظّرْنا له بأمثلةٍ من شعر المتنبي وغيره . والمسألة هنا تتعلق بالغصب وحكمُه أن الغاصب اذا رد الشيء بحاله فلا تَبِعة عليه . وذلك ما تضمنته الأبيات المذكورة مع غاية التفنّن .

وللقاضي عبد الوهاب أبيات في نقد المجتمع لم تزل على لسان كل واعظ ومصلح اجتماعي وهي قوله :

متى تصِلُ العطاشُ الى ارتواء اذا استقت البحارُ من الرّكايا
ومَن يـثْني الأصاغر عن مُراد وقد جلس الأكابرُ في الزوايا

وإن ترفّع الوضعاء يوماً على الرفعاء من احدى البلايا
إذا استوت الأسافل والأعالي فقد طابت منادمة المنايا

منصور الفقيه

ومنهم منصور بن اسماعيل عرف بالفقيه وهو من فقهاء الشافعية ، من شعره في مدح علم الفقه :

عاب التفقّهَ قومٌ لا عقول لهم وما عليه إذا عابوه من ضرر
ماضر شمس الضحى في الأفق طالعةً أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

قال ابن خلكان : ومن هنا أخذ أبو العلاء المعري قوله من قصيدته المشهورة :

والنجمُ تستصغر الأبصار رؤيته والذنب للعين لا للنجم في الصغر

فهذا فقيه شاعر يقتبس منه أحد فحول الشعراء ولا يقول في شعره مزرياً عليه أنه شعر فقيه :

وكان منصور ينحو في شعره منحى أخلاقياً وهو القائل في ذمّ الكذب :

لي حيلة فيمن ينمّ وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليله

ومن شعره في تزييف ادعاءات المنجمين :

ليس للنجم الى ضر ولا نفع سبيل
إنما النجم على الأوقات والسّمْتِ دليل

وله أيضاً :

إذا رأيتَ امرأً في حال عشرته بادي الصداقة ما في وده دَخَل
فلا تَمَنّ له حالاً يسر به فانه بانتقال الحال ينتقل

وكان منصور كفيفاً . وله تآليف في الفقه . وتوفي سنة ٣٠٦ بمصر .

الخطابي

أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البُستي عُرف بالنسبة الى جده ، الفقيه المحدث الأديب صاحب التصانيف البديعة منها غريب الحديث ومعالم السنن وكان شافعي المذهب ، من شعره هذان البيتان المشهوران :

وما غربة الإنسان في شقة الهوى ولكنها والله في عدم الشكل
وإني غريب بين بُستٍ وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وله أيضاً :

فسامح ولا تستوف حقك كله وأبق فلم يستقص قط كريم
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفيْ قصدِ الأمور ذميم

وليس أدل على شاعرية المرء من أن يسير كلامه بين الناس مسير المثل ويتقبلوه ويستشهدوا به في مثل المناسبة التي قيل فيها كالبيت الأول والثاني من هذين النموذجين من شعره ، وكلاهما مما ينبىء عن عارضــة قوية ولا يستطيع ناقد أن يلمزهما بعيب فني لأن قائلهما فقيه .

وله كذلك من هذا القبيل وارتكب فيه الجناس :

ما دُمتَ حياً فدارِ الناس كلّهم فإنما أنت في دار المُداراة
من يدرِ داري ومن لم يدرِ سوف يُرى عما قليل نديمـاً للندامات

توفي الخطابي ببلدة بست سنة ٣٨ .

المعافى بن زكرياء

كان قاضياً ببغداد وكان على مذهب الإمام ابن جرير الطبري ، ولذلك يقال له الجَريري ، روى عن جماعة من الأئمة منهم أبو القاسم البَغَوي وعنه القاضي أبو الطيب الطبري وغيره ، وكان مشاركاً في العلوم حتى

كان أبو محمد الباجي يقول : إذا حضر أبو الفرج وهي كنيته فقد حضرت العلوم كلها ، وكان ثقة مأموناً في روايته وله شعر حسن منه هذه الأبيات السائرة في ذي الحسد :

ألا قل لمن ظل لي حاسداً   أتدري على من أسأت الأدب ؟
أسأتَ على الله في حكمه   لأنك لم ترض لي ما وهب
فجازاك عني بأن زادني   وسد عليك طريق الطلب

وله كتاب الجليس والأنيس وتوفي بالنهروان سنة ٣٩٠ .

محمد بن داود الظاهري

يكنى أبا بكر ، وهو ولد الإمام صاحب مذهب الظاهر . وكان فقيهاً عالماً متمكناً من مادته مناظراً عن مذهب أبيه ، صنف في الانتصار له وفي أبواب الفقه والأحكام تصانيف جليلة . ولما توفي والده وجلس في حلقته استصغره الناس فسأله أحدهم عن حد السُكْر ومتى يكون الإنسان سكران ، فقال اذا عزَبتْ عنه الهموم ، وباح بسره المكتوم ، فاستُحسِن ذلك منه وعُرِفَ موضعه من العلم .

وصنف في عنفوان شبابه كتابه الذي سماه الزَّهْرة وهو مجموع أدب أتى فيه بكل غريبة ونادرة وشعر رائق . وقسمه الى مائة باب ضمن كل باب مائة بيت ، يذكر في خمسين منها جهات الهوى وأحكامه وتصاريفه وأحواله ، ويذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية . فهو من أعظم الكتب التي ألفت في الحب بالعربية وأقدمها ، ويحتوي بهذا الاعتبار على ١٠٠٠٠ بيت . وقد نشر منه النصف الأول باعتناء المستشرق الدكتور نيكل منذ أكثر من ثلاثين سنة . ولعله هو الذي فتح الباب لابن حزم في تأليفه لكتاب طوق الحمامة في الموضوع ، لا سيما وابن حزم كما هو معلوم على مذهب داود الظاهري والد مترجمنا ومن أكبر أئمته . .

ومن شعر محمد بن داود في الحب والغزل :

أنزّه في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال المحرما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو آنه يُصبُّ على الصخر الأصم تهدما
وينطق طرفي عن مترجم خاطري فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فما أن أرى حباً صحيحاً مسلما

وحكى ابن أبي الدنيا أنه حضر مجلس محمد بن داود فجاء رجل فوقف عليه ورفع له رقعة فأخذها وتأملها طويلا وظن تلامذته أنها مسألة ثم قلبها وكتب على ظهرها وردها الى صاحبها . فنظرنا فاذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور وإذا في الرقعة :

يابن داود يا فقيه العراق أفتنا في قواتل الأحداق
هل عليهن في الجراح قصاص أم مباح لها دم العشاق

وإذا الجواب قوله :

كيف يفتيكم قتيل صريع بسهام الفراق والاشتياق
وقتيل التلاق أحسن حالاً عند داود من قتيل الفراق

فالفقيه الذي يساجل ابن الرومي الشاعر المكثر المبدع لا يمكن أن يقدح في شاعريته أو ينازع في صنعة الشعر . بل ان الفقيه الذي كان أول من وضع مؤلفاً شعرياً خاصاً بالحب وشؤونه حري أن يكون حجة على كل من ينكر الشعر والأدب والفن على الفقهاء .

(يتبع) عبد الله كنون

صفحات من تاريخ الاستشراق

- ٢ -

كيف بدأ الاستشراق في ايطاليا وفرنسا

بداية الاستشراق في ايطاليا :

خلال القرن السادس عشر نشطت الدراسات الشرقية بعض النشاط في ايطاليا لأسباب خاصة بهذه البلاد ، فقد كانت القضية التي تستأثر باهتمام البابوية إذ ذاك هي مسألة توحيد الكنائس الشرقية والغربية . وكان لا بد من معرفة اللغة العربية وسائر اللغات الشرقية للاتصال بالكنائس واستمالتها . هكذا أمر البابا (يوليوس الثاني) في سنة ١٥١٤ بنشر الصلوات السبع بالعربية للأقباط اليعاقبة في مصر . وفي سنة ١٥١٦ نشر (جوستينياني) أسقف (نابيو) الزبور بأربع لغات ، منها العربية .

وكانت روما في ذلك الوقت محط أنظار الزوار من الشرق سواء رجال الدين المسيحي أو بعض الأمراء والرحالين والتجار المسلمين . وقد أرسل السلطان العثماني (بايزيد الثاني) وفدين إلى روما للمفاوضة بشأن أخيه (جم) الذي كان قد ثار مطالباً بالعرش ثم لجأ بعد اخفاقه إلى البابا . وفي سنة ١٥٢٠ اختطف القراصنة رجلاً من مراكش اسمه (حسن بن محمد) وسلموه إلى البابا (ليون العاشر) فتنصر الرجل على يدي البابا وأطلق عليه اسم (ليون الإفريقي) . وكان على علم بالجغرافية فألف في سنة ١٥٢٦ كتاباً

عن بلاد افريقيا اقتبس مواده من مشاهير الجغرافيين العرب مثل (البكري) و (المسعودي) و (الإدريسي) ، وأضاف إلى ذلك وصف رحلاته ومشاهداته الشخصية .

الطباعة العربية :

من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم الدراسات الشرقية في أوربة في القرن السادس عشر تأسيس الطباعة العربية . ويرجع الفضل في ذلك إلى الكاردينال (فرديناندو دي مديتشي) (F. di Medici) الذي أسس حوالي سنة ١٥٨٠ مطبعة عربية في (طوسقانا) . وكان الدافع إلى ذلك رغبة البابا (غريغوريوس) الثامن في الدعاية إلى توحيد الكنائس . ولهذه الغاية قام أيضاً بتأسيس مدرستين في روما ، احداهما للمارونيين والثانية للأرمن . فكان لا بد من طبع النصوص العربية اللازمة للدراسة والبحث . وقد تولى ادارة المطبعة شاب طلياني اسمه (جوفاني باتيستا رايموندي) ، كان قد أقام مدة طويلة في الشرق ، وتعلم اللغة العربية ، وأتقن كتابة الخط العربي ، وبذلك استطاع أن يصنع حروفاً جميلة من السهل قراءتها . وبدأ سنة ١٥٨٦ في طبع كتابي ابن سينا : (القانون) و (النجاة) معاً ، وبسبب ضخامة المجلد لم ينته الطبع إلا في سنة ١٥٩٣ . وكان قد طبع أثناء ذلك الأناجيل (في سنة ١٥٩٠) و (الكافية) لابن الحاجب و (الأجرومية) لابن آجروم ، ثم بعض الأجزاء من كتاب (نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق) للادريسي . وكانت المطبعة قد نالت في سنة ١٥٨٨ امتيازاً من السلطان العثماني (مراد الثالث) يسمح لها بتوزيع وبيع ترجمة (الطوسي) لمباديء (اقليدس) في أنحاء المملكة العثمانية كلها . ولكن طبع هذا الكتاب لم يتم إلا في سنة ١٥٩٤ .

ثم توقفت المطبعة عن العمل مدة من الزمن . ولعل السبب في ذلك هو أن مطبوعاتها لم تلق في بلاد الشرق ما كان منتظراً لها من رواج . فقد كانت الأغلاط المطبعية كثيرة يلاحظها القارىء منذ صفحة الغلاف في كتابي (القانون) و (مبادىء اقليدس) ، عدا أن الجمهور في الشرق كان يقابل كل ما هو غربي بمنتهى الحذر والريبة . ولم تستأنف المطبعة نشاطها إلا بعد أن اعتلى كرسي البابوية (بولس الخامس) [١٦٠٥ — ١٦٢١] ورصد الأموال اللازمة لنشر الكتب الشرقية . وبعد موت (رايموندي) في سنة ١٦١٤ تابع تقاليده تلميذه (ستيفانوس بولينوس) الذي استعان به السفير الفرنسي (فرانسوا سافاري دو بريف F. S. de Brèves) لتأسيس مطبعة عربية أخرى في روما .

وكان (دو بريف) قبل ذلك سفيراً لبلاده في استانبول ، فظل يتبع سياسة فرنسا التقليدية في الشرق ويؤيد جهود الكنيسة الكاثوليكية في سبيل الاتحاد . وقد طبع على نفقته الخاصة كتاب الصلوات للكاردينال (بلارمين) الذي ترجمه إلى العربية اثنان من الموارنة كانا يعلمان اللغة العربية في روما . ولما عاد (دوبريف) إلى بلاده سنة ١٦١٥ اصطحب معه (بولينوس) وحمل حروفه العربية إلى باريس ، حيث أسس « مطبعة اللغات الشرقية » .

وسرعان ما نشأت مطابع أخرى في البلاد الأوربية ولا سيما في هولندة من قبل المستشرق (رافلنجيوس Raphelengius) ، وفي المانيا من قبل الطبيب (كورستن Kursten) الذي كان قد تعلم العربية ليستطيع دراسة كتب (ابن سينا) وغيره من الأطباء والفلاسفة العرب في لغتها الأصلية . على أن (كورستن) لم يجد من يشجعه من حكام بلاده فحمل مطبعته وذهب إلي السويد ...

الرحلات إلى الشرق :

من العوامل التي دفعت الأوربيين إلى الاهتمام بالدراسات الشرقية كتب المغامرات التي نشرها بعض الرحالين في القرن السادس عشر يصفون فيها بلاد الشرق وعجائبها وعادات أهلها وقصور حكامها وخيراتها ، ويتكلمون فيها عن أهمية العلاقات السياسية والاقتصادية مع هذه البلاد .

وكانت الوفود التي تبادلها ملوك أوربا مع السلاطين العثمانيين وملوك الفرس والمغول ثم البعثات التبشيرية إلى الهند والصين قد مهدت الطريق أمام الرحالة المغامرين .

فإنه بينما كان (فرانسوا الأول) يرسل الوفود إلى تركيا لمحالفة السلطان (سليمان القانوني) ، أخذ (شارلكن) يتبادل الرسائل مع الشاه اسماعيل لمحالفته ضد الأتراك ، ومن المعروف أن الحروب كانت قد احتدمت منذ عهد السلطان (سليم الأول) بين الفرس والعثمانيين بسبب الاختلاف المذهبي .

سافر الرحالة الطلياني (لودوفيقو فارتيما) (Lodovico Varthema) في سنة ١٥٠٣ من البندقية إلى مصر ومنها انتقل إلى دمشق حيث تعلم اللغة العربية ، ثم انضم وهو في زي المسلمين إلى قافلة الحجاج ، فكان أول أوربي زار مكة . وانتقل بعد ذلك إلى اليمن ومنها إلى فارس ثم إلى الهند . وقد أراد بعض الأمراء المسلمين هناك الاستفادة من مهارة (فارتيما) في الشؤون العسكرية ، وطلبوا منه مساعدتهم على صنع المدافع لمحاربة البرتغاليين ولكنه هرب إلى البرتغاليين وأخبرهم بأن ضميره لم يسمح له بتأييد المسلمين على المسيحيين .

وهناك مغامر آخر طلياني اسمه (بترو دلا" فلّي Pietro della Valle) سافر في سنة ١٦١٤ من البندقية إلى استانبول حيث تعلم اللغة التركية .

وهو يشير إلى أنه لم يكن ليستطيع تعلم هذه اللغة في ايطاليا خلافاً للغـة العربيه التي كان كثير من الأساتذة الماهرين يقومون بتعليمها هناك ؛ ثم سافر إلى مصر فسورية ، وزار القدس ، وانتقل بعد ذلك إلى العراق ففارس . وقد نال مكانة عالية في بلاط الشاه عباس الكبير ، واشترك مع الفرس في محاربة الأتراك ، كما سعى إلى عقد تحالف بين الفرس والقوزاق الروس ضد الدولة العثمانية ، وفي الأخير رحل إلى الهند . وقد وصف مشاهداته وانطباعاته في مجموعة من الرسائل ، كما ألف كتاباً تاريخياً عن الشاه عباس . ولم ينشر في حياته سوى رسائله . وهذه الرسائل لا تقتصر على وصف البلاد وأهلها ، بل تبحث أيضاً في المسائل السياسية ولا سيما حروب الشاه الذي كان يساعده الانكليز على مقاومة البرتغاليين .

وكان (دِلاّ فَلّي) أول أوربي وصف أطلال (بابل) و (برسبوليس) ، كما أنه نقل الى اوربة كثيراً من المخطوطات الشرقية وصوراً عن النقوش والكتابات الأثرية .

وقد أخذ الانكليز أيضاً يشتركون في استكشاف بلاد الشرق ودراسة أحوالها بعد تطور الملاحة لديهم في القرن السادس عشر .

ومن أشهر الرحالة الانكليز الى الشرق الأخوة الثلاثة (توماس وآنطوني وروبرت شيرلي (Sherley) . وقد سافر (آنطوني) و (روبرت) في سنة ١٥٩٨ الى ايران وبرزا في بلاط الشاه (عباس) ؛ وكان لهما نفوذ كبير في المملكة لمهارتهما في الفنون العسكرية . وقد قاما بتنظيم الجيش الفارسي على أسس جديدة ، فكان ذلك من أسباب انتصار الفرس على الأتراك في حروبهم التالية . ثم عهد الشاه الى (آنطوني) برئاسة وفد أرسله الى البلاد الأوربية لعقد محالفات ضد الدولة العثمانية ولكنه أخفق في مهمته . ويبدو أن (روبرت) قد زوج بنت أخيه من الشاه وأرسل

أيضاً بمهمة رسمية الى أوربة . أما الأخ الثالث (توماس) فقد سافر الى تركية وحاول كذلك أن يلعب دوراً سياسياً هناك ، ولكن اسم أسرته كانت له سمعة سيئة في استانبول بسبب مؤامرات أخويه في فارس ضد الدولة العثمانية فقبض عليه وألقي في السجن ولم يخرج منه إلا بعد ثلاث سنوات بجهود السفير الانكليزي . وقد نشرت مغامرات الأخوة الثلاثة في كتاب واحد في لندن سنة ١٦٠٧ .

وفي القرن السابع عشر زار بلاد الشرق كثير من الرحالة الفرنسيين . وكان مرشد هؤلاء الرحالة وشيخهم هو الأب رافائيل دومان (R. du Mans) الذي سافر في سنة ١٦٤٤ من حلب الى بغداد وانتقل بعد سنتين الى فارس ، حيث بقي حتى موته في سنة ١٦٩٦ . وقد كان له تأثير كبير في بلاط الشاه (عباس الثاني) ، لأنه خدم الحكومة الفارسية ترجماناً وخدمها بمعلوماته الرياضية والفلكية . وقد نشر المستشرق (شيفر Schefer) تقريراً كان قد كتبه الأب (دومان) عن (حالة فارس في سنة ١٦٦٠) وأرسله الى الوزير (قولبير) يتضمن معلومات دقيقة عن البلاد والشعب والحكومة .

وخلافاً للرحالين السابقين الذين كانوا يظهرون إعجابهم بالشرق فإن الأب (دومان) كان يحتقر الشرقيين . واذا رأيناه يفضل الفرس على غيرهم فذلك لأنهم ، حسب تعبيره ، « كالأعور بين العميان » . ونستطيع القول بأن الباحثين الأوربيين أخذوا ، منذ القرن السابع عشر ، يشاطرون الأب (دومان) رأيه هذا . فقد بدأ يتجلى في هذا العهد تفوق الحضارة الأوربية الحديثة وصار الناس يتساءلون عن أسباب تأخر الشرق .

وقد حاول الإجابة عن هذا السؤال رحالة فرنسي آخر هو (فرانسوا برنييه F. Bernier) الذي زار سورية وعاش أكثر من سنة في القاهرة حيث تعلم العربية ، ثم ذهب حوالي سنة (١٦٦٠) الى الهند ، وأقام هناك (١٢)

عاماً ، فتجول في أنحائها ، ووصف رحلته في قالب رسائل ، وقدم تقريراً خاصاً إلى الوزير (فولبير) عن حالة البلاد وعن شخصية (المغول الكبير) ووارداته ، كما تكلم على انحطاط البـــلاد الشرقية عامة ، وعزا ذلك في الدرجة الأولى إلى فقدان الملكية الخاصة للأراضي سواء في الهند أو مصر وسائر بلاد الشرق الأدنى .

والى جانب أمثال هؤلاء الرحالين الذين تختلط لديهم الدوافع والأغراض المتنوعه من حب للمغامرة وميل إلى التبشير الديني وطمع في الربح المادي ونزعة إلى التجسس وطموح سياسي ، أخذ يبرز ، منذ أواخر القرن الثامن عشر ، رحالون آخرون قصدوا الشرق قبل كل شيء رغبة في الاطلاع وسعياً وراء غايات علمية . نذكر بين هؤلاء الرحالة الفرنسي (آنكتيل ـ دوبرون Anquetil — Duperron) [١٧٣١ — ١٨٠٥] الذي درس اللغات الشرقية في باريس ودخل سنة ١٧٥٤ في خدمة الشركة الفرنسية للهند الشرقيـــة كجندي عادي . ولكن الملك (لويس الخامس عشر) ، لما علم بشأنه ، أمر بتخصيص راتب سنوي له ، كما أن الشركة أيضاً زادت مرتبه وساعدته على التجول في أنحاء البلاد . وقد انصرف همه إلى البحث في مخطوطات الكتب الدينية الشرقية . فلما عاد إلى فرنسة سنة ١٧٧١ نشر ترجمة كتاب (زند ـ آفستا) المنسوب إلى (زرادشت) ، وكان هذا الكشف مرحلة هامة في تاريخ الدراسات الشرقية ..

ورحالة فرنسي هام آخر هو العالم (فرانسوا فولني F. Volney) الذي ولد سنة ١٧٥٧ ونال ثقافة عالية وقرر أن ينفق الثروة التي ورثها في الرحلات إلى الشرق . وبعد أن درس المؤلفات التي تبحث في الشرق سافر إلى مصر ، فسورية حيث قضى مدة ثلاث سنوات (١٧٨٣ — ١٧٨٦) ،

منها ثمانية أشهر في أحد الأديرة في جبل الدروز ، لاتقان اللغة العربية . وكتابه المشهور (الرحلة إلى سورية) لا يتضمن ما اعترضه أثناء تنقلاته من حوادث ، بل يقتصر على وصف البلاد وطريقة معيشة سكانها وعلى بيان الأسباب التي أدت إلى تأخر مصر وسورية الاقتصادي تحت حكم الأتراك . وهو يعارض الآراء التي كانت تقول بحدوث تبدل في إقليم البلاد الشرقية ولا يسلم بأن حرارة الجو تضعف مقدرة السكان على الإنتاج إذ يشير إلى أن الأحوال الطبيعية في مصر لا تختلف اليوم عمـــا كانت عليه في عهد ازدهار الحضارة المصرية القديمة . وقد ذهب (فولني) نفسه إلى أن تأخر الشرق يرجع إلى فساد الإدارة الحكومية والى تأثير العقائد الدينية . وقال إن من الوسائل التي يمكن أن تساعد على رفع المستوى الاقتصادي حفر قناة في برزخ السويس ، إلا أنه كان يعتقد بصعوبة تحقيق هذا المشروع .

وقد استمرت الرحلات إلى الشرق وبلاد العرب منذ القرن الثامن عشر حتى الوقت الحاضر ؛ ولكنها لم تكن دوماً لغايات علمية ، بل كثيراً ما كان يقصد بها التبشير الديني أو التجسس والتآمر السياسي . ويكفي أن نذكر اسماء (بورتن Burton) و (دوتي Doughty) و (فون اوبنهايم M. Von Oppenheim) و (لورانس Lawrence) و (فلبي Philby) لنتأكد من أن الاستشراق لا يكتفي بالدراسة العلمية ، بل يهدف أيضاً الى أغراض استعمارية : سياسية واقتصادية ودينية ...

بداية الاستشراق في فرنسة :

في القرن السادس عشر ازدادت العلاقات السياسية بين الدول الأوربية المسيحية والدولة العثمانية . فقد اتسعت ممتلكات الدولة في زمن السلطان

سليم الأول (١٥١٢ ــ ١٥٢٠) الذي استولى على الشام ومصر ؛ ثم في زمن السلطان سليمان القانوني الذي تقدم في المجر والنمسا .

وانتهز (فرانسوا الأول) ، ملك فرنسا ، الفرصة للتحالف مع السلطان سليمان القانوني والاستنجاد به ضد خصمه (شارلكن) . وبدأت الوفود تتعاقب الى استانبول ومنح السلطان رعايا فرنسة الامتيازات الأجنبية المشهورة التي تخولهم الإقامة في بلاده ومزاولة التجارة ، وتعطي القناصل حق الفصل في القضايا المتعلقة بهم .

هكذا كانت هناك حاجة عملية لتعلم اللغات الشرقية .

وقد أوفد (فرانسوا الأول) عدداً من رجال العلم الى استانبول مع سفرائه للاطلاع على أحوال الشرق وإتقان الحادثة بلغاته وشراء المخطوطات الضرورية للدراسة . وكان بين هؤلاء الموفدين (غيليوم بوستل Guillaume Postel) ، الذي كان أول من قام بتدريس اللغة العربية في جامعة (باريس) .

وبين تلاميذ (بوستل) الذين تعلموا العربية نال (جوزيف سكاليجر J. Scaliger) [١٥٤٠ – ١٦٠٩] شهرة واسعة لا كاختصاصي في اللغة اليونانية فحسب ، بل كمستشرق أيضاً . وكان أبوه طبيباً طليانياً في الأصل ولكنه ولد هو وعاش في فرنسة واعتنق البروتستانتية وتولى التدريس في انكلترة وايطالية وهولندة حيث مات .

وقد أدرك أن أستاذه لم يكن يتقن حقاً كل اللغات التي ادعى معرفتها . وهو قد خالفه في مسائل كثيرة ، منها العلاقة بين العربية والعبرية ؛ إنه لم تخف عليه القرابة بين اللغتين ولم ينكر أن من يعرف العبرية يسهل عليه البدء في تعلم العربية ولكنه رأى أن التعمق في العربية يحتاج الى وسائل أخرى . كذلك لم يكن يشارك (بوستل) في ايمانه الخيالي بحكمة الشرق

السحرية . فكان يذهب الى أن الحكمة لم تنحصر كلها عند الكلدانيين وفي الشرق ، وأن البشر في الغرب والشمال أيضاً هم كائنات تتصف بالعقل والحكمة . وقبل كل شيء كان (سكاليجر) بعيداً كل البعد عن اندفاع أستاذه في طريق التبشير ولم يخطر على باله أبداً أن يستثمر معلوماته اللغوية في خدمة الديانة المسيحية . إنه كان يسعى الى معرفة حقائق التاريخ

وقد انصرف في أحد كتبه الى جمع كل ما أمكنه الحصول عليه من أنواع « التقويم » في جميع البلدان ومن جميع العصور ، ثم رتبهـا ووصفها وقارنها بالتقويم الجولياني وشرح كيف يمكن حساب الاختلافات بينها . وكان هذا الموضوع حديث الساعة إذ ذاك بمناسبة الإصلاح (الغريغوري) للتقويم .

وقد قام (سكاليجر) بمراسلة (أغناطيوس) ، بطريرك أنطاكية اليعقوبي الذي جاء الى رومة في أواخر سنة ١٥٧٧ للقيام بمفاوضات الاتحاد والذي عرف بعنايته بمسائل التقويم الزمني . وهو يذكر في كتابه أجوبة البطريرك على أسئلته بنصها العربي . ثم اتصل (سكاليجر) بالسامريين في مصر وفلسطين ، فأرسلوا اليه من مصر تقويم سنة ١٥٨٤ مكتوباً بحروف سامرية . كذلك حصل بواسطة تاجر طلياني على تقويم الكنيسة الحبشية لسنة (١٥٧٨) نقله راهب حبشي بحروف عربية مع ملاحظات حول كل من التقويم القبطي والانطاكي والحبشي .

على أن الرأي العام في فرنسة قد اتجه في القرنين السادس عشر والسابع عشر بكل حماسة الى أخبار الصين وحضارتها أكثر من غيرها من بلاد الشرق . وكان المبشرون قد تسللوا الى تلك البلاد وأخذوا ينشرون

الكتب عنها . في هذه الفترة لا نجد إلا القلائل من المستشرقين الذين انقطعوا إلى دراسة العربية والشؤون الإسلامية .

ولم تنشط هذه الدراسات إلا في عهد الوزير (قولبير) الذي اهتم بالشرق الأدنى وقام في سنة ١٦٩٩ بتأليف بعثة باسم « شباب اللغات » تدرس اللغة العربيـــة في باريس على نفقة الملك ثم ترسل الى استانبول لإتمام الدراسة ، وبعد ذلك يلحق أفرادها بالسلك السيامي . وقد تكرر تأليف مثل هذه البعثة في سنة ١٧١٨ ثم في سنة ١٧٢١ .

وهكذا فقد اتسم الاستشراق في فرنسة منذ بداية الأمر بالنزعة الدينية ـ التبشيرية والصبغة الاقتصادية ـ السياسية معاً .

(للبحث صلة) محمد كامل عياد

الاصطلاحات الفلسفية

-٢٢-

الخطيئة

في اللاتينية	Peccatum
في الفرنسية	Péché
في الانكليزية	Sin

الخطيئة الذنب ، وقيل المتعمد منه وجمعها خطايا ، وفي الاصطلاح التهاون بشريعة الله ، أي ارتكاب ما نهى الله عنه ، والامتناع عما أمر به . وكل اثم خطيئة . ويشترط في مخالفة الأوامر والنواهي أن يكون الفعل متعمداً .

وعلماء اللاهوت يردون أصل الخطيئة الى ارتكاب أبينا آدم مانهى الله عنه ، وليس أحد من البشر في نظرهم مجرداً من الخطيئة . وتسمّى خطيئة آدم بالخطيئة الأصلية (Peccatum originans) وخطيئة بنيه من بعده (Peccatum originatum) ، وهي حالة للانسان لازمة عن الخطيئة الأولى .

وللخطيئة أنواع : خطيئة للموت ، وخطيئة ليست للموت ، وخطيئة تُغفر ، وخطيئة لا تغفر ، ومتى نزع الانسان روح الله من قلبه ، ابتعد عن كل شفاعة .

والفرق بين الخطيئة اللاهوتية والخطيئة الفلسفية ان الأولى تقوم على مخالفة شريعة الله ، على حين أن الثانية تقوم على مخالفة أحكام العقل ، (راجع : الخطأ) .

الخفيّ

في اللاتينية	Occultas
في الفرنسية	Occulte
في الانكليزية	Occult

الخفي هو المستتر، أي ما خفي المراد منه. ويرادفه السرّي والباطني، مثل قولنا: لهذا الشيء تأثير خفي.

ويطلق الخفي على كل ما نجهل أسبابه، أو على كل كيفية لا يتمثلها العقل تمثلاً واضحاً لعجزه عن إرجاعها الى غيرها. قال (شوبنهاور)، كل قوة طبيعية حقيقيـــة فهي كيفية خفية (Qualité occulte) تعلل بالأسباب الإلهية لا بالأسباب الفلسفية.

ويطلق الخفي أيضاً على القوى المادية أو الروحية التي يجهل العلماء أسبابها، أو على طرق البحث في هذه القوى، أو على الأساليب المستعملة في إظهارها. فبينما نحن نجد العلماء يقيدون أنفسهم بطرق البحث الموضوعي نجد الباحثين في هذه القوى الخفية يحتقرون الطرق الموضوعية ويجاوزونها. انهم يشفقون من دأب العلماء في البحث، ودبيب عقولهم على الأرض، ويريدون أن يحلقوا في الفضاء، حتى يحيطوا بكل ما كان، وبكل ما يكون.

والعلوم الخفية (Sciences occultes) هي السحر، والتنجيم، وعلم الكيمياء القديم، والعلوم الروحانية (Spiritisme) وغيرها.

الخلاء

في اللاتينية	Vacuus
في الفرنسية	Vide
في الانكليزية	Voide, Emptiness .

خلا المكان يخلو خلواً وخلاء إذا لم يكن فيه أحد ولا شيء فيه ، تقول خلت الدار خلاء إذا لم يبق فيها أحد ، وخلا لك الشيء وأخلى بمعنى فرغ ، ومنه الإناء الخالي من الماء ، والحجرة الخالية من التلاميذ .

والخلاء عند الفلاسفة خلو المكان من كل مادة جسمانية تشغله ، فاذا قلت مع (ديكارت) مثلاً : إن المادة امتداد لزمك القول ان الخلاء المطلق متناقض ومحال .

ويطلق الخلاء عند بعضهم على الامتداد الموهوم المفروض في الجسم أو في نفسه ، الصالح لأن يشغله الجسم ، ويسمى أيضاً بالمكان ، والبعد الموهوم ، والفراغ الموهوم ، وحاصله البعد الموهوم الخالي من الشاغل .

ويطلق الخلاء أيضاً على خلو المكان من مادة معينة توجد فيه بالطبع كخلاء (البارومتر) ، وعلى الخلو من الفكر : كخلو الجملة من المعنى ، وخلو الشعر من الخيال .

ويرى بعض الحكماء أن الخلاء هو البعد المجرد القائم بنفسه سواء كان مشغولاً بجسم أو لم يكن ، ويسمّى عندهم بعداً مفطوراً وفراغاً مفطوراً . وما يسميه أفلاطون بعداً مفطوراً يسميه المتكلمون فضاء موهوماً ، وهو الفضاء الذي يثبته الوهم كالفضاء المشغول بالماء أو الهواء داخل الإناء . فهذا الفضاء الفارغ هو الذي من شأنه أن يحصل فيه الجسم ، وأن يكون

ظرفاً له ، وبهذا الاعتبار يكون حيزاً للجسم ، وباعتبار فراغه عن شغل الجسم إياه يكون خلاء . فالخلاء عند المتكلمين هو هذا الفراغ الذي لا يشغله جسم من الأجسام ، وهو غير موجود في الخارج بالفعل ، بل هو أمر موهوم .

ومن الحكماء من لم يجوز خلو البعد الموجود من جسم شاغل له ، مثل (آرسطو) الذي قال : إن الطبيعة ترهب الخلاء ، ومنهم من جوزه . وهؤلاء المجوزون وافقوا المتكلمين في جواز المكان الخالي من الشاغل وخالفوهم في أن ذلك المكان بعد موهوم .

الخُلف

في اللاتينية	Absurtdus
في الفرنسية	Absurde
في الانـكليزية	Absrud

الخُلف بالضم خلاف المفروض ، وهو في اصطلاحنا المحال الذي ينافي المنطـق ويخالف المعقول . ويرادفه المتناقض والممتنع والباطل (راجع هذه الألفاظ) .

والخُلف هو القياس الاستثنائي الذي يقصد فيه إثبات المطلوب بإبطال نقيضه ، ويقابله القياس المستقيم . (راجع كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ، الجزء الأول ص ٤٨٢) . ونحن نطلق قياس الخلف على القيـاس الذي يقصد فيه البرهان على صدق القضية أو كذبها بإبطال إحدى النتائج اللازمة عنها ، وله وجهان : أحدهما دليل الخلف ، وهو إثبات القضية بإبطال إحدى النتائج اللازمة عن نقيضها ، والثاني الرجوع ، وهو إبطال القضية باستخراج مايلزم عنها من نتائج كاذبة أو مخالفة المطلوب .

وقد سمي الخلف خلفاً لأن المتمسك به يثبت مطلوبه بابطال نقيضه ، فكأنه يأتي مطلوبه من خلفه أي من ورائه ، وقيل أيضاً سمي خلفاً أي باطلا لأنه ينتج الباطل .

الخُلُق

في الفرنسية Caractère

في الانكليزية Character, Temper

الخلق في اللغة السجية ، والطبع ، والعادة ، والمروءة ، والدين . وهو في اصطلاحنا حال للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية . وعلى ذلك فغير الراسخ من أحوال النفس لا يكون خلقاً . مثال ذلك أن من يبذل المال في أحوال عارضة لا يقال إن خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه .

وفرقوا بين الخلق والفعل فقالوا قد يكون خلق الإنسان السخاء ولا يبذل المال إما لفقده أو لمانع آخر . وقد يكون خلقه البخل وهو يبذل المال لباعث أو رياء .

وينقسم الخلق الى فضيلة ورذيلة ، أما الفضيلة فهي كما قال (آرسطو) وسط بين الإفراط والتفريط ، فإذا اعتبرنا النفس الإنسانية مؤلفة من ثلاث قوى : العقلية ، والشهوانية ، والغضبية ، كانت الفضائل الأساسية ثلاثاً : الحكمة ، والعفة ، والشجاعة ، لأن الحكمة وسط بين الجربذة والبلاهة ، والعفة وسط بين الفجور والجمود ، والشجاعه وسط بين التهور والجبن . وإذا اجتمعت هذه الفضائل الثلاث في نفس واحدة حصلت من اجتماعها فضيلة العدالة .

والخلق قد يكون حالاً للفرد أو حالاً للجماعة ، ويجمع على أخلاق ، فتقول أخلاق زيد أو عمر ، وأخلاق العرب أو أخلاق الفرس .

والخلق الكريم في فلسفة الأخلاق هو أن يملك الإنسان نفسه ، وأن يكون سلوكه ثابتاً ومتماسكاً ، وأن يتصف بالعزم .

والخلق العظيم عند السالكين هو الإقبال على الله تعالى ، وقيل أيضاً هو أن لا يخاصم المرء ولا يخاصم وأن يكون متجلداً في الشدائد والمحن . وفسروا قوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » بأن الخلق هنا هو العمل بالقرآن من غير تكلف ، فإذا وصل الإنسان من قطعه وعفّ عمن ظلمه ، وأحسن إلى من أساء إليه ، كان على خلق عظيم .

وعلم الأخلاق هو علم السلوك . وهو من أقسام الحكمة العملية ، ويسمى أيضاً تهذيب الأخلاق ، والحكمة الخلقية .

الخَلْق

في اللاتينية Creatio

في الفرنسية Création

في الانكليزية Creation

خلق الله العالم صنعه وأبدعه ، ويقال خلق فلان الشي أبدعه ، وخلق القول افتراه . وفي القرآن الكريم : « إنما تعبدون من دون الله أوثاناً وتخلقون إفكاً » . والخلق أيضاً التقدير بمعنى المساواة بين الشيئين ، يقال خلقت النعل إذا قدرته ، فأطلق على إيجاد شيء على مقدار شيء سبق له الوجود .

والخلق أيضاً المخلوق ، ويطلق على الجمع ، ومنه الخليقة أي الجماعة من المخلوقات . تقول : إن الإنسان سيد الخليقة .

والخلق هو الإيجاد ، وقد يكون من مواد مخصوصة ، وصور وأشكال معينة ، كخلق الأشياء الصناعية ، وقد يكون مجرد إيجاد من غير نظر إلى وجه الاشتقاق . وليس الخلق الذي هو إيجـاد الشيء من لا شيء إلا لله تعالى . وقد يطلق عليه اسم الإبداع .

وجملة القول أن للخلق معنيين : الأول هو إحداث شيء جديد من مواد موجودة سابقاً ، كخلق الأثر الفني أو خلق الصور الخيالية ، والثاني هو الخلق المطلق وهو صفة لله تعـالى ، لأنه جل جلاله موجد ومبق ، وابقاؤه مساو لإيجاده ، يحدث العـالم بإرادته ويبقيه بإرادته ، ولو لم يرد بقاءه لبطل وجوده . فإذا كان العـالم باقياً فمرد ذلك إلى أن الله يديم وجوده . هذا ما يسميه ديكارت بالخلق الدائم ، أو الإبداع الدائم (راجع لفظ الإبداع) .

الخلود

في اللاتينية	Immortalitas
في الفرنسية	Immortalité
في الانكليزية	Immortality

الخلود هو الدوام والبقاء ، تقول خلد في النعيم دام وبقي ، ومنه خلود النفس ، أي بقاؤها بعد الموت ، ودار الخلود الجنة .

ومعنى خلود النفس بقاؤها بعد البدن بقاء غير محدود محتفظة بالصفات المقوّمة لذاتها الفردية . والقول بخلود النفس الفردية مذهب أصحاب الديانات السماوية ومذهب الفلاسفة الروحانيين . إلا أن بعض الفلاسفة العقليين يذهبون إلى أن الخلود كلي لا فردي . ومعنى ذلك أنه لا بقـاء بعد الموت إلا للجوهر العاقل ، وهو واحد وكلي . أما النفس الفرديّة فإنهـا إذا فارقت

البدن انضمت إلى هذا الجوهر الكلي واتحدت به . وقريب من ذلك أيضاً مذهب القائلين ان البقاء للانسانية لا للأفراد (أوغوست كونت) . والقول بخلود النفس عند (كانت) موضوعة من موضوعات العقل العملي ، وهي القول إن الموجود المتناهي يستطيع أن يحقق الكمال الخلقي ، وأن يرتقي ارتقاء غير محدود حتى يبلغ درجة القداسة .

وقد فرق (غوبلو) بين خلود النفس والحياة الثانية ، فقال : إن الحياة الثانية ذات ديمومة تبتديء عند انفصال النفس عن البدن ، على حين أن خلود النفس حياة مستقلة عن الزمان ، ليس لها قبل ولا بعد .

ونحن نرى أن معنى الخلود المستقل عن الزمان لا يختلف عن معنى الأبدية . والأفضل أن لا يفصل الخلود عن معنى الزمان ، وأن يكون معناه ومعنى الأبدية متميزين .

الخيال

في اللاتينية	Imago , Imaginis
في الفرنسية	Image
في الانكليزية	Image

الخيال الشخص ، والطيف ، وصورة تمثال الشيء في المرآة ، وما تشبه لك في اليقظة والمنام من صور .

والخيال أيضاً الظن والتوهم . وهو يدل في اصطلاحنا على الصورة الباقية في النفس بعد غيبة المحسوس عنها .

فإما أن تكون هذه الصورة تمثيلاً مادياً لشيء خارجي مدرك بحاسة البصر ، كارتسام خيال الشيء في المرآة ، أو تمثيله بخطوط بيانية .

وإما أن تكون تمثلاً ذهنياً لشيء مدرك بحاسة البصر أو غيرها من الحواس .

ومن عادة علماء النفس أن يجعلوا هذا التمثيل الحسي مضاداً للتمثل العقلي ، إلا أن الفلاسفة الحسيّين لا يرون ذلك ، بل يذهبون إلى أن التمثّل العقلي متولد من التمثيل الحسّي .

ونحن نطلق اليوم لفظ الخيال على الصور البصرية ، والسمعية ، والشمية واللمسية ، والذوقية ، والحركية وغيرها . ونطلق لفظ الصورة التالية (Image Consécutive) على الصورة التي تتلو الإحساس وتعقبه مباشرة . مثال ذلك إذا حدقت إلى شيء خارجي ثم أغمضت عيني رأيت صورة ذلك الشيء في الظلام ، وإذا حدقت إليه ثم نظرت إلى ستار أبيض رأيت صورة ذلك الشيء بألوانه الطبيعية . وقد أراه بألوان متممة للأولى . فإذا رأيته بألوانه الطبيعية كانت صورته إيجابية ، وإذا رأيته بألوانه المتممة كانت صورته سلبية .

ويطلق لفظ الخيال المركب أو الصورة الجنسية أو النوعية (Image générique) على الصورة المركبة من صور الأشياء المتشابهة ، كالصور المركبة التي حصل عليها (غالتون) بجمع صور الأشياء المتشابهة بعضها فوق بعض بواسطة الفانوس السحري ، أو كصور أفراد الأسرة الواحدة التي ألف منها صورة متوسطة تمثل الأسرة كلها . أو كتأليف صورة واحدة من صور مختلفة تمثل الشخص الواحد في مختلف أدوار حياته (راجع كتابنا : علم النفس ، ص ٤٧٦ — ٤٧٧ من الطبعة الثانية) .

ويطلق الخيال على الصورة المشخصة التي تمثل المعنى المجرد تمثيلاً واضحاً . وهذا المعنى مألوف في الأدب والشعر والفن ، ويرادفه التشبيه والمجاز والرمز .

والخيال عند فلاسفتنا القدماء قوة للنفس تحفظ ما يدركه الحس المشترك من صور المحسوسات بعد غيوبة المادة . ونحن نسمي ذلك تخيلاً وله نوعان أحدهما تمثيلي والآخر مبدع . (راجع لفظ التخيل) .

والخيال عند الصوفية أصل الوجود ، لأن الناس كما قيل نيام لا يرون في هذه الدنيا إلا خيالاً ، فاذا ماتوا انتبهوا . وكل من تجلى عليه الحق فعرفه أدرك أن هذا العالم المحسوس خيال نائم ، وان الارتقاء الى الله لا يكون إلا بالانتباه من النوم .

الخيلاء

في الفرنسية Paranoïa

في الانكليزية Paranoia

الخيلاء في اللغة التكبر والعجب ، ولهذا اللفظ في اصطلاحنا معنيان : الأول هو الخبال الذي يعتري الإنسان فيورثه اضطراباً كالجنون ، والثاني هو هذيان العظمة (Délire de grandeur) أو جنون العظمة (Mégalomanie) .

والمختال أو الخائل (Paranoïaqne) هو الشخص المفرط في تقدير نفسه ، المتوهم أنه أعظم الناس وأحقهم بالتقدم . وله حالتان احداهما الخيلاء الخفيفة ، وهي مؤلفة من هذيانات متناسقة غير مصحوبة باختلال العقل تزداد يوما فيوماً من غير أن تؤدي الى الجنون ، والثانية الخيلاء الشديدة ، وهي مؤلفة من هذيانات مصحوبة باختلال العقل . وسواء أكانت الخيلاء خفيفة أم شديدة فإنها تورث صاحبها خطأً في الحكم على نفسه ، وحذراً ، وارتياباً وظنوناً ، وحساسية مفرطة تجعله محباً للعزلة قليل الثقة بالناس .

الخير

في اللاتينية Bene , Bonum

في الفرنسية Bien

في الانكليزية Good

الخير اسم تفضيل كقولنا الحياة خير من الموت ، وهو يدل على الحسن

لذاته ، وعلى ما فيه نفع أو لذة أو سعادة ، وعلى المال الكثير الطيب ، وعلى العافية والإيمان والعفة . وهو بالجملة ضد الشر ، لأن الخير هو وجدان كل شيء كمالاته اللائقة ، أما الشر فهو ما به فقدان ذلك .

والخير المطلق هو أن يكون مرغوباً لكل إنسان ، والنسبي هو أن يكون خيراً لواحد وشراً لآخر . وعلى ذلك فالخير قسمان : خير بالذات ، وخير بالعرض ، وكذا الشر . إلا أن بعض الفلاسفة يطلقون الخير على الوجود ، والشر على العدم ، فيقولون إن الوجود خير محض والعدم شر محض ، وكذلك الصوفية ، فإنهم يقولون : إن الوجود خير محض وبالذات لكونه مستنداً الى العزيز الحكيم ، والعدم شر محض وبالذات لعدم استناده إليه . وليس المهم أن نقول إن الوجود خير محض ، وان الخير هو الوجود ، وإنما المهم أن نبين أن كلاً من هذين المعنيين مستند الى الآخر . فالفلاسفة العقليون يجعلون الوجود مبدأ الخير ، أما فلاسفة القيم فيجعلون الخير مبدأ الوجود .

والخير المطلق عند معظم الفلاسفة هو الوجود الذي ليس لذاته حد ولا لكماله نهاية ، لأنه خير لذاته وبذاته . وهو عند (أفلاطون) أعلى المثل ، ويسمى بالخير الأعلى (Souverain bien) ، وقد أطلق (أرسطو) هذا المعنى على غاية كل فعل ، وأطلقه (كانت) على الفعل الذي يلائم الإنسان بكليته ، لا من جهة ما هو عاقل فحسب ، بل من جهة ما هو عاقل وحسّاس وفاعل .

ومفهوم الخير هو الأساس الذي تبنى عليه مفاهيم الأخلاق كلها ، لأنه المقياس الذي نحكم به على قيمة أفعالنا في الماضي والحاضر والمستقبل .

وقد فرقوا بين الخير والواجب ، فقالوا : إن مفهوم الواجب يتضمن معنى الطاعة والانقياد للسلطة ، على حين أن مفهوم الخير لا يتضمن ذلك ، بل

يتضمن معنى الكمال . وقالوا إن الفعل ليس خيراً من حيث أنه كان صادراً عن إرادة الفاعل الطيبة ، بل هو خير بذاته لا بنية فاعله .

ويرى المتفائلون أن خلق الخير عند الإنسان هو الغالب عليه في زمان صباه ، لأنه مخلوق على الفطرة المقتضية للخيرات ، وان الخير في الوجود غالب على الشر ، وأن منافع الأشياء أكثر من مضارها ، فليس يناسب الحكمة أن يترك الخير الكثير لأجل الشر القليل . فإن قال قائل : إن الله كان قادراً على خلق خير محض لا يشوبه شر ، قلنا : إن ذلك لا يكون حينئذ مناسباً لهذا النمط من الوجود ، ولا متفقاً مع ما تقتضيه الحكمة الإلهية من حرية الاختيار الإنساني ، ومع ذلك فنحن نستطيع أن نتصور موجوداً كاملاً ليس فيه شر أصلاً ، وهذا الموجود الكامل هو الله .

جميل صليبا

نظرات في
المعجم الوسيط
- ٩ -

سابعاً : تعريف الرتب والمصطلحات العسكرية [1]

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
المُشِيرُ	(في الجيش) : مَنْ بلغ أعلى رتبة . (محدثة) .	تعريف غير دقيق ، يخشى معه بعض اللبس ، ويفضل عليه القول : المشير : رتبة عسكرية ، تعتبر ، في الدول الموجودة فيها ، أعلى رتبة في الجيش .

(١) تتخبط الدول العربية في استعمال الألفاظ الدالة على الرتب والمصطلحات العسكرية المختلفة ، على أن النهضة العربية ، التي أثمرت استقلال كل من سورية والعراق ولبنان ، دفعت الدول المذكورة ، غير متفقة ، الى ايجاد الألفاظ العربية اللائقة للرتب العسكرية المتعددة ، والى وضع المصطلحات لمختلف أقسام الجيوش وأنواع الأسلحة الحربية ، وانتهى الأمر في الجمهورية العربية المتحدة إلى صدور « قانون الجيش » الذي وضع الألفاظ العربية الدالة على مختلف الرتب العسكرية ، والى تأليف لجنة لترجمة « المعجم العسكري الكندي » مستهدفة وضع المصطلحات العسكرية ، وتوحيدها في جيوش الجمهورية .

وقامت « لجنة المعجم العسكري » وكانت برئاسة الأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع العلمي العربي ، بوضع المصطلحات العربية وفقاً للقواعد القياسية والتوصيات التي اتخذها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وضمن منهج دقيق أشارت اليه في مقدمة المعجم الذي انتهى طبع النسخة الفرنسية منه في أوائل سنة ١٩٦١ م ، ثم صدرت نسخته الإنكليزية بعد ذلك بقليل ، ومنذ صدور هذا المعجم ، أصبحت المصطلحات المدونة فيه ، معمولاً بها في مختلف القوات المسلحة في كل من مصر وسورية .
=

الفريق	رتبة من رتب الجيش العليا، فوق اللواء، ودون المشير. (محدثة).	كان من المستحسن الاكتفاء في تعريف الفريق بأنه: رتبة عسكرية فوق اللواء، ودون المشير[1].
اللواء	رتبة فوق العقيد، ودون الفريق، واللواء في الشرطة أعلى رتبة من رتبها.	يلاحظ أن ورود رتبة (العقيد) في هذا التعريف خطأ، صحتها (العميد)، كما يلاحظ أن ذكر كون اللواء، أعلى رتبة في الشرطة تزيد يخرج عن طبيعة المعجم اللغوي، لأن هذا الأمر تنظيمي يختلف باختلاف النصوص القانونية. وكان من المستحسن أن يكون التعريف هكذا: رتبة عسكرية فوق العميد دون الفريق.
العميد	رتبة من رتب الجيش والشرطة فوق العقيد ودون اللواء.	كان من المستحسن الاكتفاء بتعريف العميد بأنه: رتبة عسكرية فوق العقيد ودون اللواء.

= ومن مزايا المعجم الوسيط، أخذه بالترتيب الحديث للرتب العسكرية السائد في مصر وسورية، وهو لا يختلف عن الترتيب المعمول به في كل من العراق والأردن ولبنان، إلا في بعض الألفاظ، أما في بقية المصطلحات العسكرية، فإن المعجم الوسيط، اكتفى بنقل التعريفات الواردة في المعاجم القديمة، مع إيراد تعريفات حديثة لبعض الأسلحة والآلات الحربية، إلا أنها جاءت متفاوتة من حيث دقتها تفاوتاً كبيراً، فما عرّفه المعجم الوسيط تعريفاً حديثاً: الدبابة والمصفحة والمدرعة والغواصة والبندقية والرّشاش والصاروخ، وإنا لنأمل أن تكون طبعة المعجم الوسيط الثانية تتضمن تعريف جميع المصطلحات العسكرية الهامة والآلات الحربية تعريفات حديثة دقيقة، مستهدفة توحيدها في مختلف البلاد العربية.

وسنبين في هذه النظرات ما نراه من ملاحظات، أو ما عثرنا عليه من هنات وتصحيفات، شابت تعريف الرتب العسكرية، مع نماذج من المصطلحات العسكرية الو . ة في المعجم الوسيط وبعض الملاحظات عليها.

(١) إن التفريق بين الرتب العليا والرتب الدنيا في الجيش مرده نص القانون، والقانون يطلق على كبار الضباط اسم « الأمراء » وعلى من دونهم « القادة » وعلى صغارهم « الأعوان ».

العقيد	رتبة من رتب الجيش أو الشرطة فوق المقدم ودون العميد .	كان من المستحسن الاكتفاء بتعريف العقيد بأنه : رتبة عسكرية فوق المقدم ودون العميد .
المُقَدَّم	رتبة من رتب الجيش والشرطة ، فوق الرائد ودون النقيب .	الخطأ في التعريف واضح ، وصحته : فوق الرائد ودون العقيد .
الرائد	من رجال الجيش والشرطة : ضابط فوق النقيب ودون المقدم .	ليس من ضرورة تدعو إلى هذه الصياغة في التعريف ، ويستحسن أن يكون : رتبة عسكرية فوق النقيب ودون المقدم .
النقيب	رتبة من رتب الجيش والشرطة فوق الملازم ودون الرائد .	يلاحظ أن الرتبة العسكرية التي تلي رتبة النقيب هي : الملازم الأول وليست رتبة الملازم كما ورد في التعريف ، لهذ وجب أن يكون التعريف كما يلي : رتبة عسكرية فوق الملازم الأول ، ودون الرائد .
المُلازِم الأول	رتبة في الجيش والشرطة فوق الملازم ودون النقيب .	
المُلازِم	رتبة في الجيش والشرطة فوق العريف ودون الملازم الأول .	يلاحظ أن رتبة الملازم هي أدنى رتب الضباط ، أما العريف فهو من صنف الجنود [1] ، لذلك كان التعريف غير دقيق ، ومن المستحسن أن يكون تعريف الملازم : أدنى الرتب العسكرية لضباط الجيش والشرطة .

(١) يلاحظ أن المعجم الوسيط نفسه لم يشر الى كلمة عريف في مادة [ع ر ف] .

الضابط مرقبة من مراقب الشُّرطة والجيش. (ج) ضُبّاط .

المرتبة والرتبة كما وردت في المعجم الوسيط نفسه : الدرجة من السلّم ، وعلى هذا فتعريف الضابط المذكور غير صحيح ، لأن جميع أصحاب الرتب التي سبق ذكر الملاحظات على تعريفاتها ، هم من الضباط ، لهذا كان التعريف الصحيح لكلمة (ضابط) هو : كل عسكري من أفراد الجيش والشرطة من رتبة ملازم على الأقل .

هذا وكان من المستحسن أن يشار في تعريف الضابط ، إلى معنى كل من ضابط احتياط Officier de réserve ، وضابط تلميذ Élève—officier ، وضابط صَفّ Sous - officier

جِنِرَال قائد الجيش (يقابله في الجيش المصري : القائد أو الفريق) . (د) .

لم يكن ضرورياً إثبات تعريف هذه الكلمة الدخيلة في المعجم ، بعد أن ذكرت جميع الرتب العسكرية ، كما اصطلح على تسميتها بكلمات عربية أصيلة ، هذا وإن التعريف غير دقيق ، فكلمة (جنرال) هي : رتبة عسكرية تقابل كلا من الرتب التالية : الفريق واللواء والعميد ، بحسب الأحوال . كأن يكون مثلا (جنرال) فيلق أو (جنرال) فرقة أو (جنرال) لواء .

الجَيْشُ الجُنْد . و ــ جماعة النّاس في الحرب . (ج) جُيُوشٌ .

الفَيْلَقُ الكتيبة العظيمة من الجيش .

اختلفت الجيوش القديمة في تقسيماتها ، لذلك اختلف مدلول الألفاظ العربية التي كانت تطلق على الوحدات التي تنقسم اليها الجيوش ، وانعكس هذا الاختلاف على المعجمات القديمة ، فكان للكلمة

الفِرْقَةُ	من الجيش عَدَدٌ من الألوية . (محدثة) .
اللواء	في الجيش : عـــدد من الكتائب . (محدثة) .
الفوج	الجماعة من الناس . و ــ الجماعة المارّة السريعة . (ج) فؤوج وأفواج .
الكَتيبة	الجيش . و ــ الفرقة العظيمة من الجيش تشتمل على عدد من السَّرَايا . (محدثة) .
السَّرِيَّة	قطعة من الجيش ما بين خمسة أنفُس إلى ثلثائةٍ (٢) . أو هي من الخيل نحو أربعمائةٍ . (ج) سَرَايا .
الفَصيلَةُ	(في الجيش) ثــلاث جماعات (والجماعة إثنا عشر جندياً) .
الزُّمْرة	الفَوْجُ والجمــاعةُ . (ج) زُمَرٌ .

الواحدة ، من الناحية العسكرية تعريفات غير دقيقة أو غير واضحة .

وفي العصر الحديث تختلف الدول العربية ، في تسمية بعض الوحدات العسكرية ، أما لجنة المعجم العسكري ، التي سبق أن أشرنا اليها . فقد انتقت من الكلمات العربية الصالحـــة (١) الألفاظ التالية : الجيش ، الفيلق ، الفرقة ، اللواء ، الفوج ، الكتيبة ، السرية ، الفصيلة ، الزمرة ، على التتابع أمام الألفاظ الفرنسية التالية : Armée , Corps d'armée , Division , Brigade , Régiment , Bataillon, Compagnie , Section , Escouade . ولقد نقلنا التعريفات التي أوردها المعجم الوسيط لهذه الكلمات ، وبرغم أنه أشار في بعضها الى المعنى المحدث ، فإن التعريفات جاءت متداخلة غير دقيقة . والأمل أن يتلافى المعجم الوسيط هذا النقص في طبعته القادمة ، فيعرف المصطلحات المذكورة تعريفاً علمياً حديثاً .

(١) هناك ألفاظ عربية صالحة لإطلاقها على الوحدات العسكرية وبعضها يطلق فعلاً في بعض الجيوش العربية ، مثل : الطليعة والكوكبة والمنسر والفصيل والجناح والرتل الخ ...

(٢) كذا في الأصل ، وصحتها : ثلاثمائة .

التّابور جماعة العسكر من ثمان مائة الى ألف . و — الصفُّ . و — الخامسُ (في العرف السياسي) : أنصار العدو من أهل البلد أو المقيمين فيه . واللفظ بجميع معانيه (د) من التركيـــة .

[مادة ت ب ر]

(الطابور) لفظة تركية يكتبها الأتراك بالطاء ، وكذلك يكتبها رجال الصحافة العربية ويلفظها الناس ، ولكن المعجم الوسيط ، لم يثبتها إلا بالتاء ، تبعاً لرأي قال به أصحاب نادي دار العلوم سنة ١٩١٠ م ، ورأينا أن لا ضرورة لإثبات هذه الكلمة العامية في معاجمنا اللغوية ، ما دام في العربية ما يقوم مقامها ، فإذا أريد إثباتها فيجب أن يكون ذلك بالطاء كما في لغتها الأصلية ، وكما يلفظها الناس في مختلف الأقطار العربية .

أما قول المعجم الوسيط : إن (الطابور الخامس) اصطلاح في العرف السياسي ، فمسألة فيها نظر ، رغم شيوع هذا الاصطلاح على ألسنة الناس منذ الحرب الأهلية الاسبانية سنة ١٩٣٦ ، إلا أنه لم يرق الى مستوى العرف السياسي ، كما أنه لم يدخل في أي معجم لغوي أجنبي يشبه الوسيط بالصفة المذكورة .

ناوَرَ فلاناً . شاتمـــه و — خَدَعَه . (مو) . و — فِرَقُ الجيش بعضُهـا بعضاً : قاتل بعضُها بعضاً على سبيـــل التّمثيل والتدريب . (مو) .

[مادة ن و ر]

ناوَرَه في اللغة : شاتمه وعاداه ، ويقال بينهم مناورة ومنايرة ، أي عداوة ، وولّد المتأخرون معنى جديداً لفعل ناوَر فقالوا : ناوَرَه إذا خادعه .

وشاع في عصرنا استعمال كلمة (مناورة) تعريب كلمة Manœuvre الفرنسية للدلالة على شبه المعارك التي يقوم بها الجيش على سبيل

التدريب ، ومنها ولّد رجال الجيش وتبعهم الناس فقالوا : ناور الجيش إذا قام بـ (مناورة) وهو فعل يقابله بالفرنسية فعل Manœuvrer ؟ هذا تاريخ فعل (ناور) بالمعنى الثالث الذي ورد في المعجم الوسيط ، وأشير إلى أنه مولد وهو في حقيقته دخيل .

ويلاحظ أنه كان من المستحسن أن يثبت المعجم الوسيط في مادة [ن و ر] كلمة مناورة بمعنى Manœuvre . فقد أثبت المعجم العسكري هذه الكلمة المعربة والشائعة في الجيوش .

التَّرْبِيدُ نوع من القذائف الشديدة الانفجار تطلقه الغواصة أو المدمرة . (ج) ترابيد . (د) .
[مادة ت ر ب]

الطُّرْبِيدُ قذيفة ضخمة تطلقها غواصة أو زورق أو طائرة على سفن العدو أو بلاده . (د) .
[مادة ط ر ب]

أورد المعجم الوسيط تعريف هذه الكلمة الدخيلة في مادتين دون أن يربط بينهما بأي إشارة ، وهذا نقص كبير ، يضاف اليه أن التعريفين جاءا مختلفين بعض الاختلاف ، وكان إيراد الكلمة في مادة [ت ر ب] مستغرباً لأن الكلمة شاعت على الألسنة معربة بالطاء دون التاء .

وأصل الكلمة في الفرنسية Torpille ، وقد وضع المعجم العسكري عربيتها : النسيفة .

النَّسَّافَة سفينة حربية تنسف القلاع ونحوها . (محدثة) .

النَّسِيف المنسوف .

النَّسِيفَة النِّسْفَة .

النِّسْفَة حجارةٌ سودٌ ذات نخاريب يُنْسَف بها الوسخ عن الأقدام في الحمامات ..

شاعت كلمة النسّافة للدلالة على السفينة الحربية المسماة بالفرنسية Torpilleur ، وقد أثبتها المعجم الوسيط كما وردت في المعجم العسكري ، لذلك كان من حق القذيفة التي تطلقها هذه السفينة أن تسمى : النسيفة ، كما في المعجم العسكري .

أما النسْفة (بتثليث النون) وكذلك النُّسَفة والنسيفة التي في الأمهات فهي قد وضعت أمام حجارة الحَرّة المسماة Basalte . وقد أقرها مجمع اللغة العربية مع المعرّبة [1] .

جنَقَهُ ـِ جنقاً : رماه بالمَنْجَنِيق فهو جانِقٌ .

جنَّقَهُ جنقه .

الجُنُق أصحاب تدبير المنجنيق . و ـ حجارة المنجنيق .

[مادة ج ن ق]

المَنْجَنِيق انظر : (م ج ن ق)

[مادة م ن ج]

المَنْجَنِيقُ آلة قديمة من آلات الحصار ، كانت تُرْمى بها حجارةٌ ثقيلة على الأسوار

المنجنيق كلمة فارسية دخلت العربية قديماً ، وفي القاموس : المنجنيق ، وبكسر الميم ، آلة ترمى بها الحجارة ، كالمنجنوق مُعَرَّبة ، وقد تُذَكَّر . ج منجنيقات ومجانق ومجانيق ، وقد جنقوا يجنقون وجنَّقوا تجنيقاً ، ومجنقوا عند من جعل الميم أصلية .

والمعجم الوسيط أثبت فعل (جنق) المولد في مادة [ج ن ق] دون أن يشير إلى أصله ، أو يحيل الى المادة التي أورد فيها تعريف المنجنيق كما فعل في مادة [م ن ج] بدون ضرورة ؛ وفي مادة [م ج ن] عرّف المنجنيق دون أن

(١) انظر معجم الشهابي ص ٧٨ .

فتهدمها . (مؤنثة) . (مع) . [مادة م ج ن]	يذكر فعل (مجنق) أو يشير الى فعل (جنق) كما ذكر فعل جَلَقَ وجَلّق وكأنهما عربيين لا معربين !
جَلَق الحِصْنَ ونحوه : رمـاه بالمَنْجَلِيق . جَلّقَ الحِصنَ ونحوه : جَلَقَهُ . المَنْجَلِيقُ : آلة تُرمَى بها الحجاره . (ج) مَجَالِيقُ . [مادة ج ل ق]	ونلاحظ أن المعجم لم يذكر جموع المنجنيق ، بينما ذكر جمع صيغة منجليق ، وهو لم يشر إلى أن الكلمة قد تذكّر ، كما في القاموس . كما أن المعجم لم يشر أيضاً الى صفة كلمة (المنجليق) وقد أوردها صاحب القاموس بصيغة التذكير . وفي كل هذا نقص واضطراب يستحسن تلافيه .
العَرّادَةُ آلة من آلات الحرب ، وهي منجنيقٌ صغيرٌ .	كان من المستحسن أن يقال في التعريف : العرّادة : من آلات الحرب القديمة .
البارجة سفينة من سفن الأسطول الحربي . (مع) . وقد استعملها المسعوديّ .	المعروف أن البارجة ، وهي بالفرنسية Cuirassé ، سفينة كبيرة من السفن الحربية ، وجاء في المعجم العسكري أنها تسمى الدارعة أيضاً . وهي في الجملة أكبر من الطرّادة المسماة بالفرنسية Croiseur ، لهذا فتعريفهـا في المعجم الوسيط ناقص ، أما انها معربة فلم أجد عليه دليلاً .
الطَّبَرُ نوع من السلاح له فأس . (مع) .	الطبر هو : الفأس من الأسلحة القديمة .

الضَّبْرُ	الدبّابة كانت تتخذ من خشب يغشّى بالجلد ، يحتمي به الرجال ويتقدمون إلى الحصون لدقّ جدرانها ونقبها .	تعريف مسهب ، وكان من المستحسن الاكتفاء بالقول بأن الضّبر : من آلات الحرب القديمة تشبه الدبابة .
العَرض العسكري	: مرور فِرَق نموذجية من القوات المسلحة أمام رئيس الدولة في يوم مجموعٍ له الناس . (محدثة) . [مادة ع ر ض]	هذا التعريف أقرب لأن يكون في كتاب ادبي من أن يكون في معجم لغوي ، إذ ليس من شروط العرض العسكري أن تمر فرق نموذجية أمام رئيس الدولة في يوم مجموع له الناس ، فقد يكون العرض لقوات محاربة ومن قبل شخصية رسمية غير رئيس الدولة ، ودون أن يجمع الناس لرؤية ذلك !

(يتبع)

عدنان الخطيب

استدراكات ومقترحات

كان عمر بن عبد العزيز يقول للناس : « تُحْدِثون ونحدث لكم » يريد : تحدثون أفعالاً ، فنحدث لها أحكاماً .

وعلى قدر ما يصح هذا في الشريعة ، يصح في اللغة أيضاً . فلا بد للغة من أن تضع أو تستعير من الألفاظ والمباني ، ما يفي بحاجة ما يجدّ من المقاصد والمعاني . والعربية لم تخرج ، ولا تملك أن تخرج عن هذه السنة .

« يَحدُث فتُحدِث » وإلا وقعت في جمود يأخذ بخناقها ، فيقطع عليها أنفاسها .

ومن فضول القول ـ وقد كرره كل من كتب في اللّغة ، أو في موضوع لغوي ـ أن العصور تتعاقب ، ويحدث في كل عصر من الحاجات ما لم يُعرف مثله في عصر غبر . فالزمن يسير ، والأغراض والأشياء تجدّ ، فلا بد من السير في ركب الحياة ، وقافلة الحضارة .

على أن يكون لوضع الألفاظ ونقلها ، أو استعارتها ، قواعد وقيود ، فلا يكون الأمر مباحاً لا رابط له ، بل يجري على سنة صحيحة ، وأصول قوية ، وهو الرأي الذي عليه الثقات المخلصون من أبناء العربية .

ومن حق المجامع العربية ، من لغوية وعلمية ، أن تفرض على محدثي الألفاظ وباعثيها ، عرض ما يختارونه ، وان تستمع لما يُعرض عليها ، وتتناوله بالبحث والتمحيص ، ولا سيما ما ينشر في مجلاتها .

وقد يكون من المفيد ، ابداء الرأي في اللفظة ، والاستماع الى مختلف الآراء فيها ، ليكون قرار القبول أو الرفض ، مستنداً الى اجماع – أو في أقل ما يكون الى اتفاق ، يكسب اللفظة حق دخول حرم اللغة .

وعلى هذا أحببت أن أتناول الألفاظ التي اقترحها الأستاذ وديع فلسطين ، ونُشرت في الجزء الثالث من المجلد التاسع والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العربي . فهو يرى :

١ – أن تترجم لفظة Téléphoner بـ هاتف . وما أحسب أننا في حاجة الى هذا ، ذلك أن (هتف) الثلاثية التي ورد عليها النص ، تغني عن استعمال كلمة لم يرد عليها نص .

ففي لسان العرب : هتَفتُ بفلان : أي دعوته . وفي حديث حُنين : « إهتِف بالأنصار » أي نادهم وادعُهم .

ولا يُراد من « هاتف » المقترحة غير ما تضمنته (هتف) من معنى [1] .

٢ – المحرزات Achevement تترجم اليوم بـ « المنجزات » ولعلها أدل على معنى الكلمة من المحرزات .

---

(١) ملاحظة : « الهاتف » ، أول من استعملها المجمع العلمي العربي بدمشق . وقد تكون من موضوعات الأستاذ المغربي رحمه الله .

وهي ترجمة موفقة للتلفون . والتلفون معناه الحرفي : (صوت من بعيد) وقد استُند في وضعها الى ما في (الهتْف والهُتاف) من معنى يتصل اتصالاً وثيقاً بما وضع له .

فمن معاني (الهتف) و (الهتاف) الصوت الجافي العالي ، والصوت الشديد وتقول : سمعت هاتفاً يهتف ، إذا كنت تسمع الصوت ، ولا تبصر أحداً . وقد قام جدل طويل في هذه اللفظة انتهى باقرارها ، وحسُن استعمالها وعمّ ، ولا يقدح بصحة هذا الاستعمال ، اذا رافق – في مستقبل الأيام – صوتَ المتكلم صورتُه . فالعبرة المعنى الذي توضع له الكلمة أول ما توضع ، ولا عليها ما يطرأ بعد ذلك من تطور وتبدل .

٣ ـ مقالة الصدر . خيرٌ استعمالاً من الافتتاحية ، غير أن هذه شاعت منذ زمن بعيد . وهي لفظة مفردة ، والمفرد خير من المركب . على أنه لا ضير أن تستعمل اللفظتان ، الى أن تغلب احداهما اختها فتميتها .

والغربيون يقولون : Article de fonds

ويقولون : Article éditorial

٤ ـ المواعدة : حسنة جداً . وتصلح للزمان والمكان . يقال : واعده الوقت والموضع . وهي من الألفاظ القرآنية وكما جاءت (واعد) جاءت (تواعد) .

٥ ـ انطباعات (Impressions) يقول الأستاذ فلسطين : (وقد جرى كثير من الكتاب على ترجمة Impression بلفظة انطباعات . وشاعت هذه اللفظة كثيراً في الصحف والإذاعات وعنوانات الكتب ، وفي ظني أنه ربما كان من الأوقع في الاذن ترجمة هذه اللفظة بجملة متعددة الكلمات مثل : « ما انطبع في نفسي ») : نقول : ان ترجمة اللفظة الواحدة بجملة غير مستحب الاّ في الضرورة القصوى . وانطباعات : تفيد معنى شيء انطبع في الذهن أو في النفس ، وفي ذلك غنى عن ترجمة اللفظة بجملة . فان كانت هذه اللفظة لم تؤد هذا المعنى ابتداء ، فقد أقره الاستعمال .

أما (الارتسامات) التي استعملها الأمير شكيب أرسلان ـ رحمه الله ـ في كتابه « الارتسامات اللطاف » فما أحسب العلامة الارسلاني أراد أن يترجم لفظة (Impressions) فهو قد ألّف كتاباً عربياً عن قطر عربي ، لا موضع فيه للترجمة .

على أنه مهما يكن من أمر ، فان « الانطباعات » أبلغ أثراً في النفس من « الارتسامات » وان تشابه المعنى فيهما بعض الشيء ، ولا ينفي استعمال احداهما في موضع ولمعنى ، من استعمال اللفظة الأخرى في موضع آخر ، ولمعنى آخر .

٦ ــ (Laissez - faire) ترجمة هذه اللفظة بـ (دع المقادير تجري في أعنتها) ترجمة نوافق الأستاذ في أنها صحيحة ، كما أنا نوافقه في أنها شعرية ، ونقف عند هذا ، فلا نمضي معه في جواز استعمالها مع « شعريتها » في المجال الاقتصادي ، فلكل علم ولكل فن لغته وأسلوبه .

ويمكن أن يترجم هذا المعنى في المعاملة التجارية بـ (دع الأمر في مجراه) أو (دع الأمور في مجاريها) وهو اختصار لاقتراح الأستاذ .

أما في غير المجـــال الاقتصادي فقد تترجم بـ (دعه وشأنه) أو (أنت وشأنك) .

٧ ــ (ذات العلاقة) هذه من التعبيرات التي استقبحها الأستاذ وفضّل عليها (ذات الشان) أو (المعنية بالأمر) والقول : (الدول المعنية بالأمر) تفضيل في محله . وقد يستغنى مع الزمن عن (بالأمر) ويكتفى بـ (الدول المعنية) فيصبح التعبير أوجز .

وفي اللسان : « عنيت بحاجتك ، أعنى بها ، وأنا بها معنيّ ، على مفعول .... ويقال : هذا أمر لا يعنيني ، أي لا يشغلني ولا يهمني » .

(٨) رجل دولة : هذا تعبير حسن بليغ ، يؤدي المعنى المقصود منه على أتم وجه . فاذا قلنا : (فلان رجل دولة) معناه : أنه الرجل الذي يصلح أن يتولى الحكم . كما ان قولنا : (فلان رجل الدولة) معناه أنه القائم بأعباء الحكم ، الملقاة على عاتقه مهامه بحق .

ولا نرى أن (السياسي المحنك) الذي يقترحه الأستاذ ، تقوم هنا مقام (رجل الدولة) .

٩ ــ (فلان استدارت شخصيته) هذا تعبير نخالف الأستاذ فيه كل المخالفة . فالاستدارة والشخصية تعبير لا تستسيغه العربية ، فهو مخالف

لأسلوبها بجملته وبمفرده . والعربية غنية عن (الاستدارة) و (الشخصية) بكثير من تراكيبها ، نقول : هذا (رجلٌ كلُّ الرجل) ، و (رجلٌ جيدٌ رجل) و (تام الرجوله) و (كاملهــا) ، و (رجلُ وحدِه) و (قريع دهرِه) ــ الى عشرات من هــذه التراكيب التي تدل على (استدارة الشخصية) . . . . وتغني عنها .

١٠ ــ يقول الأستاذ فلسطين : (وكثيراً ما يرد في مصادر القضايا الجنائية تعبير في وصف زيد من الناس دارت من حوله الشبهات ، وظُن أن له في القضية يداً . وقد لاحظت أن المترجين يضربون في ترجمة هذه العبارة في متاهات شتى . فمنهم من يقول (متورط) ومنهم من يرى استعمال (داخل) أو (مشارك) لوصف من طاردته الاتهامات . وفي ظني أن خير ترجمة لهذه اللفظة هو (له ضلع) أو (له يد) .

عبارة الأستاذ يحتمل ظاهرها معنيين : التعبير القانوني ، أو التعبير الإنشائي ، أي الاستعمال المطلق غير القانوني . فان كان يريد هذا الأخير فكل الكلمات التي انتقدها صحيحة جائز استعمالها ، في المواطن التي يقتضيها المعنى وسياق الكلام ، كما ان ما يقترحه صحيح بليغ .

أما إذا أراد التعبير القانوني فملاحظته في غير محلها .

فالمشاركة في الجريمة ، غير المداخلة فيها . فهي حالات مختلفة ، لكل منها عقوبة تختلف عن أختها فلا يصح التعبير عنها تعبيراً واحداً ، فيقال لفلان (ضلع) أو (يد) قولاً مطلقاً في جميع الحالات ، وعلى الحصر في الحالتين اللتين أشرنا اليهما (١) .

---

(١) فالشريك من يشترك مع الفاعل مشاركة ما كان الجرم لولاها ليتم . وأما المتدخل فهو من يساعد الفاعل مساعدة بالواسطة . ولو قيل : الدخيل ، بدلاً من المتدخل ، فكان الاستعمال أفضل وأوزن .

١١ ـ المتمهرجون : أطلقها السيد فلسطين على القوم يجمعهم المهرجان ، قال : وقد وافقه عليها الأستاذ تيمور . وهي لفظة نترك أمرها لرأي الجمهور . فقد يصقلها الاستعمال فتألفها الآذان ، فيستساغ مذاقهـــا ، ويجوز استعمالها .

١٢ ـ أما « تحت الطلب » و « رهن الطلب » اللفظتان اللتان اقترحهما للواتي « يحترفن فنون الحب وتوجه الدعوة اليهن بالهاتف » فقد يكون أصلح منهما أن يقال : (فتيات الهاتف) أو (بنات الهاتف) أو (بنيات الهاتف) وهي الترجمة الحرفية التي أشار اليها الأستاذ . ولا غبار عليها من حيث المبنى والمعنى . وقد تكون ألطف وقعاً من (تحت الطلب) .

هذه تعليقات عابرة على (الألفاظ المرتجلة) .

عارف النكدي

«كلمات» من المغرب الأقصى

كان الأمير شكيب أرسلان ، رحمه الله ، يقول : المغرب والمشرق في العروبة صنوان ، وقد جعل هـذه القولة عنواناً لبعض مقالاته التي كتبها للدفاع عن عروبة المغرب وأصالة بنيه في التمسك بلغة الضاد تمسكاً جعل منها اللغة القومية الوحيدة التي احتضنت تراثهم الأدبي والعلمي والفني منذ الامتداد العربي الأول إلى الآن ...

وكانت العوامل الإقليمية في الوطن العربي الفسيح الأرجاء تحيي وتميت من الألفاظ والتراكيب ما لا عدّ له ، فتحيا كلمة عربية في القيروان أو في فاس أو تلمسان أو قرطبة أو غرناطة ، بينما تموت في دمشق أو بغداد أو القاهرة ، والعكس واقع أيضاً .

وجاءت راجفة الامتداد التركي وتبعتها رادفة الاستعمار الأوربي فكالت كل منهما للعربية بالمكيال المعروف ، وزاحمت كلتاهما اللغة القومية في الماديات والمعنويات ، لكن لغـــة الضاد أقوى وأعمق من أن تكون فريسة راجفة من الرواجف ، أو ضحية رادفة من الروادف ، وكان لسان حالها يقول :

كناطحٍ صخرة يوماً ليوهنها فلم يَضِرْها وأوهى قرنَه الوعلُ

ولعله قد حان الوقت ليصفي العرب حسابهم مع الطفيليات اللغوية التي نشأت هنا وهناك ، ولينظروا بوعي وتبصر في قائمة الأموات والأحياء هنا وهناك ، وليتعهدوا الضعيف ، ويقوموا المعوج ويقتبسوا ويعربوا باختيارهم ما هم في حاجة اليه من مصطلحات الحضارة التي نعيش فيها ، والثقافة التي نفكر بها .

ويجب أن تكون عملية التصفية والتمهيد نتيجة لعملية تسبقها وهي عملية الإحصاء والجمع والاطلاع والدراسة لكل الألفاظ والتعابير المستعملة حالياً في الوطن العربي بشرقه ومغربه .

ففي اللهجة التي نسميها دارجة أو عامية ألفاظ ومصطلحات حية ماتت في المعاجم والمراجع وعند امعان النظر فيها نجدها عربيـــة المبنى والمعنى ولكنها ليست قاموسية .

وفي الأمثال التي نسميها دارجة أو عامية الشيء الكثير من هذا القبيل . وأنا شخصياً قد وجدت مادة خصبة عندما كنت أجمع الأمثال المغربية .

وليس في هذه العملية إحياء للهجات العامية على حساب اللغة العربية ، وليس فيها خطر على لغتنا القومية الفصحى التي هي لغة الضاد ، ولكن فيها شيء آخر هو إحياء ما أماتته المعاجم من الألفاظ الفصحى .

وقد ارتأيت أن أبدأ بتقديم كلمات من المغرب الأقصى لها مدلول خاص توارثه الخلف عن السلف واستعمله المغاربة في آثارهم الأدبية والعلمية والفنية منذ قرون ، وما زال هذا المدلول معروفاً إلى الآن بينهم .

وفي الوقت نفسه أربط الصلة بين المدلول الاصطلاحي والمدلول اللغوي وأعني به القاموسي إذ دائرة اللغة أوسع من دائرة القواميس .

وأملي أن تجد هذه الفكرة صداها عند المعنيين بالحفاظ على اللفظ العربي في حاضره ومستقبله لنُقدّم للأجيال المقبلة لغة محددة الألفاظ والمعاني ، ومعاجم جامعة لكل التراث الذي اشتركت في تكوينه عبقريات من مشرق العروبة ومغربها .

القَيْسَارِيّة

في التنظيم العُمراني للمدن المغربية القديمة منها والحديثة نجد السوق المركزية لأنواع الثياب وأصناف البزّ يطلق عليهـا اسم القيسارية .

وتحتل هذه السوق مكانة مرموقة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية لسكان المدن المغربية لا سيا في العصور القديمة حيث كانت أثمان البزّ بمنزلة « البورصة » للمنتوجات المغربية في الميدان الفلاحي والصناعي ، كما أن تجار هذه السوق كانوا يمثلون العنصر النشيط في الحياة المغربية العامة .

لهذا نجد المؤرخين لمدينة فاس لا ينسون الكلام على هـذه السوق وتاريخ تأسيسها وما يتعلق بها من قضايا ومشاكل شغلت الفكر العام ودفعت العلماء الى التأليف والفتوى فيمن يجوز اعتماره بهذه السوق ، ومن يُمنَع من ذلك لاعتبارات خاصة .

كما أن الرحالين والجغرافيين الذين تكلموا على مدينة فاس ومراكش لم يهملوا الحديث عن القيسارية وحوانيتها وتجارها وما يعرضون من أنواع مختلفة من ثياب الصوف والقطن والحرير .

غير أن هناك شيئاً أساسياً من ناحيتيْ البحث اللغوي والعلمي يتعلق بكلمة قيسارية أُهمل إهمالاً عند الباحثين المتقدمين ولا سيا رجال المعاجم والمراجع مما جعلنا نتساءل عن هذه الكلمة :

ما أصلهـا ؟

أهي قيسارية أم قيصارية ؟

وهل هناك علاقة بينها وبين قَيصر ؟

وما شأن هذه الألف التي جاءت بعد السين أو الصاد ؟

كل هذه الأسئلة تثيرها كلمة قيسارية .

والمعاجم التي بين أيدينا لها موقف معروف من هذه الكلمة ، فتارة تهملها إهمالاً فلا تذكر لها اسماً ولا مُسَمّىً وتارة تشرح المسمى وتهمل الاسم وأصله ، وتارة تشير الى أنها محرفة عن القيصرية .

ونحن في هذا التحقيق اللغوي حول هذه الكلمة يجب أن نجعل أمامنا هذه النتائج التي وصلنا اليها بعد الاستقراء والتتبع للكلمة عند المؤرخين والرحالين واللغويين والموثقين ، وذلك قبل أن نذكر الدليل .

لا علاقة لغوية بين كلمة قيسارية وكلمة قيصر .

لا علاقة لغوية بين المدينتيْن : قيْسارية الشامية وقيسارية الرومية اللتين ذكرهما ياقوت الحموي في معجم البلدان وبين كلمة قيسارية التي استعملها الأندلسيون والمغاربة اسماً للسوق المعروفة عندنا وعندهم .

ان المؤرخين والرحالين الذين كتبوا عن القيسارية حافظوا على رسمها بالسين ولم يشذّ عن ذلك ، فيما نعلم ، إلا صاحب الاستبصار وهو من رجال العصر الموحدي ، فقد رأيناها عنده ص (١٤٠) مكتوبة بالصاد ، مع أنه كتبها مرة أخرى في نفس الكتاب بالسين . ولعل ذلك تصحيف .

هذه هي النتائج التي هدانا اليها البحث عن أصل الكلمة ؛ وبطبيعة الحال لا بد للباحث أن يشرح دليله شرحاً يعطي للنتائج قيمتها اللائقة بها .

وكلمة قيسارية كلمة عربية المبنى والمعنى دخلها تغيير بسيط وهو زيادة الألف فقط . وذلك أننا نجد في اللغة القَيْسَرِيُّ بمعنى الكبير (١) . فالرجل القَيْسَريُّ والسوق القَيْسَريَّة يعني الرجل الكبير والسوق الكبيرة أو العظيمة . ولعـــل الأصل في هذا الاستعمال اللغوي الفصيح انهم كانوا يقولون :

(١) القاموس المحيط مادة قسر .

السوق القيسرية أول الأمر ، ثم حذفوا الموصوف واقتصروا على الصفة كما هو الشأن في كثير من الأعلام الاصطلاحية حيث تلعب الصفة دورَها الأسامي في غيبة الموصوف .

وإذن فلا مجال هنا للصاد ولا لقيصر . فالكلمة عربيـــة في أصلها واستعمالها ولو كره أصحاب المعاجم والمراجع الذين أهملوها إهمالاً أو ذكروا المسمّى دون البحث في الاسم وأصله اللغوي الصحيح .

على ان هناك ملاحظة لا بد من الإشارة اليها وهي هـــذه الألف التي جاءت بعد السين ما شأنها ؟

والحقيقة التي يصل اليها الباحث بالتتبع لرسم الكلمة عند المتقدمين والمتأخرين ، ولا سيما في رسوم الأملاك والعقارات والأحباس ، هي أن الألف زيدت على ألسنة العوام ثم انتقلت إلى الأقلام على ممر العصور والأجيال .

والغريب المستغرب أنني وقفت على كتابتها بدون ألف بخط بعض المحققين من علماء وموثقين فيقولون مثلاً :

« الحانوت الرابعة عن يمين الداخل للقيسرية » بلا ألف ، وهذا دليل على أنهم كانوا يعرفون ، في الغالب ، الأصل اللغوي الصحيح للكلمة .

هذا تحقيق لغوي لكلمة القيسارية ، أما دور هذه السوق في الحياة الاجتماعية والفكرية فله قصة أخرى ستعرفها فيما بعد .

المَخْــزَن

في التنظيم السياسي والإداري للمغرب الأقصى نجد كلمة « مخزن » تعني الحكومة وسلطتها التنفيذية بمصالحها ومظاهر نفوذها في الشرطة والجيش ورجال الحكم الممثلين لها في المدن والأقاليم ، بل حتى في بعض العادات والتقاليد وهيئة اللباس وأسلوب الرسائل والمخاطبات ونظام الحياة العمرانية في البناء والزخرفة في الدور والقصور وغيرها .

فالمخزن يعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية .

والمخزن يجمع الجيوش وينظم القلاع والحصون .

والمخزن يؤدب العصاة ويحكم بين الناس بالعدل .

والمخزن يسهر على حماية الأمن الداخلي والخارجي للبلاد .

والمراسلات المخزنية تكتب بأسلوب خاص بلغ النهاية في الجودة والدقة واستعمال المحسنات البديعية مع الاصطلاحات الخاصة التي صارت من التقاليد المغربية المعروفة عند رجال المخزن .

وكلمة « مخزن » اسم مكان من (خزن يخزُن) كما هو واضح أما كيف أصبح يدل اصطلاحياً على الحكومة فهو ما سنحاول اجماله في هذه السطور .

في تاريخ المغرب السياسي لا نجد ظلاً لهذه الكلمة على عهد دول الأدارسة والمرابطين والموحدين . ولكننا نجدها في دولة بني الأحمر بغرناطة وعند وزيرهم لسان الدين بن الخطيب في كتابه « الإحاطة » على الأخص .

ودولة بني الأحمر ووزيرها لسان الدين بن الخطيب عاصرا دولة بني مرين في فاس . ووجود الكلمة في قلم ابن الخطيب أولاً معناه أن الاصطلاح كان أندلسياً أولاً ثم مغربياً ثانياً .

وابن خلدون وهو معاصر لابن الخطيب ومن كتاب دولة بني مرين لم يستعمل كلمة « مخزن » فيما نعلم من آثاره .

ومن أجل ذلك نستنتج أن هذا الاصطلاح انتقل من الأندلس إلى المغرب في أواسط القرن الثامن الهجري على عهد بني مرين .

ولا نشك أن الاطلاق كان من أجل أن الحكومه كانت لها (مخازن) للسلاح والميرة والمال . وتلك المخازن هي رصيد قوتها ودليل وجودها واستمرارها في نظر أصدقائها وخصومها .

ومن أجل أن « المخزن » قوام الحكومـــة أطلق عليها وصارت لا تعرف إلا به .

وبدأت كلمة « مخزن » تتوارى لتفسح الطريق أمام كلمة « حكومة » في السنوات الأخيرة .

السِّيبَة

كانت الأقاليم التي تشق عصا الطاعة على الحكومة الشرعية « المخزن » يقال لها أقاليم السِّيبة أو بلاد السيبة ، ثم صارت هذه الكلمة تعني الفوضى واضطراب الأمن والنظام .

ولا شك أن المادة لغوية قاموسية فسَابَ الماءُ : جرى وذهب كل مذهب ، والسائبة في الجاهلية الناقة التي تُسيَّب أي تُهمَل وتُترَك لنَذْرٍ أو نحوه .

فالكلمة إذن عربية المبنى والمعنى فهي اذن اسم مَرَّة أي فَعْلَة من سَابَ يسيب ، ثم حُرفت بكثرة الاستعمال فكُسِرت سينها بعد الفتح .

المَشْوَر

تطلق هذه الكلمة في المغرب ، وقد أطلقت في الأندلس من قبل ، على الرحاب الواسعة التي يتخطاها الزائر قبل أن يدخل إلى القصر الملكي « دار المخزن » .

وتكون هذه الرحاب عادةً محل وقوف الحراس والجنود واستعراض خيل « المخزن » وجنده في الأعياد والمواسم والحفلات .

وفي القواميس نجد المِشْوَارَ بالألف المكان الذي تُعرض فيه الدواب . فهل يكون الاصطلاح المغربي جاء من هنا حيث أن رحاب « دار المخزن »

تعرض فيها الخيول ؟ ثم حُرِّفت الكلمة فحُذفت ألِفُها وفُتِحت مِيمُها هذا احتمال أول .

وهناك احتمال آخر وهو أن كلمة « مَشْوَر » اسم مكان من شاوَرَ على غير قياس إذ القياس في اسم المكان من غير الثلاثي أن يكون على صيغة المصدر الميمي « مُشَاوَر » .

وهذا الاحتمال الثاني يؤيده أن زائر القصر لا بد أن يقف منتظراً في المشور نتيجة المشاورة التي يقوم بها حارس خاص يُسَمَّى « المشاوري » الذي يكون واسطة بين الزائر والمزور ، يعني يشاور المزور هل يمكنه استقبال الزائر في ذلك الوقت ؟

المَرْوَزِيَّة

المروزية طعام مغربي يحضَّر باللحم والزبيب وعدة توابل يسمى مجموعها « راس الحانوت » .

وهو منسُوب إلى مدينة « مرو » الفارسية ولا شك أنه ينسب إلى هذه المدينة على القياس فيقال : مَروي . وعلى غير قياس فيقال : مَرْوَزي ، كما يقال في النسبة إلى الري رازي .

وقد حافظ المغاربة على هذه النسبة الغريبة منــــذ أقدم العصور إلى الآن . وما زالوا يستعملون المروزية إلى هذا الزمن .

فاس (المغرب الأقصى) عبد القادر زمامة

مصطلحات شدياقية

بين الآثار المديدة النفيسة التي خلفها جبار القرن التاسع عشر – كما يحلو للأستاذ شفيق جبري أن يسميه – أحمد فارس الشدياق ، كتابان ضمهما في مجلد واحد ، سمى الأول منهما : « الواسطة ، في معرفة أحوال مالطة » ، وسمى الثاني « كشف المُخبّا ، عن فنون أوربا[1] » . وقد طُبع الكتابان طبعة أولى ، لم أعثر عليها ، ولم أعرف تاريخها ، ثم طبعا طبعة ثانية في عام ١٢٩٩ هـ ، في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية . وقد اعتمدت الطبعة الثانية في هذا البحث .

الكتابان يدخلان في أدب الرحلة . وهو فن قديم معروف . وليس غرضي دراسة ما جاء في الكتابين ، فلا يتسع لذلك مقال في مجلة ، بل انهما خليقان بأن يفرد لهما كتاب برأسه أو أكثر ، لما تضمنا من المعلومات الجغرافية والتاريخية ، والاحصاءات العديدة ، والطرف الأدبية ، والفوائد اللغوية ، والإحاطة في وصف ما رأى المؤلف في ديار لم يكن يعرف عنها أحد من أهل المشرق شيئا ، والغوص على أخلاق الشعوب وخصائصها ومزاياها ومحاسنها ومساوئها ، والمقارنة بينها ، والدراسة للحياة الاجتماعية في مختلف مظاهرها ، وللأنظمة السياسية التي عرفها ، والمناهج الثقافية التي اطلع عليها ، وغير ذلك مما حفل به الكتاب من ألفه إلى يائه . دوّن أحمد فارس ذلك كله بأسلوب اتسم بالجد حيناً ، واتصف بالتهكم أحيانا .

---

(١) كذا رسم « أوربا » بالألف ، والعرب رسمتها « أوربة » بالتاء المربوطة . ثم انه سمى كتابه في ص ٦٧ « كشف المخبا ، عن تمدن أوربا » .

وما أعرف كتاباً من الكتب التي ألفت خلال القرن التاسع عشر ، في هذا اليسير الذي عرفت ، خلا من التكلف ، وتنزه عن الإسفاف في الأسلوب ، وبعث العربية بعثاً كان مزيجاً بين طبع العصر الأموي ، وتقيد العصر العباسي تقيداً مقبولا ، كهذا الكتاب الفريد ، وكالكتب الأخرى التي خلفها الشدياق .

وانما غرضي أن أعرض ناحية من نواحي الكتاب تتصل بأهداف المجمع العلمي العربي ، وبأغراض مجلته : تلك هي المصطلحات الحديثة التي وضعها أحمد فارس في كتابه هذا .

عاش أحمد فارس في مالطة حيناً من الدهر أستاذاً للغة العربية ، في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، فرأى في هذه الجزيرة مظاهر حضارة حديثة جاء بها الإنكليز الذين استعمروها ، وكانت هـــذه المظاهر متصلة بالحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها ، ثم رحل في عام ١٨٤٨ الى بريطانية ، مجتازاً بلاد الفرنسيس . وأقام في الأولى عشرين شهراً أو أكثر ، وسكن الثانية مدة لم يحددها ، فرأت عينه ، ووعى عقله أموراً ليس لها وجود في بلاده التي فارقهـــا ، فسجلها على النحو الذي بدا له ، فجاء بالعجب العجاب .

وآية أحمد فارس التي تميز بها بين الأقران ، أنه اصطدم بهذه المخترعات ، فدهش لفوائدها ، وعرف أنظمة الحكم السائدة يومئـــذ فادرك اسسها ومناهج تطبيقها ، ودرس ما في المجتمع كله دراسة عميقة كل العمق ، وأخذ بعد ذلك في تطويع لغة العرب لهذا العباب الضخم الذي فجاء ، وحده من غير أن يستعين بانسان ، أو لجنة من اللجان . كان علمه وحده هو الذي أوحى بما وضع من مصطلحات .

أضف إلى ذلك أنه استعمل ألفاظاً ليست من المصطلحات الحديثة ، وانما هي ألفاظ عربية موجودة في المعاجم ، أهملها الناس فأحياها .

ومهما يكن من أمر ، فان أحمد فارس قد كان بمفرده مجمعاً علمياً ، أصاب حظاً من التوفيق مرات ، وأخطأه التوفيق مرات . وسترى من المفردات التي تتبعتها في هذا الكتاب وحده ، أنه قد سلك طرقاً عدة :

أولها — بعث ألفاظ عربية تقابل المصطلحات الأعجمية ، أو اعتقد أنها تقابلها .

ثانيها — الترجمة الحرفية ، وقد عمد إلى إيضاحها ليقينه أنها ستكون مغلقة على القارىء .

ثالثاً — التعريب ، وإجراء الألفاظ المعربة على أوزان العربيـة إذا أمكن ، وإلا فابقاؤها على حالها .

رابعهـا — التعبير بجملة عن اللفظ حين الحاجة .

خامسها — استعمال ألفاظ عامية درجت على الألسن وألفها الناس .

واليك هذه الألفاظ كما وردت في ترتيبها بالكتاب ، وربما فاتني منها شيء لم أنتبه اليه :

١ — البَدَل . داء المفاصل ص ١٤ Rhumatisme ، وقد اختير له اليوم لفظ الرَّثية .

٢ — فلانلة : Flanelle وقد سماها : غلائل الصوف ، ص ١٤ .

٣ — كشك (١) : Kiosque ، وسماها : روشن ص ١٨ . واللفظ يستعمله حتى اليوم أهل حمص وحماه ودير الزور لما يدل عليـــه اللفظ الأعجمي ، ويراد منه المأوى الذي يقام على ضفاف الأنهر ، أو في الحدائق ، من أعمدة خشبية ، ومن أوراق الشجر .

---

(١) كشك كما جاء في لاروس تركية ، والعرب سموه الجوسق وهو في معجم الألفاظ الفارسية من (جوسه) بمعنى القصر . (لجنة المجلة)

٤ ـ أطَنَّ الجرس : Sonner ص ٢٠ ، واصطلح اليوم على لفظ « دَقّ » بدل « أطن » وهو غير صحيح ، ولكن شاع استعماله ، وأضحى من ألفاظ المولدين .

٥ ـ المتنكلزون : أراد بهـا : المواطنين الذي قلدوا الانكليز في لباسهم وعاداتهم ... ص ٢١ .

٦ ـ الكرنيفال : Carnaval ـ كذا رسمها بالياء . قال موضحاً (ص ٢٣) : « ومن ذلك ـ أي اللهو ـ ثلاثة أيام في المرفع ، ويعرف بالكرنيفال ، وهي : الأحد والاثنين والثلاثاء . يلبس فيها الرجل كالمرأة ، والمرأة كالرجل ، ويتزيون بهيئات متنوعة ، وأشكال مختلفة ، ويغطون وجوههم بجلود على هيأة الوجه ، ويطوفون في المدينة حيارى سكارى ، ويسمون هذا التشكل مسكرة ، وكأنه محرف عن المسخرة ... »

٧ ـ الملهى : Théâtre (ص ٢٤) قال : الملهى وهو المسمى عندهم بلفظة « الثياطر » أو « الثياطرو » . وردّ إطلاقه هذا اللفظ الى نص عربي قديم جاء فيه : « والظاهر ان المسلمين كانوا يطلقون على هذا الموضع اسم الملهى ، فقد كتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب ما نصه : اني فتحت مدينة المغرب وفيها أربعمئة ملهى » اهـ . والمعروف اليوم : المسرح .

٨ ـ البدّال : بياع الأطعمة (ص ٢٥) صحح فيها ما جاء في القاموس من أن بياع الأطعمة هو البقال .

٩ ـ القَرْبَق : دكان البقال .

١٠ ـ مدرسة جامعة : Université (ص ٢٥) .

١١ ـ المشائخ ج شيخ : Professeur (ص ٢٦) . واستعمل في ص ١٢٥ لفظي : المعلم والأستاذ . وشاع اللفظان الأخيران في هذا الزمان ، واقتصر الأول على رجال الدين .

١٢ ــ دار كتب : Bibliothèque (ص ٢٦) ويقال اليوم أيضاً : مكتبة .

١٣ ــ المستشفى : أطلقه في ص ٢٧ على مأوى العجزة ، ووصف سكانه وصفاً بالغ التأثير . وسماه في مكان آخر : المارستان . راجع فقرة ١٣٥ Asile des vieillards .

١٤ ــ الدستور : Constitution (ص ٢٩) .

١٥ ــ برنيطة : Chapeau ، (ص٣١) وما رأيته استعمل لفظ «قبعة» أبداً.

١٦ ــ الخواتين ج خاتون : (ص ٢٣) وهو لفظ أعجمي ، معناه : المرأة ذات الصون . ونص عبارة القاموس : المرأة الشريفة . وما زالت مستعملة عند العامة في العراق حتى اليوم .

١٧ ــ الجُبّات والجُبَب ج جُبّة : Pardessus (ص ٣٤) ، واستعمل الناس الآن لفظ : معطف .

١٨ ــ المتعة أو التسري : أراد بها الزواج العرفي (ص٣٨) Concubinage.

١٩ ــ بارون : Baron (ص ٤١) .

٢٠ ــ مركيز : Marquis (ص ٤١) .

٢١ ــ دكطور ودكاطر : Docteur (ص ٤١) وجعل مؤنثها : دكطرية ص ١٧٥ . قال (ص ١٩٧) : « يوصف بها كل من الطبيب والرباني والفيلسوف على حد سوى » . والمشهور اليوم بالتاء لا بالطاء .

٢٢ ــ بوسطة المكاتيب : Postes ص ٤٥ . وورد في ص ١٤٤ لفظ : البريد ، ولا يستعمل اليوم إلا اللفظ الأخير : البريد .

٢٣ ــ تقييد الصكوك : Notariat (ص ٤٥) . وسمى الكاتب بالعدل Notaire : كاتب الصكوك والعقود (ص ٢٢٨) .

٢٤ ــ الكرنتينة : Quarantaine (ص ٤٥) واصطلح على تسميتها : الحجر الصحي ، أو العزل .

٢٥ ـ الحاكم : Gouverneur (ص ٤٥) .

٢٦ ـ كاتب السر : Secrétaire (ص ٤٥) .

٢٧ ـ ناظر الخزينة : Trésorier (ص ٤٥) ويعرف اليوم باسم : خازن ، أو أمين صندوق .

٢٨ ـ مدير الحسابات : Directeur des finances (ص ٤٥) ، ويسمى اليوم : مدير المالية .

٢٩ ـ مستوفي الأموال : Percepteur (ص ٤٥) ويطلق عليه الآن لفظ : الجابي .

٣٠ ـ ناظر الجمرك : Douanier (ص ٤٥) .

٣١ ـ كبير القضاة : Juge suprême (ص ٤٥) .

٣٢ ـ كبير الشرطة : Directeur de la police (ص ٤٥) وهو اليوم : مدير الشرطة .

٣٣ ـ الجِعَة : La bière (ص ٤٦) .

٣٤ ـ هرموني : Harmonie [١] أوضحها بقوله : « أي ان الأصوات تتألف على الغناء » (ص ٥٢) .

٣٥ ـ حافلة المُجِيد : Diligence (ص ٧٠) وأضاف في ص ٧١ : « حافلة المجد : المعروف بالدليجانس » (كذا) ولعله خطأ مطبعي ، فالصواب : المعروفة . فأما لفظ « حافلة » فلعل الشدياق أول من وضعه لوسائط النقل المشتركة وأضاف اليه « المُجِيد » تعبيراً عن السرعة . وهو كما ترى وان كان ترجمه حرفية ، إلا أنها ترجمة موفقة .

٣٦ ـ قَبْوَة : Tunelle (ص ٧٠) قال : « دخل الرتل ـ أي القطار ـ في قبوة مظلمة منقورة في الصخور فسار فيها نحو عشر دقائق ،

---

(١) وتقابل اليوم بكلمة انسجام واتّساق . (لجنة المجلة)

فكان أمراً عظيماً لمن لم ير مثله من قبل » (راجع فقرة رقم ١٨١) . واقتصر الناس في هذا العصر على لفظ : نَفَق .

٣٧ – جرنال : Journal (ص ٧٤) وسماها أيضاً صحيفة الأخبار (ص ١٦٢) . قال (ص ٣٥١) : « ومعنى الجرنال يومية ، وهي لفظة فرنساوية » . ولا يستعمل الناس في هذا الزمان إلا لفظ : جريدة ، أو صحيفة .

٣٨ – فقهاء الشرع : Avocats (ص ٧٤) وسماهم (ص ٢٣١) وكلاء الدعاوى . ويسمون اليوم : المحامون .

٣٩ – دواتي : Pharmacien (ص ٧٤) وسماه : عقاقيري (ص ٢١٨) وسماه : صيدلي (ص ٣٧٢) . وشاع استعمال الأخير وحده .

٤٠ – دواوين الميري : Ministère des finances (ص ٧٥) وتسمى اليوم : وزارة المالية .

٤١ – القورمة : وهو لفظ عامي ، لعله تركي الأصل ، يراد منه : « اللحم الذي يقلى ويحفظ طول السنة » .

٤٢ – المِزْر : La bière في القاموس : المِزْر نبيذ الذرة والشعير . (ص ٧٨) راجع فقرة ٣٣ لفظ : الجعة) .

٤٣ – ميزان الهواء : Baromètre (ص ٩١) ، ويسمى اليوم : مقياس ضغط الجو ، وسماه الأستاذ التنوخي : مضغاط ، واختار لهذه الموازين المنتهية بـ Mètre وزن مِفعال .

٤٤ – إبرة المغنطيس : Boussole (ص ٩٨) ، وعرف باسم : بوصلة ، وحك ، وبيت الابرة .

٤٥ – رسم النقط (ص ٩٨) Fleur de lys . قال : « ولم يعلم مخترعه . وزعم الفرنسيس أنه من مخترعاتهم . وان رسم النقط الأربع الأصلية انما

هو رسم عما يقال له (فلور دولي) أي : زهر السوسن ، انما هو رسم عما يسمى بالعربية موسالا [١] (لعلها مسلة) ، وكانت العرب تتخذها لادارة الابرة » . اهـ .

ولم أفهم المقصود ، ولعل أهل الاختصاص يوضحون ما أراد .

٤٦ ـ أداة الابرة : Compas (ص ٩٩) قال : « فأما اختراع أداة الابرة المسماة عند الافرنج بالكومباس . . . » ويسمى اليوم : فرجار ، أو بيكار ، أو دوارة .

٤٧ ـ سكك الحديد : Chemins de fer (ص ٩٩) .

٤٨ ـ الرتل : Train (ص ١٠٠ ، وقد ورد للمرة الأولى في ص ٧٠) ولا يعرف اليوم إلا باسم : القطار .

٤٩ ـ مجلس الشورى Conseil d'administration (ص ١٠٠) ، واصطلح اليوم على تسميته : مجلس الإدارة .

٥٠ ـ مُزْجِيَة Locomotive (ص ١٠١) . قال : « وهي الآلة التي يقال لها انجن (بالانكليزية) Engine » . وعرفت اليوم باسم : القاطرة .

٥١ ـ التلغراف : Télegraphe (ص ١٠٢) وشاع استعمال لفظ « البرق » للدلالة عليه .

٥٢ ـ كواغد مالية : Monnaie en papier (ص ١٠٣) والمستعمل في هذا الزمان : الأوراق المالية .

٥٣ ـ المثابات الحافلة (ص ١٠٤) : Lieux publics قال : « حيث يكثر تردد الخواتين للشراء وغيره ... » وتعرف اليوم باسم : « الأماكن العامة . وأرى أن اصطلاح الشدياق أرشق .

---

(١) اللفظة الإيطالية Bussola ولعلها كانت الباء مبدلة من الميم موسالا أي مسلّة وهي الابرة . (لجنة المجلة)

٥٤ ـ المرافد (ص ١٠٧) ، لم أفهم مراده . قال : « فأما نساء الفرنسيس ، فانهن أكثر زهواً واعجاباً من جميع نساء الافرنج . وقد كانت النساء هنا يرسلن على طلاهن سوالف مجعدة ، تفعل ذلك منهن الطويلة الشعر ، عجباً به ، فصرن الآن يسوينه منسرحاً على أفوادهن ، اقتداء بالملكة ، إلا ما ندر . ومثل هذه العادة في القلة عادة المرافد . » اهـ ولعـــل من عنده علمها يعلمنا .

٥٥ ـ الظُلَّل ج ظُلّة : Parasol ، للاتقاء من الشمس . وقال الفرنجة عما يتقى بها من المطر : Parapluie ، ونحن اليوم لا نفرق بينهما فنسمي كلتيهما شمسية .

٥٦ ـ الجِلاء (ص ١١٢) قال : « ليس لهم جِلاء : أي لقب تعظيم » . وعبارة القاموس : « وما جلاؤه ؟ ـ بالكسر ـ أي : بماذا يخاطب من الألقاب الحسنة . » Titre de grandeur .

٥٧ ـ الرث (ص ١١٥) قال : « ومن طبع الانكليز الرث وهو البلادة وقلة الفطنة .. » ولم أجدها في المعاجم .

٥٨ ـ البيف ستيك (ص ١١٥) ، قال : « أعني شواء البقر المشرح » Beaf - stak ورسمه في ص ١٨٠ « بيفتك » .

٥٩ ـ جيني (ص ١٢٠) : أراد بها الجنيه ، ورسمها كما يلفظهـــا الانكليز Guinée .

٦٠ ـ الملاكمة (ص ١٢٠) : Boxe .

٦١ ـ المسايفة : Escrime .

٦٢ ـ التفقه (ص ١٢٥) قال : « وان تكن ـ كمبريج ـ لا تشوق أحداً للسكنى فيها غير من يقصدها للتفقه في الفنون ... » كأنه أراد : الاختصاص Spécialisation .

٦٣ ـ الفقه (ص ١٢٧) : Droit واصطلح اليوم على إطلاق لفظ : حق ، بدلاً من الفقه .

٦٤ ـ صك (ص ١٢٧) : Diplome ، وتعرف اليوم باسم : شهادة .

٦٥ ـ المندل (ص ١٣٣) . قال : « ومنهن من تدعي احضار الغائب وتشخيصه لعين السائل في مرآة ونحوها كما في مندل مصر » . والمندل معروف في بلاد الشام بهذا المعنى أيضاً . وهو من ألفاظ المولدين .

٦٦ ـ مجلس المشورة (ص ١٣٦) : Parlement ، وصفه في ص ١٤٦ بقوله : « النائب عن الجمهور » . قال في ص ٣١٣ و ٣١٤ : « واعلم أن أهل المجلس ينقسمون الى قسمين : « الأول يقال له مجلس الأعيان Chambre des Lordes والثاني مجلس النواب Chambre des Communes... » ، وقد ألف الناس لفظ (البرلمان) المعرب في هذه الأيام .

٦٧ ـ المُسْبِت (ص ١٣٦) : Anesthésique ، وقد اختير له في هذه الأيام لفظ « المخدر » .

٦٨ ـ الجوري (ص ١٣٦) : Jury ، وهم المعروفون اليوم بالمحلفين .

٦٩ ـ الفقهاء : علماء القانون (ص ١٣٧) Juriste .

٧٠ ـ الجلة (ص ١٣٧) ، قال : « الجلة التي يسمونها مكنا كارتا Magna carta » وترجمتها الحرفية : الميثاق الكبير ، وهي بمعنى الدستور .

٧١ ـ الصك (ص ١٣٧) ضبط Procès - verbal ، ويسمى اليوم : الضبط .

٧٢ ـ الشرع (ص ١٣٨) القانون Loi . وغلب اليوم استعمال اللفظ الثاني : القانون .

٧٣ ـ المناصع (ص ١٣٩) : Pissoires publiques — urinoires . قال (ص ٢٧٣) : « هي المواضع التي يتخلى فيها الانسان للبول أو لقضاء الحاجة » . وهذا نص عبارة القاموس .

٧٤ ـ كُتّاب الصكوك : Notaires (ص ١٤٠) ، ويعرفون اليوم باسم : الكتاب بالعدل . وفي الشمال الافريقي باسم : الموثقون .

٧٥ ـ الأحكام الديوانيـة (ص ١٤٠) : Arrêté administratif ، واصطلح اليوم على تسميتها : القرارات الادارية .

٧٦ ـ الامضاء (ص ١٤٢) : Signature .

٧٧ ـ شرطة الديوان (ص ١٤٥) : Police Secrète « وسماها « الثقاف » (ص ٣٠٣) قال : « ومن هؤلاء الشرطة من يتزيا بزي العامة حتى لا يكون معروفاً ويسمى الثقاف . . . » ولم أجده في المعاجم . وتعرف اليوم باسم : الشرطة السرية ، أو شرطة المباحث .

٧٨ ـ الطابع (ص ١٤٧) : Timbre .

٧٩ ـ صاحب البوسطـــة : Directeur des postes ، ص ١٤٧ . ويسمى اليوم : مدير البريد .

٨٠ ـ بنك (ص ١٢٧) : Banque . وسماه المصرف (ص ٢٤٦) .

٨١ ـ الديوان (ص ١٤٨) : كأنه أراد به النيابه العامة أو قاضي التحقيق . قال : « وليس للشرطي حق أن يدخل بيت أحد إلا باذن الديوان لسبب خطير . . . » Parquet — Juge d'Instruction .

٨٢ ـ ديوان المشورة (ص ١٤٩) : كأنه يعني مجلس العموم . قال : « حتى ان ديوان المشورة لا يبت شيئاً إلا بعد استفراغ الكلام فيه ... » Chambre des Communes .

٨٣ ـ ناظر (ص ١٥١) : وزير Ministre ، « ناظر الخارجية » .

٨٤ ـ ناظر (ص ١٥١) : رئيس Président ، « ناظر مجلس المشورة » .

٨٥ ـ تذكرة (ص ١٦٠) : Carte visite ، قال : « لا بد من أن يعطي ـ الزائر ـ الحاجب تذكرة مكتوبة باسمه فيناولها الخادم سيده في صحفة من الفضة ... » . وشاع اليوم استعمال لفظ « بطاقة » بدلاً من تذكرة .

٨٦ ـ جنتل مان (ص ١٦٢) : Gentilman قال : « أي متخصصاً متصفاً بصفات الخاصة » ، واشتق منها « الجنتلمانية » ص ١٦٤ .

٨٧ ـ المنتدى ج منتديات (ص ١٦٩) : Club . قال : « المنتديات أي الكلوب » .

٨٨ ـ نجيي (ص ١٧٠) : Secrétaire ، ويسمى اليوم : أمين سر ، كاتب ، أمين .

٨٩ ـ كُتّاب الحوادث (ص ١٧٠) : Rédacteurs . كأنه أراد به : محرري الصحف . ويعرفون اليوم باسم : المنشئين .

٩٠ ـ حصص مضاربة (ص ١٧١) : Actions . وقد عرفت في هذه الأيام بالأسهم .

٩١ ـ ديوان الحكم (ص ١٧٣) : Justice .

٩٢ ـ الجهاز (ص ١٧٣) : Dot .

٩٣ ـ قمر العسل (ص ١٧٤) : Lune de miel ، واصطلح على ترجمتها بتعبير : شهر العسل .

٩٤ ـ الست (ص ١٧٦) : La dame . ولا أدري لماذا لم يقل : السيدة !

٩٥ ـ السهرية ج السهريات : Bal — soirée .

٩٦ ـ الكمفورت (ص ١٧٩) : Confort . قال : « وهذا هو أوفر الهناء الذي يعبرون عنه بلفظة كمفورت » .

٩٧ ـ هسبيتاليتي (ص ١٩٧) : Hospitalité . قال : انهم يفتخرون بالهسبيتاليتي وهي قِرَى الضيف وبِرُّ الغريب .

٩٨ ـ طوست (ص ١٧١) : Toast ، قال : « ومن هنا جرت العادة عند الانكليز أن يشربوا على ذكر احدى الخواتين ويقال لها : طوست ... » .

٩٩ ــ ركطر القرية (ص ١٨٦) : شيخ البلد Rector .

١٠٠ ــ ضابط البلد (ص ١٨٦) Maire . ويعرف اليوم باسم : مختار ، أو عمدة .

١٠١ ــ ديوان الأسقف (ص١٨٦) :Tribunal - Conseil - Ecclésiastique المحكمة الروحية .

١٠٢ ــ المزمرة (ص ١٩٤) : Hypnotisme . قال : « وهي امرار اليد على وجه انسان حتى يغيب عن الإدراك ، وهي نسبة الى رجل نمساوي اسمه مزمر ، فاشتقوا منه فعلاً . يقال : مزمره أي عالجه بامرار اليد . . . » . وقد اصطلح على تسميتها في هذه الأيام بالتنويم المغناطيسي . وسماه (ص ٢٥٢) السمنمبول Somnambule ، وواضح أنه يعني المشي في النوم[1] ، وهو غير التنويم المغناطيسي .

١٠٣ ــ كاتب الجمعية (ص ١٩٨) : Secrétaire .

١٠٤ ــ مستر (ص ١٩٨) : Mister .

١٠٥ ــ قاعة البلد (ص ٢٠٠) : Hôtel de ville . وتسمى اليوم : دار البلدية .

١٠٦ ــ جعل (ص ٢٠٦) : Taxe ، ولا يستعمل الناس في هذه الأيام إلا لفظ : رسم .

١٠٧ ــ الجمعية (ص ٢٠٧) : Société ، ولعلها هنا بمعنى الشركة .

١٠٨ ــ كاتب ديوان التلغراف (ص ٢٠٧) : Télégraphiste ، ويسمى اليوم : موظف البرق ، أو مبرق .

---

(١) وأطلق عليه الأستاذ ساطع الحصري اسم السرمنة أي السير في المنام .
(لجنة المجلة)

١٠٩ ـ الطيارة (ص ٢٠٩) : Avion وما أدري إذا كان قد عنى الطيارة المعروفة اليوم . ففي وصفها ، كما أورده ، التباس واضح .

١١٠ ـ آلة تنقط الحبر على ورق (ص ٢١٠) : من أدوات البرق ، ولم أعرف مقابلها .

١١١ ـ المكتبة الموقوفة (ص ٢١٠) : Bibliothèque Nationale ، واصطلح اليوم على تسميتها : المكتبة الوطنية .

١١٢ ـ الكنارة (ص ٢١١) : Clarinette .

١١٣ ـ النيشان (ص ٢١٢) : Médaille ، وعرف في هذه الأيام باسم : وسام .

١١٤ ـ دوفان (ص ٢١٢) : Dauphin ، وهو ولي العهد .

١١٥ ـ الألواح ج لوح (ص ٢١٤) : Pancarte ، وشاع اليوم اسم : لافتة ، أو لوحة إعلان .

١١٦ ـ مُتْحَف (ص ٢١٥) : Musée .

١١٧ ـ عَيْبَة ج عياب (ص ٢١٦) : Valise ، وغلب اليوم استعمال لفظ : حقيبة .

١١٨ ـ جواز (ص ٢١٦) : Passe - port ، قال : « واعلم أنه من يدخل فرنسا فلا بد له من أن يبرز جوازه في الثغور ، أي : الباسبورت » .

١١٩ ـ ديوان الخزانة (ص ٢٢٠) : Trésorerie ، ودرج اليوم استعمال لفظ : الخزانة ، والخزينة .

١٢٠ ـ البلفار (ص ٢٢١) : Boulevard ، ويستعمل اليوم الناس لفظ : الجادة ، مقابلاً له .

١٢١ ـ الأَزْج آزاج أو القنطرة (ص ٢٢٥) : Arc ، وغلب لفظ « قوس » اليوم على ما عداه .

١٢٢ ـ كارتيه (ص ٢٢٦) : Quartier ومعناه : حيّ ، وأصله أن باريس لما بنيت بعد أن أحرقها النورمان ، كانت أربعة أحيـــاء ، فأطلق على كل حي لفظ كارتيه أي الربع .

١٢٣ ـ هوتيل دوفيـــل (ص ٢٢٦) : Hôtel de Ville ، راجع فقرة (١٠٥) .

١٢٤ ـ بستان النباتات (ص ٢٢٦) : Jardin botanique ، واصطلح اليوم على تسميتها : حديقة النبات .

١٢٥ ـ غيضة شانزلزي (ص ٢٢٦) : Champs Elysées . وسماها (ص ٢٤٠) : غيضة الأصفياء .

١٢٦ ـ بالي روايال (ص ٢٢٧) : Palais Royal يعني : القصر الملكي .

١٢٧ ـ مجلس المشورة العام (ص ٢٢٧) : Parlement (راجع فقرة ٦٦).

١٢٨ ـ سقيفة ، معبر (ص ٢٢٧) : Passage .

١٢٩ ـ النغل (ص ٢٢٨) : Batard .

١٣٠ ـ ذوو الأحكام النظامية (ص ٢٢٨) : Avocat . قال : « وفي باريس تسعة آلاف من ذوي الأحكام النظامية ، وهم أهل علم ودراية ... » (راجع فقرة ٣٨) .

١٣١ ـ مكتب (ص ٢٢٨) : Communal (كومونال) .

١٣٢ ـ انستيتوسيون (ص٢٢٨) : Institution .وتسمى اليوم : مؤسسة .

١٣٣ ـ مراب (ص ٢٢٨) : Pensions . قال : « وفي باريس ألف وسبعة مراب ويقال لها بنسيونات » . ولم أعرف اشتقاقها بالعربية[1] .

١٣٤ ـ قابلة (ص ٢٢٨) : Sage - femme .

---

(١) مَراب جمع مَربى : مكان العيش والتربية ، ويطلق أيضاً على Pension كلمة مَكَافلة لأن أصحاب الدار يكفلون معيشة المستأجرين . (لجنة المجلة)

١٣٥ ــ مارستان (ص ٢٢٨) : مأوى عجزة Asile des vieillards .

١٣٦ ــ مجزر ج مجازر (ص ٢٢٩) : Abattoire . ويسمى أيضاً : مسلخ .

١٣٧ ــ الهال (ص ٢٣٠) : Halles .

١٣٨ ــ حقة النساء (ص ٢٣٠) : Sac .

١٣٩ ــ مشيخة (ص ٢٣٠) : Académie وسماها أيضاً : مشيخة للعلوم (ص ٢٥٨) . واتفق على تسميته اليوم : مجمع :

١٤٠ ــ ميداي (ص ٢٣٠) : Médaille . (راجع فقرة ١١٣) .

١٤١ ــ الكومسيون (ص ٢٣١) : Commission (العمولة) .

١٤٢ ــ المصور على نور الشمس (ص ٢٣١) : Photographe . واقتصر اليوم على لفظ : مصور .

١٤٣ ــ موقف سكة الحديد (ص ٢٣١) : Gare . وعرف اليوم باسم : محطة .

١٤٤ ــ المجلس (ص ٢٣٢) : Assemblée .

١٤٥ ــ اوبيرا (ص ٢٣٢) : Opéra .

١٤٦ ــ ثريا ، نجفة (ص ٢٣٢) : Lustre .

١٤٧ ــ المكس (ص ٢٣٢) : الرسوم البلدية Taxes municipales .

١٤٨ ــ دين الأمة (ص ٢٣٣) : Dette nationale .

١٤٩ ــ وزير (ص ٢٣٣) : Ministre .

١٥٠ ــ مجلس المشورة العام والخاص (ص ٢٣٣) : Chambre - Sénat .

١٥١ ــ رتاج (ص ٢٣٣) : Entrée . ويقال له اليوم : مدخل .

١٥٢ ــ بواب (ص ٢٣٣) : Concierge .

١٥٣ ــ مصب للماء (ص ٢٣٥) : Siphon . ويسمى اليوم : سحّارة ، ومصّ .

١٥٤ – دفتر (ص ٢٣٦) : Carte - Menu . قـــال : « وأول ما يجلس المستطعم يأتيه الخادم بدفتر فيه أسماء الطعام . . . » ويعرف اليوم باسم قائمة الطعام ، وعرب فعرف الناس لفظ (كارت) .

١٥٥ – مائدة عمومية ، تابل دوت (ص ٢٢٧) : Table d'hôte . قال : « ان بعض الديار يصنعون مائدة عمومية يسمونها تابل دوت ، أي : مائدة الضيوف ... » .

١٥٦ – أرباب الرئاسه (ص ٢٣٧) : Police municipale . قال : « واعلم أن أرباب الرئاسة هنا يتعهدون صحة الرعية فيما يباع من المأكول والمشروب . . . » والتعبير غريب ، ولا ندري كيف ولماذا وضعه ! . ويقال لهم اليوم : الشرطة البلدية .

١٥٧ – تابلو فيفان ، الصور الحية (ص ٢٣٩) : Tableau vivant .

١٥٨ – جاردن (ص ٢٤٠) : Jardin . وتعرف اليوم باسم : حديقة .

١٥٩ – المجلس الخاص (ص ٢٤٥) : Sénat . وأطلق عليه اليوم اسم : مجلس الشيوخ ، أو الأعيان .

١٦٠ – ديوان الحسابات (ص ٢٤٥) Cour des comptes . ويسمى اليوم : ديوان المحاسبات .

١٦١ – دار مجتمع العلماء ، انستيتو (ص ٢٤٥) : Institut . وعرف اليوم باسم : معهد .

١٦٢ – دار السكة (ص ٢٤٥) : Hotel de la monnaie . ويسمى : دار المسكوكات .

١٦٣ – المصر (ص ٢٤٦) لعله أراد به المصفق Bourse . قال : « المصر ، أي مجمع التجار ... إذا سمعهم أحد ظن أنه بين غور تهمم ... » . وفي (ص ٣٥٨) : البورس .

١٦٤ ـ بارجة (ص ٢٤٨) : Cuirassée .

١٦٥ ـ ما دام (ص ٢٥٧) : Madame .

١٦٦ ـ إعلام (ص ٢٥٩) : Affiche . ويقال اليوم : اعلان .

١٦٧ ـ أهل الشورى (ص٢٦١) : Députés . ويسمون اليوم : النواب .

١٦٨ ـ الجيل (ص ٢٦٢) : Nation . ولا يعرف اليوم لها مقابل إلا لفظ : الأمة .

١٦٩ ـ نقود زائفة (ص ٢٧١) : Fausse - monnaie .

١٧٠ ـ كواغد بنك مزورة (ص ٢٧١) : Faux billets de banque . أوراق مزورة .

١٧١ ـ ديوان المدينة (ص ٢٧٢) : Municipalité . وتسمى اليوم : البلدية .

١٧٢ ـ ناظر المكتبـــة (ص ٢٧٣) : Bibliothècaire . واصطلح اليوم على تسميته : القيّم .

١٧٣ ـ معرض التحف (ص ٢٧٥) : Exposition . قال : « وهو المسمى عند الفرنسيين اكسبوزسيون » . وعرف اليوم باسم : معرض .

١٧٤ ـ وكيل دولة (ص ٢٧٦) : Représentant . ويعرف اليوم باسم : ممثل .

١٧٥ ـ أصونة ومخادع (ص ٢٧٦) : Pavillon . ويعرف اليوم باسم : جناح ، راية ، خيمة ، فسطاط .

١٧٦ ـ التصوير السخري (ص ٢٧٧) : Caricature .

١٧٧ ـ المُنْطَاد (ص ٢٧٧) : Ballon .

١٧٨ ـ رئيس كتاب الدولة (ص ٢٧٩) : — Président du Conseil Premier Ministre . وما زال هذا الاصطلاح مستعملاً حتى اليوم في تونس . وقد اختارت بقية الأقطار العربية لفظ : (رئيس مجلس الوزراء) .

١٧٩ ـ كان (ص ٢٩١) : Galon .

١٨٠ ـ التربيعة (ص ٢٩٢) : Place . وتسمى اليوم : موقع ، موضع ، مكان ، ساحة ، ميدان .

١٨١ ـ الجاز (ص ٢٩٦) : Tunelle . قال : « ومعنى الطنل : القبو أو السَّرَب أو النفق » . (راجع فقرة رقم ٣٦) .

١٨٢ ـ ورقة مطبوعة (ص ٢٩٨) : Ticket . قال : « ومتى دخلت العاجلة أعطاك السائق ورقة مطبوعة .... » .

١٨٣ ـ الضمان (ص ٢٩٩) : Assurance . وقد يسمى اليوم : التأمين .

١٨٤ ـ جمعية شرعية (ص ٢٩٩) : Société (بمعناها التجاري) . ولا يطلق عليها اليوم إلا لفظ : شركة .

١٨٥ ـ الصرّاف (ص ٣٠٠) : Banquier .

١٨٦ ـ الكن ج اكنان (ص ٣٠٥) : Loge (للمسرح) ويسمى اليوم : مقصورة . الحضيض Orchestre .

١٨٧ ـ لاعب ولاعبة (ص ٣٠٥) : Acteur, actrice . ويستعمل اليوم لفظ : ممثل .

١٨٨ ـ « وقد يوارون شخصاً بيده الكتاب الذي تحفظ منه تلك الحكايات في مكان حتى اذا ذهل المتكلم عن شيء رده » (ص ٣٠٦) Souffleur . ويسمى اليوم : الملقن .

١٨٩ ـ تراجيدي (ص ٣٠٧) : Tragédie . واصطلح على تسميتها اليوم : المأساة .

١٩٠ ـ كوميدي (ص ٣٠٧) : Comédie . واصطلح على تسميتها اليوم : الملهاة .

١٩١ ـ « ومن أعجب ما يرى من أحوال هؤلاء اللاعبين واللاعبات

هو أن الشيخ منهم يتفق في زيه وأطواره وكلامه حتى لا تحسبه إلا فتى ، والفتى يتشيخ بحيث تحسبه هماً رماً ، فلو ظهرا في المرة الآتية ما عرفت منهم أحداً » . (ص ٣٠٩) Maquillage . وربما كان لفظ « التخفي » يفيد المعنى .

١٩٢ ـ بنطوميم (ص ٣١٠) Pantomime قال : « وهو لعب بالإشارة والحركة من دون محاورة » وهو ما يسمى اليوم : التمثيل الإيمائي .

١٩٣ ـ تمثيلية (ص ٣١٢) : Pièce théatrale .

١٩٤ ـ بانورامه (ص ٣١٢) : Panorama .

١٩٥ ـ دار الاختبارات العلمية (ص ٣١٣) Centre de Recherches Scientifiques . ويسمى اليوم : مركز الأبحاث العلمية .

١٩٦ ـ راموز ج رواميز (ص ٣١٨) : Affiches .

١٩٧ ـ المألك العام (ص ٣١٨) : Postes .

١٩٨ ـ القبطان (ص ٣٢٧) : Capitaine .

١٩٩ ـ الكله [١] (ص ٣٣٠) : Bombe . وشاع اليوم استعمال لفظ « القنبلة » . والقنبرة صحيحة أيضاً .

٢٠٠ ـ الضريبة ص (٢٣٦) : Impôt .

٢٠١ ـ إسكاف (ص ٣٤٣) : Cordonnier . وهو المعروف بالحذّاء ، وعند العامة : كندرجي .

٢٠٢ ـ اليد القصيرة (ص ٣٥٣) : Short hand . وهو المعروف اليوم بالاختزال .

---

(١) مصحفة عن (قُلّة) لأن هذه القذيفة كانت بشكل القلة العراقية ، فهي أفصح من قنبلة وقنبرة . (لجنة المجلة)

٢٠٣ – المجلة (ص ٣٥٦) : Constitution . واتخذ اليـوم لفظ « الدستور » مقابلاً له .

٢٠٤ – جرنالات الضحك والتهكم (ص ٣٦٠) : Journaux satiriques وعرفت اليوم باسم : « الجرائد الهزلية » .

هذا ما هدتني اليه دراسة هذين الكتابين الفريدين . ولا بد لي من أن أوضح أن الألفاظ الأعجمية الموضوعة الى جانب الألفاظ العربية ، ليست من الأصل ، وانما افترضت انها هي التي نقلها الشدياق أو فسرها ، وقد أورد بعضها مرسوماً باللغة العربية كما رأيت .

وغني عن البيان أن قسماً من هذه المصطلحات لم يعش ، وإنما بقي في تاريخ المحاولات الجريئة التي بذلها هذا العالم الجريء وحده في أواسط القرن التاسع عشر ، في موضوع يكاد يكون بكراً ، لم تمد اليه إلا أقلام بعض علماء مصر الذين أوفدهم محمـد علي الكبير للدراسة في فرنسة ، وعادوا منها لينقلوا الى لغة العرب بعض ما عرفوا . إلا أن قسماً آخر من هذه المصطلحات قد عاش ، وما زال على أقلام العلمـاء والكتاب حتى اليوم ، وأصبح من الشائع المألوف .

وقسم ثالث جدير بالإحياء ، كم أتمنى أن يكتب له الانتشار . خذ مثلاً لفظ (المناصع) . فلقد عرفت اليوم في المدن الكبرى ، في جميع أنحاء العالم العربي ، وكانت معروفة بالقرب من المساجد ، ووضعت لها ألفاظ ينقصها الجمال ، وحسن الوقع في السمع ، كالمباول والمطاهر والمراحيض وما ماثلها ، وأظن أن لفظ المناصع ، إذا درج على الألسن والأقلام ، وألفته الآذان ، كان أحرى بالقبول من غيره .

ولست أرى بأساً في أن نستعمل لفظ (نجيّ) ، بدلاً من سكرتير الذي درج على الألسن والأقلام ، أو بدلاً من لفظ أمين سر ، أو من غيرهما ، لما فيه من دقة في أداء المعنى ، ومن رقة في اللفظ .

كذلك أرى أن لفظ (الجهاز) يؤدي كل ما يراد من لفظ (دوطة) الذي لا يكاد الناس يعرفون غيره .

وقل مثل ذلك في كثير من الألفاظ التي مرت بك .

كان أحمد فارس الشدياق حجة زمانه ، وباقعة عصره ، وأضحت كتبه نادرة الوجود ، حتى في المكتبات العامة ، ولعل الهمة تجدد لإحيائها ، وإعادة طبعها ، على نحو ييسر الفائدة منها ، ويقربها من أيدي العامة والخاصة من القراء .

ظافر القاسمي

الشيخ عبد القادر المغربي

(جانب مجهول من سيرته)

كان ذلك سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠ م) أي قبل أكثر من أربعين عاماً حيث كنت نزيل دمشق الشام مقيماً في فندق يطل على شارع بغداد (١) وكانت لنا ندوة في الفندق يغشاها ـ عدا أصدقائنا من دمشق ـ رهط من أنجبتهم بلاد العراق والشام وفلسطين ولبنان من المعنيين بالقضايا القومية سياسية واجتماعية . وفي أصيل يوم من تلك الأيام أقبل علينا كهل بهي الطلعة بادي البشر حسن العمة فأخذ مكانه بيننا وكان برفقة الشيخ زائر آخر من أبناء المدينة .

تحدّث الشيخ الينا بلهجة عذبة في بعض المسائل الأدبية ، وتساءل عن ميزات الشعر العراقي في جزالته وشدة أسره ، ورغب إليّ في تعليل نهضة الشعر الأخيرة ونبوغ النوابغ (حلة بني مزيد) (والنجف) وشعراء آخرين في العراق فأجبته جواباً أُعجبَ به وأقرني عليه . وقلت للشيخ : لا شك أن حرارة العاطفة وصدق الشعور من بواعث الإبداع والتجويد في نظم الأشعار .

ما كان ذلك الزائر أو العالم الباحث غير الشيخ عبد القادر المغربي رحمه الله . فإلى ذلك العصر ـ وقد مضى عليه أكثر من أربعين سنة ـ

---

(١) في سنة ١٩٢٠ م لم يكن شارع بغداد قد افتتح ، لعله يريد أن يقول شارع النصر . (لجنة المجلة)

تعود أول معرفة لي به وبطبقة من شيوخ الأدب وأعلامه في دمشق وجمهرة من شباب العرب المعنيين بالشؤون القومية في الشام نفسها . وكنا نلتقي في مكاتب بعض الصحف وفي دور الكتب ومعاهد العلم ومنها المدارس المحسنية نسبة إلى مؤسسها العلامة السيد محسن الأمين العاملي ، وكنا نغشى أيضاً بعض الأندية وفي مقدمتها (النادي العربي) . وكان هذا النادي في الواقع منبراً يتعاقب عليه خطباء موهوبون وشعراء مجودون في تلك الفترة . وكانت تقام في النادي حفلات أدبية وتعقد اجتماعات سياسية ، هذا ولم ينشأ المجمع العلمي العربي بعد (وإنما انشىء بعد مبارحتي دمشق الشام إلى العراق بأكثر قليلاً من سنة واحدة ، ومعنى هذا ان (النادي العربي) أقدم قليلاً من (المجمع) من حيث التأسيس[1] .

مضت لنا إذ ذاك عهود جميلة وأوقات حميدة في الشام كنا نقطع الليالي بالقراءات والسماعات . والخلاصة كان ذلك في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وقد غمرت العالم العربي يقظة انتظمت أقطاره وفي مقدمتها العراق وسورية وفلسطين ولبنان فراودتها أعذب الأماني وأحلى الأحلام في بعث الأمجاد القومية والحضارة العربية ، وكان من مظاهر تلك اليقظة أيضاً ضرب من التزاور والتعارف وتعزيز الصلات من سياسية واجتماعية .

لم يقدر لي بعد ذلك الاجتماع العابر بالشيخ المغربي في دمشق أن أتحدث اليه مرة أخرى ، فإنني بارحت دمشق إلى بيروت وتركت الداخل إلى الساحل . ولم يطل لبثي كثيراً بين جبل لبنان وجبل عاملة وإن كانت لي في صيداء ذكريات لا تنسى من وفاء أهلها ومحبتهم في تلك الأيام فعدت ثانيةً إلى دمشق الشام .

كانت دمشق إذ ذاك في شغل شاغل من السياسة . وكان شيوخها

---

(١) أنشيء المجمع العلمي العربي بدمشق في سنة ١٩١٩ م . (لجنة المجلة)

وشبابها وزعماؤها معنيين بالشؤون القومية والنهضة العربية ، حتى ان السياسة استنفذت جهود الناس واستغرقت أوقاتهم في (وقائع المؤتمر السوري) وفي التظاهرات السياسية ، ولاحظت يومئذ أن شباب العرب المعنيين بالشؤون القومية قد ارزوا من كل ناحية إلى الشام كما تأرز الحية إلى جحرها ، فكان منهم فريق يمثل العراق ، وآخر يمثل فلسطين ، إلى آخرين يمثلون مختلف الأقطار العربية . وكان في طليعة من لقيناهم يومئذ من طبقة المغربي أو من زملائه السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار . وكان لقاؤنا في الجهة الغربية من (الجامع الأموي) حيث كان للسيد حلقة يلقي فيها درساً في التفسير . ومن ثم أخذنا سبيلنا إلى شارع بغداد [1] المؤدي إلى محطة قطار الحجاز وقد احتفلوا قريباً بفتح هـذه الجادة . وكان السيد رشيد يتحدث عن شؤون الساعة ويتناول حديثه قضايا الإصلاح الاجتماعي والسياسي وذلك قبل التئام (المؤتمر السوري) الذي اختير رئيساً له . وهو مؤتمر نادى باستقلال البلاد وحريتها وان سورية دولة مستقلة ذات سـيادة (٨ آذار سنة ١٩٢٠ م) .

كانت دمشق حافلة بطبقة واعية مجهزة بضرب من الكفاية علمياً وعمليا . وعلى الإجمال كان أول لقائي بالشيخ المغربي بالشام في تلك الفـترة أي في أعقاب الحرب العالمية الأولى (١٩٢٠ م) . وكنت قد وصلت إلى الشام من الحجاز حيث ناهزت إقامتي في سورية سنة كاملة عدت بعدها إلى العراق فور احتلال الفرنسيين لدمشق كما فعل كثير من العرب المناوئين للاستعمار . وظلت الرسائل بعد هـذه الفترة أحسن واسطة للاتصال بيني وبين الشيخ المغربي فقد وافتني بعض رسائله إلى بغداد في التاريخ المذكور ، وبعد ذلك إلى سنة ١٩٢٥ م . وقد حمـل إلي بعض رسائله شباب قدموا إلى العراق

(١) يريد أن يقول شارع النصر . (لجنة المجلة)

تحدوهم الخدمة في معاهد التعليم فكان لهم ما أرادوا ، وأدى فريق منهم واجبه على أحسن ما يرام . ثم حالت الشواغل والقواطع حتى عن المراسلة مدة طويلة ولم يقدر لنا الاجتماع إلا في أعقاب الحرب العالمية الثانية وذلك في القاهرة وفي دار المجمع اللغوي سنة ١٩٤٨ ثم في دورات مؤتمرات المجمع السنوية المتوالية إلى أن وافاه الأجل المحتوم وكانت فرحة اللقاء في القاهرة عظيمة بعد ذلك الفراق الطويل الذي دام نحواً من ثلاثين سنة .

شاء زملاؤنا في مجمع اللغة العربية في القاهرة أن انضم إلى حظيرتهم سنة ١٩٤٧ حيث كان الشيخ الزميل عضواً عاملاً في المجمع قبل ذلك . وفي أول لقاء لنا استعرضنا ذكريات دمشق الشام وعهودها الحميدة . وما دار بيننا من المراسلات بعد ذلك . استعرضنا ذلك في قاعة المؤتمر اللغوي وفي مكاتب المجمع وكنا لا نفترق في أعقاب كل جلسة من جلسات المؤتمر إلا لنلتقي في ناد أو فندق أو في حفلة أو دعوة ، وقد لاحظت ان روح الصداقة والألفة والمحبة من سجايا الشيخ القوية الراسخة فيه فان له في بلاد العرب - دع عنك دمشق - اصدقاءه الكثر . ولا شيء أحب اليه من زيارة أصدقائه ومعارفه ولا بد للشيخ أينما كان أن يأوي في سهراته إلى ناد يتجاذب مع من فيـه أطراف الأحاديث . وكم حدثني عن تلك السهرات الجميلة .

ما كان يدور في خلدي ان دورة المؤتمر اللغوي التي عقدت صبيحة الخميس ١٥ من جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ (٢٩ كانون الأول سنة ١٩٥٥) ستكون آخر دورة يشهدها الشيخ ، فبينما كنت متأهباً للذهاب إلى المؤتمر اللغوي في مقره من القاهرة ابلغتني احدى كريمتيه وهم نزلاء الفنـدق الذي اقيم فيه قائلة" إن اباها نقل إلى المستشفى لأن رجله أصيبت ، وقدمه زلت . وقلت لها سأزور المستشفى بعد قليل ، ثم اتجهت إلى دار المؤتمر ومن هناك ذهبت إلى المستشفى ومعي مراقب المجمع الذي شاطرني كثيراً من الأسى في

الحادثة . ويقع المستشفى الذي نقل الشيخ اليه ويدعى (مستشفى الجمهورية) في شارع عابدين . دخلنا على الشيخ وهو مسجى في سريره ، لم تفارقه بشاشته ولطف سياه ، وأخبرنا أن الحادث لا يعدو أن يكون رضاً بسيطاً وانهم لم يجدوا كسراً في الساق . والواقع أن الإصابة كانت أبلغ من ذلك . وهكذا دعونا له بالشفاء وتمنينا له العافية . وهكذا لم يشهد الشيخ إلا الجلسات الثلاث الأولى من دورة المؤتمر المذكور . واضطره الحادث إلى الغياب عن بقية الجلسات . وكان له في الجلسة الثالثـــة من تلك الدورة بحث لغوي موضوعه (الفرنسية وكيف دخلت إلى العربية) ألقاه بنفسه . أما بقية بحوثه التي أعدها للمؤتمر فقد القيت بالنيابة عنه ومنها بحث عنوانه (أصل كلمة التضحية) . ولا بد لنا من القول ان المغربي كان يعالج الموضوعات اللغوية في بحوثه التي يعدها للمؤتمر غالباً ، وقلما عالج بحوثاً أدبية أو ثقافية فيه . فالمغربي والحق يقال عالم مجمعي بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة . ولذلك كانت مصيبة المجامع اللغوية بفقده فادحة بل كانت ثلمة يصعب سدها . فانه انتقل إلى جوار ربه بدمشق في ٢٧ من شوال سنة ١٣٧٥ هـ الموافق لليوم ١٩٥٦/٦/٧ م بعد جهاد طويل وصبر جميل تغمده الله برحمته .

(بغداد) محمد رضا الشبيبي

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ٨ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح

E

٤٥٤٨ ماء آحيني 4548 Eau Albumineuse

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Albumine) بزلال [١] ، فتصبح ترجمة اللفظة ماء زُلالي .

٤٥٤٩ ماء الشُّرب ، ماء شروب 4549 Eau alimentaire , Eau de boisson , potable , de table

وأهملت اللجنة ترجمة اللفظتين الأولى والأخيرة ، فتكون الترجمة الكاملة : ماء التغذية أو المَشْرَب ، ماء الشُّرب ، ماء شَرِيب [٢] (كما أقرها مجمع اللغة) ماء المائدة .

---

(١) الصفحة ٦٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : المَشرَب الماء الذي يُشرب . والماء الشَّروب والشَّريب : الذي بين العَذْب والمِلْح . وقيل الشروب الذي فيه شيء من عُذوبة وقد يتشرّبه الناس على ما فيه ، والشَّريب دونه في العُذوبة وليس يشربه الناس إلا عند ضرورة ، وقد تشربه البهائم ، وقيل الشَّريب العَذْب وقيل الماء الشروب الذي يُشرَب .

4550 Eau d'amandes douces — ماءُ المِزْج ٤٥٥٠

وأرجح ماء اللَّوز المر دفعاً للالتباس (١) .

4570 Eau minérale bicarbonatée ou alcaline — ماء مَعْدِني بثاني فحمات أو ماء قَلَوي ٤٥٧٠

4571 Eau minérale bicarbonatée calcique — ماء مَعْدِني بثاني فحمات الكِلْس ٤٥٧١

4572 Eau minérale bicarbonatée sodique (alcaline) — ماء مَعْدِني بثاني فَحْمات الصود (قلوي) ٤٥٧٢

4573 Eau minérale bicarbonatée sulfatée sodique — ماء مَعْدِني بثاني فَحْمات وكبريتات الصود ٤٥٧٣

وأرجح تعريب Carbarbonate بكربونات شأن ما تقدم في لفظة Carbon (٢) وكما أقره مجمع اللغة . لذا تصبح ترجمة هذه الألفاظ : ماء معدني بثاني كربونات أو ماء قلوي ، وماء معدني بثاني كربونات الكلس وماء معدني بثاني كربونات وكبريتات الصود .

4575 Eau minérale chlorurée ou salée — ماء مَعْدِني بكلورور الصود أو ماء مِلْح ٤٥٧٥

4576 Eau minérale chlorurée sodique chaude — ماء معدني بكلورور الصوديوم ٤٥٧٦

---

(١) في اللسان : والمِزْج والمَازْج العَسَلُ ، وفي التهذيب الشَّهْد قال أبو حنيفة سُمّي مِزْجاً لأنه مزاج كل شراب حلو طيب به . وفي مكان آخر : والمِزْج اللَّوز المُرّ ، قال ابن دريد لا أدري ما صحته ، وقيل انما هو المُنْج .

(٢) الصفحتان ٦٣٢ و ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة . وجاء في تعريف لفظ Carbon في المجلد الأول من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع (الصفحة ١٦٥) : كربون . عنصر لافلزي يوجد على صور مختلفة بعضها غير متبلور كالسناج والفحم وهما صورتان نقيتـــان وبعضها متبلور كالماس والجرافيت .

ولا أرى لزوماً للترجمة اللفظية الفرنسية لكلورور الصود أو الصوديوم ، والصحيح في اللفظة الأولى ماء معدني بكلور الصود أو ماء مِلْح وفي الثانية ماء معدني حار بكلور الصوديوم .

٤٥٨٠ ماء معدني حار قليل المعادن — 4580 Eau minérale oligométallique chaude , Eau thermale oligométallique , Eau inerte indéterminée chaude .

وأرجح حَمّة قليلة الفلزات أو ماء معدني حار قليل الفلز (وقد أقر مجمع اللغة ترجمة Métale بفلز) ، حَمّة غُفْل (1) (غير معروفة الخواص) وقد أهملتها اللجنة .

٤٥٨٢ ماء (معدني) مُسْهِل ، ماء بكبريتات الصودا والمانيزا — 4582 Eau (minérale) purgative , Eau sulfatée sodique et magnésienne

وأرجح : ماء (معدني) مُسْهِل ، ماء كبريتاتي صودي ومغنيزي ، مخصصاً لفظة صودا ترجمة لـ (Carbonate de soude) ومانيزا لـ (Magnésie) (شأن ما فعلته اللجنة في اللفظة ٨١٠٨) ، وقد أقر مجمع اللغة تعريب المعدن (Magnésium) بمغنسيوم . ولفظة (Sufate) بكبريتات وسلفات .

٤٥٨٣ ماء معدني بكبريتات الصودا — 4583 Eau minérale sulfatée

وأرجح ماء معدني سلفاتي صودي أو كبريتاتي صودي .

٤٥٨٦ ماء مَعدِني كبريتي حار — 4576 Eau minérale suflureuse chaude

وأرجح حَمّة كبريتية .

---

(١) في اللسان : الغُفْل المُبْهَم الذي أغفل فلا يرجى خيره ولا يخشى شره .

٤٥٨٨ ماءٌ مؤكْسَج ، محلول فوق اكسيد المدروجين ، محلول ثاني اكسيد المدرجين — 4588 Eau oxygénée, soluté de peroxyde d'hydrogène, soluté de bioxyde d'hydrogène

وقد أقر مجمع اللغة تعريب (Oxygène) بأوكسيجين و (Hydrogène) بايدروجين . لذا تصبح ترجمة هذه الألفاظ : ماء اكسيجيني و (أراها ألطف من مؤكسج) ومحـــلول فوق اكسيد الايدروجين ومحلول ثاني اكسيد الايدروجين .

٤٥٩٨ ماء الغَوْر — 4598 Eau souterraine

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالمياه الجوفية . وجاء في التعريف : الماء الذي يتخلل الصخور تحت الأرض .

٤٦٠٦ ارتجافٌ انفعـــالي ، هزّة انفعالية ، صدمة تأثرية — 4606 Ébranlement émotif, secousse émotionnelle, choc émotif

وأرجح ارتجاج انفعالي ، هزّة انفعالية ، صدمة انفعالية .

٤٦٠٧ خلخل ، زَلْزَل — 4607 Ebranler, émouvoir

وأرجح زَعْزع وزَحْزَحَ .

٤٦٢٤ قارت — 4624 Ecchymosé, ée

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Ecchymose) بكَدْم (ج كدوم) وهي اللفظة الدارجة (١) فتكون ترجمة اللفظة مكدَّم أو مقروت .

---

(١) في اللسان : الكَدْم والكَدَم أثر العض وجمعه كُدُوم . والكَدْم اسم أثر الكَدْم يقال به كُدُوم والمكدّم المعضّض . وقَرَتَ الدّم يقرِت ويقرُت قرتاً وقُروتاً ، وقَرِت يَبِس بعضه على بعض أو مات في الجرح ، ودَمٌ قارتٌ قد يبس بين الجلد واللحم وقرتَ الظُّفر مات فيه الدم وقَرِت جلده اخضرّ عن الضرب .

٤٦٣٥ نموذَج 4635 Echantillon

وأقر مجمع اللغة عَيِّنة . وجاء في التعريف جزء من المادة يؤخذ من أجزائها المختلفة نموذجاً لسائرها .

٤٦٣٩ استحمام، اغتسال بالماء الحار . 4639 Echandage, échandure

٤٦٤٠ استحم ، اغتسل بالماء الحار 4640 Echander

والصحيح كما جاء في معجم لاروس للقرن العشرين سَخَّن الشيء تسخيناً خفيفاً أو حَرَّقه بسرعة فائقة ، وغسل الشيء بالماء الحار . هذا بالنسبة إلى لفظتي (Echandage) و (Echander) ، أما لفظة (Echandure) فيقصد بها الحَرق بالماء الحار [1] .

٤٦٤١ مُسْتَحِمّون 4941 Echandés

والصحيح نوع من الحلويات الفرنجية (Gateau) المصنوعة بالعجين المغطوس في الماء الغالي بضع دقائق [2] وعلى ذلك جاءت ترجمة اللفظة بالإنكليزية في المعجم الأصلي (Puff - pasty) أي الحلوى المورَّقة .

٤٦٤٧ داء المكوَّرات المُشَوِكة 4647 Echinococcose

٤٦٤٨ شريطية مُشَوِكة 4648 Echinocoque , ténia échinocoque

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة الثانية بأخينوكك وعرفها بأنها ديدان شريطية صغيرة . وتصبح اللفظة الثانية داء الإخينوكك أو الاكينوكية [3] .

٤٦٥٢ إرجاج 4652 Eclampsie

٤٦٥٣ إرجاجي 4653 Eclamptique

---

(١) لاروس القرن العشرين (Larousse du XXe siècle) في لفظتي (Echandage) و (Echandure) .

(٢) المرجع نفسه في مادة (Echandé) .

(٣) الصفحة ٦٠٦ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بتشنج حملي وإكلمسية، وجاء في التعريف : تشنجات وغيبوبة تحدث أثناء الحمل بسبب تسمم، وتصبح ترجمة اللفظة الثانية إكلمسي .

٤٦٥٦ إنشداخ ، انقطاع ، تفرقع — 4656 Eclatement

وأرجح انفجار وانفلاق [١] .

٤٦٥٧ ملمَعَة ، مُفْرِغة (كهربا) — 4657 Eclateur , déchargeur (electe.)

وأرجح مُفجّرة ومفرِغة .

٤٦٥٩ إدّخار مائي — 4659 Économie hydrique

والصحيح تناسق الماء كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢] وسبق لي أن ترجمت لفظة (Economie) بالانسجام الحيوي في موضع آخر [٣] . وما يعنى باللفظة ليس ادخار الماء كما ذهبت اليه اللجنة بل التناسق [٤] والنسبة بين ما يرد منه إلى البدن وما يخرج منه من الطرق المختلفة وبالأشكال المختلفة .

٤٦٦٩ إصْدادٌ ، سَيَلانٌ قَيْحي — 4669 Écoulement purulent

وأرجح سَيَلان قيحي أو صديدي وليس للفظة إصداد أن تفي بالمعنى [٥] .

---

(١) في اللسان : وانفلق المكان به انشق وفلقت النخلة وهي فالق الشقت عن الطلع والكافور والجمع فُلق . الشَدْخ الكسر في كل شيء وقيل هو التهشيم يعني به كسرَ اليابس وكل أجوف . الفَرقَعة تنقيض الأصابع وقد فرقعها فتفرقعت .

(٢) (Fluid intake and out put) ومعناه الوارد من السائل والمطروح منه ، شأن ما يكون في مقدار ما يعطى العليل من الماء أو أي سائل آخر عن طريق الفم أو الوريد أو تحت الجلد وما يخرج منه بشكل سائل أو بخار الماء .

(٣) الصفحة ٢٩٦ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) في اللسان النَّسَقُ من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد . وناسق بين الأمرين تابع بينهما . أقول وارى في المتابعة بين الصادر والوارد من الماء إلى البدن ومنه تناسقاً .

(٥) في اللسان : وأصده صَرَفه .

٤٦٧١ رَبَذة — 4671 Ecouvillon

٤٦٧٢ تنظيف الرَّحِم بقَطيلة — 467 Ecouvillonage

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بخِرْقة التنظيف أو ماسحة والثانية التنظيف بخرقة أو ماسحة [١] .

٤٦٧٦ كِتابة بيّنة ، على صفائح لامعة — 4676 Ecriture en miroir, écriture spéculaire

والصحيح عكس ما ذهبت اليه اللجنة ، إذ تدل اللفظة على اضطراب بيّن في الكتابة يصادف في بعض الخلل الطارىء على مراكز الإفصاح في الدماغ . فقد جاء في معجم لاروس القرن العشرين [٢] في تعريف اللفظة ما يلي : فساد الكتابة بحيث يكون تتابع الكلمات والأحرف من اليمين إلى اليسار يخيل معه كأن ما كتب يقرأ بالمرآة (من المصابين بالخَرَس Aphasie من يعمد الى الكتابة بالمرآة باستعمال اليد اليسرى) والكتابة المستشفة (Ecriture spéculaire) لا تكوّن نوعاً من الخَرَس بل هي الكتابة الغريزية الطبيعية (Instinctive) عند استعمال اليد اليسرى . لذا أقول في ترجمة اللفظة الأولى الكتابة بالمرآة والكتابة المستشفة [٣] .

٤٦٨١ طَبَقَةُ المُضْغَةِ الظّاهِرة — 4681 Ectoderme , ectoblaste

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالأدَمة البرانية . وتكون الثانية

(١) جاء في اللسان : والرّبَذة واحدة الرّبذ وهي عهون تعلق في أعناق الإبل ، والرَّبَذة الخرقة يُهْنَأ بها والرَّبَذة خرقة الحائض وخرقة الصائغ التي يجلو بها الحلي . وأما القَطيلة ، فقد جاء في اللسان : والقَطيلة قطعة كساء أو ثوب ينشف بها الماء ، ولا أراها تفي بالمعنى المطلوب .

(٢) ينظر في لفظة (Miroir) في المعجم المذكور .

(٣) في اللسان : الشّف والشِّف الثوب الرقيق وقيل الستر الرقيق يُري ما وراءه وجمعها شُفوف ، وشَفّ الستر يشِفّ شفوفاً وشفيفاً واستشف ما ظاهر وراءه واستشفّه هو رأى ما وراءه .

الأرومة الظاهرة أو البرانيـــة أو البلاستولة الظاهرة كما أقره المجمع (١) (وقد أهملتها اللجنة) .

٤٦٨٤ طبقة الهيولى البرانية 4684 Ectoplasme

وأقر مجمع اللغة الجِبِلّة الخارجية ، وجاءت في مصطلحات علم الرمد البلازما الخارجية .

٤٦٨٥ شَتَر خارجي 4685 Ectopion

وأقر مجمع اللغة الشَّتَر الخارج (انقلاب الجفن) (٢) .

٤٦٨٨ نَمْلة (اكزما) 4688 Eczéma

وأرجح تعريب اللفظة بأكزيما (٣) .

٤٦٨٩ نَمْلة حُماموية 4689 Éczéma érythrodermique

وأفضل اكزيما إحمرارية أو حمراء لتخصيص لفظة حُمامى ترجمـــة لـ (Erythème) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٥١٧٦) .

٤٦٩٥ تنَمَّل ، اتخاذ شكل النَّملة 4695 Eczématisation

وأرجح التعريب بتأكزم ، لالتباس لفظة تنمـــل (٤) بالتَمَل (Forumillement) .

٤٧٠١ إنّحاء العُنُق (قبالة) 4701 Effacement du col (obs.)

وأقر مجمع اللغة انمحاء العنق وجاء في التعريف : اتساع العنق تدريجياً

---

(١) الصفحة ٤٧٣ من هذا العدد .

(٢) في اللسان : الشَّتَر انقلابٌ في جفن العين قلما يكون خلقة والشَّتَر مخففة فعلك بها .

(٣) في اللسان : والنَّملة شيء في الجسد كالقَرْح وجمعها نَمْل ، وقيل النَّمل والنَّملة قروح في الجنب غيره . اقول لا أراها تدل على معنى اللفظة .

(٤) في اللسان : وتنمّل القومُ تحركوا ودخل بعضهم في بعض .

بحيث يصبح جزءاً من الشُدفة السفلى . وإمحاء العُنُق أفضـــل [١] .

٤٧٠٢ مُنْجِز ، مُتَمِّم 4702 Effecteur

وأرجح مُحَقِّق ومُنْجز تاركاً لفظة متمم ترجمة لـ (Complément) كما فعلته اللجنة (اللفظة ٢٩٤٧) .

٤٧٠٣ تأنُّث ، تخنث 4703 Effémination

والصحيح تأنيث أو تخنيث بالتعدية ، وتأنث أو تخنث هي ترجمـــة (Féminisation) كما فعلته اللجنة (اللفظة ٥٥٨٩) .

٤٧٠٩ حادِثَة كُنْبْتُن ، كُهَيْرُبَة التَّقَهْقُر 4709 Effet Compton , électron de recul

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Electron) بالكترون وقد شاعت .

٤٧١٤ فِعْل وَقاء 4714 Effet tampon

وأرجح تأثير راصد [٢] .

٤٧١٦ مُذَلَّق 4716 Effilé — ée

وأفضل ترجمة اللفظة بمُسْتَدَق [٣] وحاد ، وعلى ذلك فقد جاء شرح اللفظة في لاروس القرن العشرين (Mince long et étroit) أي رقيق طويل وضيِّق وكذلك جاءت ترجمة اللفظة بالانكليزية في المعجم الأصلي [٤] أما المُذَلَّق فهو الحاد [٥] وقد تكون هذه اللفظة أحد معاني الـكلمة .

---

(١) في اللسان : محا الشيءَ يمحوه ويمحاه محواً ومحياً أذهب أثره . وامَّحى الشيءُ يمَّحي امِّحاء انفعل وكذلك امتحى إذا ذهب أثره ، وكره بعضهم امتحى والأجود امحى والأصل فيه انمحى .

(٢) الصفحة ٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان ومُسْتَدَقّ كل شيء ما دق منه واسترق .

(٤) (Tapening) .

(٥) في اللسان : الذَّلق حِدَّة الشيء وحد كل شيء ذلقه ، وذَلَّق كل شيء حده ويقال شيأ مُذَلَّق أي حاد .

٤٧١٧ ذَلَّق 4717 Effiler

لم ترد في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي ولا الترجمة الألمانيـة (١) ما يشير إلى هذا المعنى الذي ذهبت اليه اللجنة في ترجمة اللفظة ، كما ان معجم لاروس القرن العشرين (٢) لم يذكر في شرح لفظة (Effiler) ما يدل على الذَلْق . وعلى ذلك فإن معنى اللفظة هو النَدْف (٣) أو نتف الألياف أو اتلاف النسيج .

٤٧١٨ ذَلَّقَ (انبوباً زجاجياً) 4718 Effiler (un tube de verre)

والصحيح دَقَّقَ انبوب الزجاج (٤) ، إذ المقصود باللفظة جعل انبوب الزجاج الغليظ دقيقاً من أحد طرفيه ، وذلّق تدل على جعله حاداً الأمر الذي لا يمكن أن يكون في أنبوب الزجاج (٥) .

٤٧١٩ لَمْسٌ ، مسيسٌ 4719 Effleurage

وأرجح دَلْكٌ (٦) خفيف كما جاء في الترجمة الانكليزية (٧) المعجم

---

(١) في الانكليزية to tease out و Auszupfen و Ausfasern في الألمانية وكلها يدل على تبديد النسيج أو تنسيل ألياله أو ازالة ما بدا من تشعيث في الشعر وما اليه .

(٢) جاء في شرح اللفـظ : défaire, détisser fil à fil : éffiler une toile أي تبديد وتفكيك النسيج خيطاً بعد خيط : تبديد الشاش أو (التوال) .

(٣) في اللسان : النَّدف طرق القطن بالمِنْدَف . والنتف نزع الشعر وما أشبهه .

(٤) في اللسان : دَقَّقْت الشيء وادقَقْتُه جعلته دقيقاً . والدَّقيق الذي لا غلظ له خلاف الغليظ .

(٥) لقد جاء في الترجمة الانكليزية للفظة في المعجم الأصلي (to taper , to draw out glass tubes) ومعناه تدقيق انبوب زجاج وسحبه وكذلك في الترجمة الألمانية (Ausziehen) .

(٦) في اللسان : دَلَكْتُ الشيءَ بيدي أدلكه دلكاً قال ابن سيده دلَكَ الشيءَ يدلُكه دلكا مرسه وعركه .

(٧) وهي : effleurage, stoking, light massage

الأصلي وفي لاروس القرن العشرين نفسه تاركاً لفظة لمس ومس ترجمة لـ (Toucher) كما فعلته اللجنة (اللفظة ١٣٥٠٠) .

4728 Egoutter (les légumes) استنضاب (الخِضار) ٤٧٢٨

وأرجح تَشْف[1] ماء الخُضَر أو الخُضْراوات[2] لا الخِضار .

4729 Eidétisme قراءة الصُوَر بالبصيرة ٤٧٢٩

وأفضل التَخَيُّل الفكري ، أذ لا صلة لهذه القراءة بالصور الشعاعية كما قد يفهم من الترجمة .

4732 Elaboration إنضاج ، إحكام ٤٧٣٢

وأرجح استِصْناع[3] ، إذ يقصد باللفظة مجموع الأعمال التي يقوم البدن بها لتحويل المواد الغذائية الداخلة في أنبوب الهضم إلى نسج ومواد أخرى كالدم والصفراء واللعاب وغيره .

4733 Elaboré, ée ناضِجٌ ، مُحْكَم ، مُنتَظِم ٤٧٣٣

وأرجح مصنوع .

4734 Elaïoconiose, bouton d'huile داء التخرش الزيتي الغُباري بَثْر الزيت ٤٧٣٤

وأرجح داء الاغبرار الزيتي وحبة الزيت[4] او عُد الزيت[5] .

4735 Elancé, ée أهْيَف ٤٧٣٥

والصحيح مَمْشوق . لأن ما يعنى باللفظة الفرنسية هو الطويل مع النحافة .

---

(١) في اللسان : تَشِف الماء يبس وتَشِفت الأرض تَشْفاً والاسم التَشَف .

(٢) معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

(٣) في اللسان : واستَصْنَع الشيء دعا إلى صنعه .

(٤) سبق للجنة ان ترجمت لفظة Bouton بحبة (اللفظة ١٨٤٤) .

(٥) ترجمة اللفظة الإنكليزية Oil acne في المعجم الأصلي .

ولا أرى لفظة أهيف تفي بالمعنى [1] .

٤٧٣٨ كَهْرَطيس (مغناطيس كهرباوي) Electro - aimant 4738

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Electromagnetism) بالمغنطيسية الكهربائية .
وجاء في التعريف : العلم الذي يبحث فيه عن العلاقة بين المغنطيسية والكهربية بوجه عام وعن حدوث المغنطيسية بفعل التيارات الكهربية على الوجه الخاص .

٤٧٤٢ خَثْرَبة (تخثير كهرباوي) Electrocoagulation , 4742
تخثير بالحرارة النافذة diathermocoagulatoin

والأفضل التخثير الكهربائي والتخثير بالحرارة النافذة .

٤٧٤٣ مَوْتٌ بالكهربا ، صَعْق Electrocution 4743

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالصعق الكهربي . وجاء في شرحها : الموت من أثر التيار الكهربي .

٤٧٤٤ مَنْفَذ كَهْرباويّ Electrode 4744

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بالكترود وجاء في تعريفها : وهو الموصل الذي عنده يدخل أو يخرج التيار الكهربي عند مروره في سائل أو غاز .

٤٧٤٦ مَنْفَذ كهرباوي لا يستَقْطب Électrode non polarisable 4746

وأرجح الكترود لا مُسْتَقطب

---

(١) في اللسان : والهَيَف بالتحريك رقة الخصر وضمور البطن هَيِفَ هَيَفاً وهاف هَيْفاً فهو أهيَف .
ورَجُلٌ مَشيقٌ وممشوق خفيف اللحم ، وفَرَسٌ مشيقٌ ومشوقٌ أي ضامر ، يقال فرس مشيقٌ ممشق ممشوق أي فيه طول وقلة لحم وجارية ممشوقة حسنة القوام قليلة اللحم . وجاء في معجم لاروس القرن العشرين في شرح اللفظة Grèle, mince : elancé et de haute taille أي نحيل ، دقيق وطويل القامة .

٤٧٤٧ مُتَحَلْكِب (متحلل بالكَهْربا) 4747 Electrolyte

وأقر مجمع اللغة : الما ينحلّ بالكهرباء (الما ينحل بالكهربية) وجاء في التعريف : هو ما يتحلل بواسطة التيار الكهربي .

٤٧٤٨ استشراد 4748 Electrophorèse

وأرجح تعريب اللفظة بكَهْفَرة قياساً على تعريب اللفظتين المماثلتين (Cataphorèse) بكَتَفْرة [١] و Anaphorèse بأنفرة [٢] ، وان اللجنة استعملت لفظة استشراد ترجمة لـ (Ionophorèse) (اللفظة ٧٥١٠) .

٤٧٥٣ عُنْصُرٌ تقطيعي 4753 Élément morphologique

جاء في المعجم الأصلي وحذاء الرقم المذكور (Élément figuré ou morphologique) لذا أرجح ترجمة اللفظة عُنْصر مصوّر أو عنصر مشكّل أي ذو شكل [٣] . ولا أرى لفظة تقطيعي تفي بالمعنى .

٤٧٥٦ فَيَل (داء الفيل) التهاب الجلد الجَسْئي 4756 Eléphantiasis, pachydermie

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بداء الفيل ، وأرجح في الثانية التهاب الجلد الضخامي أو الجسئي إذ سبق للجنة أن استعملت لفظة جُسْأة ترجمة لـ (Ankylose) (اللفظة ٧٨٤) [٤] .

٤٧٦٥ إطْراح ، إخراج ، إفراز 4765 Elimination , excrétion , sécrétion

وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة (Excrétion) بابراز وجاء في التعريف : إخراج الفضلات .

---

(١) الصفحة ٢٠٧ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٦٥٤ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) وجاء الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي : Elementary constituent , formative , morphological element

(٤) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

4777 Emasculation, castration, وَهْص ، خِصاء ، مَلْس ٤٧٧٧
Stérilisation d'un homme تعقيم رَجُل

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Stérilisation) بإعقام وعرّفها : تعطيل الإنسال .

4778 Emaux radioactifs , مَوانئ مُشِعّة ، اجهزة مسطّحة ٤٧٧٨
appareils plats aux من أملاح الراديوم
sels de radium

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بالصفائح المشعة وفاقاً لما جاء في الترجمه الانكليزية للمعجم الأصلي(١) ولأن لفظة موانئ جمع ميناء (Email) استبعد صلاحها .

4781 Embarrure كسر القحف المنخفض ٤٧٨١

وأقر مجمع اللغة إنخساف عظام الجمجمة .

4785 Embolie graisseuse سَدّة دَسَمية ٤٧٨٥

4786 Embolus , embolie سِداد صِمام ٤٧٨٦

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالسداد الشحمي والثانية بالسداد فقط . وقد جاء في التعريف : جلطة صغيرة دموية أو كتلة من البكتريا أو جسم غريب آخر تسد وعاء دموياً .

4792 Embryologie علم المُضْغَة ٤٧٩٢

4793 Embryon مُضْغَة ٤٧٩٣

وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة Embryon بالجنين . وجاء في التعريف : ثمرة الحمل في الرحم حتى نهاية الأسبوع الثامن وبعده يدعى بالحميـــل . لذا تصبح ترجمة اللفظة الأولى علم الأجنة .

(١) Flat applicator for radium

4794 Embryonnaire — مُضْغي ٤٧٩٤

جنيني كما أقرها مجمع اللغة .

4802 Emissaires, veines de Santorini — مَشابر أوردة سنتُوريني ٤٨٠٢

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Veines émissaires) بالأوردة المصدره .

4803 Émission des glaires — قذْف المُغاط ، تمغّط ٤٨٠٣

والصحيح قذف المُخاط [١] ولا أرى لفظة المُغاط[٢] والتمغط تفيان بالمعنى .

4806 Émménagogues — مُطْمِثات ٤٨٠٦

وأقر مجمع اللغة : مدرات الحيض ومدرات الطمث .

4813 Emotif, ive, affectif, ive — مُؤثِّر ، مُنبِّه العاطفة ٤٨١٣

وأفضل انفعالي وعاطفي .

4822 Emphysème cellulaire, sous-cutané — انتفاخ اللُحْمة ٤٨٢٢

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بأمفزيما .

4844 Empyème, pleurésie purulente — ذُبال ، ذات جَنْب قيحية ٤٨٤٤

وأرجح تعريب اللفظة الأولى بأمبيما ، وذات الجنب القيحية ولا أرى لفظة ذُبال تفي بالمعنى ، كما ان لها معاني أخرى[٣] .

---

(١) لقد جاءت الترجمة الانكليزية في المعجم الأصلي : Discharge of mucus

(٢) في اللسان : المَغْط من الشيء يستطيله وخص بعضهم به من الشيء اللين كالمصران ونحوه والتمغط في عَدْو الفرس ان يمد ضبعيه حتى لا يزيد منهيداً في جريه .

(٣) في اللسان : ذَبَل النبات والغصن والانسان يذبُل ذبلا وذُبُولاً دقّ بعد الريّ فهو ذابل اي ذَوى وكذلك ذَبُل . والذُّبالة الفتيلة التي تسرَج والجمع ذُبال . والذُّبال النفايات وكذلك الذُّبال بالذال والدال .

٤٨٤٨ يُستَحلَب — 4848 Emulsif , ive

٤٨٤٩ مُحَلِّبَة، مُستَحلِب — 4829 Emulsificateur, émulsifient

وأرجح في اللفظة الأولى مُستَحلَب ومُستَحلَبَة لأنها جاءت صفة بدليل إلحاقها بأداة التأنيث . أما اللفظة الثانية فأرجح ترجمة الأولى منهما بأداة أو آلة الاستحلاب والثانية بمُستَحلِب كما اقرته اللجنة ، ولا أرى لفظة محلبة على وزن مَفْعَلة تفي بالمعنى .

٤٨٦٧ رَسْم الدّماغ — 4897 Encéphalographie

وأرجح تخطيط الدماغ ، وهو الشائع قياساً على ما أقرته اللجنة بترجمتها لفظة (Electro - cardiographie) بتخطيط القلب الكهربائي (اللفظة ٤٧٤٠) .

٤٨٦٨ آفة دِماغ زرنيخية بنزولية — 4868 Encéphalopathie arsénobenzolique

ودرجت على ترجمة الكاسعة (Pathie) باعتلال . أقول الاعتلال الدماغي الأرسنوبنزولي باعتبار لفظة أرسنوبنزول اسم مركب خاص ، كما ان اللجنة سبق لها أن خصصت لفظة آفة ترجمة لِـ (Lésion) (اللفظة ٧٨٠٥) .

٤٨٧٠ مُندَمِج — 4870 Enchâtonné , ée

٤٨٧١ اندماج السُّخد — 4871 Enchâtonnement du placenta

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بمحتبس او محصور ، إذ سبق للجنة ان استعملت لفظة اندماج ترجمة لِـ (Inclusion) (اللفظة ٧١٦٧) ، أما اللفظة الثانية فأرجح ترجمتها باحتباس السُّخد ، وفاقاً لما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (١) .

(١) Retention of the placenta

٤٨٧٣ زُكام 4873 Enchifrénement

وأفضل ترجمة اللفظة بالزكام المزمن وفاقاً لما جاء في الترجمة الإنكليزية للمعجم الأصلي (١) .

٤٨٩٠ جِذْعة داخلية 4890 Endoblaste

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة Blast ببلاستولة كقوله أدمة البلاستولة ترجمة (Blastoderm) وقد عرف البلاستولة بأنه طور جنيني تنتظم فيه الخلايا في طبقة واحدة تحيط بتجويف . لذا أرجح ترجمة اللفظة بالبلاستولة الداخلية أو الباطنة ، وسبق للجنة ان استعملت لفظة جذع ترجمة لِـ (Tronc) (اللفظة ١٢٧٤٢) .

٤٨٩٢ مَشْغُوف 4892 Endocardiaque

والصحيح شَغافي ، فقد جاء في المعجم الأصلي حرف A بحذاء اللفظة للدلالة على أنها صفة ، كما أن الترجمتين الإنكليزية والألمانية للمعجم المذكور تؤكدان ذلك (٢) .

٤٨٩٤ ذات الشّغاف الحميدة المُهَيكلِة الثُؤلولية 4894 Endocardite bénigne plastique , verruqueuse

وأرجح التهاب الشغاف السليم التنبتي (٣) ، الثؤلولي .

٤٨٩٥ ذات الشّغاف البَطيئة الخمجية الخبيثة داء جاكود ـ أُسلر 4895 Endocardite lente , infectieuse maligne , maladie de Jaccoud - Osler

وأفضل التهاب الشغاف البطيء الانتاني (٤) الخبيث ، داء جاكود أوسلر .

---

(١) Chronic coryza, chronic nasal catarrh

(٢) في الانكليزية endocardial, endocardiac وفي الألمانية - Endokard .

(٣) في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (Vegetative endocarditis) .

(٤) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هـذه المجلة .

4898 Endocrânien , enne — ٤٨٩٨ داخِلُ القَحْف

وأقر مجمع اللغة داخل الجُمْجُمة .

4900 Endogène — ٤٩٠٠ نامٍ من الداخل ، تكوّن داخلاً

وأرجح داخلي المنشأ إذ لا يشترط أن يكون ثمة نمو .

4903 Endométriome , solénome — ٤٩٠٣ وَرَمُ بِطانة الرَّحِم ، التهاب بطانة قَرْنَي الرَّحِم

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بورم بطاني رحمي والصحيح في الثانية ورم بطانة قرني الرحم .

4905 Endométrite déciduale — ٤٩٠٥ التهاب بطانة الرَّحِم الساقِطي

وأقر مجمع اللغة التهاب السّاقِط . وجاء في التعريف وهو التهاب بطانة الرحم في الحمل .

4906 Endométrite déciduale catarrhale , hydrorrhée déciduale de l'utérus gravide — ٤٩٠٦ التهاب بطانة الرحم الساقطي النزلي ، سيلان الرحم الحامل الساقطي

وأرجح التهاب الساقط النزلي ، السيلان الساقطي في الحامل .

4912 Endosmose — ٤٩١٢ تحال ، تَنافُذ

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بتناضح .

4913 Endotoxine — ٤٩١٣ ذيفان داخِلي

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Toxine) بتُكسين فتصبح اللفظة تُكسين داخلي .

4917 Endurcissement de la peau — ٤٩١٧ تَصلب الجِلد

وأرجح قساوة الجلد تاركاً تصلب الجلد ترجمة لِـ (Sclerodermie) .

4918 Energie cinétique , énergie dynamique , d'action — ٤٩١٨ قُدْرَة نَفَضانيّة ، قُدْرة حَرَكيــة ، قُدْرة التأثير

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Energie) بطاقة (وهي الدارجـــة) و (Cinétique) بحركية وتعريب (Dynamique) بديناميكا وديناميكية في النسبة إلى اللفظة .

وجاء في تعريف اللفظة الأخيرة : يغلب اطلاق الاسم في الاصطلاح الحديث على علم القوى على الوجه الشامل سواء نشأت عنها الحركة أو اتزنت وترتب على ذلك سكون الأجسام ، وبهذا الاعتبار يقسم قسمين : (علم الحركة) Kinetics ويبحث فيه عن الحركة على الوجه الذي يراعى فيها القوى المحركة والثاني (الاستاتيكا) ويبحث فيه عن شرائط اتزان القوى وسكون الأجسام .

وعليه تصبح ترجمة اللفظة: طاقة حَرَكية ، طاقة ديناميكية وطاقة العَمَل (وأرجحها على الثانية ، لأن هذه اللفظة مستعملة ترجمة لِـ Induction)[١] ، ولا أرى حاجة لاستعمال التَنَفَضان ترجمة للفظة[٢] .

٤٩٢٤ طِفْل مُغَذّى بالرّضاعة Enfant elevé au biberon 4924

وأرجح رَضيع بالرضّاعة أو بالمصاص كما هو دارج في سورية .

٤٩٢٥ طِفْل مغذى بالرّضَاعة (بالثدي) Enfant élevé ou sein 4925

والأفضل رَضيع من الثدي . وقد أقر مجمع اللغة ترجمة (Allaitement au sein) بالإرضاع والرضاعة وجاء في التعريف إرضاع الرضيع من الثدي .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

---

(١) الصفحة ٦٥٢ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : نَفَضَ الشيء يَنْفُضُه نَفْضاً ونُغوضاً ونَغَضاناً وتَنَغَّض وأنْغَض تحرك واضطرَبَ وأنْغَضَه هو أي حرّكه كالمُتَعَجِب من الشيء . ويقال نَغَض فلان أيضاً رأسه يَتَعدّى ولا يتعدّى . والنَّغَضان نغض الرأس والأسنان في ارتجاف إذا رَجفَتْ نقول نَغَضت .

ومضات من التاريخ

وفترات دامية من بدء عصر الانهيار

.. في تاريخنا الكثير من القصص والحكايات ذات الدروس والعبر لو أخذ الناس يقايسونها على ما يجري في عصرنا هذا لما وجدوا أي فرق من حيث النتائج ، وانتهوا إلى أن الطبيعة البشرية هي هي عند انسان اليوم ، وان ما يتبدّل في الواقع هو المظهر لا أكثر ولا أقل .

ويتناول هذا البحث بعض خلفـــاء العصر العباسي ، وبعض مظاهر الحياة في ذلك العصر ، ولا سيما فترات الانهيار التي سادت فيهـــا الفوضى ودبّ الفساد بعد ان زال أو كاد ذلك المُلك الضخم الذي وطّد أركانه اولئك الهداة الأطهار والبناة الأخيـــار منذ صدر الإسلام حتى بداية العهد العباسي .

ثامن الخلفاء

ويعلم الذين درسوا تاريخ العرب في عصورهم المختلفة أن عوامل الانهيار قد بدأت منذ خلافة المعتصم محمد بن هارون الرشيد « ٢١٨ – ٢٢٧ هـ ، ٨٣٢ – ٨٤١ م » ثامن الخلفاء العباسيين – هـــذا الخليفة الذي لا يذكر المؤرخون من صفاته بالنسبة لإخوته سوى قواه العضلية حتى قالوا انه كان يحمل ألف رطل من الحديد ويمشي بها خطوات ، وانه إذا اعتمد باصبعه

السبابة والوسطى على ساعد انسان دقه ! وكان يلوي الحديد حتى يصير فلوقاً (١) ، أو يشدّ على الدينار باصبعه فيمحو كتابته !

وسواء أكانت هذه الصفات صحيحة أو مبالغاً فيها ، وقد تكون إلى التهويل أقرب ، فالشيء المتفق عليه انه كان أمياً قليل الذكاء ، وان قواه العضلية هي أبرز صفاته ! ..

بداية الانهيار

أقول ان انهيار الدولة العباسية قد بدأ منذ عهد المعتصم الذي جرّ على العرب كل البلاء .

فقد اعتمد على الجنود الأتراك فأقبل على شرائهم من مواليهم بالعشرات والمئات حتى اجتمع له منهم أربعة آلاف جندي ألبسهم أنواع الديباج والمناطق والحلي المذهبة وميّزهم على سائر جنود المملكة من أبناء العرب الخلّص !

وقد كان لهؤلاء الجنود الدخلاء الذين اصبحت السلطة بيدهم وبيد قادتهم الأثر السيء في نفوس الأهالي وفي نفوس الجنود المواطنين .

وبالرغم من الهمس الذي ساد أوساط الشعب وبعض وحدات الجيش فإن المعتصم لم يصغ لهمسات المعترضين ولا لصيحات الناقمين بل ازداد في رعايته لهم وعطفه عليهم بأن أقطعهم أماكن ومزارع خاصة بهم وظلّت الكلمة العليا لهم حتى نهاية خلافته . وحتى خلافة ولده « الواثق » الذي كانت له بعض صفات أبيه وأهمها الميل إلى مجالس اللهو والغناء ..

ولم تطل خلافة الواثق ولم تتميز بحادث جسيم سوى بظهور بعض الانتفاضات والثورات الداخلية التي أخمدت فوراً .

(١) الفلق : نصف الشيء .

نيرون العرب

وجاء بعده المتوكل الذي اتفق بعض المؤرخين على أن يطلقوا عليه لقب « نيرون العرب » ففي عهده بدأ انحلال الامبراطورية العربية وتسرّب الفساد في جسم الدولة « ٢٣٢ – ٢٤٧ هـ = ٨٤٨ – ٨٦١ م » .

وليس هذا فقط بل اتجه إلى هذه التصرفات التي تمسّ كرامة الخلافة وصولجان الملك – فقد اتجه اتجاهاً رجعياً في ادارة شؤون المملكة – كان من نتائجه أن أقصى رجالات الفكر عن مناصب الدولة وزجّ الأبرياء في السجون وعطّل الحلقات العلمية التي كانت تلقى فيها دروس العلم والفلسفة . واضطهد اليهود والنصارى ، ولم يكتف باقصائهم عن الوظائف الكبرى بل حرمهم جميع الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها في عهد أسلافه الخلفاء ! ..

كرهه لآل البيت

نعم ، لم يقف في تصرفاته الشاذة عند هذا الحد ، أي لم تكن كراهيته موجهة إلى الذميين وإلى المفكرين وأصحاب العقول الرجيحة بل بلغ من كراهيته لعلي بن أبي طالب وآل بيته انه أمر بهدم قبر الحسين في كربلاء .. وأمر بزرعه وسقيه ..

ان الثغرة التي فتحها المعتصم للأتراك وجاء المتوكل فوسع من نطاقها . ان هذه الثغرة قد جرّت عليه البلاء كما جرّت الوبال على خلافته ..

فقد استعمل الشدة في ادارة شؤون المملكة ، وكان من نتائجها أن طعنت حرية الفكر في الصميم .

ولم يشفع له ازدهار الحياة الاجتماعية في عهده ، فكانت في مظاهرها بريقاً زائفاً ، وقل مثل هذا عن انضمام بعض رجال العلم والأدب حوله

للحوار والمناظرة فقد شطرت هذه المجادلات العقيمة الناس شطرين دون أن تؤدي الفائدة المرجوة ..

كان ينثر الأموال بغير حساب

هذا ، وقد كان ينثر الأموال بغير حساب ! ..

فقد دخل عليه البحتري يوماً - وكان من شعرائه المقربين اليه وقد أخلص اليه وأفاد منه أموالاً طائلة - أقول دخل عليه وهو في مجلس شراب يمدحه بقصيدة مطلعها :

عن أي ثغر تبتسم وبأي طرف تحتكم

وكان في هـذا المجلس شاعر آخر اسمه أبو العنبس وقف يلقي قصيدة ثانية يعارض فيها البحتري ، وكانت من الهجاء المقذع .

وليس أكثر اثارةً لقرائح الشعراء المداحين من هذه المناسبات التي يتأكل الحسد فيها قلوب بعضهم بعضاً ..

ماذا كان مطلع قصيدة أبي العنبس ؟

لقد خاطب البحتري بقوله :

من أيِّ سَلْح تلتقم وبأي كفٍّ تلتطم

أدخلتَ رأسك في ... وعلمتُ انك منهزم

وقبل أن ينتهي من تلاوتها ترك البحتري المجلس لأنه لم يملك أعصابه لسماع هذا الهجو المقذع الذي أضحك المتوكل حتى استلقى على قفاه !

وقد روى أحد شهود هذه المعابثة بقوله :

جاءني البحتري فقال لي يا أبا خالد : أنت عشير وابن عم وصديق ، وقد رأيت ما جرى عليَّ ، أترى أن أخرج الى منبج بغير اذن ، فقد ضاع العلم وهلك الأدب ، فقلت : لا تفعلن من هذا شيئاً ، فالملوك تمزح بأكثر

من هذا ، ومضيت معه إلى الفتح بن خاقان فشكا اليه ذلك . فقال له نحواً من قولي ، وعوّضه ، فشكر لي ذلك .

وكان رصيد هذه المعابثة بين الشعراء ان خسر بيت المال أو خسرت موازنة الدولة بتعبير اليوم ، مبلغاً ضخماً ثمناً لهذه المفاكهة الباردة ! .

عشرة آلاف درهم للشاعر الهجاء أبي العنبس .

وعشرة آلاف درهم للبحتري ترضية له .

وعشرة آلاف درهم لرجل من البصرة .. يظهر ان دوره في هـــذه الجلسة كان دور المهرّج الذي يقوم بفصول « كشكشية » ..

وإذا كان الدينار عشرة دراهم كما قدره أحد المؤرخين فيكون المتوكل قد دفع في ساعة من ساعات لهوه وشرابه وعلى مفاكهة باردة ثلاثة آلاف دينار ذهبي ! .

وهذا مبلغ ضئيل بالنسبة للمبالغ الطائلة التي كان ينفقها على لهوه وشرابه !.

حكم دام خمسة عشرة سنة

كانت هذه المناسبات تتكرر كل يوم مدى حكمه الذي دام خمس عشرة سنة وكانت الامبراطورية العربية في طريقها إلى الانهيار والاضمحلال سواء مما بدا منه أو من كان على طرازه !

ويصف المؤرخون المتوكل بأنه كان أنيق الملبس ، يعنى بهنـــدامه وزينته كل العناية .

وكان يلبس في الربيع ، وحين تفتّح الورد ، الثياب الحمر ، ويأمر بالفرش الأحمر ولا يرى الورد الا في مجلسه .

وكان يقول :

« أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياض ، وكل منا أولى بصاحبه ..

بعض مظاهر التخنث

وقبل أن يتولى الخلافة كان يرسل شعره على قفاه في زمن أخيه الواثق الذي كان يرى في ذلك لوناً من التخنث ، فأمر وزيره ابن الزيات ، وكان وزيراً حازماً صلد القلب ، مهيب الجانب ، تخافه الرعية ـ أمره ان يجزّ شعر المتوكل وان يعيد له مظاهر الرجولة .

فلم يتردد الوزير ، فجزّ شعر قفاه . وضربه في وجهه ! .

وقد أثرت هذه العملية في نفسه فتلقى الإهانة بصبر ، وسكت على مضض !

ولما أصبح خليفة أحبّ أن ينتقم من الوزير . فأي لون من الانتقام فكر فيه؟

هل يقيله من منصبه ؟

هل يصادر أمواله ؟

هل يأمر بنفيه ؟

لا . . فمن وسائل التعذيب المعروفة في عهده زجّ المغضوب عليه في تنّور من الحديد ، رؤوس مساميره إلى داخل قائمة مثل رؤوس المسالّ .

فإذا غضب على فرد من أفراد الرعية أدخل فيه وحبس عنه الطعام حتى يقضى عليه !

وهذا التنّور من اختراع وصنع الوزير ابن الزيات الذي أمر بصنعه للذين كان يغضب عليهم من الرعية .

اذن من أولى بهذا القصر الجهنمي من الوزير الذي جزّ شعر قفاه وضربه في وجهه ؟ ..

الوزير في التنور

ففي ساعة من ساعات غضب المتوكل وحقده . وبايحاء من خصوم ابن الزيات صدرت أوامر الخليفة ـ المتوكل على الله أو على الشيطان لا أدري ـ صدرت أوامره بزجّ الوزير في ذلك التنور الجهنمي الذي اخترعته مخيلته ليعذب فيه الأبرياء ..

من القصر الفخم إلى التنور المظلم ..

وحين ضمه هـذا القفص الحديدي الخانق احسّ بنهايته ودنو أجله ..

لقد ذهب نفوذه وجبروته وسطوته نتيجة هفوة لا يد له فيها !

وقبل أن تحين منيته طلب دواة وبطاقة ليطلب فيها كلمة استرحام . ولبّى طلبه .

فماذا كتب ؟

فكر طويلاً ثم كتب البيتين الآتيين :

هي السبيل فمن يوم إلى يوم   كأنه ما تريك العين في النوم
لا تجزعن رويداً انها دول   دنيا تنقّل من قوم إلى قوم

ولكن هذه العظة التي أراد أن تصل إلى أذن الخليفة وان تمسّ شغاف قلبه فيتعظ ، ويذكر القبر الذي ينتظر كل جبّـــار عنيد ، لم تصل إلى « نيرون العرب » إلاّ بعد أن قضى الوزير نحبه !

من جنود مرتزقة إلى حكام متسلطين !

وقد لعب القواد الأتراك ، خلال هذه الفترات ، أو في عهدي المعتصم والمتوكل ـ لعبوا أدواراً خطيرة ..

فبعد أن كانوا « جنوداً مستأجرين » استخدمهم لدعم نفوذه أصبحوا الكل في الكل .

ولما تولى المتوكل الخلافة قوي نفوذهم طمعاً منهم في مناصرتهم له على « الشيعة العلوية » فما عتموا ان قويت شوكتهم وبسطوا سلطانهم على الخلافة نفسها ، يرفعون مَنْ شايعهم ويعزلون أو يقتلون من ثار على طغيانهم .

وقد اطمأن المتوكل إلى اخلاص مواليه من الفرس والترك فانصرف إلى أهوائه وملذاته ، يشرب ويطرب ، يلهو ويلعب ، ويقضي الليالي الحمراء مع خلاّنه وخليلاته ..

ولم يكن في هذا الاطمئنان بعيد النظر . فقد ظن ان سطوته المستمدة قوتها من القواد الأعاجم . وتصرفه بأموال الدولة ينفق منها على المحاسيب والأنصار بسخاء ، ظن ذلك كفيلاً بدوام سيطرته .

وان هذا الملك العريض الذي آل اليه سيظل في حوزته ما دام قواده الأتراك يعملون تنكيلاً بـ« الشيعة العلوية » ، خصومه الألداء ..!

وبلغ به الغرور والخيلاء ان فكّر في ساعة من ساعات صفوه ولهوه ان يقسّم الدنيا التي آلت اليه بين أولاده الثلاثة .

فما هي لحظات حتى جمع وزيره الفتح بن خاقان وبعض أصحابه وخلاّنه ومَنْ بيدهم أمور المملكة وقسّم الدنيا التي تحت حوزته كما يلي :

تقسيم الامبراطورية

١ ـ أعطى ابنه الأكبر محمداً المنتصر رقعة واسعة من عريش مصر إلى افريقيا ـ المغرب كله ـ حيث سلطانه ..

وأضاف اليه جند قنسرين والعواصم والثغور الشامية والجزيرة وديار بكر وربيعة والموصل والفرات وهيت وعانه والخابور ودجلة والحرمين واليمن

واليمامة وحضرموت والبحرين والسند وكرمان وكور والأهواز وماينداان ومهرجان وشهرزور وقُمْ وقاشان وقزوين والجبال ..

٢ ـ وأعطى ابنه المعتز بالله خراسان وطبرستان وماوراء النهر والشرق كله..

٣ ـ وأعطى ابنـــه المؤيد بالله ابراهيم أرمينية وأذربيجان وجند دمشق والأردن وفلسطين ..

هكذا ، قسّم الامبراطورية الكبرى التي جاءته بعد أن قام أولئك الفاتحون البررة بفتحها بقوة ايمانهم ـ هـــذه الامبراطورية العظيمة المترامية الأطراف التي تناثرت وتفككت بعد أن آلت إلى اناس لم يحسنوا صناعة الملك فأصبحت مناطق نفوذ لأمراء مختلفي المذاهب والميـــول ومختلفي العقائد والعصبيات .

في ثورة من الزهو والكبرياء

كان المتوكل ، بعد أن قسّم دنياه العريضة على أولاده ـ في ثورةٍ طاغية من الزهو والكبرياء .. ـ أي كان في غفلةٍ عن أحداث الدنيا وتقلّباتها ، وفاته ان الدنيا كما وصفها الحكماء ـ لا يدوم نعيمها ، ولا يؤمن غدرها ونكباتها ، ولا يتمّ فيها سرور ، ولا يؤمن فيها محذور ، قد قرنت السرّاء بالضراء ، والشدة بالرخاء ، والنعيم بالبـــلوى . فمع نعيمها البؤس ، ومع سرورها الحزن ، ومع صحتها السقم ، ومع حياتها الموت ! ..

ان المتوكل لم يكن من الغفلة بحيث لا يدرك هذه الأشياء ، ولكن أهواءه طغتْ على تفكيره ، فما كاد يصحو من سكرته الطويلة حتى رأى نفسه أمام الكارثة وجهاً لوجه ..

أية كارثة ؟

مؤامرة تحاك له في الخفاء لازاحته عن صولجان الملك والقضاء عليه .

ومَنْ هم المتآمرون ؟

القواد الأتراك الذين اعتمد عليهم في بسط سيطرته ودعم نفوذه !

لقد شعر في أيامه الأخيرة ان أوامره لم تعد نافذة كما كانت سابقاً .. أي أخذ يشعر ، وبعد فوات الأوان ، ان سطوة الخليفة أخـــذت في التقلّص والانكماش ..

أصبح جوّ بغداد في نظره موبوءاً ..

ولم يعد يطيب له فيه المقام ..

لقد تفرق أولئك الذين كانوا عدته وأصفياءه وقبعوا في بيوتهم بعد أن أصبحت السلطة المطلقة بيـد الحثالات من الأعجام يفرضون طغيانهم ويسيطرون على خلص العرب من السادة والأشراف .

أصبحت إشراقة بغداد ظلمة اصطبغت بالنجيع الأحمر ..

كيف الخلاص من هذا الجوّ الموبوء ؟

لقد قرر الهجرة ..

من بغداد إلى دمشق

قرّر أن يهجر بغداد إلى دمشق ، وأن يعيش في جوّ عربي خالص .

وبالفعل فقد شدّ الرحال إلى دمشق ..

وفي عاصمة الأمويين تنفّس الصعداء ، وكأنه قد لقي ذاته ..

وقد أشار شاعره البحتري إلى هذا بقوله :

قد رحلنا عن العراق وعن قطبهـــا النكد
حبذا العيش في دمشق إذا ليلهـــا برد

حيث يستقبل الزمان ويستحسن البـــلد
سفر جددت لنـا اللهـــــوَ أيامه الجـــدد

جاء دمشق ليحيي لياليه الساحرة في بغداد .. ولكن مواليه الأتراك كانوا له بالمرصاد ، فلم يتركوه ينعم في هذا الجو الجديد ويقضي أياماً هنيئة في جزء من أجزاء مملكته بل لحقوا به إلى دمشق وأخذوا يضايقونه .

فتركها ونزل في قصر المأمون بعيداً عن دمشق ، وهو قصر فخم يقع بين داريا ودمشق ..

لقد ابتعد زيادة في الحيطة والحذر ..

ولكن نبأ قدومه دمشق لم يكد ينتشر حتى انهالت عليه الطلبات من مختلف الأفراد والهيئات .. وكل فرد يريد قضاء مصالحه وحاجاته ..

وكان كعادته يبذل بسخاء ولا يرد طلب أحد ..

ثورة الجنود

وكان من الممكن ان يوطـّد مركزه في دمشق ولكن مواليه الأتراك قد أثاروا الجنود وحرضوهم على الثورة ..

لقد أمسكوا عنهم رواتبهم وجعلوا الخليفة هو المسؤول عن ذلك ..

وثار الجنود يطلبون رواتبهم المتأخرة .

ولم تكن ثورة لغطٍ وكلام بل ثورة دامية لعب فيها السلاح والرمي بالنشاب فكانت السهام ترتفع في الرواق مستهدفين الخليفة بالذات ممـــا أثاره وأقلقه وأقضّ مضجعه ..

وسرعان ما أصدر أمره بتوزيع الرواتب على الجنود .

وما هي إلا ليلة ظلماء تأكلته فيها الهواجس حتى قرر العودة إلى العراق .

وكانت المؤامرة قد نسجت خيوطها لقتل المتوكل وهو في دمشق . ولكنه استطاع بفطنته وفطنة وزرائه أن يسلم بنفسه وان يعود إلى العراق ..

وقد قصد المتآمرون أن يتخلصوا من المتوكل وأن يستلموا هم زمام السلطة .

وكانت مؤامرتهم في ظاهرها الدفاع عن العلويين ، وفي باطنها التخلص من الخليفة واستصفاء السلطة للعنصر التركي .

خصومة بين الأب والابن

وإذ عرف المتوكل ببغضه للعلويين فقد جعلوا من ابنه خصماً له .

... والواقع ان ابنه المنتصر كان يخالف أباه في هذا الاتجاه ..

وتروى قصص مثيرة بين الأب والابن حول حب علي وكراهيته ، ولا نريد أن نتوسّع في هذا الموضوع وهو ذو ذيول طويلة ومريعة في آن واحد .

وهكذا ، فقد حيكت هذه المؤامرة من خيوط هذا الخلاف وان كان الاتجاه في حقيقة القضاء على الأب والابن معاً !

المتوكل في أيامه الأخيرة

عاش المتوكل أيامه الأخيرة في جوّ موبوء من الدسائس والتزلف والرياء ، وقد اعتلّت صحته من كثرة السهر والادمان على الشراب ، وكان المحيطون به يفاجئونه كل يوم ، بل كل ساعة ، بخبر لا يدخل السرور إلى نفسه ..

كان كمن سبقه من الخلفاء يصلّي الجمعة بالناس ، ولكنه امتنع في الأيام الأخيرة عن الصلاة بالناس .

وأقبل عيد الفطر ، وكان يريد في هذا الجو المحموم ، أن يقبع في قصره .. ولكن جاءه وزيره ابن خاقان يقول له :

يا سيدي لقد تطلّع الناس إلى رؤية أمير المؤمنين في يوم الجمعة فاجتمعوا واحتشدوا فلم يركب أمير المؤمنين .

ولا نأمن ان هو لم يركب أن يرجف الناس بعلّته ، ويتكلموا في أمره ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يسرّ الأوليـــاء ويكبت الأعداء بركوبه فعل ..

صلاة وتوبة

وكان لمشورة وزيره أثرها في نفسه فأمر رجال القصر بالتأهب والتهيؤ للصلاة.

وضرب له المصاف نحو أربعة أميال .

وترجّل الناس بين يديه .

فصلّى ورجع الى قصره .

ولم يكد يدخل عتبة القصر حتى أخذ حفنة من التراب ووضعها على رأسه .

وسُئل عن ذلك . .

فقال : إني رأيت كثرة هذا الجمـــع . . ورأيتهم تحت يدي . . فأحببت أن أتواضع لله عزّ وجلّ . .

وقبع في قصره خلال أيام عيد الفطر الثلاثة دون أن يدعو اليه ندماءه . لا لعزوف نفسه عن اللهو والعبث بل كان يشكو العلل والأمراض فكانت توبته توبة العاجزين !

وقد اشتهى لحم الجزور فسمح له به أطباؤه . وأمر بمدّ الأسمطة ودعا اليه الندماء والأصدقاء وشعر في ذلك اليوم بسرور لم يعرفه من أيام ملكه !

هدية زوجته قبيحه

يقول ابن الحفصي : لم يكن أمير المؤمنين في يوم من الأيام أسرّ منه في ذلك اليوم .

لقد أخذ مجلسه ودعا بالندماء والمغنين فحضروا ، وأهدت اليه « قبيحة » مطرف خز" أخضر لم ير الناس مثله حسناً . .

وقبيحة هذه فتاة رومية ، كانت فائقة الجمال ، وهذا من أسماء الأضداد .

تزوجها المتوكل وأنجبت له المعتز" الذي أصبح خليفة .

ونظر المتوكل الى هديتها الجميلة وأطال النظر .. فاستحسنه ، وكثر تعجبه به . وأمر به فقطع نصفين ثم أمر برد"ه عليها . .

وقال للرسول : أشكرها على صنيعها وعلى هديتها ، وعلى ذكراها لي .. ثم التفت الى ندمائه يقول :

إن نفسي لتحدثني اني لا ألبسه ، وما أحب أن يلبسه أحد بعدي ، وانما أمرت بشقه لئلا يلبسه أحد بعدي ..

نهاية رهيبة

كان المتوكل يشعر من الأعماق أن أيامه الأخيرة قد دنت . وأنه قد اقترب أجله نتيجة هـــذه المؤامرات التي يحوكها له قواده الذين اعتمد عليهم في السيطرة !

قال له الندماء : ياأمير المؤمنين هذا يوم سرور ونعيذك بالله أن تقول هذا..

وسكت على مضض .. وبدأ يشرب على غير وعي منه .. وما كاد يفرغ الكأس الرابع أو الخامس حتى انهمرت الدموع من عينيه وقال : أنا والله مفارقكم عن قليل ..

وطمأنه الندماء وُخلّص أصحابه ..

وعاد إلى الشرب . واستمر في لهوه ومروره إلى أخريات الليل ..

ولكن هذا السرور كان مشوباً بمخاوف .

كان يشعر في قرارة نفسه أن المتآمرين يدبرون خطة جهنمية للتخلص منه والقضاء عليه ، ولا سيا بعد أن سيطر الأتراك على الموقف سيطرة تامة ..

وفي ليلة من ليالي شوال ، وفي اليوم الرابع بالضبط ، وبعد أن أعدوا كل خيوط المؤامرة دخلوا عليه بالسيوف ، فلم يكد الحراس يشعرون بدخولهم القصر من باب الشط حتى صاحوا بهم ما هذا أيها السفلاء . .

ولكن السيوف كانت تلتمع في دجنة الليل . . واذا هم وجهاً لوجه مع القواد الأتراك ، مع بغلون التركي وباغر وموسى بن بغا وهارون بن صواريكن وبغا الشرابي . .

وأفاق المتوكل مذعوراً على دوي هذه الجلبة وسأل قائده : ما هذا؟

قال : هؤلاء الحرس الذين يبيتون على باب سيدي أمير المؤمنين ..

وتراجع المتآمرون خطوات .. وقرروا الفرار ..

ولكن بغا التركي صاح بهم محرضاً وقال :

أيها الأنذال انكم مقتولون ان لم تقتلوا المتوكل ، وعليكم أن تقدموا وأن تموتوا كراماً .

وعادوا الى باحة القصر . .

ونزل المتوكل يواجه الموت بايمان قوي . .

وبالرغم من وقوفه في وجههم موقف الصنديد الشجاع دفاعاً عن نفسه ، ووقوف وزيره الفتح بن خاقان أمامه ليحميه ، فقد انهالوا على الوزير فبجّوا بطنه ـ أي طعنوه بالرمح ـ ثم انهالوا على المتوكل فقطعوه إرباً إرباً ..

وهكذا ، فقد لقي حتفه ومات أبشع ميتة نتيجة اعتماده على رجال من غير بني قومه ، على القواد الأتراك الذين سوّلوا لابنه بريق الملك ولذة الحكم فاندفع وراءهم دون أن يحسب لجسيمات الأمور أي حساب فنفذت المؤامرة وكانت نهاية رهيبة واجهها المتوكل بعد أن تربع على صولجان الحكم خمس عشرة سنة كاملة . .

رثاء شاعره البحتري

وقد كان البحتري من شهود هذه المأساة ، وقد أشار في رثائه للخليفة المتوكل الى أكثر ظواهرها فمن قوله :

ولم أنسَ وحشَ القصر ، إذ ريعَ سربُه ... وإذ ذُعِرَتْ أطلاؤه وجآذِرُه
وإذ صيح فيه بالرحيل ، فهُتِكَتْ ... على عَجَلٍ أستارُه وستائره
ووَحشَتَهُ ، حتى كأن لم يقم به ... أنيسٌ ، ولم تحسُنْ لعينٍ مناظره
كأن لم تبِتْ فيه الخلافة طلقةً ... بشاشَتُها ، والملك يُشرق زاهره
ولم تجمَعِ الدنيا اليه بهاءَهــا ... وبهجتها ، والعيشُ غَضٌ مكاسره

الى أن يقول :

حلومٌ أضلّتها الأماني ، ومُدّةٌ ... تناهتْ ، وحتفٌ أوشكته مقادره
ومغتصبٍ للقتل لم يُخش رَهطُهُ ... ولم تحتشم أسبابه وأواصـــره
صريع تقاضاه السيوف حُشاشةً ... يجود بها ، والموت حمر أظافره
أدافع عنه باليدين ، ولم يكن ... ليثني الأعادي أعزل الليل حاسِرُه
ولو كان سيفي ساعة الفتك في يدي ... درى الفاتك العجلان كيف أساوره
حرامٌ عليّ الراح بعدك ، أو أرى ... دماً بدم يجري على الأرض مائره

ثم يشير الى تغرير قواد الأتراك بابن المتوكل بقوله :

وهل أرتجي أن يطلُبَ الدم واترٌ ... يدَ الدهر ، والموتور بالدم واتره
أكان وليُّ العهد أضمر غدرةً ... فمن عجب أن وُلّيَ العهدَ غادره

وفي مثل هذه الأحداث التي تتكرر كل يوم عظة وأي عظة !!

سامي الكيالي

شعر دعبل

في نظر القدامى والمحدثين

هذه مجموعة لأهم الأحكام التي وصلت إلينا على شعر شاعر آل البيت دعبل بن علي الخزاعي ، مرتبة ترتيباً تاريخياً يبين نموّها ويصوّر من خلالها ذوق النقاد والأدباء على اختلاف العصور ، منذ عصر الشاعر حتى اليوم .

ولهذه الأحكام قيمتها الفنية الذاتية ، فقد أبدى القديمَ منها قوم كان شعر الشاعر كله في أيديهم ، فأحكامهم عامة تستغرق ما وعوا من شعر الشاعر وتصور تأثرهم به . فمن النافع حقاً - وقد ضاع اليوم شعر الشاعر فلم يتبق منه في أيدينا إلا قصائد قليلة ومقطعات وأبيات ممزقة [1] - أن نواجع هذه الأحكام ونقرأ ما تبقى من الشعر في ضوئها ، لتكتمل لنا صورة هذا الشعر وتجتمع لنا نواحيه كلها .

ومن النافع أيضاً أن نقرن أحكامنا الحديثة فيه بالأحكام القديمة حتى يبين ما قلناه عن معرفة وذوق وتتبع ، وما قلنـــاه عن تقليد وترديد وتعميم مفرط .

وأحسب أنه يحسن أن نصنع مثل هذا السرد التاريخي للأحكام الفنية التي وصلت إلينا في شعر كل شاعر من شعرائنا ، ليكون لنا من ذلك ما يقرب أن نسميه - حين نجمع بعضه إلى بعض - خرائط نقدية عامة نفيد منها في دراساتنا وموازناتنا ، ونستخلص منها ، في أيسر كلفة ،

---

(١) جمعنا هذا الشعر وصنعناه صنعة منهجية فانظره في مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق لسنة ١٩٦٤ .

آراءنا في النقد والنقاد والشعر والشعراء ، وفي العصور الأدبية وأذواقها وتفسيرها للأدب والحياة .

على أن هذا كله يرتبط ، دون شك ، بحركتنا الناشطة في نشر تراثنا المخطوط ورعايته والسهر عليه ، والتخطيط لعملنا فيه تخطيطاً عاماً علمياً متكاملاً يستمد حوافزه من إدراكنا العميق لقيمة هذا التراث الإنساني الرفيع في فهم حياتنا العامة ، وحياتنا الوجدانية بصورة خاصة ، فضلاً عن قيم الجمال الفني المبثوث فيه إحساساً وتعبيراً .

— م —

أحكام القدامى

١ — « لم أقل فيه [يعني : أبا سعد المخزومي] إلا أبياتاً سخيفة يلعب بها الصبيان والإماء » .

دعبل
الأغاني ٢٠ / ١٣٣

٢ — « فيها أخبار وغريب » .
دعبل (عن قصيدته اليائية الكبيرة : أفيقي من ملامك يا ظمينا ...)
الأغاني ٢٠/١٢٤

٣ — « وسئل [دعبل] وأنا حاضر عن أجود شعره فقال : القديمة » .
ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)
الشعر والشعراء ٢/٨٢٧

٤ — « إن أجبتَه [يعني : أبا سعد المخزومي] بجواب مثله انتصفتَ ، وإلا فإن هذا اللغو الذي فخرتَ به يسقط وتفضح آخر الدهر » .
محمد بن علي الطالبي (معاصر لدعبل) من كلامه لدعبل
الأغاني (١٣٣)

٥ – « أحسنت ملء فيك وأسماعنا » .

أبو نواس (ت ١٩٨ هـ) حين أنشده دعبل :
أين الشباب وأية سلكا
تاريخ بغداد ٣٨٥/٨

٦ – « وأي شيء ينفعني ؟ إني أجوّد الشعر فلا يروى ، ويرذل [دعبل] فيروى . ويفضحني برديئه ، ولا أفضحه بجيّدي » .

٧ – « . . . فما أجتاز بموضع إلا سمعته [رديء دعبل] من سفلة يهذّون به هذّا . فمنهم من يعرفني فيعبث بي ، ومنهم [من] لا يعرفني فأسمعه منه لسهولته على لسانه » .

أبو سعد المخزومي (ت حوالي ٢٣٠ هـ)
الأغاني ١٢٢/٢٠ – ٤

٨ – « سألت مولاي أبا تمام عن نسب دعبل فقال : هو دعبل ابن : ضحك المشيب برأسه فبكى » .

الفتح (غلام أبي تمام المتوفى سنة ٢٣١ هـ)
الأغاني ٢٠ / ١١٣

٩ – « ختم الشعر بدعبل » .

القاسم بن مهرويه (معاصر لدعبل وأحد المتحاملين على أبي تمام)
الأغاني ٧١/٢٠

١٠ – « أهجى أهل زماننا » .

أحمد بن علي الأباري (معاصر لدعبل)
الأوراق (أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم) ٣٣٠

١١ – « كنا في مجلس الأصمعي فأنشده رجل لدعبل قوله :
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فاستحسناه . فقال الأصمعي : إنما سرقه من قول الحسين بن مطير :

. . . .

كل يوم بأقحوان جديد تضحك الأرض من بكاء السماء » .

الأصمعي (ت ٢١٧ هـ)
الأغاني ٢٠/٧٧

١٢ — « ومن عسى في هؤلاء [أبي الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن رزين وطاهر بن الحسين وابنه عبد الله] أن يُسأل عن شعره سوى دعبل ؟ » .

١٣ — « قاتله الله [يعني : دعبلاً] ما أغوصه وألطفه وأدهاه ! » .

١٤ — « إنه [يعني : دعبلاً] وجد والله مقالاً ، ونال ببعيد ذكرهم [آل البيت] ما لا يناله في وصف غيرهم » .

١٥ — « لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه :

ألم يأن للسفر الذين تحمّلوا . . . .

ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفري وهجّيراي ومسليتي حتى أعود » .

المأمون (ت ٢١٨ هـ)
الأغاني ٢٠/١٠٧ — ٨

١٦ — « شديد الأسر ، محكم الصنعة ، قليل الطلاوة ، مفحش الهجاء ، غير مقنع المديح » .

أبو حاتم السجستاني (ت ٢٥٥ هـ)
ديوان أبي نواس (المقدمة) ١١

١٧ ــ « قال مسلم بن الوليد :

مستعبر يبكي على دمنــة ورأسه يضحك فيه المشيب

فسرقه دعبل فقال :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

فجاء به أجود من قول مسلم ، فصار أحق به منه » .

أبو هفّان (ت ٢٥٧ هـ)
الأغاني ٧٥/٢٠

١٨ ــ « دعبل أشعر عندي من مسلم بن الوليد ... لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم » .

١٩ ــ « يدخل يده في الجراب ولا يخرج شيئاً ! » .

البحتري (ت ٢٨٤ هـ)
الأغاني ٨٧/٢٠ والموشح ٣٢١

٢٠ ــ « قال دعبل بن علي يرثي ابن عم له من خزاعة نعي إليه ... ولقد أحسن فيها ما شاء ! » .

المبرد (ت ٢٨٥ هـ)
الأغاني ٨١/٢٠

٢١ ــ « ومما يستملح لدعبل أرجوزته في المأمون . وهي فصيحة سهلة » .

٢٢ ــ « وهو صاحب القصيدة التائية في آل الرسول . . . وهي أشهر من الشمس » .

ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ)
طبقات الشعراء ٢٦٦ و ٢٦٨

٢٣ ــ « شاعر متقدم مطبوع » .

٢٤ ـ « قصيدته : مدارس آيات ... من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام » .

أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)
الأغاني ٢٠/٦٨ و ٦٩

٢٥ ـ « دعبل بن علي الخزاعي . . من المطبوعين » .

الآمدي (ت ٣٧٠ هـ)
الموازنة ٢٤٦

٢٦ ـ « وكان دعبل هجاء ، هجا الخلفاء واحداً بعد واحد ، ووجوه كتّابهم وقوّادهم وحاشيتهم . وهجا حتى قبيلته وأخاه وزوجه وجاريته . ولم يكن يفلت من هجائه وطعنه أحداً نظماً ونثراً ممن أحسن إليه ، فضلاً عمن أساء اليه . وكان ينتقل في البلدان خوفاً على نفسه . وكان مع ذلك يرجع إلى مروءة وحسب وحسن رياش . فجرى يوماً بين يدي عبد الله بن طاهر ذكره فغضّ منه ، فقيل له : إنه صاحب مروءة . فقال : تباً له ولو كان كذلك . كيف تكون مروءة لمن يعصي الرحمن ويطيع الشيطان ويهجو السلطان » !

الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)
مرآة المروءات ورقة ٣٤٥

٢٧ ـ « دعبل أكثر القوم [قومه : الشعراء من أسرته] شعراً . وهو وأبو الشيص بحران » .

٢٨ ـ « وكان دعبل مع جودة شعره وفخامة لفظه رجلاً ذا همة ونبل في نفسه . ويهجو من الخلفاء فما دون . وكان شعره أكثر من شعر نظرائه » .

٢٩ ـ « وشعره قليل السقط » .

٣٠ ـ « وكان دعبل عالماً بصيراً بالغريب والأخبار وأيام العرب . وشعره يدل على ذلك » .

الثعالبي ؟ (ت ٤٢٩)
تراجم الشعراء المنسوب إليه ، الورقة ٨٥ و ٨٦

٣١ – « وكان دعبل مداحاً لأهل البيت ، كثير التعصب لهم والغلوّ فيهم . وله المرثية المشهورة [التائية] وهي من جيد شعره » .

الحصري القيرواني (ت ٤٥٣ هـ)
زهر الآداب ١/١٠٢

٣٢ – « ومن طبقة أبي نواس : العباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد وصريع الغواني والفضل الرقاشي وأبان اللاحقي وأبو الشيص والحسين بن الضحاك الخليع ودعبل ونظراء هؤلاء . ساقتهم دعبل . ليس فيهم نظير أبي نواس » .

٣٣ – « ودعبل ما أصاب مع أبي تمام طريقاً ، على تقدمه في السن والشهرة » .

ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ)
العمدة ١/١٠١

٣٤ – « وأما دعبل فمدبر مقبل : اليوم مدح وغداً قدح . يجيد في الطريقتين ويسيء في الخليقتين . وله أشعار في العصبية تحسّنها الحمية والطبيعة الغضبية . وكان شاعر علماء وعالم شعراء » .

ابن شرف القيرواني (ت ٤٦٠ هـ)
رسائل الانتقاد ٢٣

٣٥ – « خبيث اللسان ، قبيح الهجاء » .

الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)
تاريخ بغداد ٨/٣٨٣

٣٦ – « له شعر رائق » .

ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)
تاريخ دمشق ٣/ورقة ٢٧ و

٣٧ – « شاعر مطبوع مفلق » .

ياقوت (ت ٦٢٦ هـ)
معجم الأدباء ١١/١٠٠

٣٨ ـ « كان شاعراً مجيداً ، إلا أنه كان بذيء اللسان ، مولعاً بالهجو والحط من أقدار الناس » .

ابن خلّكان (ت ٦٨١ هـ)
وفيات الأعيان ٢/٣٤

٣٩ ـ « شاعر زمانه ... كان خبيث اللسان والنفس ، حتى إنه هجا قبيلته خزاعة » .

٤٠ ـ « الشاعر مفلق » .

٤١ ـ « رافضيّ بغيض سبّاب » .

الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)
سير أعلام النبلاء ٨/ورقة ١٣٨ ظ وميزان الاعتدال ١/٣٢٨

٤٢ ـ « كان هجاء خبيث اللسان ، حثيث الركايب بالأذى إلى كل إنسان . يأكل الأعراض أكلاً لمّا ، ويحب الاعتراض بالمعايب حباً جماً . ألف ألاّ يعرف إلا ذما ، لا يبري من السب أباً ولا أما » .

٤٣ ـ « له شعر شان ، الاختيار فيه منخفض . شان المختارَ منه أنه لما تعدى ولاء أهل البيت إلى الرفض رفض » .

ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ)
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ٩/ ورقة ٢٨٤ و ٢٨٦

٤٤ ـ « كان خبيث اللسان قبيح الهجاء » .

الصفدي (ت ٧٦٤ هـ)
الوافي بالوفيات ٨/ ورقة ٥٣

— ب —

أحكام المحدثين

٤٥ — « إذا نظرنا إلى أشعار دعبل نظرة نقدية فإننا لا نجد فيها إلا القليل من الشعر الذي يسمو إلى مرتبة الشعر الجيد . كما أننا لا نجد له من الشعر الذي يمتاز بجلال موضوعه إلا بضع قصائد مفردة . وبعض قصائده معابثات مسلية قليلة الغناء . أما أغلب قصائده فهجاء مفحش وأغان مبتذلة تغنّى الناس بها في الطرقات » .

شادة Schaade
دائرة المعارف الإسلامية ٩/٢٤٤

٤٦ — « ظل يجيد أساليب الشعر القديم حتى كان البحتري يفضله على مسلم بن الوليد لإحسانه مسالك القدماء . ولكنه انحرف بعد ذلك عن منهجه بهجائه المتمادي في الفحش لأبي سعد المخزومي بضع سنين ، حيث أخذ يذكر مثالب عدنان ويفخر عليها بمناقب قحطان . ثم اجترأ على هجاء الرشيد وبني العباس . حقاً لقيتْ نغمته السوقية في الهجاء ذيوعاً ونجاحاً موقوتاً . ولكنها فضحت ذكره ، وأخملت شعره عند المتأخرين » .

بروكلمان Brockelmann
تاريخ الأدب العربي (ترجمة النجار) ٢/٣٩

٤٧ — « فأنت ترى شاعرية هذا الرجل . لكن شعره خمل بسبب هجوه الخلفاء » .

جرجي زيدان
تاريخ آداب اللغة العربية ٢/٨٢

٤٨ — « وما كان هجوه ، لو بحثت في أسبابه ، إلا ضرباً من قطع الطريق على الناس اشتهاء ، في أكثر الأحيان ، للذة الصيد والقنص ونزوة المطاردة والتخويف ، لا طمعاً في المال أو طلباً للترات » .

عباس محمود العقاد
مراجعات في الآداب والفنون بعد ١٦٤

٤٩ — « بل لعله [يعني : شعر دعبل] أدخل في كلام العرب من شعر كل الشعراء الذين تقدموه في الدور الأول للدولة العباسية » .

٥٠ — « متين السبك ، شديد أسر التراكيب ، فحل الأسلوب حتى لو دعته الضرورة أن يقول شعراً في أقل الأمور التي لا تدعو إلى الاحتفال بالشعر ولفظه » .

عبد الحليم عباس
مجلة الرسالة : السنة ٥ ص ١٥٨٧

٥١ — « إن الفرق بينهما [يعني : مذهب دعبل ومذهب ابن الرومي في الهجاء] كان فرقاً بين المذهب البدوي والمذهب الحضري في الهجاء . فقد كان دعبل بدوياً نافراً بفطرته ، وكان ابن الرومي حضرياً أنيساً بفطرته . فإذا تبرم ابن الرومي بالناس فإنما يتبرم بهم تبرم من يألفهم ويأنس إليهم ويعاني ما يعاني من عشرتهم . ثم يسخط عليهم لأنه مقيد بهم لا يستطيع الفكاك منهم . فسخطه أساسه المودة والألفة وليس أساسه القطيعة والنفرة ، كما كان السخط في نفس صاحبه دعبل الخارج على الجماعة ، القاطع الطريق .

ولهذا الفرق أثره في موضوع المثالب التي يلقيها كل منهما على مهجويه . فدعبل يسلب المهجو جميع الفضائل التي تعتز بها النفس الصارمة البدوية : يسلبه النخوة والكرم والبأس وطيب النحيزة ، ويجعله رجلاً يسمع البدوي صفاته فيقول : إنه حقير مرذول . وابن الرومي يسلب مهجوه الفطنة

والكياسة والعلم ، ويلصق به كل عيوب الحضارة التي يجمعها التبذل والتهالك على اللذات » .

٥٢ – « نشأ ابن الرومي ودعبل . . مستحسن الشعر بين من يؤثرون الفحولة اللغوية ، مفضل على المحدثين من طبقته كما قال البحتري » .

عباس محمود العقاد

ابن الرومي : حياته من شعره ٢٢٦ و ٢٤٥

٥٣ – « ولا غرو أن يبتعد دعبل عن التصنع ويأنس بكلام العرب الخلّص ، فهو عربي النبعة لا أعجميّها كأستاذه [مسلم بن الوليد] ، بدويّ النزعة لا حضريّها . وقضى حياته هارباً من وجه السلطان مستخفياً في الجبال والقفار ، فلم تملك نفسَه زخارف الحضارة ومباهجها ، فظل شعره أقرب إلى الطبع من شعر مسلم ، وأدخل منـــه في كلام العرب الصرحاء » .

٥٤ – « يمتاز شعره برشاقته وحسن انسجامه وطلاوته ووقع أنغامه . فهو لطيف على غير ضعف ، قوي على غير خشونة . ولولا إمعانه في هجاء الخلفاء وإسرافه في سفساف القول لكان من أسير الشعراء شعراً لسهولة ألفاظه ووضوح معانيه . ولكنه أفسد هذا الشعر بالفحش والإقذاع وشتم الملوك والأمراء ، فأهمله الرواة بعد موته وأخملوا ذكره » .

٥٥ – « منزلة دعبل قائمة على شعره الهجائي ، ولا سيا السياسي منه . وهو يشبه بشاراً بإقذاعه وفحشه وسلاطته على الأعراض ، ولكنه يفوقه خطراً لنسبته في خزاعة وتشيعه للعلويين » .

بطرس البستاني

أدباء العرب في الأعصر العباسية ١٣٥ – ٦

٥٦ – « كان الشعر الشيعي يجمع بين الاحتجاج والتصوير . وكان الكميت الأسدي يتزعم ناحية الاحتجاج في هاشمياته ... ولعل دعبـــلا

الخزاعي في مقدمة الذين نهضوا بالجانب التصويري المؤثر في تائيته التي قصد بها علي بن موسى الرضا بخراسان » .

أحمد الشايب
تاريخ الشعر السياسي ١٩٢

٥٧ ـ « صار شاعراً فغلبت سجية اللؤم على شعره » .

٥٨ ـ « مع هذا الشاعر العربي الخالص بلغ الهجاء الذروة . كان مع الأخطل وجرير والفرزدق هجاء أموات أو هجاء أناس أحياء كالأموات ، فصار هنا هجاء ملوك ووزراء كالملوك ، صار هجاء سياسيا » .

٥٩ ـ « لقد بدت طلائع هجاء دعبل السياسي مع بشار العقيلي ، ولكنه بلغ حده وتجاوز المدى الأبعد مع هذا الشاعر الشاطر » .

٦٠ ـ « تراني أخالف غيري فأجعل دعبلاً من الرؤوس ، وهو عندي من كبارها ، اللهم في الهجاء الذي جاء فيه بالبدع » .

٦١ ـ « أما هجاء الوجه فابتدأ مع دعبل ، وتم عند ابن الرومي » .

٦٢ ـ « إذا قرأت شعر دعبل فلا ترى إلا عريان الكلام ، ومع ذلك تجد شعره حياً ينبض ، لأن روح قائله الثائرة المتمردة تتردد فيه » .

مارون عبود
الرؤوس ١٣٦ و ١٣٩

٦٣ ـ « إلا أن دعبلاً ما فتىء سحابة حياته بدوياً ينفر من التصنع المفرط والتعقيد . فلم يكن تأثره بمسلم إلا كتأثر البحتري . وقد حرص على ألا يدخل في شعره شيئاً من الصعب وغير المأنوس ، وحفظ صناعته أبداً بسيطة قريبة إلى الطبع العربي الصافي الصريح . ولم يتورط في إسراف أبي تمام وغموضه ... وهو ، على الإجمال ، سهل الألفاظ واضح المعاني حسن الانسجام ، تتردد فيه أنغام موسيقية عذبة » .

حنا الفاخوري
تاريخ الأدب العربي ٥٠٧

٦٤ – « اختلط الهجاء – في صورة عامة – بالمديح اختلاطاً شديداً عند شعراء هذا العصر [عصر ازدهار الأدب كما سماه] . ويمكن أن نذكر في هذه المناسبة شاعراً قتل سنة ٨٦٠ م وهو دعبل الخزاعي . . . وكان شعره بخاصة مقطعات لاذعة في لغة منحطة ! »

شارل بلا C. Pellat
Langue et littérature arabes P. 114

٦٥ – « لم يسلك دعبل سبيل كثيّر والسيد الحميري في هجاء الصحابة وسبهم ، بل اكتفى بمدح العلويين والطعن في أعدائهم من أمويين وعباسيين » .

محمد سيد كيلاني
أثر التشيع في الأدب العربي ١٣٠

٦٦ – « أوحى صنيع الرافضة في السب إلى الشعراء المجّان أن يلونوا الهجاء ، فينقلوه من طابعه العربي إلى طابع يتفق وما عليه هؤلاء المجّان من استهتار بالأعراض ... وها هو ذا دعبل الخزاعي ، وإن لم يكن قد عاشرهم فقد تأثر بمنهجهم ، وجرى في حلبتهم ... قال يرمي المتوكل بالأبنة ... » .

٦٧ – « بقي الهجاء [في الكوفة ، بعد ذهاب الأمويين] طعناً وسباً ونهشاً في الأعراض . . . وحمل لواءه دعبل الخزاعي . . . فكان هجاؤه طعناً وكذباً ، وفيه كل ما اتصف به هجاء المجّان من تعريض بالأعراض ، وإلصاق التهم بالأبرياء » .

. . . .

وخلاصة القول في هذا الهجاء الكوفي الذي شهده القرنان الثاني والثالث الهجري ، أنه كان أثراً من آثار البيئة التي ضمت بين ظهرانيها الروافض ، ومنهم السبابون الذين أخذوا طريقة السب والشتم ونهش الأعراض وسيلة لنقد خصومهم من المسلمين الأحياء والأموات » .

الدكتور محمد جابر عبد العال
حركات الشيعة المتطرفين ١١٤ و ١٢٢ و ١٢٥

٦٨ ـ « كان [دعبل] يتخذ من هجاء هؤلاء [يعني : خلفاء بني العباس] وسيلته لمدح أوليائه من آل البيت ، في بعض الأحيان » .

٦٩ ـ « ... كدعبل بن علي الخزاعي الذي تلمذ لمسلم بن الوليد فتأثر به أول الأمر ، ثم خرج عليه وعاد إلى تقليد القدماء واتباع طريقتهم » .

٧٠ ـ « ظهر عند هؤلاء المجددين [في العصر العباسي] هجاء ليس من طراز الهجاء القديم ولا من قبيل ما رويناه من الهجاء البذيء المسف . ولكنه هجاء يعتمد على السخرية من المهجو والاستهزاء به وإضحاك الناس عليه . . . وقد كان هذا الطراز من الهجاء مما شاع عند شعراء القرن الثاني ، وممن أخذ فيه من شعراء القرن الثالث دعبل بن علي الخزاعي » .

الدكتور أحمد عبد الستار الجواري

الشعر في بغداد ١٠٧ و ٢٣٣ و ٢٤١ ـ ٢

٧١ ـ « ولم ينس الأدب الشيعي في هذه الفترة [العصر العباسي] أن يتحدث عن الفواجع العلَوية . . . ولدعبل من هذا النوع كثير ، ولكنه ضاع ولم يبق إلا القليل النادر . ولو وصلنا كله لورثنا أدباً قوياً جريئاً يمثل نفس دعبل وقوتها وجرأتها » .

عبد الحسيب طه حميدة

أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ١٥٨ ـ ٩

٧٢ ـ « إن دعبلاً ، بالرغم من قسوته وربما إقذاعه في الهجاء ، يمثل في الشعر العربي ملمحاً من ملامح الكرامة الإنسانية لم يكد يسمو إليه المتنبي الذي لم يتجرأ على هجاء كافور إلا بعد أن هرب من بلاطه ، والذي أسرف في التذلل للأمراء والخلفاء » .

٧٣ ـ « هجاؤه يومض من خلال حدس متفوق قاتم تتعفى فيه بقايا المعاني الهجائية القديمة ، وتنبري لنا معانٍ جديدة تثيرنا بمكارتها وموافقتها

لمقتضى الحال . ولقد سما دعبل بهذه المعاني عن شعراء الهجاء السابقين ، حيث كان الهجاء نوعاً من السباب والشتائم دون أي فضيلة فنية » .

٧٤ — « لئن كان دعبل في هجائه السيامي يدافع عن عقيدته بشجاعة لا تكل ، إنه في هجائه العادي المباشر يتخطى الحطيئة في الإلحاح والتهديد والانتكاص . ونكاد لا نشهد له هجاء إلا وكان قد سبقه بمدح . ذلك أن الشاعر كان يتوسل بشعره في سبيل اكتساب المال » .

٧٥ — « شعر دعبل ليس أقل إيلاماً من شعر أولئك [الهجائين الذين سبقوه] وليس أقلّ توسلاً بالمعاني المنكرة المقذعة ، لكنه يختلف عنهم بأنه يعمد إلى الصور الكثيرة التفصيل ، والمقتبسة من الواقع ، بينما كان أولئك يتوسلون باللفظة العارية الموبقة منحطين بالعمل الفني إلى مستوى الشتيمة السوقية الرعناء » .

٧٦ — « لقد اعتمد دعبل في هجائه السخرية الداخلية التي تتولد من اختلال الأحوال في النفس . فهو يتولى العاهة اليسيرة الضئيلة ، ويفتق لها بتعليل كثير الغلوّ والغرابة ، حتى نفطن لكل ما يستر من مضاعفات وجدانية . لا شك أنه لا يتعمق في دراسة النماذج تعمق الجاحظ ولا يستوفي وجوهها استيفاء ابن الرومي ، ولكنه بالرغم من ذلك فهو يوفق باستثارة التهكم والاستخفاف ، ويترجح في هجائه بين اللمنة والنقمة ... والهزء والتندر » .

ايليا حاوي

فن الهجاء ١٤١ و ١٤٧ و ١٥١ و ١٥٢

★ ★ ★

يتبين لنا من استعراض هذه الأحكام أن القدامى اتفقوا على أن الشاعر لم يسلك مسلك المجددين في عصره وتمسّك بما سماه النقاد من بعد (عمود الشعر) حتى عد البحتري شعره أدخل في كلام العرب من شعر مسلم بن الوليد . فإذا ذكرنا أن الخصومة الأدبيـــة المثمرة بين التماميّين والبحتريين ، أو بين أصحاب الصناعة وأصحاب الطبع لم تكتب مقدماتها الصحيحة في كتب النقد القديم عندنا أدركنا أن هذه الخصومة بين أصحاب مسلم وأصحاب دعبل هي - وإن لم تدوّن أخبارها كلها - بدايتها المثيرة . على أنها لم تثر من الغبار ما أثارته في مراحلها الأخيرة بين أصحاب أبي تمام وأصحاب البحتري .

فأما المحدثون فأحكامهم على شعر دعبل يقع كل منها على قدر ما عرف من هذا الشعر . وما عرفوه لا يتجاوز أكثره - في أحسن حال - ما جاء في كتاب الأغاني . وأحسنه - في رأينا - رأي العقاد في هجاء الشاعر ، وأضلّه رأي المستشرقَيْن . وما تبقى فأكثره ترديد لآراء القدامى وأحكامهم وأقله ينظر إلى ما سبقه من أحكام المحدثين .

الدكتور عبد الكريم الأشتر

التعريف والنقد

فصول في اللغة والأدب

الأستاذ السيد ظافر القاسمي

عدد صفحاته ٢٤٥ من القطع الوسط طبع في المطبعة الكاثوليكية

بيروت سنة ١٩٦٤

الأستاذ الفاضل ظافر القاسمي الذي كان نقيباً للمحامين بدمشق ، لم يعرفه الناس إلا محامياً مِدرها ، ووطنياً مخلصاً متحمساً يدرأ عن قومه ويحمي ذمار وطنه ، ويتعصب لحزبه ويناضح عن مبادئه ، وطالما قلت في نفسي متمنياً لو انه أهتم بالعلم كوالده الجمال القاسمي عالم الشام والإسلام وانصرف إلى البحث والدرس والتصنيف لحفظ ذكر أبيه وأسرته ، وقد كانت دمشق تفاخر الدنيا بعلمائها وأدبائها وببيوتات العلم والفضل فيها ، واشتغل أبناء الأسر العلمية بغير ما اشتغل به آباؤهم فانطفأت بدمشق بمشاغل العيش وفرط حب أبنائها للوظائف مشاعل تلك الأسر ومصابيح المعارف .

وكتابه هذا (فصول في اللغة والأدب) يشتمل على أبحاث منوعة طريفة عن الإيلاف أو المعونات غير المشروطة ، وعن (اليازجي والقرآن والأمثال) ، ولغة العرب ، وتمازجها مع اللغات الأخرى الفصحى ، والدولة والعروبة ، وعن الفنون الجميلة وفكتور هوغو ، والصداقة والصديق للتوحيدي ، وعن أرض السحر ، وعن قرطبة دمشق الأندلس ، وصورة من صور الثورة السورية ، ومرآة نابوليون في يوميّاته السرية ، وابن المقفع والمرآة ، ونداء الباعة في دمشق القديمة ، وعهد المدينتين العالمة والفاضلة ، إلى غير ذلك من طرائف القول والأبحاث الممتعة .

وفي بحثه عن العربية وتمازجها بغيرها من اللغات بحث عن معجم دوزي (ملحق المعاجم العربية) ، وأعجب بفرط تتبعه واستقصائه مع كثرة أخطار الأسفار في عصره ، وقلة المراجع العربية من المخطوطات الموزّعة في بلاد الغرب والشرق ، كما أعجب بإتقانه لكثير من اللغات الحية والميتة فضلاً عن العربية وألفاظها العامية .

ويرى الكاتب الفاضل أنه بتمازج الثقافات ، واختلاط الأمم يتسرب إلى لغاتها كثير من الألفاظ الأجنبية ، وان مثل ابن بسام صاحب الذخيرة لم ير بأساً ولا حرجاً في تعريب الألفاظ الأجنبية فيقول : قنبانية للفظة Compagne وهي في الفرنسية تطلق على عدة معان كالصاحبة والرفيقة والشريكة والقرينة ، ومثل ابن بسام في ذلك ابن حيان صاحب تاريخ الأندلس .

ثم بحث عن لفظتين إحداهما عربية انتقلت إلى اللغات الأخرى ، والثانية أعجمية انتقلت إلى لغة العرب ، فالعربية لفظة (معونة) وعرّفها دوزي بأنها ضريبة استثنائية يفرضها الأمير حين تنفد أموال الخزانة العامة ، وانتقلت إلى اللغات اللاتينية الأصل باسم Almonya أو Almaona ، وأما الأعجمية المنتقلة إلى العربية فهي (طارقة) اقتبسها العرب من الصليبيين ، وهي لا تعني غير ما يعنيه اللفظ الفرنسي Targe وهو الترس الكبير الذي يزيد طوله على عرضه ، ودخلت هذه اللفظة في كلام أدباء العرب فقال العماد الاصبهاني : (لمعت بوارق بيارقه ، وراعت طوارق طوارقه) . وفي كتاب اصلاح الدين : (سأمحو هؤلاء الصليبيين ما وجدت مع واحد منها طارقة ولا رمحاً إلا النادر) ، وكان في القاهرة شارع يسمى (حارة الطوارق) ؛ وقد تطوّر معنى هذا اللفظ (الترس) في اوربة إلى معنى الجدار المتنقّل الواقي ، او لوح من خشب الصنوبر كان المحاربون يقفون وراءه ليتقوا السهام والحجارة .

وفي هذا الكتاب أقصوصة المروءة لصورة من صور الثورة السورية بطلها عثمان الغبرا صهر المؤلف ، وقد أبدى من ضروب الفتوة والمروءة

العربية ما هو مضرب المثل ، ولولا ضيق النطاق في هذه الكلمة لقصصت قصة هذا الرجل الدمشقي يوم ضرب الفرنسيون دمشق بالقنابل (١٩/١٠/١٩٢٥) وخشي أهل حي قصر الحجاج من هدم المنازل فهربت منه الرجال والنساء والأطفال إلى حيّ العمارة ، وفيه حارة البطل المعروفة بزقاق عبد الهادي ، وإلى هذه الأقصوصة الصادقة ألفت نظر القراء ، وهي لعمري جديرة بأن تشتمل عليها كتب القراءة المدرسية عسى أن يحذو الصبيان حذو البطل عثمان !

ولا عيب في الكتاب إلا اشتماله على كثير من الطرائف والنوادر والمحاسن السوافر ، ولا ينقصه إلا بعض الشروح البسيطه فقد ذكر مثلاً في الصفحة ١١٨ ديوجانس وفيفانوس وأنكساغورس وكل من هؤلاء الفلاسفه الثلاثة في حاجة إلى بضعة أسطر من الحاشية .

وهنالك من السهو الذي لا يحتاج إلى سجود إذ لا عصمة منه لمؤلف قوله ص ٥٨ في السطر الأول : (ولا أراها متسقة النغم مع السخر والسكر والراح أليس كذلك ؟) والصواب (مع السحر) بالحاء لا الخاء المعجمة ؛ وقوله في السطر الثامن : فما بال شاعرنا (يصخو من ورد الخدود وتفاحها ؟) والصواب (يصحو) بالحاء المهملة .

وفي الصفحة ٦٠ والسطر الخامس هذا البيت وهو من البسيط :

إذا تلاحمَ منقارهما اختلجا وامتدّ عنقان من عَطشى ومُلتاحِ

والصواب (منقاراهما) بدليل تثنية (اختلجا) .

وقوله (٦٠ / ١٧) أي في الصفحة ٦٠ والسطر ١٧ : (. . . ولكن اللفظ حوشي – ألا ترى أن فيه من الحوشية حرفي الشين والحاء ؟ ألم ينهنا أساتذتنا عن استعمال الألفاظ الحوشية في الترسل فما بالك في الشعر ؟) .

أما قوله ان اللفظ حوشيّ مشيراً الى لفظ (شاحِ) من عجز البيت الثاني : (هذي تُزقّ وذا مستطعم شاحِ) وجعلت الناقدة هذا اللفظ حوشياً لأن فيه من الحوشية حرفي الشين والحاء ! والحوشية منسوبة الى

الحوش من الجن ، والحوشي من الليل المظلم ومن الكلام الغامض المستبهم وهو الغريب الذي لا يفهم ، و (شاح) اسم فاعل من شحا فمه اذا فتحه ، وليس كل لفظ فيه شين وحاء من الحوشية الغريبة النافرة فهذان الحرفان في شحط الديار والبلدان ، وشحم الغنم والبقرات السمان ، وفي الحشى من الإنسان ، وفي شحوب الألوان ، وفي الشحارير من أطيار الألحان ، الى غير ذلك من الألفاظ المستعملة الفصاح الحسان .

ومما لا يحتاج الى بيان قوله (١٢/٧٧) : ليس هنالك من لفظ يوم مقام الضوضاء ، والصواب : (يقوم مقام الضوضاء) ؛ وقوله (٢٠/٧٩) : تزيده رواء وقد قرده قبيحاً ، والصواب : تردّه قبيحاً ؛ وقوله (٨٦) في الحاشية : قول ابي ضخر الهذلي ، وهو أبو صخر الهذلي ؛ وقوله (٥/٨٩) : ولا أجود كتابة ولا خطاً ، ولعل الصواب ولا خطّا ، بدون همز ؛ وقوله (٣/٢٣٨) : ليست في دول من أول العرب ، والصواب : من دول العرب ؛ وقوله (٨/٢٢٩) : ورئيس جناجم البيض ، والصواب : جماجم البيض لأنها ترجمة للاسم الانكليزي Egg Head ؛ وقوله (١٢/٢٤١) يتساوى في ذلك فيزياؤيهم ، يريد فيزيائيهم مثل كيميائيهم . . . إلى غير ذلك مما لا يخلو منه كتاب لا ينظر صاحبه في تصحيح تجاربه حين الطبع ، وهذا لا يتيسّر لكتاب يطبع في بيروت ومؤلفه الهمام في دمشق الشام .

والله أسأل أن يطيل عمر المؤلف الأديب البارع ابن شيخي الجمال القاسمي حتى أراه بين الكتاب الأدباء كما رأيت أباه بين العلماء ، « ليعالج كما يقول الأستاذ شفيق جبري من دقيق الموضوعات ما يقوي روح القومية أي روح اللغة والأدب » فيخدم بذلك قومه العرب .

التنوخي

رحلة الى المغرب الأقصى
للأستاذ محمد رضا الشبيبي

مقتبسة من المجلد الثاني عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي ، عدد صفحاتها (٥٣) صفحة من قطع الوسط . طبعت بمطبعة المجمع العلمي العراقي في سنة ١٩٦٥

دوّن في هذه الرحلة صاحبها وقائع رحلته التي قام بها في خريف سنة ١٩٦٠ من العراق الى المغرب لحضور مهرجان جامعة القرويين في مدينة فاس . تشتمل هذه الرحلة بالإضافة الى تعريف البلدان وصفاً لجملة أوضاع المجتمع المغربي وأحواله ، ومن طريف ما كتبه أبحاثاً عن مجالس المغرب وبرامج التعليم ، وبحث في التربية ، والقديم والجديد ، والحي الجامعي ، وخزانة الكتب ، وفكرة التوحيد ، والمحافظون والمجددون ، والعربية في المغرب ، ولهجة المغاربة ، والمصطلحات في العامية المغربية ، والبربرية واللغة البربرية ، والتعليم في عهد الاستقلال ، والخط المغربي ، وغيرها من الأبحاث .

وما أحوج أبناء أقطار المشرق العربي الى مثل هذه الرحلة ليتعرفوا من جديد الى بلاد أشقائهم في المغرب العربي بعد أن باعدت بينهم الأوضاع السياسية والسيطرة الأجنبية .

نحمد لصاحب الرحلة هذه المأثرة ونشكر له ما دون فيها عن مشاهداته في هذه الرحلة .

ج . ح .

عصر النبي عليه السلام
وبيئته قبل البعثـــة

صور مقتبسة من القرآن الكريم ، ودراسات وتحليلات قرآنية

تأليف : الأستاذ محمد عزة دروزة

طبعة ثانية منقحة ، ومن منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر في بيروت

عدد صفحات الكتاب ٨٤٨ صفحة من قطع الوسط ، طبع سنة ١٣٨٤=١٩٦٤

أقسام مواضيع الكتاب الرئيسية هي :

الباب الأول ــ في الإقليم والسكان ومعايشهم .

الباب الثاني ــ في الحياة الاجتماعية .

الباب الثالث ــ في الحياة العقلية .

الباب الرابع ــ في الأديان والعقائد .

عالج الأستاذ المؤلف هذه المواضيع باتزان وترو وأناة وتبصّر . صوّر فيها عصر النبيّ (ﷺ) وبيئته قبل البعثة أصدق تصوير ، استخلص جل أبحاثه من القرآن الكريم وهو أوثق المصادر وأقدم ما يمكن أن يعتمده كاتب أو باحث . وزاد الكتاب طرافة وفائدة المواضيع الجديدة التي توصل اليهـــا وأهملتها كتب السير القديمة مما يجعله فريداً في هدفه وأسلوبه ومصدره .

ج . ح .

شعر الراعي النميري وأخباره

جمعه وقدم له وعلق عليه

الأستاذ ناصر الحاني

راجعه وجمع شواهده ووضع فهارسه

الأستاذ عز الدين التنوخي

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، في ٢١٥ صفحة من القطع الوسط

طبع في مطبعة الترقي بدمشق

حقق الأستاذ ناصر الحاني هذا الديوان ، بما لا يدع فضلة لمستزيد ، أو باحث وراء شعر هذا الشاعر دون أن يجد اشارة في صلب هذه المجموعة إلى الشوارد التي تبعثرت هنا وهناك في شتى المراجع ، أو كتب الأدب ، أو دواوين الشعراء .

ولقد بدأ المحقق ديوان الراعي النميري بمقدمة ، تناول فيها تحقيق لقب الشاعر واسمه ، واختلاف مؤرخي الأدب حول هذا الاسم الذي عرف به الشاعر ، وأورد رأي البغدادي وغيره ، وأثبت كثيراً من الشعر الذي يدل على هذا الاسم ، ثم ذكر مقام الشاعر من قومه ، ومقامه بين الشعراء ، وهجاء جرير له ، والعمل على هدمه ، حتى هرب قومه من نمير ، وفضلوا الانتساب إلى عامر بن صعصعة ، خوف الفضيحة ، ووصمة العار ، وإن يكن الشاعر قد قضى نحبه في تلك السنة غماً وكمدا ، فضلاً عن انكسار شوكته ، وترديه في الضعة في أواخر حياته .

على أن تواضع الأستاذ ناصر الحاني ، في تحقيق هذا الديوان ، ولمّ هذا الشعر المتناثر في أرجاء الكتب ، يتّسم بالانتصاف لهذا الشاعر ، الذي ضاع في أواخر عمره ، وهو لا يخلو في الوقت نفسه ، من إعطاء القارىء صورة ،

لما كان عليه هذا الشعر : « لأن هذا الذي جمعنا من شعره قليل بالإضافة إلى كمه الحقيقي كله ، وكل ما يقال عنه ، صور مُنتزعة من بعض شعره ، وإذا ما تهيأ لنا غداً العثور على الضائع منه ، وهو كثير ، فإن هذه الصور قد تبدو بعيدة عن حقيقة الشاعر الصادقة ، ولكي نعطي القارىء فكرة عن حجم شعره ، يكفينا أن نتذكر أن ياقوتاً الحموي ، قد استشهد به بأكثر من مائة موضع بكتابه الفذ معجم البلدان ، وهذه الشواهد تشير إلى معرفة الراعي بالجزيرة العربية ومعالمها ، وبالأماكن التي تقع بين الشام والبصرة خاصة ، ولعله مر على الكثير منها بأسفاره » .

ومع أن الراعي النميري ، وقف شعره على الإبل ، إلا أن الأستاذ المحقق ، قد تعدّى هذا إلى أن للشاعر : « ابتكاراً ناجحاً ، وصوراً فريدة ، ليس بينها وبين ما نعرف من شعر الجاهليين أو المخضرمين نسب بين ، ولعل هذا ما جعل الجاحظ يفرده بالبديع بين شعراء عصره » .

وتناول الأستاذ ناصر الحاني ، ولد الشاعر « جندل » وأهل بيته وكرمه وحسن ضيافته وعفته ، وشهامته وجرأته ، وقصته مع الخليفه عبد الملك ابن مروان ، وصفاته الجسمية . وضروب الشعر التي تناولها ، والخلفاء والحكام الذين خصهم بشعره .

ولقد وقف المحقق وقفة تحمد له ، فقلّب وجوه الرأي بين كتب المراجع في إثبات شعر الراعي ، وساق البراهين على وجوه هذا الشعر وإن كان البغدادي قد أسقطه من خزانته ، إلا أن « ياقوت الحموي » قد قال ، عند الحديث عن قول الراعي :

يحث بهن الحاديان كأنما يحثان جباراً بعينين مكرعا

« قال ثعلب ... عينين مكان بشق البحرين به نخل ، والمكرع ، الذي يسرع في الماء » .

ولم يفت المحقق قول علي بن المغيرة ، صاحب الأصمعي وأبي عبيدة ، وإشارة ابن النديم إلى أن أول من صنع كتاباً بشعر الراعي هو أبو سعيد السكري ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وان كان صنع هؤلاء من بين تراثنا الضائع ، الذي ينتظر البحث ، ويبغي الحياة .

والذي استحق به الثناء ، الأستاذ ناصر ، وان كان ثناء لا يحمل في طياته الإغراء بهذا الفعل المقرون بالحمد ، أنه قد عانى الشيء الكثير في جمع هذا الشتات الذي تناثر في كتب اللغة والتراجم والمعاجم ، وضاع منه ما ينفع أو يفيد ، وأخرجه في هـــذه المجموعة الميسرة ، والموضحة بأقلام أصحابها .

ومهما يكن من أمر هذا الجمع ، فإن الأستاذ ناصر الحاني ، والأستاذ عز الدين التنوخي ، قد قدما إلى قراء العربية ثمرة جهاد نافع ، وقربما ما كان مستعصياً على كثير من الذين يعنيهم هذا الشعر ، فليس من الهين أن يجمع باحث ، بيت شعر ، ثم يجري وراء آخر في مرجع قد لا يكون ميسوراً ، أو تحت يد أحد ليضم بيتاً إلى آخر ، ثم يعمل بصره وفكره وراء ثالث ، ويلم الشروح ، وينقب عن التعليقات إلا أن يكون هذا من الذين وهبوا أنفسهم لخدمة العلم ، واستلذّوا التعب ، وكتبوا على أنفسهم الجهاد ، والصبر ، والاستشهاد .

كتاب الحيدة

للإمام عبد العزيز بن يحيى الكناني

تحقيق وتقديم الدكتور : جميل صليبا

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، في ٢٤٨ صفحة من القطع الوسط

طبع في مطبعة الترقي بدمشق

كانت المكتبة العربية ، وما تزال ، في حاجة إلى بعث هذا التراث الجيد ، الذي يتصدّى له هؤلاء الأعلام الأفذاذ ، ممن أخذوا بهذه الأمجاد العربية التالدة . التي تبين عن كنوز العرب ، وغنى الضاد في جلّ المجالات .

وكتاب الحيدة فريد وحده ، بين كتب التراث العربي ، فهو يحوي تلك المناظرة العاصفة التي كانت بين عبد العزيز الكناني وبشر المريسي بين يدي المأمون في مسألة خلق القرآن ، وما تبع ذلك من شغب العامة على ذلك العالم الجليل .

لذلك كان اختيار الدكتور جميل صليبا ، تحقيق هـذا الكتاب ، واستخلاصه من بين الأشتات الكثيرة التي أحاطت به ، اختياراً موفّقاً من عدة وجوه :

١ ــ اكتنف هذا الكتاب الشك في نسبته إلى صاحبه .

٢ ــ كان هذا الكتاب لا يزيد على عشر ورقات .

٣ ــ كثرة الحذف والتزيد في بعض أجزاء المناظرة .

٤ ــ مصادفة هذه الرسالة لهوى الناس .

٥ ــ وجل عبد العزيز الكناني من المأمون .

٦ ــ ثورة المعتزلة على عبد العزيز .

٧ ـ المجادلة في أخطر مشكلة .

٨ ـ موقف المأمون بجانب بشر المريسي .

٩ ـ دين الدولة بخلق القرآن .

١٠ ـ اتجاه الرأي العام .

ولقد أراد الدكتور جميل صليبا ، أن يكون طُلَعة في هذا التحقيق ، شأنه دائماً في تحقيقاته وتفريعاته ، فَعُني بمناقشة كل مسألة من هذه المسائل على حدة ، مسهباً في بيان كل دقيقة من دقائقها الكثيرة التي يحتار دونها العقل ، ويقف مشدوهاً أمام تياراتها المختلفة ، التي تحف بها من كل مكان .

لكن لا يأخذ القارىء العربي العجب ، إذا عرف إلمام الدكتور صليبا الواسع ، بما تضم المراجع العربية من مناقشة هذه المسائل الكثيرة المتشعبة ، ولا يكون جديداً بالنسبة للذين يعنيهم هذه المباحث ، إذا ما أورد المحقق شكّ بعض المؤرخين في إسناد كتاب الحيدة إلى عبد العزيز الكناني ، وناقش ما ذهبوا إليه ، ورد كل قول إلى صاحبه ، ووقف أمام كل رأي من هذه الآراء وقفة العالم المتمكن من هذه الأمور الشائكة ، إذا ما علمنا أن الدكتور صليبا ، قد اجتاز هذه الشكوك كلها ، وأثبت أن كتاب الحيدة هو من وضع عبد العزيز الكناني وحده .. !

على أن الدكتور المحقق ، قد أورد اسم الكتاب من عدة مراجع ، وأثبت اسمه وما دار حول هذا الاسم من انحرافات ، وأبدى رأيه في مسألة خلق القرآن ، معتمداً على براهين المعتزلة ، والكناني نفسه ورأي الجاحظ في هذه المسألة ، وساق آراء الفقهاء والمحدثين ، وفصل القول في المسائل التي خالف فيها المعتزلة عقيدة أهل الحديث ، وموقف المأمون من جُلّ هذه المسائل وعرض مسألة الخلق في زمن خلفاء المأمون ، أو من أتى بعده من الحكام ...

غير أن الأمر الذي يشهد للدكتور صليبا ، بطول المعاناة ، ويجعله على رأس المحققين ، إحاطته الشاملة الواعية ، بالنص المحقق ، واستيعابه لكل ما فيه من أمور ، وإلمامه بكل الاتجاهات التي يدخل في إطارها البحث . فتلخيص كتاب ووضعه في هذه المجالة ، لا يمكن أن يتسع له عقـــل ، إلا من تمرس بمثل هذه الأعمال ، وعرك نافرها ، وطامن من غلوائها ، وبلا من مرها ، حتى إن من يقرأ هذه الخلاصة ، يصيبه الغنى عن تصفح المناظرة ، أو الكتاب الذي أُهِلّ له :

ومن دون شك ، أن الدكتور جميل ، قد أتى على كتاب الحيدة فهماً ، قبل أن يأتي عليه تحقيقاً ، فرأى أن يصبّ ما يحويه الكتاب في قالب من بيانه ، ليسهل على القارئ مشقة المطالعة ، ويضع يده على مضمون الكتاب ، قبل الغوص في ثنايا لججه ، وتياراته المتلاطمة .

بدأ التلخيص بمسألة الخلق ، ثم ثنّى بمسألة العلم ، والإخبار والجعل ، والقول المفصل ، والقول الموصل ، والنظر والقياس ، ثم مساق حجج كل من الجانبين بما يريد : « وأحسنُ ما يقال في هذه المناظرة ، أنها محاورة جميلة بين عالمين ، يمثلان اتجاهين مختلفين ، فبشر المريسي يمثل أهل التأويل والنظر والقياس ، وعبد العزيز الكناني يمثل أهل الحديث والسنة ، وإذا علمنا أن بشراً المريسي كان من الموالي ، وأن عبد العزيز كان من كنانة ، أمكننا أن نقول إن مناظرتهما تمثل جانباً من الصراع الفكري الذي قام في بغداد بين الشعوبية والعرب » .

ولقد اعتمد الدكتور جميل صليبا ، في تحقيق كتاب الحيدة على أربع مخطوطات : ثلاث منها في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، والرابعة في مكتبة « توبنجن » بألمانيا ، ولم يكتف المحقق ، بذكر هذه المخطوطات ، دون شرحها ، فذكر عدد صفحات كل مخطوطة ، وعدد أسطر كل صفحة ، وقطعها ، وقلمها ، ومدادها ، ونوع ورقها ، وما أثبت على كل صفحة ،

والنسخة المطبوعة ، وعدد صفحاتها وأسطرها ، وهي مطبوعة بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ، وأشار إلى تصحيفها وتحريفها وأغلاطها ، وتقديمها وتأخيرها ، والشبه الكبير بينها وبين النسخة الظاهرية .

ولشد ما يأخذ القارىء العربي العجب ، حين يطالع أمانة الدكتور جميل صليبا في طريقة تحقيقه الفريدة : « أما طريقتنا في التحقيق ، فهي الطريقة التي مررنا عليها في تحقيق الرسالة الجامعة . فقد كنا نقرأ النص في إحدى النسخ ، ونعارضه بغيره من نصوص النسخ الأخرى ، فنختار منها ما هو أصح وأصدق ، ونذكر في ذيل الصفحات ، اختلاف الروايات في سائر النسخ » .

ثم رمز إلى النسخ المختلفة برموز ، لتسهل على القارىء مشقة البحث ، وترجع به إلى المخطوطات دون عناء ، وأورد نصوصاً مختارة من كتب التراجم وغيرها ، ونشر صورة خطية من كل نسخة اعتمد عليها وهي صفحة واحدة ، للتأمل والمقابلة والدقة ، ثم أثبت الهوامش في كل صفحة من صفحات المناظرة ، مرقمة حسب ورودها في صلب الكتاب ، مراعياً في ذلك كل صفحة على حدة ، حتى لا يختلط هامش بهامش ، أو يضل القارىء في هذه المتاهات ، غير فهرس الأعلام ، والبلدان والمواضع ، والشعوب والقبائل والدول والفرق والمذاهب ، والمصطلحات ، والفهرس العام .

والواقع ، أنني لا أخال الدكتور جميل صليبا ، إلا رجلا اكتملت لديه كل مقومات التحقيق ، من علم وفن ووقت ، حتى كان هذا الكتاب الذي يغني عن كتب ، والذي يعتبر مجهوداً مضنياً ، يسجل للدكتور جميل ، بكل ما يتضمن من مسائل ، وما يحوي من مقابلات ، وما بذل من وقت وسهر ، وهو له يوم توزن الأعمال ، ويأتي كل واحد بكتابه في يمينه .

جمهرة المغنّين

تأليف : خليل مردم بك

تعليق : عدنان مردم بك وأحمد الجندي

من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق في ٢٩٧ صفحة من القطع الوسط
طبعت في المطبعة الهاشمية بدمشق

القيمة الكبرى في هذا الكتاب ، انه وليد عقلية لم تتجاوز الثامنة عشرة ، عكفت على البحث ، وثابرت على المطالعة والدرس ، وهي في سن ، لا يجوز فيها ، أن تدرك ما يدركه الشيوخ ، أو تعي من هذا الزاد ، ما يعجز عن بلوغ كنهه الفحول من الأدباء ، وأرباب اللسن من الكتاب .

فالجمهرة ؛ « تاريخ موجز عن المغنين المسلمين وسيرهم في أزهى عصور الخلافة الإسلامية ، أيام بني أمية وبني العباس إلى زمن الراضي ، وبه بحث ممتع عن تاريخ الغناء والمغنين وتأثير الغناء وآلاته ، ومن دونت له صنعة في الغناء من الخلفاء وأولادهم مع ترجمة لابن النقيب » .

والمطالع لهـذا الكتاب ، يأخذه العجب ، ويستولي عليه الرعب ، حين يدرك أن صاحبه لاقى من الصعوبات في جمع مادته ، والتنقيب عن الأخبار في مصادر أكثرها لم ير النور بعد ، أو هو حين يطالع : « ما زلت ألتقط من كل كتاب نادرة ، وسفر شاردة ، وكناش فائدة ، ونشرة نكتة ، فيما له مساس بعملي هذا ، أضمها بعضها إلى بعض ، وأقرب المسافات بينها بالمناسبات حتى أتممته في حولين إلا إياماً » يدرك أن خليل مردم بك ، قد أوتي ملكة يحسد عليها ، وجلداً في البحث قلّ أن يجتمع في غيره ، فهو أديب وشاعر ومحقق ، لذلك فقد صادفت هذه الجمهرة ، هَوىً في نفسه ،

ونفذت إلى أعماقه فخلع عليها من مطالعاته الكثيرة ، ما أصبحت به فريدة وإن كان قد حاكى فيها : الجاحظ ، شيخ البيان .

استهل المؤلف جمهرته بمقدمة ، عرّف بها الغناء ، ثم أتى على تاريخه ، وأول من دونه ، وتأثيره وآلاته ، ومن دونت له صنعة في الغناء من الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم ، وما احتج به في جواز الغناء ، وتاريخ المغنين ومنزلتهم ، وترجمة بليغة للسيد عبد الرحمن حمزة ، ثم شرح القصيدة ، وترجمة من ذكر فيها اسمه من المغنين والأعلام ، والمستدرك على الجمهرة ، ثم ذلك الفصل الذي ألحق بها عن المغنية العربية : أم كلثوم ...

والواقع ، أن هذا الكتاب الذي توافر صاحبه عليه نحو عامين ، ينقب في ثنايا ثمانية وعشرين مرجعاً ، ما أخذ مكانه اعتباطاً بين كتب المكتبة العربية ، أو سلك مسلكه باشارة من صاحبه ، وإنما هو دراسة وافية للغناء وأدواره ، ورجاله وقيناته ومجالسه ، وما أحيط به من صنوف المتع ، وضروب اللهو ، وما لعب من أدوار في حياة الخلفاء والحكام .

ولقد كان خليل مردم بك في كل مساقه للأخبار ، وتدوينه ، يتحفظ ، ولا يسلّم بكل خبر يجده في كتب الرواية ، وإنما يعمل فيه عقله ، ويستعرضه على كافة وجوهه ، ثم يصوغه صياغة من يعلمه من مصادره ، بأسلوبه الجاحظي المتدفق الذي يسيل رقة وتدفقاً ، ويستطرد به في غير التواء أو تعثر .

ومهما قيل في الدافع لخليل مردم بك ، على تأليف هذا الكتاب ، فليس أقمن من أن يقول هو نفسه : « الغناء عصمك الله ، راحة الروح ، وترجمان الوجدان ، ومثير الحس ، ترتاح إليه النفوس على السراء والضراء وحين اليأس ، وينفث الإنسان به ما أكنه صدره من كمين التأثرات ، وجن في حنايا ضلوعه من خفي السرائر ، مما لا يدركه الوهم ، ولا يتوهمه الإدراك .. »

وليس أفعل في النفس من مساق الخليل رحمه الله ، قول ابن عبد ربه في العقد الفريد فيما احتج به في جواز الغناء ، قال بعض أهل التفسير في قول الله تعالى : « يزيد في الخلق ما يشاء ؛ هو الصوت الحسن ، وقال النبي ﷺ لأبي موسى الأشعري ، لما أعجبه حسن صوته ، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود . وقال ﷺ : حسن الصوت زينة القرآن ، وقال أيضاً : حسنوا القرآن بأصواتكم ، فإن الصوت الحسن يزيد في القرآن حسناً » .

بهذا التوجيه ، كان خليل مردم بك ، أول من فكر في شرح قصيدة ابن النقيب ، وترجمة من ورد بها من المغنين والأعلام ، وهي قصيدة استطرادية ، تعرضت لكثير ممن شغلوا بالغناء ، أو لعبوا الدور الهام في السمو به ، وبخاصة من ولي الخلافة ، أو كان ممن اتصل بهم ، أو انحاز إلى مجالسهم ، غير الشرح الماتع لجل الألفاظ ، والمعنى الإجمالي لكل بيت من أبيات القصيدة على حدة ، ثم ذكر أكثر الأخبار التي تتصل بالغناء ، وما وقع في مجالس اللهو ، أو مجالس الجد ، من النكات النادرة ، والفكاهات المستملحة ، وتحقيق ما ورد من أسماء البلدان ، ومناقشة الروايات المختلفة التي وردت تحمل كثيراً من الاختلافات حول اسم من الأسماء ، أو موضع من المواضع ..

على أننا لا ننسى فضل أستاذين عظيمين ، وقفا على طبع هذا الكتاب القيم ، وعلقا عليه بما يستأهل من بذل الجهد ، في التصحيح ، والترتيب وعمل الفهارس ، حتى إن عملهما يعد مفخرة ، حبذا لو أتبعا عملهما هذا بأعمال أخرى ، تكون لهما ، وإن سجل اسمهما من قبل في مقدمة العاملين : المحققين والمؤلفين .

أبو طالب زيان

آراء وأنباء

مصطلحات جدد

(لكلمات افرنجية)

سألني بعض الزملاء الأساتذة الأفاضل : ألم يجدّ لديك مصطلحات حديثة لكلمات أفرنجية ليس لها بعدُ ، مقابل ؟ قلت بلى ، وقد بلغتْ عشرات في مختلف العلوم والشؤون العامة . وسأنشرها ، ان يسّر الله ، في مجلّتنا التي تعنى بذلك عنايتها بالموضوعات العديدة : التاريخية واللغوية والأثرية (المخطوطات) مما هو من صميم أغراض المجمع العلمي العربي .

ومرّت أيام مريرة عليّ حالت ، برهةً ، دون الإنصراف الى جمع ما تناثر منها بين طيات الأوراق ، وترتيبها على شكل يناسب النشر .

وها أنا اليوم ، وقد سنحت الفرصة ، أنشر هذه المصطلحات الجدد التي تيسر لي وضعها لما يقابلها من الكلمات الافرنجية . فعسى أن يفيد منها من يراها ملائمةً للغرض الموضوعة له ، أو تكون موضوعاً للنقد والتعديل والتصويب فيكتب البقاء للأصح والأصلح من كثيرٍ يحاكيها موضوعٍ قبلا ، او مما يضع لها الناقد النزيه مستهدفاً وجه الصواب .

١ Analeptique مَنْعَشَة

وزان مفعلة من (نعَشه الله) كمنع ، رفعه كأنعشه . وفلاناً جبَرَه بعد فقرٍ . وانتعش العاثر ، انتهض من عثرته . أطلقتها على الأدوية التي تنعش .

٢ Archéologue قائف [١]

وهو (من يعرف الآثار كما في القاموس ، جمعه قافة) بدلاً من (عالم بالآثار) .

٣ Astic مِصْقَل

من (الصَّقْل) للقطعة العظيمة التي يَصقل بها صانعو الأحذية ، الجلودَ . والكلمة الافرنجية : (قطعةٌ من عظم الخيل تتخذ لصقل الجلد) .

٤ Bocale بُوقَال

وهو الكوز بلا عروة ، كما في القاموس . ولعل الكلمة الافرنجية مأخوذة من العربية لفظاً ومعنى وإنما خُصصت عندهم لقارورة زجاجية فوهاء (قطرميز) .

٥ Chélaté مُتَحَجِّن

من (حَجَن العود يحجُنه عطفه كحجّنه ... وفلاناً جذَبَه بالمِحْجن) : أطلقتها على الحالة التي تكون عليها الشاردة المعدنية متحجنةً ، أي مجذوبةً ، في الذرة الهيولية كأنها مشبوكة بالكُلاّب .

٦ Chélater حَجَّنَ

من الكلمة الآنفة ، للعمل الذي يتم به جذب الشاردة المعدنيـة في الذرة الهيولية .

٧ Chélation حَجْن ، تَحَجُّن

من الكلمة الآنفة . فنقول مثلاً : معقَّد أو مركَّب تحجني (Complex ou composé de -) لما ينتج عن معالجة المادة الهيولية بمحلولٍ معدنيٍ ما فتتحجَّن الشاردة المعدنية بها .

---

(١) القائف الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه والولد بأبيه وقيل للذي ينظر الى شبه الولد بأبيه قائف كما في لسان العرب . (لجنة المجلة)

٨ Crosse (Clubes) ميجار [١]

وهو شبه صولجان تُضرب به الكرة ، كما في القاموس (وهو غير المِطْثة [٢] التي تضرب بهـا كرة التنس) وهو الذي تضرب به كرة الجولف Golfe) .

٩ Couvents أركاح

وهي بيوت الرهبان ، كما في القاموس .

١٠ Démarche en draguant ; en fauchant نَعْشَلَة

هي أن يمشي مُفاجّاً ويقلّب قدميه كأنه يغرف ، كما في القاموس ، وهي خير من (مشية الجارف ، زَيَفان) اللتين يستعملهما بعض الزملاء .

١١ Démembrer مَزَّعَ

من (المُزْعة ، بالضم والكسر : القطعة من اللحم أو النُّتفة منه .

١٢ Dénaturation مَسْخ

من (مَسَخَه ، حوّل صورته الى أخرى أقبح . والمَسيخ ، المشوَّه الخَلْق . فنقول : (آحين مسيخ) أي تحوّلت طبيعته الأصلية الى أخرى ببعض العوامل الفيزيائية كالحرارة ؛ أو الكيمياوية بحمضٍ ما أو قلوي . وتقول (غَوْل مسيخ) أي مشوّه بما أضيف اليه من صبغ ازرق ونحوه لئلا يصلح إلا للخرق .

١٣ Désioniser خَسْرَدَ

نحتاً من (خسف ـ شرّد) للعمـل الذي يتم به خسف الشوارد من محلولٍ ما .

(١) جاء في معجم دوزي أن كلمة Crosse هي الجوكان .

(٢) المطثة Raquette الفرنسية والانكليزية مأخوذة من كلمة الراحة العربية .

(لجنة المجلة)

١٤ Eau - de - vie ماءٌ لاعِج

من (لَعَجَ في الصدر : خلَجَ ، والجلدَ أحرقه ، والبدنَ آلمه . وألعج النارَ أوقدها كما في القاموس) . وفي شرب الأشربة الغولية ما يؤجّج النار في البدن عامةً ويؤلمه . وليس هو (ماء الحياة) البتة كما يسميه بعضهم ترجمةً حرفية وكان الأجدر بهم أن يسموه (ماء الموت) إذ لم يبق ريب ـ بعد الدراسات والتجارب الحديثة ـ في سمّيّة الأشربة الروحية ومسخها الخلايا الحية والقضاء عليها .

١٥ Ebriété légère فُتار

وهو ابتداء النشوة ، كما في القاموس ، بدلاً من (نشوة خفيفة) .

١٦ Echantillonneuse مُنَمْذِجة

للآلة التي تقوم بعمل النمذجة ، اشتقاقاً من (النموذج) .

١٧ Elégance بِـكَـلَـة (١)

وهي : الزيّ والحال ، كما في القاموس ، وهي الأناقة والتنوّق .

١٨ Elégant بَـكيل

من الكلمة الآنفة . فيقال (جميلٌ بَكيل) أي متنوّق في لبسه ومشيه كما في القاموس . يرادفها : Chic ببعض معانيها (وبالانكليزية : Dandy) .

١٩ Fœtus جَنين

كما وضعَتْه لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب . وقد ورد ذكر (الأَجِنّة) في القرآن الكريم . والجنين هو الولد في البطن ، جمعه : أجِنة وأَجْنُن كما في القاموس ، لأنه مستور أي جنين وزان فَعيل الدالّ على مفعول كالجريح أي المجروح . والعجيب أن يوضع للكلمة الافرنجية :

(١) غلب ترجمة كلمة Elégance بالأناقة .

(لجنة المجلة)

(حَميل) . وهذه لها معان شتى . . . الدّعيّ – الغريب – الشّراك – الكفيل – الولد في بطن أمه اذا أُخذت من أرض الشّرك – ومن السيل الغُثاء – والمنبوذ يحمله قومه فيرمونه . فأي الكلمتين أولى بالتخصيص ؟ (الجنين) ذو المعنى الخاص بما في البطن أي الولد ؟ أم (الحَميل) ذو المعاني العديدة أي المحمول والمنبوذ والدّعيّ . . . الخ مما سردنا من معان ؟ ولا يصح استعماله للجنين إلا إذا كان في بطن أمه وأُخذتْ من أرض شركٍ بحسب النص الوارد في المعاجم . فما الذي حملهم على اتخاذ (الحميل) بدلا من (الجنين) إذن ؟ لم أهتدِ بعدُ الى الأسباب الوجيهة .

٢٠ Frémissement cataire رَعَس

وزان فعَل الدالّ على داء أو علة أو حال غير طبيعية . من (الرّعس) ، بالسين ، وهو الإرتعاش والإنتفاض (كما يشاهد في السنانير) . بدلاً من (ارتعاش سنّوري) ترجمةً حرفيةً .

٢١ Hémolyser (s') تَحَلْدَمَ

نحتاً من (حل – دم) على المطاوعة، للتحلل الذي يعانيه الدم بعوامل شتى .

٢٢ Hydroxy - acide حَمْضَميل

نحتاً من (حمض – مائيل) ويرادف كلمة Acide - alcool الجسم الذي يحتوي على وظيفة حمض وظيفة غول متزامنتين .

٢٣ Inféconde أريط

وهو العاقر أي لا يولد له ولد ، كما في القاموس ، وذلك لعدم إلقاحه وهو العقيم Stérile كذلك .

٢٤ Lyophylisation لَيْفَلَة ، تَذَوْبُج

الأولى ، تعريباً وهي حادثة انحلال أو ذوبان مع تهلّم ترادفها كلمة Hydrophile . والثانية : نحتاً من (تذوّب – انتباج) وهو ذوبان الغَرَويد وانتباجه في غير الماء كالبنزين مثلًا (يقابله الذوبان للبلوريات) .

٢٥ Pellicule تِبْرِيَة

وهي كالنخالة في أصول الشعر كما في القاموس . وهي أكثر ملاءمةً من (قشرة الرأس) ومن (هِبْرِية ؛ التي لها معان شتى ، ما طار من زغب القطن ـ ما طار من الريش ـ ما تعلّق بأسفل الشعر مثل النخالة من وسخ الرأس) . فالتبرية كالنخالة في أصول الشعر ، لا عن إتساخ في الرأس . فتخصص لما هو ذاتي طبيعي في الشخص .

٢٦ Phosphorylé مُفَصْرَل

تعريباً من (الفصرلة Phosphorylation) : للعمل الكيمياوي الذي يتم معه ادخال الفصفوريل ، مادةً عضوية ـ مثال : فصرلة الغلوكوز أي جعله (غلوكوز ـ فصفات) ، فالغلوكوز مفصرَل .

٢٧ Photo - chimique ضَوْكيمي

ما ينتج من التفاعلات الكيمياوية بتأثير أشعة الشمس المافوْسَجية .

٢٨ Pic شَعَفَة

وهي رأس الجبل ، ومن القلب رأسه عن معلّق النياط كما في القاموس . والكلمة الافرنجية كثيرة الاستعمال في الخطوط البيانية الإستشرادية ويقصد بها الذروة . فالشعفة اذن تلائم المعنى المطلوب ـ اصطلاحاً ـ من الكلمة الافرنجية تماماً .

٢٩ Raffinerie مَرْفَنَة

وزان مَفْعَلَة المكان ، من (الترفين raffinage) التي وضعتُها لما يراد به الحصول على المادة بأجود صورة وأنقاها بتكرار تصفيتها كترفين السكّر مثلاً أي تصفيته مراراً للحصول عليه بأجود حال . فالمرفنة إذن هي المكان أو المعمل الذي يتم فيه هذا العمل .

٣٠ Raffineur مِرْفَنَة

من الترفين أيضاً ، للآلة التي يُحصل بها على المادة بأجود حال .

٣١ Regression رَكْس

وهو الرجوع إلى الحالة الأولى . من Regressio اللاتينية أي العودة (retour) لما يرجع عوداً إلى بدءٍ .

٣٢ Rouleau du pâtissier مِرْقاق

وهو ما يُرقّ به الخبز (وهو الذي يُجمل به الرُّقاق ، بالضم ، أي الخبز الرقيق واحدته رُقاقة بالضم ، ولا يقال رِقاقة ، بالكسر ، فإذا جُمع قيل رِقاق بالكسر) . اما الشَّوبَق - وهو خشبة الخبّاز - فهو معرّب . وكذا (المِحور كمنبر وهو خشبة يُبْسَط بها العجين . وحوّر الخبزةَ هيّأها) . والمرقاق أخص .

٣٣ Sautoire مُرْسَلة

وهي قلادة طويلة تقع على الصدر ، كما في القاموس أطلقتها على ما تضعه النساء ، حديثاً ، من القلائد الطويلة حتى لتكاد تبلغ البطن بله الصدر .

٣٤ Serre صَرَّم ، مَصَرَّة

مصرة ، وزان مَفْعلة ، من (الصِّرّ وهو شدة البرد أو البرد كما في القاموس) ولعل الكلمة الافرنجية مأخوذة من العربية وخصصت المكان الذي تحفظ فيه النباتات شتاءً اتقاء البرد .

٣٥ Suffixe وَسْمَة

من (وَسَمه ، يسِمه) وهي أثر الكيّ أي ما يلحق منه في الموضع الموسوم . ومنه (سمة الجوازات) وهي علامة لاحقة للإذْن بدخول البلدة المقصودة . أُريدْ بها ما يزاد في آخر الكلمة . يقابلها (خَزْمة préfixe) (*)

(*) الخَزْمة ، من الخَزْم وهو زيادةٌ تكون في أول البيت في الشّعر . واصطلاحاً حرف يزاد في أول الكلمة كما هو المقصود من اللفظة الافرنجية أيضاً . مثال : proto - ortho - sesqui - bi - tri - poly . . . الخ . وهي خير من كلمة (الصَّدْر) التي يستعملها بعضهم ، لوفرة معانيها ، ولأنها لا تفيد الإلحاق والزيادة .

وكلمتنا خير من (الكاسعة) التي يستعملها بعضهم ولا تفي بالغرض لاختلاف معناها عن معنى اللفظة الافرنجية اختلافاً بيّناً . و (الكُسعة) بالضم هي النكتة البيضاء في جبهة كل شيء ، ولعلها أولى بأن تجعل لما يقابل (préfixe) التي فيها معنى (قبْل وأوّل) وذلك للزوم النكتة في جبهة كل شيء .

٣٦ Télévision مِبْصار

من (بَصُر به ككرم وفرح ، بَصَراً وبَصَارة ، صار مُبْصِراً . وقوله تعالى في سورة القصص : (فبَصُرت به عن جُنُب أي من بُعدٍ) . والمُبْصِر : الأسد يُبصِر الفريسة من بُعْدٍ فيقصدها) وهو المقصود من الكلمة الافرنجية . فالمِرآة : للرؤية عن قرب ، والمنظار : لرؤية النجوم السماوية Télescope ، والمبصار : لرؤية الأجسام المعروضة من بُعد .

٣٧ Thixotrope نَكُوس

من (نَكَسَ أي انقلب) صفة لهلامة تعود فتذوب بعد تهلّم . فيقال : هلامةٌ نَكوس أي قابلة للذوبان بعد التهلّم .

٣٨ Thixotropie نَكُوسية

من الكلمة الآنفة الذكر . صفة الجسم الهلامي الذي يتصف بها .

٣٩ Timon خَدّف

وهو سُكّان السفينة ، كما في القاموس ، اخترتها لإمكان الإشتقاق منها كما ترى في الكلمتين التاليتين .

٤٠ Timonier خَدّاف

وهو الذي يُدير السكان . وكلمة واحدة خير من (نوتي الإشارة) . ولا مانع من تخصيص (خدّاف) لما هو في الافرنجية (Homme de barre) .

٤١ Timonerie مَخْدَفة

على اسم المكان . فإن أُريد بالكلمة الافرنجية ، الصناعة ، فهي (الخِدافة) بدلاً من (مصلحة الإشارات) وفِعالة ، للصناعة كما هو معلوم .

٤٢ Toron قَلْس

وهو حبْل ضخم من ليفٍ أو خُوصٍ من (قَلْدُوس سفنِ البحر).

٤٣ Tremblant (de vieillesse) كَهِد

وزان (فَعِل) نعتاً. كالكَوْهَد وهو المرتعش كِبَراً. اما الرَّعُوس فهو من يرجُفُ رأسُه نُعاساً.

٤٤ Tremblement (de vieillesse) كَهَد

وزان فَعَل الدال على مرض أو حال غير طبيعية (من الكَوْهَد) وهو الإرتعاش كِبَراً. وكذا (السَّعْسَعَة) فهي اضطراب الجسم كِبَراً. أما الرَّعَسان، بالسين، فهو تحريك الرأس (خاصةً) كِبَراً.

٤٥ Verrat خَنْزُوَان

بفتح الخاء: وهو ذكر الخنازير.

الكواكبي

أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

- ٣ -

(٢٥)

مادة غ ر ب ـ مَغرِب

قال « وبين المغرب الأقصى (في الحساب الفلكيّ) والمغرب الأدنى مئة وثمانون مغرباً وكذلك بين المشرقين » . والصواب « من المغرب الأقصى إلى المغرب الأدنى مئة وثمانون مَغرِبا » أو « بين المغرب الأقصى والمغرب الأدنى مئة وثمانية وسبعون مغربا » . فالخطأ وقع بسبب استعماله « بين » بدلَ « مِنْ » وهو يُريد أن يشمل الأول والأخير في العدد . وإذا كانت « مِنْ » تصلح للشمول وعدم الشمول فالظَّرف « بين » لا يدلّ إلاّ على عدم الشمول .

* * *

(٢٦)

مادة غرب يغرُب .

هذه النبذة لا تبحث في خطإ بل تشير إلى تشبّث غير نافع يذكر مضارع غَرَب بضمّ الراء دائماً فيفهم الدارس أنّهُ لا يجوز إلاّ الضمّ يغرُبُ . على أن كسر الراء جائز بناءً على مبدإ شامل مفيد يُنسَب إلى الإمام عليّ وجميع المصنّفين الكبار من أصحاب المعاجم وسواهم أثبتوهُ في كتبهم وهو ان الفعل المفتوح العين في الماضي إذا لم تكن عينُهُ أو لامُهُ

حرفاً حلقيّاً ، لك أن تضمّ عينَهُ أو تكسرها في المضارع بشرط أن تحيد عن الأفعال المشهورة مثل يكتُبُ وينصُرُ ويضرِب وينزِلُ وهذا أمر طبيعيّ لأن المشهورة كثيرة الاستعمال لا يحتاج أحدٌ في ضبطها إلى إجهاد ذاكرته .

غرَبَ مفتوح العين في الماضي وعينُهُ ولامُهُ ليستا من أحرف الحلق . وهو ليس من رتبة كتب ونصر ونزل وضرب في الشهرة ولَهُ أكثر من معنى واحد ولكل معنى مرادف مثلُهُ في الشهرة أو أكثر مثل غربت الشمس وغابت وغرَب عنّا وغاب عنّا أو ابتعد أو اغترب . لذلك جاز في عينه الكسر وجواز الكسر لا يمنع من الضمّ مَنْ يفضّل الضمّ في النّطق . وجواز الكسر فيه فائدتان : الأولى : المَيْز بين مضارع مفتوح العين ومضارع مضمومها [غرُبَ كلامُهُ] فمضارع مضموم الراء في الماضي مضموم الراء حتماً لا اختيار فيهِ ولكن المفتوح العين في الماضي فيه اختيار منعاً للّبْس إذا شاءَ المتكلم - وهــذا توسيع من غير إخلال - الثانية : اسم المكان من غرَب (المفتوح) مَغرِب (بكسر الراء) - قال صاحب اللسان وغيرُهُ القياس فتح الرّاء ولكنهم قالوا بالكسر أي على غير قياس - وعلى غير قياس تعني شذوذاً . ولكنّ الواقع أنها على القياس - فإن كان اسم المكان من غرُب يغرُب مَغْرَباً (بالفتح) فشابه اسم المكان من غرُب يغرُبُ مَغْرَباً (بالفتــح) قالوا اسم المكان من غرَب يغرِبُ مَغْرِباً (بالكسر) فمغرِب جاءت بموجب القياس من غَرَبَ يغرِب (بكسر الرّاء في المضارع) ولِمَ نجمع بين اللّبس والقول بالشذوذ وفي الإمكان تجنبهما ؟ فلو قال غرُبَ يغرُب ويجوز فيــه الكسر لكان أجاد كلّ الإجادة .

* * *

(٢٧)

مادة سلع - السّلْعة

قال : « السّلعة بكسر السين الضَّواةُ وهي زيادة تحدث في الجسد مثل الغُدّة » فلو اكتفى لكان أحسن ولكنهُ شاءَ النقل عن الأزهري ... « وقال الأزهري هي الجَدَرة تخرج بالرأس وسائر الجسد تمور بين الجلد واللحم إذا حرّكتها (دَرَنَة) وقد تكون لسائر البـــدن في العُنُق وغيره وقد تكون من حِمّصَة إلى بطيخة » اهـ .

ما معنى قولِهِ « وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيرهِ » بعد أن قال « بالرأس وسائر الجسد » وفات الأزهري وابن منظور (والفيروزبادي مثلهما) ان يحدّدا حجم البطيخة أو وزنها فإن كانت يافاوية كانت معقولة وأما خربوطية فلا .

في مادّة س ل ع لا يذكر ابن منظور فعل أسْلَعَ : كأنْ يُقال أسلع الأمرُ فلاناً بمعنى صيّرهُ صاحب سِلَع (أموال) .

يقول المُسْلع صاحب السلعة - فيكون قد ذكر اسمَ الفاعل من فعلٍ لازمٍ لم يذكرْهُ وهو أسلَعَ أي صار صاحب سلعة - على أنهُ ورد في الكامل (وابن منظور يحترم المبرّد ويأخذ عنه) أسلَعَ (المتعدّي) أي صيّرهُ صاحب سِلْعة أي أغناهُ أو درّ عليه المال .

وقد يُسْلعُ المرءَ اللئيمَ اصطناعُهُ ويعتلُّ نقدُ المرءِ وهو كريمُ

يتبع : (سنبپولو) توفيق داود قربان

في دائرة المعارف الإسلامية

في اجتماع اللجنة التنفيذية لدائرة المعارف الإسلامية المعقود في لندن في الحادي والثلاثين من آب (أغسطس) سنة ١٩٦٤ قررت اللجنة بالإجماع انتخاب سيادة الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق عضواً مشاركاً .

ومن المعروف أن اللجنة أخذت تصدر طبعة جديدة لدائرة المعارف الإسلامية بالانكليزية والفرنسية مستعينة ببحوث صفوة من العلماء المستشرقين ومن العلماء المسلمين عرباً كانوا أو غير عرب .

أغلاط مطبعية وتصويبات

(الجزء الأول والثاني من المجلد ٤٠)

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٩٤	٧	بالشرابشية	بالشرابيشية
١٠٩	حاشية رقم (١)	السيرة النبوية	مغني اللبيب
٣٦٥	٧	كُشِت الكتانُ	كُشِث الكتانُ
		أصابه الكشوت	أصابه الكشوث
٣٦٨	١٣	سقط بعد «وهي أصلح» كلمتا : «والصحيح مَدَجَّة »	
٤٦٧	٤	الخُضْراوات	الخَضْراوات (بالفتح)
٤٨٠	١٣	خمسة عشرة سنة	خمس عشرة سنة

وجاء في الصفحة ٦٦٢ س : ٥ (الجزء الرابع من المجلد ٣٩) : كسب وصوابه : كشب .

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تموز (يوليو) سنة ١٩٦٥ م ٣ من ربيع الأول سنة ١٣٨٥ هـ

توحيد المصطلحات العلمية العربية

عندما أخذ علماؤنا ينقلون العلوم الحديثة الى لغتنا العربية في القرن الماضي كان أشق عمل يأتونه إيجاد مصطلحات عربية صحيحة أو سائغة لتلك العلوم . ومع تقدم العلوم واتساعها لم تقلّ تلك المشاق في زمننا هذا عنها في الزمن الماضي . ومنذ جعل التعليم يزداد انتشاراً في أقطارنا العربية ازداد عدد نقلة العلوم الحديثة وازداد معهم عدد المصطلحات العربية الموضوعة للمعنى العلمي الواحد حتى أصبح ذلك داءً من أدواء لساننا ، فلا غرابة بعد هذا أن يكثر في أيامنا هذه الداعون الى توحيد المصطلحات العربية للعلوم والفنون والمخترعات الحديثة .

وقد بدأت الحاجة الى توحيدها تُرى عياناً منذ أن انفصلت الشام والعراق وجزيرة العرب عن الدولة العثمانية عقب الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ — ١٩١٨ م) . ففي ذلك الزمن اتخذ العراق وسورية اللغة العربية لغة رسمية للتدريس في مدارس الحكومتين بدلاً من اللغة التركية .

وأنشأ العراق مدارس عديدة في عهد الملك فيصل الأول بن الحسين ، واحتاج الى الكثير من المعلمين والمدرسين فاستدعى معظمهم من سورية ومصر ولبنان . وهناك بدأ احتكاك بعضهم ببعض ، وبدأوا يشعرون جميعاً باختلاف المصطلحات العربية للمعنى الواحد ، لأن كل فريق منهم أتى بما عنده من تلك المصطلحات في قطره .

وازدادت بعدها وسائل الاتصال بين الشعوب العربية . وجعل طلاب الجامعات وتلاميذ المدارس الثانوية يتزاورون ويتباحثون في شتى العلوم المدرسية ، فلمسوا هم وأساتيذهم ، في أحاديثهم ، اختلاف المصطلحات العلمية العربية في أقطارهم المختلفة .

وعندما جلا الفرنسيون عن سورية سنة ١٩٤٦ ، وأغلقوا بعض مدارسهم ، أنشأت وزارة التربية والتعليم السورية مدارس حكومية بدلاً منها ، واحتاجت الى مدرسين ، فطلبتهم من القطر المصري . وأتذكر أن بعض المدرسين السوريين كانوا يختلفون هم وزملاؤهم المصريون على بعض المصطلحات ويسألونني عن رأيي فيها ، وكل من الفريقين يتعصب لمصطلحاته ، لأنها هي التي تعلمها في مدارس قطره .

وللمحامين العرب مؤتمرات يعقدونها ويدخلون المصطلحات القانونية وتوحيدها في جملة بحوثهم . ومن أشباه ذلك أعمال مؤتمرات الجمعية الطبية المصرية ، واجتماعات لجنة المواصلات الدائمة في جامعة الدول العربية ، ومؤتمرات الأدباء ، ومؤتمرات الاتحاد العلمي العربي ، ومساعي الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، ومساعي مكتب التعريب الدائم في الرباط ، وقرارات مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية في مدينة الجزائر الخ .

فمن الواضح أن الشعور بضرورة توحيد المصطلحات العلمية أصبح شعوراً عاماً في بلادنا العربية . ولكن ما هي الوسائل التي يجب اتخاذها لبلوغ هذا الغرض ؟ إن تحديد هذه الوسائل وطرائق اتخاذها هما بيت القصيد

في هذا البحث . فمن المؤكد عندي وعند العارفين بهذا الموضوع أن توحيد المصطلحات العلمية العربية لا يتم جدياً إلا بإيجاد أداة مستقلة تعمل على تصنيف معجم إنكليزي عربي (ومعجم إفرنسي عربي) المصطلحات العلمية في نطاق مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وبالوسائل التي ذكرتها منذ عشر سنين في الطبعة الأولى من كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » ، وأجملتها في الجزء الأول من المجلد ٣٢ من هذه المجلة .

وكنت منذ سنة ١٩٥٤ ذكرت هذه الوسائل في بحث عنوانه « توحيد المصطلحات العلمية في البلاد العربية » ألقيته في الدورة الحادية والعشرين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ونُشر في الجزء الحادي عشر من مجلة المجمع المشار اليه .

وأنا على يقين من أن الأسس التي يقوم عليها هذا البحث لا تزال أصلح أسس يمكن الاعتماد عليها في بلوغ الغرض الذي نسعى اليه ، أما بعض التفصيلات الواردة فيه فمن الممكن تحويرها على حسب الوضع والحاجة .

وهاكم ما كنت قلته في البحث المذكور :

وسائل توحيد المصطلحات : (١)

لا بد ، قبل البحث عن وسائل توحيد المصطلحات ، من القول بأن وضع المصطلحات نفسه سيظل ، مدة طويلة من الزمن ، عملاً من أعمال الأفراد ، لا من أعمال المجامع اللغوية والعلمية وحدها . ومتى كان الأمر على ما ذكرت ،

(١) الطبعة الأولى من كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ص ١٢٩ ـ ١٣٥ ، والطبعة الثانية ، دمشق سنة ١٩٦٥ ص ١٤١ ـ ١٤٧ .

يكون من المحتم حصول اختلاف على الألفاظ العربية الدالة على معنى علمي واحد ، لأن لكل عالم من علمائنا القادرين على وضع المصطلحات رأياً خاصاً في معالجة كل لفظة علمية أعجمية ، كاللجوء ، في نقلها إلى العربية ، إلى الترجمة أو الاشتقاق أو النحت أو التركيب المزجي أو التعريب . ثم إن أذواق هؤلاء العلماء تختلف أيضاً . فكلمة (Amibe) مثلاً سميتها النغّاضة في معجمي . وسماها الأب أنستاس المُتَمَوِّرة . وقبل مجمع مصر الكلمة الأخيرة . فإذا بي أقرأ رأياً لأحد الأساتيذ يقول فيه : « ان اصطلاح المتمورة مخالف للذوق اللغوي ، ومن الوحشي ، والأميبة تفضله » . فما هو الذوق اللغوي هذا على الضبط ؟ ومن هو الذي يستطيع تفضيل ذوق زيد على ذوق عمرو في موضوعات كهذه ؟ وما هي شروط التحلي بهذا الذوق ؟ وهل يكفي الذوق وحده للعدول عن كلمة عربية إلى كلمة أعجمية ؟ (١) .

كل ذلك يحتاج إلى أداة حكيمة فعالة للترجيح يمكن الركون إلى رأيها ، وتخضع الحكومات العربية والأفراد من العلماء والأساتيذ لحكمها . فما هي أداة الترجيح هذه يا ترى ؟ وما هي الطرائق التي يجب أن تتبعها لكي تحصل لنا في مدة وجيزة على جملة كافية من المصطلحات العربية الراجحة في مختلف العلوم

(١) تحضرني في موضوع الذوق نكتة جرت في حديث لي مع الفقيد الأستاذ أحمد أمين ، فقد استثقل مرة كلمة الكَنَهْوَر ، وهي تدل على المتراكم من السحاب . فقلت له إنك يا صاح تستثقلها ، عندما تلفظها مفردةً . ولكن ضعها في مكانها بين أسماء الغيوم في كتاب علمي ، تبدُ لك غير ثقيلة ؛ بل ضعها في مكانها في النثر الأدبي ، حتى في الشعر ، تبدُ لك سائغة . فلقد قلتُ ايام الشباب من قصيدة لي عنوانها « حنين الى القاهرة » :

أين الكَنَهْوَرُ في جوّ الشآم إذا كانونُ هاجَ أعاصيراً تُنادينـا
من رائق الجوّ في مصر وقد نَسَمَتْ وَرَيَّا تداعب في الروض الرياحينـا

فضحك ، رحمه الله ، وقال : من الواضح أن الأعاصير والبرد القارس في شهر كانون عندكم تحتاج إلى مثل كلمة الكنهور . فقلت وهو كذلك !

المصرية ، ولكي تحمل الأقطار العربية كافةً على استعمال تلك المصطلحات من دون غيرها ؟

إن أول الأسماء التي تتبادر إلى ذهننا اسم مجمع اللغة العربية في مصر . فهذا المجمع قد تفرد منذ سنين بمعالجة شؤون اللغة العربية ومصطلحاتها . ثم ان مقره في عاصمة أكبر قطر عربي ، حيث يوجد أكبر عدد من العلماء باللغة العربية وبالمصطلحات العلمية ، وحيث تكثر المراجع التي يستعان بها .

ولكن الغرض الذي ننشده هو عمل قومي كبير لا تكفي في تحقيقه وسائل المجمع المتيسرة له ، ولا السبل التي يسلكها في وضع المصطلحات ونشرها في البلاد العربية .

وقبل أن نبحث عن الوسائل التي نراها ناجعة في تحقيق غرضنا ، لا بد من تحديد هذا الغرض على وجه الضبط . فنحن نريد :

(١) أن يكون في الأقطار العربية معجم إفرنسي عربي ، ومعجم إنكليزي عربي للمصطلحات العلمية والفنية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة ، يشتملان على أصح الألفاظ العربية أو أرجحها ، مما يُحتاج اليه في التعليم الثانوي وفي قسم من التعليم العالي على الأقل ، على أن تعرّف ألفاظهما بالعربية تعريفاً علمياً مختصراً دقيقاً يناسب حجم كل من المعجمين .

(٢) ونريد أن تلتزم الحكومات العربية استعمال ألفاظ المعجمين العربية دون غيرها ، في إداراتها ومحاكمها ومدارسها الرسمية والأهلية .

(٣) ونريد أخيراً أن يتم وضع المعجمين في بضع سنين أي في مدة قصيرة .

ويتضح من كلامي هذا أن هنالك ثلاثة عوامل لا بد من توافرها في الأداة التي يُطلب منها تحقيق هذه الرغبات ، وهي :

(١) إمكان الحصول على أموال كافية .

(٢) الاستعانة بأكبر عدد من الاختصاصيين بالمصطلحات العلمية العربية لقاء تعويضات عادلة .

(٣) التأثير في الحكومات العربية .

فمجمع القاهرة لا تتوافر فيه هذه العوامل في أيامنا هذه ، لأن موازنته محدودة ، ولأنه لا يجوز أن تتحمل الحكومة المصرية وحدها نفقات هذا العمل الكبير ، وأخيراً لأن المجمع يُعَدّ مجمعاً مصرياً ، ولا يشترك اليوم في أعماله إلا ثلاثة أعضاء عاملين من البلاد العربية [١] . فمن الطبيعي أن لا يكون قادراً على حمل الحكومات العربية والعلماء العرب في أقطارهم على استعمال المصطلحات التي يضعها مهما تكن حسنة ، لأن الأثرة في البشر داء ليس من السهل التغلب عليه . وفي هذه الحال يظل الاختلاف على المصطلحات قائماً ، وتظل الحاجة إلى توحيدها تحز في نفوسنا .

ولا بد لنا إذن من النظر إلى المشروع نظرة قومية شاملة فيظل مجمع القاهرة هو الأداة التي تسعى لتحقيقه ، على أن تمده الدول العربية كافةً بالمال ، وعلى أن يستعين على إتمام العمل ، في مدة قصيرة ، بجهود أكبر عدد من علماء الأقطار العربية الصالحين لهذا العمل .

ومجلس جامعة الدول العربية هو في نظري أصلح أداة تضمن إشراك دول الجامعة بالنفقات اللازمة لتنفيذ المشروع . ويتوقف تنفيذه إذن على قيام تآزر وثيق بين مجمع اللغة العربية ، والأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، ورهط الاختصاصيين بالعلوم ومصطلحاتها. والطريق التي أرى أن تُسلكَ هي:[٢]

(١) تؤلف لجنة مشتركة من المجمع ومن الأمانة العامة للجامعة ، (الإدارة الثقافية)، فتضع تقريراً محكماً في ضرورة تصنيف المعجمين، وفي الطرق التي يجب سلوكها لإتمامها في بضع سنين ، وفي مقدار المال اللازم لهذا العمل .

---

(١) كان ذلك قبل قيام الجمهورية العربية المتحدة وإدخال عشرين عضواً عاملاً من البلاد العربية في المجمع (عدا أعضاء مجمع دمشق) .

(٢) هذا رأي علمتنيه التجارب سواء في الحكومة السورية أو في مجلس جامعة الدول العربية ولجانه . ولا أجزم صحة هذا الرأي . ولكني لا أعرف رأياً آخر يفضله في أيامنا هذه . ويا ليت العلماء الأثبات ورجال الدولة المحنكين فينا يدلون بما قد يكون عندهم من آراء صائبة ووسائل عملية تفضي إلى تحقيق هذه الأمنية .

(٢) تعرض الأمانة العامة للجامعة هـذا التقرير على مجلس الجامعة . وفي عقيدتي أن المجلس سيقر المشروع ، ويقر تخصيص المال الضروري له بلا تسويف ، لأن جميع الدول العربية تقدر أهميته ، ولا تحجم عن الاشتراك في نفقاته . وقد لمستُ ذلك مرات في أحاديثي مع كثيرين من ممثلي الدول العربية في مجلس الجامعة .

(٣) عندما يحصل المال في صندوق الأمانة العامة للجامعة يحوَّل دفعةً واحدةً إلى صندوق المجمع ، على أن يُفتح له حساب خاص مستقل غير تابع لقيود وزارة المالية و « لوائحها » .

(٤) تؤلف في المجمع لجنة تسمى « لجنة معجم المصطلحات العلمية » أو « لجنة المعجم الأعجمي العربي » يكون لها شخصية اعتبارية واستقلال مالي . وهذه اللجنة هي التي تنظر في شؤون تصنيف المعجمين ، وفي الإنفاق على هذا العمل ، على أن يشرف عليها رئيس المجمع وكاتب سره ، وعلى أن يكون لأمين الجامعة العام حق الإشراف على نفقاتها .

(٥) تعمد اللجنة إلى معجم أعجمي كمعجم لاروس مثلاً ، فتجرد ألفاظه ، وتستخرج منها المهم من الألفاظ العلمية ، وتفصل بعضها عن بعض على حسب العلوم . وهذا العمل صعب . وهو من أهم أعمال اللجنة .

(٦) توزع اللجنة المواد الأعجمية المذكورة بين علماء الأمة العربية في مختلف أقطارها ، سواء أكانوا من أعضاء المجامع اللغوية والعلمية ، أم من أساتيذ الجامعات القادرين على وضع المصطلحات العربية ، أم من الأفراد الذين اشتهروا بالتخصص بعلم من العلوم ومصطلحاته . وتطلب اللجنة اليهم وضع أصلح ما عندهم من ألفاظ عربية مقابل تلك الألفاظ الأعجمية ، مع تعريف كل لفظة بالعربية تعريفاً علمياً موجزاً [1] .

(١) للتعريف العلمي الذي يناسب حجم المعجم قواعد دقيقة لا بد من إرشاد واضعي المصطلحات العربية اليها .

ويتم هـــذا العمل بموجب عقد بين المجمع والأفراد الاختصاصيين ، لقاء تعويض عادل ، على حسب أهمية كل عمل من حيث الكمية ، ومن حيث السهولة أو الصعوبة . ويجب أن تحدد اللجنة مهلة معلومة ينهي فيها كل اختصاصي عمله .

(٧) كلما أنهى أحد الاختصاصيين عمله ، يبعث المجمع بنسخ منه إلى حكومات دول الجامعة العربية ، طالباً منها عرض المصطلحات على علماء تلك الدول ليبدوا ملاحظاتهم عليها في مدة محدودة .

(٨) وبعد انتهاء تلك المدة تستدعي لجنة المعجم واضعي المصطلحات العربية ، وتناقشهم هي وخبراء المجمع في كل لفظة ، حتى يستقر الجميع على أصلح الألفاظ العربية .

(٩) تُعرض نتائج الأعمال كلها تباعاً على مجلس المجمع فيقر الألفاظ العربية وتعريفاتها العلمية بعد المناقشة فيها بحضرة الاختصاصيين واضعي الألفاظ وخبراء لجان المجمع .

(١٠) يُعرض المعجم كاملاً على مؤتمر المجمع لإقراره . ولا يتناقش أعضاء المؤتمر إلا في ألفاظ مهمة اختلف عليها الفنيون وأعضاء المجمع .

(١١) المجمع هو الذي يطبع المعجم (أو المعجمين) وينشره في الأقطار العربية بثمن بخس ، أو يبعث إلى كل دولة من دول الجامعة بنسخ كافية منه بالمجان ، وهي تتولى بيعه بثمن زهيد لقاء مشاركتها في نفقات تصنيفه .

والحكومات العربية التي ترى أنها قد شاركت مالياً وعلمياً في وضع المعجم تكون ميالة" طبيعياً إلى فرض ألفاظه على مؤلفي الكتب المدرسية ، وعلى إدارات الحكومة ، وعلى المحاكم ، وعلى كل مالها سلطة عليه من المؤسسات العامة . أما الأدباء والصحافيون فانهم يستعملون ألفاظ المعجم عندما لا يجدون ما هو أصلح منها .

ومع هذا ربما مست الحاجة إلى طبع المعجم طبعة منقحة ومزيدة في كل بضع سنوات .

(١٢) لا بد لإتمام المعجم في دقة وسرعة من منح العاملين في تصنيفه عوضاً عن أتعابهم ، سواء في ذلك أعضاء لجنة المعجم ، أو الاختصاصيون واضعو الألفاظ ومحققوها ، أو خبراء المجمع أو أعضاء مجلس المجمع ، أو غيرهم ممن يستعان بهم . ويتفق رئيس المجمع والأمين العام للجامعة على أسس منح التعويضات المذكورة .

هذا هو رأيي في أسرع طريقة وأنجعها لتصنيف معجم أعجمي عربي في المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة ، وفي فرضه حكومياً أو أدبياً على البلاد العربية . [١]

وآمل أن لا أكون ، في بيان هذا الرأي بشيء من الإسهاب ، كصاحب جرة الزيت ، أو كالذي يسلخ الدب ويتمتع بفروته ، قبل أن يقتله ! فأنا أريد من صميم قلبي أن أكون متفائلا ، وأن أقول مع القائل :

مُنىً إن تكن حقاً تكن أحسن المنى … وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

أو أقول مع الآخر :

إكذِبِ النفسَ إذا حدثتَها … إن صدق النفس يُزْرِي بالأمل[٢]

مصطفى الشهابي

---

(١) من المعلوم أن تصنيف هذا المعجم يجب أن يسبق تصنيف الموسوعة (دائرة المعارف) ، إذ لا كبير فائدة في موسوعة مصطلحاتها العلمية العربية سقيمة أو مرجوحة أو غير صحيحة .

(٢) من المشجيات القول بأنه بعد مرور عشر سنين على إلقاء هذه المحاضرات وطبعها طبعة أولى في القاهرة لم تُتبع الوسائل التي ذكرتها أو ما يشبهها في صنع المعجم الملمع اليه ، بل عُقد في مدينة الجزائر في سنة ١٩٦٤ مؤتمر سمي مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية أوصى بأن تتخذ جامعة الدول العربية الوسائل الآيلة الى توحيدها فتأمل !

لسان بشّار

لم يكن بشّار في جملة الذين خلقهم الله تعالى في أحسن تقويم ، فالذي تناهى الينا من صورته أنّه كان ضخماً ، طويل القامة ، عظيم الخلق والوجه والهامة ، أسجح الخدّين ، تامّ الألواح ، مجدوراً ، جاحظ المقلتين ، قد تغشّاهما لحم أحمر ، أقبح الناس عمىً ، وأفظعهم منظراً ، ولا شكّ في أن سحنة مثل هذه السحنة قد حملت أهل عصره على العبث به ، فكان بعضهم يشبّهونه بالكلب وبشرّ من الكلب ، ويرون أن ريح الخنزير أهون من ريحه ، أو كأنه فيل عرضه أثقل من طوله ، أو إذا تبطّح في دهليزه فكأنه جاموس لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حرّكته من موضعه .

وكما عبثوا به من ناحية صورته فقد عبثوا به من ناحية حسبه ونسبه ، فهو مرّة غير زاكي الفرع في نظرهم ومرّة غير معروف الأصل ، وقد أعانهم على ذلك صنعة أبيه الذي كان طيّاناً يضرب باللبن ، وتهاون أمه به التي باعته بدينارين ، فما كان أرخص سعره وأغلى شعره !

ولم يكتفوا بالطعن على بشّار من هذا الأفق وحده ، فقد امتدّوا إلى أفق من أخلاقه ، فرأوا فيه كثرة التلوّن في ولائه ، مرّةً يتعصّب للعجم ، ومرّة يفتخر بولائه في بعض القبائل ، ثم يتبرّأ من ولاء العرب .

وقد زاد في تمادي الناس في السخرية منه طرز إنشاده ، فكان إذا أنشد صفّق بيديه وتنحنح وبصق عن يمينه وشماله .

ولعلّ ما رآه من أهل عصره جعله يتبرّم بالناس حيناً وبنفسه حيناً ، فقد كان ضيّق الصدر ، حتى قال : الحمد لله الذي ذهب ببصري لئلاّ أرى ما أبغض !

فكيف كان أسلوبه في معاملة الناس وهو على مثل هــذه الحال من التعرض لعبثهم وسخريتهم وطعنهم وما شابه هذه الأمور ، ما هي الفلسفة التي اختارها لنفسه في هذه المعاملة ، أيميل إلى الرفق واللين فيساير ويجامل ويداهن ، أم يميل إلى الشدّة والخشونة فيسلّط لسانه على من تحدثه نفسه بالتنادر عليه حتى يسلم من شرّ الناس وحتى يأمن غوائلهم ؟

انّا نجد أن الناس في مثل هذه الحال التي كان عليها بشّار طبقتان : طبقة تجنح للسلم ، فتتحبّب إلى الجماعات ، وتصانعهم وتظهر الودّ لهم وتستقبلهم بما يحبّون ، فلا تخاشنهم ولا تعامرهم ولا تجابههم بما يكرهون ، فتنجو على هذا الشكل من أذاهم ، وربما أنشأ لهم هذا السلم شيئاً من الحرمة في الصدور أو المحبّة في القلوب ، وطبقة تختار الحرب وقد رسخ في أذهان أصحابها سوء الظن بلؤم البشر ، فلا تسمع شراً إلاّ جابهت بشرٍّ منه ولا يتطاول عليها متطاول إلا كانت أشدّ تطاولاً عليه ، فلا تغضي على كلمة خبيثة ولا تغضّ الطرف في عبث أو سخرية أو طعن ، فيخافها الناس في الظاهر ويتجنّبون شرّها ويبعدون عن الوقوع في ألسنتها ، فتسلم على هذا النحو من كل مكروه .

من أيّة الطبقتين كان بشّار ؟ إذ أنه لم يكن له بدّ من سلاح يحصّن به نفسه من الناس الذين يحيطون به ، لم يكن له بدّ من شيء يدفع به عن نفسه شرّ ما يسمع ويؤلمه سماعه .

لم يؤثر بشّار فلسفة السلم في معاملة الناس وإنما مال إلى الغلظة في القول والخشونة في الجواب ، فالقاعدة التي طبّقها في شعره طبّقها في حياته ، لمّا قيل له : انك كثير الهجاء قال : اني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضبع الشاعر من المديح الرائع ، ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللئــام على المديح ، فليستعد للفقر ، وإلاّ فليبالغ في الهجاء ليُخاف فيُعطى .

لجأ بشّار في شعره إلى الهجاء المؤلم طمعاً في الإكرام ، فقد كان دهره في معتقده دهر اللئام ، فالهجاء كان سلاحه في حمل اللئام على إكرامه ، فما الذي لجأ اليه في حياته الخاصة طمعاً في السلامة من عبث العابثين وضحك الضاحكين وسخرية الساخرين ؟

اعتمد بشّار في هذه الحياة على سلاطة اللسان ، فقد رزقه الله تعالى لساناً مثل المبرد أو أحدّ ، وأعطاه ورآء هذا اللسان الطويل سرعة الجواب وقوة الحجة والظرف وخفة الروح والسخرية ، فلم يكن ثقيل الظل على الرغم من قبح منظره ولا كان جامد الهواء ، كان جوابه في كل فرصة تمرّ على طوف لسانه ، لم يتهيب أمراً من الأمور ولا مجلساً من المجالس حتى كان الناس يخافونه ويتقون شرّه ولو كانوا في طبقة الأخفش أو سيبويه ، وكذلك كان يهابه الشرفاء ويخشون معرّة لسانه .

فلنسمع شيئاً من سلاطة لسانه ؟ لم يسلم من هذه السلاطة أصدقاؤه أنفسهم ، قال له أحدهم مرّة يمازحه : إن الله لم يذهب ببصر أحد إلا عوّضه بشيء ، فما عوّضك ؟ قال : الطويل ، العريض ، قال : وما هذا ؟ قال : أن لا أراك ولا أمثالك من الثقلاء .

كيف لا يتبرم بشّار بالناس وفيهم من يذكّره ذهابَ بصره ، أيُّ شيء أشدّ على الأعمى من هذا التذكير ، وكيف لا يستقبل الناس بمثل جوابه الخبيث ، فلا ريب في أن مثل هذا الجواب قد يمنعهم من الرجوع إلى أشباه هذه السؤالات المؤلمة .

وإذا كان الأعمى يألم من التعريض بذهاب بصره فكذلك الشاعر يألم من التعريض بسرقته الشعر ، سوآء أكانت هذه السرقة صحيحة أم كانت باطلة ، فقد أنشد بشّار مرّة بيتاً من الشعر فاتّهمه رجل بأخذه هذا البيت من قول أشعب ، فكيف كان جواب بشّار في هـــذه التهمة ؟ قال : إن كنت أخذت هذا من قول أشعب فانك أخذت ثقل الروح والمقت من الناس جميعاً ، فانفردت به دونهم .

فهل يجسر أحد بعد جواب من هذا النوع على أن يتهم بشاراً بسرقة إن كان قد سرق ؟

وكما كان يتبرم بالثقلاء فقد كان يتبرم بالبلهاء ؛ ربّما أتاه منهم من يسأله عن منزل من المنازل ، فيذكره له ويفهمه فلا يفهم ، فيأخذ بشّار بيده ويقوّمه إلى المنزل وهو يقول :

أعمى يقود بصيراً لا أبا لكم قد ضلّ من كانت العميان تهديه

حتى إذا صار بشّار إلى المنزل قال للسائل : هذا هو منزله يا أعمى !

هذه طائفة من جوابات بشّار المؤلمة في مجالس الثقلاء والبلهاء ، فكيف كانت حاله لو لم يرزقه الله لساناً طويلاً وهو من هو في قبح المنظر ؟

لم يرحم بشار المغفّلين حتى في مجالس الخلفاء ، وحتى لو كان لهؤلاء المغفّلين صلة رحم بالخليفة ، فما قولنا في رجل هو خال المهدي يسأل بشاراً في مجلس المهدي عن صناعته بعد أن فرغ من قصيدة كان ينشدها ويمدح بها الخليفة ، كيف يكون بشّار في مثل هذا السؤال ، أيسكت عن الجواب حرمةً للخليفة والسائل خاله ، أم يجرّد لسانه ، فيجري على طبعه ، فلا يبالي بالخليفة ، لمّا قال له السائل : يا شيخ ما صناعتك ؟ قال بشار : أثقب اللؤلؤ ! فلم يتمالك المهدي من الضحك على الرغم من السخرية من خاله ، ثم قال لبشّار : أتتنادر على خالي ، قال بشّار : وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى ينشد الخليفة شعراً ويسأله عن صناعته !

لقد نفعت سلاطة اللسان بشّاراً في كثير من المواقف ، فإذا كانت نجّته من ثقل الثقلاء وبلاهة البلهاء فقد مهّدت له سبيلا إلى قضاء حاجاته في بعض الحالات . انه لما حضر باب الأمير محمد بن سليمان قال له الحاجب : اصبر ، فقال بشّار : ان الصبر لا يكون على بلية ، فقال له الحاجب : إني أظن أن وراء قولك هذا شرّاً ولن أتعرض له ، فقم وادخل ، وهكذا نجد أن كلمة واحدة قد سهّلت لبشار أمره ، فلم يطل وقوفه على

باب من أراد الدخول عليه ، لقد فطن الحاجب إلى ما ورآء كلام بشّار من شرّ فأنقذته فطنته من هذا الشرّ . ويظهر ان بشاراً كان إذا هاجه أحد درّت أوداجه فترتعد فرائص من كان ينوي أن يطأطىء منه لقبح منظره وعظم جثّته ، ويقشعر جلده ويعظم بشار في عينه حتى يقول في نفسه : الحمد لله الذي أبعدني من شرّه !

وقد صحب سلاطة لسان بشّار شيء من سرعة الجواب ؛ فاذا رفع غلامه اليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم صاح به بشّار وقال : والله ما في الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدئت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أُجرة من يجلوها عشرة دراهم !

ولم تخل سرعة جواباته في بعض الأحيان من قوة الحجة ؛ نازعه رجل في اليمانية والمضرية ، فأذّن المؤذن خلال هذه المنازعة ، فقال بشار للرجل : رويداً تفهم هذا الكلام ، فلما قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله قال بشار : أهذا الذي نودي باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مضر هو أم من صُداء وعكّ وحمير ، فسكت الرجل .

وإذا كان بشّار خبيث اللسان ، سريع الجواب ، قوي الحجة ، يخافه الناس ويتهيبونه فلم يكن تهيبه الناس أقل من تهيّب الناس ايّاه ، ولكن من هم الناس الذين كان يبالي بهم ، هل كانوا من طبقته أم كانوا من طبقة لا تدانيه ؟ كان بشّار يخاف الناس الذين هم دونه في الشعر أو في غير الشعر ، فمن هو أبو الشمقمق إذا قيس ببشّار حتى يعطيه كل سنة مائتي درهم خوفاً من لسانه وقد جاء في بعض السنين وقال له : هلمّ الجزية يا أبا معاذ ! فقال له بشار : ويحك ، أجزية هي ؟ هل أنت أفصح مني ، أم هل أنت أعلم مني بمثالب الناس ، أم هل أنت أشعر مني ، فيعترف أبو الشمقمق بأنه دون بشّار في الشعر ولكنه يهدّده بالهجاء ثم يندفع في هجائه ، فيخاف بشار ويمسك فاه ويدفع اليه مائتي درهم ثم يقول له : لا يسمعن هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق !

يعلم بشار موقع الهجاء ويعلم عبث الصبيان به إذا بلغهم شيء من هذا الهجاء فيسترضي أبا الشمقمق ويعطيه ما عوّده عطاءه خوفاً من أن يقع في لسانه وألسنة الصبيان في الأزقة .

وإذا قلنا ان أبا الشمقمق شاعر وقد يهجو بشاراً ويشيع هجاؤه في الناس ، ولكن من هو حمدان الخرّاط حتى يخافه بشار ، كان حمدان يتخذ جامات للناس بالبصرة يصوّر لهم فيها صور طير تطير ؛ وكان بشار يجلس عنده في بعض الأحيان ، فسأله أن يتخذ له جاماً فيه صور طير تطير ، فاتخذه له وجاءه به ، إلاّ انه لم يصور فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنه يريد صيدها ولم يعلم حمدان بأن بشاراً كان هذا مراده ، فغضب بشار وقال له : علمت أني أعمى لا أبصر شيئاً ، وهدّده بالهجاء ، فقال له حمدان : لا تفعل فانك تندم ، فقال بشار : أو تهدّدني أيضاً ، فقال حمدان : نعم ؛ فأحب بشّار أن يعلم ماذا يستطيع أن يصنع به إذا هجاه ، فلما قال له حمدان : أصوّرك على باب داري بصورتك هذه وأجعل خلفك قرداً يفعل بك ما يفعل حتى يراك الصادر والوارد ، فخاف بشار وقال : أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجدّ !

أيّ مزاح هذا ؟ إن بشاراً لم يخطر بباله مزاحه ولكنه لمّا رأى ما عزم عليه حمدان إذا هو هجاه خاف ما خاف من معرّة الصورة وتنادر الناس عليه فكفّ عن الهجاء وذهب في سبيله .

وسوآء أكان بشّار خبيث اللسان ، أم كان سريع الجواب ، وسوآء أكان يخافه الناس أم كان يخاف الناس ، انه لم يخل من الظرف وخفة الروح . لا ريب في انه كان يشعر بضخامة جسمه ولكنه تجاهل هذه الضخامة وصوّر جسمه في صورة بلغت من الرقة المبالغ ؛ فما قولنا في رجل يشبهونه بالفيل وبالجاموس فيقول بعد هذا التشبيه :

إن في بُرْديّ جسماً ناحلاً لو توكّأت عليــه لانهدم

وهو يعلم كل العلم أنه لو توكأ على هذا الجسم جبل بحضيضه ورأسه لما هدم ناحيةً منه ، أفلا نرى في هذه المناقضات ظلاً من خفة الروح ؟

ومن هذا الشكل تفسيره لبعض أسماء أو ألفاظ في شعره غير معروفة ، فقد كان يحشو شعره إذا أعوزته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها . أنشد يوماً شعراً له فقال فيه :

غنّني للغريض يا ابن قنان !

فقيل له : من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغنّي البصرة فقال : وما عليكم منه ، ألكم قبله دين فتطالبوه به ، أو ثأر تريدون أن تدركوه أو كفلت لكم به ، فإذا غاب طالبتموني بإحضاره ؟ إنه رجل يغنّي ولا يخرج من بيتي فيقولون له : إلى متى ، فيقول : مذ يوم ولد وإلى يوم يموت !

ومن هذا النوع ورود لفظ البردان في شعره ، فيقول له الناس : أين البردان هذا ، لا نعرفه بالبصرة ، فيقول : هو بيت في بيتي ، سميته : البردان ، أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه !

إنّا لا نشك في أن الذين سألوه هذه السؤالات لم يكن همّهم معرفة حقيقة الألفاظ التي وردت في شعره ، وانما كانوا يؤمنون بظرف بشّار وخفة روحه ، فكانوا يسألونه أمثال هذه السؤالات ليسمعوا الجوابات التي سمعوها ؛ وهذا دليل على أنهم كانوا يولعون بممازحته وبمجالسه طمعاً في خفة ظلّه .

الاّ أن وراء هذه الروح الخفيفة سخرية قد تكون لطيفة حيناً وقاسية حيناً ، فما قولنا في شاعر من طبقة بشّار يقول شعراً يميل القلوب ويلين الصعب مثل قصيدته الرائية :

قد لامني في خليلتي عمرُ واللوم في غير كنهه ضجر

وفيها ما فيها من محاسن وصف القبلة والعضّة واللمسة والمصّة ، أو من وصف الساق والكف والشفة ، أو من وصف لحية بشار وقوته ، أو من

خوف الخليلة التي يتغزل بها من لسان أمّها ، ما قولنا في شاعر ينظم مثل هذه القصيدة التي هي من أرق الشعر فتظهر فيها على خليلة بشّار آثار العضّ واللمس والمصّ فتخاف هذه الخليلة من أمّها إذا وقعت عينها على هذه الآثار ، وتقول لبشار :

كيف بأمي إذا رأت شفقي ... أم كيف إن شاع منك ذا الخبر
قد كنت أخشى الذي ابتليت به ... منك فماذا أقول يا عُبُر

فيقول لها بشّار :

قولي لها : بقّـــة لها ظفر ... إن كان في البق ما له ظفر !

أيّ سخرية أرق من هذه السخرية ، فما معنى قرص البقة بعد عضّات بشّار ولمساته ومصّاته وخشونة لحيته ، أيّ سخرية ألطف من ذكر البقة في حالٍ مثل هذه الحال !

وقد يسخر أحيانا من نفسه سخرية لطيفة لا قساوة فيها ، فقد سألته بنته : يا أبت ! مالك يعرفك النـــاس ولا تعرفهم ، فقال لها : كذلك الأمير ، يا بنيّة !

أيّ أمير هذا ؟ والناس يعيشون بنسبه وبأصله وفرعه ، اللهم الاّ إذا أراد : أمير الشعر !

وإذا كانت سخرية بشّار في هذه المقامات ليّنة فلم يكن لسخريته في المقامات التاليه مثل هذا اللين ، حتى في دار المهدي ، فقد كان في هذه الدار مولىً من موالي المهدي يسأل الناس وهم ينتظرون الإذن : ما عندكم في قول الله عزّ وجلّ : وأوحى ربّك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ، فيقول له بشّار : النحل التي يعرفها الناس ، إلاّ أن ذلك المولى لم يعجبه جواب بشّار فأحبّ أن يفسّر وأن يُغرب في التفسير ، فقال لبشّار : هيهات يا أبا معاذ ! النحل : بنو هاشم ، وقوله :

يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس يعني : العلم . فهل يسكت بشّار عن مثل هذا التفسير الغريب ؟ انه لا يسكت ولو كان في دار المهدي ، فإن سخريته على طرف لسانه ، وهي هذه المرّة مؤلمة ، قال لذلك المولى : أراني الله طعامك وشرابك وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم !

أيُّ سخرية أشد من هذه السخرية ولمّا حدّثوا المهدي بالقصة ضحك حتى كان يمسك على بطنه من شدة الضحك .

ومثل هذه السخرية المؤلمة ما اتصل بنا علمه في موت حمار بشّار ، لمّا مات هذا الحمار رآه بشّار في النوم فقال له : لِمَ متّ ؟ ألم أكن أحسن اليك ، فقال له الحمار أبياتاً وردت في جملتها لفظة : الشيفران ، فسأل بشاراً أحد الناس : ما الشيفران ، فقال بشار : ما يدريني ، هذا من غريب الحمار فإذا لقيته فاسأله .

فقد أصبح للحمير في عصر بشار لغة خاصّة وفي هـذه اللغة بعض الغريب ، فإذا لم يفهمه أحد فليسأل الحمير عنه !

ورجال السخرية والعريقون فيها يحبونها ولو كانت السخرية منهم ، قالت امرأة لبشار : أيّ رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ، فقال بشار : أما علمت أن بيض البزاة أثمن من سود الغربان فقالت المرأة : أمّا قولك فحسن في السمع ، ومن لك أن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع ، فكان بشار يقول بعد هذا الجواب : ما أفحمني قط غير هذه المرأة .

واذا تسامح الناس في قوارص السخرية واحتملوها في بعض أمورهم فانهم لا يحتملونها في أمور الدين ، فقد قالوا في بشّار انه يدين بالرجعة ، ويكفر جميع الأمة ، ويصوّب رأي ابليس في تقديم النار على الطين وإن

كان ورد في آخر ترجمته في الأغاني ما يدلّ على حسن ايمان بشّار ، إلاّ أن هذا الأمر خارج عن موضوع المقال ، فان الذي يهمنا في هذا المقام سخريته ؛ وقد امتدت هذه السخرية في بعض الأوقات إلى أمور تتصل بالدين فاذا غنّت جارية وطرب بشّار لم يتذمم من أن يقول : هذا الغناء أحسن من سورة الحشر .

وإذا تحاور رجلان في شيء وأدّى هذا التحاور الى التشاتم ، فشتم أحدهما أمّ الآخر وغضب المشتوم من شتم أمه دخل بشّار بينهما وقال للمشتوم : والله لو كانت أمك أمّ الكتاب ماكان بينكما من المصارمة هذا كله .

وإذا وصف قاصّ من القصّاص قصراً من قصور الجنة ، صحنه ألف فرسخ في مثلها وعلوّه ألف فرسخ ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرة فراسخ في مثلها قال بشّار إذا سمع هذا الوصف : بئست والله الدار هذه في كانون الثاني !

وإذا نهق حمار في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار التي يكون فيهـــا بشّار فارتجّت الناحية وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل يدقّها بها دقاً شديداً قال بشار : نفخ يعلم الله في الصور وقامت القيامة !

وإذا فزعت شاة في السطح فقطعت حبلها وعَدَتْ فألقت طبقاً وغضارة إلى الدار ، فانكسرا وتطاير حمام ودجاج كنّ في الدار لصوت الغضارة وبكى صبيّ في الدار قال بشّار : صحّ والله الخبر ، ونشر أهل القبور من قبورهم ، وأزفت يشهد الله الآزفة ، وزلزلت الأرض زلزالها ، فيعجب السامعون من هذا الكلام وربما غاظهم .

أو إذا حضر الظهر والعصر والمغرب ولم يصلّ بشّار وقيل له في ذلك فيقول : ان الذي يقبلها تفاريق يقبلها جملة !

هذه نماذج من سخرية بشّار في أُمور تتصل بالدين ، وإذا كانت هذه السخرية تنطوي على النكتة أكثر من انطوائها على شيء من الاستخفاف فإن بعض الناس كانوا لا يحتملونها وربما غاظتهم .

كيف كانت عاقبة هذا اللسان الطويل ، لا بل كيف كانت عاقبة هذه الروح وهذه النكتة وهذه السخرية ؟ لقد كانت من أفجع العواقب ، لمّا اتهم بأنه يؤذّن وهو سكران ، وأمر بضربه بالسوط ، بان الموت فيه فألقي في سفينة ، فحمله الماء فأخرجه الى دجلة ، فأتى به أهله ، فدفنوه ، فأخرجت جنازته ، فما تبعها أحد إلاّ أَمَة سوداء سندية عجماء ما تفصح تصيح خلف جنازته : وا سيداه ! وا سيداه !

وأفجع من ذلك أنه لما نُعي إلى أهل البصرة تباشر عامّتهم وهنأ بعضهم بعضاً وحمدوا الله وتصدقوا لما كانوا منوا به من لسانه !

يا بؤس ميتٍ لم يبكه أحد أجل ولم يفتقده مفتقد !

شفيق جبري

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط

ومحمد صلاح الدين الكواكبي

(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ٩ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٤٩٣٢	انخفاض قُبّة القَحف	Enfoncement de la voûte du crâne	4932

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بانخساف عظام الجمجمة . وجاء في التعريف : انخفاض بعض عظام جمجمة الحميل وقت الولادة . وأفضل ترجمة اللجنة .

٤٩٣٤	تداخل الرأس (قبالة)	Engagement de la tête (obs.)	4934

وأقر مجمع اللغة دموج الرأس .

٤٩٣٥	تداخل انطباقي (قبالة)	Engagement synclitique (obs.)	4935

وأقر مجمع اللغة دموج التزامل . وجاء في شرح التزامل (Synclitisme) انطباق محور الجزء الناتىء من الحميل على محور الحوض . وترجمت اللجنة لفظة (Synclitisme) بتوازي السُّطوح (اللفظة ١٣٠٥٦) أيضاً .

٤٩٣٦	شَتَرث ، حُمامى ، خَصَر	Engelure, érythème pernio, pernion	4936

وأقر مجمع اللغة الخُصار [١] أيضاً ، وجاء في التعريف : حكة وحامى موضّعة في الأصابع والأباخس والأذنين . ولا أرى مسوغاً لاستعمال لفظة حُامى وحدها هنا بعد أن خصصت اللجنة استعمال اللفظة ترجمة لـ (Erythème) (اللفظة ٥١٧٦) وأرى الاكتفاء بالشَّرَث دون غيرها .

٤٩٣٧ تجمّع ، كتّل — 4937 Englober

وأرجح تجمّع واشتمل على .

٤٩٣٨ تورّم الغُدد — 4938 Engorgement ganglionnaire

والصحيح تورم العُقَد ، فقد ترجمت اللجنة لفظة (ganglion) بعقدة (اللفظة ٦١٤٩ وما يليها) . وتخصص الغدة ترجمة لـ (glande) .

٤٩٣٩ إمتلاء (أو فيض) اللّبن إمتلاء الثّدي ، حَشَك — 4939 Engorgement laiteux mammaier, rétention lactée

وأرجح تحفّل [٢] الثدي باللبن وحَشَك [٣] وأقر مجمع اللغة ثدي حافل . وأهملت اللجنة ترجمة اللفظة الأخيرة وهي احتباس اللبن .

٤٩٤١ مَذِل — 4941 Engourdi, ie

٤٩٤٢ مَذَل ، ذُهُول — 4942 Engourdissement, torpeur

وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بخدر لأن لمذل معنى آخر يدعو للالتباس [٤]

---

(١) في اللسان : الشَّرَثُ غِلَظُ الكف والرِجْل وانشقاقها وقيل هو تشقّق الأصابع . وقيل غلظ ظهر الكف من برد الشتاء . وقد شرِث شرثاً فهو شرِث وقد شرِثت يده لشرَث . وفي اللسان : والخَصَر بالتحريك البرد يجده الإنسان في أطرافه . الخَصِر الذي يجد البرد . وخَصِر الرجل إذا آلمه البرد في أطرافه يقال خَصِرت يدي وخَصِر يومنا اشتد برده .

(٢) في اللسان : حَفَل اللبن في الضّرع يحفِل حَفْلاً وحُفولاً وتحفّل واحتفل اجتمع وحَفَّله هو وحفّله ، وضرع حافل أي ممتلىء لبناً .

(٣) في اللسان : الحَشَك شدة الدِرّة في الضّرع وقيل سرعة تجمع اللبن فيه .

(٤) في اللسان : المَذَل الضَجَر والقلق ، مَذِل مَذَلاً فهو مَذِل والأنثى مَذِلة . والمَذِل الباذل لما عنده من مال أو برّ وكذلك إذا لم يقدر على ضبط نفسه ، وجاء فيه أيضاً : ومَذِلت رجله مَذَلاً ومَذْلاً وامْذَلّت خدِرت .

والثانية تخدّر وهمود أو خمود ترجمة لـِ (Torpeur) . وليس للفظة ذهول (١) أن تفي بالمعنى المطلوب .

4944 Engourdissement du sens tactile مذَلَ حاسة اللمس ٤٩٤٤

وأرجح فتور (٢) حاسة اللمس .

4955 Enlever les ovaires, couper castrer un animal femelle جَبَّ المبيضين، ضَهَى ، أضهى ٤٩٥٥

وأرجح ترجمة اللفظة بسَلّ المبيضين أو نزعهما أو جبهما ولا أرى لزوماً لاستعمال ضهى وأضهى (٣) .

4958 Enragé , ée كَلِبٌ ٤٩٥٨

ومَسْعورٌ (مصاب بالسُعار) .

4960 Enrhumer (s') زُكِم ، خُبِط ٤٩٦٠

والصحيح زكم فقط (٤) وأرى في لفظة خُبِط ما يوقع في الالتباس (٥) .

---

(١) في اللسان : الذّهل تركك الشيء تناساه عن عَمْد أو يَشْغَلك عنه شُغُل تقول ذَهَلْت عنه وَذَهِلْت وأذهلني كذا كذا عنه . وفي التنزيل العزيز : « يوم تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت » .

(٢) في اللسان : الفَتْرَة الانكسار والضعف وفتر الشيء والحر وفلان يَفْتُر ويَفْتِر فُتوراً وفُتاراً سكن بعد حدّة ولان بعد شدة .

(٣) في اللسان : السّل انتزاع الشيء وإخراجه في رفق ، سلّه يسُلّه سلاً واستلّه فانسل وسلّلْه استلّه سلاً . أقول وقد سبق لأطباء العرب استعمال اللفظة في انتزاع الخصيتين . في اللسان : الجبّ القطع . جبّه يجُبُّه جبّاً وجباباً واجتبه وجب خصاه جباً استأصله . وخصي مجبوب بيّن الجباب . والمجبوب الخصي الذي قد استؤصل ذكره وخصياه وقد جُب جباً .
في اللسان : امرأة ضَهْياء لا يظهر لها ثدي وقيل هي التي لا تحيض . الضَهْيأ والضهَياء من النساء التي لا تحيض ولا ينبت ثدياها ولا تحمل وقيل التي لا تلد وإن حاضت ، ضهيت تضهى . أقول ولم أعثر في اللسان على صيغة المتعدي من فعل ضَهيت ، ولا يوجد ضهي باعتبار الأمر خاصاً بالنساء .

(٤) الصفحة ٥٩٥ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) في اللسان : والخُبْطة كالزكمة تأخذ قبل الشتاء وقد خُبِط فهو مخبوط ، والخُباط بالضم داء كالجنون وليس به وتخبّطه الشيطان وتخبّطه .

٤٩٦٧ مجموع حالات سريرية أفادت في بيان طبي | 4967 Ensemble de cas cliniques ayant servi à une communication médicale

وأرجح مجموع حوادث سريرية اشتملت عليها نشرة طبية أو مقال طبي .

٤٩٨٢ رَحْضٌ مِعَوي | 4982 Entéroclyse

وحُقْنة[1] . لأن المقصود من اللفظة كما جاء في معجم بلاكستون[2] : حقن أحد السوائل في المستقيم لأجل التغذية أو العلاج أو التنظيف . بينما الرحض[3] هو الغسل فقط .

٤٩٨٣ التهاب المِعي والقولون | 4983 Entéro - colite

وأقر مجمع اللغة : التهاب الأمعاء (الدقاق والغلاظ) .

٤٩٨٩ قِمَعٌ للترشيح الحار | 4989 Entonoir à filtration chaude

قِمَعٌ وقِمْعٌ (وهذه هي اللفظة الدارجة والمشهورة) .

٤٩٩٣ وثي ، مَلْخ | 4993 Entorse , distorsion , foulure

وأقر مجمع اللغة : الوثء والوثي والمَلْخ .

٥٠٠٣ متبلات ، مُخَلِّلات الطّعام | 5003 Entremets

ويعنى باللفظة ما يقدم من أحد ألوان الطعام قبل الحلوى أو الفاكهة ، فليس هو من المتبلات أو التوابل ، ومخللات يفهم أحد أنواع التوابل أيضاً ، لذا أرجح ترجمة اللفظة بما يتخلل الوجبة .

---

(١) في اللسان : والحُقْنة دواء يُحْقَن به المريض المُحْتَقِن ، واحتقن المريض بالحُقْنة ومنه الحديث : انه كَرِه الحُقْنة هي أن يعطى المريضُ الدواءَ من أسفله وهي معروفة عند الأطباء .

(٢) معجم بلاكستون في لفظة (Enteroclysis) : Blakiston's New Gould Médical Dictionary

(٣) في اللسان : الرّحض الغسل . رَحَض يده والإناء والثوب وغيرها يَرحضُها ويَرْحَضُها رحضاً غسلها .

٥٠٠٦ عَلْهَصَة ، فَصْع 5006 Enucléation

والصحيح القلع أو النزع أو الاستئصال . لأن المعنى الاشتقاقي لهذه اللفظة هو نزع النواة من الثمرة ، ثم أصبح معناها الدارج القلع والاستئصال وليس للفظتي علهصة (١) ولا فصع (٢) أن تفيا بالغرض .

٥٠٠٧ عَلْهصة ، بَخْص العَيْن 5007 Énucléation du globe oculaire

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بنَقْف المُقْلة . وعندي أن بَخْص (٣) المقلة أفضل من نقفها (٤) . إذ المقصود من اللفظة هو اقتلاع المقلة أو نزعها .

٥٠١٦ إنزِياب ، إنقِشاب ، إندِعاف 5016 Envenimation, enveniment

وأرجح الانسمام بسُم الأفعى أو زبيبها .

٥٠٢٠ نَسْر الظُفر 5020 Envie de l'ongle

وأقر مجمع اللغة السَّأف (٥) وجاء في التعريف تشقق البشرة حول الظفر .

٥٠٢٢ خَميرة ذَوّابة 5022 Enzyme, ferment soluble

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بأنزيم .

---

(١) في اللسان : العِلْهاص صمام القارورة ، عَلْهَص القارورة إذا استخرج صمامها .

(٢) في اللسان : فَصَع الرُّطَبَة يفصَعُها فصعاً وفصَّعها إذا اخذها بإصبَعيه فعصرها حتى تنقشر وكذلك كل ما دلكته بإصبَعيك ليَلين فينفتح عما فيه .

(٣) في اللسان : البَخْص مصدر بَخَص عينَه يبخصُها بخصاً أغارها الى أن قال وبَخَصْت عينَه ابخَصُها بخصاً إذا قلعتها مع شحمتها ، بخص عينَه وبخزَها وبَخَسها كله بمعنى فقأها .

(٤) في اللسان : النَّقْف كسر الهامة عن الدماغ ونحو ذلك كما يَنْقُف الظليم الحنظل عن حبه ، ونَقَفْت الحنظل أي شققته ونقف الرّمانة إذا قشرها ليستخرج حبَّها وانتقفت الشيء استخرجته .

(٥) في اللسان : سَئِفت يدُه تسأف سأفاً فهي سَئِفة وسأفت سأفاً تشقّق ما حول أظفاره وتشعّث . وقال يعقوب : هو تشقُّق في أنفُس الأظفار .

في اللسان : والنَّسْر لحمة صلبة في باطن الحافر كأنها حصاة أو نواة وقيل هو ما ارتفع في باطن حافر الفرس من أعلاه وقيل باطن الحافر والجمع نُسُور .

5023 Epaississement, v. condensation ٥٠٢٣ تكثيف ، انظر تكاثف

وأرجح ثخن أو غلظ تاركاً تكثيف ترجمة لـ (Condensation) كما فعلت اللجنة (اللفظة ٣٠٠٥) .

5024 Épaississement de la plèvre, Callosité de la plèvre ٥٠٢٤ كثافة غشاء الجنب ، جسء غشاء الجنب

وأرجح ثخن الجنبة [١] أو غلظها وصلابة [٢] الجنبة .

5028 Epancher, décharger. répandre ٥٠٢٨ إنصب ، انسكب

وأرجح ترجمة اللفظات الثلاث تباعاً : انصب ، انطلق وانتشر .

5029 Epargneur d'albumine ٥٠٢٩ مُمْسِك الآحين ، مُدَبِّر الآحين

والصحيح مستبقي الزلال [٣] (كما أقره مجمع اللغة) أو مُدَّخِره أو (مُوَفِّره) ، وليس في الأمر إمساك ولا ضبط ولا تدبير .

5038 Epices ٥٠٣٨ أبازير ، أفاويّة

أبازير وأفاويه (لعله غلط مطبعي) وتوابل .

5040 Epidémicité ٥٠٤٠ اجتياحية ، حالة الوباء المجتاح

5041 Epidémie ٥٠٤١ جائحة

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الثانية بوباء وتكون الأولى وبائيـــة أو جائحية لا اجتياحية .

5055 Epidural, ale, sus-durmérien, enne ٥٠٥٥ عَجُزي ، فوق الأمّجافية

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بخارج الجافية [٤] .

---

(١) كما أقرها مجمع اللغة انظر الصفحة ٢٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : جسأ الشيء يجسأ جسوءاً وجسأة فهو جاسيء صلب وخشن ، ولا أرى حاجة لاستعمال هذه اللفظة القاموسية مكان الصلابة .

(٣) الصفحة ٦٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) الصفحة ٤٦٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٥٠٦٢ صَرْعٌ مُدَنْدِنٌ 5062 Epilepsie marmottante

ويقصد بهذه اللفظة أحد أنواع الصرع الذي يتخلل النوبة لفظ المصروع كلمات غير مفهومة لذا أرجح صَرْع التَغَمْغُم (١) .

٥٠٦٥ صَرْعي الشكل 5065 Epileptiforme

وأقر مجمع اللغة صَرْعاني .

٥٠٧١ شوك اللَوْح 5071 Épine de l'omoplate

وأقر مجمع اللغة عَيْر الكتف (٢) .

٥٠٧٣ مُشاشة 5073 Epiphyse

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بكُردوس (٣) وكلاهما صحيح وأفضل الكردوس (٤) .

٥٠٧١ سَرَطان ظِهاري قاعدي الخلايا، رصفي انبوبي ملبيغي غيرمثالي 5079 Epithélioma baso - cellulaire , pavimenté , tubulé , malpighien atypique

وأقر مجمع اللغة ترجمة لفظة (Epithelioma) بورم الظِهارة وبسرطان الظهارة في موضع آخر . ولعلّ الأولى هي الفضلى باجتناب لفظة السرطان المخيفة . لذا فإني أرجح أن تكون الترجمة ورم الظهارة القاعدي الخلايا ، الرصفي ، الأنبوبي الماليغي اللانموذجي .

---

(١) في اللسان : الغَمْغَمة والتغَمْغُم الكلام الذي لا يُبيَن .
في اللسان أيضاً : الدَّندَنة أن تسمع من الرجل نغمة ولا تفهم ما يقول وقيل الدَّندنة الكلام الخفي .

(٢) في اللسان : وكل عظم ناتىء من البدن عَيْر ، وعَيْر القدم الناتىء من ظهرها .

(٣) في اللسان : الكراديس رؤوس العظام واحدها كُردوس وكل عظمَيْن التقيا في مَفْصِل فهو كردوس نحو المَنكِبَيْن والركبَتَيْن والوَرِكين .

(٤) المُشاش رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين . قال الجوهري والمُشاشة واحدة المُشاش وهي رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغها .

5082 Épithélioma mélanique ، سَرطان ظِهاري قتامي ٥٠٨٢
mélanoma malin ورم قتامي خبيث

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Melanine) بميلانين فتصبح الترجمة ورم الظهارة الميلاني ورم ميلاني خبيث .

5083 Épithélioma ، سَرَطان ظهاري مخاطي أو شبغري ٥٠٨٣
muqueux ou coloïde , سرطان شبغري أو هلامي
cancer colloïde ou gélatineux

وأقر مجمع اللغة ورم الظِهارة المخاطي أو الغرواني، سرطان غرواني أو هلامي .

5084 Épithélioma naevique, سرطان ظِهاري خالي، سرطان ٥٠٨٤
naevo - carcinome خالي غُدي

ورم الظِهارة الشامي سرطان شامي كا أقرها مجمع اللغة .

5085 Épithélioma séminifère ، سَرَطان ظِهاري مَنَوي ٥٠٨٥
Séminome ورم مَنَوي

وأقر مجمع اللغة ورم الظِهارة النُطفية .

5094 Epreintes قُداد ٥٠٩٤

والصحيح زَحير [١] . إذ المقصود من اللفظة الألم الشديد يشعر به العليل المصاب بالزُحار أو التهاب القولون قبل التغوط [٢] . وليس للفظة قُداد أن تدل على ذلك [٣] .

---

(١) في اللسان : الزحير والزُحار والزُحارة إخراج الصوت أو النَفَس بأنين عند عَمَل أو شدة . والزُحار داء يأخذ البعير فيزْحَر منه حتى ينقلب مُرْمه فلا يخرج منه شيء . والزَحير تقطيع في البطن يُمَشّي دماً . الزحير استطلاق البطن وكذلك الزحار . ومن الشائع ترجمة (Dysentérie) بزحار .

(٢) معجم غارنيه ودولامار في لفظة (Epreintes) : M. Garnier et Vet Delamare, dictionnaire des Termes Techniques de Médecine .
وكذا في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي .

(٣) في اللسان : والقُداد وجع في البطن وقد قُد .

5123 Epulide , épulie , épulis ثَبْعَة ، ورم لثَوِي ٥١٢٣

وأرجح ورم لثَوي . وإن جاز له أن يتكون من صفاق الفك أو العظم نفسه ، وليس للفظة ثبعة أن تفي بالمعنى المطلوب ولا سيما وانها لما تستدعي الالتباس بورم الشفة (١) .

5134 Equipotentiel , elle متساوي الكُمُون ٥١٣٤

متكافىء الكمون أو الجهد الكهري كما أقرها مجمع اللغة (٢) .

5135 Equivalence تساوي القيمة ، تعادل القيمة ٥١٣٥

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بتكافؤ .

5146 Ergot de seigle مِهْمَاز الجَوْدر ، أرغوت ٥١٤٦

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بإرغوت وأرجح دابرة الشَّيْلَم أو ارغوت الشَّيْلَم على مهماز الجودر باعتبار الأخيرة لفظة تركية (٣) .

5151 Eration إنتِكال ، تحات ، قَرْض ، سَحْج ٥١٥١

وأقر مجمع اللغة لفظة تحات وحدها .

5154 Erotomanie مَسٌ شَبَقي ٥١٥٤

وأرجح الوَلَع الجنسي ، وسبق للجنة أن ترجمت كاسمة (Manie) بهَوَس وإدمان واعتياد (٤) .

---

(١) في اللسان : بَثِمت الشفة تبثَم بَثَماً وتبثَّمت غلُظ لحمها وظهر دمها . وشفة كاثِمة باثِمة مُمتلئة مُحمَرّة من الدم ورجل أبثم ، شفته كذلك ، وشفة باثِمة تنقلب عند الضحك . ولِثَة باثِمة وبَثوع ومُبثَّمة كثيرة اللحم والدم والاسم منه البَثَم . قال الأزهري بَثِمَتْ لِثَــة الرجل تبثَم بُثوعاً إذا خرجت وارتفعت حتى كأن بها ورماً وذلك عيب .

(٢) الصفحة ٢٩٦ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

(٤) هوس الشراب (اللفظة ٤٣٠٣) إدمان مُم ، اعتياد مم (اللفظة ١٣٥٣٧) .

5165 Eruption , exanthème اندفاع ، طَفْح ٥١٦٥

وأقر مجمع اللغة طفح (ج طفوح) وجاء في التعريف : آفة جلدية ظاهرة ناتجة عن أمراض عامة كالحميات تميزها غالباً ، واللفظة الثانية نَمَش .

5167 Éruption des dents إسنان ، نبت الأسنان ٥١٦٧

وأرجح إثغار (١) .

5176 Érythème aigu infectieux , érythème simple marginé , mégalérythème , cinquième maladie حُمامى حادة مُخمجية ٥١٧٦

وأرجح حمامى حادة انتانية أو عفنة (٢) ، وحمامى بسيطة هامشية ، الحُمامى الكبيرة أو المتسعة ، المرض الخامس . وقد أهملت اللجنة ترجمة الألفاظ الثلاثة الأخيرة .

5177 Érythème annulaire حُمامى دائريّة ، حَلَقيّة ٥١٧٧

وأرجح حُمامى حَلْقية لا حَلَقية (ولعله خطأ مطبعي) .

5180 Érythème émotif حُمامى تهيُّجيّة ، تأثرية ٥١٨٠

وأفضل حُمامى انفعالية .

5183 Érythème induré de Bazin حمامى بازن الصُّلْبة ٥١٨٣

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالحمامى الجاسئة وجاء في التعريف : عجيرات تحت الجلد تتقرح قروحاً نخرة تشاهد عادة في حماة الساق وقليلاً على الفخذين والذراعين .

5185 Érythème noueux , dermatite contusioforme , urticaire tubéreuse حُمامى عَقِدة ،التهاب الجلد الرَّضي الشكل ، شَرَى عَجَري ٥١٨٥

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالحُمامى العجرية . وجاء في التعريف :

---

(١) الصفحة ٢٩١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٩٥ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

التهاب جلدي حاد يتميز بعجيرات حمراء حساسة مؤلمة وخصوصاً على الظنبوب ناتجة عن ارتشاح الدم والمصل .

٥١٨٦ حمامى كثيرة الأشكال Érythème polymorphe 5186

وأقر مجمع اللغة حمامى متعددة الشكل . وجاء في الشرح : مرض حاد معد مصحوب بصداع تظهر فيه على الجلد بثور وبقع وعجيرات .

٥١٨٨ قوباء الأرفاغ الفطرية Erythrasma 5188

وأرجح إحمرار الأرفاغ [١] . وما يعنى بهذه اللفظة مرض جلدي يتأتى عن أحد الطفيليات يستقر في نواحي الأربية والصفن والإبطين بادياً باندفاعات حمر أو الى الصفرة مع تقشر [٢] . وليس للفظة قوباء أن تشير الى ما تقدم [٣] كما أن اللجنة قد استعملت قوباء ترجمة لـ (Impetigo اللفظة ٧١٠٨) .

٥١٨٩ إحميرار الدم ، ازدياد الكُرَيراوات ، داء فاكز Erythrémie, polycythémie maladie de Vaquez 5189

وأرجح احمرار الدم ، فرط الكريات الحمر ، داء فاكز .

٥١٩٠ داء الجِذْعيات الكُرَيراويّة ، وجود كريراوات مُضْغية . Erythroblastose 5190

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Erythroblaste) بالبدائيات الدموية ، فتصبح ترجمته داء البدائيات الدموية .

---

(١) في اللسان : الرُّفْغ والرَّفْغ أصول الفخذين من باطن وهما ما اكتنفا أعالي جانبي العانة عند ملتقى أعالي بواطن الفخذين وأعلى البطن وهما أيضاً أصول الإبطين .

(٢) معجم Blakiston's في لفظة (Erythrasma) .

(٣) في اللسان : وتقوّبَ جلده تقلّع عنه الجَرَب وانحلق عنه الشعر وهي القُوبة والقُوَبة والقُوباء والقُوَباء . والقُوباءُ والقُوَباء الذي يظهر في الجسد ويخرج عليه وهو داء معروف .

5191 Erythrocyanose des jambes, jambe hypo-·génitale, œdème stru-·meux ou asphyxique symétrique des jambes (des jeunes filles) — حَمَزْرَقَة السّاقين ؛ خَزَب الساقين السّلعي أو الاختناقي المتناظر (في البنات الفتيات) ٥١٩١

وأرجح زرقة الساقين الحمراء ، ساق القصور الجنسي (وقد أهملتها اللجنة) وذمة الساقين (أو اوديما كما أقرها مجمع اللغة) الاسترومية (كما أقرها مجمع اللغة معرّبة) أو الاختناقية المتناظرة (في الصبايا) .

5192 Érythrocytes achromatiques hématies décolorées — كُرَيراوات نَواصٍ ، كريراوات مُبَوَّصة ٥١٩٢

وأرجح كريات حمر غير ملوّنة ، كريرات حمر فاقدة اللون .

5193 Érythrocytes basophiles — كُرَيراوات محبة الأساس ٥١٩٣

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Basophiles) بمستقعدات وجاء في الشرح هي الكريات التي تألف الأصباغ القاعدية ، فتصبح ترجمة اللفظـــة كريات حمر مستقعدة .

5194 Érythrocytes non arrivés à maturité, immatures — كُرَيراوات غير بالغـــة النضوج ، فِجّة ٥١٩٤

وأرجح كريات حمر غير ناضجة .

5195 Érythrocytes orthrochro-·miques — كُرَيراوات مُعْتَدِلة اللون ٥١٩٥

والأفضل كريات حمر سويّة اللون .

5196 Érythrocytes polychro-·matiques — كريراوات كثيرة الألوان ٥١٩٦

وأرجح كريات حمر متعددة اللون .

5198 Erythrocytose primitive داء الكُرَيراوات البدئية ٥١٩٨
maladie d'Escudero داء اسكوديرو

والصحيح كثرة الخلايا الحمر البدئية كما أقرها مجمع اللغة ، وليس للكريات الحمر البدئية أي صلة بهذه الحال المرضية ، داء اسكوديرو .

5199 Erythrœdème épidémique, dermato - polynévrite, polynévrite pellagroïde, acrodynie infantile, tro-phoder matonenrose, maladie de Swift - Selter - Feer, pink disease maladie rose ٥١٩٩ حُمامى خَزَبيَّة وبائية ، التهاب الجلد والأعصاب المديدة ، داء سويفت ـ سِلْتر ـ فيِر ، داء وردي

وأرجح الوذمة الحمراء الوافدة ، التهاب الجلد والأعصاب المديدة ، التهاب الأعصاب المديدة نظير البللاغرا (وقد أهملتها اللجنة) ألم النهايات الطفلي المؤلم (أهملتها اللجنة أيضاً) الداء الجلدي العصبي الاغتذائي (لم تترجمه اللجنة) ، داء سويفت ـ سلستر ـ فير ، الداء الوردي .

5200 Erythromélie, acro-dermatite chronique atrophiante, maladie de Pick - Herxheimer ٥٢٠٠ حُمامَى حُضْورِيَّة ، التهاب الجلد المنتشر المزمن المُضَمِّر ، داء بيك هركزايمر

وأرجح احمرار النهايات ، التهـاب جلد النهايات المنتشر المُضَمِّر ، داء بيك هركزهايمر .

5203 Escarre, eschare, croûte de gangrène sèche ٥٢٠٣ خشكريشة ، قِشْرة المُوات الجاف

أرجح خشكريشة وقشرة الغانغرينا الجافة .

5204 Escarre de décubitus, nécrose de décubitus, décubitus aigu, ulcère décubital — ٥٢٠٤ خشكريشة الاستلقاء، نخرة الاستلقاء، قرحة الاضطجاع

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بقروح الفراش .

5207 Espace, étendue — ٥٢٠٧ فراغ، فضاء، مُتَّسَع

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بحَيِّز .

2508 Espace épidural — ٥٢٠٨ فراغ عَجُزِي، فوق الأجافية

حَيِّز خارج الجافية كما أقرها مجمع اللغة (١) .

2511 Espace intermédiaire, intervalles, interstice — ٥٢١١ فَضاء مُتَوَسِّط، خِلال، فُرْجة

وأرجح حَيِّز متوسط، فواصل وخِلال تاركاً لفظة فرجة ترجمة لِـ (Hiatus) وقد أقرها مجمع اللغة .

5212 Espace interscapulo - vertébral, région hilaire — ٥٢١٢ فُرْجة بين اللوح والفِقار ناحية نَقيرِيّة

وأرجح الحيز بين اللوح والفقار، ناحية سرة الرئة .

5218 Espace pleural complémentaire, sinus de la plèvre, cul - de - sac pleural — ٥٢١٨ فُرْجة غِشاء الجنب المتممة، جيب الغشاء الجنبي رتج غشاء الجنب

وأرجح حيز الجَنَبة (٢) المتمم جيب الجنبة وردب (٣) الجنبة أو رتجها .

5220 Espace sous - arachnoïdien — ٥٢٢٠ فُرْجة تحت العَنْكبوتية

والصحيح حيز ما تحت العنكبوتي .

---

(١) الصفحة ٥٦٢ من هذا العدد والصفحة ٤٦٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٢٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٦٠٢ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

5227 Espèces sudorifiques أنواع مُرِضّة ، أنواع مُعَرِّقة ٥٢٢٧
وأفضل أنواع مُعَرِّقة فقط .

5237 Essence de chénopode, عِطْر الرِّجوَز (رِجْل الأوز) ٥٢٣٧
de chénopodium, chénanthol

رِجْل الأوز كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية ، وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (Chenopodium) بكينوبوديم ذاكراً أنه يستخرج من نبات النَّتْنَة أو الأمبروسيا ويسمى هذا النبات شاي المكسيك والماتي . وتصبح ترجمة اللفظة عِطر رجل الأوز أو الكينوبوديم وكينانتول .

5244 Essuyer au tempon, مَسْح[1] بسَبِيخَة ، نَزْع بسبيخة ٥٢٤٤
enlever au tempon

وأرجح المَسْح بسبيخة[2] أو قطيلة[3] والإزالة بسبيخة أو قطيلة .

5246 Estérification أَسْتَرَة ٥٢٤٦

وأقر مجمع اللغة استر ـ تأستر ، وجاء في الشرح : مصدر الفعل أستر ـ تأستر .

5253 Estomac biloculaire, مَعِدة ذات فَصَّين ، مَعِدة ٥٢٥٣
en sablier (rad.) كالساعة الرَّملية (أشعة)

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالمَعِدة المُخَصَّرة . وجاء في التعريف حالة تضيق فيها المعدة عند وسطها .

(١) في اللسان : مَشَشْت الناقة حلبتها ومش الناقة يمشها مشاً حلبها وترك بعض اللبن في الضرع ، والمش الحلب باستقصاء وامتش ما في الضرع وامتشع إذا حلب جميع ما فيه ومش يده يمشها مسحها بشيء ، الى أن قال والمش المَسْح .

(٢) في اللسان : والسَّبِيخة القطنة وقيل هي القطعة من القطن تُعَرَّض ليوضع فيها دواء وتوضع فوق جرح .

(٣) في اللسان : والقَطِيلة قطعة كساء أو ثوب ينشف بها الماء .

٥٢٦٠ بِناء المعالجة الطبيعية 5260 Etablissement de cure naturiste

وأرجح مؤسسة للاستشفاء بالوسائل الطبيعية أو بتدبير الغذاء بالماء البارد كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (١) .

٥٢٦٧ حالة انفعالية 5267 État affectif

حالة عاطفية كما أقرها مجمع اللغة (٢) .

٥٢٧٣ حالة هُلامية 5273 État de gel

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بجل . وجاء في التعريف غرواني هلامي القوام .

٥٢٧٧ حالة النَّوبة (صرع) 5277 État de mal (épilepsie)

وأقر مجمع اللغة غمرة الصرع ولا شك أنها أفضل وجاء في التعريف : وهي نوبات صرعية شديدة متلاحقة لا تكاد تنقطع (٣) .

٥٢٨٩ حالة الانحلال الكاذب ، حالة حُلالَة 5289 État de sol

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بصُل . وجاء في التعريف : محلول غرواني له صفات السائل .

٥٢٩٧ أترَجَة 5297 Ethérification

وأفضل تَأْتُر قياساً على لفظة تأستر التي أقرها مجمع اللغة ترجمة لِـ (Estérification) ولالتباس اللفظة بأُترج الشجر المعروف .

٥٣٠٣ غِربالِيّ 5303 Ethmoïdal , ale

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بمِصفاوي .

---

(١) Institution for treating by diet and cold water

(٢) الصفحة ٣١١ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

5305 Ethyle (radical) ٥٣٠٥ أثيل (جذر)

وأقر مجمع اللغة إيثيل .

5309 Ethylène ٥٣٠٩ أثيلين

وأقر مجمع اللغة إيثيلين .

5316 Etouffement , suffocation ٥٣١٦ غُصَّة ، جَرَض

وأرجح ضَيْق الصَدْر ، اختناق . ولا أرى في لفظتي غُصة وجَرَض(١) أن يفيا بالمعنى المطلوب .

5353 Éventration ou hernie diaphragmatique ٥٣٥٣ اندحاق أو فتق حجابي

وأقر مجمع اللغة تقبُّب الحجاب الحاجز (ازدياد تقبب الحجاب الحاجز) وجاء في التعريف : وهو ضمور خِلقي في الجانب الأيسر فيرق ويرتفع في الصدر . وعندي أن لفظة اندحاق (٢) الحجاب أو فتقه أفضل ، وليس لتقبب أن تفي بالمعنى المطلوب .

5354 Eversion ٥٣٥٤ إنقلاب

والصحيح الكُفَّة المخاطية أو الكفاف المخاطي (٣) . وما يعنى بهذه اللفظة الحوّية المتكونة بحذاء احدى الفوهات الطبيعية ، بالغشاء المخاطي المنفتق جزئياً أو كلياً ككفاف النقاط الدمعية (٤) . وليس للفظة إنقلاب أن تدل على المعنى المطلوب .

---

(١) في اللسان : الغُصَّة الشجا وغَصَصْت باللقمة والماء .
في اللسان : الجَرَض الجهد ، جَرِضَ جَرَضاً غصّ والجَرَض والجريض غَصَصُ الموت ، والجَرَض بالتحريك الريق يغَص به وجَرِض غصّ كأنه يبتلعه .

(٢) في المعجم الوسيط : دَحَقت الحامل بالجنين اجهضته ودحقت برحمها اخرجته بعد الولادة ودحق الشيء دفعه والدحق بطنه اتسع .

(٣) في اللسان : كِفاف الشيء حتاره ، وكُفَّة اللِثة هي ما سال منها على الضّرس . وكل مُضَم شيء كِفافُه ومنه كِفاف الأذن والظفُر والدبر .

(٤) معجم M. Garnier et V. J. delamare

٥٣٥٦ تَمْخيخ الصَّخرة والخُشَّاء — 5356 Evidement pétro-mastoïdien

وأرجح إفراغ الصخرة والخُشّاء . إذ المقصود من هذه اللفظة التوسط الجراحي المجرى في عظم الخُشّاء والصخرة في الأذن لإفراغ ما فيهما من نسيج ملتهب ، فالصخرة من العظام الصلبة وليس في الخشاء مخ[1] .

٥٣٦٦ إشتِداد الحُمَة تَفَوُّع — 5366 Exaltation de la virulence

وأقر مجمع اللغة اشتداد الفَوْعة .

٥٣٧٥ إمتحان التَّحَمُّل — 5375 Examen de tolérance

وأقر مجمع اللغة اختبار الإطاقة . وجاء في تعريف الإطاقة القدرة على تحمل الاستعمال المتكرر أو المتزايد لأي عقّار .

٥٣٨٧ طَفَحي ، غشي — 5378 Exanthémateux, exanthémateuse, exanthématique

والصحيح غَشْي فقط لتخصيص لفظة طفح[2] ترجمة لـ(Eruption) .

٥٣٨٠ تقعير الحَوْض — 5380 Excavation pelvienne

٥٣٨١ تقعير الحوض (القسم الأشد ضيقاً من) — 5381 Excavation pelvienne (partie la plus étroite de l')

٥٣٧٢ تقعير الحوض (القسم الأكثر عرضاً من) — 5382 Excavation pelvienne (partie la plus large de l')

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بتجويف الحوض . وأرجح في اللفظة الثانية الجزء الأضيق من . وفي الثالثة الجزء الأوسع من .

---

(١) في اللسان : المخ نِقْيُ العظام وفي التهذيب نِقْيُ عظام القصب (أي عظام اليدين والرجلين والأصابع) وتمخّخ العظمَ وامتخّه وتمكّكه وتمخمخه أخرج مخه .

(٢) الصفحة ٥٦٥ من هذا العدد .

٥٣٩٢ منبهات القلب الطَّبيعية Excitants naturels du cœur 5392

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Excitation) بإثارة فتصبح ترجمة اللفظـة مثيرات القلب الطبيعية .

٥٣٩٤ مُحَرِّض ، قُطْب نشيط ، فاعل Excitateur , electrode active 5394

مثير ، الكترود (١) ناشط أو نشيط .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

(١) الصفحة ٤٦٥ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

صفحات من تاريخ الاستشراق

-٣-

بداية الاستشراق في ألمانيا :

العامل الأول في نشأة الاستشراق بألمانيا إنما هو الدافع الديني . ذلك ان الحركة البروتستانتية كانت تلح على ضرورة الرجوع إلى التوراة ودراسة نصوص الكتب المقدسة في لغتها الأصلية حتى يتسنى فهمها على حقيقتها ؛ فكان لا بد أولاً من دراسة العبرية والسريانيـــة ، ثم كان ينبغي ثانياً الاستعانة بالعربية .

فقد لاحظ اليهود في العهد الإسلامي القرابة بين اللغتين العربية والعبرية ، وقاموا يقلدون كتب النحو العربية في تحليل لغتهم وضبط قواعدها . وظل المسيحيون الأوربيون يعتمدون في دراسة قواعد اللغة العبرية على كتاب الحاخام (داود القمحي) الذي مات سنة ١٢٣٥ والذي اقتبس أكثر مصطلحاته وشواهده من المصادر العربية . وما زال علماء اللاهوت عند دراسة التوراة يستعينون باللغة العربية لتفسير كثير من الكلمات والعبارات والصيغ العبرانية الغريبة .

وكان يقوم بتدريس اللغات الشرقية في (هايدلبرغ) منذ سنة (١٥٦٠) الأستاذ (تريمليوس Tremelius) وهو في الأصل يهودي من ايطاليا اعتنق الكاثوليكية ثم أصبح بروتستانتياً . وقد أصدر في سنة (١٥٦٩) كتاباً في (قواعد اللغة الكلدانية والسريانية) ، كما نشر من مجموعة المخطوطات التي اشتراها أمير البلاد من (بوستل) الترجمة السريانية للإنجيل مع ترجمة

لاتينية حرفية . وكان تلميـــذه وصهره وخليفته في كرسي الأستاذية (فريدريك يونيوس F. Yunius) قد تعلم اللغة العربية فنقل ترجمة الإنجيل العربية إلى اللاتينية . وبين تلاميذ (يونيوس) برز (يعقوب كريستمان Y. Christmann) [١٥٥٤ – ١٦١٣] الذي استفاد من اللغة العربية في دراسة الطب والعلوم الطبيعية . كذلك برز عالم لاهوتي اسمه (شباي Spey) دعا إلى تأسيس مطبعة عربية ، وإلى طبع الترجمة العربية للإنجيل وإرسال نسخها إلى الشرق « ليقتبس أهله الديانة الصحيحة والنور الحقيقي » . ولكن لم يرض أحـــد من الأمراء الألمان بدفع المال اللازم لذلك فأخفق مشروعه التبشيري .

بداية الاستشراق في هولندة :

وأما في هولندة فكانت الظروف ملائمة لتطور الاستشراق . فإن السكان كانوا يعرفون أهمية التجارة مع البلاد الشرقية ولا سيما مع جزر الهند الشرقية التي تدر عليهم أرباحاً طائلة ، كما كانوا يدركون فوائد معرفة اللغات الأجنبية في توطيد العلاقات الاقتصادية والسياسية .

وقد احتلت هولندة مكانة مرموقة في تاريخ أوربة بعد ثورتها على إسبانيا ، واعلان استقلال جمهورية الولايات الهولندية المتحدة ، وازدهار تجارتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر . وكان للهولنديين علاقات تجارية وسياسية وثيقة بالبلدان العربية من مراكش والجزائر وليبيا إلى سورية ، تدفعهم إلى تعلم اللغة العربية كما إنهم ، بعد استيلائهم على مراكز البرتغاليين في الهند الشرقية ، كان لا بد لهم من أن يدرسوا العقائد الإسلامية ليستطيعوا فهم نفسية المسلمين هناك الذين يؤلفون أكثرية السكان والذين يقصد الآلاف منهم مكة للحج كل سنة .

أضف الى ذلك أن حركة الإصلاح البروتستانتي التى اهتمت بدراسة الكتب المقدسة وتفسيرها كانت تتطلب العناية بالعبرية والعربية .

ويرجع الفضل في وضع الأساس المتين لدراسة اللغة العربية ليس في هولندة وحدها ، بل في اوربة كلها إلى المستشرق الهولندي (توماس أبرنيوس Thomas Eprenius [١٥٨٤ – ١٦٢٤] الذي بدأ بدراسة اللاهوت في (ليدن) ، ولكنه تحول الى دراسة العربية بنصيحة من المستشرق الفرنسي (سكاليجر) . وقد انتقل لهذه الغاية إلى باريس في سنة ١٦٠٩ ، إذ لم يجد في هولندة وانكلترة الوسائل اللازمة للدراسة الصحيحة ، فاتصل هناك بالقيم على مكتبـــة الملك (اسحق قازوبونوس Isaac Casaubonus) [١٥٥٩ – ١٦١٤] الذي كان من أكبر علماء عصره ، فسمح له باستخدام الكتب والمخطوطات العربية والاطلاع على مذكراته اللغوية . ولكنه ، قبل كل شيء ، سنحت له الفرصة في باريس للاجتماع بأحد اليعاقبة المصريين واسمه (يوسف بن أبي ذقن Yoseph Barbatus Abudaonus) ومحادثته بالعربية . ثم التقى في ضواحي باريس بتاجر مراكشي اسمه (احمد بن قاسم الأندلسي) بحث معه في العقائد الإسلامية . وهو يقول ان محاوراته الطويلة مع هـــذا التاجر المسلم قد أقنعته بأنه ليس من السهل ، كما يتوهم بعضهم ، إقحام المسلمين واكتسابهم إلى العقيدة المسيحية .

وقد أدرك القائمون على جامعة (ليدن) ، التي تأسست في سنة (١٥٧٥) ، أهمية الدراسات العربية فقرروا انشاء كرسي خاص بها ، وعهدوا في سنة (١٦١٣) بهذا الكرسي الى (أبرنيوس) الذي عرفوا نبوغه . وهو في المدة القصيرة التي قضاها في التدريس حتى وفاته سنة (١٦٢٤) قد برهن على كفاية كبيرة وترك أثراً عميقاً . وقد ألف كتاباً قيماً في قواعد اللغة العربية كما انه نشر كتاب « تاريخ المسلمين من صاحب شريعة الإسلام أبي القاسم محمد إلى الدولة الأتابكية » تأليف الشيخ المكين (جرجس بن العميد) .

ومثلما أنشأ (أبرنيوس) عاله الخاص (مطبعة ليدن) التي اشتهرت بطبع المؤلفات العربية كذلك وقف مجموعة مخطوطاته العربية والعبرية على مكتبة جامعة (ليدن) . وقد أضاف اليها اثنان من تلاميذه المشهورين هما (غوليوس Golius) [١٥٩٦ – ١٦٦٧] و (وارنر Warner) [١٦٠٨ – ١٦٦٥] اللذان توليا التدريس بعده ، عدداً كبيراً من المخطوطات العربية الثمينة جمعاها من إسطنبول وسورية والمغرب الأقصى .

ثم برز بين المستشرقين الهولنديين (هادريان ريلاند H. Reland) أستاذ اللغات الشرقية في جامعة (اوترخت) ، فكان يهتم باللغة العربية في الدرجة الأولى قائلا انها تساعد على تفسير الكتاب المقدس ، إلا أنه كان أيضاً قد أدرك بوضوح ضرورة العناية بالديانة الإسلامية وبتاريخ الشعوب الناطقة بالعربيه وحضارتها .

وبفضل جهود أمثال هؤلاء المستشرقين استطاعت هولندة أن تسبق الأمم الأوربية الأخرى في الدراسات الشرقية وتحتفظ بالزعامة في هذا الميدان مدة قرنين .

بداية الاستشراق في بريطانيا :

في بريطانيا أيضاً بدأت دراسة اللغة العربية قبل كل شيء لأسباب دينية ، فنرى أن (جون سلدن John selden) [١٥٨٤ – ١٦٥٤] لم ينشر في سنة ١٦٤٢ ذلك القسم من تاريخ (ابن البطريق) الذي يتعلق بنشأة كنيسة الاسكندرية الا لأنه يتعرض فيه إلى مراتب رجال الدين ودرجاتهم . وكان الجدال قد احتدم في تلك الفترة حول هذا الموضوع بالذات بين البروتستانت والكاثوليك .

كان القرار بمباشرة تدريس اللغة العربيـــة في جامعة (أكسفورد) سنة (١٦٣٦) إنما صدر استجابة لطلب الأسقف (لاند Land) . وكان

المستشرق (أدوارد بوكوك Ed. Pocock) [١٦٠٤ – ١٦٩١] أول أستاذ شغل هذا الكرمي وهو من رجال الكنيسة . وقد عني بنشر (تاريخ مختصر الدول) لابن العبري الذي يتضمن وجهـة النظر المسيحية في التاريخ الإسلامي .

وقد برز من أسرة (بوكوك) في القرن الثامن عشر مستشرق آخر هو (ريتشارد بوكوك) فقام برحلة إلى الشرق الأدنى ، ونشر كتاباً عن مصر في سنة (١٧٤٣) ، ثم كتاباً آخر يتألف من جزءين عن فلسطين وسورية والعراق وقبرس وآسيا الصغرى واليونان (في سنة ١٧٤٥) .

كانت أنظار الإنكليز متجهة اذ ذاك إلى الهند . ولكن بعد فرض سيطرتهم عليها في أواخر القرن الثامن عشر أخـذوا يفكرون في تأمين الطريق اليها ، وشمل اهتمامهم الشرق الأدنى أيضاً . وقد عني الإنكليز ببلاد العرب خاصة فبدأوا يدرسون اللغـة العربية واللهجات المحلية ؛ ورحل علماؤهم إلى جزيرة العرب يجولون في أرجائها ويتحدثون إلى ملوكها وزعماء قبائلها ، ويبحثون في امكانياتها الاقتصادية والبشرية .

إن دراسات المستشرقين الانكليز كانت تتصف دوماً بالصبغة السياسية ، وقد دأب الاستعمار البريطاني على الاستعانة بهـذه الدراسات في رسم خططه التوسعية .

بداية الاستشراق في روسيا :

وإذا انتقلنا الى روسيا نجد أنه كانت لها علاقات تجارية ودبلوماسية منذ القرنين الخامس عشر والسادس عشر مع الأتراك العثمانيين والفرس الصفويين ؛ إلا أن روسيا كانت هي نفسها متأخرة من الناحية العلمية خاصة فلم يظهر فيها أي مؤلف يبحث في البلاد الشرقية إلا في أوائل القرن السابع عشر . وأهم كتاب هو (السجل الروسي Russkü Khronograff)

يبحث في الأتراك والإسلام ويبدو أنه قد ألف من قبل رجال الحكومة بالاستناد إلى تقارير السفراء الروس وبالاقتباس من مصادر صربية ومن بعض الكتب الغربية .

وبعد توطيد الحكم القيصري المطلق في أواخر القرن السابع عشر اشتد النزاع مع الدولة العثمانية ومع ايران فازدادت الحاجة إلى الاطلاع على أحوال الشرق . وقد أسس (بطرس الأكبر) في سنة (١٧٠٢) أول معهد لتدريس اللغات الشرقية استدعى اليه أساتذة من البلاد الأجنبية . ثم أرسل في سنة (١٧١٦) خمسة موفدين التحقوا بالسفارة الروسية في (طهران) لدراسة اللغات العربية والفارسية والتركية . وفي سنة (١٧٢٤) أرسل بعثة مماثلة الى استانبول .

وفي أثناء الحروب الروسية ـ الفارسية سنة (١٧٢١ ــ ١٧٢٢) استولى الروس في مدينة (دربند) على كثير من المخطوطات الشرقية بين عربية وفارسية وتركية ومنغولية وأرمنية . فأمر (بطرس الأكبر) بجمع هذه المخطوطات مع غيرها من الوثائق والتحف في خزانة خاصة أصبحت نواة للمتحف الآسيوي الذي تأسس في سنة (١٨١٨) وألحق بالمجمع العلمي الروسي . وتعتبر مجموعة المخطوطات في هذا المتحف من أغنى المجموعات في العالم كله .

على أن الدراسات الشرقية في الجامعات الروسية لم تبدأ إلا في أوائل القرن التاسع عشر بعد صدور مرسوم في سنة (١٨٠٤) ينص على احداث كراسي للغات والآداب والديانات الشرقيه في جامعات (موسكو) و (قازان) و (خاركوف) و (بطرسبورغ) .

وفي سنة (١٨٢٣) أسس في (بطرسبورغ) معهد خاص تابع لوزارة الخارجية الروسية لتدريس اللغات الشرقية واعداد مستشرقين يعملون في السلك الخارجي . وفي سنة ١٨٥٤ أسس في (موسكو) معهد (لازاريف) للغاية ذاتها وفيه كرسي للغة العربية تعاقب عليه أساتذة من السوريين والمصريين .

وهكذا كان الاستشراق في روسيا خاضعاً في بادىء الأمر للأغراض السياسية . ثم تأثر بعـد ذلك بالاعتبارات الدينية ولم يبرز في روسيا مستشرقون لهم مكانة علمية عالمية إلا في أواخر القرن التاسع عشر ...

عوامل تطور الاستشراق :

يتبين من استعراض بداية الاستشراق أن الأوربيين بدأوا يدرسون اللغات الشرقية لأهداف دينية :

١ ـ الرد على المسلمين ومجادلتهم .

٢ ـ التبشير بالمسيحية بين المسلمين واليهود والصينيين والهنود وغيرهم .

٣ ـ قراءة الكتب المقدسة بلغاتهـا الأصلية والاستعانة بالعربية في تفسيرها وفهمها .

إن هذه الدوافع الدينية قد تضاءل شأنها مع تعاقب الأيام ، وكادت تزول في بعض العهود ، وصار الكثيرون من المستشرقين ينكرون أحياناً الانقياد اليهـا ، وكثيراً ما يحاول آخرون إخفاءها . ولكن تأثيرها ما زال ظاهراً في معالجة الموضوعات الشرقية عامة . ويلاحظ أن عـدداً كبيراً من المستشرقين الأوربيين والأمريكيين قد بدأوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل الانتقال إلى الدراسات الشرقية ، وأن البعض من هؤلاء ظلوا يتولون وظائف دينية وتبشيرية ، وأن طائفة منهم ما زالت تتصف بالتعصب الشديد حتى في هذا العصر .

وعلى كل حال لم يكن الدافع الديني وحده كافياً لتقدم الدراسات الشرقية واتساعها . وفي الحقيقة لم يتطور الاستشراق إلا بتأثير الاستعمار ، ولأجل تحقيق أغراضه السياسية والاقتصادية . فقد رأت الدول الاستعمارية ان الدراسات الشرقية ، التي كانت قائمة من قبل لأهداف دينية ، يمكن الاستفادة منها في معرفة عقلية الشعوب الشرقية للسيطرة عليها واستثمارها .

لذلك نرى أول حاكم انكليزي عام للبنغـــال (وارن هاستنغس Waren Hastings) يوجه بعض موظفي الشركة الإنكليزية للهند الشرقية في أواخر القرن الثامن عشر إلى دراسة لغات الهند وتاريخها وحضارتها ثم إلى تأسيس (الجمعية الآسيوية للبنغال) في سنة (١٧٨٤) ، وهي أول جمعية علمية للمستشرقين ، وذلك لأن الحاكم العام كان يريد إقامة السيطرة البريطانية في الهند على أساس متين من معرفة البلاد وإمكانيات استثمارها .

وعندما تأسست (الجمعية الآسيوية) في فرنسا سنة (١٨٢١) كتب القائمون عليها في نشرة الإعلان عنها أن غايتها هي ، قبل كل شيء : « جمع الوثائق الثمينة اللازمة للأعمال الدبلوماسية في الشرق الأدنى والمشاريع التجارية في آسيا كلها ، ثم جمع المعلومات عن الصناعات الهامة مثل النسيج والخزف (القاشاني) التي يسهل الاطلاع عليها في مؤلفات الشرقيين . » وإلى جانب هذه الأهداف السياسية والاقتصادية الاستعمارية لا تنسى الجمعية الإشارة إلى مطاليب المحافل الدينية ذات النفوذ الكبير في ذلك العهد فتصرح بأن الدراسات الشرقية التي سوف تعنى بها : « من شأنها أن تمهد السبيل للمبشرين وتفيدهم في نشر الديانة المسيحية . » ولم تتسع الدراسات العربية في فرنسا إلا بعد الاستيلاء على الجزائر . وإذا رأينا المستشرقين الفرنسيين يوجهون كل عنايتهم إلى قبائل البربر وعاداتها وتقاليدها فذلك لأن سياسة فرنسا الاستعمارية في المغرب العربي كانت تقوم على إثارة التفرقة والعداوة بين العرب والبربر .

وبعد أن وطد الاستعمار الغربي أقدامه في البلاد الشرقية تطورت مهمة الاستشراق وأصبحت تهدف في الدرجة الأولى ، إلى إشاعة « ايديولوجية » أي مثالية معينة بين المثقفين من السكان « الأصليين » ، وذلك باعتبار أن الشرق يختلف اختلافاً جوهرياً عن الغرب في أسلوب معيشته وطريقة تفكيره ، وأن أديانه وفلسفاته القديمة حقائق أبدية لا تخضع للتطور التاريخي !

ولما كانت العلاقة بين الاستعمار والاستشراق متشعبة ومتشابكة ومعقدة فلا بد لنا من التعرض إلى مسائل كثيرة عويصة : فيجدر بنـــا مثلاً أن نتابع تطور دراسات المستشرقين واختلاف الموضوعات التي كانت تسترعي انتباههم في شتى أدوار الاستعمار من دور الغزو والتوسع الى دور توطيد النفوذ الأوربي في الشرق ، ثم دور مقاومة الثورات القوميـــة التحررية . وينبغي أن نحصل على معلومات كافية عن المهمات التي كان يعهد بها إلى علماء الاستشراق ، إذ من المعروف أن كثيرين بين هؤلاء لم يكونوا أساتذة في الجامعات والمعاهد العلمية وأعضاءً في البعثات الأثرية فحسب ، بل كانوا أيضاً مستشارين وموظفين وجواسيس في وزارات الخارجية ودوائر المستعمرات والاستخبارات ! ولا بد لنا من التساؤل : ما هي الأسباب التي تدفع المستشرقين عامة" إلى تركيز اهتمامهم على تاريخ الشعوب الشرقية في الماضي البعيد ، وإهمال تطور هذه الشعوب في العصور الحديثة ، والسكوت عن نهضاتها القومية وحركاتها التحررية الحاضرة ؟ ثم لماذا يبالغون في تمجيد الحضارات الشرقية القديمة ، ولكنهم يقتصرون على وصف العناصر البالية والميتة في هذه الحضارات دون الإشارة إلى عناصرها الصالحة للحياة والتي كان لها تأثير في تقدم الإنسانية ؟

إن أبحاث المستشرقين في النهضة العربية الحديثة قليلة جداً . وهي مختصرة وسطحية ، على العكس من دراساتهم عن تاريخ العرب القديم وعن التاريخ الإسلامي فإنها كثيرة لا تكاد تحصى ؛ وهي تتعرض إلى عدد كبير من المسائل ولكنها تحوم في الغالب حول الفتن الأهلية والخلافات المذهبية ومظاهر الانقسام والتفسخ . وهذه الدراسات قلما تعالج الحياة الاقتصادية والاجتماعية والحركات الشعبية وتطور الأنظمة السياسية . وانها تتمركز في المسائل اللغوية والنصوص الدينية وأخبار قصور الملوك والأمراء والحفريات الأثرية . ومن الغريب أن نرى المستشرقين يبذلون كل جهودهم للكشف عن العوامل الخارجية

والعناصر الغريبة التي كان لها بعض التأثير في نشأة الإسلام والحضارة العربية في حين أنهم يذكرون في اختصار أو بالأحرى يهملون كل الإهمال مظاهر التطور والتجديد والابتكار عند العرب . إن هؤلاء المستشرقين الذين يحاولون إرجاع الفلسفة والعلوم العربية إلى أصولها اليونانية يعودون من جهة ثانية ويتوسعون في بيان الفروق الجوهرية بين الشرق والغرب وينكرون على الشرقيين ، وبينهم العرب ، أن يكونوا قد بلغوا مستوى اليونان القدماء وبالتالي مستوى الأوربيين الحديثين في إدراك فكرة الإنسانية ومفهوم العلم وحقيقة الفن !

لا شك في أن هناك عوامل أخرى كان لها أيضاً تأثير في تقدم الدراسات الشرقية . مثال ذلك تقدم علم التاريخ في القرن التاسع عشر . فقد أدرك الباحثون أنه لا يمكن الكشف عن قوانين التطور التاريخي العام إلا بالطريقة المقارنة التي تفرض العناية بتاريخ الأمم الشرقية إلى جانب تاريخ الغرب . كذلك لا ننكر أن بعض المستشرقين قد اندفعوا إلى دراسة تاريخ العرب أو حضارة الصين بدافع من حب المعرفة والبحث عن الحقيقة . ولكن الجهود العلمية التي يبذلها أمثال هؤلاء الأفراد لا يمكن أن تبدل الاتجاه العام في حركة الاستشراق .

ومهما كان رأينا في نوايا المستشرقين فلا بد لنا من الاهتمام بأعمالهم . فنحن بحاجة الى اقتباس طرائقهم في البحث العلمي والنقد التاريخي . ولا يمكننا إدراك نقاط الضعف فينا وتكوين فكرة صحيحة عن أنفسنا إلا إذا عرفنا ما يقوله الآخرون عنا . ولا جدال في أن كل من يرغب في دراسة تاريخ العرب وحضارة الإسلام لا بد له ، في الوقت الحاضر ، من الرجوع الى أبحاث المستشرقين . فإن هؤلاء قد سبقونا وأخذوا منذ أوائل القرن التاسع عشر ينشرون أهم المصادر عن تاريخنا وحضارتنا مع بذل أعظم الجهود في تحقيقها تحقيقاً علمياً ووضع الفهارس الضرورية والشروح الوافية لها .

وقد أعيد طبع بعض هذه المصادر في البلاد العربية ، ولكن ، مع الأسف ، بصورة ناقصة ، مغلوطة ومشوهة ، في حين أن قسماً آخر هاماً لم نقدم على نشره حتى الآن . واذا كنا قد بدأنا في السنوات الأخيرة نتبع طريقة المستشرقين في إحياء تراثنا القديم فإننا ما زلنا عند دراسة تاريخنا مضطرين الى الاعتماد على الطبعات الأوربية لمصادر عربية أساسية مثل الطبقات الكبرى لابن سعد ، وفتوح البلدان للبلاذري ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ، وتجارب الأمم لمسكويه ، والآثار الباقيـــة عن القرون الخالية للبيروني ، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي ، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي الخ .

كذلك سبقنا المستشرقون الى التنقيب عن آثار أجدادنا . وقد انتقل أكثر هذه الآثار ، ولا سيما النقوش الكتابية التي ظهرت في اليمن ، الى المتاحف الأوربية . أضف الى كل ذلك الدراسات التي قام بها المستشرقون بالاستناد الى الأخبار والوثائق والآثار التاريخية . ومن العسير جداً إحصاء المؤلفات التي نشرها المستشرقون منذ القرن السادس عشر حتى اليوم والتي تبحث في تاريخ العرب والإسلام من مختلف النواحي السياسية والدينية والفكرية والفنية . ولا بد من الاعتراف بأننا ما زلنا عالة على هؤلاء المستشرقين عند دراسة النقوش الكتابية في اليمن وتدمر والبتراء ، وعند معالجة الموضوعات المتعلقة بتاريخ العرب القديم على عهد الآشوريين والآراميين واليونانيين والرومان والبيزنطيين والتي تتطلب معرفة اللغات القديمة .

والآراء متضاربة بشأن أبحاث المستشرقين في سيرة الرسول (ﷺ) ، وفي الفتوحات العربية ، وحكم الأمويين والعباسيين ، والحروب الصليبية والحضارة الإسلامية ، والنهضة العربية الحديثة . إلا انه لا بد لنا ، على كل حال ، من الاطلاع على هذه الأبحاث سواء للاستفادة منها أو للرد عليها .

وقد كان من نتائج تطور الاستشراق واتساع موضوعاته أن شعر الباحثون بضرورة التخصص ، فنشأت فروع عديدة مثل الدراسات الإسلامية (Islamologie) والدراسات الهندية والصينية وغير ذلك . وكانت « الدراسات الإسلامية » مدار جدال مدة من الزمن فاعتقد بعضهم أن الاختصاص يجب أن يكون على أساس اللغة وأن تفصل لذلك الدراسات العربية عن التركية والفارسية بينما رأى آخرون أن الصلات الوثيقة بين الشعوب الإسلامية ووحدة حضارتها تقتضي الجمع بينها . ولم تكن المناقشة تجري من وجهة النظر العلمية ، بل بالنسبة الى حاجات الدول الغربية التي تعنى بالدراسات الشرقية وتبعاً لمصالحها الاقتصادية والسياسية .

ومهما كان الأمر فإن كلمة (استشراق) ما زالت شائعة يشمل مفهومها جميع هذه الدراسات ، لأنها في الواقع دراسات نشأت معاً وهي متشابكة بعضها ببعض ؛ وقد تطورت كلها مع التوسع الاستعماري ، وأصبحت اليوم تجابه المشاكل والصعوبات نفسها في مختلف البلدان التي هبت شعوبها للتحرر من سيطرة الغرب ونفوذه ، كما أن هناك مؤسسات عديدة تربط بينها من جمعيات ومجلات ومؤتمرات دولية .

إن الواجب يفرض علينا دراسة تاريخنا وحضارتنا بأنفسنا ومن وجهة نظرنا حتى نستطيع تصحيح أخطاء بعض المستشرقين ومغالطاتهم والرد على دسائسهم ومطاعنهم بالطريقة العلمية الانتقادية التي يتبعونها .

(للبحث صلة) محمد كامل عياد

نظرات في المعجم الوسيط

— ١٠ —

ثامناً : تعريف نجوم السماء والمصطلحات الفلكية (١)

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الكوكب	انظر (ك ك ب) . [مادة ك و ك] الكَوْكَبُ النجم في السماء . (ج) كَواكِب .	عرّف المعجم الوسيط كلمة الكوكب تعريفاً لغوياً ، ثم عرّف الجمع تعريفاً علمياً ، مما كان يستحسن معه أن يضاف الى تعريف الكلمة : و ـــ : أحد الكواكب السيارة .

(١) المعجم الوسيط معجم لغوي قبل كل شيء ، اذ أنه ـ كما ورد في مقدمته ـ قد : « قصر همّه على اللغة قديمها وحديثها » ولكن المعجم ، على ذاك كله ، توسع كثيراً في بعض المصطلحات العلمية الشائعة ، وخاصة في النواحي الطبية وبعض جوانب العلوم الأخرى ، واذا لم يكن مفروضاً في مثل هذا المعجم ، التوسع في إيراد المعلومات المتصلة بالنجوم والمصطلحات الفلكية ، إلا أن الكتب العربية القديمة ، وقد كان للعرب باع طويل في معرفة دروب السماء ورصد النجوم وتخيل الصور النجومية وإطلاق الأسماء عليها ـ حوت الكثير من المعلومات عن النجوم وأسمائها ومختلف المصطلحات الفلكية ، غير أن مؤلفي تلك الكتب ، وأكثرهم لم يعان علم الفلك ، نقلوا المعلومات التي كان أعراب البادية يتناقلونها أو نقلوا ما قرأوه في كتب من تقدمهم ، مما جعل المعجمات القديمة تجمع أشتاتاً من المعلومات غير الدقيقة أو التي لا يقرها العلم الحديث ، وهذا يدعو واضعي المعاجم الحديثة الى الاحتراز من نقل أي معلومات لا يقرها العلم ، إلا إذا كان ذكرها ضرورياً لفهم النصوص القديمة ، على أن يشار إلى ذلك .

ونحن في هذه النبذة سنجمع الأمثلة عما في المعجم الوسيط من كلمات وتعريفات تتصل بالنجوم والكواكب ودروبها في السماء ، مع بيان ملاحظاتنا عليها .

الكواكب : أجرام سماوية تدور حول الشمس، وتستضيءُ بضوئها، وهي تسعة : زُحَل ، والمشتري ، والمرِّيخ ، وعُطاردُ ، والزُّهَرة ، والأرضُ ، وأورانس ، ونبتُـــون ، وبلوتو . ويقال : ذهبوا تحت كل كوكب : تفرّقوا . ويوم ذو كواكب : ذو شدائد كأنه أظلم حتى رُئِيَتْ فيه كواكبُ السماء .

[مادة ك ك ب] [٢]

أما تعريف كلمة الكواكب فينقص فيه بعض الدقة ، وكان من المستحسن ، قبل كل شيء ، اضافة لفظة (السيارة) صفة للكلمة فيقال : الكواكب السيارة ، لأن التعريف منصب على الكواكب بالصفة المذكورة .

والتعريف العلمي الدقيق هو : الكواكب السيارة : أجرام سماوية تدور حول نفسها وحول الشمس وتستضيء بضوئها ، وهي على نوعين : كواكب رئيسة وعددها تسعة ، وكواكب ثانوية أو كويكبات [١] .

إن الكواكب السيارة الرئيسة التي كشفها العلم ، حتى اليوم ، تسعة ، كما ورد في المعجم الوسيط ، غير أن ترتيب أسمائها ، إذا أُريد تعدادها ، فيختلف بحسب القاعدة التي تتبع من أجل ذلك ، والتعداد الذي أوره المعجم الوسيط

(١) توجد طائفة كبيرة من الكواكب السيارة الصغيرة ، وأفلاكها تقع ما بين كوكبي المريخ والمشتري ، ويبلغ عددها نحواً من ١٦٠٠ وقليل منها الكبير ، وأكبرها (سيرس) وقطره نحو ٤٨٠ ميل ، وهي كلها تدور حول الشمس كما تدور الكواكب الكبيرة . انظر كتاب أحمد زكي « مع الله في السماء » ص ١٥٨ القاهرة ١٩٥٦ .

(٢) مما يلاحظ أن المعجم الوسيط لم يعرّف كلمة (كوكب) في مادة [ك و ك] بل أحال فيها الى مادة [ك ك ب] وقد اختلف القدماء في موضع ذكر الكلمة . قال شارح القاموس : الكوكب : ذكره الليث في باب الرباعي ، ذهب الى أن الواو أصلية . قال الأزهري : وهو عند حذاق النحويين من باب (و ك ب) صدر بكاف زائدة والأصل وكب أو كوب ، ونقله الصاغاني أيضاً هكذا وسلمه ؛ قلت : الكاف ليست من حروف الزيادة ، ولذا صرّح جماعة بأصالته فلا بد من تقييد أنها زائدة على خلاف الأصل . ثم قال الصاغاني : إلا أني تبعت الجوهري في إيرادها هنا غير راض به ، ولعله تبع فيه الليث ، فإنه ذكرها في الرباعي ذاهباً الى أن الواو أصلية . فتأمل .

لا يرتبط بأي قاعدة من القواعد المتبعة ، وأشهر تلك القواعد بنيت على اعتبار قرب الكوكب من الشمس أساساً للترتيب ، فأقرب الكواكب منها هو : عطارد ، ثم الزُّهَرة ، ثم الارض ، ثم المرّيخ ، ثم المشتري ، ثم زحل ، ثم أورانس ، ثم نبتون فأبلوتون .

عُطارِد نجم من السيارات التسعة ، وهو أقربها الى الشمس ، وابن « المشتري » كبير الآلهة في الأساطير .

الزُّهَرَةُ : إلهة الجمال عند الرومان ، وهي أفروديت عند الإغريق . و ـــ كوكبٌ شديد اللمعان يدور حول الشمس بين عطارد والأرض .

الأرض الكوكب الذي نسكنه .

المِرّيخ نجم من الخُنَّس ، يقول القدماء : إنه في السماء الخامسة ، وهو بالفارسية (بَهْرام) . و ـــ إلـه الحرب في الأساطير . وهو مارس .

إن الكواكب السيارة التي عرفها العرب ، وورد تعريفها في المعاجم العربية ، ستة ، ومن مقارنة التعريفات التي تبناها المعجم الوسيط ، نلاحظ فقدان التماثل بينها وتفاوتها من حيث الصحة والدقة العلمية ، فنجد مثلاً الأمور التالية :

أولاً : إن عُطارد : نجم من السيارات التسعة ، والمرّيخ : نجم من الخنّس ، والزُّهَرة والأرض ، كوكبان ، والمشتري وزُحل : من الكواكب السيارة ؛ بينما جميعها : من الكواكب السيارة التسعة .

ثانياً : إن بُعد الكوكب عن الشمس قد أُشير اليه صحيحاً في تعريف كل من عطارد والزُّهَرة ، بينما أُشير اليه بما يخالف الحقيقة العلمية في العصر الحديث ، في تعريف زُحل ، أما في بقية التعريفات فقد أُغفلت الإشارة إلى بعد الكوكب عن الشمس .

ثالثاً : أُشير إلى الأساطير الإغريقية في كل من زُحل والزُّهَرة ، كما أُشير إلى أسطورة

المُشْتَرِي أكبر الكواكب السيارة. وهو في الأساطير: كبير الآلهة.

زُحَلُ أعظم الكواكب السيارة، وأبعدها في النظام الشمسي. و— في الأساطير الإغريقية: كبير الآلهة.

رومانية في تعريف الزُّهرة، بينما ذكرت الأساطير مجردة في تعريف كل من عطارد والمرّيخ والمشتري، وكان الواجب يقضي ببيان عند أي الشعوب كان المشتري كبير الآلهة، والمرّيخ إلـه الحرب.

رابعاً: أشير إلى الأسماء الأعجمية في تعريف كل من الزُّهَرة والمريخ دون بقية الكواكب وخاصة المشتري كبير الآلهة، الذي هو (جوبيتر).

خامساً: أشير في تعريف المرّيخ الى قول بعض القدماء من أنه في السماء الخامسة، وكان من المستحسن اغفال مثل هذا القول.

سادساً: أُشير في تعريف الزُّهَرة الى أنها إلهـة الجمال عند الرومان دون ذكر اسمها الشهير (فينوس)، كما ذكر اسمها الإغريقي (أفروديت)؛ بينما اغفل المعجم الوسيط ذكر كلمة (أناهيد) الاسم الشاعري للزُّهَرة، حتى في مادة [ن هـ د[1]].

سابعاً: أشير في تعريف المرّيخ الى أن اسمه بالفارسية (بهرام) وأثبتت هذه الكلمة في مادة [ب هـ ر] في المعجم الوسيط، وبينما لم يشر في تعريف المشتري[2] الى اسمه بالفارسية، أورد

(١) أهمل أكثر أصحاب المعجمات ذكر كلمة (أناهيد)، بينما أوردها الفيروزابادي في باب الذال وقال: أناهيذ اسم الزّهرة عن ابن عباد، أو فارسي غير معرب، وبالدال فلا مدخل له حينئذٍ في الكلام. أما صاحب التاج فقد جاء على ذكرها في بابي الدال والذال قائلاً: وهو بالوجهين.

(٢) في مقاييس اللغة لابن فارس: [وبعض العرب يسمي النجم الذي يقال له المشتري: «الأحور»]. ولم يرد هذا المعنى للكلمة في المعجم الوسيط.

المعجم في مادة [هـ ر م] أن كلمة (هرمز) تعني بالفارسية : كوكب المشتري .

ثامناً : ذكر في تعريف المشتري أنه أكبر الكواكب السيارة ، بينما ذكر في تعريف زحل أنه أعظم الكواكب السيارة ، والقول عن المشتري انه أكبر الكواكب السيارة هو الصحيح دون القول الآخر .

هذا والكواكب الستة الأولى عرفها العرب ، وورد ذكرها في المعجمات القديمة ، ونقل المعجم الوسيط تلك التعريفات ، ولكنه رغم الإشارة الى الكواكب الثلاثة الأخرى،التي كشفها العلم في العصور المتأخرة ، عند تعريفه كلمة (كواكب) ، فقد أغفل تعريف كل منها في موضعه ، والكواكب الثلاثة هي :

١ – أورانس (Uranus) : كوكبٌ سيار يلي زُحل بعداً عن الشمس،وقد كُشف سنة١٧٨١م.

٢ – نبتون (Neptune) : كوكبٌ سيار يلي أورانس بعداً عن الشمس ، وقد كشف سنة ١٨٤٦ م .

٣ – أبلوتون [١] (Pluton): كوكبٌ سيار يلي نبتون بعداً عن الشمس،وقد كشف سنة ١٩٣٠م.

(١) سمّي هذا الكوكب عند كشفه باسم إلهّ الموت وملك الجحيم ، وهو ابن زحل في الأساطير القديمة ، وقد عربه أمين المعلوف : فقال : « بلوطون أو أفلوطون أو فلوطون » انظر المعجم الفلكي ص ٨٠ و ٨٧ . أما نحن فنرجح تعريبه بلفظة « أبلوتون » أما المعجم الوسيط فقد أورده كما ينطق بالإنكليزية Pluto .

بَهْرَام	المِرِّيخُ .	أثبت المعجم الوسيط كلمة (بهرام) في مادة [ب هـ ر] وأغفل الإشارة الى أنها فارسية أو معربة ، على رغم أنه أشار الى ذلك عند تعريف كلمة مرّيخ .
هُرْمُز	كلمة فارسية من معانيها : الله، وكوكب المشتري . . .	وفي مادة [هـ ر م] ذكر المعجم الوسيط أن كلمة (هرمز) فارسية من معانيها : كوكب المشتري ، وكان من المستحسن اغفال هذا المعنى ، خاصةً لأنه لم يذكر في تعريف (المشتري) . ويلاحظ أن لفظة (هرمز) ليست فارسية أصلاً بل معربة [1] .
النجم	أحد الأجرام السماوية المضيئة بذاتها ، ومواضعها النسبية في السماء ثابتة ، ومنها الشمس . و ـــ علم على الثريا خاصـــة . و ـــ الكوكب .	يبدو أن المعجم الوسيط ، فرّق في أكثر التعريفات الحديثة التي جاء بها ، بين (النجم) و (الكوكب) تفريقاً علمياً ، فعرّف النجم بأنه أحد الأجرام السماوية الثابته والمضيئة بذاتها ، ولكن المعجم على رغم هذا التعريف الدقيق، ظل يردد الكلمتين ، كما في المعجمات القديمة ، كأنهما مترادفتان ، فعرّف الشمس بأنهـا كوكب ، وكان من حقها بأن توصف بأنها نجم ، وبهـــا

(١) جاء في المعجم الفلكي : المشتري هو بالفارسية (هرمزد) ، وفي كتب الأنواء : المشتري اسمه بالفارسية (برجيس) وفي شفاء الغليل : « المشتري (زاد مرد) وبعضهم يسميه (البرجيس) ، و (بهرام) المريخ ، و (مهر) الشمس ، و (هرمس) عطارد ، و (ماه) القمر ، و (كيوان) زحل ، و (تير) عطارد ، و (أناهيذ بالإعجام والإهمال) الزّهرة . قال بعض الشعراء :

لا زلت تبقى وترقى للعلا أبداً ما دام للسبعة الأفلاك أحكام
مهر وماه وكيوان وتير معاً وهرمس وأناهيذ وبهرامُ »

ومما نلاحظه أن (هرمس) هو الاسم الإغريقي للكوكب عطارد Hermès .

الشَّمْسُ الكوكب الذي تدور حوله الأرض ، وسائر المجموعة الشمسية .	ضرب المعجم نفسه المثل في تعريف النجم ، كما أن المعجم جعل الزُّهَرة في تعريف الكوكبة من النجوم ، وهي في الحقيقة من الكواكب كما ورد في تعريفها الذي سبقت الإشارة إليه .
الكَوْكَبَةُ النَّجم، أوهو الزُّهَرة من بين النجوم . و — مجموعة من النجوم تمثل بصورة معينة تعرف بها ، كالنَّسر الطائر والنَّسر الواقع .	هذا ويلاحظ في تعريف الشمس : عطف جملة (وسائر المجموعة الشمسية) على الأرض في الدوران حول الشمس ، لهذا كان من المستحسن أن يكون التعريف المذكور كما يلي:الشمس: النجم الذي تدور حوله الأرض ، وسائر كواكب المجموعة الشمسية. وفي تعريف الكوكبة ، أطلقت الكلمة على الصور السماوية وهو اطلاق موفق [١] ، أما اختيار النسر الطائر أو الواقع مثلين على تلك الصور فضعيف ، لأن كلا من النسرين اسم لنجم معروف في صورة سماوية اشتهرت باسم النجم النير فيها ، وكان من المستحسن أن يضرب المثل بصورة الجوزاء أو الجبار [٢] ، وهي أجمل صور السماء وأشهرها على الإطلاق .

(١) وضع أمين المعلوف مقابل كلمة : Contellation : صورة سماوية ؛ صورة نجومية ؛ كوكبة ؛ ثم قال : والكوكبة قليلة الاستعمال لم يستعملها إلا القزويني في ما أعلم ، والصورة أحسن منها . أنظر المعجم الفلكي ص ٤٢ و ص ٢٧ .

(٢) الجبّار — كما في التاج — اسم الجوزاء لأنها بصورة ملك متوج على كرسيّ ، كما ذكره الزمخشري في الأساس .

التَّبَّانة	سكّة التَّبَّانة (في الفلك) الْمَجَرَّةُ . (مو) .	تعريف المجرّة في المعجم الوسيط نقل عن المعجمات القديمة ، وهو غير جدير بإثباته في معجم حديث ، فعلماء العرب ممن اشتغلوا بعلم الفلك عرّفوا أن :
الْمَجَرَّةُ	البياض المعترض في السماء [1] ، والنَّسْران من جانبيها . ويقال : نهرُ الْمَجَرَّة .	الْمَجَرَّة : مجموعات كبيرة من النجوم تركزت وتكاثفت حتى تراءت من الأرض كوشاح أبيض يعترض السماء . ومن الأسماء التي أطلقها العرب على المجرّة : أم النجوم ، وقد أطلق عليها تأبط شراً اسم : أم النجوم الشوابك [2] ، لهذا كان من المستحسن
السَّدِيمُ	الضَّبابُ الرقيق . و — مجموعة نجوم بعيدة جداً تظهر كأنها سحابة رقيقة ، ومنه الْمَجَرَّة . (ج) سُدُمٌ .	أن يأتي المعجم الوسيط بتعريف للمجرّة يتفق وحقيقتها ؛ خاصةً لأنه أثبت في مادة [ت ب ن] الاسم الذي تطلقه العامة على المجرّة ، إذ شبهوها بالدّرب الذي تسلكه التبّانة تاركين عليه من التبن المتساقط من أحمالهم أثراً يدل عليهم ، مشيراً في التعريف إلى أن الاسم من مصطلحات علم (الفلك) . أما تعريف السّديم بمعناه الثاني ، فيبدو أنه تعريف وضع حديثاً ، غير أننا نلاحظ فيه عدم الدقة العلمية ، إذ أن العلماء اليوم لا يطلقون

(١) في أكثر المعجمات القديمة أن اسم المجرّة جاء من اعتراضها السماء ، وقال ابن فارس في مقاييس اللغة : الجيم والراء أصل واحد ، وهو مدّ الشيء وسحبه ، وسميت مجرّة السماء مجرّة لأنها كأثر المَجَرّ .

(٢) في تاج العروس : شبكت النجوم واشتبكت وتشابكت : دخل بعضها في بعض واختلطت ، وقيل اشتباك النجوم ظهور جميعها .

الكلمة على مجموعات من النجوم البعيدة فحسب ، بل يطلقونها على سحب منتشرة في الفضاء ومنها المجرّة . والتعريف الدقيق هو :

السَّدِيمُ : لطخات سحابية متوهجـة أو معتمة في الفضاء ناشئة عن تكاثف أو تصادم عدد لا يحصى من الأجرام السماوية .

وهذا التعريف للسّديم أقرب إلى أصل المعنى اللغوي للكلمة (١) .

البُرْج أحد بروج السماء الإثنى عشر .

الأسد أحد بروج السماء .

الثّور بُرْجٌ من بروج السماء .

الجَوْزاء بُرجٌ من بروج السماء .

الجدي بُرْجٌ في السماء بجوار الدّلو .

الحَمَل بُرْجٌ من بروج السماء

الحوت بُرجٌ في السماء .

الدلو برجٌ من بروج السماء .

السرطان بُرْج في السماء .

بروج السماء : صور النجوم التي يتراءى للناظر اليها أن الشمس تقطعها في دورة تامة خلال سنة شمسية ، وعددها إثنا عشر برجاً ؛ لكل فَصْل ثلاثة بروج ، وترتيبها بدءاً من فصل الربيع هو : الحَمَل ، والثور ، والجوزاء || السرطان ، والأسد ، والسنبلة || الميزان ، والعقرب ، والقوس || الجديّ ، والدلو ، والحوت .

لقد أشار المعجم الوسيط إلى عدد بروج السماء في مادة [ب ر ج] دون تعدادها ، وفي المواد المتفرقة في المعجم وردت أسماء أكثر البروج ، معرفة تعريفاً مقتضباً ، وفيما يلي بعض الملاحظات على ما ورد في المعجم من تعريفات :

١ ــ أغفل المعجم ذكر برج الميزان في مادة [و ز ن] .

(١) في مقاييس اللغة : السين والدال والميم : أصل في شيء لا يهتدى لوجهه .

السنبلة   برج في السماء .

العقرب   برجٌ من بروج السماء .

القوس   بُرْج في السّماء (هو تاسع البروج) .

٢ ـ لم يشر المعجم الى أسماء اشتهرت بها بعض البروج ، مثل العذراء لبرج السنبلة ، والتوأمين لبرج الجوزاء ، وقد ورد هـذان الاسمان في المعجمات القديمة .

٣ ـ اختلفت صياغة التعريف بين برج وبرج ، فهذا : أحد بروج السماء ، وذاك : برج من بروجها ، وغيرهما برج في السماء ، وبينا خُصَّ برج الجدي بذكر جواره ، خُصَّ القوس بذكر ترتيبه بين البروج ، لقد كان من المستحسن أن تكون جميع التعريفات متماثلة .

القَمَرُ   الكوكب السيّار الذي يستمد نوره من الشمس ويدور حـول الأرض ويُضيئها ليلا . و ـ الصناعيُّ : كرة يقذفها في السموات صاروخ حتى إذا تخلصت من جاذبية الأرض دارت في الفضاء حول الأرض أو غيرها من المجموعة الشمسية ، وبها أجهزة علمية للكشف والتصوير.(مج).(ج)أقمارٌ.

يطلق العلماء اليوم كلمة « قمر » على كل جرم سماوي ، يدور حول كوكب سيّار آخر ، وإذا كان للأرض قمر يدور حولها ، فإن لبعض الكواكب الأخرى أقماراً كثيرة (١) . ولما كان المعجم الوسيط خص كلمة « كواكب » بالسيارة منها ، تبعاً لما يقره العلم الحديث ، كان الواجب تعريف كلمة « القمر » على الشكل التالي :

القمرُ : جرم سماويٌّ يدور حول أحد الكواكب السيارة . و ـ عَلَمٌ على الكوكب السيّار الذي يستمد نوره من الشمس ويدور حول الأرض ويُضيئها ليلا . الخ ..

(١) من الثابت اليوم أن لكوكب المريخ قمرين ، وللمشتري ١٢ قمراً ، ولزحل ٩ أقمار ، ولأورانس ٥ أقمار ، ولنبتيون قمرين .

المَنْزِل ... ومنازل القمر : مداراته التي يدور فيها حول الأرض يدور كلَّ ليلة في أحدها لا يتخطّاه ولا يتقاصر عنه ، وهي ثمانية وعشرون ، لكلٍّ منها اسم معيَّن ، منها : الشَّرَطان ، والبُطَيْن ، والثُّرَيَّا ، والدَّبَرانُ . ولكل فصل من فصول السنة سبعة منازل .

في هذا التعريف بعض الغموض على رغم الإسهاب فيه ، ومنازل القمر : مجموعات من النجوم الثابتة يقطعها القمر في دورة تامة حول الأرض خلال ثمانية وعشرين يوماً ، وهو في كل ليلة يتأخر منزلة ، وفي الليلة الأخيرة يدرك القمر نجوم المنزل الأول وهي في جهة الغروب .

ومما يلاحظ في تعريف المعجم الوسيط ، إيراده أسماء أربعة منازل من ثمانية وعشرين منزلا ، وبينما عرّف المعجم نجوم أكثر المنازل في مواضعها ، مشيراً إلى أنها من المنازل حيناً ومغفلاً ذلك حيناً آخر ، نجده أغفل أسماء بعض المنازل البتة ، وسنشير إلى ما أغفله المعجم في ثنايا ملاحظاتنا على أسماء المنازل المعرفة في مختلف المواد .

الشَّرَطان نجمان يقال لهما : قَرْنا الحَمَل ، يظهران في أول الربيع .

الشّرطان نجمان في برج الحَمَل ، وهما المنزل الأول من منازل القمر .

الثُّرَيَّا نجم ، سمّي بذلك لكثرة أنجمه مع صغر منظره .

التعريف الدقيق للثريا هو : الثُّرَيَّا مجموعة من النجوم في صورة الثور ، وكلمة « النجم » علمٌ عليها ، وهي المنزل الثالث من منازل القمر .

ومما نلاحظه أن المعجم الوسيط أغفل تعريف (البُطَين) وهو المنزل الثاني من منازل القمر في مادة [ب ط ن] ، وتعريفه :

البُطَيْن : ثلاثة أنجم في برج الحَمَل ، وهي المنزل الثاني من منازل القمر .

الدَّبَران (في علم الفلك) خمسة كواكب من الثور ، يقال : إنها سَنامه . وهو من منازل القمر . وقيل : نجم بين الثُّريّا والجوزاء .

الدَّبَران محركة منزل للقمر ، كما ورد في القاموس ، وجاء في مقاييس اللغة : الدَّبران : نجم سُمّي بذلك لأنه يَدْبُر الثُّريّا .

فالدَّبران نجم ، وتعريفه — كما ورد في المعجم الفلكي — نيّرُ الثور ، وهو المنزل الرابع من منازل القمر (١) .

الهَقْعَة ثلاثة نجوم قريب بعضُها من بعض عند رأس كوكبة الجبّار ، وهي منزل من منازل القمر .

يبدو أن هذا التعريف وضع حديثاً ، لأن أكثر القدماء كانوا يطلقون على صورة الجبّار اسم الجوزاء (٢) .

والهقعة : ثلاثة نجوم عند رأس الجبّار ، وهي المنزل الخامس من منازل القمر .

ويلاحظ أن المعجم الوسيط الذي أشار في تعريف الهقعة إلى (كوكبة الجبّار) أغفل في مادة [ج ب ر] الإشارة الى الكوكبة المذكورة وهي أجمل صور السماء ، تخيلها القدماء على هيئة رجل يحمل بيده اليمنى هِراوة (دبوساً) وفي يسراه ترساً ، وفي وسطه نطاق تدلى منه سيف .

(١) انظر ص ١٠١ .

(٢) انظر ملاحظات أمين المعلوف في المعجم الفلكي ص ٨٣ .

الذّراع نجم من نجوم السماء على شكل الذّراع .	إن التعريف الدقيق للذّراع أو ما يُسمّى بالذّراع المبسوطة لصورة الأسد ، هو : الذّراع : نجمان في الجوزاء ، هما المنزل السابع من منازل القمر [١] . ومما يلاحظ على المعجم الوسيط إغفاله الإشارة إلى المنزل السادس المسمى (الهنعة) ، إذ لم ترد الكلمة في مادة [ه ن ع] وتعريفها : الهَنْعةُ : نجمان في الجوزاء ، هما المنزل السادس من منازل القمر .
النَّثْرةُ كوكبان في السماء بينهما قدْر شبر .	نقل المعجم الوسيط عن معجم قديم هذا التعريف الذي كان يستحسن استبعاده ، أمّا التعريف الصحيح فهو : النَّثْرةُ : عنقودٌ من النجوم في صورة السرطان ، وهو الثامن من منازل القمر [٢] .
جبهة الأسد : أربعة أنجم ينزلها القمر .	جبهة الأسد أربعة أنجم في صورة الأسد وهي العاشر من منازل القمر . ومما يلاحظ أن المعجم الوسيط عرّف في مادة [ج ب ه] جبهة الأسد ، وأغفل طرفه وزبرته صرفته في مواضعها من المعجم ، وكلها من منازل القمر وتعريفها كما يلي :

(١) انظر المعجم الفلكي ص ٥٧ و ٣٨ .
(٢) المرجع السابق ص ٨٨ .

١ ـ الطَرْف : نجم في صورة الأسد ، وهو التاسع من منازل القمر .

٢ ـ الزبرة : نجمان في صورة الأسد ، وهما المنزل الحادي عشر من منازل القمر .

٣ ـ الصَرْفة : نجم في صورة الأسد ، وهو الثاني عشر من منازل القمر .

العَوّا منزلٌ من منازل القمر .

العوّاء منزلٌ من منازل القمر .

ذكر هذان التعريفان في المعجم الوسيط متتاليين ، وكان من المستحسن لو أغفل الأول منهما .

والعوّاء : خمسة أنجم من برج السنبلة وهي المنزل الثالث عشر من منازل القمر .

السِّماكان نجمان نيران ، أحدهما في الشمال وهو السِّماك الرامح ، والآخر في الجنوب وهو السِّماك الأعزل .

السماكان نجمان نيران في صورتين سماويتين مختلفتين وتعريفهما كما يلي :

١ ـ السِّماك الرامح : نجم نيِّر من أسمائه حارس الشمال .

٢ ـ السِّماك الأعزل : النجم النير في برج السنبلة وهو الرابع عشر من منازل القمر .

الغَفْرُ منزل للقمر . ثلاثة أنجم صغار وهي من الميزان .

الغَفْرُ ، كما في المعجم الفلكي ، ثلاثة أنجم في برج السُّنبلة (١) ، خلافاً لما ورد في بعض المعجمات القديمة من أنها من الميزان ، وهي المنزل الخامس عشر من منازل القمر .

زُبَانَى العقربِ قَرْنُها . وهما زُبانَيَانِ .

كان من المستحسن أن يضاف إلى هذا التعريف في مادة [ز ب ن] ما يلي :

والزبانيان : نجمان في الميزان هما المنزل السادس عشر من منازل القمر .

(١) انظر ص ١٠٨ .

الشَّولَةُ	منزلة من منازل القمر ، وهي كوكبان نيّران متقابلان في برج العقرب ينزلهما القمر ، يقال لهما حُمَةُ العقرب ، تشبيهاً بها ، لأن البرج كلّه على صورة العقرب ، وسمِّيت هذه المنزلة بشولة العقرب .	تعريف مسهب ، الى جانب اغفال نجوم أخرى في برج العقرب تعتبر من المنازل ، إذ يوجد في هذا البرج ثلاثة منازل وهي : ١ — الإكليل : أو اكليل الجَبهة : أربعة أنجم في العقرب ، وهي المنزل السابع عشر من منازل القمر . ٢ — قلب العقرب : النجم النير في العقرب ، وهو المنزل الثامن عشر من منازل القمر . ٣ — الشَّوْلة : نجمان في العقرب ، وهما المنزل التاسع عشر من منازل القمر .
النَّعَائم	مَنْزِلَةٌ من منازل القمر ، صورتها كالنّعامة .	النعائم : ثمانية أنجم في برج القوس وهي المنزل العشرون من منازل القمر .
الأدحِيّ	منزل للقمر بين النعائم وسعد الذابح . (ج) أداحٍ .	جاء في اللسان : الأُدحيُّ : من منازل القمر شبيه بأُدحيّ النّعائم ، وجاء في موضع آخر الأدحِيُّ ، منزلٌ بين النّعائم وسعدِ الذابح يقال له البَلْدَة . وفي اللسان أيضاً في مادة [ب ل د] : البَلْدة : من منازل القمر بين النعائم وسعد الذابح خَلاءٌ إلا من كواكب صغار ، وقيل : لا نجوم فيها البتّةَ ، وفي التهذيب : البلْدة في السماء موضع لا نجوم فيه ليست فيه كواكب عظام ، يكون علماً وهو آخر البروج ، سميت بَلدة ، وهي من بُرج القوس ، وفي الصحاح : البلدة من

منازل القمر ، وهي ستة أنجم من القوس تنزلها الشمس في أقصر يوم في السنة .

هذا ما ورد في المعجمات القديمة ، والمعروف في كتب الأنواء : أن القمر إذا نزل بين النعائم وسعد الذابح نزل رقعة تسمى البلدة ، وقد أغفل المعجم الوسيط الإشارة اليهـا ، قال الأجدابي : وربما عدل عن البلدة فنزل بالقلادة وهي الأدحي [١] .

ان التعريف الصحيح للكلمتين المذكورتين هو كما يلي [٢] :

البَلْدةُ : رقعة من السماء لا نجوم فيها ، وهي المنزل الحادي والعشرون من منازل القمر [٣] .

الأُدحِيّ : أربعة نجوم في وسط النهر مع الخمسة التي في جانبه الآخر ، شبهت بأدحيّ النعام لقربها من النعائم .

(١) انظر كتاب الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي ، تحقيق عزة حسن ص ٨٨ دمشق ١٩٦٤ .
(٢) انظر المعجم الفلكي لأمين المعلوف ص ٧٧ و ٥٥ و ٢٩ .
(٣) انظر القاموس مادة [ب ل د] .

السُّعودَ[١] : سُعُودُ النُّجـوم : عِدّةُ كواكب يقال لكل واحد منهـا : سَعْدُ كذا ، ومنها سعد السعود ، وهو أحدها .	السُّعود نجوم ، وهي عشرة [٢] أربعة منها من منازل القمر ، والستة الباقية هي : سعد نَاشِرَة ، وسعد المَلِك ، وسعد البِهَام ، وسعد الهُمَام ؛ وسعد البارع ، وسعد مطر . وقد ذكر المعجم الوسيط سعد البارع . وأغفل الخمسة الباقية . أما منازل القمر من السعود فهي : ١ ــ سَعْدُ الذّابح : نجمان من الجدي ، وهما المنزل الثاني والعشرون من منازل القمر . ٢ ــ سَعْدُ بُلَع : أو سعد بالع : ثلاثة أنجم من الدلو ، وهي المنزل الثالث والعشرون من منازل القمر . ٣ ــ سَعْد السُّعُود : ثلاثة أنجم من الدّلو والجديّ ، وهي المنزل الرابع والعشرون من منازل القمر . ٤ ــ سَعْدُ الأخْبِيِة : أربعة أنجم من الدّلو ، وهي المنزل الخامس والعشرون من منازل القمر.
البُلَعْ سَعْدُ بُلَعَ : من منازل القمر .	
البَارِع سَعْدُ البازع[٣] : نجم .	سَعْدُ البارع : نجمان في الفرس .

(١) كذا وردت في الأصل وصحتها بضم الدال .

(٢) انظر كتاب الأزمنة والأنواء لابن الاجدابي . ص ٧٥ . الذي سبقت الإشارة اليه وانظر التاج مادة [س ع د] .

(٣) كذا في الأصل وقد جاءت الراء معجمة تصحيفاً ، وفي المعجم الفلكي ويسمى سعد النازع .

الرَّشاء منزل للقمر، وهو كواكبُ صغارٌ على صورة السمكة، يقال لها بطن الحوت، وفي سُرَّتها كوكب نيِّر ينزله القمر. (ج) أرشية.

تعريف الرشاء هذا نقل عن التاج مجموعاً من قولين مختلفين، وأُغفل فيه قوله: على التشبيه بالحبل. والرَّشاء: نجم نيِّر في الحوت وهو الأخير من منازل القمر. ويسمى بطن الحوت.

ويلاحظ أن مما أغفله المعجم الوسيط من منازل القمر، ولم يسبق أن أشرنا اليه المنزلين التاليين:

١ – الفَرْغ الأول: نجمان من صورة الفرس، وهما المنزل السادس والعشرون من منازل القمر.

٢ – الفرغ الثاني: نجم في الفرس، وهو السابع والعشرون من منازل القمر.

الدُّبُّ الأكبر: سبعةُ نجوم أخرى على الصورة السابقة ولكنها أكبر منها.

بناتُ نَعْش سبعة كواكب تُشاهد جهة القطب الشماليّ، شُبِّهت بحَمَلَة النَّعش. الواحد: ابنُ نَعْش. وجاء في الشِّعر «بنو نعش» قال النابغة الجعديّ:

«إذا ما بَنُو نعشٍ دنَوا فتصوَّبوا»

النَّعَيْشُ السُّها أوسط بنات نَعْش.

الدُّب الأكبر صورة سماوية عظيمة المساحة، تعرف بواسطة النعش الأكبر وبناته. ولقد جاءت المعجمات القديمة كلها تقريباً على ذكر هذه الصورة وتعريف نجومها المختلفة، إلا أن تلك المعاجم كانت متفاوتة من حيث صحة التعريفات الواردة فيها بالنسبة الى المتفق عليه عند علماء الفلك، مما يجعل الاعتماد عليها وحدها يورث الاضطراب والوقوع في أخطاء علمية، وهذا ما وقع فيه المعجم الوسيط.

وإذا رجعنا الى كتب القدامى من علماء الفلك العرب وجدناهم متفقين على أن: بنات نعش الكبرى: سبعة نجوم نيِّرة، الأربعة منها على

ويقال : « هو أخفى من نُعَيْش في بنات نَعْشٍ ».

السُّها	كوكب صغير خفيّ الضوء في بنات نعشٍ الكبرى أو الصغرى . وفي المثل : « أُريهـا السُّها وتريني القمر » . يضرب للمدهوش الذي يُسأل عن شيء فيجيب جوابا بعيداً .
الحَوَرُ	النجم الثالث من بنات نَعْشٍ الكبرى .

شكل التربيع وهي التي تُسمّى نعشاً ، والثلاثة بناته . وحذاء الأوسط من النبات نجم صغير جداً ، يكاد يلتقي به ، يُسمّى السُّها ، وبه يضرب المثل في الخفاء (١) .

إن أهم ما يلاحظ على التعريفات الواردة في المعجم الوسيط هي :

١ ـ جعل الدب الأكبر مرادفاً لبنات نعش .
٢ ـ عدم التفريق بين بنات نعش الكبرى وبنات نعش الصغرى .
٣ ـ التعليل الذي أورد لتسمية النجوم السبعة ببنات نعش .
٤ ـ ذكر أن النعيش أوسط بنات نعش .
٥ ـ ذكر أن السها نجم في بنات نعش .
٦ ـ الترديد بين بنات نعش الكبرى والصغرى ، الوارد في تعريف نجم السُّها .
٧ ـ ذكر أن الواحد من بنات نعش يُسمّى: ابن نعش ، لأنه على رغم ورود هذا القول في المعجمات القديمة ، لم أعثر على نص قديم أطلق فيه على نجم من بنات نعش اسم ابن نعش ، سوى ما ورد في الشعر من ذكر (بنو نعش) بدلاً من بنات نعش .
٨ ـ وصف الحَوَر بأنه النجم الثالث دون تحديد موقعه .

(١) انظر كتاب الأزمنة والأنواء لابن الاجدابي وقد سبقت الإشارة إليه .

لقد كان من المستحسن أن تكون التعريفات في معجم حديث كالوسيط ، كما يلي :

الدُّب الأكبر : مجموعة من النجوم تؤلف صورة سماوية ، تعرف بواسطة نجوم بنات نعش الكبرى ، وبها يُهتدى الى معرفة النجم القطبي.

بنات نعش : مجموعتان من النجوم أحدهما كبرى والثانية صغرى .

بنات نعش الكبرى : سبعة نجوم نيّرة ، أربعة منها على شكل مربع فشبهت بالنعش ، والثلاثة كالذّيل سميت بنات نعش ، ثم أطلق هذا الاسم على النجوم السبعة ، وبواسطتها يهتدى الى بنات نعش الصغرى التي فيها النجم القطبي .

بنات نعش الصغرى : سبعة نجوم على هيئة بنات نعش الكبرى ، والنجم الثالث من الذّيل في بنات نعش الصغرى : نجم نيّر يسمى النجم القطبي .

النُّعيش : نجم السُّها .

السُّها : نجم خفي ملاصق للنجم الأوسط من الذّيل في بنات نعش الكبرى المسمى العَنَاق ، وفي المثل ...

الحَوَر : النجم الثالث من الذّيل في بنات نعش الكبرى ، وهو الملاصق للنعش .

القائد : النجم الأول من بنات نعش الكبرى ، وهو طرف الذّيل .

(يتبع) عدنان الخطيب

الدخيل في العربية

كثر الكلام على الدخيل في العربية على مر العصور . غير أن كلام القدامى في هذا الموضوع مفتقر الى الدقة والتثبت كما سنرى ، أما المحدثون فقد تهيأ لهم من وسائل البحث ما جعلهم أقرب الى العلم الصحيح منه الى الحدس والظن .

أقول : « ما جعلهم أقرب الى العلم الصحيح » ؟ وأنا أقصد أنه لم يسلك جميع المحدثين النهج العلمي في بحثهم عن هذا الموضوع ، فالمستشرقون مثلا هم أصحاب النظرية العلمية في علم اللغة التأريخي وعلم اللغة المقارن (١) . وفي تطبيق هذه النظرية يتجلى البحث العلمي الذي ينأى عن أسلوب الحدس والظن ، أما غيرهم من المحدثين ولا سيما بعض الآباء المسيحيين فقد أخذوا بضرب من الهوى للغة الآرامية فحسبوا أن جميع ما في العربيـــة آرامي بالأصالة ثم دخل العربية . وهذا سبيل ينأى عن العلم الصحيح كما سنرى .

وها أنا أعرض للمصنفات في هذا الموضوع مبتدئاً بـ :

(١) كتاب المعرّب من الكلام الأعجمي لأبي منصور موهوب بن أحمد ابن محمد بن الخضر الجواليقي وقد طبع في ليبسيك وفي مصر . والجواليقي في هذا الكتاب يعتمد على أبي عبيدة وابن قتيبة والأزهري وابن دريد وغيرهم . وهؤلاء قد أشاروا الى الفارسي المعرّب إشارات صحيحـــة ،

---

(١) انظر في توضيح هذا الموضوع :

A. Meillet — La Methode Comparative En Linguistique Historique, Paris 1954

A. Meillet — Linguistique Historique et Linguistique Générale

فأما ما خلا ذلك فلم يكونوا على علم أكيد به ، فقد لحوا في الألفاظ اللون المعرّب فقالوا : أعجمي معرب كالباشق من الطير مثلاً ، وقالوا في « الباسور » : قد تكلمت به العرب ، وأحسب أن أصله معرب كما جاء في معرب الجواليقي . وعبارة « اللسان » : الباسور كالناسور أعجمي داء معروف . و « التاريخ » كما يذكر الجواليقي الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض وأن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب .

ولم يكن القدامى على علم بأخوات العربية من اللغات السامية فقد ذكر الجواليقي في باب الحاء :

قال مؤرّج : والنبيط تسمى المحبوس المهرزق بالهاء ،

وقال أبو عبيد : حرزقته حبسته ، قال الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربّه بساباط حتى مات وهو محرزق

أقول : لم يعرف القدامى ما خلا العربية من اللغات السامية . فالمراد بالنبيط الآراميون ، والنبطية هي الآرامية عندهم ، وقد يذكرون السريانية وهم لا يميزون بين النبط والآراميين وقد يجهلون الفرق التاريخي في التسمية بـ « السريانية » ، كما أنهم لم يهتدوا الى القرابة بين هذه اللغات وبين العربية وأن كثيراً من المواد اللغوية تدخل في باب المشترك بين هذه اللغات جميعها .

ذكر الجواليقي : قال أبو بكر فأما الديوث فكلمة أحسبها عبرانية أو سريانية .

وذكر : وفي اللسان « ربان السفينة الذي يجريها ويجمع على ربابين . قال أبو منصور : وأظنه دخيلاً » . والذي أراه أن الكلمة عربية فقد نص ابن دريد على أن ربان كل شيء أوله .

والربانيون ، قال أبو عبيد : أحسب الكلمة ليست بعربية إنما هي

عبرانية أو سريانية ، وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين(١) . قال أبو عبيدة وانما عرفها الفقهاء وأهل العلم . قال : وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول : الربانيون العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي .

وذكر : ان السجنجل المرآة بالرومية .

والأمثلة كثيرة على ذلك ، نخرج منها الى ان هذا الصنف من الكتب لا يمكن أن يكون مادة يطمئن اليها الباحث في الأصول اللغوية .

(٢) كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي وقد طبع مراراً في مصر . وطريقة الكتاب ومادته يفتقران الى الدقة العلمية التي تحدثنا عنها ، والكلام عليها كالكلام على المعرب للجواليقي .

(٣) معجمات العربية المطولة كالجمهرة والصحاح ومقاييس اللغة والمجمل واللسان والقاموس والتاج .

---

(١) قد عرفت العرب (الربانيين) وقد وردت في كتابهم العزيز الأول :« كونوا ربانيين »، وعلماء العرب ، غير أبي عبيد الذي حسبها ليست بعربية ، ذهبوا إلى أنها عربية فهذا سيبويه يقول : زادوا ألفاً ونوناً في الرباني اذ أرادوا تخصيصاً بعلم الرب دون غيره كأن معناه صاحب علم الربّ دون غيره من العلوم ، وهو كما يقال : شعراني ولحياني ورقباني إذا خُص بكثرة الشعر وطول اللحية وغلظ الرقبة ، فاذا نسبوا الى الشَّعَر قالوا شعَري ، والى الرقبة قالوا رقبيّ ، والى اللحية لحييّ ، والرّبيّ منسوب إلى الرب والرباني الموصوف بعلم الرب .

وقال ابن الأعرابي ، الرباني العالم المعلّم الذي يغذو الناس بصغار العلم قبل كبارها وقال محمد بن علي بن الحنفية لما مات عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : اليوم مات ربّانيّ هذه الأمة ، وروي عن علي أنه قال : الناس ثلاثة : عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق .

وقال ابن الأثير وهو من علماء العرب : هو منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون للمبالغة ؛ ويعلق ابن منظور على قول أبي عبيد بقوله : وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين ، فقول أبي عبيد ظن وحسبان ، وقول أبي عبيدة من المزاعم المحتاجة الى برهان ، والله أعلم . (لجنة المجلة)

(٤) في كتاب الإتقان للسيوطي فصل كبير فيما وقع في القرآن بغير لغة العرب .

(٥) رسالة في تعريب الألفاظ الفارسية لابن كمال باشا طبعت في مصر .

(٦) كتاب التقريب لأصول التعريب للشيخ طاهر الجزائري طبع في مصر .

(٧) كتاب الاشتقاق والتعريب لعبد القادر بن مصطفى المغربي طبع في مصر .

(٨) كلام على التعريب والمعربات في مقدمة إلياذة هوميروس المترجمة لسليمان البستاني .

(٩) كتاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير طبع في بيروت .

وقد عقب أحد العلماء الإيرانيين على هذا الكتاب فأخذ عليه مآخذ كثيرة .

وهناك تصانيف أخرى اقتصرت على ذكر ما هو آرامي في العربية . وهأنا أورد جملة ما هو مطبوع منها :

(١) كتاب « الدوائر السريانية في لبنان وسورية » للأب يوسف حبيقة البسكنتاوي الراهب الماروني اللبناني ، والكتاب مطبوع في جونية ، وهو في جزءين صغيرين طبع الجزء الأول سنة ١٩٠٢ ، والثاني سنة ١٩٠٤ ، وقد اشتمل هذا الكتاب على صغر حجمه على الاستدراكات والتصحيحات والتعقيبات والملحقات وغير ذلك . وهذا الكتاب قد حوى من الكلمات العربية ما ظن البسكنتاوي أنه آرامي وحقيقته من باب المشترك بين اللغتين أو حتى بين أكثر من اللغتين . وسنرجع الى الموضوع نفسه .

(٢) كتاب « اللغات السامية المحكية في سورية ولبنان » لفيليب حتي . وهو رسالة صغيرة تقع في ٤٦ صفحة طبعت في بيروت سنة ١٩٢٢ تناول فيها صاحبها الناحية التاريخية للغات التي كانت في سورية ولبنان منذ أقدم العصور ، كما تناول آثار الآرامية في عامية هذه البلاد وأتى بأمثلة على ذلك .

(٣) الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية للدكتور داود الچلبي الموصلي وقد طبع في الموصل سنة ١٩٣٥ . وهو كتيب يقع في ٩٠ صفحة .

(٤) مقالات في الألفاظ السريانية الآرامية الدخيلة في العربية للبطريرك أفرام الأول برصوم التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي .

(٥) كتاب الألفاظ السريانية الآرامية في اللغة العربية للأب يوسف حبيقة البسكنتاوي وقد نشره الأب بطرس ساره في مجلة المشرق في الجزءين الرابع والخامس لسنة ١٩٦٣ ، وهو كتيب يقع في ٤٨ صفحة .

(٦) العربية وشقيقتها السريانية الوفية لمار أغناطيوس يعقوب الثالث وهي مقالة نشرت في الجزء الأول من المجلد الأربعين من مجلة المجمع العلمي العربي لسنة ١٩٥٦ .

(٧) Siegmond Frankel — Die aramaïschen fremdwörter im arabischen, Leiden 1886.

(٨) Rudolf Dwôràk — Ueber die fremdwörter im Koran, Wien 1885.

والذي حفزني الى كتابة هذه المقدمة كل من مقالة مار اغناطيوس يعقوب الثالث المتقدم ذكرها وكتاب الألفاظ السريانية الآرامية في اللغة العربية للأب يوسف حبيقة . كانت المقالة الأولى مقدمة تاريخية في تشابه الآرامية بالعربية وعرضاً لنواحي التشابه ثم يعقب على هذه المقدمة بقوله : « اننا لن نحاول هنا أن نحاكي بعض من سبقنا الى بحث هذا الموضوع ، بل نبحثه بطريقة مبتكرة ، تاركين الحكم للقارىء الكريم أن يقول كلمته في اللغة التي اقتبست هذه الألفاظ من الأخرى . ولكننا في الوقت نفسه نؤكد جازمين في أن العربية اقتبست من السريانية الألفاظ التالية » . ويبدأ في عرض هذه الألفاظ .

والذي يلوح لي أن هؤلاء الفضلاء قد اندفعوا فبعدوا عن العلم الصحيح ، وإلا كيف تكون الكلمات الآتية سريانية دخلت العربية ولا تكون عبرانية أو بابلية قديمة (اكدية) ، ولِمَ لا تكون من المشترك السامي الذي وجد في كل هذه اللغات ودونك شيئاً من ذلك :

(١) ܫܡܫܐ Chemcha شمس : أقول لِمَ لا تكون هذه الكلمة هي أيضاً שֶׁמֶשׁ العبرانية ، ثم هل تكون هذه الكلمة عبرانية دخلت العربية أو عبرانية دخلت الآرامية أو أننا نرجع الى العلم الصحيح فنقول : إنها كلمة سامية قديمة ، ومما يدل على أصالتها السامية وجودها في هذه اللغات السامية جميعها .

(٢) ܪܝܫܐ Richa راس ، وهي في العبرانية ראשׁ : وسبيلنا في هذه الكلمة أيضاً أنها من المشترك بين هذه اللغات .

(٣) ܢܦܫܐ Nafcha نفس ، وهي في العبرانية נֶפֶשׁ : وهي من الموضوع نفسه .

(٤) ܥܪܒ Erab غَرَب ، وهي في العبرانية עָרַב : وهي من المشترك بين هذه اللغات .

(٥) ܡܥܪܬܐ Maavta مغارة والمادة العربية هي (غور) في المعنى نفسه ، وفي العبرانية עור ، وهي من المواد المهملة كما في :

Gesenius' Hebrew And Chaldee Lexicon .

(٦) ܐܪܥܐ Araa أرض ، وهي في العبرانية אֶרֶץ :فلِمَ لا تكون أرض من العبرانية ، ولِمَ لا يكون الجميع مشيراً إلى الأصل القديم السامي ؟

(٧) ܓܡܠܐ Gamla جمل ، وفي العبرانية גָּמָל .

(٨) ܪܓܠܐ Regla رجل ، وفي العبرانية רֶגֶל .

وأحب أن أقول لقداسة المار أغناطيوس يعقوب الثالث أن العربية أخذت من السريانية كما أخذت من غيرها ، وهذا أمر طبيعي في علم اللغة التاريخي ، ولكن لا بد لنا من أن نسلك في ذلك سبيل التثبيت لتتم الفائدة العلمية .

أما كتاب الألفاظ السريانية الآرامية في اللغة العربية للأب يوسف حبيقة البسكنتاوي المنشور في « المشرق » فهو معجم صغير مرتب على الحروف الهجائية وهو يحوي كل شيء عجب من الخبط والخلط . وصاحبه حاطب ليل ولا أقول أكثر من هذا ، وإلا فكيف يجوز أن يكون « أب » و « أخ » و « أبد » و « أبّال » (راعي الإبل) و « آدَم » و « آخَر » و «أكَل» و «لَبَس » من الألفاظ السريانية التي اقتبستها العربية .

ثم كيف يكون « ابريق » و « آجر » من الألفاظ السريانية وقد ثبت أنها من الفارسي المعرب .

وأستطيع أن أرد المئات من هذه الألفاظ التي اشتمل عليها الكتاب الى الوجه الصحيح والغالب فيها أنها من اللفظ السامي المشترك لوجودها في أكثر اللغات السامية . فهل يمكن أن نقول إنها في جميع هذه اللغات قد جاءت من السريانية ؟ هذا مما لا يصدقه من له اليسير من الاطلاع على هذه الناحية اللغوية التاريخية .

وقد عجبت أن تنشر مجلة المشرق هذه المادة وهي التي قد عرفت بخدمتها الصادقة للثقافة المسيحية . ومن الإنصاف لهذه الثقافة أن تبقى في حيز العلم .

الدكتور ابراهيم السامرائي

مصطلحات جدد

لكلمات افرنجية

— ٢ —

— A —

Agitation دَمَش

وهو الهيجان من حرارة أو شربِ دواء . تخصيصاً للاضطراب الطفيف العارض الذي يشعر به المريض إثر تناوله بعض الأدوية .

Ancre أنْجَر

وهو مِرْساة السفينة ، معرّب (لَنْكَر) الفارسية . ومما ألاحظه أن الكلمة المعرّبة إذا لفظت بالجيم المصرية وافقت لفظاً ومعنىً الكلمة الافرنجية . وكذا الهَوْجَل ـ كالهَجُول ـ وهو أنجر السفينة .

Angoisse عَنَص

وهو ضيق الصدر ، وقد عنِص كفرح عُنُوصاً . أما (Anxiété) فالضجَر والملل .

Anticoagulant مَنْزَفَة

وزان مَفعلة الدالّ على الذي يفعل ، من (النَّزف) ، لتلك المواد التي تعمل ضد الإرقاء .

Antilaiteux مَسْفَاة

من (السَّفاء وهو انقطاعُ لبن الناقة) . وكذا (مَمْصَمَة : من مَصَع لبنُ الناقة : ولّى) ، خصصتها لما يقطع اللبن . بدلاً من كلمتيْ (مُنَضّبات اللبن) . ومن مرادفات الكلمة الافرنجية : (Agalactagogue) .

Arrondi مُشَرْجَع

وهو ما لا حروف لنواحيه . مثال : إذا كانت الخشبة مربّعة فأمرتَه بنحت حروفها قلتَ : شَرْجِعْها . (العامة تقول : مَشْطُوف) .

تخصيصاً لبعض الآلات والأواني الزجاجية التي تُشرجَع لئلا تجرح يد مستعملها . ومثلها (مُدَمْلَك) من : (حجرٍ وسهمٍ مدملك ، مستدير مخلَّق أي مملَّس وهو المفتول المصوب . [والمصدر ، شَرْجَعَ Arrondir] .

فُقاس Arthrite

وهو داء في المفاصل كما في القاموس (١) . بدلاً من كلمتي (التهاب المفصِل) وبهذا يستفاد في وضع المصطلحات التالية :

Arthrite déformante (ou sèhe) فُقاس مشوَّه (أو جافّ)
بدلاً من (التهاب المفصل المشوَّه (١)) .

Arthrite déformante juvénile فُقاس مشوَّه فَتَوي
بدلاً من (التهاب المفصل الفتوي (١)) .

Arthrite fongeuse فُقاس كَمْئي
بدلاً من (التهاب المفصل الكمئي (١)) .

Arthrite du genou فُقاس الركبة
بدلاً من (التهاب مفصل الركبة (١)) .

Arthrite sénile فُقاس شيخوخي
بدلاً من (التهاب المفصل الشيخوخي (١)) .

Arthrite suppurée فُقاس متقيِّح
بدلاً من (التهاب المفصل المتقيح) .

Arthritique (diathèse) فُقاسيّ (تأهُّب)
من الكلمة الآنفة . بدلاً من (تأهب فُقاصي) . انظر الكلمة التالية :

فَقَس Arthritisme

وزان فَعَل الدال على علة أو مرض أو حالة غير طبيعية . من

(١) والذي جاء في لسان العرب (فقس) : والفُقاس داء شبيه بالتشنّج (اللجنة) .

(الكلمة الآنفة : فُقاس) . أما (قَفَص) التي يستعملها بعض الزملاء فهي (داء في الدواب يُيبّس قوائمها) .

— B —

Ballonnement دَحْقَلَة

وهي انتفاخ البطن كما في القاموس . بدلاً من (حَبَط) الذي هو : آثار الجرح أو السياط بالبدن بعد البرء أو الآثار الوارمة أو هو انتفاخ البطن من أكل الذُّرَق ، والداء : (حُباط) . يرادف الكلمة الافرنجية (Météorisme) .

Bon de sortie فُرُوغ

من (فَرَغَ منه كمنع وسمع ونصر فروغاً : خلا ذَرْعُه . وتفريغ الظروف : إخلاؤها) يقصد من الكلمة : العوَض الذي يأخذه من وافق على (فَرْغ) مكانه لآخر دكاناً كان أو بيتاً أو أرضاً . فيقال : (أخذ فلانٌ فروغاً عن دكانه ـ مثلاً ـ عشرين ألف ليرة) . وهو في رأيي من السُّحْت أي الحرام ، وما خَبُثَ من المكاسب ، وضربٌ من الاعتصار والابتزاز . وحبذا لو اتُّخذ قانونٌ يمنعه ألبتة دفعاً للضر وقطعاً للشر .

— C —

Capsule (de coton) يَيْلَم

وهو جوز القطن . ومثله (عُفازَة) . وأما الحَبّ فهو (الفُرْزُع) كقنفذ ، و (الخَيْسَفُوج) انظر : (Grains de coton) .

Chapeau melon أُرْصُوصة

وهي قلنسوة كالبطيخة . بدلاً من (قبعة كالبطيخة) ، لما هو مشهورٌ بهذا الاسم الفرنسي من القبعات .

Chanteuse رُنُم

وهنّ المغنّيات المُجيدات .

Chaulage تَصْريج

من (الصاروج وهو الجير ، وصرّج الحوضَ جيّره) ، خصصتها لذلك العمل الكيمياوي الذي تعالج فيه عصارة الليمون أو الشوندر ، بالجير في

صناعي حمض الليمون أو السكّر أو الصناعات الأخرى بغية ترسيب المادة المطلوبة ، بحالة ملحٍ كلسي أو معقّد كلسي ، لفصلها عما يشوبها من المواد الأخرى الموجودة في العصارة .

Chèvre - feuilles أصابع الفَتَيات (١)

وهي ريحانة تعرف بالفَرَنْجمُشْك . و (بالتركية : خانم ألي أي يد السيدة ، ويُراد بها أصابعها تشبيهاً) .

Clifoire مِضَخَّة

وهي قصبة في جوفها خشبة يُرمى بها الماء ، كما في القاموس ، وهي التي يلعب بها الصبيان . وفي اليوم الحاضر أطلقت الكلمة العربية تعميماً على الآلات الحديثة التي تُضَخُّ بها المياه لما يقابلها بالافرنجية (Pompe) .

Col étroit (flacon au) مَحْزُوقَة العنق (قارورة)

أي ضيّقة العنق من (حَزَقَ الشيءَ : عَصَرَه وضيّقه) ومنه : إبريق محزوق العنق ضيّقُها (ومثلها بالفرنسية : étranglé) .

Combination (٢) قَرْقَل

وهو قميص للنساء لا كُمَّيْ له (جمعه قراقل) . فنَصُّ القاموس صريح ، لاتخاذ الكلمة العربية لما تتبذّل به النساء في مباذلهن ، من الثياب

---

(١) وفي معجم الألفاظ الزراعية : صريمة الجدي وسلطان الجبل (اللجنة)

(٢) والذي جاء في تعريف Combinaison انه الثوب المركب من القميص والسروال معاً يلبس تحت الثياب ، وإن كان المراد القميص بلا كمين ففي العربية ما هو أخف وألطف من قرقل مثل الإتب والشوذر والعلقة والصدار كما جاء في لسان العرب . (اللجنة)

الرقيقة النسيج العديمة الكمَّيْن . وكذا (الشَّفّ) ويكسر : الثوب الرقيق وهو ما رقّ فحكى ما تحته . و (الشَّفْشاف) مثله كذلك . وكذا (الهَفْهاف) وهو من القمصان ، الشفّاف . والقرقل أخص .

Combustible حَرُوق

وزان فعول ، لكل ما هو قابل للإحتراق . فإذا استعملت الكلمة الافرنجية بالجمع(Combustibles) فيقابلها (وَقُود) ، بدلاً من (المحروقات) .

Confiné (air) زَهِيم (هواءٌ)

من الزَّهَم والزُّهْم والزُّهُومة وهي رائحة الجسد من صُنان أو نَتَن . انظر (miasme) .

Corbeille à ouvrage مِشْيَمَة

قُفّة للمرأة لقطنها ونحوه، ومن مرادفات الافرنجية Panier à ouvrage .

Corset أُضْخومة

(وكذا أعظومة) وهي عظامة المرأة أي ما تعظم به عجيزتها[١] .

Couronne de fleurs رُعْلة

وهي الإكليل من ريحان وآس . بدلاً من (اكليل من الزهور أو الورود الخ .) ففي كلمة (رُعلة) ما يُغني عن الوصف بإضافة كلمة الزهور أو الورد الخ .

Crakage (= craking) تَبْعيض

من (بَعَّضه تبعيضاً : جزّأه فتبعّض : تجزّأ ، وبعضُ كلِ شيءٍ ، طائفةٌ منه ، كما في القاموس) وهي أكثر ملاءمةً من (تحطيم) من (حطّمه فتحطّم : تكسّر وتهشّم) . ومن (تكسير) من (كسّره

(١) الذي يقابل Corset هو المشد المستعمل في بلادنا وهو أصح وأدل على المعنى لأن المقصود بها الهيف والنحول لا الضخامة وتعظيم الأرداف . (اللجنة)

فتكسّر وتهشّم) . فلما فيها من معنى الجزء وطائفة من الكل ، خصصتها للعمل الذي يتم به تجزئة الذرات الثقال [وعلى وجهٍ عام ذرات الفَحْمُورات (= الفحوم الهدرجينية) العالية الفحم من ٢٠ فحماً فأكثر] الى فحمورات أبسط بنية ، وهي بعضٌ من كل ، وذلك على نمطين : نمط الصفحة الغازية ، ونمط الصفحة المائعة ، فتقول مثلاً : تبعيض البترول أي تجزئته الى فحمورات ذوات ذرات أبسط مما كان يحتوي عليه من الفحمورات ذوات الذرات الضخام .

Croc - en - jambe نَسَفَة

من التنسّف في الصراع : أن تقبض بيده ثم تَعترّض له رِجلَك فتعثّره . وكذا (الشَغْرَبِة : اعتقـــال المصارع رِجلَه برجْلٍ آخر وصرعُه اياه) والعامة تقول (شَقَلَبَة ، إبدالاً) . ومثلها (الشغزبية ، بالزاي) . أما (الشّرَص ، في الصراع فهو أن يضمه على ورِكيه فيصرعه) .

Cryoscopie قياس الجُمُوس

الجموس هو الجمود وأكثر ما يستعمل في الماء ، وليلة جُماسِيّة : باردةٌ يجبُس فيها الماء. أما الكلمة الافرنجية فهي من اليونانية Kruos = بَرْد) و (skopein = اختبار ، فحص) . وقياس الجموس : طريقة في الفيزياء لاختبار نقطة جموس المحلولات (point de congélation) على وجه عام .

Cure de sudation إستحناذ

من (إستحنذ ، إضطجع في الشمس ليعرّق) بدلاً من (معالجةبالتعريق) .

Cymbale وَنّ

وهو الصنج الذي يُضرب بالأصابع (القاموس) .

السكواكبي

شيخ شيوخ حماة

الشرف الأنصاري

(٥٨٦ – ٦٦٢ هـ = ١١٩٠ – ١٢٦٤ م)

حياته وآثاره

مراحل حياته

في دمشق الفيحاء ، وفي درب الكشك ، أحد أحيائها القديمة ، ولد الشاعر الكبير شيخ شيوخ حماة ، ورئيسها الصاحب شرف الدين[١] ، أبو محمد ، عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن محمد بن منصور بن خلف ، المعروف بـ « ابن الرفّاء » ، ضحى الأربعاء في الثاني والعشرين من جمادي الأولى سنة ٥٨٦ هـ .

وهو عربي صميم من قبيلة أوس الأنصارية ، وكانت تسكن كفر طاب[٢] مع سكانها من بهراء وتنوخ ، وقد أشار إلى نسبه في شعره بقوله :

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٥ ص ١٠٨ ، وابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ ، وأبو شامة : ذيل الروضتين ، ص ٢٣١ ، وابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ٧ ص ٢٣١ ، والمنهل الصافي (مخطوط) ج ٢ و ٣٢٩ ، واليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١١٩ ، وأبو الفداء : المختصر ج ٤ ص ٣ ، وابن إياس : بدائع الزهور ، ج ١ ص ١٠٣ ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٥ ص ٣٠٩ ، والسيوطي : بغية الوعاة ، ج ص ٣٠٩ ، والصابوني : تاريخ حماة ص ١٣١ .

(٢) كفرطاب : ذكر ياقوت أنها بلدة بين المعرة وحلب في برية معطشة ، وأهلها ليس لهم شرب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج (معجم البلدان ج ٤ ص ٤٧٠) .

وإذا ما الأوس عدوا فإني   من ذويهم في لباب اللباب [١]

هاجمت الروم والفرنجة هذه المدينة ، فشتتت شمل سكانها ، إذ أخرجتهم من ديارهم ، فانتقل أبوه إلى دمشق ، وجمع بين عمله التجاري في سوق الخواصين ، والنيابة عن ضياء الدين بن الشهرزوري في القضاء والأوقاف سنة ٥٨٢ هـ ثم انتقل أبوه بعد ذلك إلى حماة ، وولي نظر أوقاف الملك المنصور الأول بطلب منه ، وكان في الوقت نفسه ناظر أوقاف الخليفة العباسي . يؤكد ذلك قوله للرشيد المصري القائم على وزارة ماله لما امتنع عن الحضور عنده : « وهذا ليس لك عليه اعتراض ، ولا وليته إلا بالإكراه ليكون ناظر أوقاف الخليفة ناظر أوقافي » [٢] .

يؤكد هذا الخبر أنه انتدب من قبل الديوان العزيز ببغداد لعقد نكاح بعض مماليك الخليفة على بعض جواريه : فارتجل بديهاً أمام الحاضرين خطبة من روائع خطب العقود [٣] ، إذ المعروف عنه أنه كان ماهراً في الخطابة والترسل ومطبوعاً على نظم الشعر . وقد حاول أن يدرب ابنه عليه بتلك المطارحات الشعرية الجميلة منذ نعومة أظفاره .

وكان شرف الدين معجباً بأبيه ، وقد أشار إلى جلالة قدره وكريم محتده في معرض قوله يفتخر به :

نُفُرٌ كالحمر المستنفره   أجفلت هاربة من قسوره
طلبوا شأوي ولما يلحقوا   بعد لأي من غباري أثره
من يسالمني أسالمه ومن   رام حربي فإليه المعذره
وأبي من قد علمتم قدره   مجهر بالخطبة المستحفره
من يشاجره يصادف قومه   جل من بايع تحت الشجره [٤]

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٨ .
(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٣٨ .
(٣) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٤١ .
(٤) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٥ .

في مملكة حماة الأيوبية وفي بيئتها العلمية التي ازدهرت في عهد ملوكها من أحفاد الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين ، وفي عصرها الذهبي خلال حكم أكبر ملوكها المنصور الأول ، الأديب العالم الذي سمع الحديث في الإسكندرية عن الحافظ السلفي ، وصاحب التآليف المشهورة ، نشأ شرف الدين فاستكمل علومه الدينية والأدبية بإشراف والده ، وقرأ القرآن الكريم برواياته المختلفة ، واشتغل بالأدب على أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي ، وسمع منه كثيرا [١] ، حتى إذا نال قسطه من العلوم والمعرفة ، شرع يرتحل مستزيداً من ثقافته وعلمه ، والتقى بمشاهير العلماء في عصره ، نذكر منهم شيخه سيف الدين الآمدي وكان يلاقبه [٢] . كما ذكر ابن شاكر أن والده رحل به ، وأسمعه جزء ابن عرفة من ابن كليب وأسمعه المسند كله من عبيد الله بن أبي المجد الحربي [٣] .

نظم الشاعر في بعض رحلاته عن حماة في أيام صباه قصيدة ، صور نفسيته ووصف طموحه الى المجد والمعالي :

أ آمل كتمان الهوى وهو واضح	ودمعي يوم البين بالسر بائح
لعمري لقد حاولت ما لا أناله	كما حاولت إمساك قلبي الجوارح
لعل بعادي عن حماة يعيدني	تخاف السطى مني وتُرجى المنائح
لأهزم جيش المال وهو عرمرم	وأدفع صدر الخطب والخطب فادح
على أنني قد كنت فيها مكرماً	تراع لكراتي القروم الجحاجح
مقيما بربع الدير جسمي وصحبتي	وقلبي بربع القصر غاد ورائح

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١١٩ ، وابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٩ .

(٣) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ .

يهيج أشجاني به كل ليــلة وتصرفني عما يقول النواصح
بدور من الباب المصرع طلّعٌ ومسك من الباب المصرع فائح(١)

كان سعيداً في حماة خلال سني طفولته وصباه ، فأبوه قاضي قضاتها يثقفه ويرعاه ، وكانت ملامح النجابة تلوح عليه منذ صغره ، داعب الغرور نفسه في مثل هذه السن المبكرة .

صحب والده فزار بغداد وغيرها ، وسمع فيهـا عن مشاهير علمائها ومحدثيها ، وعاد إلى بلاد الشام ، وتنقل في أرجائها فترة من الزمن ، وأثر عنه أنه حدّث بدمشق وحماة والقاهرة ، وانتهى به المطاف إلى بعلبك فأقام فيها وقتاً قصيراً ، تخرج على يديه تلامذة كثر ، منهم تلميذه ابن الموفق البعلبكي وكان يكاتبه (٢) ، ويظهر أنه ترك في هذه المدينة القديمة صداقات وثيقة استمرت مدى حياته .

لم تطل إقامته فيها طويلا ، فرجع إلى حماة واستقر فيها نهائياً ونسب اليها ، ولقي الإقبال عليه والتشجيع من ملوكها ، فنبه شأنه ، وسار ذكره في الآفاق ، فأمه طلبة العلم ، وغدا كعبة القصاد ، يدلفون إليه لينالوا منه الإجازة من مختلف الأقطار والأمصار ، نذكر منهم : الدميــاطي ، وأبا الحسين ، وابن الظاهري ، وبدر الدين بن جماعة ، وعز الدين بن القاضي الفاضل ، وسبط ابن الجوزي ، وغيرهم كثير ، وكان بعضهم أكبر منه سناً ، وقد عده الأقدمون من أذكياء بني آدم المعدودين (٣) .

كانت منزلته العلمية في صُعُد مستمر : فأصبح يدعى بشيخ شيوخ حماة بجانب والده الذي كان قاضي قضاتها ، فاحترمه ملوكها ، ونظروا إليه

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٣١ .
(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ١٣ .
(٣) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٣٦٥ ، والسبكي : طبقات الشافعية ، ج ٥ ص ١٠٨ .

نظرة الإجلال والتقدير ، فاعتمدوا عليه في توطيد أركان ملكهم ، واستشاروه في كثير من أمرهم ، لأنه كان مستقيما في سيرته .

مدح الشاعر الملك المنصور الأول بمدح كثيرة ، فهو وزيره وشاعره ، ولما ولدت له زوجه ولده محموداً ، لم يقتصر على مدحه بل مدحها بقصيدة مستقلة . وذكر في عنوانها « وقال يمدح الملكة عصمة الدين مهنئاً » :

يا عصمة الدين والعلياء والجود لك الهنـــاء بعز غير محدود
يامن غدت خيرأملاك الزمان لقد ولدت ملك البرايا خير مولود
ظفرتِ بالحمد منا إذ أتيت به مظفراً من بني أيوب محمود
وافى يبشر من ميلاد إخوته في إثره بالملوك السادة الصيد
فدام في ظلك الضافي ودمت له ونلت منه وفيه كل مقصود
وإن يكن جاء بعد العيد مولده فإننا كل يوم منه في عيـد (١)

مات المنصور الأول واضطرب أمر الملك من بعده ، فاستولى الملك قلج أرسلان على زمام الحكم سنة ٦١٧ هـ بمساعدة خاله الملك المعظم صاحب دمشق وهو ليس بصاحب الحق الشرعي ، ذلك أن أخاه المعهود إليه بالملك كان غائباً بمصر في زيارة خاله الملك الكامل ، ولما عاد لتسلمه حذره وخوفه من التعرض لأخيه ، لكن المظفر الثاني لم يكف عن المطالبة بحقه فحاصر حماة بمساعدة عمه ، وراسل حكامها خفية ، واتفق معهم أن يفتحوا له باب النصر في وقت السحر ، فتم له ما أراد ، ودخل المدينة مظفراً وتربع على عرش الملك سنة ٦٢٦ هـ .

كان الشاعر من أنصاره ، وكان على رأس المهنئين ، فمدحه بقصيدة جاء فيها قوله :

تناهى إليك الملك واشتد كاهله وحل بك الراجي فحلت رواحله

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٢٤ .

ألا هكذا فليمنع المجد مانع ألا هكذا فليبذل الرفد باذله
سبقت إلى ورد العلا كل سابق فما نال إلاّ فضل ما أنت نائله
إذا فاعل رام ارتفاعاً بفعله ففعلك مرفوع لأنك فاعله
أبو تقي الدين جوداً وسؤدداً فتمت عطاياه وتمت فضائله
فما لبني أيوب ملك مساجل ولا في بني أيوب ملك يساجله(١)

تؤكد هذه القصيدة أن الشاعر كان غير راض إطلاقاً عن حكم الملك المغتصب حق أخيه، فعارضه وناهضه حتى عاد الحق إلى نصابه وكان هذا الحدث فاتحة عهد جديد في حياته.

اختاره المظفر الثاني ليلي وزارته، ويسوس أمور الملك بما عرف عنه من رجاحة العقل وأصالة الرأي وطيب الأحدوثة، فمدحه بقصائد كثيرة، نذكر منها تهنئته بميلاد ولي عهده المنصور الثاني، وجاء فيها قوله:

غدا الملك محروس الذرا والقواعد بأشرف مولود لأكرم والد
مليك تمنته الممالك حقبة فأوفى عليها مرغماً كل حاسد
حُبينا به يوم الخميس كأنه خميس بدا للناس في شخص واحد
وسميته باسم النبي محمد وجديه فاستوفى جميع المحامد
كأني به في سدة الملك جالساً وقد ساد في أوصافه كل سائد
ووافاك من أبنائهم وبنيهم بأنجم سعد نورها غير خامد
ألا أيها الملك المظفر دعوتي سيوري بها جدي ويشتد ساعدي
هنيئاً لك الملك الذي بقدومه ترحل عنها كل هم معاود(٢)

يتضح لنا مما تقدم أن شرف الدين كان مكين الصلة بالأسرة الأيوبية الحاكمة، وهو في الواقع القاعدة الراسخة التي أقيمت عليها دعائم هذا

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري، ل ٦٧، ٦٨.
(٢) المصدر السابق، ل ٢٥، ٢٦.

الحكم المستقر بحماة ، وهو في غيرها يعتوره الاضطراب والتقلب حتى زال نهائياً ، وبقي وحده في حماة خلال عصر سلاطين المماليك .

تتأكد هذه الحقيقة فتبدو جلية حين موت الملك المظفر ، وكان ولي عهده المنصور الثاني حدثاً غراً لم يتجاوز العاشرة من عمره وتتجه الأنظار إلى إقامة أوصياء على الحكم ، ويمر الأمر بسلام ويكون الإجماع على الشاعر ليكون الرأس المدبر لهذا المجلس الذي أقامته أم المنصور غازية خاتون بنت الملك الكامل ، وأما سائر أعضائه فهم الوزير بهاء الدين بن التاج ، والطواشي مرشد ، وسيف الدين طغريل . تربع المنصور على عرش ملكه بعد بلوغه سن الرشد ، وساد الأمن والاستقرار في ربوع المملكة ، حتى إذا ما توفيت غازية خاتون برز الخلاف على أشده بين الملك وأخيه الأفضل ، فعزم على أن ينتزح عن حماة ، ويغادر أخاه ، بيد أن شرف الدين تدارك بحكمته هذا الخلاف ، فاجتمع بهما ، وأزال ما كان عالقاً في خاطريهما من سوء وعادت الأمور على خير مما كانت ، وساد ملك حماة السلام والوئام بين الأخوين .

كان المنصور يحب وزيره الشاعر ، وكانت تربطه به صلة من الصداقة ، فقد كتب إليه مرة يعاتبه فأجابه قائلاً :

برق سرى من غوادي جلق فغدا ... لنوره مثل قدح النار في كبدي
أهدى إليّ عتاباً من مليك هدى ... أرق من والد يحنو على ولد
مولاي عتبك محمول على كبدي ... وترب رحلك مفديٌّ بذات يدي
أودى بجوهر لفظي بعدكم مرض ... أفنى الذي أبقت الأيام من جلدي
وسار في ركبكم قلبي وذبت ضنى ... فاعجب لروح بلا قلب ولا جسد
حتى أتانيَ سال ، رد لي فرحي ... فرحت أرفل في أثوابه الجدد(١)

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٢٤ .

أسهم شرف بما له من مكانة في توطيد الصلات بين ملوك مصر والشام على السواء ، إذ كان أبعد نظراً من هؤلاء الذين كانوا يثيرون الخصومات ، ويرون ضرورة استقلال كل ملك ببلده ، ويود لو عادت الوحدة السياسية كما كانت في زمن مليكها صلاح الدين وأخيه العادل سيف الدين ، ولهذا السبب كنا نراه يتردد على دمشق والقاهرة في مهمات ملكه المنصور .

يؤكد ذلك أنه سافر إلى القاهرة صحبة الملك الناصر سنة ٦٤٨ هـ ، وأغلب الظن أن سفره كان بسبب الخطر الداهم بعد استفحال أمر التتار القادمين من الشرق ، والذين باتوا يهددون معالم الحضارة الإسلامية في بلاد الشام بعد أن طرقوا أبواب بغداد . ولم تمر أعوام معدودة حتى حدث ما كان في الحسبان ، فأحرقت بغداد ، واكتسحت جيوش هولاكو الغازية أرض الشام بعد عام واحد من سقوط بغداد .

فر الملك المنصور إلى مصر بحريمه وأولاده ، وطلب نجدة السلطان قطز ، فلبى طلبه ، وخرج على الفور معه ، إذ بات الخطر يهدد مصر نفسها ، وهكذا التقى الجمعان ، وولى التتار الأدبار ، ولاذوا بأذيال الفرار ، وهرب معهم خسروشاه عامل هولاكو على حماة ، وعاد المنصور إلى ملكه ، فأقبل عليه شاعره شرف الدين مهنئاً ومادحاً :

رعت العدا فضمنت ثل عروشها ولقيتها فأخذت فل جيوشها
نازلت أملاك التتار فأنزلت عن فحلها قسراً وعن أكديشها
فغدا لسيفك في رقاب كماتها حصد المناجل في يبيس حشيشها
رويت أكبـــاد القنا بدمائهم لما أطال سواك في تعطيشها
أقدمت مقتحماً على نشابهـــا تكسو الجياد رياشها من ريشها
دارت رحى الحرب الزبون عليهم فغدت رؤوسهم حطام جديشها

وطويت عن مصر فسيح مراحل ما بين بركتها(١) وبين عريشها
حتى حفظت على العباد بلادها من رومها الأقصى الى أحبوشها(٢)

وذكر هذه الموقعة الهامة الفاصلة في التاريخ الإسلامي ، في مدحة ثانية ، جاء فيها قوله :

محمـــد خير ماجد يقظ يرضى هداه محمد القرشي
صادم جيش التتار مقتحماً وأجشأت نفسه ولم تجش
لما طغى كبشه تعمـــده فصير الرأس منه في الكرش
فأسلموا الشام بعد ما طمعوا في ملك أرض الحجاز والحبش(٣)

كما كان يترسل إلى الخليفة في بغداد وغيره من ملوك الأقاليم ، وكان مؤتمناً ومحبوباً لدى الجميع لنبل أخلاقه وسمو مقصده ، وكانت له صداقات شخصية تربطه بكثير ممن عرفهم من ملوك عصره ، نخص بالذكر منهم الملك الناصر والملك الأمجد وغيرهما . وكنا أشرنا إلى أنه توجه إلى مصر صحبة الملك الناصر ، وكثيراً ما كان يراسله ويكتب إليه بخطه رسائل يضمنها بعض شعره الذي ينظمه في مدحه ، وكان في بعض الأحيان يوفد إليه رسولاً يستدعيه ليقيم عنده بعض الوقت ، كما حدث ذلك عندما توجه إلى حلب وعمان .

حدث ذات مرة أن توجه الناصر إلى حلب ، فأرسل إليه كاتبه يستدعيه للقائه فحضر إليه ، وأقام عنده ، ثم عزم على العود إلى حماة لخدمة مولاه ، فخرج الملك الناصر لوداعه ، فلما أبعد عن البلد أقسم شرف الدين عليه فأنشده :

(١) بركتها : اظن أنها بركة الحبش ، وهي أرض في وهدة من الأرض واسعة طولها نحو ميل ومشرفة على نيل مصر خلف القرافة (معجم البلدان ، ج ١ ص ٤٠١) .
(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٤٣ ، ٤٤ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٤٣ .

يا من يعز علينــا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

فأجابه شرف الدين ببيت آخر من قصيدة المتنبي نفسها :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

فقال له : « والله لتعودن » فرجع وأقام عنده عشرين يوماً اخرى[١] .

تلك هي حياة الشاعر الوزير ، مرت بهدوء وسلام فأحبه الناس ، واصطفاه الملوك لأنفسهم ، ولم يعرف أنه أساء إلى إنسان أو انتقم منه ، ولم يعرف عنه أنه اضطهد أو عزل من أحد مناصبه خلال حياته المديدة التي عاصر فيها معظم الملوك الأيوبيين في حماة ، وشملت في الوقت نفسه شطرين من تاريخ الأيوبيين والمماليك على السواء .

استمر في عمله مدى حياته حتى أيام المظفر الثالث ، فوافته منيته ليلة الجمعة الثامن من رمضان سنة ٦٦٢ هـ ، ودفن بظاهر حماة في التربة الخاصة التي أعدها قبيل موته .

آثاره الأدبية

نظم شرف الدين في حياته الشعر الكثير ، وقد عرف الأقدمون غزارته فأشار إلى ذلك قطب الدين اليونيني بقوله : « وللشيخ شرف الدين أشعار كثيرة لا يجمعها ديوان ، وكان من حسنات الدهر ومحاسنه »[٢] .

أشار الأقدمون إلى وجود ديوان له ، فذكر ابن حجة أنه رآه واختار منه زاوية أتحف بها خزانته[٣] ، وذكر ابن نباتة المصري أنه اختار منه

(١) ابن تغري بردي : المنهل الصافي (مخطوط) ج ٢ و ٢٣٠ .

(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٣٨ .

(٣) ابن حجة : الخزانة ، ص ٢٥٦ .

جملة ، وصنفها في مجموع خاص[١] . توجد من هذا الديوان نسخة مخطوطة نفيسة بخط الشاعر نفسه في مكتبة بايازيد في استنبول ، ولكنها لا تجمع أشعاره الكثيرة ، إذ ثبت لدينا أن الشاعر أسقط منها قصائد كثيرة ، بَلْه أنه أهمل إيراد حتى بعض الأبيات التي لم ترقه ، أو التي تحمل طابع المبالغة ، وهي مرتبة بحسب الحروف الأبجدية .

أشار الصفدي إلى وجود ديوان آخر له ، فذكر « أن له في لزوم ما لا يلزم مجلداً كبيراً[٢] » ، بيد أننا لم نهتد إلى مكان وجوده . وأغلب الظن عندنا أن قصائد هذا الديوان موجودة في الديوان الأول المار ذكره ، وآية ذلك أننا لاحظنا كثرة اللزوميات فيه بشكل يسترعي الانتباه ، حتى إنه كان في معظم الأحيان يشير إلى كل لزومية واردة فيه ، ويكتب الحرف الذي التزم في القافية بالإضافة إلى الروي .

يضاف إلى ما ذكرناه أن الشاعر نظم هذه اللزوميات ـ على الأغلب ـ في أواخر حياته ، وأن معظمها يدور حول المعاني الذاتية التي عبر بها الشاعر عن نفسه وأحواله .

ثمة مؤلفات أخرى للشاعر ، أشار صاحب كشف الظنون إلى اثنين منها : أولها « نظرة المعشوق إلى وجه المشوق »[٣] ، وقد ذكر الزركشي أن العكس في التسمية أولى كا يتبادر ، وثانيها « تذكار الواجد بأخبار

---

(١) ينظر في كتابنا ابن نباتة المصري ، ص ٢١٩ ، وقد طبعته دار المعارف بالقاهرة في سلسلتها الدورية (مكتبة الدراسات الأدبية) سنة ١٩٦٣ .

(٢) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٢٨٩ .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ص ١٩٦٠ .

الوالد » ، وهو منظومة تحدث فيها عن والده وشيوخه ورحلته [١] ، وقد أورد قطب الدين اليونيني شيئاً منه في ترجمة والده ، وأشار إليه بقوله : « وقفت على كتـــاب جمع فيه الشيخ شرف الدين المذكور أشياء من أخبار والده » [٢] .

كما أن المصادر القديمة كذيل مرآة الزمان وفوات الوفيات وخزانة الأدب وغيرها أوردت في معرض ترجمته نماذج كثيرة مختارة من شعره ، بعضه مما لم يرد في الديوان .

الدكتور عمر موسى باشا

(١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ص ٣٨٢ .
(٢) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٣٨ .

أغلاط المنجد

— ١ —

في قسم الأدب والعلوم من « المنجد » أغلاط وهنات كثيرة هاكم بعضها :

جاء في الصفحة ١٥ قوله « الأرموي » عبد المؤمن موسيقي البلاط وأمين المكتبة للمعتصم ، دخل في خدمة هولاغو بعد فتح بغداد ، توفي سنة ١٢٩٤ ، من مؤلفاته : الأدوار والإيقاع .

ولقد تقيدت بنقل هذه النبذة لأقابلها بنبذة أخرى وردت في الصفحة ٣٠٦ وهي قوله :

« صفي الدين عبد المؤمن البغدادي من شعراء العرب الذين اشتغلوا في درس الموسيقى ، كان من مغنيي وندماء الخليفة المستعصم نحو ١٢٨٥ م له « كتاب الرسالة الشرقية في النسب التأليفية » والأدوار و « في علوم العروض والقوافي والبديع » .

ويستبين من ذلك أن النبذتين لعَلَم واحد ، وكلتاهما تشتمل على عدة أخطاء ، عدا إهمال الضبط والدقة ، وذلك على ما يلي :

١ً — ورد في الصفحة ٥٠٢ قوله « المعتصم بالله الخليفة العباسي الثامن » فبين أن عهده في سنة ٧٩٥ — ٨٤٢ .

٢ً — وفي الصفحة ٥٥٧ عند ذكر هولاغو بيّن ان عهده سنة ١٢١٧ — ١٢٦٥ .

٣ً — وبوفاة الأرموي سنة ١٢٩٤ هـ يكون قد بلغ من العمر ٤٥٢ سنة اذا قابلناها بوفاة المعتصم سنة ٨٤٢ .

٤ً — وقوله انه « اي الأرموي » من ندماء الخليفة المستعصم صحيح ، وأما الخطأ ففي قوله الرسالة الشرقية ، بالقاف المثناة . والصواب الرسالة

الشرَفية بالفاء الموحدة ، نسبة للأمير شرف الدين هارون الجويني تلميذه « أي تلميذ الجويني » .

والعلَم الموصوف هنا هو صفي الدين عبد المؤمن البغدادي الأُرموي نسبة لأُرميا .

وفي ص ٢٢ عند ذكر أسماء بنت أبي بكر الصديق ، قال « لقبت ذات النطاقين لأنها شقت زنارها قطعتين لتحمل قربة الماء وكيس الخبز الى محمد وأبي بكر عند الهجرة .

وفي هذا النص تحريف ، وذلك ان الرواية الصحيحة تقول « وأتتهما »أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاماً . فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة ، فاذا ليس فيها عصام فتحل نطاقها ، فتجعله عصاماً ثم علقتها به ، فكان يقال لأسماء ذات النطاق أو ذات النطاقين .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : (ذات النطاقين) وتفسيره انها لما ارادت أن تعلق السفرة شقت نطاقها باثنين فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر (١) .

فترى في هذه الرواية أن لا ذكر لكيس الخبز أو قربة الماء ولا للزنار ، بل ذُكرت السفرة ، والسفرة بضم السين وسكون الفاء وفتح الراء ، طعام يتخذه المسافر .

وفي ص ٢٧ عند ذكر أمية بن أبي الصلت قال « أشاد بدين يسميه الحنفية » وفي الصفحة ١٣٠ عند ذكر الجاهلية قال « وهناك بدعة دينية من الموحدين تعرف بالحنفية ، وهذا خطأ والصواب الحنيفية ، ثم ان الحنيفية لم يسمها ابن أبي الصلت ، وليست بدعة ، بل هي دين ابراهيم الخليل عليه السلام ، وكان الحنيف في الجاهلية يحج البيت ويغتسل من الجنابة ويختتن فلما جاء

(١) ابن هشام ج ٢ ص ٨٠ ــ ٨١ .

الإسلام كان الحنيف المسلم ، وقيل حنيف لعدوله عن الشرك واعتزاله الأصنام .

« ما كان ابراهيمُ يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » الآية ٦٧ من سورة آل عمران .

وفي ص ٣٢ يقول عند ذكر الف ليلة وليلة ، ان شهرزاد تحكيها على أمير المؤمنين . وزاد على ذلك صورة عرّفها بأنها صورة شهرزاد ودنيازاد في حضرة أمير المؤمنين .

ولا أعلم وجهاً يبيح للمؤلف أو لغيره اقحام أمير المؤمنين ؛ وهو لقب الخلفاء ؛ في موضوع ألف ليلة وليلة ، المعروف من صراحتها أن شهرزاد كانت تقصها على شهريار الذي كان يتحظّى كل ليلة بجارية ثم يأمر بقتلها ، حتى جاءت شهرزاد فأنقذت بقصصها المتسلسلة أترابها من الهلاك ، وشهريار ملك اسطوري كما هو معروف ومثله شهرزاد ودنيازاد !

وفي ص ٥٩ يقول عند ذكر باسيل بن اسطفان « في هايولا علاج الطب » ولما رأيتني عاجزاً عن ادراك فهم هذا الطلسم ، فقد استوضحت أهل علم الطب عن مؤلف بهذا الاسم ، فإذا عجزهم يفوق عجزي . وظل كتاب « هايولا علاج الطب » اعقد من ذنب الضب ، ولعله يقصد الهيولا ، وللفلاسفة مؤلفات في الهيولا .

وفي ص ٦٦ عند ذكر البحرين ، يقول ، اسم قديم لإقليم الحسا ، خطأ ، والصواب الأحساء ، « بفتح الألف وسكون الحاء بعدها الف ممدودة فهمزة » والأحساء جمع حِسْي « بكسر الحاء وسكون السين بعدها ياء مثناة » . والحسي الرمل المتراكم اسفله جبل صلد فإذا مُطر الرمل نَشِف ماء المطر فإذا انتهى الى الجبل الذي أسفله أمسك الماءَ ومنع الرملُ حر الشمس ان ينشف الماء فإذا اشتد الحر نُبث وجه الرمل عن ذلك الماء فنبع بارداً عذباً ، اللسان ح س ا .

وفي البادية احساء كثيرة ، احساء بني سعد ، واحساء خرشاف ، واحساء القطيف وهذه هي المقصودة هنا .

وفي ص ٦٦ يقول بحيرا ويضبطها بضم الباء وفتح الحاء وسكون الياء المثناة خطأ ، والصواب بفتح الباء وكسر الحاء ، ثم يقول ، انه راهب قيل انه كان على مذهب النساطرة ، وكان يتعاطى النجامة والسحر ، فحرمه رئيسه وطرده فسار حتى وصل الى جزيرة العرب فابتنى له صومعة على طريق القوافل ، وكان يدعو العربان إلى التوحيد » . وهذا بيان لا يسلم إلا بتفنيده على الوجه التالي ، لما ورد في الأخبار الصحيحة من ذكر بحيرا في تاريخ حياة الرسول ﷺ :

١ً – ليس القول « قيل انه كان » مما يعتمد عليه في مثل هذه الرواية ، فكان يجب أن يذكر ما اعتمد عليه من المصادر الموثوق بصحتها .

٢ً – وقوله « انه كان على مذهب النساطرة وكان يدعو العربان إلى التوحيد » تخريج غريب وما نعلمه ان مذهب النساطرة هو التثليث فكيف يصح التوفيق بين التثليث والدعوة الى التوحيد ؟ !

وليس هاماً بعد أن استرسل في « ماهية » مذهب النساطرة ، ولكن الهام هو أن التوفيق جانب هذه الرواية البعيدة عن الدراية ، بغية الايهام والتشكيك ، وحقيقة خبر بحيرا في المصنفات الصحيحة هو انه كان قد استضاف ركب تجار قريش في بصرى من أرض الشام وفي الركب أبوطالب ابن عبد المطلب يصحبه ابن اخيه محمد بن عبد الله وكان حدثاً ، فلما تفرس فيه بحيرا قال لعمه ، انه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، ثم حذّره عليه من يهود .

وقوله النجامة خطأ والصواب التنجيم وصاحبه النجّام والمنجّم .

وفي ص ٩٢ عند ذكر بيالة باشا ، يقول ، وزير مع ثلاثة أذناب جواد خطأ ، فانه ليس معقولاً أن يكون جواد بثلاثة أذناب ، والا فذلك من

الخوارق العجيبة ، وللفائدة ، ولتصحيح ما ورد من البيان بهذه النبذة اقول : انه لما كان السلطان يخص أحد المرموقين برتبة ما أو يتولى الوزارة كان شعارها أو طرازها خصلة أو اثنتين أو ثلاثاً من أذناب الخيول ، وكانت تسمى « طوخ » وكان التقليد الرسمي ان صاحب الرتبة لما يزايل منزله إلى محله الرسمي أو للمثول بين يدي السلطان كان يخرج فارساً ويواكبه تابعه حاملاً سارية يعلوها الشعار ، وقد ألغي هذا التقليد من المملكة العثمانية بعد ابتكار الأوسمة .

وفي ص ١٢٠ عند ذكر ثقيف ، يقول قبيلة عربية اسمها قسي ، خطأ ، والصواب ، ان اسم القبيلة ثقيف . وقَسِيّ كنية ، وثقيف حي من قيس وقيل أبو حي من هوازن واسمه قَسِيّ ، هذا ، وليس في العرب قبيلة باسم قسي ، وقَسِيّ لقب ثقيف ، لأنه مر على أبي رغال وكان مصدقاً فقتله فقيل قسيَ قلبه فسمي قسياً ...

وفي ص ١٣٤ عند ذكر جذيمة ، يضبطها في ثلاثة مواضع بضم الجيم وفتح الذال بصيغة التصغير خطأ والصواب بفتح الجيم وكسر الذال وزان كريمة وقديمة ، ويقول ابن الأبرش ، خطأ ، والصواب جذيمة الأبرش ، وهو ملك الحيرة من الأزد ، ويقول « جذيمة بن عدي بن كنانة زعيم قبيلة قاتلها خالد بن الوليد ثأراً بعمه الفاكهة بن المغيرق » ، وبما ان أمر هذا القتال يطول شرحه ، فأكتفي بتصويب ما ورد من الأخطاء .

١ — قوله جذيمة بن عدي خطأ ، والصواب أن الذين قاتلهم خالد ابن الوليد هم بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة .

٢ — وان عم خالد بن الوليد اسمه الفاكه لا الفاكهة وهو ابن المغيرة لا المغيرق .

وفي ص ١٣٨ يقول جعدة عامر فيضبطها بضم الجيم خطأ والصواب بفتحها ، ويقول جعدة بن كعب منها الشاعر نابغة الجعدي خطأ والصواب النابغة الجعدي .

وفي ص ١٥١ يقول حبيب بن مُسْلِمَة بضم الميم وسكون السين وكسر اللام » خطأ والصواب بفتح الميم وسكون السين وفتح اللام والميم ، ثم يقول من بني فهد خطأ والصواب من بني فهر « بكسر الفاء وسكون الهاء » وهو أبو عبد الرحمن حبيب بن مَسْلَمة الفهري القرشي .

وفي ص ١٦٦ يقول حمزة الإسلامي خطأ والصواب الأسلمي نسبة إلى أسْلَم ، وأسْلَم بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه أبو قبيلة في مراد .

وفي ص ١٦٧ يقول حمة بن رافع الروسي خطأ والصواب الدوسي ، بفتح الدال وسكون الواو نسبة إلى دَوْس قبيلة من الأزد .

وفي ص ١٧٧ يقول الخضر بضم الخاء وسكون الضاد خطأ والصواب بفتح الخاء وسكون الضاد . ثم يقول : « انه أحد أولياء المسلمين رفعه القرآن فوق الأنبياء » ، وهو تحريف وتشويه ، وذلك انه ليس في القرآن ذكر لأحد اسمه الخضر ولم يرد قط في القرآن ولا في غيره من الكتب من رُفع فوق الأنبياء ، ولا نعلم أحداً قال بهذا .

وأما إذا كان يقصد من قوله ، الخضر ، صاحب موسى عليه السلام فليس في علمنا إلاّ أنه الخضر الذي أُوتي من علم الله ما لم يؤته موسى كما جاء في بعض روايات تفسير الطبري . وأما إن كان الياس ، فهو نبي ورد ذكره في القرآن في أكثر من آية . وغاية ما وقفنا عليه ان الخضر نبي من بني اسرائيل وهو صاحب موسى رُوي انه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز خضراء وبذلك سمي الخضر .

وفي ص ١٨٣ يذكر رشيد الخوري المعروف بالشاعر القروي ، ولكم وددت أن يذكر الى جانبه ، مثلاً ، بشارة الخوري المعروف بالأخطل الصغير وهو من عرفنا في شعره الرقة والجزالة ولست أجد وجهاً لإغفال ذكره اللهم الا اذا كان شفيع رشيد الخوري قصائده التي كان يقرع بها المشايعين لفرنسا والموالين لها ، من مثل قوله في قصيدة له أيام الثورة السورية الكبرى ، يخاطب الثوار :

فأَوقدتم لها جثثاً وهاماً وأَوقدنا المباخر والشموعا
أحبّوا بعضكم بعضاً وعظنا بها ذنباً فما نجّت قطيعا
فيا حَمَلاً وديعاً لم يخلّف سوانا في الورى حملاً وديعا
ألا أنزلتَ انجيلاً جديداً يعلّمنا إباءً لا خنوعا ؟
إذا مارمت رفع الضيم فاضربْ بسيف محمدٍ واترك يسوعا

وليسامحه الله على اغفاله ذكر الكثيرين من الشعراء الفحول المعاصرين أمثال خليل مردم بك وبدوي الجبل وأحمد الصافي النجفي وعبد المحسن الكاظمي وعمر أبو ريشة وحافظ ابراهيم واسماعيل صبري وشفيق جبري والجواهري والشبيبي وأحمد رامي ... الخ .

وفي ص ١٨٣ عند ذكر خيبر يقول « غزاها النبي وضرب الإتاوة على سكانها اليهود » . وبهذا البيان تحريف وتشويه ، وذلك ان أمر غزوة خيبر كان بسبب ان اليهود « قريظة والنضير » عاهدوا النبي ﷺ على أن لا يظاهروا على الإسلام ، فأمنّهم ، فلما نكثوا العهد ونبذوه وقدموا مكة على قريش ودعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا إنّا سنكون معكم حتى نستأصله ثم ذهبوا الى غَطَفان ودعوهم كذلك وحرضوهم وقالوا لهم إن قريشاً قد بايعوهم على ذلك فكان من أمر تأليبهم ومظاهرتهم المشركين ان اجتمعت قريش وغطفان ومن والاهما من العرب ، فقدموا على المدينة ٣٠ ألفاً ،

وكان الحصار « وقعة الخندق » ثم انتهى تجمعهم بالفرار ، فغزا الرسول ﷺ بني قريظة من اليهود فأذلّهم الله ، وفتح المسلمون بلادهم وحازوا أموالهم ، وبعد سنة وفي محرم سنة سبع للهجرة غزا بني النضير في خيبر ذات الحصون القوية ، وافتتح حصونهم حصناً حصناً حتى إذا لم يبق من حصونهم إلا حصنا الوطيح والسلالم ، وقد جهد اليهود من طول الحصار والقتال ، نزل من نزل من أهلها على الجلاء ، وهم ، أي اليهود ، الذين سألوا الرسول أن يُجليهم ويكفّ عن دمائهم ، فجلا من جلا منهم ؟ ثم قال لهم رسول الله بعد أن حاز المسلمون أموالهم ؟ إن شئتم دفعت اليكم هـذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم وأقركم على ما أقركم الله ففعلوا وكان في ذلك منجى لهم ، وبالأحرى كان عقوبة وقصاصاً على ما أسلفوا وفرطوا . وتفصيل هذه الأمور مدونة في ابن هشام والسيرة الحلبية ... الخ

فأين هذه الحقائق من قوله « ضرب الإتاوة » ؟ واليهود لولا انهم نكثوا العهد وحرضوا أعداء الإسلام على غزو المدينة لما غزاهم الرسول واظلوا في ديارهم آمنين محرزين أموالهم ، ولقد عاملهم الرسول بالرفق وأحسن اليهم وأجابهم إلى ما سألوا .

وفي ص ٢٠٨ يقول « ذوريدان » عاصمتها ظفر ، خطأ والصواب ظفار بفتح أوله .

وفي ص ٢٠٨ يقول « ذو الكَفَل » بفتح أوله وثانيه خطأ والصواب بكسر أوله وسكون ثانيه ، والكِفْل المثل والضعف ، يقال لك كفلان من الأجر أي مثلان .

وفي ص ٢١١ عند ذكر الراعي يقول « هو أبو جندل الهوازني » خطأ والصواب النُميري ونُمير من هوازن ، وهوازن قبيلة من قيس ، وقيس تجمع عدة قبائل ، وقد هجا الشاعر جريرُ الراعيَ بقوله :

فغض الطرف إنك من نُميرٍ فلا كعباً بلغت ولا كلابا

واسم الراعي عبيد بن حصين .

وفي ص ٢١٧ عند ذكر ابن رشيق قال : من مؤلفاته « العمدة في صيغة الشعر » ، خطأ والصواب العمدة في صناعة الشعر ونقده ، وقال : ولد في المحمدية خطأ قال ابن بسام وقال غيره ولد بالمهدية سنة ٣٩٠ وتوفي سنة ٤٦٣ هـ كما جاء في « العمدة » ط مصر ١٣٢٥ هـ .

وفي ص ٢١٩ قال عند ذكر الرقيق الأبيض « حماية الفتاة من النخاسة التي يتعاطى بها أصحابها » ، خطأ والصواب يتعاطاها ، والتعاطي : تناول ما لا يحق ولا يجوز تناوله ، يقال تعاطى فلان ظلمك ، وتعاطى أمراً قبيحاً وتعطّاه ، كلاهما : ركبه .

وفي ص ٢٣٧ قال زهير بن جناب بن هبل ، بفتح الهاء من هبل ، خطأ والصواب بضمها وفتح الباء الموحدة ، وهبل بالضم اسم رجل ، معدول عن هابل : معرفة .

وفي ص ٢٣٧ يقول زور بضم الزاي ، خطأ والصواب بفتحها وسكون الواو ، ثم يقول اسم يضاف لأعلام بعض القرى في سوريا ، خطأ والصواب سورية ، والزور هو الأراضي الواقعة على ضفتي الفرات على امتداده ، والزور لغة : الصدر وبناته أي ما حواليه من الأضلاع ، والزور : المَيَل « بفتح أوله وثانيه » . وسبب اضافة الزور لبعض المواضع هو ان الأرض تعلو ثم تأخذ بالميل حتى توازي ضفة النهر ، فما ارتفع وعلا منها يسمى حاوياً أو ظهرة بعرف اليوم ، وما كان ضفة فهي الزور ، وهذه كذلك ترتفع عن مستوى سطح الماء .

وفي ص ٢٤٠ يقول زينب بنت جهش ثم يقول بنت رئاب ، خطأ والصواب بنت جحش بن رئاب .

وفي ص ٢٥١ يقول مروج بضم السين ، خطأ والصواب بفتحها .

وفي ص ٢٥٦ عند ذكر أبي سفيان يقول انه «قاد جيشاً من الجناح الكبير الذي زحف لحصار المدينة في وقعة مؤتة ، ثم اعتزل الحرب وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة» ، ولبثت أتفكر في عجائب ما اشتمل عليه هذا النص من «التخليط» والتشويه . وما أدري أمنبعث هذا عن تعمد ، أو عن سهو ؟ فإنه شتان ما بين حصار المدينة ووقعة مؤتة ، وذلك أن حصار المدينة ـ أو وقعة الخندق ـ كانت في شوال سنة خمس للهجرة ، ووقعة مؤتة كانت سنة ثمان ، هذا الى أن المدينة في شمالي جزيرة العرب ، ومؤتة في أطراف الشام من أعمال الشراة من نواحي البلقاء وعَمّان وفيها مدافن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة ، وما بينها وبين المدينة نحو ألف كيلو متر ، وبين الوقعتين واحد وثلاثون شهراً .

وقوله ، ثم اعتزل الحرب وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة ، وهذا بطل وتحريف فان أبا سفيان لو استطاع يومئذ أن يجلب على الإسلام من صواعق السماء لفعل ، فقد كان ومشركو قريش عاجزين عن صد الإسلام الذي نما واشتد بعد الهجرة ، وأما أمر مكة فقد كان فتحاً ونصراً عزيزاً بالرغم من أبي سفيان والمشركين ، والغريب أنه يقول في الصفحة ٤٨٠ عن النبي ﷺ «انه دخل مكة ظافراً» ، وقد تم الفتح بقيادة رسول الله كتائبَ المهاجرين والأنصار ومن أسلم من العرب ، عشرة آلاف مقاتل ، في شهر رمضان سنة ثمان للهجرة ـ وبين هذا التاريخ ومعاهدة الحديبية التي عقدت في أواخر سنة ست للهجرة نحو عشرين شهراً ـ وبعد دخوله

مكة فاتحا ، قام على باب الكعبة ، فقال لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده الى أن تلا الآية ١٢ من سورة الحجرات ، « يا أيُّها الناسُ إنّا خلقناكمُ مِنْ ذكَرٍ وأُنثى وجعلناكمْ شُعوباً وقبائِلَ لِتعارَفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكُمْ إنّ الله عليم خبير » ، ثم قال يا معشر قريش ما ترون إني فاعل فيكم ، قالوا خير أخ كريم وابن أخ كريم ، قال اذهبوا فأنتم الطلقاء .

فأين هذه الحقائق من قوله : وصالح محمداً في معاهدة الحديبية وسلمه مكة ؟

(يتبع) منير العمادي

طُرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ١ —

(المجلد الأول)

أتحف العلامة الأستاذ عبد العزيز الميمني مجلة المجمع العلمي العربي بهذا المقال المفيد الذي صحح فيه الأخطاء التي عثر عليها في معجم الأدباء لياقوت طبعة مرجليوث . ورتب ملاحظاته حسب تسلسل المجلدات والصفحات والأسطر وبين النص الصحيح من دون أن يشير الى الأصل المصحح .

ورأينا لزيادة الفائدة أن تنتفع نسخة مطبوعات دار المأمون المصرية من الملاحظات المشتركة والمكررة في الطبعتين فأضفنا الأرقام التى تشير الى أجزاء وصفحات وأسطر النسخة المصرية بين هلالين (..) ليرجع اليها ويفيد منها من عنده النسخة المصرية : (لجنة المجلة)

ص ٤ س ٧ قوله ظنه لذلك . كذا وانظر ،

ص ٤ س ١٧ صواب المغربي المريّ ، وله ترجمة في البغية ٣٩٦ ، (١ : ٤٨ / ٢) .

ص ٧ س ١٣ الصواب ميسّر لما خُلق له ، (١ : ٥٢ / ١٤) .

ص ٨ س ١٠ الصواب وأما صاحبه فغير ، (١ : ٥٤ / ٧) .

ص ١٤ س ٣ لعل الأصل دعوة جاهلٍ ، (١ : ٦٣ / ٧) .

ص ١٦ س ١١ الصواب سهل بن محمد ، (١ : ٧١ / ١) .

١٩ : ٣ الصواب ما تقيم به الكلام ، (١ : ٧٦ / ٦) .

١٩ : ٦ الصواب الحرف منه ، (١ : ٧٦ / ١١) .

٢٠ : ١٠ لها . للعربية وان لم يجد لها ذكر .

٢٠ : ١١ قرع . مضت الحكاية ص ١٤ عن ابراهيم النخعي .

٢٠ : ١٣ الصواب ايوب السختياني ، (١ : ٧٩ / ٧) .

٢٠ : ح (٢) . اشطب الحاشية ، (١ : ٧٩ / ١٧) .

٢١ : ٢ الفَيْج الرسول معرَّب پيك فارسيّةٌ ، (١ : ٨٠/ ٥) .

٢١ : ١٧ الصواب يصرف الكلام ، (١ : ٨٢ / ٢) .

٢٢ : ٣ الصواب أمقطّى مني على بصري بالحبّ وانظر السمط ١٥ .

٢٣ : ١٣ بعض الشعراء هو إسحق بن خلف البهراني الكامل ١ : ٢٣٩ والصواب تُعظمه .

٢٤ : ١ عُلويّة نسبة الى عالية نجد ، (١ : ٨٥ / ١٨) .

٢٤ : ٣ فرادّه ـ انظر ما صوابه ، (١ : ٨٦/ ٢) .

٢٤ : ١٣ الشاكريّة بفتح الكاف الخَدَم معرّب الچاكرية فارسية ، (١ : ٨٧/٣) .

٢٦ : ١٥ و ٢٠ الصواب الخَطَفَى جدّ جرير . وهو ابن بدر أيضاً (١ : ٩٠/٨) .

٢٧ : ٦ كَتَنْبُهم ، (١ : ٩١ / ٦) .

٢٨ : ٩ الصواب غَيْبةٌ ، (١ : ٩٣ / ١١) .

٣٠ : ٤ الصواب فوَجِّهْ إليَّ مَنْ ، (١ : ٩٦ / ١١) .

٣٠ : ١١ الصواب فان ابن مقبل ، (١ : ٩٧ / ١٨) .

٣٠ : ١٣ الصواب الغُمَّى . وانظر السمط ٦٦ ، (١ : ٩٧/١١) .

٣٠ : ١٥ خِلْو . هو علي بن جبلة انظر الأغاني ٢٠ ٥٣٢ ، (١ : ٩٨/٢) .

٣١ : ٤ الصواب تَحْبِيَ بياء واحدة ، (١ : ٩٨ / ١٣) .

٣١ : ١٤ الصواب الأشعار منك وماء عن الأغاني . (١ : ١٠٠/ ٥) .

٣١ : ١٧ آدم ترجمته في النزهة ٤٦٨ والمنتظم ١٢٩ ج ١٠ ، (١ : ١٠١ / ٢) .

٣٢ : ١ لعله سكن بلخ ، (١ : ١٠١ / ٥) .

٣٢ : ٢٠ قوله لعله الخ اشطب الحاشية .

٣٤ : ١٨ الصواب عُكابة (١ : ١٠٧ / ٥) .

٣٥ : ١ الطومي والنجاشي ٧ .

٣٥ : ١٥ الطومي والنجاشي ١٠ ، (١ : ١٠٩ / ٥) .

٣٦ : ١٣ الصواب شُبَيْل بن عَزْرة الضُبَعي ترجمته النديم ٤٥ ، وترى ترجمته عند ابن الجزري رقم ١ وعنده أبو سعد الربعي . (١ : ١١٠ / ١٠) .

٣٦ : ١٩ ح وكذا هو توزون في البغية والوفيات ، (١ : ١٠٩ / ٢٠ ح) .

٣٦ : ٤ ترجم له الخطيب ٣٠٥٣ .

٣٧ : ١٧ لعله صاحب ثعلب وخلق كثير .

٤٢ : ١٦ الصواب وأخرى حازها كما عنـد الخطيب أيضاً ٣٠٥٩ وله ترجمة في الفوات ١ : ٤ أيضاً ، (١ : ١٢٢ / ١٠) .

٤٦ : ٦ الصواب مَخْرَمَة .

٤٦ : ٩ الصواب مسند صفوان .

٤٦ : ٩ الصواب عمرو بن العاص .

٤٦ : ١٣ ترجمته في نكت الهميان ٨٧ ، (١ : ١٢٩ / ١٤) .

٤٧ : ٥ المنتظم ج ٦ رقم ٢٩٠ .

٤٧ : ٨ الصواب إحدى عشرة ، (١ : ١٣٠ / ٩) .

٤٧ : ١٢ الحكاية الآتية في النشوار ١ : ١٣٤ .

٤٨ : ٨ الحكاية في النشوار ١ : ٤٢ أيضاً .

٤٩ : ١٢ الصواب خازن الخطيب ٣١٢٦ ، (١ : ١٣٤ / ٨) .

٤٩ : ١٩ الصواب اعرِض عليّ على رسمك ، الخطيب والنشوار (١ : ١٣٥ / ٢) .

٥٠ : ٤ الصواب أبي اسحق بالملازمة الى ان الخطيب (١ : ١٣٥ / ٨) .

٥٠ : ١١ البيتان يعزيان للمأمون في خبر بنائه ببوران . وانظر الوفيات (الزجاج) ، (١ : ١٣٦ / ٣) .

٥٠ : ١٤ الخطيب والمنتظم : ابليس وأحكمه، وألحمه من اللحمة وهو حسن .

٥٠ : ١٦ فآته . الخطيب والمنتظم ، (١ : ١٣٦ / ٩) .

٥٠ : ١٧ لفظَهُ .

٥١ : ٣ الخطيب اسمه احمد لا ابراهيم ، (١ : ١٣٧ / ١) .

٥١ : ٣ الصواب زيد بن الحسن وهو الحافظ أبو اليُمْن ، (١ : ١٣٧ / ٢) .

٥١ : ٥ الصواب الحسين ولعبد السلام ترجمة في كتابي على أبي العلاء ، (١ : ١٣٧ / ٤) .

٥١ : ٦ الشمشاطي . وقد نقـله عن كتابه النزه والابتهاج الذي يوجد منه جزء باستنبول صاحب الأشباه ٤ : ١٣٣ أيضاً .

٥٢ : ٨ الصواب وتعمل صالحا ، (١ : ١٣٩ / ٢) .

٥٢ : ٩ الصواب ويعملْ صالحاً كما في الأشباه ، (١ : ١٣٩ / ٣) .

٥٢ : ١١ الصواب في الآيتين . الأشباه ، (١ : ١٣٩ / ٦) .

٥٣ : ٤ الصواب وحِسابا والحَسْب .

٥٣ : ٩ الشاعر على عمرة ابنة الحارس وأشطارها في شرح مختار بشار ٢٣٧ ، (٢١ : ١٤ / ١٢) .

٥٣ : ١٤ الصواب قلت مِعْزويّ . الأشباه .

٥٣ : ١٦ الصواب بكذا فقولك بكذا نقضٌ لما أصّلتَ . الأشباه ، (١ : ١٤١ / ٦) .

٥٥ : ١ وانتصار ابن برّيّ لثعلب مرده صاحب الأشباه في ٤ صفحات . (١ : ١٤٣ / ٧) .

٥٥ : ٦ لابن كُناسة عند الخطيب ٢٩٢٠ في ترجمته وتوفي في سنة ٢٠٧ هـ والنويري .

٥٥ : ١٦ الموازنة . هذا كتاب جليل بقيت منه نسخة بالية بخزانة مصر ، (١ : ١٤٤ / ١٣) .

٥٩ : ١ المطبوع من مؤلفات الزجاج فعلت وأفعلت وأما معاني القرآن وخلق الإنسان فهما نسختان .

٥٩ : ٨ أبراهيم بن سعدان . الخطيب ٣١٣٥ ، (١ : ١٥١/١٠) .

٦٠ : ١٣ لعل الصواب لا تفعلْ ، (٣ : ١٥٤) .

٦١ : ٢ الصواب أبا الكرم الحَوْزي وترجم له الذهبي في تذكرة الحفاظ ٤ : ٥٦ ، (١ : ١٥٥ / ١) .

٦٢ : ٣ و ٥ و ٦ الصواب الحَوْزي ، (١ : ١٥٧/٢ و ٥ و ٦) .

٦٤ : ١ الجَمّاز هذا ترجم له ابن المعتز في المحدثين ١٧٦ وانظر ذيل اللآلي ٢٤ ، (١ : ١٦٠ / ٩) .

٦٥ : ٢ في طبعة الدمية المقتضبة هذه ص ٣٠٤ و ٣٠٨ أبو صالح الورّاق ويأتي في الأدباء ٢ : ٢٦٧ أبو اسحق صالح الوراق وفي ٢٦٩ كما هنا ، (١ : ١٦٢ / ٦) .

٦٥ : ٥ الدمية : وبنات خبت ، (١ : ١٦٢/١١) .

٦٥ : ٩ حفظي كَدُوْدٌ كدود القزّ والدمية : قراه ، (١٦٣:١/٧) .

٦٥ : ١١ الدمية : بالرجال الهواسج ، (١ : ١٦٣ / ١١) .

٦٨ : ٧ ديوان مهيار ٣ : ٣٤٤ .

٦٨ : ٩ الديوان وعمر ..... وفيكم ساهرون ، (٢ : ١١١/٦ و ٧) .

٦٨ : ١٠ الديوان بنا أنتمُ ، (٢ : ١١١ / ٨) .

٦٨ : ١١ الديوان يقون ، (٢ : ١١١ / ١٠) .

٦٨ : ١٢ الديوان كفى خِبرة .

٦٨ : ١٣ الديوان عما عهدته .... تُتَغَنَّمُ ، (٢ : ١١٢/١) .

٦٨ : ١٨ الديوان وعن قوم نُميزْ ونُكرم .

٦٩ : الديوان ٣ : ٢٨ لي ولِمُرْسِلِين بنوم ، (٢ : ١١٣/٦) .

٦٩ : ٧ الديوان عليّ ذلاذل .

٦٩ : ٨ الديوان المشبّب عندها والغازل .

٦٩ : ٩ هذا الخبر رواه أبو شجاع في الذيل الأصل ص ٢٧٢ .

٧٠ : ١٢ خبائه . يظهر من الذيل أن الكلمة (خيانة) وموضع قبر الصاحب معروف باصبهان الآن سنة ١٣٦١ هـ يزار .

٧٠ : ٤ الصواب ان شاء الله وصلّت الناس ، (٢ : ١١٦ / ٧) .

٧٠ : ١٨ الصواب بن أحمد ، وفيما يأتي، الصواب عن غيرتوبة كما في الذيل .

٧١ : ١ الصواب وقرّر أمرهم ، كما في الذيل .

٧١ : ٤ الصواب والمتصرفين فيها كما في الذيل .

٧١ : ١٤ بالنزول ، الصواب بالترجل كما في الذيل ، (٢ : ١١٨ / ٤) .

٧٢ : ٨ المساحة صوابه المماحة كما في الذيل .

٧٢ : ١٣ النناء كسكّان الدهاقين ، (٢ : ١١٩ / ١٢) .

٧٢ : ١٦ الصواب التزموا كما في الذيل ، (٢ : ١٢٠ / ٦) .

٧٣ : ٧ لعله وضمّ جيوش ، (٢ : ١٢١/٥) .

٧٣ : ٩ لعله الجليلة ، (٢ : ١٢١ / ٨) .

٧٤ : ٦ في النشوار ١ : ١٨٦ الشذرات سنة ٢٩٨ هـ قلت وبآخر نسخة ديوان زهير باسبانيا ان ابا هاشم بن شبيل ، (٢ : ٢٠٠ / ٦) .

٧٤ : ١٠ الصواب المعرّيّ في . ويأتي على الصواب ١ : ٢١٥ و ٣ : ١٩ وغيرهما وله ترجمة في أبي العلاء وما اليه ٢١٦ ، (٢ : ١٢٥ / ٧) .

٧٥ : ١٠ الصواب في انتفاش .

٧٦ : ١ البيتان في الإيجـــاز مصر ٢٤٨ لمحمد بن عمر النضري ، (٢ : ١٢٦ / ٦) .

٧٦ : ٧ البيتان في الإيجاز والإعجاز مصر ٢٠٨ لأبي الحسن بن الموسوي وهو الشريف الرضي ، (٢ : ١٢٧ / ٣) .

٧٦ : ١٦ و ٢٠ البيت الآتي لا يعرف لأبي تمام فلا وجه لقوله لعله أبي تمام .

٧٧ : ١٣ الأبيات في النشوار ١ : ١٨٦ . (٢ : ١٢٩ / ٧) .

٧٧ : ١٨ الصواب المانزّوخي ، (٢ : ١٢٩ / ١٢) .

٧٩ : ١٤ لعله أو افتأت ، (٢ : ١٣٣ / ٥) .

٨٠ : ٢ المهارج جمع المهرجان ، (٢ : ١٣٤ / ٥) .

٨٢ : ١ المنتظم ج ٦ رقم ٣٦٦ النزهـة ٣١٦ الخطيب ١٦٣٥ ، (٢ : ١٣٥ / ٤) .

٨٢ : ٥ عن أبي لهب . الخطيب والمنتظم أبي كُريب ، (٢ : ١٣٨/٧) .

٨٢ : ١٢ المدينة يريد مدينة المنصور ، (٢ : ١٣١ / ٤) .

٨٢ : ١٣ الصواب وكان ثبتا . كما عند الخطيب ، (٢ : ١٣٩/٧) .

٨٢ : ١٥ الصواب في مسيِّلات كما عند الخطيب ، (٢ : ١٣٩/١٠).

٨٢ : ١٩ الصواب ورعا متخشّنا كما عند الخطيب ، (٢/١٣٩/١٥) .

٨٣ : ١٠ الخطيب مع أبي الحسن ، (٢ : ١٤٠/١٤) .

٨٣ : ١١ الخطيب : وهو يومئذ يخلف أباه أبا عمر ، (٢ : ١٤٠/١٤) .

٨٤ : ٥ الخطيب ودأب معه ، (٢ : ١٤٢/٤) .

٨٤ : ٧ الصواب جعلت كما عند الخطيب أيضاً ، وكذا عنده كأنّك ، (٢ : ١٤٢ / ٧) .

٨٤ : ١٧ الخطيب جعفر إلى آخرها كابن الأنباري ، (٢:١٤٣/٧) .

٨٤ : ١٧ لعله فربما مرّ وربّما تلعثم ، (٢ : ١٤٣/٧) .

٨٥ : ٦ من الكلواذاني ، (٢ : ١٤٤/٣) .

٨٧ : ٨ لعله يا أبا جعفر (٢ : ١٤٧ / ١) .

٨٧ : ٩ لعله لست حاكما ، (٢ : ١٤٧/١٥) .

٨٩ : ١٦ لعله هلال : تستل .
٨٩ : ٧ الصواب حضر حامدا ، (٢ : ١٥١ / ٢) .
٨٩ : ١٦ فيا مر أبو عمرو ، (٢ : ١٥١ / ١٤) .
٩١ : ١٣ لعله أجزت .
٩١ : ١٨ انظر هل الصواب بعد نكبة .
٩٢ : ١٩ لعله الذم والقرفا ، (٢ : ١٥٧ / ١٣) .
٩٣ : ١٦ لعله أن يجتبينا ببشره فنقنع ، (٢ : ١٥٩ / ١٢ و ١٣) .
٩٤ : ١٢ لترجمته المعاهد ٢ : ٣٤ .
٩٥ : ١٦ قوله (ق ٢٧٥) غلط لا يجنح اليه .
٩٦ : ٤ قوله ويروى من النثر كذا هو وانظر .
٩٦ : ١٢ الصواب : أبي الحسين بن فارس ، (٢ : ١٦٥ / ٧) .
٩٦ : ١٥ الصواب بالدهخذاه كما سيأتي ١٠٦ وهناك أبو سعد ، (٢ : ١٦٥ / ١١) .
٩٩ : ٧ الصواب أبو الفتح ، (٢ : ١٧٠ / ١٢) .
٩٩ : ٩ الصواب كل طريفة ، (٢ : ١٧١ / ٣) .
١٠٠ : ٤ لعله أن يزفه ، (٢ : ١٧٢ / ٩) .
١٠١ : ١٧ الصواب أما تستحي .
١٠٢ : ١١ لعله أن يصرف ما لا ينصرف ، (٢ : ١٧٦ / ١٥) .
١٠٣ : ١٤ الصواب أحامقه . وهما بيتان معروفان ، جواهر الحصري ١٣ عقلاء المجانين ٣٦ ، (٢ : ١٧٨ / ١٢) .
١٠٤ : ١١ ضادية أبي الشيص في المحدثين لابن المعتز ٢٧ وانظر السمط ٣٢٧ .
١٠٦ : ١٤ الصواب بالدهخذاه ، (٢ : ١٨٣ / ١١) .
١٠٧ : ٢ الصواب ولا تغتر ، (٢ : ١٨٤ / ٩) .
١٠٧ : ٣ الصواب ولا تعين العدو ، (٢ : ١٨٤ / ١٠) .
١٠٧ : ٦ اشطب [فقال الصاحب] ، (٢ : ١٨٤ / ١٥) .
١٠٨ : ٩ ولو جاملته ، (٢ : ١٨٦ / ١٤) .

١٠٨ : ١٠ المساع انظره .

١٠٨ : ١١ الصواب وقوما بالنصب .

١٠٨ : ١٢ البيتان لزهير ، (٢ : ١٨٧/٤) .

١٠٩ : ١ موفّق خبر لقوله (ورأيه) .

١٠٩ : ٤ الصواب من خشن كما في الرسائل وجواهر الحصري ٢١٤ ، (٢ : ١٨٨ / ٤) .

١١٠ : ٧ البيت لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ومعينها في الرسائل تحريف انظر الكامل .

١١١ : ١ وفي جواهر الحصري كما في الرسائل (صاعاً عن مُد) وهو الأليط . وفيها بنيقة .

١١١ : ١٠ من بيت أبي نواس : (٢ : ١٩١/٢)

لا أذود الطير عن شجر قد بلوت المرّ من ثمره

١١١ : ١٣ حذفُ الواو من (ولم تُقَدْ) ، (٢ : ١٩٢/١) .

١١٢ : ٢ البيتان للمتنبيء ، (٢ : ١٩٢/٩) .

١١٣ : ٦ الصواب ولم يخترق ، (٢ : ١٩٣/٢) .

١١٣ : ٦ البيت للغطمّش الضبيّ من خمسة في الحماسة مع التبريزي بولاق ٣ / ٤١ ، (٢ : ١٩٤/١٣) .

١١٥ : ١٣ كلب القمر الكلب ينبح حين يرى ضوء القمر والذنب في ذلك ذنبه .

١١٥ : ١٥ الصواب كيما يقيم .

١١٥ : ١٩ بئر رومة اشتراها عثمان من ماله لمسلمي المدينة وجعل دلوه كدلاء أحدهم ، (٢ : ١٩٩/٩) .

١١٦ : ١٣ لا تكسع الخ بيت معروف للحارث بن حلّزة اليشكري ، (٢ : ٢٠٠ / ٩) .

١١٦ : ١٦ هو حُجر بن عديّ ولعل الصواب (والحرّتان وكربلا) حيث الوقائع ، (٢ : ٢٠٠/١٢) .

١١٧ : ٥ الصواب إذِ الأهل ، (٢ : ٢٠٦/٧) .

١١٨ : ٦ لترجمته نكت الهميان ٩٦ ؛ (٢ : ٢٠٢/١٠) .

١١٩ : ٩ عَرّام بن الأصبغ السلمي الأعرابي له كتاب أسماء جبال تهامة أعددته للطبع . وأبو العميثل صاحب ما اتفق لفظه ترجم له ابن خلكان . والصواب أبو العذافر ، (٣ : ١٧ / ٧ و ٨) .

١٢٠ : ٣ الصواب وكيف يبغي . والمصراع من داره الحَزن ممن داره اللوبُ معروف سائر ، (٣ : ١٨/١٢) .

١٢٠ : ٤ الخبر عنه في الأشباه ٣ : ٢٣٣ ، (٣ : ١٨/١٣) .

١٢٠ : ١٠ الصواب (يا شيخ لا تُرَعْ) .

١٢٠ : ١٢ الصواب من كان ورجعنا ، (٣ : ١٩/٨) .

١٢١ : ٦ عَدُّوه في الأشباه .

١٢٣ : ١٧ ديوان جرير الصاوي ٤٧١ وهذا الخبر عن ياقوت في الأشباه ٣ : ٤٣٣ ، (٣ : ٢٦/١) .

١٢٤ : ١٠ عبد الله بن حمود هذا ترجم له ابن الابّار في التكملة برقم ١٢٦٠ ، (٣ : ٢٧/٦) .

١٢٤ : ١٠ الصواب وكان من عِداد ؛ (٣ : ٢٧ / ٧) .

١٢٤ : ١٤ ندارة كذا ؟

١٢٧ : ٤ في ترجمته ٣ : ٨١ لُغْدة والكُنْدة ولعل ما هنا تصحيف ورأيت للغدة هذا كتاب الأمكنة بالنجف عند القاضي محمد السماوي ، (٣ : ٣٢/١٠) .

١٢٧ : ١٠ يسق كذا الضي رقم ٤٠٠ والظاهر سبق ، (٣ : ٣٣/١) .

١٢٨ : ١٩ الخطيب رقم ١٨٤٠ : وأكْثَرَ فائدته . وترجم له كابن الجزري ٢٣٣ والفهرست ٢٣٠ والمنتظم ٢٦٧ ج ٥ ، (٣ : ٣٦/٣).

١٢٩ : ٤ الخطيب عليّ يمينٌ أن لا أحدّثَ وهو الصواب ، (٣ : ٣٦/٩) .

١٢٩ : ٦ الخطيب ما أستفيد فردّه ، (٣ : ٣٦/١٠) .

١٢٩ : ١٢ الخطيب كثير الكتاب ، (٣ : ٣٧/٧) .

١٣٠ : ١١ الصواب كتاب الحِلَى والشيات وعندي كتاب بهذا الرسم لابن المناصف القرطبي ، (٣ : ١٨/٣٩) .

١٣٠ : ١٤ قوله (وكلهم) مصحف لا محالة عن (وكلتهم أو وَكَلْهم الى غيرهما) ، (٣ : ١٢/٣٩) .

١٣١ : ٤ لعله أَصْفِني .

١٣١ : ١٠ ومزقتها .

١٣٢ : ١٥ الصواب ان شاء الله كفاجر ذي عَنَدٍ في دينه وحُوْب والحوب الاثم ، (٣ : ٤٥/٥ و ٦) .

١٣٢ : ١٧ لعله وحربِ خصم هجنتُها ، (٣ : ٩/٤٥) .

١٣٤ : ١١ ترجم له ابن الجزري ٢٤٤ ، (٣ : ١١/٤٩) .

١٣٥ : ٥ الصواب أبا عُمَرَ وعُني .

١٣٥ : ١٩ الخطيب رقم ١٨٦٠ ، وكل ما هنا عنه لا غير ، (٣ : ٣/٥٣) .

١٣٦ : ٣ الخطيب : طاهر الناشي المعروف بابن قتيبة (٣ : ٨/٥٣) .

١٣٧ : ١٢ الصواب دُرٌّ مَشُرف أي مجلوٌّ .

١٣٧ : ١٨ الصواب فأصارني .

١٤٠ : ٢ البيتان من معروف شعر كثيّر وهي كلمة في ٧٨ بيتاً في منتهى الطلب رقم ١٩٥ أول الجزء الثالث وروايته تزينون البلاط . فقد أصبح الراضون (وهو الصواب) إذا أنتمُ بها ، مسوسَ البــلاد ، (٣ : ٣/٦٢) .

١٤١ : ٢ الصواب عن ابن الأعرابي ، (٣ : ٤/٦٤) .

١٤١ : ٨ ترجمة أبي زيد في لسان الميزان رقم ٥٨٥ وتتمة صوان الحكمة رقم ٢٢ ، (٣ : ١٠/٦٤) .

١٤٥ : ١٣ قوله أو محتكرا لعل صوابه مُحَنْكيرا فارسية من خنياگر المغنّي انظر ترجمة جحظة ، (٣ : ٥/٧٢) .

١٤٧ : ١٨ الصوابُ حُسْن استبصار .

١٥٢ : ١٦ لترجمته الخطيب ١٩٠٠ (٣ : ٣/٨٧) .

١٥٣ : ٤ الفهرست ١٤٦ جعفر بن حمدان ولكنه قال في ص ١٤٣ ان الباهر لأبي أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم المتوفى سنة ٣٠٠ هـ وهناك البارع الذي يتيمة الثعالبي ذيل عليه لأبي عبد الله هارون ابن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجّم ووصف الوفيات (هارون والعماد الكاتب) للبارع يشبه وصف النديم للباهر فانظر ، (٣ : ١٢/٨٧) .

١٥٣ : ١٠ (من الكهول) في نسخة تونك من الفهرست ، (٣ : ٨/٨٨) .

١٥٣ : ١٠ الصواب أبو هَفّان المِهْزَمي ، النديم ١٤٤ ، (٣ : ٩/٨٨) .

١٥٣ : ١٩ الصواب أبو علي البصير لا غير راجع السمط ٩٣١ .

١٥٤ : ١٥ الفهرست نسخة تونك : مرثية .

١٥٥ : ٣ الفهرست تونك : البحتري .

١٥٥ : ٤ الفهرست تونك ابراهيم بن المدبّر ، (٣ : ١١/٩١) .

١٥٥ : ١٢ الصواب اختيار شعر ابن الدُمينة ، (٣ : ١٠/٩٢) .

١٥٥ : ١٣ الصواب عبيد الله بن قيس الرقيّات لا غير ، (٣ : ١١/٩٢) .

١٥٨ : ١ النديم ١٤٩ و ٢٦١ وذكر سبب مقتله مفصلا ومؤلفاته (وابن أبي أصيبعة ١ : ٢١٤ القفطي ولسان الميزان ج ١ رقم ٦٠١ وطبقات الأمم لصاعد ٥٢ ، والظاهر أن ياقوت لم يراجعه ، (٣ : ٦/٩٨) .

١٥٩ : ١١ الحكاية رواها أبوشجاع أصل الذيل ص ٥٨ ، (٣:١٠١/٨).

١٦٠ : ٥ الصواب وقد اشتبه ، (٣ : ١٠/١٠٢) .

١٦٠ : ١٦ ترجمة الولاة والقضاة للكندي ص ٤٨٥ وعن رفع الاصر ٥٤٦ وأخبار اصبهان لأبي نعيم ١ : ١٣٣ ، وحسن المحاضرة ١٢٩٩ هـ ١ : ٢٠٩ ، (٣ : ١٢/١٠٣) .

١٦٢ : ٦ الطُبْني لا غير وترجم له الضبّي رقم ١٠٦٥ ، (٣:١٠٧/٢) .

١٦٢ : ٩ الصواب عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد ابن سليمان بن داود . عن الخريدة والعدل ، وهذا غلط من ياقوت لعله ويأتي له أو لمرجليوث أغلاط في أنساب آل سليمان الآتين ، (٣ : ١٠٧/ ٤) .

١٦٢ : ١٢ الصواب بَرِيْح ، (٣ : ١٠٧/ ٩) .

١٦٣ : ٤ قوله جدّه ، الصواب جدُّ جدّهِ كما في العدل . وكذا الصواب في قوله (عم أبي العلاء) على ما في العدل (جـــد أبي الشيخ أبي العلاء) ، (٣ : ١٠٨/ ١٤) .

١٦٣ : ٧ الصواب لقد سُدت كما في العدل والتحري لابن العديم ٨٤ ، (٣ : ١٠٩/ ٣) .

١٦٣ : ١٣ قوله ثم بعده أخوه ، الصواب على ما في العدل (ثم جد أبي العلاء أبو الحسن سليمان الخ) ، (٣ : ١٠٩/ ٩) .

١٦٤ : ١٣ الصواب أبو المجد محمد بن عبد الله بن أبي المجد محمد [أخي أبي العلاء] وأبو المجد الثاني الخ . وهذا السقط من الناسخ أو المصحّح وهو على الصواب في العدل والخريدة ، (٣ : ١١١/ ١٣) .

١٦٤ : ١٤ ابنه هو حفيده كما سيأتي وكما في العدل ، (٣ : ١١٢/ ١) .

١٦٥ : ٥ الصواب الغِرار على ، (٣ : ١١٣/ ٤) .

١٦٥ : ١٩ داهر لعله غلام سندي ، (٣ : ١١٤/ ١٣) .

١٦٦ : ١٢ الصواب على ما في العدل أيضاً شاكر بن عبد الله بن محمد أبي المجد بن عبد الله بن محمد [أخي أبي العلاء] بن عبد الله بن سليمان ، (٣ : ١١٦/ ٧) .

١٦٧ : ٦ الصواب ففدا القلب ، (٣ : ١١٧/ ١٣) .

١٦٨ : ٢ النعمان هذا يوجد خط قراءته بآخر نسخة نقائض جرير والأخطل بالكتبخانة العمومية باستانبول ق ١٤٤ هكذا (قرأته جميعه في المحرّم من سنة ٥٢٥ وكتب النعمان بن وادع بن عبد الله بن مسلم) كذا

هو (بن مسلم) ولا يصح لأن أبا مسلم كنية والده كناه بها أبو العلاء نفسه . انظر كتابي أبو العلاء ص ٣٢ ، (٣ : ١٢٠/٧) .

١٦٨ : ٦ العدل : أبو المرشد ، (٣ : ١٢٠/٨) .

١٦٨ : ١١ للبيتين ثالث في العدل ، (٣ : ١٢٠/١٢) .

١٦٨ : ١٣ الصواب ٥٥٣ كما في العدل ، (٣ : ١٢١/٣) .

١٦٩ : ١ دُرُوْغ كلمة فارسية بمعنى الكذب ، (٣ : ١٢٢/٢) .

١٦٩ : ٥ العدل : المنيني ، (٣ : ١٢٢/٧) .

١٦٩ : ١٣ كذا المعروف ورأيت في البغية ٢١٣ خبراً يشبهه لجُنادة اللغوي في مجلس الصاحب ، (٣ : ١٢٣/٥) .

١٧٠ : ١١ الصواب ستّا وثمانين وتصحيف (ستا) بـ (شيئا) قديم في الحديث من صام رمضان وأتبعه ستّا من شوّال الخ ، (٣ : ١٢٥/٣) .

١٧١ : ٦ أبو يوسف هذا ترجمته في المنتظم ج ٩ رقم ١٣٠ والشافعية ، (٣ : ١٢٦/٩) .

١٧٢ : ٧ سواديّ . هو دعبل ، (٣ : ١٢٨ / ١٠) .

١٧٢ : ١٣ الصواب ولحظّ .

١٧٢ : ١٥ الدلفى . ترجمنا له في أبي العــلاء وما إليه ٢٢٠ ، (٣ : ١٢٩ / ١١) .

١٧٢ : ١٧ الصواب بالشطرنج والنرد .

١٧٣ : ٣ الصواب أحلى ، (٣ : ١٣٠ / ٦) .

١٧٣ : ٥ قال الخ لا يوجد في طبعة التتمّة ، (٣ : ١٣٠/٩) .

١٧٣ : ٩ أنساب السمعاني رسم التنوخي ، (٣ : ١٣١ / ١) .

١٧٣ : ١٢ مفاقصة ، مفاجأة وعلى غيرّة .

١٧٣ : ١٢ الصواب سنتين لأن أبا زكريا أقام عنده سنتين وأشهرا ، (٣ : ١٣١/٥) .

١٧٣ : ١٥ السَّبْق الدرس وقد بقيت الكلمة في إيران والهند بهذا المعنى ، (٣ : ١٣١ / ١٠) .

١٧٤ : ٣ اللامية من السقط ، (٣ : ١٣٢ / ٦) .

١٧٥ : ٣ أبو الوليد ترجمت له في أبي العلاء ٢١٩ والأبيات من السقط ، (٣ : ١٣٤ / ١١) .

١٧٥ : ٩ الصواب المعرّيّ لنفسه . والصواب أن البيتين للظاهر كما في رسالة ابن القارح من رسائل البلغاء ٢٠٠ . وليعلم أن الشريف بذيء لا يوثق بمثله انظر كتابي ٢٩٧ ، (٣ : ١٣٥ / ٧) .

١٧٥ : ١٦ الأبيات في المعاهد ١ : ٥٠ أيضاً ، (٣ : ١٢٦ / ٢) .

١٧٥ : ١٨ الصواب وهو مأواك ويروى ماراك راء لغة في رأى ، (٣ : ١٣٦ / ٧) .

١٧٦ : ٢ الصواب ذا يأس .

١٧٧ : ٥ من اللزوم ، (٣ : ١٣٩ / ٦) .

١٧٧ : ٨ الصواب الصَّرْفة .

١٧٧ : ١٥ هذه الغاية (السورة) مقتضبة عما في الفصول ٢٥٣ ، (٣ : ١٤٠ / ٦) .

١٧٨ : ٩ الصواب كان زاهداً .

١٧٨ : ١٤ الصواب كأنما لي غاية .

١٧٩ : ١٢ الصواب بذمّتي .

١٧٩ : ١٤ وفي نكت الهميان حاشدة ، وزاد في آخر الأبيات :

وجميع ما فاهوا به كذب لعمري حَنْبَتْرِيْتُ

رهريت من الهَرْت ممزّق العِرض والهريت أيضاً الخطيب الواسع الشِدقين ، (٣ : ١٤٥ / ١) .

١٧٩ : ١٦ الصواب أحد . إذ لا أعرف أحمد في من استملى له . وفي العدل من مؤلفاته ٦٧ كتاباً وذكرت في كتابي ٧٧ كتاباً .

١٨٠ : ٢ ابوالحسن انظر كتابي ٢١٨ والعدل ١١١ ، (٣ : ١٤٥/١١) .

١٨٠ : ١٤ قَـرِيّ قافية واشطب الحاشيه ، (٣ : ١٤٧/٢) .

١٨٠ : ١٧ الشاذن العدل الشادن الذهبي وخليفة السادن القفطي السادر ، (٣ : ١٤٧ / ٧) .

١٨١ : ٢ الذهبي وابن خلكان ذكر بعض الفضلاء أنه وقف على الجلد الأول منه بعد المائة قال ولا أعلم ما يعوزه بعد ذلك . العدل : لم أقف منه إلا على جزء واحد وبعضه موقوف بالنظامية ببغداد وكانت بخزانة مصر منه نسخة صارت إلى القاضي الفاضل ثم الى ولده ثم إلى الملك الصالح وأظنها في ٦٠ مجلداً وقال القفطي في إنباه الرواة له لم أجد أحداً يقول رأيته ولا رأيت منه شيئاً إلى أن نظرت في فهرست وقف نظـــام الملك فرأيت فيه أنه ٦٣ مجلداً اهـ العاجز وجدت في ابريل سنة ١٩٣٦ عند الصديق الشيخ راغب الطباخ نسخة مخرومة من أوج التحري عن حيثية المعري ليوسف البديعي في ٩١ ق أورد فيه من الايك نحو ٥ صفحات ، (٣ : ٤٧ / ١١) .

١٨١ : ١٠ الصواب لكل جنس من العدل .

١٨٢ : ١٣ العدل : كتاب دعاء ساعة ، دعاء الأيام السبعة ، حرز الخيل ، جزء فيه حرز وتعويذ ، (٣ : ١٥٠ / ٩) .

١٨٢ : ١٩ الصواب بونقة الواعظ .

١٨٣ : ٨ الكلمة القالي٢ : ١٠٩، ١٠٧ وانظر السمط ٧٣٥، (٣ : ١٥٢/١) .

١٨٣ : ٩ كلمة الشنفرى منضّليّة رقم ٢٠ ص ١٩٤ . (٣ : ١٥٢/ ٤) .

(يتبع) عبد العزيز الميمني

التعريف والنقد

المعجم القانوني (انكليزي ـ عربي)

للأستاذ حارث سليمان الفاروقي

جزءان في ١٤٩٨ صفحة ـ دار النشر الليبية

لا شك ان أية دراسة مقارنة للتيارات القانونية الأجنبية التي أفادت منها البلاد العربية خلال النصف الأول من هذا القرن ستظهر بوضوح ضآلة الأثر الذي تركه الفقه الانكليزي في نهضتنا التشريعية إذا قيس إلى أثر فقه الدول اللاتينية في هذه النهضة . وعلى الرغم من تفاوت هذا الأثر بين دولة وأخرى تفاوتاً فرضته طبيعة العلاقات التي كانت تصل بين دول اوربة ودول المنطقة العربية فان من المؤكد ان النظم الحقوقية العربيـــة قد حذت حذو النظم اللاتينية من حيث تصنيفها ومناهجها وقواعد تقنينها . وقد يرد ّ هذا كله إلى ان اللغة الفرنسية كانت ، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، لغة القانون والدبلوماسية . ولكن في ظني ان تقاليد الفقه الانجليزي وأعرافه وإلحاحه على السابقات القضائية جعلت الافادة منه خارج نطاق النفوذ الانجلوساكسوني أمراً صعباً .

ولكن السنين التي تلت الحرب العالمية الثانية شهدت تغييراً جذرياً في ميزان القوى الدولية واتساعاً في الأبعاد الجغرافية للمبادلات التجارية والدبلوماسية أدّيا إلى تقهقر اللغة الفرنسية في ميدان السياسة والعلاقات الدولية وحلول اللغة الانجليزية محلها .

وكان طبيعياً أن تزداد صلات الأوساط العربية ، الحكومية منها والاقتصادية ، بالنظم الحقوقية الانجلوساكسونية . وكان طبيعياً أيضاً أن تزداد الحاجة الى قاموس قانوني انجليزي عربي يزيل الصعوبات اللغوية والفنية أمام ذلك التبادل ويساعد على الإلمام بالأساليب القضائية والطرائق القانونية التي تنظم هذه الصلات .

وقد نهض لهذا الأمر مؤلف من ليبيا الشقيقة هو الأستاذ حارث سليمان الفاروقي فنظر في المعاجم القانونية الانجلوساكسونية ثم نظر في المعاجم العربية والمصطلحات الحديثة التي درج استعمالها ، ووضع معجماً قانونياً انجليزياً عربياً أبادر فأقول انه اضافة ثمينة إلى المكتبة الحقوقية لأنه لا يقنع بأن يكون معجماً فحسب ولكنه ، بشروحه وتفاصيله ، يوشك أن يكون مقدمة ضرورية لدراسة الفقه الانجلوساكسوني . فالمؤلف لا يكتفي بايراد الألفاظ والصيغ القانونية ووضع ما يقابلها في العربية ، ولكنه يحاول ، وبخاصة عندما تكون هذه الصيغ ذات صفة تاريخية ، أن يعطي القارىء العربي نبذة عن نشأتها ، وطرق استعمالها وتطورها خلال العصور . ومثال ذلك محاولته ترجمة كلمة Equity ، وكلمة Trust وأصولها في الفقه الانجليزي . ولذا جاء كتابه كتاباً فريداً حقاً يشي بالجهد الكبير والاطلاع الواسع والسنوات الكثيرة التي انفقت في إعداده .

والمؤلف يعنى عناية كبيرة بالمصطلحات المدنية والجزائية . كما انه يخصص حيزاً هاماً لبقية فروع القانون كالتجارة والأعمال وأعمال البنوك والطيران المدني وغيرها . وهو حريص على الإشارة إلى بعض القوانين الأخرى كالقانون الفرنسي أو الاسكتلندي عندما يجد ان صيغة ما قد اتخذت معنى جديداً أو خصصت بغرض معيّن . ولكن من الملاحظ ان المؤلف الكريم لم يعن العناية الكافية بمصطلحات السياسة والعلاقات الدولية . ومن الأمثلة أن المؤلف أورد لفظي Mandate (ص ٩٠٠) و Trusteeship (ص ١٤٠٨)

فأشار الى معنى الأول في القوانين التجارية والمدنية ، وعرّف الثاني بأنه « وصاية » دون أن يشير إلى معنى هذين اللفظين في الدبلوماسية ودون أن يشير الى نظام الانتداب الذي أقره مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ والذي طبق على بلاد المشرق العربي ، أو نظام الوصاية الذي أقرته الأمم المتحدة والذي يعمل به حالياً . وكذلك وردت كلمة Recognition (ص ١١٧) على انها اعتراف بأمر أو اقراره وتصديقه ؛ وأغفل المؤلف معناها في القانون الدولي وهو الاعتراف بدولة سواء أكان اعترافاً بحكم الواقع أو اعترافاً بحكم القانون . أما لفظة Abstention (ص ١١) فقد اكتفى المؤلف بترجمتها إلى احجام أو امتناع . وقد درج استعمالها في المؤسسات الدولية على انهـــا استنكاف عن التصويت . وهناك كلمة See (ص ١٢٥٧) ومعناها في القانون الكنسي الدائرة التي يمارس فيها الأسقف اختصاصاته . ولكن المؤلف أغفل المصطلح الأهم وهو The holy See والمراد منه المركز البابوي ذاته .

وعلى الرغم من حرص المؤلف على دقة الألفاظ التي ينتقيها وسلامة معناها فانه وقع في التباسات قليلة نورد بعضها . فقـــد ترجم نظرية جان جاك روسو The Social Contract بنظرية الاتفاق الاجتماعي بينما تعارف الباحثون على تسميتها اليوم بنظرية العقد الاجتماعي . وترجم كلمة Consensus (ص ٣١١) بقبول ، رضا ، اتفاق ، ولكن لم يشر إلى أن هـذا الاتفاق يجب أن يكون جماعياً يشمل كافة الأطراف . أما كلمة Deputize (ص ٤٣١) فقد ترجمها المؤلف بـ : ينتدب ، ينيب ، يعيّن نائباً ، وهذا خطأ ، فالكلمة تعني أن يقوم شخص ما مكان شخص آخر وأن ينوب عنه . ولعلّ المؤلف قد خلط بين فعل To Depute وفعل To Deputize for . أما كلمة Allowance (ص ٧٣) فقد وضع المؤلف مقابلها : جعل ، جعالة ، علاوة . والكلمة تعني في الحقيقة علاوة أو تعويضاً ،

ولذا فلا محل لكلمة جعالة التي تعني رسماً أو ضريبة تفرض على شخص ما لا علاوة تمنح له .

وقد لاحظت أيضاً ان المؤلف يقتصر في بعض الأحايين على إيراد جانب من المعنى أو الاختصاصات دون الجوانب الأخرى . فهـو يصف The Supreme Court of the United States of America (ص١٣٤) بأنها محكمة التمييز (النقض والإبرام) في نظام القضاء الاتحادي الأميركي . والحقيقة أن دور المحكمة العليا لا يقف عند هـذا الحد . فهي مكلفة أيضاً بتفسير القوانين والتأكد من دستورية التشريعات التي يسنها الكونغرس الأمريكي . كما ان المؤلف أورد في ترجمة Territorial waters (ص ١٣٦٨) بأنها المياه الاقليمية وهي التي تشمل مياه البحر الواقعة على مسافة لا تتجاوز ثلاثة أميال من الساحل . والحقيقة أنّ هذا التحديد لم يقبل قبولاً مطلقاً ، وأن كثرة من الدول تدعي مياهاً اقليمية تصل الى اثنى عشر ميلاً أو أكثر . وهناك كلمة Fund (ص ٦٣٠) التي أسهب المؤلف الكريم في ايراد المصطلحات التي تعنيها ولكنه لم يشر إلى التسمية الحديثة التي درج استعمالها اليوم وهي كلمة « الصندوق» كصندوق النقد الدولي International Monetary Fund عندما تعني مبلغاً من المال مخصصاً لغرض معيّن .

ولكن ماذا تكون هذه الهنات الطفيفة ازاء تلك الثروة اللغوية والقانونية التي جمعها المؤلف فأحسن جمعها . ان كتاب الأستاذ الفاروقي مساهمة جديّة كبيرة في حقل الدراسات الحقوقية جديرة بأن تجد مكانها في مكتبة كل حقوقيّ .

الدكتور عمر النص

« مي » أديبة الشرق والعروبة

تأليف الأستاذ محمد عبد الغني حسن (٣٣٥) صفحة

من منشورات مؤسسة « عالم الكتب » في القاهرة

الآنسة مي أديبة كبيرة مشهورة ، وهي أكبر أديبة من النساء في هذا الجيل الذي نحيا فيه ، فقد اتصفت بصفات تدل كل واحدة منها على مزية أدبية ، وميزة فنية ، فهي كاتبة ، وخطيبة ، ومترجمة ، ومحدثة ، وهذه الخطوط هي التي تكوّن شخصيتها الفذة ولعل من دواعي شهرتها أنها أنثى ، فإن الأديبات في مطلع عصرنا هذا كن ندرة وكان عددهن قليلا جداً ، فلما نبغت هذا النبوغ اعتبرت من حسنات الزمن .

امتاز ادب « مي » بالمحافظة على أنوثة صاحبته فإذا قرأت لها شيئاً أحسست أنها تتحدث بطبيعة المرأة وتفكيرها وهذه فضيلة كبرى للأديبات على حين أن عيب الأدب النسائي في بلادنا انه ، في أكثره ، تقليد لأدب الرجال مما يضيع مزيته ويذهب بلونه الخاص الذي ينبغي أن يبدو عليه دائماً ، لأن للمرأة طبيعة تختلف عن طبيعة الرجل ، فمن الحق أن يكون أدبها مختلفاً عن أدب الرجل تبعاً لاختلاف طبيعتيهما . فأدب « مي » اذن يمثل هذا الأدب النسوي الذي امتاز بالرقة والدماثة وفهم الأمور بعقل المرأة وحسها المرهف .

ولقد قسم الأستاذ عبد الغني حسن كتابه الى ثلاثة فصول : أولها « دراسات وملامح » وتحدث فيه عن صورة مي ، وعن أحزانها وأفراحها ، كما تحدث عن مزاياها الأدبية في أسلوبها وسخريتها ، وعن شعرها وموسيقاها وصالونها وكتبها .

وثانيها «أحاديث عن مي» وهذه الأحاديث اختارها الكاتب من بين الآراء التي أدلى بها أدباء مصر المعاصرون في الكاتبة النابغة من مثل الشيخ مصطفى عبد الرازق والدكتور طه حسين والعقاد والمازني والشاعر مطران وغير هؤلاء .

وثالث هذه الفصول يتضمن «منتخبات من مي» وهي تتناول بعضاً من رسائلها الى الادباء من مثل جبران والريحاني والرافعي وأحمد لطفي السيد ، كما تناولت عدداً من خطب مي في الحفلات التي كانت تدعى اليها .

بقي أن نتحدث بكلمة عن الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، فقد عرفناه شاعراً وأديباً منذ أكثر من ربع قرن في المجلات البارزة بمصر ، فهو أديب ناصع الأسلوب مشرق الديباجة ، وهو بهذه الصفات وبما خبره من الفقيدة مي وحياتها خير من يستطيع تصوير حياتها وأدبها الرفيع .

معجم الموسيقى العربية

تأليف الدكتور حسين علي محفوظ

من مطبوعات وزارة الثقافة والإرشاد العراقية في عام سنة ١٩٦٤ ــ بغداد

يقع الكتاب في (٢٢٤) صفحة

لا تزال المعاجم التي وضعت باللغة العربية قاصرة عن أداء مهمتها وتأدية غايتها من حيث إحاطتها بالعلوم والفنون الحديثة ، ولقد وجدنا عند الأمم الغربية اليوم معاجم تتناول كل علم وتمتد الى كل فن ، ولو حاولت أن تستعين بمعجم من هذه المعاجم المختصة أو مايدعى بمعاجم المصطلحات لاضطررت الى البحث عن ذلك في اللغات الأجنبية ، لهذا فان المعجم الذي يوضع لفن من الفنون أو علم من العلوم خاصة هو معجم بالغ الأهمية ظاهر الفائدة ،

ولقد ظهر في الحقبة الأخيرة بعض المعاجم العربية المفيدة كمعجم الألفاظ الزراعية ، ومعجم المصطلحات الحراجية ، ومعجم الثياب ، وقاموس الأعلام ، ومعجم المؤلفين ، فكان ظهورها معيناً لأصحاب البحث والدرس .

ولقد أصدرت مؤخراً وزارة الثقافة والإرشاد العراقية معجماً صغيراً للموسيقى العربية من تأليف الدكتور حسين علي محفوظ . والدكتور محفوظ من ثقات المشتغلين بالثقافتين العربية والفارسية ، وله كتب عديدة في هذا المجال نذكر منها العلامات والرموز ، والألفاظ التركية ، والنوروز ، ومعجم الآلات والأدوات ، ومعجم الصناع والبياعين والمحترفين ، وهذان المعجمان الأخيران هما أصل هذا المعجم الموسيقي كما يقول في مقدمته ، وقد جعل معجمه الجديد على قسمين تناول أولهما الاصطلاحات القديمة كما تناول القسم الثاني اصطلاحات مجمع اللغة العربية .

والمعجم برغم افادته يحتاج الى المراجعة وإعادة النظر من حيث شموله واتساعه لكل الاصطلاحات الموسيقية الفنية اللازمة للباحث المطلع .

ولقد لاحظنا ، بهذه المناسبة وعلى مقدار معرفتنا ، أن هنالك ألفاظاً تعرضت للخطأ في هذا المعجم الموسيقي ، وانا لنثبت فيما يلي بعض هذه الألفاظ المغلوطة مبينين الى جانبها صحتها والصفحة التي وردت فيها .

الصفحة	الخطأ	الصواب
٥١	المنصور ـ ناي	المنصور ـ ناي له طبقة حزينة معينة
٨٠	ساز ـ لحن	ساز ـ آلة
٨٠	السجاح ـ النغمة الثقيلة	السجاح ـ قرار النغمة الحادة
١٢٠	فانفار ـ تركية	فانفار ـ فرنسية

وهذه الكلمات ليست كل ما يمكن أن يلاحظه ناقد الكتاب لأن هنالك ألفاظاً أخرى يمكن إعادة النظر فيها ، ولا يقدح هذا بالجهد المبذول في

هذه السبيل ، وحبذا لو كان هذا العمل عملاً مشتركاً يسهم فيه عدد من المختصين لتصحيح الأخطاء وليزيد عدد الكلمات والاصطلاحات .

ورغماً عن الملاحظات السالفة فإن هذا المعجم يمكن اعتباره اللبنة الأولى في معاجم الموسيقى وهو بدء مشكور وجهد حسن نرجو استمراره واطراده .

❊❊❊

ديوان السلطان سليمان بن سليمان النبهاني

يقع في (٣٧٢) صفحة من القطع المتوسط

من مطبوعات المطبعة العمومية بدمشق عام ١٩٦٥

هذا ديوان لشاعر من عمان ، ولعمان ذكر في تاريخنا العربي الإسلامي ثم خبا هذا الذكر بعض الشيء الى أن عاد الى اللمعان هـــذه الأيام ، وعلى أثر الانتفاضة التي بدأها الشعب العماني في ثورته العارمة على الاستعمار الأجنبي ، هذه الثورة التي هي الآن ملء سمع الدنيا وبصرها ، فكانت بادرة طيبة أن عمد الناشران سليمان وأحمد أبناء محمد السالمي الى نشر هذا الديوان ، وأن أشرف على تصحيحه والتعليق عليه أستاذنا الجليـــل عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق .

والسلطان سليمان هذا إذا قرأت تاريخه تذكرت امرأ القيس الكندي الشاعر الضليل والذي كان ملكاً على قبيلته ، ومن العجب العجاب أن يتشابه السلطان والملك في قوه الشعر وجزالته ، وفي طريقة الحيـــاة ، فحياة امرىء القيس معروفة لدينا ، وكذلك حياة شاعرنا سليمان النبهاني فقد كان محباً للهو والمجون كسلفه وصافاً لمشوقاته الكثيرات وصفاً يذكرك بالشاعر الضليل ، ولكن النبهاني كانت حياته مقسمة بين المجون والجد ،

ولم يكن يخلط هذا بذاك ، إذ كانت له وقائع حربية ومعارك ما زال ذكرها في مسمع التاريخ العماني . ومن الغريب أن يحب شاعرنا الجديد تقليد امرىء القيس ومعارضته ، حتى إنه يذكر المواقع التي مرت بشعر امرىء القيس ، كما انه يتشبه به في طريقة النظم ، فالاقتباس عنده لفظي ومعنوي ، كما قلد شاعرنا عدداً من شعراء الجاهلية مثل عنترة وطرفة وعمرو بن معديكرب .

أما لغته ، كما يقول الأستاذ التنوخي ، « فبدوية منتزعة من لغة البادية وحياتها » ، ومن يراجع الديوان ير تحقيق هذا الرأي وصحته .

وقد ولد هذا الشاعر في النصف الأول من القرن التاسع للهجرة ، وتوفي حوالي سنة ٩١٥ هـ و ١٥١٠ م .

وعلمت أن النسخ المخطوطة التي اعتمد عليها الأستاذ المحقق كانت كثيرة الأخطاء . وقد أفرغ الأستاذ جهده في تصحيحها وتنقيحها ، ولا ضير في بعض الأخطاء المطبعية ، لأن الخطأ المطبعي في كتبنـــا العربية يكاد يكون أمرا طبيعياً .

أبو العتاهيـــة

أشعاره وأخباره ، تحقيق الأستاذ الدكتور شكري فيصل

عدد الصفحات (٧٢٢) صفحة من منشورات مطبعة جامعة دمشق عام ١٩٦٥

أبو العتاهية شاعر عباسي صاحب لون خاص في الأدب العربي ، فقد امتاز بلون الزهد والتحدث عن الحياة والموت والعلاقة بينهما ، وإن تخلل ذلك بعض الغزل والمدح ، واشتهر الرجل بعدم العناية بشعره لاستطاعته النظم بسهولة لم تعرف عند غيره من الشعراء ، لذلك كثر سقطه حتى قيل فيه « شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يلقى فيه الخزف والجوهر » كناية عن اشتمال هذا الشعر على الجيد والرديء .

وقد قام مؤخراً الأستاذ الدكتور شكري فيصل عضو المجمع العلمي العربي بدمشق بتحقيق ديوان الشاعر وقدم له تقدمة ضافية تحدث فيها عن أسباب تحقيق هذا الديوان والدوافع التي دفعت الى ذلك وأهمها أنه اختار أبا العتاهية ليكون نموذجاً لشعر الزهد في دراساته عن الشعر العباسي ؛ كما نشر المحقق مقدمة ابن عبد البر وهو صانع الديوان الأول وعلى نسخته اعتمد .

أما الديوان الجديد فقد طبع طبعاً متقناً مشكولاً . وصنفت قصائده على الحروف الأبجدية مع ذكر البحر العروضي الذي نظمت عليه القصيدة ، يضاف الى كل هذا شروح مستفيضة إلا أن هذه الشروح اقتصرت على ذكر الاختلافات في الرواية بين النسخ المخطوطة التي استأنس المحقق بها في تحقيقه ، وكنا نرى أن يلجأ الى شرح بعض الألفاظ الغريبة العويصة التي لا يخلو شعر أبي العتاهية منها في بعض الأحيان رغم سهولته .

وألحقت بالديوان تكملة صنفت أيضاً على الحروف الأبجدية ، واستغرقت ما بين الصفحتين (٤٧٢) و (٦٨٠) ، وأضيف الى هذه الطبعة الجديدة استدراك امتد من الصفحة (٦٨١) حتى صفحة (٧١١) ، كما ألحق بالديوان بيان بالمصادر ، وبيان آخر للخطأ والصواب ثم فهرست يضم محتوى الكتاب .

ومما لا ريب فيه أن تحقيق هذا الديوان عمل جليل وجهد لا ينكر ككل الأعمال الأدبية التي يقوم بها الدكتور شكري فيصل .

ابن نباته المصري (أمير شعراء المشرق)

تأليف الدكتور عمر موسى باشا

٣٣٥ صفحة من القطع التوسط طبع في « دار المعارف » ــ القاهرة سنة ١٩٦٣

وضع هذا الكتاب الدكتور عمر موسى باشا .

وابن نباتة المصري شاعر عاش في عصر الاضطرابات من التاريخ العربي فهو مخضرم بين عهد الأيوبيين وعهد المماليك البحرية إذ ولد عام ٦٨٦ وتوفي عام ٧٦٨ للهجرة وهو مخضرم أيضاً في حياته لأنه ولد في مصر وعاش في بلاد الشام حقباً طويلة .

ويضيع اسم هذا الشاعر بين اسم جده عبد الرحيم بن نباتة الذي كان خطيباً لسيف الدولة ، وابن نباتة السعدي الشاعر الآخر الذي عرف في بلاط سيف الدولة ، لذلك دعي صاحبنا هذا بابن نباتة المصري تمييزاً له من غيره . كما اختلف في لفظ كنيته « نباتة » أهو برفع النون أم نصبها ؟

والكتاب يقع في مقدمة مختصرة وبابين اشتملا على البحث كله ، أما الباب الأول فيبحث في عصر الشاعر وحياته ومراحل هذه الحياة الطويلة المتنقلة كما يبحث الباب الثـــاني في أدب ابن نباتة وآثاره الشعرية والنثرية وينتهي بخاتمة وبثبت يبين مصادر البحث .

والمؤلف يتعرض في بحثه عصر الشاعر الى الملوك الأيوبيين والمماليك البحريين ولكنه يترك بحثه مبتوراً لأنه اقتصر على ذكر بعض الملوك الذين عاصروا الشاعر ونرى أن طبيعة البحث تقتضي أن يخصص بحث يتناول رجال هذين العهدين فيأتي على ذكرهم جميعاً ولو باختصار لتتم الصورة التاريخية للعهد الذي يتناوله الكتاب .

ثم إن الحواشي التي وضعت للكتاب قاصرة على ذكر المراجع دون التعرض للأشخاص والأماكن إلا في القليل النادر وهذا مما يجعل القارىء في حيرة من أمره حين يريد دراسة الشاعر ؛ فالكتاب لم يذكر شيئاً على التقريب عن شخصية بارزة مثل ابن منظور أو عبـــد القاهر الجرجاني أو الجلال القزويني ، وكان البحث يقضي أن يذكر عن هؤلاء شيء ولو في الحاشية يوضح شخصياتهم ويدل الباحث عليهم دلالة مفيدة .

وحين ينتقل المؤلف الى بحث « أدب ابن نباتة » تجده يؤكد عظمة الشاعر وعبقريته مستنداً في ذلك الى آراء الأقدمين في العصر الذي عاش فيه الشاعر كقولهم : شاعر العصر ، أو شاعر الشرق ، أو حامل لواء الشعر في زمانه ، ويرى المؤلف بعد ذلك أن شاعرنا قد « خص بهذه الألقاب دون غيره » مع أن مثل هذه الألقاب كانت أهون شيء عند أدباء هذا العصر ، وعندي أن الألقاب التي كانت تـكال جزافاً لا تعطي أية فكرة عن الشعر أو الشاعر وأنا أحيل المؤلف على « يتيمة الدهر » ليرى الأوصاف والألقاب كيف توزع بحيث لا يمكن التفريق بين شاعر وآخر .

وشيء هام لفت نظري في الكتاب أن الشعر الذي ورد فيه لم يضبط من ناحية الوزن ، كما جاء في البيت الثامن من أبيات ابن مطروح « الصفحة ١٧ » أو البيت الحادي عشر من قصيدة ابن دانيال « الصفحة ٦٢ » كما وردت أخطاء نحوية نعزوها الى المطبعة وكان من حق الكتاب أن يلحق به جدول للخطأ يعين القارىء على الإفادة الـكاملة .

قدمنا لك نقدنا للكتاب لنخلص الى القول ان البحث بحث متزن يكاد يكون مستوفياً موضوعه وهو يعطيك صورة عن العصر الذي عاش فيه الشاعر وعن الشاعر نفسه ، يضاف الى هذا أن عبارة الكتاب سهلة محببة وقريبة من القلب ولا بدع في ذلك فان الدكتور عمر موسى باشا أديب مطبوع وهو من خيرة الأدباء الذين يستطيعون النهوض بمثل هذه الأبحاث المفيدة .

النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ

تأليف الأب فيكتور شلحت اليسوعي

كتاب يقع في (١٩٢) صفحة ، طبع في دار المعارف بمصر عام ١٩٦٤

هذا الكتاب رسالة جامعية تقدم بها المؤلف لجامعة القاهرة وقد أشرف عليها الدكتور شوقي ضيف ، والكتاب محاولة طيبة وبحث واف قصد منه صاحبه توضيح « الميزة العقلية » في مؤلفات الجاحظ ، وأن علم « الكلام » قد كان له أثر قوي في أسلوبه ، ولكي يصل الكاتب الى غايته هذه قسم موضوعه الى تمهيد وبابين وفاتحة ، فبحث في التمهيد موضوع المتكلمين وأثرهم في الثقافة والأدب ليخلص الى فكرة تأثر الجاحظ بعقلية « أصحاب الكلام » واعتماده على المنطق العقلي في كثير مما كتب ، كما بحث في الباب الأول « عناصر أسلوب الجاحظ » وعلاقة هذا الأسلوب بالبلاغة ، ثم قضية التعبير وطريقة التفكير عنده ، وانتقل الى الباب الثاني الذي بيّن فيه العناصر الكلامية في أسلوب الجاحظ ، وفي خاتمة الرسالة تعرض المؤلف للنزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ ومذهبه الكلامي ، وأنهى الكتاب بفهرس للمراجع وآخر الموضوعات .

ويحسن بنا الإشارة الى أن الموضوع درس دراسة متقنة وأن البحث كان حسن الاطراد والاتساق بحيث يبدأ قارئه وينتهي دون أن يجد صعوبة في فهم ما أراده الكاتب .

كما أن الناحية الشكلية بالكتاب مغرية بالقراءة ، فالاخراج جميل والطبع متقن والأخطاء المطبعية نادرة ، وهذه ميزة لها أهمية بالغة في المطبعة العربية وهي تدل على العناية الفائقة و التأني المثمر .

بقي أن نشير إلى أمر هام في نظرنا وهو الموضوع ذاته الذي تعرض له المؤلف ، فنحن نرى أن الجاحظ لم يكن مأخوذاً بالمنطق والعقل ،

ولو خالفنا في هذا ابن العميد ، ونخلص من هذا الى القول بأن « الكلام » لم يكن أثره بارزاً في كتب الجاحظ كلها لأن صفة « الأديب » عند هذا الرجل غلبت عنده كل صفة أخرى . ولعل المؤلف قد اطلع على بعض المخطوطات التي انحاز فيها الجاحظ الى البحث العقلي .

إن الناحية الفنية هي التي تميز الجاحظ من غيره من الكتاب ، على حين أنك تجد أثر العقل ظاهراً عند ابن المقفع وعبد الحميد والخوارزمي مثلاً ، فلقد شغل الجاحظ برواية القصص الصغيرة يخترعها ، وإيراد النكات الطريفة يصنعها عن نفسه أو غيره رغبة منه في إدخال السرور على القارىء أو إراحته من عناء الجد والتفكير ، ورجل هذه طبيعته لا جرم يعد من أصحاب الفن أكثر مما يعد من أصحاب العقل والمنطق .

ولعل ما يدعم رأينا هذا ، قصر عبارة الجاحظ ، وكثرة استطراداته ، وانصرافه الى التجويد اللفظي فعل الأدباء الموهوبين ، ولا يستطيع الذهن المشغول باللفظ أن ينشغل الى جانب ذلك بالمنطق والعقل لأن الشغلين ضدان أو نقيضان .

على أننا لا نخفي إعجابنا بطريقة البحث التي لجأ اليها المؤلف فهي الطريقة المثلى التي يمكن أن يسار عليها في البحث العلمي الجدي ، والكتاب جدير بكل تقدير وإعجاب .

أحمد الجندي

آراء وأنباء

حول رؤية ابن بطوطة لابن تيمية

قلت في بحثي عن ابن بطوطة المنشور بالجزء الخاص من هذه المجلة لمناسبة افتتاح مجلدها الأربعين : « ان رحالتنا لم يأخذ عن ابن تيمية وان قال انه رآه » . وهي كلمة مُعبِّرة كشفت لجنة المجلة عما وراءها بالتعليق الذي كتبته عليها .

وسألني أحد الأصدقاء ما تعني لجنة المجلة بتعليقها هل هو الطعن في ابن بطوطة وانه أخبر بغير الواقع ؟ فأجبته إن كان هناك طعن فأنا الذي بدأتُ به ، لأن قولي « وإن قال انه رآه » صيغة أقل ما تفيده الشك في هذه الرؤية .

والواقع ان ابن بطوطة تكلم في ابن تيمية بما لا مخلص له منه إلا بتأويل بعيد . ولذلك لجأنا الى الشك في خبره عنه . فقد تكلم عنه بما لا يعدو أن يكون كلام خصومه فيه ، وذكر سجنه أولاً ثم إطلاق سراحه - قال - « الى أن وقع منه مثل ذلك ثانية ، وكنت بدمشق فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكّرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ، ونزل درجة من درج المنبر . فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء » الخ ما قال .

والتاريخ الذي ذكره ابن بطوطة لدخوله دمشق هو يوم الخميس ٩ رمضان عام ٧٢٦ وقد أثبت العلماء أن ابن تيمية في هذا التاريخ كان معتقلاً بقلعة دمشق وانه دخلها يوم الاثنين بعد العصر ٦ شعبان من السنة

كما عند الحافظ ابن كثير وغيره[1] فكيف يصح قول ابن بطوطة هذا مع تلك الفاقرة التي نسبها لشيخ الإسلام في تفسيره لحديث النزول بما هو من قول المجسمة المخالف لمذهب السلف الذين يعد ابن تيمية قطباً من أقطابهم ؟

إننا لا نرى إلا أن الخبر قد وقع فيه تزيد من خصوم ابن تيمية ورواه رحالتنا على علاته فنُسب اليه . ومعلوم أن الرحلة لم يكتبها هو وإنما أملاها على الكاتب ابن جُزَيّ بأمر من السلطان كما بُيِّن ذلك في البحث المذكور ، فيجوز أن هذا الكاتب توهم حضور ابن بطوطة للواقعة المزعومة ، في حين انه انما كان يحكي ما سمع . وسياق الخبر في الرحلة قد يؤيد هذا ، لأنه يذكر دخول الشيخ الى السجن وبقاءه فيه الى أن توفي رحمه الله ، فليس بعيداً أن يكون صدى سجنه منذُ شهر ما يزال يتردد في دمشق ، وسببُ هذا السجن الذي أن لا بد أن يذهب فيه الناس مذاهب شتى قد ألقي إلى رحالتنا الغريب كما رواه ، فجاء الكاتب بعد ذلك فحوّره على ما يوجد في الرحلة من أنه كان شاهِدَه .

والمقصود بهذه الكلمة هو : أولاً النّضح عن شيخ الإسلام ونفي تلك الفرية عنه ، مع التماس المخرج لرحّالتنا ابن بطوطة من تَبِعتها ، لا سيما وهو قد عرف بالدين والورع والتثبت فيما يروي . وثانياً بيان أن تعليق لجنة المجلة على تلك الجملة من البحث هو في محله واني بتلك العبارة المشككة كنت ألمّح الى هذا الذي ذكرته اللجنة المحترمة مع عدم تجريح الرجل ، فلما أبدى الصديق المشار اليه ملاحظته على ذلك التعليق لم يبق بد من بيان الحقيقة وإزاحة الستار عن أصل الحكاية والله الموفق .

عبد الله كنون

(١) انظر شرح نونية ابن القيم للشيخ أحمد بن ابراهيم بن عيسى ج ل ص ٤٩٧ وما بعدها .

مقارنات سامية (١)

يسرّني أن أشكر الأستاذ ربحي كمال لتعليقاته النفيسة على المقارنات اللفظية في العبرية والعربية التى نشرت في مجلة «عبر النهرين» . وبما أن الأستاذ تفضل بطلب رأيي فيما أبدى أجتزىء فأزيد ملاحظة أو ملاحظتين .

أولاً : يقابل الأستاذ הַיְפֵפָה باليفع ولا شك أن اقتراحـــه أصلح مما اقترحته .

ثانياً : أما אוֹב فيوجد هنا سوء تفاهم لأن العمود الأول في الجدول يتضمن ما ورد في المعجم العبري ويتضمن العمود الثاني معنى الكلمة الصحيح . واقترح الأستاذ أن الكلمة العربية المقابلة لـ אוֹב هي إهاب ولكن في العبرية الكلمة هذه هي אֲהַבָה .

ولم أفهم موضع قول الأستاذ «تخيّل للأستاذ المستشرق أن القِداح بمعنى الأقداح فترجمها بالإنكليزية بكلمتي Cup , bowl بمعنى القَدَح أو الإناء» وسها عن الأستاذ فيما يبدو أن المقابل الذي اقترحته في مقالي لم يكن «أوب» بل «وأب» وفي اللسان (وأب) نجد «وقَدَح وأب وإناء وأب ولوأبة النقرة في الصخرة تمسك الماء» .

ثالثا : أما אַכְזָר فأتمسك برأيي أن المقارنة بجزّار أجدر من المقارنة بأخزر لأن المحتاج اليه هو رجل قاسٍ وعنيف . والمعنى الأصلي للخزر في اللسان «كسر العين بصرها خِلقةً» . ومن ينظر بمؤخر عينه فهو داهية جبانا كان أو جبارا ! وقال الأستاذ «ليس في العبرية صفات على وزن أفعل» وأهمل אַכְזָב = أكذب و אֵיתָן = وأتن وهما من أسماء التفضيل . وقال أيضا «وكلمة جزّار في العربية لا تستعمل بمعنى قاسٍ إلا على

---

(١) المنشور في الصفحة ٥٨٢ من الجزء الرابع من المجلد التاسع والثلاثين .

سبيل المجاز » ومع ذلك فالجزّار هو الذبّاح سواء كان ذبيحه حيوانا أو انسانا . وورد في محيط المحيط « الجزّار الذبّاح والقصّاب ولقب وزير في سورية اسمه أحمد كان ظالما سفّاكا للدماء » .

رابعا : وأما חוּץ بمعنى خارج الشيء فإني ما قابلته بالاسم « حوْز » بل قابلته بالفعل حاز وقد جاء في التاج « حزت الشيء إذا جمعته أو نحّيته » . ويقال أيضا « يقال للأولياء انحازوا عن العدو وحاصوا وتحوّز وتحيّز عنه تنحّى » .

خامسا : أما אָלַץ فمن الممكن أن الأستاذ أصاب بقوله « مقابل هذا الفعل هو لأظ بقلب مكاني وإبدال الصاد العبريّة ظاء في العربية » ولكن يجب أن تصحّح الغلطة المطبعية الى طاء مهملة .

سادسا : وأما חָמִיץ ففي رأيي مقابله في العربية هو حميس لاتفاق الصيغتين חָמֵץ وحميس في اللغتين وأيضا لأنهما تعلقتا ببطل .

سابعا : أما גָּדַד قطع فقد كانت ملاحظاتي زيادات أو تصحيحات للمعجم العبري وفيه الفرق بين גָּדַד جدّ قطع و גָּדַד غزا بيّن وفي رأيي أنه لا صلةَ بين « غلبه في الجود » وغلبه في الحرب كما زعم الأستاذ .

ثامنا : أما הָדַף فلعلّ الأستاذ أصاب في قوله « مقابله دفع » .

تاسعا : הִצִּיג كما بيّن المعجم العبري لا يوجد هذا الفعل إلا بوزن أَفْعَلَ ولذلك فإن معنى « ضجا » هو أقام فيجب أن يكون معنى أضجى وَضَعَ . وقال الأستاذ « لا وجود لهذا الفعل في المعجم » ولكن جاء في اللسان « ضجا بالمكان أقام حكاه ابن دريد قال ليس بثبت » . وعندي أن تصحيح كلمة عربية قديمة أحرى من طرحها إذا أثبتتها العبرية والله أعلم . هذا وأكرر شكري الجزيل للأستاذ ربحي كمال على ملاحظاته القيمة .

الفرد غيوم

أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

– ٤ –

(٢٨)

مادّة نظر ـ تناظر

قال « تناظرت النخلتان = نظرت الأُنثى منهما إلى الفُحّال فلم ينفعها تلقيح حتى تُلْقَحَ منهُ » .

تناظر وزن يفيد اشتراك الفاعلَين ـ فتفسير تناظرت بنظرت إخلال لأن الصواب نظر أحدهما إلى الآخر ؟ وهو إخلال أيضاً لأنه تفسير المادّة بنفسها . وزيادة على هذا جعل النخلة تختار وتُصِرّ على اختيارها كمن يعقل فيفهم الطالب أنّ نظرَت بمعنى سدّدت بصرها ـ مع أنه لا شيء من هذا فيه . تناظرت النخلتان معناه تقابلتا ولا تعيين فيه لذكر أو لأُنثى ـ وناظرت داري دارك = قابلتها ـ كانت بإزائها ـ ونظرت دور آل فلان إلى دور آل فلان كانت مقابِلةً لها وهـــذا قول ابن منظور نفسه في صفحة أخرى . ويقول أيضاً إذا نظر إليك الجبل فخذ عن يمينه أو يساره أي إذا قابلك .

* * *

(٢٩)

مادة د ن ر دينار

قال : « الدينار فارسي معرّب أصله دِنّار بدليل قولهم دنانير فقلبت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجيء على فِعّال (مثل كِذّاب)

ومثله قيراط وديباج وأصله دبّاج » اهـ - وفي مجلد آخر يقول قيراط أصلها قِرّاط أو من قرّط عليه .

أما الدليل الذي اتخذه (بدليل قولهم دنانير) ضعيف لأنه كما جاز أن نفرض أن النون قلبت ياءً في المفرد يجوز لنا أن نفرض أن جمع دينار في الأصل ديانير ثم قلبت الياء نوناً - فرض مقابل فرض - وهما متساويان في الصحة وعدمها . وقالوا انهم خافوا من التباس الجمع بالمصدر على وزن فِعّال . ولكن هذا الخوف في غير محله لأن المصدر على فِعّال نادر لا يخيف وعلاوة على هذا فإنّ دِنّار يستحيل أن تلتبس لأنه لا يوجد فعل دَنّر (دنّرَ ومُدَنّر غير مشتقّين من دنر بل مُخرّجان من دينار) . وديباج ليست من دبّاج بل من الفارسية ديبا - وزيادة الجيم في آخر الألفاظ الفارسية شائعة عند العرب مثاله (ماله صارت مالج وفالوده صارت فالوذج وسكبا صارت سكباج) وقس عليه - ولكن علامَ هذا التدويم والكلمة لاتينية الأصل Denarius ومعناها « ذو العشرة » . لأنه كان يساوي (في رومية القديمة) عشرة فلوس . [وكان عندنا مثال آخر من تسمية القطعة من النقود بما تساويه من القطعة التي أسفل منها - بشلك = ذو الخمسة] .

وأمّا قيراط فيونانية الأصل وقد أصاب صاحب محيط المحيط في قوله « من اليونانية كيراتون » . [النون في آخر اللفظة تتوقف على موقع الكلمة في الجملة فقد ترد Képato بلا نون - ومعناها قرن - والحبّات الأربع في القرن » [وعاء البزر أو الخريطة - خريطة يونانية - أي كيراتو بإبدال الخاء من الكاف] اتخذها اليونان وحدة للوزن . ولسان العرب يكتفي بالقول إن القيراط من الوزن معروف .

* * *

(٣٠)

مادّة و م د ومِدٌ

قال : «وقد وَمِدَ اليومُ وَمَدَاً فهو وَمِدٌ وليلةٌ وَمِدَةٌ . ويُقال ليلة ومِدٌ بغير هاء ومنه قول الرّاعي يصف امرأةً .

كأنّ بَيْض نعامٍ في مَلاحفها إذ اجتلاهُنّ قيظاً ليلة وَمِدُ» اهـ

أخلّ بالنظام وتخلى عمّا كان قد قاله (ليلة ومدة) لكي يخرّج قولَ الراعي . ولنفرض أنّ الراعي قال هذا مُضْطَرّاً فهل نجعل إخلالَ الراعي قاعدةً ؟ ومثل هذا الاسترخاء في الشرّاح كثير جدًّا . ولكن قبل أن نتهّم الراعي بالإخلال للضرورة لماذا لا نفرض جواز الغلط في الرواية فنرفض البيت المخالِف ؟ والواقع أنه حصل خطأ في الرواية . وإعراب البيت كما أثبته ابن منظور لا يُعلي شأن الراعي ـ اجتلاهُنّ : فعل ماضٍ فاعلُه يجب أن يكون مذكراً ولكنه في البيت ليلةٌ . على أن الراعي لم يُخِلّ ، لأنه لم يجعل نعت الأنثى مذكراً ولا جعل فعلا مذكراً لفاعل مؤنث مفرد ، وإنما قال : إذا اجتلاهُنّ قيظٌ ليلهُ وَمِدُ .

راجع الكامل المبرّد ترَ الرواية الصحيحة .

* * *

(٣١)

مادة ق ح ط . قَحُوط (عَلَم غير منصرف) .

ورد في الكامل للمبرّد لأوس بن حجر [والمبرّد وأوس من أهل الثقة عند أصحاب المعاجم] .

الحافظُ النّاسَ في قَحُوطَ إذا لم يُرسِلوا تحت عائذٍ رُبَعا

لم يذكر قحوطَ .

* * *

(٣٢)

مادة لبّ ألبوب .

قرأ طالب الجملة الآتية : « الصُّلاّم = الذي في داخل نواة النَّبِقة يؤكل وهو الأُلبوب » . فأراد أن يرى تفسير ألبوب ليتحقق عدم وجود فرق بين الصُّلاّم والأُلبوب ، فطلبها في اللسان فلم يجدها ـ وكانت الجملة المقروءة التي وردت فيها ألبوب لابن منظور نقلاً عن الأزهري .

* * *

(٣٣)

مادّة ص ل م . على الهامش .

على هامش اللسان يقرأ الطالب تنبيهاً أو استدراكاً أو تصحيحاً لمصحّح اللسان ففي مادة صلم هذا التنبيه : « قوله فاعتبوا رواه الأزهري فأغضبوا فتكون الروايات ثلاثة » .

المصحح لا يجهل أحكام العدد ولكن هم الطابعون ـ ومثلها قوله : « مرّ بجَدْيٍ أسكّ أي مصطلِم الأذنين » (بكسر اللام) اصطلم فعل متعدٍ معناه قطع . فالصحيح مصطلَم (بفتح اللام) هذه أيضاً من الطابعين ـ والضرر واحد .

* * *

(٣٤)

مادّة ع ي د تعيّدَ

قال : « تعيّد العائن على ما يتعيّنُه = تشهّقَ عليه وتشدّد ليبالغ في إصابته بعينه » ـ وفي مادّة ش ه ق لا تجد تشهّق .

* * *

(٣٥)

مادّة ف ط ء . دَخَلَ

قال « فطأ البعيرَ حمل على ظهرِه حملا ثقيلاً حتى اطمأنّ ودخَلَ » .

وفي مادّة د خ ل لا يذكر دَخَلَ بمعنى يفسّر هذه الجملة . وأقرب ما جاء في الصفحات الثلاث التي ملأتها المادة قوله « الداخل في جوفه الهُزال » . ولكن قرب هذا المعنى مثل بُعده ـ قال دَخَلَ فالمقتضَى تفسير « دَخَلَ » لأن المعجم ليس للحزر والاستخراج .

و « القاموس » أيضاً لا يذكر دخل في بابها بمعنىً مفسّر للجملة أعلاه ولكنّه يفسّرها في باب فطأ حيث يقول « حتى اطمأنّ ودخل أي تطأطأ » .

* * *

(٣٦)

مادة ن ف ف ـ النفنف .

قال « ...... والنفنف أسناد الجبل الذي تعلوها منها وتهبط منها » . فمن يفهم هذا الكلام ؟ والمصحح والمُراجع ناما عنه ـ ولولا فضل الفيروزبادي لنقل مُعجَميّو التاسع عشر والعشرين كلام « اللسان » حرفاً بحرفٍ .

قال المجد : « أسناد الجبل التي تعلوه منها (أنت تعلو الجبلَ من تلك الأسناد) وتهبِطُ منها » .

* * *

(٣٧)

ومن المطبعيات قوله مُعْدودة (بضم الميم) في الآية الثامنة من سورة هود وهو يفسّر كلمة أمّة (بمعنى حِينٍ) « ولئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أُمّةٍ مَعْدودة » .

(٣٨)

مادة طرد

قال « يُقال طردتُه فذهب لا مضارع له من لفظه » . وكيف يكون هذا وهو يستهلّ التفسير بقوله طردَه يطردُه طرداً ؟ ولو انتبه المصحح على الهامش لكتب « هكذا في الأصل ولعله يقصد لا مطاوع له من لفظه » .

* * *

(٣٩)

مادة ل ع ن ـ اللَعين

قال « قال الجوهري واللعين شيءٌ يُنصب وسَطَ الزَّرع تُستَطرَد به الوحوش » . وفي باب طرد لا يذكر تُستَطرَد بمعنى تُذعَر وتُستَطرد به الوحوش = يُراد به طردُ الوحوش .

* * *

(٤٠)

مادة رَهَج ـ مرهج

قال « الرَّهْج والرَّهَج الغبار » ـ وأرهج الغبارَ أثاره [المجد يقول أرهج = أثار الغُبار ـ وإذا كان الرَّهج هو الغبار فلا حاجة إلى ذكر الغبار بعد أرهج] .

بعد تفسيره أعلاه أورد بيتاً من الشعر :

ففي كل دارٍ منك للقلب حسرةٌ ... يكون لها نوءٌ من العين مُرْهِجُ

وفسّر البيت [رغمَ أن تفسير البيت غير مطلوب منه] بالمعنى الذي تقدم فقال : « أراد شدّة وقع دموعها حتى كأنها تثير الغبار » ، وهو

لو صبر ووضع البيت بعد قوله ونوءٌ مرهج كثير المطر مقدّماً إياه شاهداً على نوء مرهج أي نوء كثير المطر لأصاب وما أدخل الغبار في شرحه للبيت لأن المعنى ظاهر : حسرة شديدة تسيل الدمع كما ينزل المطرَ النوءُ المرهج - والزمخشري أصاب لأنه ذكر البيتَ شاهداً على نوء مرهج .

* * *

(٤١)

مادّة ع و ز - أعوز

قال : أعوزني الشيءُ = أعجزني على شدّة الحاجة ؛ اشتدّ عليّ وعسر ؛ قلّ عندي مع حاجتي إليه .

وقال : أعوز الرجلُ = ساءت حالُه ؛ افتقر .

ثم قال : فهو معوِز (بكسر الراء) ومعوَز (بفتح الواو) والأخيرة على غير قياس . » اهـ .

ولكن لماذا على غير قياس ؟ معوِز (بكسر الواو) اسم فاعل من المعنى الثاني ، ومعوَز (بفتح الواو) اسم مفعــول من المعنى الأول . فكلتاهما على القياس .

* * *

(٤٢)

مادّة عَوِز - عُوْز

لا يذكر العُوْز - عُوْز جمع أعوز وعوزاء [مِنْ عَوِز الرجُلُ = افتقر : هذه يذكرها .] وعُوْز واردة في شعر عنترة [أو في الشعر المنسوب إلى عنترة] فحلّوا لنا عُوْزَ النساءِ وجبّبوا (مفردتين تحتيتين) عباديدَ منهــا مستقيمٌ وجامحُ

* * *

(٤٣)

مادّة رأى ـ رِئة .

قال : « الرِّئة موضع النَّفَس والرِّيح من الإنسان وغيره . »

لو ترك الريح لـكان الخطأ في عدم الإتمام فقط ـ ولكن صاحب البستان صحّح فحذف النفس واستبقى الريح .

* * *

(٤٤)

مادّة ج د ب الجَدْبُ .

قال : « الجَذْبُ مدُّك الشيءَ وعن المحكم (ابن سِيْدَه) الجذْبُ المدُّ ـ جذب الشيءَ يجذِبه جذباً مدَّهُ » .

لفعل مدّ معانٍ كثيرة فلا يصلح لتفسير جذب ـ فمدُّ الماتح (المستقي الواقف على رأس البئر) هو الجذب ـ مدَّ الماتحُ الحبلَ وبالحبل = شدَّه نحوه ليرفع الدَّلوَ . = جذب الحبلَ ـ ومنه « قائل كلمة الزّور (المائح) والذي يمدّ بحبلها (الماتح) في الإثم سواء » [تمثيل المائح والماتح في حديث عليّ لصاحب اللسان] .

في المعنى المتقدّم جذب ومدّ يتفقان ولكنهما لا يترادفان رغم قوله الجذب المدّ والمدّ الجذب فلا يصحّ تفسير الواحد بالآخر ، وفي الجمل التالية عبرة :

عن اللسان : شيء مديد ممدود ورجل مديد الجسم فهل نقول رجل مجذوب الجسم ؟

عن اللسان : وقوله تعالى ويَمُدُّهم في طُغيانهم يعمهون فهل نقول ويجذِبهم في طُغيانهم يعمهون ؟

عن اللسان : ومَدَّه في غَيِّه أي أمهله وطوّل له فهـــل نقول جذبَهُ في غيِّه ؟

عن اللسان : وفي التنزيل العزيز ونمدّ له من العذاب مدّاً فهل نقول : ونجذب له من العذاب جَذْباً ؟

عن اللسان : ومدّ الله في عُمُرِك - أو مــد يدك فهل نقول وجذب الله في عمرك ؟ أو أجذب يدك ؟

عن اللسان : قال ثعلب قال مطرّف وجدت الإنسان مُلقىً بين الله والشيطان فإن لم يجتذبْه اليه جذَبهُ الشيطان - فهل نقول إن لم يمدّه مده الشيطان ؟

ويقول نقلاً عن سيبويه « جذبه = حوّله عن موضعه » ، فإذا حوّلنا كرسياً عن موضعِهِ في الردهة أي نقلنا الكرسيّ من مكانِه إلى مكان آخر نكون قد جذبناه ! ثم يقول : « جاذبه مثل جذبه » وبعد قليل يقول جاذبته الشيء نازعتُه إياه - فالقول الثاني صحيح - فجاذب فيه معنى جذب مكرّراً أو مُشتركاً فيه - فالمشترك فيــه جاذبتُهُ الشيءَ ويتعدّى إلى مفعولين - وأمّا المكرّر فما قدم ابن منظور مثالَه :

ذكرتُ والأهواءُ تدعو للهوى والعِيس بالرّكب يجاذبنَ البُرى

و « معنى جذب مكرّراً = شدّ به نحوهُ فلم يُطِعْ فكرّر الشدّ » .

وبعد ما تقدّم يقول جذب فلانٌ حبلَ وصاله (وجذَمَهُ) إذا قطعه . وإذا خطب رجل امرأة فردته قِيل جذبته وجبذته - هذا صحيح والمعنى واضح : « قطعت حبل رجائه » فلا يحتاج إلى تطويل ولكن « اللسان » يعود إلى « التهذيب » فيجاريه : « وكأنّه من قولك جاذبتُه فجذَبْتُه أي غلَبتُهُ » ولكنْ هل كانا يتباريان في من هو أشدّ جذباً للآخر ؟ هي لم تحاول جذْبَه (أي سحبَه نحوها) وإنما رفضتْه .

* * *

(٤٥)

مادّة ف ح ل .

يروي: تأبّري يا خَيْرة الفسيل   تأبّري من حَنَذٍ فَشول ِ
إذ ضَنّ أهلُ النّخْل بالفحول ِ

يفهم القارىء من صورة فَشول أنها فَعول من فشل وهو شيء غير موجود . ولكن إذا سيّرَه الدرس إلى ح ن ذ وقف على الصحيح فيصير للكلام معنىً .

كتابة الكلمة أعلاه فشُولي : مركبة من الفاء وفعل أمر المخاطبَة من شال يشول أي رفع ذنبَه . فخيال الشاعر شبّه النخلة بالناقة (حَنَذ قرية بالقرب من المدينة فيها نخلٌ كثير) .

* * *

(٤٦)

مادّة ص ع د

من ارتجالهم المشوّش والمعسّر أنهم لا ينبذون بيتاً رُويَ لهم ولو كان محشوّاً خطأً ورأوا الخطأ . لا يُطلب منهم أن يعاقبوا أحداً على غلطه ولكن الواجب كان إهمال القول المغلوط فيه ـ أمّا هم فأدخلوا الخطأ في المعاجم وعلّلوا عنه فكأنهم يُغرون الآتين بعدهم بارتكاب مثله . وهذا ما حصل فعلا لأنه إذا نبّهنا أحد على خطأ هرعنا إلى المعاجم أو إلى كبار الشرّاح وعدنا هازّين أعلام المكابرة وقائلين : فلانٌ أثبتها وفلان جوّزها وأصررنا على مخالفة القواعد . وهذا هو التشويش كما إن الإكثار ممّا يجب استظهارُه من غير لزوم أو فائده هو التعسير .

مثاله - قال صاحب اللسان « واستعاره بعض الشعراء فقال :

[لو كان على الأقلّ يعرف من هو الشاعر الذي استعارَه . . .]

فأصبحْنَ لا يسألنَه عن بما به   أصَعَّد في علو الهوى أم تصوّبا

وعلّق على البيت بقوله « أراد عمّا به » فزاد الباء وفصل بها بين عن وما جرّته ، وهذا من غريب مواضعها » - اعترف بأن هذا من مواضع الباء وإن كان غريباً ، واحتفظ بالبيت - وخطّأ الشاعر في أمر آخر فقال : « وأراد أصعّدَ أم صوّبَ فلمّا لم يمكنه ذلك (للوزن) وضع تصوّب موضع صوّبَ » - ففي نظر المصنّف هذه غلطة ثانية ولكنه حافظ على البيت - على أنّ تعليقه الثاني غير صحيح بل هو حجز لحرّية الشاعر في انتقائه ما يريد من الصحيح - تصوّب معناه انحدر وإذا راجعنا اللسان في مادّة ص و ب قرأنا قوله « والتصوّب الانحدار » .

* * *

(٤٧)

مادّة أ ي ي

قال : « أيّ حرف استفهام عمّا يعقل وما لا يعقل » .

لا شكّ في أن « حرف » استعملها القدماء بمعنى كلمة أو لفظة - ولكن مباحث الصرف والنحو لها اصطلاحات محدّدة - فالكلام اسمٌ أو فعل أو حرف - لذلك وجب القول إن أيّ اسم استفهام لا حرف استفهام - وعمّا يعقل فيها نظر لأن « ما » اسم موصول لغير العاقل فلا تكون جملة يعقل صلة لغير عاقل . هذا إذا صرفنا النظر عن مواضع بُودِلَ فيها بين ما و من بدوافع فنّيّة غايتها حسن الوقع والأناقة في الذّوق ، فهذه الروائع الفنية لا تغيّر قواعد النحو التي يُبنى عليها الكلام المعتاد - وبعد أربع صفحات من البحث في « أيّ » يعيد الكرّة فيقول نقلاً عن الجوهري غير

منتبه إلى الاختلاف بين قوله وقول الجوهري : « أيّ اسم مُعرب يستفهم بها ويجازى بها [اسم استفهام واسم شرط] في مَنْ يعقل وما لا يعقل » . كلام الجوهري هو الصحيح .

* * *

(٤٨)

ورد لحسان (في العمدة) : « متاريك أذناب الأمور إذا اعترت » . في مادة ت ر ك لايذكر متاريك لا بصورة الجمع ولابصورة المفرد متراك .

* * *

(٤٩)

مادّة ر ي ش — الرائش .

هذا تنبيه إلى ما كتبه المصحّح وإلى ما فعله الطابع أو الناشر المُراجِع .

اسم الفاعل من راش رائش . واللسان أورد اسم الفاعل ثلاث مرّات متتابعة فمرة قال والرائش الذي يُسدي بين الراشي والمرتشي — وقال الرائش الذي يسعى بين الراشي والمرتشي ليقضي أمرهما وقال الراشي الذي يتردّد بينهما (الراشي والمرتشي) في المصانعة فيريش المرتشي من مال الراشي » .

زلّت يد ابن منظور فكتب الراشي (اللفظة المعلّمة) بدل الرائش كما تزلق يد كلّ كاتب — هي غلطة ولكن لا فظاعة عقلية فيها إنما الفظاعة على الهامش حيث نقرأ « قوله الراشي الذي يتردّد بينهما هكذا في الأصل وحرّر اهـ مصححة » — فأين التصحيح يا مصحّح ؟ أظهر المصحّح شكّه ولكنه لم يشأ حمل مسؤولية الإشارة بالتصحيح فقال « هكذا في الأصل » .

* * *

(٥٠)

مادّة ر ي ش ـ استراش

استراش = طلب حسن الحال ؛ طلب العطاء الوافر من « كبير » ،
وردت في العمدة لابن رشيق :

أي مزارٍ ومُنـاخٍ وَمحلْ لخائفٍ ومستريشٍ ذي أَمَل

لم يذكرها اللسان .

* * *

(٥١)

مادّة ر د ف

كل فعل من باب عليم (بكسر اللام أي عين الفعل) مضارعُه مفتوح العين . فإذا أهمِل مضارع هذا الباب في المعجم لم يحصل ضرر ـ ولكنّ مصدر هذا الباب يأتي على صور متنوعة فذكره واجب .

في مادّة ردِف يثبت اللسان بتكريره ذكر الفعل أكثر من عشر مرّات أنه مكسور العين ـ ولكنه لا يذكر مصدرَه : رِدْف مثـل عِلْم ، أو رَدْفٌ مثل سَمْع ، أو رَدَفٌ ورِدافٌ ورَدافة مثـل تَبَع وتِباع وتَباعة .

* * *

يتبع : (سنپولو) توفيق داود قربان

الفصائل اللغوية [1]

ثانياً ـ اللغة المصرية Egyptien ; Egyptian ; Ägyptisch

منطقة انتشارها مصر ، وتعرف تاريخياً منذ حوالى ٣ آلاف سنة قبل الميلاد . ومراحل تطورها كما يأتي :

١ ـ المصرية القديمة : 1 — Ancien Egyptien ; Ancient Egyptian ; Altägyptisch

لغة المصريين في الدولتين القديمة (٣٢٠٠ ـ ٢٢٤٠ ق ٠ م والوسطى (٢٢٤٠ ـ ١٧٤٠ ق ٠ م) ، ويرجع أقدم نصوصها التي وصلت الى حوالى ٣ آلاف سنة قبل الميلاد . وكتبت بالخط الهيروغليفي . وظلت لغة كتابة وكلام الى الدولة الحديثة (أي حوالى ألفين قبل الميلاد) ، فاقتصر استعمال لغة الكتابة على الكهنة حتى عهد الرومان .

٢ ـ المصرية الحديثة 2 — Néo - Fgytien ; New Egyptian ; Neu - ägyptisch

تبدأ من الأسرة الثامنة عشرة ، وظلت سائدة حتى عهد البطالمة ، ولها خصائص ميزتها عن المصرية القديمة . وكانت تكتب أحياناً بالكتابة الهيروغليفية وأحياناً بالخط الهيراطيقي .

---

(١) أقر مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الدورة الثلاثين (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) القسم « أولاً » من فصيلة اللغات السامية ـ الحامية ، وهو اللغات السامية . وقد نشرناه في الجزء الثالث من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة . وفي الدورة الحادية والثلاثين للمؤتمر (١٩٦٤ ـ ١٩٦٥) عُرضت عليه الأقسام التالية فأقرت بعد تعديلات قليلة في التعريفات من حيث البيان اللغوي .

٣ ـ الديموطيقية 3 — Dêmotique ; Demotic ; Demotisch .

في أواخر القرن السادس قبل الميلاد تطورت المصرية الحديثة وأخذ الخط الهيروغليفي صورة مختصرة غير الهيراطيقية وهي ما أطلق عليها الديموطيقية ، واستمرت كتابة المصرية القديمة بالخط الديموطيقي في كل من العصور : الصاوي واليوناني والروماني . وظل يكتب بها حتى انتشار المسيحية .

٤ ـ القبطية 4 — Copte ; Coptic ; Koptisch .

لغة المصريين منذ استقرار المسيحية في مصر . وقد كتبت بأبجدية أخذت أربعة وعشرين حرفاً من الأبجدية اليونانية وسبعة أحرف من الخط الديموطيقي .

ثالثاً ـ اللغات الحامية Langues Hamitiques;Hamitic Languages; Hamitisch Sprachen.

مجموعة من اللغات عُرفت بين الدارسين اصطلاحاً بالحامية نسبة الى حام بن نوح ، ومنطقة انتشارها قديماً وحديثاً في الشمال الشرقي من افريقية وتشتمل على :

١ ـ الليبية(اللوبية)ـالبربرية 1 — Libyco - Berbère ; Libyan - Berber ; Libysch - Berberisch .

اللغات التي تشمل شمال افريقية (من سيوه الى المحيط الأطلسي) وتشمل :

أ ـ الليبية (اللوبية) القديمة a — Libyque ;Libyan ; Libysch .

وهي لغة نقوش (حوالى ألف نقش) عُثر عليها في منطقة تمتد من شبه جزيرة سيناء الى جزر كناريا (الخالدات) وكتبت بأبجدية عدد حروفها ٢٥ . وهذه النقوش ليست أقدم من القرن الثاني قبل الميلاد .

ب ـ البربرية b — Berbère ; Berber ; Berberisch .

لغة في شمال افريقية ـ عدا وادي النيل ـ ، لها عدة لهجات وصل الينا منها نقوش بالخط العربي منذ القرن الثاني عشر الميلادي . ولا تزال تُتكلم حتى الآن في بعض تلك المناطق .

٢ ـ الكوشية 2 — Couchite ; Cushitic ; Kuschitisch .

تشمل الركن الشرقي لافريقية فيما عدا المناطق المنتشرة فيها اللغات الحبشية السامية . وتمتد شمالاً في الأراضي المصرية بين النيل والبحر الأحمر وجنوباً الى كينيا . أما في الغرب فتحدها المنطقة الجبلية في أثيوبيا . وقد بدأت دراستها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وليس لها أدب مدون سوى بعض أسفار من الكتاب المقدس نشرتها الإرساليات الدينية في بعض اللغات الكوشية ، ومنها :

أ ـ البجة a — Bedja ; Beja ; Bedga (To - Bedawiya) .

تنتشر في شمال أرتريا ، وهي لهجات متعددة أشهرها لهجة البشارية ، ولهجة الهدندوة ، ولهجة الحلنجا ، ولهجة بني عامر .

ب ـ العفر b — Afar ; Afar ; Afar Sprache .

وهي منتشرة في جنوب أرتريا .

جـ ـ الجالا (الگالا) 2 — Galla ; Galla ; Galla .

لغة قبائل تعيش غربي هضبة أثيوبيا وتنقسم الى لهجات مختلفة ، ولها أدب شعبي مدون بالحروف اللاتينية ، وتُرجم اليها الكتاب المقدس ، ونشر بالحروف الحبشية .

د ـ الصومالية d — Somali ; Somali ; Somalisch .

لغة منتشرة في بلاد الصومال وفي مقاطعتي هرر والاوجادين في أثيوبيا ، وفي جزء من شمال كينيا .

اللغات الهندية الأوربية

فصيلة لغوية كبيرة يدخل تحتها : Langues Indo - Européennes ,
Indo - European Languages , Indo - Europäische Sprachen

أولاً ـ الهندية الإيرانية : 1 — Langues Indo - Iraniennes ,
Indo - Iranian , Indo - Iranisch Sprachen

تمثل الفصيلة الهندية الأوربية في آسيا مجموعتين من اللغات : الأولى الهندية ، والثانية الإيرانية ، وهما وثيقتا الصلة إحداهما بالأخرى ، مما جعل اللغويين المحدثين يطلقون عليها اسماً واحداً هو الهندية الإيرانية .

أ ـ الهندية a — Langues Indiennes , Indian Languages ,
Indische Sprachen .

إحدى المجموعتين المشار إليها آنفاً . وتشمل لغات رئيسية هي :

١ ـ السنسكريتية : 1 — Sanskrit , Sanskrit , Sanskrit

لغة دينية أدبية قديمة دُون بها منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، وكتب بها الكتاب المقدس المسمى فيدا ، كما كتبت بها ملحمتان وبعض مؤلفات لغوية وأدبية ، ونثرية وشعرية .

٢ ـ البالية : 2 — Pali , Pali , Pali

اللغة المقدسة عند البوذيين في سيلان والهند الصينية . وقد دُون بها منذ القرن الأول قبل الميلاد .

٣ ـ الهندستانيــة : 3 — Hindoustani , Hindustani ,
Hindustanisch

هي اللغة الأساسية في غربي الهند ، وأطلق هذا اللفظ اصطلاحاً على أكثر اللغات انتشاراً في الهند وقد ظهرت الهندستانية في ضواحي ميراط وفي شمالها . وصارت لغة خطاب بأسواق دلهي . ومن دلهي انتشرت في شمالي الهند . ولهذه اللغة صورتان أدبيتان هما :

أ ـ الأوردية (أوردو) a — Ourdou , Ordo , Urdu

وهي في الأصل لغة الجيش ، وتكتب بالأبجدية العربية . وتشمل ألفاظاً عربية وفارسية كثيرة .

ب ـ الهندي b — Hindi , Hindi , Hindi

وتكتب بالخط الهندي . وفيها ألفاظ سنسكريتية كثيرة .

٤ ـ السنجالية (السنگالية) ـ السنهالية 4 — Singhalais , Singhalese , Singhales - Sprache .

وهي لغة منتشرة في القسم الجنوبي من جزيرة سيلان ، وقد أصبحت اللغة الرسمية لها بدلاً من الانجليزية منذ أول عام ١٩٦٤ .

٥ ـ البنغالية : 5 — Bengali , Bengali , Bengalisch .

أوسع لغات شرق الهند انتشاراً ولا سيما في دلتا نهر الجنج (الگنگ) ولها أدب قديم . وكتب بها طاغور .

٦ ـ المهراتية : 6 — Marathe , Marathi , Marathi - Sprache

تنتشر في منطقة بومباي . ولها أداب شعرية . وهي قديمة ترجع كتابات منها الى القرن الثاني عشر الميلادي .

٧ ـ البنجابية : 7 — Pendjabi , Punjabi , Penjab - Sprache

وهي أهم لغات شمال الهند الغربي ويتكلم بها سكان لاهور والطائفة المعروفة بالسيخ وانتشرت في مناطق أخرى من الهند حتى وصلت الصين .

٨ ـ السيجانيـــة : 8 — Tsigane , Gepsies Language , Zigeuner - Sprache

في خارج الهند فرع من اللغات الهندية الأوربية ينسب لغة الى قوم يسمون بالسيجان وهم في الأصل من الشمال الغربي للهند ، هاجروا منه حوالى القرن الخامس الميلادي وانقسموا الى فرعين : فرع أسيوي ، وفرع أوربي هاجر مخترقاً بلاد فارس وأرمينيا الى أوربا في القرن الثاني عشر .

وقد تشكلوا بحسب البلاد التي هاجروا اليها . وتعتبر لغتهم أحياناً لغة
مرية بمفردات سيجان مع قواعد لغات البلاد التي هاجروا اليها مثل غجرأرمينيا .

ب ـ الإيرانية : b — Langues Iraniennes , Iranian Languages , Iranische Sprachen

إحدى مجموعتي اللغات الهندية والإيرانية وتشمل :

١ ـ الفارسية القديمة : 1 — Vieux perse , anciant persian , Altperisch

لغة الفرس في الجنوب الغربي من إيران . وصلت الينا عن طريق النقوش التي دونها ملوك الدولة الكيانية . وهذه النقوش مكتوبة بالخط المسماري . وكانت هذه اللغة مستعملة فيما بين القرنين السابع والرابع قبل الميلاد .

٢ ـ الأفستية : 2 — Avestique , avestan , Awestisch

لغة نصوص دينية قديمة ، كتب بها الكتاب الديني المعروف بالأفستا (الأبستاق) وترجع الى القرن الثامن قبل الميلاد . وكانت سائدة في الشرق من ايران .

٣ ـ البهلوية : 3 — Pehlevi (Pahlavi) , Pehlevi (Pahlavi) ; Pehlewi Sprache (Pahlawi - Sprache)

اللغة الإيرانية المتوسطة ، وكانت سائدة في الغرب ، وكانت اللغة الرسمية في العصر الساساني من القرن الثالث الميلادي الى منتصف القرن السابع . وكتبت بالخط الأرامي .

٤ ـ الفارسية : 4 — Persen , Persian , Persisch

إحدى اللغات الإيرانية التي لا تزال حية الى اليوم ، وهي اللغة الرسمية لدولة ايران في الوقت الحالي وتكتب بالخط العربي ـ وأول نصوص وصلت الينا منها ترجع الى القرن الثامن الميلادي . وهي ذات آداب غزيرة . وبلغت أوج ازدهارها على يدي الفردوسي في القرن العاشر الميلادي ثم دخلتها بعد ذلك ألفاظ عربية كثيرة ، ولها عدة لهجات .

٥ ـ الكردية : 5 — Kurde , Kurdish, Kurdisch

لغة الأكراد في شمالي غربي ايران ، وعدد المتكلمين بها نحو خمسة ملايين ، ولا يزال كثير من آدابها غير مدون .

٦ ـ القزوينية : 6 — Dialectes caspiens , Caspian Dialects , Kaspische Dialekte .

مجموعة لهجات متجانسة في منطقة قزوين وما حولها . عرفت آدابها منذ العصور الوسطى .

٧ ـ البلوخية (البلوتشية) : 7 — Balotchi , Balouchi , Belutschi .

لغة يتحدث بها في جنوب شرقي إيران ، أتت من الشمال الغربي في القرن العاشر الميلادي . وقد ورد اسم هذه اللغة لأول مرة عند الفردوسي .

٨ ـ الأفغانية (الباشتو) : 8 — Afghan (Paštu) , Pushtu , Afghanisch .

وهي في المنطقة الشرقية من منطقة مجموعة اللغات الايرانية . وقد عرفت منذ القرن السادس عشر الميلادي ، واتخذت لغة رسمية لأفغانستان منذ سنة ١٩٣٦ وتكتب بالحروف العربية وهي متأثرة بالفارسية وكثير من آدابها لم يدون بعد .

ثانياً ـ الحيثية : — Hittite . Hittite , Hethitisch .

لغة شعب قديم كانت له دولة في وسط آسيا الصغرى . وعرفت هذه اللغة عن طريق نقوش ترجع الى ما بين القرنين التاسع عشر والرابع عشر قبل الميلاد ، وتتضمن هذه النقوش نصوصاً سياسية ودينية وقانونية .

ثالثاً ـ الارمينية : — Arménien , Armenian , Armenisch .

لغة سادت في البلاد الجبلية الممتدة فيما بين العراق والأودية الجنوبية للقوقاز وعلى الشاطيء الجنوبي للبحر الأسود . ولها أبجدية خاصة تتكون

من ٣٦ رمزاً ، وتعد مثلاً دقيقاً للأبجدية الصوتية . وأول المخطوطات التي عُثر عليها من هذه اللغة ترجع الى القرن التاسع الميلادي ، ولا تزال يتكلم بها في جمهورية أرمينيا من الاتحاد السوفيتي وفي مناطق أخرى مثل جورجيا وأذربيجان .

رابعاً ـ اليونانية : d — Grec , Greek, Griechisch

لغة عدة قبائل وفدت من الشمال واحتلت شبه جزيرة البلقان ، وجزر بحر ايجة والشاطىء الغربي لآسيا الصغرى . وتسمى هذه القبائل بالقبائل الاغريقية وفي لغتهم بالهلينية وسماها العرب اليونانية . وقد اشتقت أبجديتهم من الأبجدية الفينيقية وكتبوا بها لغتهم ، وكانت تكتب أولاً في شكل خطوط الحراث ، أي من اليمين الى الشمال ثم من الشمال الى اليمين ثم من اليمين إلى الشمال وهكذا . ثم كتبت في عصر مبكر في اتجاه واحد وهو من الشمال إلى اليمين . وأقدم النقوش اليونانية المؤرخة التي وصلت إلينا النقش الذي وجد في « أبو سنبل » عن حملة ابسماتيك الثاني على أثيوبيا من سنة ٥٩١ ق . م . وهناك نقوش أخرى يظن أنها ترجع الى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد عثر عليها في تيره . وابتداءً من القرن السادس قبل الميلاد وصل الينا كثير من النقوش يبين مدى انتشار هذه اللغة في العالم الهليني . أما النصوص الأدبيه فأقدم ما وصل إلينا من مخطوطاتها يرجع إلى القرن الثالث الميلادي . وتتمثل هذه النصوص في نسخة الألياذة المحفوظة في الأمبرزيانة في ميلانو ، وكذلك ثلاث مخطوطات من الكتاب المقدس ترجع إلى القرن الرابع محفوظة بالفاتيكان . ونسخة الكتاب المقدس التي عُثر عليها في دير سانت كاترين بطور سينا ترجع إلى أواخر القرن الرابع الميلادي . وقد احتفظت أرض مصر بنصوص أدبية لهذه اللغة كتبت على ورق البردي منها ما يرجع الى القرن الرابع قبل الميلاد . وكل هذه النصوص

الأدبية السابقة مدونة بالحرف الكبير Capital Letter الذي يعد بمثابة الخط الثلث في العربية .

ومنذ أن عُرفت هذه اللغة كانت متشعبة الى لهجات مختلفة أشهرها :

١ ــ الدورية : 1 — Dorien , Doric , Dorisch

لهجات مختلفة انتشرت في كورنث ومسينا وصقلية ، وفي جزر كريت ، ورودس ، وقوس ، وغيره .

٢ ــ الأيونية : 2 — Ionien , Ionian , Ionisch

أهم هذه اللغات وهي لغة منطقة أيونيا الواقعة في شرق اليونان التي ازدهرت فيها الحضارة أولاً منذ القرن السابع قبل الميلاد .

٣ ــ الأتيكية : 3 — Attique Attic , Attisch

اللغة القديمة لأثينا والتي أنتجت في القرن الخامس والرابع قبل الميلاد أدبا لا يزال يشع على العالم المتحضر .

٤ ــ الكوينية : 4 — Köine , Koine , Koiné

اللغة التي توحدت فيها اللهجات اليونانية القديمة وخاصة اللهجة الأتيكية ابتداءً من القرن الرابع قبل الميلاد ، وأصبحت اللغة المشتركة (أي كونيئية) لليونانيين ، وسادت في العهدين الهيلينستي والروماني في شرق البحر المتوسط ، وبها كتب العهد الجديد وهو يعد أقدم وثيقة كتبت بهذه اللغة ، وهي اللغة التي سماها العرب بالرومية .

٥ ــ اليونانية الحديثة : d — Grec moderne , mondern greek , Neu - Griechis

صورة منبثقة عن اللغة الكوينية واستعملت في أوائل عهد المسيح كلغة دارجة ثم تطورت وأصبحت اللغة الرسمية للامبراطورية الرومانية الشرقية من سنة ٣٩٥ م الى سنة ١٤٥٣ م (سقوط القسطنطينية) . ولا تكاد تختلف اللغة اليونانية الحديثة عن اللغة الكوينية في الناحية الصوتية ، وانما

الاختلاف في النواحي الصرفية والنحوية والمفردات . وتحاول دولة اليونان في الوقت الحاضر ، وتؤيدها الكنيسة ، أن تقترب ما أمكن من اللغةالكوينية .

أما اللغة اليونانية التي تستعمل لغة للحديث (الشعبية) فتتمثل فيها لهجات كثيرة لم تدرس دراسة كافية . وقد بدأت في الظهور منذ القرن السادس الميلادي ، ثم أخذت صورة اللغة المشتركة منذ القرن الثامن عشر على حين بدأت هذه اللهجات المختلفة في الاضمحلال ، وانتشرت في اليونان وفي جزر بحر ايجة وأيونيا .

خامساً ـ الألبانية e – Albanais , Albanian , Albanische

وتسمى عند أهلها بالاشكيب (Škip) وهي من اللغات الهندية الأوربية الحديثة . وقد اقترضت كثيراً من مفرداتها من اللغات الكبرى المجاورة لها مثل اللاتينية واليونانية والايطالية والصربية . وأقدم ما وصل الينا من نصوصها المخطوطة يرجع الى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي ، وأول نصوص مطبوعة ترجع إلى منتصف القرن السادس عشر . وفي القرن التاسع عشر جمعت بهذه اللغة أغان كثيرة وقصص شعبية . ومعظم المتكلمين بهذه اللغة يعتنقون الدين الإسلامي ويعيش نحو نصفهم خارج ألبانيا .

سادساً ـ البلطية (البلطيقية) ـ السلافية f — Langues Balto - Slaves , Balto - Slavic Languages , Balto - Slawische Sprachen

مجموعة من اللغات تشترك في كثير من الخصائص اللغوية التي تميزها عن المجموعات اللغوية المجاورة لها وهي تنقسم إلى شعبتين :

الأولى ـ البلطية (البلطيقية) 1 – Langues Baltes , Baltic Languages , Baltische Sprachen

مجموعة من اللغات منطقتها الجهات الشرقية لبحر البلطيق ولها فروع أهمها :

(١) اللتفية (1) Lette , Lettish , Lettisch .

لغة لتفيا على بحر البلطيق ، وطبعت منها نصوص في منتصف القرن

السادس عشر الميلادي ، وقد تطورت وأصبحت لغة قومية ذات أدب منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي .

(٢) اللتوانية (2) Litvanien, Lithuanian, Litauisch.

لغة لتوانيا على بحر البلطيق . وتحتفظ بخصائص قديمة للفصيلة الهندية الأوربية أكثر من أي لغة أوربية أخرى ، ونشر بها بعض كتب دينية منذ منتصف القرن السادس عشر الميلادي وأصبحت لغة قومية لها آداب منذ القرن التاسع عشر الميلادي .

الثانية ـ السلافية b — Langues slaves; Slavic languages; Slawische sprachen

تكون السلافية أهم مجموعة لغوية في أوربا من حيث العدد وتنقسم إلى ثلاثة فروع : الجنوبي والغربي والشرقي .

أ ـ الفرع الجنوبي :

منطقته تمتد من البحر الأدرياتي إلى البحر الأسود وفيها لغات أهمها :

١ ـ السلوفينية : (1) Slovène; Slovenian; Slowenisch

يتكلم بها في المنطقة الجنوبية للنمسا على ساحل الادرياتيك . وأقدم ما وصل إلينا من نصوصها يرجع إلى القرن العاشر الميلادي ، ولها أدب مكتوب منذ القرن الثامن عشر الميلادي .

٢ ـ الصربية ـ الكرواتية : 2 — Serbe - Croate, Serbo — croatian; Serbisch - kroatisch

لغة منطقتها جمهورية يوغوسلافيا وهي اللغة الرسمية لها في الوقت الحاضر ، وأهم أقاليمها الصرب ، وكرواتيا ، والبوسنة ، والهرسك ، والجبل الأسود ، ولها ثلاث لهجات محلية متميزة ، ويكتبها المسيحيون الأرثوذكس بالأبجدية الكريلية والكاثوليك بالأبجدية اللاتينية وقد وصل إلينا بعض آثارها الأدبية

من القرن الخامس عشر الميلادي ، إلا أنها لم تصبح لغة حضارة إلا في القرن التاسع عشر .

٣ ـ البلغارية : 3 — Bulgare ; Bulgarian ; Bulgarisch

لغة جمهورية بلغاريا ، وتتكلم أيضاً في بعض المناطق المحيطة بها ، وعلى الأخص في جهة الشرق مثل أكرانيا . وقد أصبحت لغة قومية حضارية منذ القرن الثامن عشر . وتكتب بالأبجدية الكريلمنية .

ب ـ الفرع الغربي :

ويشمل مجموعتين : التشيكوسلوفاكية ، والبولونية .

الأولى : المجموعة التشيكوسلوفاكية (1) Tchèque ; Czech ; Tschechisch

(١) التشيكوسلوفاكية (التشيكية)

اللغة الرسمية لجمهورية تشيكوسلوفاكيا . وتكتب بالأبجدية اللاتينية منذ القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد أصبحت لغة أدبية منذ النهضة القومية في القرن التاسع عشر .

(٢) السلوفاكية (2) Slovaque ; Slovak ; Slowakisch

لغة منطقة سلوفاكيا التي تقع جنوب جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، ولها صلة وثيقة باللغة التشيكية .

الثانية : البولونية ـ البولندية 1 — Polonais ; Polish ; Polnisch

اللغة الرسمية لجمهورية بولندا ، وتتكلمها كذلك الجاليات البولندية المقيمة في الأمريكتين . عرفت هذه اللغة منذ القرن الرابع عشر الميلادي . وقد تطور أدبها في القرون الأخيرة وأضحى من الآداب الأصيلة الغزيرة . وهي تكتب بالحروف اللاتينية . ولها لهجات أربع متميزة .

جـ ـ الفرع الشرقي

يشمل ثلاث لغات أساسية هي :

١ ـ الروسية (الكبرى) 1 — Russe ; Russian ; Russisch

اللغة الرسمية للاتحاد السوفيتي ، وقد أصبحت لغة مشتركة لجمهوريات الاتحاد السوفيتي منذ سنة ١٩٤٥ . وأساس هذه اللغة لهجة موسكو ، وقد أخذت شكلها الحالي منذ القرن التاسع عشر ، فقد فرضت بحكم الفتح على شعوب ليست روسية الجنس ، وكان يتكلمها في العهد الرومي القيصري ما لا يزيد على نصف عدد السكان ، وهي تكتب بالأبجدية الكريلنية .

٢ ـ الروسية البيضاء 2 — Blanc russe : White russian weissrussisch

اللغة الرسمية لجمهورية روسيا البيضاء ، احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي المتاخمة لبولونيا ، ولتوانيا . وهذه اللغة كانت في الأصل عدة لهجات محلية منتشرة في المنطقة التي عرفت منذ القرن الحادي عشر الميلادي بروسيا البيضاء .

٣ ـ الأكرانية (الروسية الصغرى) 3 — Ukrainien (Petit Russe), Ukrainian (Little Russian) ; Ukrainisch

لغة جمهورية أكرانيا من الاتحاد السوفيتي ، جنوب جمهورية روسيا البيضاء . ولها عدة لهجات ويتكلمها نحو من ٣٠ مليوناً ، ما عدا من يتكلمونها خارج أكرانيا .

سابعاً ـ اللغات الجرمانية g — Langues germaniques ; Germanic languages , Germanisch sprachen

مجموعة من اللغات في وسط أوربا وشمالها الغربي وغربها ، وهي لغات ذات صلة وثيقة بعضها ببعض ، وتشترك في خصائص لغوية كثيرة ، ولا سيا في تطور الأصوات أو التبادل الصوتي بين هذه اللغات وهو ما يسمى بقانون جرم (Loi de grimm) .

والجرمان اسم قبائل انتشرت في هذه البقاع . وتنقسم هذه المجموعة الى الفروع الآتية :

أ ـ الجرمانية الشرقية (الغوطية) 1 — Gothique ; Gothic ; Gotisch .

لغة كانت منتشرة في شرق المنطقة الجرمانية واندثرت . وقد عرفت عن طريق ترجمة الأسقف (ولفيلا) للعهد الجديد من اللغة اليونانية الى اللغة الغوطية في القرن الرابع الميلادي ، وقد استعمل في الترجمة الحروف اليونانية وزاد عليها بعض رموز لأصوات غوطية لم تكن موجودة باليونانية .

ب ـ الجرمانية الشمالية b — Langues nordiqus ; north germanic ; Nordgermanisch

وتنتشر في شمال غرب أوربا ، وتشترك في خصائص كثيرة تجعل لها كياناً متميزاً ، ولا سيا من حيث الأصوات والضمائر وكثير من المفردات . وأقدم نصوصها تلك النقوش التي تسمى بالرونية (Runer , Runes , Runen) والتي دونت في القرون الأولى للمسيحية . وهي تكتب بحروف لاتينية ، وأهم لغاتها :

١ ــ الدنمركية 1 — Danois ; Danish ; Dänisch

لغة منتشرة في شبه جزيرة الدنمرك في بحر البلطيق وما حولها من جزر ، وصارت لغة كتابة وأدب منذ القرن الثالث عشر الميلادي .

٢ ــ السويدية 2 — Suédois ; Swedish ; Schwedisch

لغة منتشرة في النصف الشرقي من شبه جزيرة أسكانديناڤيا ، وصارت لغة كتابة وآداب منذ القرن الثالث عشر الميلادي .

٣ ــ النروجية 3 — Norvégien ; Norwegian ; Norwegisch

لغة النصف الغربي لشبه جزيرة اسكانديناڤيا . وقد أصبحت لغة كتابة وأدب في القرن الثامن عشر الميلادي بعد أن استقلت عن النفوذ الدنمركي .

٤ ــ الايسلندية 4 — Islandais ; Icelandic ; Isländisch

اللغة التي تتكلم في جزيرة ايسلندا ، وتكتب منذ القرن العاشر الميلادي ،

وقد احتفظت لانعزالها بظواهر لغوية قديمة . وهي مشهورة بأدب الملاحم (إدّا) التي تقارَن عادة بملاحم هوميروس وملاحم اللغة السنسكريتية .

جـ ــ الجرمانية الغربية c — Langues germaniques occidentales
Western germanic ; Westgermanisch

مجموعة من اللغات تنتشر في المنطقة الغربية من أوربا وتشترك في خصائص تجعل لها كياناً متميزاً . وهي تكتب بحروف لاتينية ، وأهم لغاتها :

١ ــ الألمانية 1 — Allemand ; German ; Deutsch

وهي لهجتان متميزتان شمالية وجنوبية . والجنوبية هي أصل اللغة الألمانية الرسمية الحديثة التي بدأ التدوين بها أيام مارتن لوثر الذي ترجم اليها الكتاب المقدس في القرن السادس عشر الميلادي . وللهجة الجنوبية فروع عديدة ، بعضها مستعمل الآن كلهجة محلية للأدب ، مثل : الألزاسية ، واللهجة السويسرية .

ومن اللهجات الألمانية مايسمى بال ييدش . Yiddish . Tudish - deutsch وهي لغة الجاليات اليهودية في ألمانيا ، وتتميز بكلمات مستمدة من اللغة العبرية وبعض التغيير في بعض أصوات اللغة الألمانيـة ، وهي تكتب أحياناً بالأبجدية العبرية .

٢ ــ الهولندية 2 — Hollandais ; Duch ; Holländisch

اللغة الرسمية في مملكة هولندا ، وهذه اللغة انحدرت من لهجات ألمانية الشمالية . وتتصل بها اتصالاً وثيقاً اللغة الفلاميـة « الفلمنكية » (Flamand ; Flemish ; Flamisch) التي يتكلم بها في شمال بلجيكا ، وهي لغة رسمية بها وانتقلت الهولندية الى جنوب افريقية من المهاجرين حيث شاع استعمالها وأطلق عليها الافريكانية ; Afrikaans .

٣ ــ الفريزية 3 — Frison ; Frisian ; Frisich

فرع من الألمانية الشمالية وهي قريبة من الانجليزية القديمة ، وتمثلها الآن

لهجات ثلاث : الغربية في شمال هولندا ، والشرقية في بعض جهات الدنبرج ، وشمالية في جزيرة هلجولند (هلكولند) .

٤ ــ الانجليزية 4 — Anglais ; English ; Englisch

جاءت اللغة الانجليزية الى الجزر البريطانية مع الهجرة الأنجلوسكسونية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين ثم تأثرت في البيئة الجديدة باللغة الكلتية التي كانت سائدة في هذه الجزر قبل الهجرة ، كما تأثرت بعد ذلك باللغة الفرنسية بعد الغزو النورماندي . وقد أصبحت اللغة الانجليزية أكثر اللغات انتشاراً نتيجة للنشاط السياسي والاقتصادي لانجلترا .

وللغة الانجليزية في أمريكا بعض الخصائص المميزة من الناحية الصوتية والتجديد في الألفاظ ودلالتها .

وبسبب انتشار الانجليزية في أمكنة متعددة وبعيدة ، أخذت صوراً مختلفة ، وسميت كل صورة باسم خاص في كل من هذه البقاع مثـــل (Pidgin Pigeon) وهو اسم اللغة الانجليزية في الشرق الأقصى .

ثامناً ــ مجموعة اللغات الطليانية — Langues italiques ; Italic languages ; Italische sprachen .

في حوالى القرن الخامس قبل الميلاد كانت تسود ايطاليا ثلاث لغات هي الأمبرية والأسكية واللاتينية ، وهي لغات ذات صلة وثيقة إحداها بالأخرى .

(١) الأمبرية (1) Ombrien : Umbrian ; Umbrisch

لغة كانت منتشرة انتشاراً واسعاً في شمال وغربي ايطاليا وتقلصت في عصور ما قبل الميلاد ثم انقرضت ، ولم يصلنا منها سوى سبعة نصوص منقوشة على سبع لوحات برنزية يرجح أنها كتبت حوالى القرن الأول قبل الميلاد . وعثر عليها في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي .

(٢) الأسكية (2) Osqu, Oscan ; Oskich .

لغة شعب من الشعوب الجبلية في شرق ايطاليا في عصور ما قبل الميلاد .

وكانت اللغة الرسمية لبومبي وغيرها في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وقد عثر على نصوص منها منقوشة بخطوط مختلفة ويرجح أنها ترجع الى القرنين الثالث قبل الميلاد والأول بعد الميلاد .

(٣) اللاتينية (3) Latin ; Latin ; Lateinisch .

اللغة اللاتينية سادت في أول أمرها في منطقة تعرف باللاتيوم في وسط إيطاليا وأساسها لغة روما عاصمة هذه المقاطعة . وانتشرت اللاتينية بالتدريج وازدهرت حتى قضت على جميع اللغات الطليانية ، ثم انتشرت في معظم غربي أوربا واستمرت زمناً طويلا لغة للعلم والكنيسة حتى بعد أن ضاعت من لغة الخطاب ، وقد ظهرت لغة أدبية في القرن الثالث قبل الميلاد ، وعاشت بعد ذلك لغة آداب راقية في العصر الروماني وفي العصور الوسطى وعاش معها جنباً الى جنب صورة عامية للغة اللاتينية ، وهي التي انحدر منها مجموعة اللغات الرومانية Langues romanes ; Romance languages ; Romanisch sprachen .

وتشمل لغات مختلفة منها :

(أ) الإيطالية (A) Italien , Italian ; Italienisch .

لغة منتشرة في إيطاليا ، وفي بعض مناطق من جنوب سويسرا . وأول ما وصل إلينا من نصوصها يرجع الى منتصف القرن العاشر الميلادي . أما اللغة الإيطالية المستعملة اليوم فهي لهجة مقاطعة تسكانيا التي كتب بها دانتي في أوائل القرن الرابع عشر .

(ب) البرڤنسالية . (b) Provençal ; Provencal ; Provenzalisch .

سادت هذه اللغة في النصف الجنوبي من فرنسا في العصور الوسطى . وقد عرفت آدابها منذ القرن العاشر الميلادي . وأقدم ما وصلنا من نصوصها يرجع إلى أوائل القرن الثاني عشر ولا تزال بقاياها في النصف الجنوبي من فرنسا . وهي لغة متميزة عن اللغة الفرنسية الرسمية في عدة خصائص .

(ج) الرومانشية (c) Romanche, Rumansh, Räto-Romanisch.

إحدى اللغات الرومانية، وهي منتشرة في بعض مناطق في سويسرا والنمسا وإيطاليا، وعدد المتكلمين بها الآن نحو نصف مليون نسمة وترجع أهمية هذه اللغة الى أنها إحدى اللغات الرومانية التي اعتمد عليها الدارسون في المقارنات اللغوية. وأقدم ما وصل منها يرجع الى القرن الثاني عشر الميلادي. وقد أصبحت منذ سنة ١٩٣٨ اللغة الرسمية الرابعة للاتحاد السويسري.

رابعاً ــ الفرنسية (d) Francais, French, Fränzosisch.

اللغة الفرنسية إحدى اللغات العالمية الحديثة. ومنطقة انتشارها فرنسا وبعض جهات بلجيكا وسويسرا وكندا ومناطق أخرى.

وهذه اللغة تعد تطوراً للغة اللاتينية التي وفدت مع الرومان. وأقدم ما وصلنا منها من نصوص يرجع إلى القرن التاسع الميلادي، وقد أخذت صورتها الحالية منذ مطلع القرن السابع عشر. ولهذه اللغة لهجتان إحداهما شمالية، والأخرى جنوبية. وقد اعتبرت اللغة الفرنسية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لغة عالمية. وكتبت بها المعاهدات والاتفاقات الدولية. وهذه اللغة الفرنسية الحديثة مؤسسة على لهجة أهالي باريس في معظم ظواهرها.

(هـ) القطالونية (e) Catalan, Catalian, Katalanisch.

لغة يتكلم بها في شرق اسبانيا (قطالونيا ــ ڤلانسيا ـ جزر البليار) وعدد المتكلمين بها نحو خمسة ملايين. وأقدم ما وصلنا منها يرجع إلى القرن الثاني عشر الميلادي.

(و) الاسبانية (f) Espagnol, Spanich, Spanisch.

احدى اللغات الرومانية، ومنطقة انتشارها اسبانيا، ومعظم جهات أمريكا اللاتينية، وتعد من أكثر لغات العالم انتشاراً، وأقدم ما وصلنا منها يرجع الى القرن العاشر الميلادي ولها ثلاث لهجات. وقد دخلت فيها ألفاظ عربية كثيرة.

(ز) البرتغالية . (g) Portugais, Portuguese, Portugieisch.

إحدى اللغات الرومانية ، وتنتشر في البرتغال وفي بعض جهات في أمريكا اللاتينية وخاصة في البرازيل . ولها عدة لهجات . وأقدم ما وصل منها يرجع الى القرن الثاني عشر الميلادي .

تاسعاً ــ الكلتية Celtique; Celtic languages, Keltisch.

الكلتيون شعب من الجنس الآري ، يرجع وجودهم في أوربا إلى عصور ما قبل التاريخ سكنوا أولاً في أوربا الوسطى ، ومنها في بلاد الغال (فرنسا) واسبانيا ، ثم في الجزائر البريطانية وقد انتهى أمرهم كشعب بالاندماج بالرومان ، ولغتهم هي اللغة الكلتية . ويمكن تقسيم هذه اللغة إلى فرعين :

الأول ــ فرع ساد في أوربا ، وهو ما يسمى أحياناً باللغة الغالية (Gaulois, Gallic, Gälisch) ولم يصلنا من هذا الفرع إلا عدة نقوش وكتب بحروف يونانية أو لاتينية ، وترجع الى ما بين القرنين الثالث قبل الميلاد والأول بعد الميلاد ، وقد قضت اللغة اللاتينية لغة الرومان القدماء على هذا النوع في العصور المسيحية الأولى بعد صراع طويل .

الثاني ــ أما الفرع الآخر فقد ظهر متأخراً في لهجتين أساسيتين في الجزر البريطانيــة هما الايرلندية Irlandais, Irish, Irisch والبريتونية Breton, Britonic, Bretonsch وهذا الفرع عرفت عنه نقوش في ايرلندا ترجع إلى القرن الخامس الميلادي وكتبت بحروف رومية وعرف لهذا الفرع نقوش بعد ذلك وأدب غزير في هذه المناطق اضمحل شأنها مع الزمن .

ثلاثة قرارات جديدة

لمجمع اللغة العربية في القاهرة

في الدورة الحادية والثلاثين (١٩٦٤ – ١٩٦٥ م) لمؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة عُرض على المؤتمر موضوعات كانت لجنة الأصول في المجمع قد درستها واتخذت فيها قرارات ، ومنها :

١ – قياسية السين والتاء للجَعْل والاتّخاذ ، وتصويب استعمال الكتّاب « استهدفَ الشيءَ » أي جعله هدفاً .

٢ – جواز النحت وضوابطه .

٣ – جواز التركيب المزجي .

ففي الموضوع الأول وافق المؤتمر على قرار اللجنة الآتي :

« سبق للمجمع أن أقر قياسية دخول السين والتاء للطلب أو الصيرورة ، لكثرة ما ورد من أمثلته . وترى اللجنة أن زيادة السين والتاء للاتّخاذ والجَعْل وردت في أمثلة كثيرة نحو : استعبدَ عبداً ، واستأجر أجيراً ، واستأبى أباً ، واستأمى أمةً واستفحل فحلاً ، واستعد عدةً ، واستخلف فلاناً ، واستعمره في أرضه ، واستشعر الرجلُ إذا لبس شعاراً ، واستثفرت المرأةُ إذا شدّت الثفرَ .

« وفي اعتبار هذه الصيغة قياسية تيسير للاصطلاح العلمي والاستعمال الكتابي .

« لهذا ترى اللجنة أن للمجمع قبول ما يصاغ من الكلمات على هذه الصيغة للدلالة على الجَعْل أو الاتّخاذ » .

أما في موضوع استعمال الكتّاب لفعل « استهدفَ » متعدياً فقرار لجنة الأصول الذي وافق عليه المؤتمر هو :

« بحثت اللجنة فعل استهدفَ متعدياً في مثل قول الكتّاب : استهدفَ المصلحةَ العامة ، مع أنه لم يرد متعدياً في كتب اللغة ، فرأت تخريجه على أن السين والتاء فيه للجَعْل أو الاتّخاذ ، فاستهداف المصلحة العامة جعلُها أو اتخاذها هدفاً » .

موضوع النحت : كان مجمع القاهرة تناول موضوع النحت بضع مرات في تواريخ مختلفة . وذكرتُ (ص ١٤) أنه اتخذ قراراً بجواز النحت عندما تُلجىء اليه الضرورة العلمية . وقد نُشر هذا القرار في الجزء السابع من مجلة المجمع الملمع إليه (ص ١٥٨) .

ومن البين أن القرار جاء مقتضباً ، ولذلك عادت لجنة الأصول إلى بحث موضوع النحت فاتخذت فيه القرار الآتي الذي وافق عليه المؤتمر في الدورة الملمع اليها :

« النحت ظاهرة لغوية احتاجت اليها اللغة قديماً وحديثاً . ولم يُلتزم فيه الأخذ من كل الكلمات ، ولا موافقة الحركات والسكنات . وقد وردت من هذا النوع كثرة تجيز قياسيته ، ومن ثم يجوز أن ينحت من كلمتين أو أكثر اسم أو فعل « عند الحاجة[١] » على أن يراعى ما أمكن استخدام الأصلي من الحروف دون الزوائد . فإن كان المنحوت اسماً اشتُرط أن يكون على وزن عربي ، والوصف منه بإضافة ياء النسب ، وإن كان فعلاً كان على وزن فَعْلَلَ أو تفعلَلَ إلا إذا اقتضت غير ذلك الضرورة ، وذلك جرياً على ما ورد من الكلمات المنحوتة » .

موضوع التركيب المزجي : كان عُرض على مؤتمر مجمع اللغة العربية ألفاظ مركبة تركيباً مزجياً مثل بَطْنُقَدَميات ورأسقدميات وباطقدميات، فاعترضتُ عليها مذكراً بقرار المجمع وهو : « لا مجال للنحت ولا للتركيب المزجي في تصنيف المواليد ولا حاجة اليها » . وقلتُ يجب أن يقال :

(١) كلمتا « عند الحاجة » وافق عليهما المؤتمر بناء على اقتراحي .

بَطْنيَّات الأقدام ورأسيات الأقدام وبلطيات الأقدام لأن هذه الألفاظ تدل على طوائف في تصنيف الحيوان . فالتركيب المزجي فيها قبيح ولا حاجة اليه .

وقد أحيل موضوع التركيب المزجي إلى لجنة الأصول فاتخذت فيه القرار الآتي :

« المركب المزجي ضم كلمتين إحداهما إلى الأخرى ، وجعلهما اسماً واحداً ، إعراباً وبناءً ، سواء أكانت الكلمتان عربيتين أم معرّبتين . ويكون ذلك في أعلام الأشخاص وأعلام الأجناس والظروف والأحوال والأصوات والمركبات العددية والوحدات الفيزيائية »[1] .

ويجوز صوغ المركب المزجي في المصطلحات العلمية عند الضرورة » .

وقد وافق المؤتمر على هذا القرار . وكان من المعلوم في أثناء المناقشة أن قرار المجمع السابق بعدم وجود حاجة أو ضرورة الى النحت أو إلى التركيب المزجي في تصنيف المواليد يظل معمولاً به .

وقبل اتخاذ قرار التركيب المزجي نظرت لجنة الأصول في تقرير ماتع في هذا الموضوع قدمه اليها الأستاذ أمين الخولي . ومما جاء فيه أن المركب المزجي صنوف منها : المركب العددي مثل أحدَ عشرَ كتاباً ؛ ومركبات الظروف الزمنية نحو أتيته صباحَ مساءَ ، وليل نهار ، ويوم يوم ، وحين حين ، ومركبات الظروف المكانية نحو : هو جاري بيت بيت أي متلاصقاً ، ووقع بَيْنَ بينَ أي متوسطاً ، ومركبات الأحوال نحو : وقعوا في حَيْصَ بَيْصَ ، وتفرقوا شذر مذر ، والمركبات الصوتية مثل : غاقِ غاق لحكاية صوت الغراب ، وخازِ بازِ لصوت الذباب ، ومركبات أعلام شخصية عربية غير معربة مثل معديكرب ، ومركبات أعلام غير عربية الأصل مثل بعلبك وبختنصر وحضرموت ورامهرمز وقاليقلا .

مصطفى الشهابي

---

(١) أضيف هاتان الكلمتان في المؤتمر بناء على اقتراح الزميل الأستاذ مصطفى نظيف .

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٦٥م ٦ من جمادى الآخرة سنة ١٣٨٥هـ

انتخال الألفاظ المولّدة

وإقرار الصالح منها (١)

عندما نراجع المعجمات العربية ، قديمةً كانت أو حديثة ، نجد أن قسماً من ألفاظها قد أشير إليه بكلمة مولّد ، أو بأنه ليس من كلام العرب ، أو بأنه من كلام المولّدين ، فمن هم العرب ومن هم المولدون الذين يشار اليهم بهذه الكلمات وأشباهها ؟

من المعروف أو من المتواضَع عليه أن فصحاء العرب الذين يوثق بعربيتهم ويُقبل كلامهم الموضوع ويُستشهد به ، هم عرب الجاهلية وصدر الإسلام ، إلى أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار ، وإلى أواسط القرن الرابع

(١) بحث كُتب بغية إلقائه في الدورة الثانية والثلاثين (١٩٦٥ - ١٩٦٦) لمؤتمر مجمع اللغة العربية .

في الجزيرة العربية . فمن عاشوا بعد هذه التواريخ، وتعلموا العربية بالصناعة يسمون المولدين ، فلا يُستشهد بكلامهم في لغة ولا نحو ، ويُستشهد به في البلاغة ، لأن البلاغة ترجع الى الذوق العام أو الخاص ، وهو متكامل عند بلغاء كل زمان ، على ما قاله الشيخ أحمد الإسكندري رحمه الله (١) .

وفي لسان العرب يسمى الكلام مولداً اذا كان مستحدَثاً ولم يكن من كلامهم فيما مضى .

والمولد أنواع : منها ما اشتقه المولدون على أساليب القياس العربي كاشتقاقنا مثلاً من الأعيان أفعال كَهْرَبَ من الكهربا ، ونَشّى من النشا ، وبَلْوَرَ (أو بَلّور) من البلور الخ . وكالاشتقاق أيضاً من أسماء المعاني ومنها المصادر ، فهذه المشتقات في القديم كثيرة . وقد اشتققنا في زمننا هذا فقلنا مثلاً المستشفَى من الاستشفاء ، والمُتْحَف من الإتحاف ، والجامعة من الجمع ، والمِبْذَر من البذر ومثل ذلك كثير .

ومن أنواع المولد ألفاظ نقلت من معناها الأصلي الى معنى علمي ، وهي كثيرة رجعوا فيها الى المجاز وضمنوها معاني علمية جديدة فاغتنت العربية بها . وكلنا نعرف في أيامنا هذه بعض ألفاظ مجازية ضُمنت جديداً من المعاني كالقِطار والسَّيَّارة والمُدَرَّعة والغَوَّاصة والمطبعة الخ .

ومن أنواع المولد أيضاً معرَّبات كثيرة نقلت الى لساننا بعد صدر الإسلام ، وهي مئات بل ألوف من الألفاظ مبثوثة في الكتب العلمية القديمة والحديثة . ونحن اليوم نستعمل عدداً كبيراً من المعربات المولدة التي خَلَتْ منها المعجمات العربية القديمة .

(١) انظر بحثاً للشيخ أحمد الاسكندري في الجزء الأول من مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة ، كتبه احتجاجاً لقرارات أصدرها المجمع ومنها قرار في المولد من الكلام (ص ٢٠٢ – ٢٠٤) .

وأخيراً من أنواع المولد ألفاظ ارتجلها المولدون ولا أصل لها في اللغة ، وألفاظ حُرفت من اللغة الصحيحة ولا يمكن تخريجها على أحد أصول اللغة . وكلا القسمين يسمى العامي أو الدارج . فمثال القسم الأول في الشام القَنْعَرة أي التعاظم والكَرْفَتة أي الإسقاط . ومثال القسم الثاني قول العامة قَمَزَ ، والصحيح قَفَز ، وكقولهم كَبْتَلَ الشيء ، والصحيح كَتَّله الخ .

ومن الواضح أن هذا النوع الأخير من المولد لا يمكن عده صحيحاً . أما الأنواع الأخرى المقيسة على القواعد العربية فيمكن النظر في عد الكثير منها ألفاظاً صحيحة يجب أن نُدخلها في معجماتنا الحديثة .

وعلى هذا كان مجمع اللغة العربية أصدر في أول اجتماع له سنة ١٩٣٤ القرار الآتي :

« المولّد : هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب ، وهو قسمان :

١ — قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز ، أو اشتقاق ، أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك . وحكمه أنه عربي سائغ .

٢ — وقسم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعربه العرب ، وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره . وإما بوضع اللفظ ارتجالاً .

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام » .

وقرار التعريب الملمع اليه في قرار المولّد هو :

« يجيز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية — عند الضرورة — على طريقة العرب في تعريبهم » . وواضح أن المجمع قد أجاز التعريب أي أجاز هذا النوع من التوليد . ولكنه حصره بالضرورة أي إذا لم يكن من المستطاع العثور على ألفاظ عربية بطريق الحقيقة أو بطريق المجاز . وكلمتا (عند الضرورة)

فيها مجال الأخذ والرد ، فما يراه زيد ضرورة لا يراه عمرو كذلك .
وقلت في كتاب المصطلحات العلمية في اللغة العربية : « أعتقد أن المجمع الموقر قصر الضرورة على بعض المصطلحات العلمية التي لا مندوحة لنا عن تعريبها (كأسماء نباتات منسوبة الى أعلام ، أو أسماء عناصر ومركبات كيمياوية مثلاً) ، وعلى بعض مصطلحات الحضارة مثل السينما والترام والفلم وأشباهها من الكلمات الخفيفة على السمع التي جرت على الألسنة وأمسى من الصعب على الجمهور أن يهضم كلمات عربية مشتقة تقوم مقامها .

والخلاصة أن المولد من حيث أماكنه أقسام : قسم ورد ذكره في المعجمات العربية القديمة ، وأشير اليه بأنه مولد ، وقسم ثان لم يرد ذكره في المعجمات القديمة ولكنه ذُكر في كتب قديمة مختلفة ، وقسم ثالث وُضع حديثاً وما يزال يُوضع في أيامنا هذه .

والكتّاب فرقاء : فريق متشدد أي محافظ يتورع عن استعمال كلمات مولدة قديمة لم ترد في المعجمات على حين أنها قد تكون من النوع الصالح للاستعمال ، وفريق متساهل يستعمل الكلمات الصالحة المذكورة ، وفريق ثالث لا يميز الكلمات الصالحة من غير الصالحة فيستعملها على السواء ، أو يؤثر السلامة من النقد فيكف عن استعمالها جميعاً .

وكثيراً ما بحث الأدباء والعلماء في الكلمات المولدة التي لم ترد في معجماتنا القديمة ، وفي ضرورة انتحالها وإقرار الصالح منها ، وإدخاله في المعجمات العربية الحديثة .

ومن البحوث القديمة فيها بحث كان المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي نشره في المجلد الثامن (سنة ١٩٢٨ ص ٢٩) من مجلة المجمع العلمي العربي بعنوان : « الكلمات غير القاموسية » أي الكلمات التي لم ترد في معجماتنا العربية ، فصنفها سبعة أصناف ، وسأل أعضاء المجمع عما يجب استعماله أو يجب إهماله

من كلمات كل صنف . وقد لخص الأسئلة والأجوبة في المجلد الثاني عشر من المجلة (سنة ١٩٣٢ ص ٥٢١ و ٥٧٧) وهذه الأصناف في نظره هي :

الصنف الأول — كلمات عربية قحّة لم تذكرها المعاجم ، لكنها وردت في كلام فصحاء العرب الذين يُحتج بأقوالهم ، مثل كلمة تَبَدّى بمعنى ظهر ، وقد وردت في بيت من الشعر لعمرو بن معدي كرب في ديوان الحماسة . والبيت هو :

وبدت لميس كأنها بدر السماء إذا تبدى

الصنف الثاني — كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب الإسلاميين الذين لا يحتج بأقوالهم كفعل (أقَصّ الخبرَ) بمعنى (قَصّهُ) الوارد في قول المؤرخ (الطبري) ، ومثل كلمتي (فخم) و (صدفة) في قول العلامتين (اليازجي) و (محمد عبده) .

الصنف الثالث — كلمات عربية اصطلاحية ولدها رجال العلوم والفنون والصناعات لا يعرفها أهل اللسان كقولهم (ميزانية) و (كيفية) و (كمية) و (هيأة المحكمة) و (انعقدت الجلسة) و (تعريفة الرسوم) .

الصنف الرابع — كلمات عربية المادة ولدها العرب الإسلاميون من مادة عربية الأصل مثل (خابَرَهُ) من الخبر ، و (تَفَرّجَ) من الفرج ، و (احتار) من الحيرة ، و (تنزه) من النزهة الخ .

الصنف الخامس — المعرّب أو الكلمات المولدة بالتعريب . . . . ومنه الخفيف على اللسان نحو كلمة (فلم) وهو شريط السينما ؛ ومنه الثقيل نحو كلمة (أوتوموبيل) و (برصوناليته) .

الصنف السادس — أساليب أو تراكيب ذات معان أعجمية الأصل ، وقد تسربت الى لغتنا العربية مترجمةً عن اللغات الأجنبية ، ولا عهد للعرب الأقدمين بها ، وهذا كقولهم : (ذر الرماد في العيون) ، و (عاشَ ستة عشر

ربيعاً) ، و (وضع المسألة على بساط البحث) ، و (ساد الأمن في البلاد) ونظير ذلك .

الصنف السابع — العامي : وهو الكلمات التي تدور على أفواه العامة ، ولا يستعملها الفصحاء ، بل يتحاشون النطق بها ، مثل (بَدّي أذهب) ، (جيب الكتاب) ، (تعَرْبَشَ على الشجرة) ، (تحَرْكَشَ بفلان) .

هذه هي أصناف المولد السبعة التي كان الأستاذ المغربي اقترح على أعضاء المجمع العاملين والمراسلين الإجابة عنها . وقد أجاب بعضهم ، ونُشرت أجوبتهم في المجلة وهم : معروف الرصافي ، وجميل صدقي الزهاوي ، والشيخ أحمد الإسكندري ، والأب أنستاس ماري الكرملي ، وإسعاف النشاشيبي ، وأحمد أمين ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، والشيخ محمد الخضر حسين ، والشيخ كامل الغزي ، ونقولا فياض ، والشيخ أحمد رضا ، ورشيد بقدونس ، وقسطاكي الحمصي ، والشيخ سليمان ظاهر ، والشيخ عبد الحميد الجابري ، وادوار مرقص رحمهم الله جميعاً ، وعارف النكدي أطال الله بقاءه .

وخلاصة ما استخلصه المرحوم المغربي من الأجوبة : « أن العامي لا يجوز استعماله في اللغة التي يتخاطب بها الخواص ، ولا تدوينه باعتبار أنه لفظ عربي . أما سائر الأصناف فتقبل وتستعمل وتدون بشيء من التحفظ والاحتياط في الصنف الثالث (وهو الكلمات الاصطلاحية) ، والصنف الرابع (وهو الكلمات المولدة) ، والصنف الخامس (وهو الكلمات المعربة) . فيحسن في هذه الأصناف الثلاثة استعمال ما يقوم مقامها من اللغة الفصحى إن أمكن ، وإلا استعملت من دون نكير » .

ولم أُدْلِ بدلوي في الدلاء في ذلك الزمن . وكذلك فعل قسم من أعضاء مجمعنا بدمشق ، فقد كنت أرى أنه لا يستطاع اتخاذ قواعد عامة ، أي لا يستطيع أحد أن يقر أو ينكر إجمالاً استعمالَ المعرَّبات ، أو المصطلحات العلمية ،

أو كلام فصحاء الجاهلية وصدر الإسلام ، أو كلام فصحاء العصور الإسلامية ، أو التراكيب المترجمة عن لغة أجنبية (وهي في الحقيقة خارجة عن موضوع المولد) ؛ كما كنت أرى أن الكلام العامي المرتجل أو المحرّف عن الصحيح لا يقول أحد باستعماله في كلام الفصحاء أو كتاباتهم .

ومعنى ذلك أننا إذا استثنينا الكلام العامي لا يمكن القول بأن جملة كلمات هذا الصنف أو ذاك يجوز أو لا يجوز استعمالها ، بل يجب تناول كل كلمة من المولد عامةً بالبحث الدقيق ، وبيان الرأي في إثباتها في المعجم العربي واستعمالها ، أو بيان الرأي في عكس ذلك . وهذا عمل يحتاج في نظري الى جهد كبير تتحمله جماعة من العلماء وتنقطع له بضع سنوات .

فالكلمات المولدة التي أشير اليها في المعجمات العربية القديمة ، والكلمات المولدة التي لم يرد ذكرها في تلك المعجمات آلاف مؤلفة من الكلم . وقد جمع العلامة دُوْزي Dozy عدداً كبيراً منها في معجمه المشهور . ولكنه فاته منها عدد كبير أيضاً . فقد راجعتُ فيه أسماء مولدة لنباتات معروفة في الشام فلم أجدها كأسماء الأشجار الآتية مثلاً وهي مشهورة في أحراج لبنان وسورية :

المَلُّول Quercus lusitanica من أنواع البلوط
العِيزَر ، الأَلّك cerris 〃 〃 〃 〃
الدُّفران Juniperus drupacea من أنواع العَرْعَر
الأَبْهَل excelsa 〃 〃 〃 〃
النَّغْث ، النَّبْث Alnus orientalis من شجر الحراج الأليف الماء

ومثل ذلك كثير . ثم إن دوزي يعزو كثيراً من الكلمات المولدة الى مؤلفين محدثين عرباً كانوا أو غير عرب ، من دون التفتيش عنها في الكتب القديمة . فكلمة (حاكورة) مثلاً تُطلق في سورية ولبنان على أرضين معتنى

بها تكثر خاصةً على مقربة من بيوت القرية وتُزرع زروعاً شتى . فالعالم دُوزي ذكر الحاكورة وعرّفها بقوله : « حدائق آس في غوطة دمشق » ؛ ونقل ذلك عن مؤلف ألماني حديث ، على حين أن كلمة الحاكورة ذكرت في مستدرك التاج ، وقال فيها الزبيدي : « والحاكورة قطعة أرض تحكر لزرع الأشجار قريبة من الدور والمنازل ، شامية » .

ويعزو الى همبرت Humbert وبقطر في معجميهما اضافة الباقة الى الزهر ، على حين أنني وجدت « باقة الزهر » مرةً في الأغاني (١) ، ووجدتها كثيراً في نهاية الأرب .

وكذلك يعزو كلمة « شُوح » الى صاحب معجم صغير إفرنسي عربي ، وعربي إفرنسي . ويطلقها على الصنوبر والتَّنُّوب ، على حين أنها تطلق في الشام على تنوب قيليقية فحسب Abies Cilicica منذ زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي الى اليوم (٢) .

ونسب الى المستشرق دو ساسي De Sacy ورود فعل جَدْوَلَ بمعنى حفر جدولاً . فهذا الفعل الذي لم يرد في المعجمات بهذا المعنى رأيته في كتاب ملوك حمير وأقيال اليمن ، فقد جاء فيه : « من خطبة لقس بن ساعدة الأيادي . . . وبنوا المصانع والآبار ، وجدولوا الأنهار ، وغرسوا الأشجار . . . »

هذه أمثلة قليلة ، ولها أشباه كثيرة ، فتحري المولدات في المعجمات العربية الأصلية ، وفي تراثنا العلمي والأدبي القديم ، وفي المعجمات الأعجمية العربية الحديثة التي يمكن الوثوق بها ، عمل شاق قلتُ إنه يحتاج الى جماعة من

(١) طبعة دار الكتب المصرية ج ١٠ ص ١١٥ .
(٢) يراجع الاسم العلمي في معجم الألفاظ الزراعية حيث الدليل على ذلك .

العلماء واللغويين تنقطع له ، وتكشف عن رأيها فيما يجوز أو لا يجوز اثباته في المعجم العربي الحديث من الكلمات المولدة .

ويجب في نظري أن ينتهي عمل هذه الجماعة الى مجلس مجمع اللغة العربية فإلى مؤتمره لإقرار ذلك العمل . ومن المعلوم أن العمل المذكور لا يتعارض هو وأعمال لجان المصطلحات العلمية في المجمع المشار اليه .

وعلى هذا أقترح تأليف لجنة في مجمع اللغة العربية تسمى « لجنة الكلمات المولدة » مهمتها تحري تلك الكلمات وجمعها وانتخالها وبيان القسم الذي يجوز ادخاله في المعجم العربي ، كالمعجم الوسيط ، بعد أن يوافق مجلس المجمع على ذلك القسم ويقره مؤتمر المجمع .

مصطفى الشهابي

بقايا الفصاح

أعيد في هذه الأيام مطالعة كتاب الأغاني ، لقد مررت على أخبار المغنّي الغريض فوجدت في جملة أخباره أنه كان جميلاً ، وضيئاً ، وكان يصنع نفسه ويترفها . . . فتوقّفت قليلاً لمّا مررت بهذه المادة : يصنع نفسه ، فقد أشكل عليّ معناها ولم أدر كيف ألفظ يصنع ، أهي مخفّفة أم هي مشدّدة ، فرجعت الى معجم الفيروزابادي ، ولم أرجع اليه لأنه أصلح المعجمات ولكني رجعت اليه لأنني لا أملك غيره ، فوجدت لمادة صنع معاني كثيرة ، في جملتها هذا المعنى : صنّع الجارية ، بالتشديد ، أي أحسن اليها ، وصنعت فرسي ، بالتخفيف ، أي أحسنت القيام عليه ، فاستخرجت من ذلك أن الغريض كان يُحسن الى نفسه أو كان يُحسن القيام عليها ويترفها ، أي ينعّمها ؛ وسواء أكانت صنع مخفّفة أم كانت مشدّدة فهل يستعملونها في عصرنا على معناها الأول ، أمّا صنع ، مخفّفة ، فقد ترد في بعض الصحف ، من ذلك قولهم : نحن صنعنا التاريخ . . . ولكني لا أدري ماذا يقصدون في هذا التعبير ، أيريدون أن يقولوا : نحن أحسنّا القيام عليه ، على سبيل المجاز . فاذا أرادوا هذا الوجه فهذه المادّة تعيش في أيامنا على أصل معناها ، وأما صنّع ، مشدّدة ، فاني كنت أسمع من الذين كانوا يزورون آل السعود في نجد والحجاز أن الملك كان يصيح بوزير المال ويقول له : صنّع فلاناً ، بالتشديد ، أي أعطه كذا وكذا ، أحسن اليه ، وكان الذين ينقلون إليّ هذه المادّة يلفظونها بالسين ، ولم أبال بذلك ، فان بعض الألفاظ التي ترد

فيها السين أو الصاد تلفظ بالسين أو بالصاد على السواء ، مثل الصراط والسراط وغيرها ، فمادّة التصنيع ، مشدّدة ، بمعناها الأول ، وهو الإحسان ، لا تزال تعيش في بعض بلاد العرب ، مثل نجد والحجاز ، ولكنها في بلادٍ ثانية قد فقدت أصل معناها وانتقلت الى معنى آخر يدخل في الصناعة ، وأعتقد أنها ستفقد أصل معناها في نجد نفسها ، وفي الحجاز نفسها ، بعد أن تبطل المجازفة بالإحسان وتوضع الموازنات بحسب القواعد الحديثة في بلاد العالم .

ولئن بطل معنى التصنيع الأول في كثير من بلاد العرب فقد أصبح لهذه المادة معنى خاص اقتضته حضارة العصر ، ما هو هذا المعنى ؟ إذا قلنا : التصنيع ، في عصرنا هذا ، أردنا بذلك عمل الصناعة وهي حرفة الصانع ، فالتصنيع انتقلت على نحو ما سبقت الإشارة اليه من معنى الى معنى ؛ ولم تتوسع العرب في قديم دهرها في مذاهب الصناعة لتتوسّع في مشتقات هذه المادة ، فنحن نجد من مشتقاتها : الصناعة وهي حرفة الصانع ، والصنعة وهي عمله ، وصنعة الفرس وهي حسن القيام عليه ، وصُنعت الجارية بالتخفيف والتشديد ، أي أُحسن اليها ، أو التخفيف خاص بالفرس والتشديد خاص بالجارية ، ورجل صنع اليدين ، بالكسر وبالتحريك ، وصنيع اليدين وصناعها ، أي حاذق في الصنعة ، والمصنع وهو مجمع ماء المطر ، والمصانع وهي القرى والمباني من القصور والحصون ، واصطنع خاتماً ، أي أمر أن يصنع له ، الى آخر ما ورد في مشتقات صنع .

فالذي يتبيّن لنا أن مشتقات صنع ، ممّا له صلة بالصناعة نفسها ، قليلة اذا قيست بمشتقات ثانية ، فاذا قابلنا بين هذه المادة ي الصناعةِ ، وبين مادة ثانية وهي الإبل ، ونظرنا في توسّع العرب في مشتقات كل واحدة منها

ظهر لنا الفرق في هذا التوسع ، فاذا كانت العرب لم تُعن بالصناعة كبير العناية فقد عُنيت بالإبل العناية الكبرى ، والألفاظ توضع عادةً بمقدار الحاجة الى مدلولاتها ، فالحاجة الى الصناعة في قديم تاريخنا كانت أقلّ من الحاجة الى الإبل ، فان أكثر حياة العرب في البادية كانت قائمة على الإبل ، ولذلك توسّعوا في مشتقات مادّة الإبل ، فوضعوا موادّ لمن يتخذ الإبل ، ولمن تكثر إبله ، ولمن يحذق مصلحة الإبل ، ولمن يشتدّ تأنقه في رعيتها ، وللعشب الذي يطول فتستمكن منه الإبل ، ولمن يجعل للمرء إبلاً سائمة ، ولمن لا يثبت على رعية الإبل ولا يحسن مهنتها ولتسمينها ، وللبعير اللحيم ، وللناقة المباركة في الولد ، وغير ذلك من المشتقات ، ولم أشأ أن أذكر الموادّ بألفاظها خوفاً من الإضجار ، انها مدوّنة في المعجم ، فمن شاء فليرجع اليها .

لقد أطلت قليلاً في الإشارة الى مشتقات مادة : الإبل ، وأرجو أن لا يكون في هذه الإطالة بعض الملل ، فما غايتي الا توضيح الفرق بين المادة التي تحتاج اليها العرب وبين المادة التي كانت تقلّ اليها الحاجة ؛ فالصناعة قليلة المشتقات لأن العرب لم تكثر ممارستها لها في القديم ، أمّا مادّة الإبل فانها أكثر مشتقّات لأن على الإبل كانت تقوم حياة العرب في البادية .

ما الذي أوحت اليّ هذه المقابلة ، أي المقابلة بين مشتقات مادة تشتد الحاجة اليها ، وبين مشتقات مادة تخفّ اليها هذه الحاجة ، لقد أوحت اليّ أمراً ذا بال ، وأرجو أن لا أخرج عن موضوعي وأنا أعالج بقايا الفصاح ، لقد رأيت أن معجمات اللغة قد شحنت بألفاظٍ ماتت على تعاقب الدهور ،

فهي مدفونة في بطون المعجمات كما تدفن العاديات في المتاحف ، فان مادّة الإبل نفسها قد اشتملت من المشتقات على ما لم تعد حاجة اليه في عصرٍ مثل عصرنا ، عصر الصناعة وسفن الفضاء والصواريخ وما شابه ذلك ، فلا يحتاج العرب في حضارتهم الحديثة الى الإبل مقدار حاجتهم الى ما أشرت اليه ، واذا هم لا يحتاجون الى هذه الإبل في مدنهم وأمصارهم ، في حضارتهم ، فهم لا يحتاجون الى ما جاء من مشتقات مادة الإبل ؛ ما هي نتيجة هذا كله ؟ انها نتيجة واضحة ، فالألفاظ التي لا نحتاج الى مدلولاتها يبطل استعمالها فتبقى مدفونة كما قلت في بطون المعجمات ، ونضطر الى ايجاد الألفاظ التي تفصح عن حاجات حياتنا الحديثة ، حياة الحضارة ؛ إنّا لا نفتح معجماتنا الا وقع نظرنا على آلاف من الألفاظ التي ماتت ، فبطل بهذا الموت استعمالها ، فما أشدّ عمل الذين يجهدون في وضع المعجمات في عصرنا هذا ، فقد يتنازعهم عاملان : عامل الحرص على اللغة ، وتدوين هذه اللغة في معجماتهم بحذافيرها كأنها تصوّر حياة العرب في تاريخهم أكمل تصوير ، وعامل الاستغناء عن تدوين الألفاظ التي ماتت ولم تبق حاجة اليها في أيامنا مجاراة لروح العصر . ولا ريب في أن الاستغناء عن تدوين الألفاظ التي ماتت لا يخلو من إدخال الألم على النفوس ، فان هذه الألفاظ كانت لها حياة ناضرة في تاريخها ، فقد تقلّبت في أعطاف السعادة حتى كانت نتيجة هذه السعادة موتها واستقرارها في بطون المعجمات . وما أظن أن الذين يعنون بوضع المعجمات في زماننا يشفقون على الألفاظ التي ماتت فيدوّنونها في معجماتهم ؛ إنهم إن فعلوا شيئاً من ذلك خرجوا على روح العصر ولم يكن في عملهم نفع . إني لا أنقطع عن مطالعة المعجمات ، وقد أمرُّ بطوائف كثيرة من الألفاظ التي ماتت

فاستراحت في مدافنها ؛ وما أكثر الشواهد في هذا الباب ، ولكني لا أكثر من هذا الشواهد ، فقد كنت أطالع وأنا أكتب هذا المقال مادّة حنبل ؛ ماذا وجدت في هـــذه المادة ، من معاني الحنبل : القصير والفَرْو أو خَلَقُه ، أو الخُف الخَلَق ، والبحر والضخم البطن أو اللحيم ، فمن الذي يستعمل هذه المادة بمعانيها المذكورة في عهدٍ مثل عهدنا ؟ اني أعتقد أن مادّة الحنبل قد ماتت بكل معانيها ، ولم يبق منها الا الإمام أحمد بن عبـــد الله بن حنبل ، إمام السُّنة الذي تتحنبلُ الرؤوس إجلالاً له ، أي تتطأطأ .

شفيق جبري

أدب الفقهاء

- ٤ -

فقهاء المغرب والأندلس

ونخلص لذكر فقهاء المغرب والأندلس ، ونبدأ للمناسبة الآنفة الذكر بأشهرهم اسماً وأكبرهم علماً وهو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي ، إمام أهل الظاهر بعد مؤسس هذا المذهب داود الظاهري المشهور .

ابن حزم

قال صاعد الأندلسي في حقه : « كان أبو محمد أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام ، وأوسعهم معرفة مع توسعه في علم اللسان ، ووفور حظه من البلاغة والشعر والمعرفة بالسير والأخبار . وأخبرني ابنه أبو رافع الفضل ابن علي : أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو أربعمائة مجلد ، تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة [1] ومن أشهر كتبه المُحَلَّى أبان فيه عن علم غزير وتعمق في فهم أحكام الشرع وأدلتها من الكتاب والسنة ، وهو مطبوع في أحد عشر جزءاً . وله أيضاً كتاب الإحكام في أصول الأحكام نفيس جداً . وهو مطبوع أيضاً . ومن مؤلفاته المشهورة في تاريخ الأديان والعقائد كتاب الفِصَل في الملل والأهواء والنحل وهو معتمد في هذا الباب .

(١) الصلة لابن بشكوال ص ٤٠٩ طبع مدريد . وفيه بعض مخالفة لما في طبقات الأمم لصاعد .

أما مقامه في الأدب والشعر ، وهو موضوع بحثنا هذا ، فقد قال فيه الحُمَيْدي صاحب جذوة المقتبس : «وكان له في الآداب والشعر نَفَس واسع وباع طويل ، وما رأيت من يقول الشعر على البديهة أسرع منه ، وشعره كثير . وقد جمعناه على حروف المعجم . » وممّا نشد له من شعره :

لئن أصبحتُ مرتحلاً بشخصي   فروحي عنـــدكم أبداً مقيم
ولكن للعيـــان لطيفُ معنى   له سأل المعاينـــةَ الكليم

ولا يخفى ما في هذين البيتين من دعم الشعور العاطفي بالمعنى الديني ، المستمد من قصةِ موسى عليه السلام وقولِه في مناجاة الحق سبحانه وتعالى : (رب أرني أنظر اليك) والتعليلِ لهذا الطلب الجَرِيء بما لا يتنافى مع قوة الإيمان ولا يخامره أدنى شك ، ولذلك كان لهذين البيتين عند العلماء والمتصوفة قيمة كبيرة ، وصدى لا يزال يتردد في الكتب والمجالس كلما سنحت المناسبة للخوض في هذا الموضوع . ولا تقِلُّ قيمتُها عند الأدباء عن قيمتها عند العلماء لأنها من حيث السبك والصياغة لا غبار عليها ، وأما المعنى فانه فريد لا مثيل له ، غايةُ الأمر أن أنظار العلماء والأدباء تلاقت عندهما لما تضمناه من تعبير بارع عن مقصد كل من الطرفين .

ونظيرُهما في استيحاء النصوص الدينية قول أبي تمام في سينيته المشهورة في مدح المعتصم :

لا تنكروا ضربي له مَن دُونَه   مَثلاً شَرُوداً في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقلَّ لنوره   مَثَـــلاً من المشكاة والنبراس

ومع توارد الفقيه والشاعر الكبير على الاستقاء من معين الدين في أبياتهما هذه ، مما يوكد أن ذلك لا يتعارض وأصالةَ الشاعرية ، فان الانصاف يقتضينا أن نقول ان بيتي ابن حزم أرق معنى وألطف مساقاً ، وهما فوق ذلك أكثر سيرورة من بيتي أبي تمام .

ومن شعر ابن حزم قولُه وضمّنه الإشارةَ إلى مذهبه :

وذي عذَل فيمن سباني حسنُه ... يُطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن أجل وجه لاح لم تر غيرَه ... ولم تدر كيف الجسمُ أنتَ عليل
فقلت له أسرفتَ في اللوم فاتئد ... فعنديَ ردٌّ لو أشاء طويل
ألم تر أني ظاهري وأنني ... على ما بدا حتى يقوم دليل

وما أحسن هذا القول ، وألطفَ الإشارة هنا الى المذهب ، لا سيما اذا علمنا أن للأبيات حكاية ذكرها ابن حزم نفسُه في كتابه طوق الحمامة ، وأن المحاورة فيها كانت مع الحافظ أبي عُمَر بن عبد البر ، وهو من أئمة مذهب مالك ، فمن البراعة الاحتجاج في هذا المقام الأدبي بالمذهب الفقهي الذي يأخذ به الشاعر ، والمخالفُ كان من غزارة العلم وسعة الأفق بحيث يتقبل هذا الاحتجاج ويُعيرُه على أنه من اللطائف الأدبية التي لا مماحكة فيها . وهكذا كان القوم على إمامتهم في العلم والدين يتعاطون كؤوس الأدب ممزوجة بالنكت البارعة والتلميحات اللطيفة ولا يرَوْن في ذلك حرجاً ، ولا يستطيع أحد أن يلمزهم بسوء .

وألف ابن حزم كتابه طوق الحمامة في الحب وصفاته ، ومعانيه وفلسفته والمحبين وما يعرض لهم ، وأحوالهم وأخبارهم ، وهو وإن قال أن تأليفه له كان باقتراح أحد أصدقائه ، فاننا نرى أنه ربما تشجع على ذلك بما عُلِم من تأليف وَلَد إمامه لكتاب الزهرة في الموضوع على ما مرّ ذكرُه . وأيّاً كان الأمر ، فان طوق الحمامة يختلف عن كتاب الزهرة اختلافاً كبيراً . إنه مَليء بذكر تجارب ابن حزم نفسه في ميادين الحب والغرام ، ومَليء كذلك بأشعار ابن حزم التي نظمها في الموضوع ، بل ليس فيه شعر لغيره إلا القليل النادر ، وذلك ما جعله تحفةً أدبية نادرةَ المثال ، وقصةً غراميةً متسلسلةَ الأحداث والوقائع ، تغري قارئها بالانكباب عليها ، وخصوصاً وهو

يعلم أن بطلها علَمٌ من أعلام الفقه والدين ، وعبقري من عباقرة الفكر والفلسفة ، وكان في وقت ما وزيراً وهو ابنُ وزير ، فقد توفرت كل الأسباب لجعل هذا الكتاب قطعة فنية خالدة . وذلك من أعظم الأدلة على أن للفقهاء جولات موفقة في ميادين الأدب والشعر فاتت كثيراً من الشعراء والأدباء .

ومما جاء في طوق الحمامة من شعره في الحب الطاهر قوله :

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى   وسيان عندي فيك لاحٍ وساكت
يقولون جانبتَ التصاون جملة   وأنت عليهم بالشريعة قانت
فقلت لهم هذا الرياء بعينه   صراحاً وزي للمرائين ماقت
متى جاء تحريم الهوى عن محمد   وهل منعُه في محكم الذكر ثابت
اذا لم أُواقع مُحرَّماً أتقي به   مجيءَ يوم البعث والوجهُ باهت
فلست أُبالي في الهوى قولَ لائم   سواء لعمري جاهر أو مخافت
وهل يلزم الإنسان إلا اختيارُه   وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت

وهو احتجاج قوي في الشعر كاحتجاجه في مسائل الفقه وخلاف الأئمة ، مما يدل على عارضته القوية وملكته الراسخة .

ومنه قوله في مليحة شقراء :

تعيبونها عندي بشُقْرة شعرها   فقلت لهم هذا الذي زانها عندي
يعيبون لون النور والتِّبر ضلة   لرأي جهول في الغواية ممتد
وهل عاب لون النرجس الغض عائب   ولون النجوم الزاهرات على البعد
وأبعد خلق الله من كل حكمة   مُفضلُ جرم فاحم اللون مسوَّد
به وُصفت ألوانُ أهل جهنم   ولِبْسة باك مثكل الأهل محتَد
ومُذْ لاحت الراياتُ سوداً تيقنت   نفوس الورى أن لاسبيل الى الرشد

فهذه الأبيات تنبئ عن ذوق مدني مهذب كما تنبئ عن شاعرية بليغة لا يرقى اليها نقد من جهة المعنى ولا من جهة االلفظ . وما أملح قوله : « فقلت لهم هذا الذي زانها عندي » والغريب أن ابن حزم يذكر في الفصل الذي أورد فيه هذه الأبيات أن ذلك أي حبه للشقرة كان طبيعة له وميلاً غريزياً فيه ، فهو يعبر عن شعور صادق وحب راسخ وليس كلامه صنعة وتفنناً في القول كما قد يلوح . وأغرب من هذا هو البيت الأخير في القطعة ، أتراه نزعةً سياسيةً مَرْوانية لم يُغْفِل ابنُ حزم الإفصاحَ عنها وقد واتته المناسبة في هذه الأبيات العاطفية ؟

لعلنا قد مددنا النفَس أكثر من اللازم في الحديث عن أدب ابن حزم ، ولكنه يستحق ذلك ، وما يمنعنا من الإطالة إلا ضيق المقام ومراعاة المناسبة لما تحدثنا به عن غيره . وكانت وفاته رحمه الله سنة ٤٥٦ .

أبو الوليد الباجي

هو القاضي أبو الوليد سليمان بن خَلَف الباجي ، نسبة الى باجة الأندلس ، لا باجة افريقية . كان قريع ابن حزم في الفقه والعلم ، وكان على مذهب مالك ، وهو الذي تصدى لابن حزم بعد ما قصر فقهاء الأندلس عن مجادلته ، فناظره ونقض كثيراً من حججه . وقال عنه القاضي أبو علي بن مُسكّرة : « ما رأيت مثله في سمته وهيئته وتوقير مجلسه وهو أحد ئمة المسلمين » وناهيك بأنه روى عنه حافظا المغرب والمشرق أبو عمر بن عبد البر ، وأبو بكر الخطيب . ألف أبو الوليد كتاب الاستيفاء في شرح الموطأ ، كتاب حفيل كثير العلم لا يدرك ما فيه إلا من بلغ درجة مؤلفه في العلم ، قاله ابن فرحون في الديباج ثم اختصره في كتاب سماه المنتقى ، وهو مطبوع

في سبعة مجلدات . وله غيرهما من الكتب القيمة النافعة . ومن شعره :

أسَرُّوا على الليل البهيم سُرَاهم　　فنَمَّت عليهم في الشمال شمائل
متى نزلوا ثاوين بالخيف من منى　　بدت للهوى بالمأزِمَيْن مخايل
فلله ما ضمَّت منىً وشِعابها　　وما ضُمِّنَتْ تلك الرُّبا والمنازل
ولما التقينا للجمار وأبرزَت　　أكف لتقبيل الحصى وأنامل
أشارت الينا بالغرام محاجرٌ　　وباحت به منا جسوم نواحل

وهي أبيات ذات نفَس أعرابي تعبر عن حب دفين ، وإن دارت الناس عنه بالحديث عن الحجاز والمشاعر المشهودة فيه . وفيها مع ذلك صنعة بديعية لطيفة إلا أنها تكاد تكون من وحي الطبع لا تعمُّل فيها ، فاجتمع لها بذلك حسن السبك وبلاغة المعنى ، وماذا يُطلَب من الشاعر الموهوب أكثر من ذلك ؟ . .

ومما اشتهر من شعر الباجي قوله :

مضى زمنُ المكارم والكرام　　سقاه الله من صَوْب الغَمام
وكان البرُّ فعلاً دون نطق　　فصار اليوم نطقاً بالكلام

وذيله بعض الفقهاء أيضاً لما استشرى الفساد بقوله :

وزالَ النطقُ حتى لست تلقَى　　فتىً يسخو برَدِّ للسلام

ثم ذيله فقيه آخر وقد طمَّ الوادي على القَرِيِّ فقال :

وزاد الأمر حتى ليس إلا　　سخي بالأذى أو بالملام

ولا يجد الناقد الأدبي ما يأخذ على هذه الأبيات ، وكلها لفقهاء شعراء ، بل انه لو أنصف لجعلها في مستوى القمة من الصناعة الشعرية وخصوصاً بيتي صاحبنا أبي الوليد الباجي ، ولذلك جرت على ألسنة العلماء والأدباء معاً ، وكان مشائخنا رحمهم الله كثيراً ما يرددونها في المقامات التي تستدعي انشاد مثلها .

وللباجي أيضاً هذان البيتان المشتهران في الزهد والحكمة :

اذا كنت أعلم علماً يقينا بأن جميع حياتي كساعة
فلِمْ لا أكونُ ضنيناً بها وأصرفها في صلاح وطاعة

أبو بكر بن العربي

هو الإمام القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الاشبيلي . حلاه ابنُ بشكوال في كتابه الصلة ، بقوله « الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها » أخذ ببلده ورحل الى المشرق فلقي أبا حامد الغزالي وأبا بكر الشاشي وغيرهما وعاد بعلم غزير . وكان فصيحاً أديباً شاعراً كثير الخبر مليح المجلس . وله تآليف كثيرة منها أحكام القرآن في مجلدين مطبوع وهو عظيم الفائدة ومنها عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي مطبوع أيضاً . وكتاب العواصم من القواصم مطبوع ، وهو دليل على بعد غوره وتفننه في علوم الفقه والكلام والتصوف . ومن شعره المشهور قوله وقد ركب مع أحد أمراء الملثمين ، وكان الأمير صغيراً فهز عليه رمحاً كان في يده مداعباً له :

يهزُّ عليَّ الرمحَ ظبيٌ مهفهف لعوب بألباب البرية عابث
ولو كان رمحاً واحداً لاتقيتُه ولكنه رمح وثان وثالث

وهما بيتان سائران يجريان كثيراً على ألسنة الأدباء في مجال الاعتذار عند غلبة الحوادث . قال المقري في نفح الطيب : « وقد اختلف حذاق الأدباء في قوله : (ولكنه رمح وثان وثالث) ما هو الثاني والثالث ؟ فقيل القد واللحظ ، وقيل غير ذلك » .

وله وهو معنى بديع :

أتتني تؤنبني بالبكاء فأهلاً بها وبتأنيبها

تقول وفي نفسها حسرة أتبكي بعين تراني بهـــا
فقلت اذا استحسنت غيركم أمرت جفوني بتعذيبهـــا

قال في النفح : «ومن شعر ابن العربي مما نسبه اليه الشيخ أبو حيان :

ليت شعري هل دروا أي قلب ملكوا
وفـــؤادي لو درى أي شعب سلكوا
أتراهُم سلِمُـــوا أم تراهُم هَلكوا
حارَ أربابُ الهـــوى في الهوى وارتبكوا »

وهي أبيات ذات نفَس صوفي أكسبها رقة وطلاوة ولا يستطيع ناقد أن يلمزها بأنها شعر فقيه ، وهو يعني أنها ليست بذلك من حيث الصنعة البيانية . توفي ابن العربي رحمه الله سنة ٥٤٣ وقبره بفاس معروف .

القاضي عياض

أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليَحصُبي السبتي ، إمام وقته في الفقه والحديث وعلومها والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم . وصفه ابن الأبار فقال : «كان جمال العصر ومفخر الأفق وينبوع المعرفة ومعدن الإفادة ، واذا عدت رجالات المغرب فضلاً عن الأندلس حسب فيهم صدراً» وقد ألف فيه العلامة المقري كتاب أزهار الرياض في أربعة مجلدات وهو معروف ، طبع منه ثلاثة مجلدات ، وللقاضي عياض تصانيف سارت بها الركبان ، منها كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفى . أبدع فيه كل الإبداع واكتسب شهرة في العالم الإسلامي كاد يصير بها من الكتب المقدسة نظراً لشرف موضوعه ، ومنها كتاب مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم وضبط الألفاظ والتنبيه على الأوهام والتصحيفات وضبط أسماء الرجال وهو كتاب فريد لا نظير له . ومنها كتاب ترتيب المدارك

وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك ويُعرف عادة بالمدارك ، وغير هذه من مؤلفاته المحررة العظيمة الفائدة في الفقه والحديث وفنونها وفي التاريخ والأدب وكانت له ملكة قوية في الإنشاء ، وقريحة سيالة في الشعر . ومن قوله في خامات زَرْع بينها شقائق النعمان هبت عليها رياح :

انظُر الى الزرع وخاماتِه تحكي وقد ماستْ أمامَ الرياح
كتيبةً خضراء مهزُومـــةً شقائقُ النُّعمان فيها جراح

وهو بديع . والخامةُ القصبة الرطبة من الزرع .

وله في وداع قرطبة :

أقول وقد جد ارتحالي وغردت حُداتي وزُمَّتْ للفراق ركائبي
وقد غَمِيضت من كثرة الدمع مقلتي وصارت هواء من فؤادي ترائبي
ولم تبق إلا وقفة يستحثهـــا وداعيَ للأحبـــاب لا للحبائب
رعى الله جيراناً بقرطبةَ العُلا وسقّى رُباها بالعهاد السواكب
وحيّا زماناً بينهم قد ألِفْتُه طليقَ المحيا مُستلانَ الجوانب
أإخوانَنا بالله فيها تذكـروا معاهد جار أو مودة صاحب
غدوتُ بهم من برِّهم واحتفائهم كأنيَ في أهلي وبين أقاربي

ولست بحاجة الى التنبيه على ما في هذه الأبيات من دقة الوصف لحركة السفر ، وشدة اللوعة لفراق الأحبة ـ وهذا الاستدراك الجميل والحَذِر في قوله (للأحباب لا للحبائب) خشيةَ أن يُفهم ما لا يليق بكرامته العلمية ، وهو في دار الغربة ، مما يدل أعظم الدلالة على حسن تصرف الشاعر وتملكه لناصية التعبير عما في ضميره وأدائه للمعنى المراد بكل سهولة وبكل براعة أيضاً . وتلك هي الغاية التي يتطلع اليهـــا فحول الشعراء حتى من غير أصحابنا الفقهاء . وقد توفي القاضي عياض سنة ٥٤٤ ودفن بمراكش وقبره بهـــا معروف .

فهؤلاء أربعة فقهاء من المغرب والأندلس كلهم قالوا الشعر الجيد الذي لا يقصر عن شعر أي شاعر مجيد، غير فقيه، سواء في الشكل أو المضمون، وإذا أضفنا اليهم أبا الفضل بن النحوي وهو الذي بُنِيَ هذا البحث على شعره، وقد قدمنا نماذج منه، كانوا خمسة، ونحن انما اقتصرنا على هذا العدد القليل رغبة في الاختصار ومناسبة العدد الذي ذكرناه من فقهاء المشرق الشعراء، وإلا فهم أكثر من أن يحصيهم بحث مقتضب مثل هذا.

عبد الله كنون

الاصطلاحات الفلسفية

- ٢٣ -

الدائرة والدور

في الفرنسية	Cercle
في الانكليزية	Circle
في اللاتينية	Circulus

الدائرة عند علماء الرياضيات سطح مستوٍ أحاط به خط مستدير في داخله نقطة تسمى بالمركز ، تكون جميع نقاط ذلك الخط المستدير المسمّى بالمحيط متساوية البعد عنها ، أو هي المحل الهندسي لنقاط المستوي الواقعة على بعد معلوم من منطقة معلومة تسمى مركز الدائرة .

والدائرة في المنطق مرادفة للدور ، وتطلق على العلاقة الموجودة بين الحدين اللذين يمكن تعريف كل منهما بالآخر ، أو على العلاقة الموجودة بين الشرطين اللذين يتوقف صدق أحدهما على صدق الآخر .

فالدور إذن هو توقف كل واحد من الشيئين على الآخر . وينقسم الى دور علمي وهو توقف العلم بكل من المعلومين على الآخر ، ودور إضافي ، وهو تلازم الشيئين في الوجود ، بحيث لا يكون أحدهما إلاّ مع الآخر ، ودور مساو ، وهو توقف كل من المتضايفين على الآخر . وإذا كان التوقف في كل الشيئين بمرتبة واحدة كان الدور مصرحاً كتوقف (أ) على (ب) وبالعكس . وإذا كان التوقف بمراتب كان الدور مضمراً كتوقف (أ) على (ب) ، و (ب) على (ج) ، و (ج) على (أ) .

والدور الفاسد (Cercle vicieux) عند المناطقة هو الخطأ الناشىء عن توقف برهان كل من الشيئين على البرهان على الآخر . فاذا برهنت على شيء مثل (أ) بشيء آخر مثل (ب) وكان البرهان على (ب) مستنداً الى البرهان على (أ) وقعت في الدور الفاسد .

وكثيراً ما يسمى هذا الدور الفاسد دائرة وهذا خطأ ، لأنه يمكن أن يكون هناك دائرة يتوقف فيها أحد الشيئين على الآخر من غير أن تكون فاسدة كالحالات التي يمكن البرهان فيها على (ب) بـ (أ) وبغير (أ) . وهذه الحالات كثيرة في العلوم الرياضية ، لأن كل واحدة من القضيتين المتقابلتين (أي النظرية وعكسها) يمكن أن تكون صحيحة ومستخرجة من الأخرى .

الداخل والداخلي

في الفرنسية	Interieur , interne
في الانكليزية	Internal
في اللاتينية	Interior

الداخل والداخلي نقيض الخارج والخارجي ، والداخل من كل شيء باطنه ، وداخلة الإنسان نيته ، ومذهبه ، وباطن أمره .

ويطلق الداخلي في علم النفس على أحوال الشعور أو على الشعور نفسه ، ومنه الإدراك الداخلي ، والكلام الداخلي .

والحياة الداخلية هي الحياة النفسية ، وإذا كانت الأفعال صادرة عن الوجود نفسه سميت بالأفعال الداخلية .

والحياة الداخلية أيضاً هي الحياة القائمة على التأمل والتجرد (راجع : الخارج ، والخارجي) .

الدحض

في الفرنسية Réfutation

في الانكليزية Refutation

في اللاتينية Refutatio

دحض الحجةَ أبطلها ودمغها ، والدّحض هو الاستدلال على بطلان الشيء . والفرق بينه وبين الاعتراض أن الاعتراض يقتصر على إبراز نواحي الضعف في القول من غير أن يبرهن على بطلانه ، على حين أن الدحض يبطله ويدفعه . والحجة الداحضة هي الحجة الباطلة .

الدرجة

في الفرنسية Degré

في الانكليزية Degree

الدرجة المرقاة والرتبة . وفي علم الفلك جزء من ثلاثمائة وستين جزءاً من دورة الفلك . وفي علم الرياضيات قسم من التسعين قسماً المتساوية التي تنقسم اليها الزاوية القائمة . ودرجة الحرارة أو الرطوبة جزء من أجزاء القياس الخاص بها . وقد تكون طبيعة الشيئين واحدة ، ودرجة أحدهما مختلفة عن درجة الآخر . والفرق بين الشيئين المختلفي الطبيعة أعظم من الشيئين المختلفي الدرجة .

الدفع

في الفرنسية Impoulsion

في الانكليزية Impulse

في اللاتينية Impulsio

دفع الى المكان انتهى اليه ، ودفع عنه رحل عنه ، ودفع الشيء نحّاه وأزاله بقوة . ودفع القول ردّه بالحجة ، ودفع فلاناً الى كذا اضطره . وقيل الدفع صرف الشيء قبل وروده ، كما أن الرفع صرف الشيء بعد وروده ، واذا عدّي دفع بإلى فمعناه الإنالة نحو : « فادفعوا اليهم أموالهم » ، وإذا عدّي بعن فمعناه الحماية نحو : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » .

والدفع في اصطلاحنا هو النزوع الى الفعل ويرادفه الميل والجذب والغريزة والإثارة ، وضده المنع . وتسمى القوة النفسية التي تدفع الى الفعل بالدافعة ، ويطلق على صاحبها اسم المندفع (Impulsif) ، وهو الذي يندفع الى الفعل بلا تفكير ولا مقاومة . واذا فقد المرء قوة الدفع تعطلت أفعاله الإرادية ، كما انه اذا ازدادت قوة اندفاعه كان كما يقول امرؤ القيس :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخر حطه السيل من علِ

ومعنى ذلك ان الافراط في الاندفاع يخرج المرء من الحالة السوية فيجعله عاجزاً عن الحكم على نفسه بارادته . وشدة الاندفاع قد تنشأ عن الافراط في الميل ، أو عن تقصير الإرادة في المنع ، أو عن كليهما معاً .

والدافع (Motif) عند علماء النفس هو المحرك ، ويطلق على كل سبب عقلي يحدث فعلاً إرادياً ، أو على كل حالة نفسية تغلب فيها العناصر العقلية وتولد بذلك لذاتها فعلاً إرادياً معيناً (راجع لفظي : باعث ، وسبب) .

والدافعة عند الأطباء هي القوة التي تدفع الفضول .

الدقيق والدقة

في الفرنسية	Précis , Précision
في الانكليزية	Precise , Precision
في اللاتينية	Praecisio

دق الشيء دقة صغر ، وصار خسيساً حقيراً ، وغمض وخفي معناه فلا يفهمه الا الأذكياء . والدقيق ضد الغليظ . ودقق في الحساب استعمل الدقة ، وأنعم النظر فيه .

ويطلق الدقيق (Précis) في اصطلاحنا على المعنى الذي حدد شموله (أي ما صدقه) ومفهومه تحديداً واضحاً . فهو إذن ضد الغامض والمبهم ، ويرادفه المحكم والصحيح والصريح .

وفرقوا بين الدقيق والصحيح فقالوا ان الصحيح مطابق للمعقول والمحسوس معاً فهو إذن تام ، على حين أن الدقيق قد يكون محكماً ولا يكون صحيحاً . ان دقة الخبر لا تكفي للبرهان على صحته ، كما أن الخبر المبهم الغامض قد يكون صحيحاً ، ولا يكون دقيقاً . وكثيراً ما ينخدع الناس بدقة الخبر فيظنونه صحيحاً مع أن دقته لا تدل إلا على سعة خيال راويه .

وقد بين (غوبلو) ان بين الدقيق والصحيح فرقاً آخر . وهو انك اذا أطلقتهما على الكميات كان الصحيح تاماً لا يقبل الزيادة والنقصان وكان الدقيق بضد ذلك . مثال الصحيح في علم الهندسة : مساواة زوايا المثلث الداخلية لزاويتين قائمتين ، ومثال الدقيق في تقدير المسافات بلوغ أكبر درجة من الضبط . لذلك سميت العلوم الرياضية بالعلوم الصحيحة وسميت الآلات المستعملة في علم الفيزياء بالآلات الدقيقة ، ومع ذلك فقد يكون للدقيق

والصحيح معنى واحد كما في علم التاريخ : تقول ان تاريخ هذه الحادثة دقيق أي صحيح ومحكم .

وفرقوا أيضاً بين التدقيق والتحقيق فقالوا ان التدقيق إثبات الدليل بالدليل على حين أن التحقيق إثبات المسألة بالدليل .

الدلالة

في الفرنسية Dénotation , désignation

في الانكليزية Denotation

واللفظان مشتقان من اللفظ اللاتيني Denotare

الدلالة هي أن يلزم من العلم بالشيء العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول ، فان كان الدال لفظاً كانت الدلالة لفظية ، وان كان غير ذلك كانت الدلالة غير لفظية . وكل واحدة من اللفظية وغير اللفظية تنقسم الى عقلية ، وطبيعية ووضعية .

فالدلالة العقلية هي أن يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية تنقله من أحدهما الى الآخر كدلالة المعلول على العلة . والدلالة الطبيعية أن يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية تنقله من أحدهما إلى الآخر كدلالة الحمرة على الخجل والصفرة على الوجل . والدلالة الوضعية أن يكون بين الدال والمدلول علاقة الوضع كدلالة اللفظ على المعنى المجازي .

وتنقسم الدلالة اللفظية الوضعية الى المطابقة والتضمن والالتزام (تعريفات الجرجاني) ومعنى ذلك أن اللفظ يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة ، وعلى جزئه بالتضمن وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام . كالمثلث فانه يدل

على الشكل المؤلف من ثلاثة أضلاع وثلاث زوايا بالمطابقة ، وعلى المتساوي الساقين بالتضمن ، وعلى مساواة زواياه الداخلية لزاويتين قائمتين بالالتزام .

ودلالة الحد في المنطق مطابقة لشموله كالإنسان فانه يدل على زيد وعمر وبكر الخ .

الدليل

في الفرنسية	Preuve
في الانكليزية	Proof
في اللاتينية	Proba

الدليل هو الحجة والبرهان ، وهو ما دل به على صحة الدعوى . والدليل في اللغة هو المرشد ، وما به الإرشاد ، وما يستدل به . وله عند الأصوليين معنيان : أحدهما ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب خبري ، وهو يشمل القطعي والظني . والثاني ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بمطلوب خبري . وهذا يخص بالقطعي . والمعنى الأول أعم من الثاني مطلقاً .

والدليل في اصطلاحنا هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، وغايته أن يتوصل العقل الى التصديق اليقيني بما كان يشك في صحته .

وقد يكون الدليل قياساً أو برهاناً كما في الانتقال من الكلي الى الكلي أو من الكلي الى الجزئي ، أو يكون استقراء كما في الانتقال من الجزئي الى الكلي ، أو تمثيلاً كما في الانتقال من الجزئي الى الجزئي .

وقد يكون الدليل مرشداً كما في دلالة العالم على الصانع ، أو أمارة كما في دلالة الحمرة على الخجل . والدليل عند الأطباء أمارة يهتدون بها الى معرفة المرض . لذلك كان الدليل بهذا المعنى جانب تجريبي ، لأن الأمارات

والوثائق والإشارات ، والصكوك والشهادات والحوادث ليست سوى أشياء مادية يتوصل بها الى العلم بالمطلوب . وكثيراً ما يكفي في المسائل الحقوقية إثبات الشيء بإيراد دليل مادي عليه ، إلا أن هذه الدلالة التجريبية لا تقوم على إيراد الوثائق المادية فحسب ، بل تقوم على فعل العقل الذي يستخدم هذه الوثائق .

وفرقوا بين الدليل والقياس بقولهم : إن القياس هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى العلم بالعلاقة الضرورية الموجودة بين المقدمات والنتائج ، على حين أن الدليل قد يقوم على إيراد حادثة أو وثيقة أو شهادة تزيل الشك في صحة المطلوب .

والخلاصة ان الدليل هو ما يمكن التوصل به إلى معرفة الحقيقة ، وهو إما أن يكون قطعياً كما في العلوم الرياضية ، أو تحقيقياً كما في العلوم الطبيعية والإنسانية .

والدليل غير المباشر (Preuve indirecte) هو إثبات أحد الفروض المتعلقة بالموضوع بإبطال جميع الفروض الأخرى الممكنة ، مثال ذلك قولنا : إما أن يكون موت هذا الرجل طبيعياً ، واما أن يكون نتيجة قتل أو انتحار ، فاذا أبطلنا فرضية الموت الطبيعي والقتل لم يبق هنالك إلا فرضية واحدة ، وهي الانتحار ، فيكون البرهان على الانتحار دليلاً غير مباشر .

والدليل الوجودي (Preuve ontologique) هو إثبات وجود الله بتحليل تصورنا لذاته ، وخلاصته أن الله كامل أي متصف بجميع الكمالات ، ولما كان الوجود أحد هذه الكمالات كان لا بد من أن يكون الله موجوداً .

الدوام

في الفرنسية Permanence

في الانكليزية Permanence

دام يدوم دواماً ثبت وامتد واستمر ، يقال دام المطر : تتابع نزوله . والدوام بقاء الشيء على حاله في الزمان المتغير ، ويطلق في زماننا على الزمن الذي يجب على المستخدم قضاؤه في الديوان (المعجم الوسيط) . والدائم هو الله تعالى . والديوم الدائم .

ومبدأ الدوام أو الاستمرار عند (كانت) أولى مماثلات التجربة، وهو يسميه أيضاً مبدأ دوام الجوهر (Principe de la permanence de la substance) ، قال : ان جميع الظواهر تتضمن شيئاً دائماً ، وهو الجوهر أو الموضوع ، وشيئاً متغيراً ، وهو سلسلة الأحوال التي تتعاقب على الجوهر وتحدد كيفية وجوده .

الديمومة

في الفرنسية Durée

في الانكليزية Duration

وهما مشتقان من اللفظ اللاتيني Durare

الديمومة هي الزمان فاذا أطلقت على الزمان المحدود سميت مدة ، واذا اطلقت على الزمان الطويل الأمد ، الممدود ، سميت دهراً . لأن الدهر هو الأمد الدائم ، أو مدة العالم ، وهو باطن الزمان ، وبه يتحد الأزل والأبد (تعريفات الجرجاني) ، ومنه الدهري ، وهو الذي يقول : العالم موجود

أزلاً وأبداً لا صانع له ، إن هي إلا حياتنا الدنيا ، نموت ونحيـــا ، وما يهلكنا إلا الدهر .

ومن معاني الديمومة انها تطلق على جزء من الزمان المطلق ، فتكون حينئذ زمان فعل أو زماناً فاصلاً بين فعلين ، ويكون الزمان المطلق محيطاً بهما إحاطة الكل بالجزء .

والديمومة في فلسفة (هنري برغسون) معنى خاص ، وهي الزمان النفسي ، أو الزمان الداخلي ، وتسمى حينئذ بالديمومة المحضة ، أو الديمومة الحقيقية ، أو الديمومة المشخصة ، وهي تدخل في مقولة الكيف ، لا في مقولة الكم ، والفرق بينها وبين الزمان أنها لا تقاس كما يقاس الزمان الرياضي أو الزمان الفيزيائي ، وان لحظاتها تتجدد بدون انقطاع ، وانها مستقلة عن المكان ، وان لحظاتها المتعاقبة تدخل بعضها في بعض حتى تؤلف كتلة واحدة ، فهي اذن زمان مشخص ، لا زمان مجرد بخلاف الزمان العلمي والرياضي المنقسم الى وحدات متساوية .

الدولة

في الفرنسية	Etat
في الانكليزية	State
وهما مشتقان من اللفظ اللاتيني	Status

الدولة في اللغة : الاستيلاء ، والغلبة ، والشيء المتداول فيكون مرة لهذا ومرة لذاك . والدولة في الحرب بين الفئتين أن تلزم هذه مرة وهذه مرة ، ودالت الأيام دارت ، والله يداولها بين الناس . والدول انقلاب الدهر من حال الى حال ، (راجع لفظ الحال) .

والدولة في الاصطلاح جمع من الناس مستقرون في أرض معينة مستقلون وفق نظام خاص ، أو هي مجتمع منظم له حكومة مستقلة وشخصية معنوية تميزه من غيره من المجتمعات المماثلة له . فالدولة إذن هي الجسم السياسي والحقوقي الذي ينظم حياة مجموع من الأفراد يؤلفون أمة . والفرق بين الدولة والأمة أن الدولة هي الأمة المنظمة ، على حين أن الأمة جماعة من الناس تجمعهم صفات واحدة ومصالح وأماني وأهداف مشتركة .

ويطلق لفظ الدولة أيضاً على مجموع المصالح والادارات العامة ، وهو بهذا المعنى مضاد للولاية والمديرية والعمالة وغيرها من الألفاظ الدالة على الإدارات الاقليمية والمحلية ، ويكون للدولة أملاك عامة بخلاف الأملاك الفردية ، وأملاك الدولة الخاصة [1] . (راجع لفظ الحكومة) .

الدين

في الفرنسية Religion

في الانكليزية Religion

في اللاتينية Religio

الدين في اللغة العادة والحال والسيرة والسياسة والرأي والحكم والطاعة والجزاء ومنه : مالك يوم الدين ، وكما تدين تدان .

ويطلق الدين عند فلاسفتنا القدماء على وضع إلهي يسوق ذوي العقول الى الخير . والفرق بين الدين والملة والمذهب ، أن الشريعة من حيث أنها مطاعة تسمى ديناً ، ومن حيث أنها جامعة تسمّى ملة ، ومن حيث أنها

(١) ففي الدولة الأملاك العامة (Domaine public) ، وأمـلاك الدولة الخاصة (Domaine privé de l'État) ، وأملاك الأشخاص (Propriété privée) . (اللجنة)

يرجع اليها تسمّى مذهباً . وقيل : الفرق بين الدين ، والملة ، والمذهب ، أن الدين منسوب الى الله تعالى . والملة منسوبة الى الرسول ، والمذهب منسوب الى المجتهد . وكثيراً ما تستعمل هذه الألفاظ بعضها مكان بعض . ولهذا قيل انها متحدة بالذات ، ومتغايرة بالاعتبار . ويطلق لفظ الدين أيضاً على الشريعة ، وهي السنة ، أي ما شرعه الله لعباده من السنن والأحكام .

وللفظ الدين في الفلسفة الحديثة عدة معان :

١ — الدين جملة من الإدراكات والاعتقادات والأفعال الحاصلة للنفس من جرّاء حبها لله ، وعبادتها اياه ، وطاعتها لأوامره ومذاهبه .

٢ — والدين أيضاً هو الإيمان بالقيم المطلقة والعمل بها ، كالإيمان بالعلم ، أو الإيمان بالتقدم ، أو الإيمان بالجمال ، أو الإيمان بالإنسانية ، ففضل المؤمن بهذه القيم كفضل المتعبّد الذي يحب خالقه ويعمل بما شرعه ، لا فضل لأحدها على الآخر إلا بما يتصف به من تجرّد وحب وإخلاص وإنكار للذات .

٣ — والدين الطبيعي (Religion naturelle) اصطلاح أطلق في القرن الثامن عشر على الاعتقاد بوجود الله وخيريته ، وبروحانية النفس وخلودها ، وبالزامية فعل الخير من جهة ما هو ناشيء عن وحي الضمير ونور العقل . والفرق بين هذا الدين الطبيعي والدين الوضعي (Religion positive) : ان الأول قائم على وحي الضمير والعقل ، على حين أن الثاني قائم على وحي إلهي يقبله الإنسان من الأنبياء والرسل .

٤ — وإذا أطلق لفظ الدين على الملة دلّ على جماعة معينة من الناس هدفها تمجيد الله وعبادته كالدين المسيحي فهو ملة ذات نظام خاص ، لها قوانينها وتقاليدها وتعاليمها .

ه — والدين أيضاً مؤسسة اجتماعية تضم أفراداً يتحلون بالصفات الآتية :

آ — قبولهم بعض الأحكام المشتركة وقيامهم ببعض الشعائر .

ب — ايمانهم بقيم مطلقة وحرصهم على توكيد هذا الإيمان وحفظه .

ج — اعتقادهم ان الانسان متصل بقوة روحية أعلى منه ، مفارقة لهذا العالم أو سارية فيه ، كثيرة أو موحّدة .

٦ — ومن معاني الدين عند الفيلسوف الاجتماعي (دوركهايم) انه مؤسسة اجتماعية قوامها التفريق بين المقدس وغير المقدس ، ولها جانبان أحدهما روحي مؤلف من العقائد والمشاعر الوجدانية والآخر مادي مؤلف من الطقوس والعادات .

جميل صليبا

الشاعر أبو طاهر

محمد بن حيدر البغداديّ

وكتاب « قانون البلاغة » المنسوب اليه

« قانون البلاغة » كتاب عنوانه يدلّ على موضوعه ، يعزى تأليفه الى « أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي » من شعراء العصر العباسيّ الوسيط ، ويمتاز بجمال الأسلوب وبلاغة العبارة ، وبعظم الفائدة وحسن الإمتاع مع صغر جِرْمه .

وقد كان هذا الكتاب إلى نحو أربعين سنة خلت مجهول الرسم والاسم عند جمهرة الباحثين والدارسين للبلاغة العربية ، فكشف عنه « المجمع العلمي العربيّ » ، وأتاح للناس الاطّلاع عليه والإفادة منه بنشره له في مجلته . وقد وجد نسخته الفذة النادرة نائمة في رفوف « دار الكتب » بدمشق ، وعلى ظهرها اسم مؤلفه : « فخر الدين أبي طاهر محمد بن حيدر البغدادي » ، فكانا غريبين عليه ، وأراد تعرّف خبرها ، فنقب عن الكتاب في فهارس المكتبات الكبرى في الشرق والغرب عسى أن يظفر بنسخة ثانية تعزّز النسخة الدمشقية ، فلم يقع فيها على ذكر له . ونقب عن المؤلف ، الذي عُزي اليه الكتاب ، في كتب التراجم والتاريخ ، وأطال فيها تنقيبه ، فلم يقع فيها على خبره كذلك .

وبعد هذا وذاك لجأ الى الاستنباء عنها من العلماء والأدباء ، وأعلن ذلك في مجلته مراراً ، فلم يحْلَ من أحد بطائل . وعاوده الأمل في الظفر بخبر المؤلف إذا هو عاود التنقيب عنه كرة ثانية ، وبعد لأْيٍ أُتيح له العثور على هذا الخبر في كتاب تركي ، فرأى عجباً أن تهمل الكتب العربية أديباً وكاتباً بليغاً من أعلام العرب ، ويذكره كتاب تركي !

ولكن ترجمة أبي طاهر البغدادي ، في هذا الكتاب التركيّ المسمّى « قاموس الأعلام » ، كانت مختصرة جداً لا تبلُّ غليل ظمآن ، فكلّ ما تضمنته اسمه ونسبته ووفاته وثلاثة أبيات من شعره . أما كتاب « قانون البلاغة » المعزوّ اليه في نسخة دار الكتب الدمشقية ، فلم يذكر له في هذه الترجمة .

وعند آخر مطافه هذا ، وقد قطع أمله في الظفر بالمزيد من أخبار المؤلف كما قطع أمله في الحصول على نسخة ثانية من الكتاب ، بادر فنشر الكتاب مُنجّماً في أجزاء المجلد السابع من مجلة الزهراء هذه .

وها قد مضى على ذلك حَرْس من الدهر ، ولم أرَ من نَبَس بحرف عن هذا الكتاب البليغ ، ولا عن مؤلفه ، وهو كما يبدو من قوة أسلوبه وبلاغة عبارته ، من أعلام الكتاب الذين جرت الفصحى على أسَلات أقلامهم أعذبَ ما تكون عذوبةً وسلاسة وحلاوة أستغفر الله ! فإن الشيطان لا سبيل له الى أن ينسيني أن أذكر ترجمة صديقي الأستاذ خير الدين الزركلي لهذا المؤلف في كتابه « الأعلام » (الذي هو في اللغة العربية صنو « قاموس الأعلام » في اللغة التركية ، ولكنه يُبرّ عليه من وجوه ، غيرَ أنه لم يخرج عن حدوده في إيجازه كما تقتضيه طبيعة كتابه الذي يترجم لآلاف من الأعلام في مختلف العصور) ، فسماه ونسبه وعيّن سنة وفاته ، وحذف الأبيات الثلاثة التي ساقها « قاموس الأعلام » من شعر المترجم ، وعوض عنها الإشارة

إلى شعره في « فوات الوفيات » ، ثم ذكر ما أفاده من مجلة المجمع العلمي العربي من تلقيبه بفخر الدين ومن عزْوِ « قانون البلاغة » ، وأضاف شهادته له بأنه شاعر رقيق وكاتب من بلغاء الكتاب . وعندي أن تلقيبه والقطع بنسبة هذا الكتاب اليه ، أمران موقوفان على ما يعزّزهما من كتاب موثوق به . فالكتب التي ترجمت لأبي طاهر ، كما سأذكرها ، لم تورد لقبه هـــذا ، ويمكن التثبت منه بالرجوع إلى « تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب » لابن الفُوَطيّ ، في باب « فخر الدين » ، ولم ينشر بعد . ونسبه « قانون البلاغة » اليه ، استناداً إلى ما كتب على ظهر نسخة « دار الكتب » الدمشقية ، لا تقبل في مذاهب التحقيق العلمي إلا بما يصححها من روايات الثقات الأثبات ، ولو كان ذلك من طريق رواية صحيحة واحدة في أصعب الأحوال . وعلى إثبات هذا ، يتوقف إطلاق الشهادة له بأنه كاتب من بلغاء الكتاب .

هذا كل ما جَدّ في أمر أبي طاهر البغدادي خلال أربعين سنة خلت ، وليس حقاً أن يهمل بحثه اكتفاءً بألفاظ معدودات فيه في « قاموس الأعلام » و « الأعلام » ، سواء أكان هو مؤلف « قانون البلاغة » أم كان مؤلفه غيره من الناس .

ومثل هذا الرجل ، وهو من أعيان شعراء زمانه ، ليس معقولاً أن تهمله المؤلفات العربية ـ إطلاقاً ـ كما خيّل لكاتب المجمع قديماً ، بسبب من بقاء هذه المؤلفات مخطوطةً مطمورة في زوايا المكتبات ، أو بسبب آخر غيره .. ومن هذا الظن في المؤلفات العربية تسنّى لي ، وقد أودعتُ ذاكرتي اسم الرجل منذ أصبته في مجلة المجمع ، أن أظفر بطائفة من كتب التاريخ والتراجم وهي تذكره وتورد بعض شعره ، وهو وإن كان دون ما أطمع فيه ، إلا أنه يلقي عليه شيئاً من الأضواء ، يوضح بعض سمات حياته ، ويزيدنا معرفةً به وبشعره .

هذه المؤلفات العربية التي تذكره ، هي :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، لأبي المحاسن بن تغري بردي (٨١٣ — ٨٧٤ هـ) ، وقد ذكرته في وفيات سنة ٥٦١ هـ بإيجاز شديد ، اقتصر على كنيته واسمه واسم أبيه وجده ، وتذييل هذا بيت واحد من شعره لا غير .

وفوات الوفيات ، لمحمد بن شاكر الكتبي (٠٠٠ — ٧٦٤ هـ) . وقد أوجز كذلك ذكره ، فكناه وسماه وأباه ، وعين تاريخ وفاته سنة ٥١٧ هـ ، ولكنه أهمل نسبته إلى بغداد ، ثم أورد من شعره ستة عشر بيتاً .

والوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (٦٩٦ — ٧٦٤ هـ) ، وقد ذكر كنيته واسمه واسم أبيه ونسبته إلى بغداد وتاريخ وفاته سنة « عشرة ؟ ومئة » ، وأورد من شعره سبعة عشر بيتاً .

وخريدة القصر وجريدة العصر ، للعماد الكاتب القرشي الأصفهاني (٥١٩ — ٥٩٧ هـ) ، وقد ذكرت كنيته ، وساقت نسبه إلى جده الثاني ، ونسبته إلى بغداد ، وأشارت إلى بعض ملامحه الخلقية ، وذكرت محلته ببغداد ، وقصت بعض أحاديث معاصريه عنه ، وأوردت أمثلة من شعره تواردت في قليل منها مع فوات الوفيات والوافي بالوفيات ، وجاءت بأشياء أخرى جديدة لم يعرفاها ، أو هما عرفاها ولم يذكراها .

كذلك ترجمت له كتب أخرى لا تزال مخطوطة رهن رفوف المكتبات ، ومنها :

تاريخ محب الدين ابن النجار البغدادي المشهور (٥٧٨ — ٦٤٣ هـ) بدلالة ما نقله عنه من نماذج شعر الشاعر كل من فوات الوفيات والوافي بالوفيات .

ولعل صلاح الدين الصفدي ، مؤلف الوافي بالوفيات ، لم يغفله في كتابه « الشعور بالعُور » الذي ما زال مخطوطاً حبيس بعض المكتبات ، ذلك

بأن شاعرنا هذا كان مُمَتّعاً بعين واحدة على ما ذكرت « خريدة القصر [١] » ، وهو الوصف الوحيد من ملامحه حلت لها الإشارة اليه !

وما أحاول الاستقصاء لهذه المخطوطات ، لأنها غير ميسورة لي ، وأدَعُ التنقيب فيها عن الشاعر لمن يمتلكونها ممن لهم في البحث هوىً ورغبة ، راجياً أن يوفقوا لكشف جديد يذيعونه وينفعون به ، إضافةً إلى ما أقدمه في هذه الدراسة الجديدة للشاعر على قدر ما تهيأ لي من موادَّ ، جمعت فيها بين ما أوردته مصادرها ، وما لزم من تحريرها وتمحيصها والإبانة عن دلالاتها على نمط حياة الشاعر ومزاجه وطبيعة شعره وفنه .

★ ★ ★

أمّا نسب الشاعر ، فأتمُّ ما ذُكر منه هو ما جاء في « خريدة القصر » : « أبو طاهر ، محمد ، بن حيدر ، بن عبد الله ، بن شعيبان ، البغدادي » . على أن جده « عبد الله » قد أُهمل في بعض النسخ ، وثبت في بعض آخر كما ثبت في « النجوم الزاهرة » . وأما جده الثاني « شعيبان » ، فقد حرف في بعض نسخ ، خريدة القصر إلى « شسعان » ، وفي أخرى إلى « شعشمان » ، وما أراها إلا « شعيبان » التي وردت في نسخة ثالثة أصح من هاتين النسختين . وهو في « النجوم الزاهرة » : « شعبان » ، ولكن تعدد صيغة في « خريدة القصر » بما يقرب من « شعيبان » يرجح عندي رواية التصغير هذه .

(١) قال العماد الكاتب (خريدة القصر ، قسم شعراء العراق : ٢/ ٢٢٠) : « يسكن سوق الثلاثاء . أعور » هكذا لفظه . والعرب ، وهم أهل بادية وجفاء عيش ، كان فيهم من يتلطفون بذكر العاهات ، فيقولون للأعور « الأحول » كما يقولون للأسود « أبو البيضاء » ، وللأعمى « البصير » و « أبو بصير » . وذكر أبو منصور الأزهري : أنه رأى في البادية امرأة عوراء ، يقال لها « حولاء » . وعامّة أهل العراق لعهدنا هذا إذا ذكروا هذه العاهة ، يتحاشون هذا اللفظ الجافي ، وينعتون صاحبها بـ « كريم العين » ، وهو تعبير رشيق مهذب .

وكان أبو طاهر يعرف في بغداد بـ « ابن شعبان » على ما ذكرت « النجوم الزاهرة » ، أو بـ « ابن حيدر » على ما حكى العماد الكاتب في « خريدة القصر » عن صديقه عمر بن الواسطي الصفّار ، وكان في صغره قد عاد الشاعرَ في مرض موته ، فسماه « ابن حيدر » معرفاً بأبيه . وهذه التسمية أحقّ بالقبول من تسميتِهِ « بابن شعبان » ، لأنها رواية رجل من أهل الصقع الذي يسكنه الشاعر ، وأهل « مكة » أدرى بشعابها ، وصاحب « النجوم الزاهرة » خطّته بعيدة عن خطة العراق ، ولطالما رأينا وسمعنا الشنيع من تحريف الأسماء وحكاية غير الصحيح في زماننا هـذا مع شدة الالتحام والتقارب بالعلاقات والمودّات وتعدد وسائل النشر الحديثة وكثرتها ، فكيف يكون الأمر إذا رجعنا به إلى القرن السادس الهجري الذي لم يملك شيئاً من هذا ذا غَناء ؟

وقد عاش الشاعر ببغداد في القرن الخامس الهجري وبعض القرن السادس ، ويظهر أنه من صميم أهل بغداد ، فنُسب اليها ، وليس بالطارئ عليها . وكان يسكن محلة بها تسمى « سوق الثلاثاء » ، وموضعها في خطط بغداد كانت تقام عليه سوق لأهل كَلواذَى وأهلِ بغداد ، قبلَ أن يمصّر « أبو جعفر المنصور العباسي » بغداد (١٤٦ هـ — ١٤٨ هـ) ، في كل شهر مرةً يومَ الثلاثاء . فنُسب إلى اليوم الذي كانت تقام فيه السوق ، وقد أدركها ياقوت الحموي في القرن السابع الهجري وهي سوق بزّ بغدادَ الأعظم » . ولا وجود لها لعهدنا .

ولا يُدرَى كم عاش من العمر ، إذْ كان تاريخ مولده مجهولاً ، وإنما استدللت على عصره بتاريخ وفاته ومَنْ عاصر من عظماء زمانه ، وقعت وفاته في زمن « المسترشد بالله العباسي » ، ونَصّ الوافي بالوفيات — في نسخته المطبوعة — على أنها « سنة عشرة (كذا) وخمس مئة » ، وهو خطأ سيأتي

توضيحه ، والصحيح أنها سنة سبع عشرة وخمس مائة كما جاء في « فوات الوفيات » . ومن أبين الخطأ ذكرُ ابن تغري بردي له في « النجوم الزاهرة » في وَفَيات سنة إحدى وستين وخمس مئة ، ولو صحّ هذا ـ ولم يصحّ بالطبع ـ لعددنا أبا طاهر من رجال القرن السادس الهجري ، وأحسب أن مؤلف « النجوم الزاهرة » قد سبق هذا الوَهْم إلى وَهمِه مما حدّث به العماد الكاتب في « خريدة القصر » عن صديقه « عمر بن الواسطي » ، وقد ذكر له ببغداد ـ سنة إحدى وستين [وخمس مئة] ـ أنه دخل على « ابن حيدر » الشاعر ، في أيام المسترشد ، وهو ـ أي « عمر بن الواسطي » ـ صغير ، وعنده جماعة يعودونه في مرضه الذي مات فيه ، وهو يُنْشد ، فحفظ بعد ذلك ما أنشده من بعض الحاضرين فسبق إلى وَهمه (أي ابن تغري بردي) من هذا النص ، على افتراض اطلاعه عليه وهو ما أرجح ، أن وفاة الشاعر كانت في سنة إحدى وستين وخمس مئة ، وغفل عن ذكر المتحدث أيامَ « المسترشد » ، أي خلافته ، وهي كما يحدثنا التاريخ تبدأ باليوم السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ٥١٢ هـ (٧ آب ١١١٨ م) ، وتنتهي باغتيال الباطنيين له في خيمته وهو في أسر « مسعود السلجوقي » على أبواب « مَراغة » في اليوم السابع عشر من ذي القعـــدة سنة ٥٢٩ (٣٠ آب ١١٣٥ م) . فلا يصح ، والحالةُ هذه ، أن تكون وفاة الشاعر قد وقعت في سنة ٥٦١ هـ .

هذا ، ورواية «عمر بن الواسطي» في تعيين زمان وفاة أبي طاهر إطلاقاً من غير تحديد لسنتها ، تلتحم برواية « فوات الوفيات » التي جعلتهـا سنة سبع عشرة وخمس مئة ، وبها استدلات على خطأ ما جاء في « الوافي بالوفيات » من أنها سنة عشر وخمس مئة ، إن لم يكن ناسخ الكتاب أو ناشره قد

أسقط من البَيْن لفظ « سبع » أو قريبٍ منه من الأعداد التي تتركب مع « عشرة » . ويرجح هذا عندي ، أي سقوطَ لفظ « سبع » ، ورودُ « عشرة » مؤنثةً بعد كلمة « سنة » ، فمثل هذا الخطأ النّحوي الذي لا يقع فيه الشُّداة النابهون ، لا يمكن أن يقع فيه مؤلف « الوافي بالوفيات » الأديب اللقن الواسع الأدب والمعرفة ، فلا جرم أن كلمة « سبع » قد سقطت سهواً ، وبقيت « عشرة » المؤنثة دالةً عليها ، تبرئةً للصفدي من الجهل بمبادئ النحو ؛

ووفاة أبي طاهر في هــــذه السنة ، مع وصف ابن تغري بردي له بـ « الشيخ » ، إشعاراً بعلوِّ سنه ، قد يُبيحانِ لنا أن نقدر أن مولده كان في أواخر عصر « بني بُوَيْه » ببغداد ، وقد انتهى بدخول السلطان « طغرل باك السلجوقي » بغداد في ٢٥ المحرم من سنة ٤٤٧ هـ وقبضه على آخر ملوكهم المسمى « الملك الرحيم » ، أو هو كان في أوائل العصر السلجوقي ببغداد .

وفيما بين مولده ووفاته من هذا العصر ، كانت الخلافة العباسية الى أربعة خلفاء : القائم ، والمقتدي ، والمستظهر ، والمسترشد ، والسلطنة إلى ثمانية من السلجوقيين : طغرل بك ، وألب أرسلان ، وملكشاه ، ومحمود ابن ملكشاه ، وبركيارُق وملكشاه الثاني ، ومحمد بن ملكشاه ، وسنجر .

ففتح عينيه أول ما فتحهما على عهد انتقال ، يختلف في جماع طبائعه عن العهد السالف ويباينه كل المباينة في اتجاهاته ومناحيه ، ولا سيما في بدايته حين كان يواجه رواسبه في أشد حالاتها في حياة الدولة والناس ، وأهمها ما كان من سقوط هيبة الخلافة بعُدوان البويهيين على الخلفاء إهانةً وقتلاً ، واستعمال العصبيات المذهبية الذي أدى إلى نشوب الفتن وإراقة الدماء ونشر الخراب والدمار ، وإلى زوال الأمن جملة وانتشار الذعّار واللصوص وقطاع

الطرق والسابلة ، من سوء السياسة والإدارة والاستبداد ، وإلى الحجر على الحريات ، واضطرار أعيان العلماء والناصحين إلى الهجرة فراراً من البطش والتنكيل ، وانزواء آخرين في عقر دورهم تستراً من أعين الظلم ، حتى انقطع التناصح أو كاد ، وعم الفساد ، وكثرت بُؤَر الإثم والموبقات ، إلى أشياء من نحو هذا وضعت ميسمها الفاضح على هذا العصر الأسود القاتم .

فشاهدَ طليعةَ العصر الجديد ومنصبُ الخلافة يستردّ في الجملة بعض رونقه وسلطانه في بغداد والعراق ، والأمنُ والاستقرار وحرية الرأي وحرية التجارات والمعاملات والاجتماعات تعود إلى الناس ويعيشون بها وادعين مطمئنين ، والعلماء والناصحون يرجعون إلى مواطنهم ويمارسون نشر العلم ويؤدون واجب النصيحة وجمع الكلمة ، هذا إلى ما جدّ من عناية الدولة البالغة بالعلم وأهله ، بفضل ما رزقت من كفايات بعض الوزراء الكبار كنظام الملك الوزير العظيم ، مؤسس أول مدرسة جامعة ببغداد إلى جانب أمثالها في البصرة والموصل وبلخ ونيسابور وهراة وأصفهان ومرو وآمل وطبرستان ؛ وذلك لتثبيت دعائم العلم والإسلام ، ومكافحة إلحاد الباطنيين والردّة الشعوبية العنيفة التي عصفت بوجه الدولة ، وبعث الحياة الصالحة وشد أزرها بقدر ما كان يسع جهد القوم وتفكيرهم .

وما إخال أبا طاهر ، وقد نشأ في مضطرب هذه البيأة البغدادية وعايَشَ أحوالها وما اختلط من رواسب قديمها بنواشئ جديدها ، إلا كان آخذاً من حالاتها بنصيب على قدر ما تهيأ له من اقتراب أو ابتعاد ، شأن كل ناشئ ذكي يُعْنَى بتثقيف نفسه ، ولا يجد بدًّا من ممارسة المجتمع ، ثم يجري في حياته على عِرْق مما توجهه إليه تنشئته وتربيته وعقيدته الموروثة وتجاربه المكتسبة ، أو على ما يقسره عليه مجتمعه فينزله على حكمه في قليل أو كثير مما يريده عليه ، أكان هواه معه أم كان عليه . ويبدو أن أبا طاهر

كان ضعيف الصلة بحكام بغداد ، أو منقطعها ، لأمرٍ ما نجهله ، فلم يجد منهم رعاية ولا عناية . وآيةُ ذلك فيما يبدو من اتجاهه بشعره إلى أمراء « الحلّة » المزيديين ، ففي بعض مدائحه لبعضهم وهو سيف الدولة صدقة ابن منصور باني مدينة « الحلّة » بسواد العراق المتوفّى سنة ٥٠١ هـ (وقيل : ٥٠٤ هـ) ، وبه كانت معظم علاقته .. نجده يقول :

هواء «بغدادَ» أشهى لي ، و «دجلتُها» ... أمْرا لغُلّة قلبي منك يا « نيلُ » (١)
لولم يكن فيك من « دُودانَ » بحرُ ندًى ... إنعامه في بني الآمال مبذولُ (٢)
تاجٌ ولكنْ على العلياء منعقـدٌ ... سيفٌ ولكنْ على الأعداء مسلولُ

فنعلم منه أنه كان مُحَلَّأً عن موارد بغداد ، يرى الخير فيها سَكْباً ولكن يتجاوزه ، وأن اتجاهه بشعره إلى هؤلاء كان اضطراراً لا اختياراً ، ثم إنه مع هذا كان لا يجد عندهم طِلابه دائماً ، فربما كانوا يمنعونه ، وربما كانوا يؤخرون صِلاتهم عنه ، فيتذمر ويشكو ، ويهمّ بقطيعتهم ، ويمهّد لذلك بلومهم ، ولكنّه لا يلبث أن يرتدَّ عن عزمه مخافةَ أن يفقد عطفهم ، ولا يضمن أن يجد لنفسه بديلاً عنهم ببغداد وطنه .. بغدادَ التي لا أشهى له من هوائها ، ولا أمرأ لغُلّة قلبه من مائها ، ولكنها مع ذلك لا تُنيله منها مُناه .

(١) أمرا : امرأُ ، وقد سهل الهمزة للوزن . يقال : مَرَأَ الطعام ، مَرَاءة : ساغ ، فهو مَرِيءٌ . ومَرُؤَ : صار مَرِيئاً . الغلّة : العطش الشديد وحرارته . والنيل : نهر يخترق بليدة النيل في سواد الكوفة قرب حلّة بني مزيد ، وفيه قال الشيخ صالح التميمي من شعراء العراق في القرن الثالث عشر الهجري :
« نيل » ولا « مصر » لكن في جوانبه ... نضارة لم تكن في « مصرَ » و « النيل »
(٢) دودان : هو دودان بن أسد بن خزيمة ، أبو قبيلة من أسد .

يدلّ على هذا قوله :

مالي إذا أنا لُمْتُ أسرة «مَزْيَد» والغُرُّ من سَرَوَاتهم ، لم أعذرِ ؟
أم ما لقلبي كلّما كلفته صبراً على فعلاتهم ، لم يصبرِ ؟
وإذا هممت ببسط عذرِهمُ على منعي ، وهم سحب الندى ، لم أقدرِ ؟

ونجد عنده ، بعدَ هذا ، ملامح من حياة اللهو والعبث والاستهتار بالخمر والنساء وارتياد الراقصات والعابثات ، ينفق في ذلك عمره والمال الذي يقع إليه ثواباً على مدائحه .

ولعل هذا النمط من معاشه قد رسمته له تربيته الأولى ، أو دفعه إليه تنكّر الحكام له . وهذا الحظ الأوكس الذي رافقه والحرمان الذي مُنِيَ به ، قد أشعرا قلبه اليأس ، وكوّنا في نفسه عقدة النقمة من الناس والازدراء للمجتمع ، فانصرف إلى هذه الحياة العابثة لينسى همومه وأحزانه .

وللشاعر في هذه السيرة نظراء من أصحاب المواهب الذين جُهلت أقدارهم ، وخَسَّت حظوظهم من الإقبال ، وعاشوا وكل اعتمادهم على هذا الخيال الاتكالي الذي حسبوه معينهم في دنياهم ، فلما صدموا بالواقع ولم يعدّوا غيره للكفاح من عُدّة ، هربوا إلى أنفسهم فانطووا عليها انطواءً يظهر من هذا الصدود عن المجتمع إلى العكوف على ملذات النفس والانغماس في الآثام إلى القمّة ، في غير تحرّج ولا تفكير في الأحوال الجادّة ، ولا سيما آثام الخمر والنساء العابثات ، وللشاعر منها نصيب موفور على ما ستأتي أمثلته في شعره .

ذلك بعض سمات علاقة أبي طاهر المادية بالمجتمع الذي عاش في مضطربه .

أما علاقاته الأدبية ، فقد أشار العماد الكاتب في « خريدة القصر » إلى بعضها ، وبقي أكثرها خافياً علينا . تلك هي علاقته بالشاعر المُفْلِق « عبد الرحيم ابن الأخوة الشيباني البغدادي (١) » من شيوخ العماد الكاتب هذا ، ويبدو أنها كانت علاقة ودية محكمة الأواصر شديدة الوثوق ، فقد حدث عنه بأصفهان أن أبا طاهر قد قرأ عليه معظم أشعاره ، وأنه استحسن من هذه الأشعار ما استحسن ، فرواه إعجاباً به واستظرافاً له ، ثم حمله عنه تلاميذه ، ودوّنه بعضهم في المصنفات . ومثل هذه العناية الظاهرة إنما تدل على تعاطف عظيم بين الشاعرين ، وتآلف روحي أصيل بين مزاجيهما ، قلّما يكون شبيهه بين الأنداد والنظراء في جملة أرباب الفنون والصناعات والحِرَف ، على ما هو مشاهَد في كل زمان ومكان ، لِما ينشأ بينهم من تنافس في العادة يجرّ إلى التحاسد والتباغض وبَخْسِ بعضٍ أشياءَ بعض آخرَ ، مهما علا كعبه وتلألأت موهبته ، ولا سيما حينما يكون هذا مرزوقاً مجدوداً وذاك محروماً محدوداً ، وما نجا من هذا الداء الوبيل في الأمم ، داء التحاسد والتباغض ، إلاّ من نبلت نفسه وشرف خيمه وكان عقله كبيراً .

ولئن انقطعت عنا أخبار أبي طاهر ، إلا هذه الصبابة منها ، فعزّ بسبب هذا تفصيل القول في حياته وفي أدبه وفنه ومزاجه ، إنّ في الصُّبابة التي انتهت إلينا من شعره ما يصف بعض لمحات من هذه الجوانب .

★ ★ ★

(١) بيت « ابن الأخوة » من البيوتات البغدادية المتميزة بالفضل والأدب إبّانَ القرن السادس الهجري ، ومن أعيانه عبد الرحيم هذا ، وكان شاعراً مفلقاً . توفي في شيراز ليلة الاثنين ثالث عشر شعبان سنة ٥٤٨ هـ . وقد ترجم له العماد الكاتب القرشي الأصفهاني في خريدة القصر ، وتحدثت عنه في مقدمتي لقسم شعراء العراق (س ٢٢) ، وعن بيته في ١٨٦/٢ .

والقدماء الذين اتصل بهم أدب أبي طاهر قد اعترفوا بعلوّ كعبه في الشعر ، فشهد العماد الكاتب ببلاغته وجودته وحسنه ورقّته ، واستحسن ابن الأخوة ما استحسن من شعره فرواه في مجالسه ونقله عنه تلاميذه وأثبتوه في كتبهم ، واهتزّ صلاح الدين الصفدي لجيّده ورآه الغاية في الملاحة ، وهؤلاء كلهم شعراء مجيدون ومن نَقَدَة الكلام لا غبار على أذواقهم .

والحاسة الفنية والذوق الحديث ، لا يتنكّران لهذه الشهادات ، إذ يجدان في هذا الشعر صوراً بارعة وأخيلة جميلة ومعاني جديدة أو أشبه بها . . في غلائل من النسج العبّاسي الحضري الأنيق ، مع القوة وإحكام الصنعة والانسجام وتوفير الرُّواء ، وإلى جانب هذا كله يحسّان فيه الطبع والتجربة يتخللان أغراضه المختلفة ويجريان به إلى النفس ، فتلذّه وتطرب له وتقبل عليه وتستشرف إلى المزيد منه . وهذا هو مبلغ الجمال المطلوب في الشعر والبلاغة والآثار الأدبية .

ولننظر إلى هذه الأبيات ، والظاهر أنها في سيف الدولة المزيدي :

فتىً من نداه الغمر يسترسل الحيا ومن وجهه الميمون يطّلع البدر
وما سلّ سيف العزم ، إلا تجعّدت سباطُ القنا، واحمرّت الأنصل الحمر
هو البحرُ : يحلو في فم الخلق طعمه ويصفو ، وماء البحر ذو كدر مرّ

فإننا نجد صورة لممدوحه جامعة لأحسن فضائله من سماحة الوجه ، وشدة العزم ، وكرم اليد ، مفرغةً في قالب جزل فخم ، بريء من الحشو والفضول . ولو أردت أن تقيم لفظة مقام لفظة من هذا الشعر ، أو تحذفها على أنها زائدة اقتضاها الوزن أو القافية ، لما استطعت ذلك . ولكن هذا الشعر في جملته من حيث الفكرة شائع المعنى مكرور ، إلا ما قد يبدو من هذه الموازنة في البيت الثالث عَقَدَها الشاعر بين ممدوحه والبحر ، فشبهه به في اتساع جوده ، ولكنه فضله عليه بأنه حلو في الأفواه صافٍ ،

وليس كذلك البحر ، فانه كدر مرّ . فلعل هذا المعنى هو الشيء الجديد فيه ، أضافه الشاعر إلى ما يعرف من هذا التشبيه الشائع عند القدماء .

ونقرأ له هذا الغزل ، فنرى فيه نظرته إلى الجمال الأنثوي ، ويتمثل عنده في صباحة الوجوه ، ورشاقة القدود ، ورجرجة الأرداف ، وهَيَف الخصور ، وترف البطون ، وهو يصوغه صياغة أنيقة دقيقة ، ويؤديه أداءً مشبعاً إيقاعاً ورنيناً :

خذ بي على « قَطَن (١) » عينا فعسى أُريك به القَطينا
حتى إذا طلعت به الـ أقمارُ ، رنّحتِ الغصونا
يُخلفن ميعاد الوفا ءِ لنا ، ويمطُلْنَ الديونا
من كلِّ ذات روادفٍ كالرمل رجرجةً ولينا
مَنْطَقْنَ بالنَّحَفِ الخصُو رَ ، وصُنَّ بالترف البطونا
وأقمن من تلك العيو ن على خواطرنا عيونا

ويصف لنا فيه بعد ذلك علاقته بهذا الجمال ، وضنانته به ، وهواجسه وأحلامه في الحب ، وتعتّبه على الحبيب أن تسمّح للعواذل به ، وأن أساءَ ظنونه فيه بعد أن أحسنها هو في هواه حتى فتح بذلك باباً للوشاة ينفذون منه إلى حبها فيفسدونه :

يا بانةَ « العَلَمَيْن » من «قرن» (٢) ،كفى بك لي قرينا
أأمنتِ داعيةَ الصَّبا بة لي وقولكِ لي يمينا
وعليَّ أيمانٌ مُغَلَّ ... ظة ، أحلِّك أن تَمينا
أن لا أعُدَّ سوى مَعِيـ ... ن الدمع بعدك لي مُعينا

★

(١) جبل لبني عبْس ، كثير النخل والمياه ، وتعيين موضعه في معجم البلدان ١٢٦/٧ .
(٢) قرن : ميقات أهل نجد ، وقرن : جبل معروف كان به يوم من أيام العرب .

يا مَنْ تسمَّحَ للعَـــوا ذِلِ بي ، وكنت به ضَنينـا
أحسنتُ ظنّي في هـــوا كَ ، فلِمْ أسأتَ بيَ الظنونا
قد كان ما قد كنتُ خِفْـ ... تُ من التجنّب أن يكونا
ورأيت منك قبيحَ ما ظنَّ الوُشاة بنا يقينـا
حتى كأنّك كنــــت لا ... ـهجران للواشي ضَمينـا
ولقـــد دعوتك قبلَ غد رك بي على قلبي أمينـا
جردت من حَدَقِ القيا نِ ظُبًا ، ذعرت به القُيُونا
حدقاً جعلت فتـــور أعْـ ... ـيُنها لأنفسنا فُتُـــونا
وجعلت من تلك الجفو ن على قواضبها جفونا

ويخلص إلى مدح سيف الدولة صدقة بن منصور فيقول :

أو لم تخف سيفاً تخـــوَّ نَ حدُّه الزمن الخؤونا ؟
سيف تقدُّ صــــدورُه قِمَمَ الفوارس والمتـــونا

وهذا المقدار من القصيدة هو اختيارصاحبه الشاعر « عبد الرحيم بن الأخوة البغدادي الشيباني » كما أثره عنه العماد الكاتب . وقد اختار منها محب الدين بن النجّار البغدادي في تاريخه مقطعاً آخر غيره فيه طلاوة ورقة ، وللناس فيما يختارون مذاهب وأذواق ، وهما كما أثره عنه ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات :

يا من يلوم على البُكا كلفـــاً يزيد به جنونا
الآن قد كان الذي قد كنت أحذر أن يكونا
وتفرّق الشمـــل الذي قد كنت أعهـــده مصونا
مـــني تعلّمت الحمَا مُ النوحَ ، والإبلُ الحنينا
والسحب من عيني تَعلّـ ... ـمُ كيف تحتلب الشؤونا

ورأيت منك قبيحَ ما ظنَّ الوُشاةُ بنا يقينا
طوَّلت أنفاسي ، فلِمْ قصرت عن وَسْني الجفونا ؟

ولدونة القدود ورشاقتها ، وخفة الأجسام وحركاتها ، من أخص مميزات هذا الجمال الأنثوي عند شاعرنا ، ومن أجمل ما يستصبيه من صفات الحسن .

أنظر اليه كيف يقول متغزلاً بفاتنة هيفاء ، وواصفاً قوامها الرشيق ، وقد خطرت أمامه فهاج تمايلُها بلابل أشواقه ، وتخيلها بانةً تمايل مع النسيم وتسجع فيها وُرُق الحمام :

خطرت ، فكاد الوُرْق يسجع فوقها إنّ الحمامَ لَمُغْرَمٌ بالبانِ
من معشر نشروا على هام الرُّبا للطارقين ذوائبَ النيرانِ

وكيف فتنته خفة الجسم ورشاقة الحركات في هذه الرقاصة التي تكاد تحت ثيابها تنسبك ، والتي كأن الأرض تحتها كرة تحملها وهي فوقها فلك :

رقاصتي هذه ، لخفتها ، تكاد تحت الثياب تنسبكُ
خفيفة الجسم ، مالها كفل يثقلها شحمه ، ولا وَرِكُ
كأنما الأرضُ تحتها كرةٌ تحملها ، وهي فوقها فلكُ !

وهذا البيت الثالث ، من محاسن الوصف ، يدلّك على عمق تصوّرات الشاعر وتهدّيه إلى المعاني الجديدة .

على أنه ربما استصبته الوليدة الصفراء من مولّدات الإماء ، لمعانٍ فيها تجتذبه إليها . وهو ، إذْ يلام على صبابته بها ، يحتجّ لحبه بإيثاره منظر صفرة الراح على منظر بياض الماء :

أنت يا لائمي على شَغَف النفـ ... ـس بحب الوليدة الصفراء
لا تلمني على صبابة قلب ملكته مولّدات الإماء
أيّما في العيون أحسن لوناً : صفرةُ الراح ، أم بياضُ الماء ؟

وشاعرنا ليس بدعاً في مثل هذا الحب والاحتجاج له ، فالتعلّق بالمولّدات الصفر ، وبالزنجيات أيضاً ، أمر معروف شائع ، ولا سيما في قديم الزمن . وهو ضرب من الشهوات . « والشهوات - كما قال الجاحظ - عادات ، وأكثرها تقليد . وكان أهل البصرة أشهى النساء عندهم الهنديات وبنات الهنديات والأغوار ، واليمن أشهى النساء عندهم الحبشيات ، وبنات الحبشيات ، وأهل الشام أشهى النساء عندهم الروميّات وبنات الروميّات » . وقد تزوج الشاعر « أعشى سليم » من « دنانير بنت كعبوبة » وهي زنجية ، وكان « الفرزدق » من أعلم الناس بالنساء ، وكان قد جرب الأجناس كلها ، على حد تعبير « الجاحظ » ، فاستقرّ بأَخَرَة على « أم مكية الزنجية » ، فأقام عليها ، وترك النساء ، للذي وجد عندها . وشاع حبّ الناس ، ولا سيما الكبار من خلفاء ووزراء ، للمولدات الصفر من مولّدات البصرة والمدينة واليمامة ، شيوعاً عجيباً في العصر العباسي الأول خاصةً ، وكان منهن أبرع القيان ، ومعظمهن موصوفات بالجمال والشكل والظَّرْف وطيب الصوت والأدب ، من أمثال : سلامة القَسّ ، وحَبَابة ، وشارية ، ومتيّم ، وذات الخال ، ودنانير ، وشاجي ، ودُقاق ، وقلَم ، وبَصْبَص ، وسلامة الزرقاء ، وعَنان ، وبَذْل ، ومحبوبة ، وغيرهنّ . . أفلا يمكن أن تكون معشوقة شاعرنا الصفراء واحدة من هذا الضرب ؟

ومَنْ يدري ؟ فلعله أراد التفنن بشعره ، فذهب في هذا مذهب المغايرة ، ليظهر اقتداره على تحسين القبيح ، أو ليخالف المجمع عليه والمألوف استحسانه في الأذواق . وهو مذهب أدبي ، لأدباء العربية من كتاب وشعراء يد باسطة فيه ، ولا سيّما في الزمن القديم . وقد يكون « الجاحظ » أبا عذرته ، وفاتح باب القول فيه لكل من ولجه من الكتاب من بعده ، حين فضل السواد على البياض ، وافتنّ أعظم افتنان في الاحتجاج لذلك في « كتاب

فخر السودان على البيضان » ، وهو يعلم حق العلم أن العرب إنما تمدح بالبياض وتهجو بالسواد ، وربما مدحوا بالسواد ، ولكن أصل ما يبنون عليه أمرهم ذمُّه ، كما يقول هو نفسه ،

أما الشعر ، فيقال إن السابق إلى هذا المذهب فيه أبو حفص الشطرنجي ، ثم جاء تَبَعاً له ، فجاراه فيه معاصره عليّ بن العباس بن الأحنف ، وقال في مثله : ابن الجهم ، وابن الرومي ، والرضي ، وابن مسلمة ، وابن رباح ، وابن رشيق ، وغيرهم ، ولكن حيازة قصب السبق في براعة الاحتجاج والافتنان فيه كانت لابن الرومي في الشعراء ، كما كانت للجاحظ في الكتاب .

أو لعله ذهب مذهب « ابن المعتز » ، الذي أدركته الرحمة على القبيح فعطف عليه وَهوِيَهُ كما هوي الحسن ، كما قال :

قلبيَ وثّابٌ إلى ذا وذا ليس يرى شيئاً فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبحَ فيهواه

وإن من الناس لمن يطابق على الجمال والقبح « نظرية النسبيّة » ، ويقول : ما كان الجمال ليكون جميلاً لولا القبح . وكان « فيكتور هوغو » شاعر فرنسة يرى أن الجمال هو القبح . وعلى هذا المحور أدار قصته المشهورة « نوتردام دوباري » . ومن قبله نظر « أبو الطيب المتنبي » شاعر العرب إلى جمال الأرواح قبل الجسوم ، وأرسل في ذلك هذا البيت :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له إذا لم يكن في فعله والخلائق

ومهما يكن من دوافع شعر شاعرنا هذا في هذه المولّدة الصفراء ، فإننا نجده قد تعلّق بالجمال الأنثوي تعلقاً شديداً فأتبع النساء طرفه وقلبه ، وفتنه منهن رشاقة القوام ، وخفة الأجسام ، وبراعة الحركات ؛ وتعشق الأمة الصفراء من مولّدات الإماء ، كما تعشق العقيلة الحسناء من كرامِ الناس !

وإلى جانب استهتاره بالنساء هذا ، نجده قد استُهتِرَ بالراح ، وشغف بشربها ، وشغل بوصفها فجوّده وبرع فيه ، وقال مثل قوله :

ومدامة ، كدم الذّبيح ، سخا بها للشّرب من لَهَواته الابريقُ
رقّت ، فراق بها السرورُ ، ولم تزل نُطَفُ السرور ترِقّ حين تروقُ
حتى إذا ضحِك الزجاجُ ، لقربها منه ، بكى لفراقها الراوُوقُ

وقوله :

مرحباً بالتي بها قُتِل الهَـ ... مّ ، وعاشت مكارمُ الأخلاقِ
وَهْيَ في رقّة الصّبابةِ والشو قِ ، وفي قسوة النوى والفراقِ
لستُ أدري : أمن خدود الغواني سلبوها ، أم أدمع العشاق ؟

وهذه الأبيات كانت تدور على ألسنة الناس ، استحساناً لها وإعجاباً بها ، وقد أثرها مترجموه ، ولكن العماد الكاتب حين أوردها في « خريدة القصر » عمن أنشده إياها ببغداد كأنه شاك (١) أن تكون له ، ولست أرى موضعاً لشكه ، فهي ليست خيراً من الأبيات التي سبقتها ، وهي من رواية العماد الكاتب نفسه ، ولا هي بالتي يباين أسلوبها عامة شعره .

وأرى الشاعر في البيت الأول ينظر إلى قول « أبي الطيب المتنبي » ، وكان « بدر بن عمّار » قد حمله مرة على شرب الخمر وكان طبعه يعافها ، فاستهجن أثرها في نفسه ، ثم عرض عليه الصحبة للشرب في غد فامتنع وقال مرتجلاً يصف ما وجده في نفسه ، من شربها في أمسه :

وجدت المدامـــة غلاّبةً تهيّج للقلب أشواقـــه
تسيء من المرء آدابه ولكن تحسّن أخلاقـــه

---

(١) قال (خريدة القصر ، قسم شعراء العراق : ٢٢٦/٢) : « وأنشدني ببغداد من اسبه اليه في الخمر » .

وأنفس ما للفتى لُبُّه وذو اللُّبِّ يكره إنفاقه
وقد متُّ أمس بها موتةً ولا يشتهي الموت من ذاقه

بل « المتنبي » ينظر في هذا إلى قول الآخر كما في « شرح التبيان » ، ولم يصرح باسمه :

رأيت أقلَّ الناس عقلاً إذا انتشى أقلَّهم عقلاً إذا كان صاحيـا
يزيد حسا الكأس السفيهَ سفاهةً ويترك أخلاقَ الكريم كما هيا

وقال شرّاح شعر « المتنبي » في تفسير بيته الثاني ، الذي ينظر إليه أو إلى هذا بيتُ « أبي طاهر » : مراده منه أن الخمر تسيء التأديب بالحركات المفرطة وقول الفحش ، وتحسن الخلق أي تحمله على البذل والسماح .

وأما قول أبي طاهر : « أمن خدود الغواني سلبوهـا » ، فهو رواية « خريدة القصر » .. اتحدت فيها ثلاث نسخ منها مختلفة الخطوط . وورد في « الوافي بالوفيات » : « سفكوها » في موضع « سلبوها » ، وفي « فوات الوفيات » : « سبكوها » ، وفي « قاموس الأعلام » : « عصروها » . والسلب ها هنا أدخل في الذوق ، وألطف من العصر وإيذائه وإدمائه .

وأصل هذا المعنى ، أعني عصر الخمر من خدود الملاح ، لعلَّ أول من سبق إليه وتورط في معصرته هو أبو تمام عفا الله عنه في بعض ما قال في صفة الخمر والشادن الذي يحثّها له :

وقهوة كوكبها يزهر يسطع منها المسك والعنبر
ورديّة . يحثّها شادن كأنها من خدّه تعصر !

وتابعه عليه من تابعه من الشعراء .. حتى زيّن « لحافظ إبراهيم » ، وقد جاء بعد أحد عشر قرناً من عصره ، أن يكرره أخذاً واستلاباً ، ولكن دون أن يفطن في احتراز « أبي تمام » بإخراجه معناه على سبيل التخيل والتشبيه ، فيقول (أي حافظ إبراهيم) :

خمرة ، قيل : إنهم عصروها من خدود الملاح في يوم عرس

ولكن شتان بين قولة أبي تمام : « كأنها ... » التي تلقي ثوب الرقة على بيته ، وتخفف من تصور قسوة هذا العصر للخد الوردي الناعم البريء ، و « قيل » حافظ ، وصوغه معناه مجرداً ومرسلاً على أن هذا « العصر » حقيقة كائنة : « قيل : إنهم عصروها » ، وإن اجتلب « يوم العرس » للقافية ، أو اجتلبته له القافية . وقسَماً إن هذه اللفظة الرقيقة الرشيقة ؛ لم تزد هذه الصورة الكريهة إلا شناعة وقبحاً ، إذِ الأعراس لا يناسبها إلا نعومة المناظر والمظاهر ، ولا يتصور أن يكون فيها إلا بشاشات الأفراح والمباهج وكل ما يحلّيها من أردية المرح والسرور ، وأين منها الهجوم على الملاح ، لتعصر من خدودها هذه الراح ؟!

ومهما يكن من شيء ، فإن « سلبوها » في بيت « أبي طاهر » ، أدخل في الذوق « من عصروها » ، وأشبه بالبيت ومساقه في هذا النفي : « لست أدري » ، وفي هذا التجاهل والتردد في الاستفهام : « أمن خدود الغواني سلبوها أم أدمع العشاق ؟ » ، وإذْ كانت « أدمع العشاق » وهي تنهمر من نفسها لا يجانسها هذا « العصر » ، فأحرى بالشاعر أن يتجه وعيه إلى لفظ « السلب » .

أما « أدمع العشاق » ، فقد كانت مما لهج به الشعراء العراقيون في العصور العباسية في نعت الخمر ، ويحضرني من ذلك بيت القائد أبي عبد الله محمد بن خليفة السِنْبِسِيّ :

وكأنّ أفواه الزجاج وقد بدا منها المدام ، مدامعُ العشاق

ومن جميل شعر أبي طاهر ، هذا الوصف لليلة ظلماء صافية الأديم ، زهرت كواكبها ، ودارت فيها الكؤوس على الشرب وهي تتلألأ كأنها مهج النيران امتلت من جسوم الثلوج :

ليلة . تحسب الكواكب فيها حَدَقَ الروم في وجوه الزنوج
في كؤوسٍ ، كأنها مُهَجُ النيـ ... رانِ تستلّ من جسوم الثلوج

قال الصَّفَدي : « أخذ البيت الأول من « الأبيوردي » ، وهو أحسن من هذا » ، وأحال عليه في ترجمته ، ولم أجده فيها .

وشاعرنا على انغماسه في هذه الحياة الماجنة ، لم يفته حظّه من التأمل في جملة سيرة المجتمع وسلوك الناس وطباع الأفراد ممن كتب له خلاطهم ، وصوغ ما اختمر في نفسه من تجاربه الحية الواعية في قالب الحكمة والمثل ، كالذي قال ، وقد راعته من كثرة الناس وقلة المصافين ، وضرب لذلك البحر مثلاً ، فهو يغرّك عُبابه ولكنك لا تجد فيه رِيًّا يبلّ غليلا :

أراك إذا عددتَ ذوي التصافي وجدتَهُمُ أقلّ من القليل
كماء البحر . تحسبه كثيراً وقلّتُهُ تَبين مع الغليل

وكالذي قال في صغار الأمور وطغيان الشبع والطبع والتطبع ، وضرب لذلك مثَلَ الفأر والسبع :

تخفِ الأمرَ وإن ها نَ ، ولا يطغَ بك الشبع
ولا تصـــدِ بك الكلفَ ... ة ما يصقله الطبـــع ،
فقد يخشى من الفـــأ ر على من عضّه السبع

وكالذي قال ، وقد ابتلي بحاسد حاقد لئيم يجحد فضله مع اشتهاره وظهوره :

يا جاحدي فضلي وقد نطقت بفضائلي بَدَهاتُه عنـــه
هل أنت إلا البدر . . توضحه شمس الضحى ، وكسوفها منه ؟

وهذا معنى بديع ، وأسلوب في الذم والمدح عجيب ، وقد تلطف فيه غاية التلطف بذم صاحبه حين ضرب له مَثَل البدر ، ولنفسه مثلَ الشمس . ذلك أن البدر جِرم معتم ، لا فضل فيه بنفسه ، وإنما فضله مستمد من الشمس ، إذ تعكس نورها عليه فيضيء ، وحين تحول الأرض بينها ينخسف

كله أو بعضه ، فذاك مَثَلُها ، كما يكون كسوف الشمس من حيلولة جرم القمر بين الناظر وبين الشمس ، وذلك عند اجتماعهما في العقدتين على دقيقة واحدة ، وهذا مثل جحود صاحبه فضائله المشهودة المشهورة ومحاولته سترها وإخفاءها بهذا الجحود .

وخاتمة شعر « أبي طاهر » الواصل إلينا ، هي ما ختم به حياته . . نجوده وهو يجُود بأنفاسه الأخيرة ، ويودع الحياة والخلان يرثي نفسه ، وينشد عوادّه هذا الرثاء ، ذاكراً آخر العهد منهم ومن الدنيا ، ومتمنياً أن يكون له معهم موعد يستجدّه ، ومستنجداً ـ في ترحله الذي يكرهه عليه هذا الموت ـ بصادق منهم يستردّه إلى دنياه :

خليليّ ! هذا آخر العهد منكما ومنّي ، فهل من موعد نستجدّه ؟
لأنّ أخاكم حلّ في دار غربةٍ يطول بها عن هذه الدار عهده
فلا تعجبوا إذْ خفّ البين رحله وقد جدّ في إثْر الأحبّة جدّه
على أن في الدارين ثالث وهذه له صاحب يهوى وإلفٌ يوده
وقد أزمع المسكين منكم ترحّلاً فهل فيكُمُ من صادق يستردّه؟!

وهذا رثاء كل إنسان لنفسه لو يستطيعه حين يشعر بدنوّ أجله ومفارقته الحياة ، وتشبّث كل حيّ بأسباب البقاء لو قُدّر لحيٍ بقاء . بل هو رثاء الإنسانية الحزينة جمعاء منذ وجدت إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وصيحتها من الأعماق تستنجد فيها بالأسباب التي تستبقي لها الحياة وتنقذها من مخالب الفناء ، وهيهات !

وهذه القلة المروية من شعر « أبي طاهر » ، ورب قليل كثير ، ترينا شاعراً مفتناً ، ومتمكناً غاية التمكن في مذاهب الشعر ، وتنويع أغراضه ، وصياغته في مختلف المقاصد على نحو رائع رائق . . تجري فيـــه السلاسة

والرشاقة والإبداع مجرى الأرواح في الأبدان . أمدّه الطبع والثقافة وامتلاك ناصية اللغة والبيان ، فزخر شعره بالفكرة والأسلوب والفن والإيقاع .

وإذا ثبتت نسبة (قانون البلاغة) إليه ، وهو ما هو في إنشائه وأسلوبه الماتع ، إلى جانب هذا الفن الشعري الرفيع ، استوى لنا منه في جملة أدبه وعلمه وفنه أديب كبير ممتع البيان ، وعلَم شامخ في دولتي الشعر والنثر يرف على الذروات من تاريخنا الأدبي الذهبي إلى جانب أنداد له من المجلّين في حلبة البلاغة والفكر والأدب ، أعزّوا الفصحى ، وسلسلوا مجدها في الأبناء والحَفَدة ، وسلموها إلى الأجيال الصاعدة متّقدةَ المشاعل ، باهرة الأنوار والأضواء .

بغداد : محمد بهجة الأثري

نظرات في المعجم الوسيط

- ١١ -

تتمة تعريف نجوم السماء والمصطلحات الفلكية

الكلمة	تعريفها في المعجم الوسيط	الملاحظات
الدُّبُّ الأَصْغَرُ	سبعة نجوم، تُكَوِّن أربعةٌ منها مربَّعاً، وثلاثةٌ تُكَوِّن ذنباً له في نهايتِه النَّجْمُ القُطْبِيّ .	الدُّب الأصغر – في علم الفلك – أقرب الصور السماوية إلى القطب الشماليّ، وهي على هيئة دبّ صغير طويل الذنب، وفي نهاية هذا الذنب النجم المسمّى النجم القطبيّ .
بناتُ نَعْش	سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشماليّ، شبهت بحَمَلَة النَّعْش . . مادة [ن ع ش]	أما بنات نعش الصغرى فهي – كما يقول ابن قتيبة – : أقرب مشاهدِ الكواكب إلى القطب، وهي سبعة كواكب، على شبيه بتأليف بنات نعش الكبرى، أربعة منها نعش، وثلاثة بنات . ومن الأربعة الفرقدان، وهما المتقدمان، والآخران وراءهما خفيان، ومن البنات كوكبان خفيان، وهما اللذان يليان النَّعش، والثالث من
الجُدَيّ	نجم قريب من القطب تعرف به القبلة .	

القُطْبُ : المحورُ القائم . . . ومنه قطب الدائرة . و ــــ طرف المحور . وللأرض قطبان شماليّ وجنوبيّ . والنجم القطبيّ الشماليّ : هو النجم النيّر في طرف ذنب بنات نعش الصغرى (الدب الأصغر) ؛ وهو الذي يُتوخّى به جهة الشمال لوقوعه في سَمْت القطب الشّماليّ للكرة الأرضية .	
الفَرْقَدُ نجمٌ قريب من القُطْب الشماليّ ثابت الموقع تقريباً ، ولذا يُهتدَى به ، وهو	

البنات كوكب كبير أزهر يسمّى الجُدَيْ (١) ، وبه تعرف القبلة .

في ضوء ما أوردناه نستطيع ذكر الملاحظات التالية على التعريفات التي جاء بها المعجم الوسيط :

١ — عدم الدقة في صياغة أكثر التعريفات باستثناء تعريف النجم القطبي إذ يبدو أنه وضع حديثاً بما يتفق وحقائق علم الفلك والتفريق بين القطب والنجم القطبي (٢) .

٢ — إغفال ذكر بنات نعش الصغرى في مادة [ن ع ش] . وسبق لنا الإشارة إلى ذلك عند الكلام على بنات نعش الكبرى (٣) .

٣ — نقل جملة (وتعرف به القبلة) في تعريف الجُدَيْ عن المعجمات القديمة ،

(١) انظر كتاب الأنواء ص ١٤٥ ـ وانظر كتاب الأزمنة والأنواء لابن الاجدابي الذي سبقت الإشارة اليه ص ٦٥ . ومما نلاحظه أن المحقق ضبط لفظة الجدي بفتح الجيم ، كما وردت في اللسان وأكثر المعجمات القديمة ، وصحتها بالضم تصغيراً لاسم البرج ، كما وردت في المعجم الوسيط .

(٢) من أهم الأسباب في عدم دقة تعريف نجوم الدب الأصغر في أكثر المعاجم القديمة ، توهم البعض أن القطب بمعناه اللغوي يتمثل في شماليّ الكرة الأرضية بنجم معين ، والحقيقة أن القطب ليس نجماً بل هو نقطة متخيلة ، وهنالك نجم ثابت نسبياً ، هو أقرب النجوم المرئية إلى النقطة المذكورة فنسب اليها على أن علماء الفلك وبعض أصحاب المعجمات عرفوا هذه الحقيقة ، ففي اللسان كما في التاج أن ابن الصلاح قال : القطب ليس كوكباً ، وإنما هو بقعة من السماء قريبة من الجدي . وقال ابن الأجدابي : وليس القطب بكوكب ، ولا في موضعه كوكب البتة . انظر « الأزمنة والأنواء » ص ٦٦ .

(٣) انظر ص ٦٠٥ من الجزء الثالث .

المسمّى (النَّجَم القُطْبي). وبقربه نجمٌ آخر مماثلٌ له وأصغر منه ؛ وهما فرقدان .	وكان من المستحسن حذفها ، لأن القطب ليس دليلاً على القبلة ، إنما هو دليل على جهة الشمال ، أما القبلة فيختلف موقعها باختلاف البلاد وموقع مكّة منها .

٤ — الخطأ في تعريف الفرقد .

لقد كان من المستحسن أن تكون التعريفات المشار إليها كما يلي :

الدُّب الأصغر : صورة سماوية من نجومها النجم القطبيّ الشماليّ .

الجُدَيّ : نجم القطب الشماليّ في صورة الدّب الأصغر ، وقد صُغّر تمييزاً له عن الجَدْي الذي هو أحد بروج السماء .

النجم القطبيّ الشماليّ : هو النجم النيّر من نجوم بنات نعش الصغرى في صورة الدّب الأصغر ، وبه تُعرف جهة الشمال ، ويسمّى الجُدَيّ .

الفَرْقد : اسم لنجمين من نجوم الدّب الأصغر ، وهما فرقدان .

الشِّعْرَى كَوْكَبٌ نَيِّرٌ يطلع عند شِدَّةِ الحرّ . قال تعالى : ﴿وأنه هو ربُّ الشِّعْرَى﴾ . وهما شِعْرَيان: الشِّعْرَى العَبُور ، والشِّعْرَى الغُمَيصاء .

[مادة ش ع ر]

العَبُورُ من الغَنَم : ما كانت فوق الفطيم من إناث الغنم . والشِّعْرَى العَبور : كوكبٌ يكون في الجوزاء؛ والأخرى الشِّعْرَى الغُمَيصاء .

[مادة ع ب ر]

الغُمَيْصاء الشِّعْرَى الغُمَيْصاء : إحدى الشِّعْرَيَيْنِ ؛ والأخرى العَبُور ، وهما نجمانِ نَيِّران .

[مادة غ م ص]

المِرْزَمُ أمّ مِرْزَم : الريحُ ، أو ريحُ الشمال الباردة . والمِرْزَمان : نجمان من نجوم المطر ، وهما مع الشِّعرَيين .

في هذه التعريفات شيء من الإسهاب والغموض ، وكان من المستحسن تعريف الشِّعْرَيين في المعجم الوسيط بإيجاز ودقة أكثر .

إن التعريف الدقيق الموجز هو :

الشِّعْرَى : اسم لنجمين نيّرين ، وهما شِعْريان : الشِّعْرى العَبُور ، والشِّعْرَى الغُميصاء . وكانت بعض العرب تعبد الشِّعْرَى ، فنزل قوله تعالى ﴿ وأنه هو ربُّ الشِّعْرَى ﴾ .

هذا ومما نلاحظه في تعريفات المعجم الوسيط ، أن الشِّعْرَى العَبُور ليست من نجوم الجوزاء ، ولا الغُميصاء أيضاً ، بل هما نجمان في صورتين مختلفتين بجوار الجوزاء .

المِرْزم : اسم لعدد من النجوم أشهرها : مِرْزمان : مِرْزم العَبُور ومِرزم الغُميصاء تبعاً للشِّعْرَيين .

سُهَيْلٌ	نجم ، قيل عند طلوعه تنضج الفواكه وينقضي القيظ ؛ وهو من النجوم اليمانية . وفي المثل : « إذا طلع سهيل ، رُفع كيلٌ ووُضع كيل » : يضرب في تبدُّل الأحكام .	سهيل نجم في صورة السفينة الجنوبية وهو أنور نجومها ، وأسطع النجوم الثوابت بعد الشِّعرى اليمانية . ومما يلاحظ أن المعجم الوسيط أثبت مثلاً يستحسن إغفاله ، وأولى من ذكره الإشارة إلى وجود نجم شماليّ يسمى : سهيل الفرد أو سهيل الشام .
الأعيار	كواكب زهر في مجرى قدمي سهيل .	الأعيار : نجوم زهر في صورة السفينة الجنوبية تحت قدمي سهيل .
النَّسْرُ الطائر :	مجموعة من النجوم معروفة بمشابهتها للنَّسر ، والنجم ذو القدر الأول منها يسمى الطائر ، والنسر الواقع : النجم ذو القدر الأول في مجموعة النجوم التي تسمى الشِّلْياق . وكلا النَّسْرين في النِّصف الشمالي من القبّة السماويّة .	كان من المستحسن أن يكون تعريف النسر كما يلي : النَّسر : اسم لمجموعتين من النجوم على صورة النسر ، وهما نسران ، المجموعة الأولى تسمى النسر الطائر وباسمها يعرف أنور نجومها ، والثانية تسمى النسر الواقع أو الشلياق وباسمها يعرف أنور نجومها . ومما يلاحظ أن كلمة « الشلياق » الواردة في تعريف المعجم الوسيط أغفلت في موضعها . وهي غير عربية وقد أغفلتها أكثر المعاجم .

الرِّدْف كوكبٌ قريب من النَّسر الواقع . — هذا التعريف منقول عن القاموس ، وتعريف الرِّدف الدقيق هو :

الرِّدف : أنور نجوم صورة الدجاجة ، وسمي الرِّدف لأنه يتلو النجوم الأربعة التي تقطع المجرَّة ويطلق عليها اسم الفوارس (١) .

الهَرَّاران : نجمان ، هما : النَّسْرُ الواقع ، وقلْبُ العقرب . — نجما النسر الواقع وقلب العقرب من صورتين مختلفتين ، ولكنهما يطلعان معاً ، وقد سماها العرب الهَرَّارين ، لأن الشتاء يهرُّ بطلوعها ، أي يشتدّ برده وتعصف رياحه ، وقيل : « إذا طلع الهرّاران يبست الأغصان ، وغُشيت النيران ، وهُزلت السمان ، وانحجزت الولدان ، واشتدّ البرد بكلّ مكان » (٢) .

لقد كان من المستحسن أن يكون تعريف الهرارين أكثر وضوحاً .

العَيُّوق نجمٌ أحمرُ مضيء في طرفِ المجرَّة الأيمن . يتلو الثريَّا لا يتقدَّمها . — تعريف العيُّوق هذا نقل عن القاموس حرفياً ، وتعريفه الدقيق هو :
العَيُّوق : النجم النيّر في صورة العنَّار أو

(١) انظر المعجم الفلكي ص ٢٤ و ٤٥ .
(٢) انظر كتاب « الأزمنة والأنواء » لابن الأجدابي ص ١٤١ والمخصص ١٦/٩ .

ممسك الأعنة ، وموقعهـــا بين الثريّا والدبّ الأكبر .

ومن أسماء العيّوق عند العرب ؛ الحادي ، ورقيب الثريّا لأنه يطالع بطلوعها ، ولكنه يغيب بعدها (١) .

راعي الجَوْزاء ، وراعي النعائم : نجمان ، كوكبان .

[مادة ر ع ى]

راعي الجوزاء ، وراعي النعائم : الأول في الجوزاء والثاني في القوس .

ومما يلاحظ وجود تصحيف في ضبط الكلمة :

نِطَاق الجَوْزاء ثلاثة كواكبَ في وسطها .

[مادة ن ط ق]

في صورة الجبار أو في الجوزاء ثلاثة نجوم نيرة مصطفة في وسطها ، أي على خط واحد بالنسبة إلى الناظر اليها ، وهي من أشهر نجوم السماء ، يسميها العرب منطقة أو نطاق أو فقار الجوزاء ، أو ميزان الحق (٢) . لهذا كان من المستحسن أن يكون التعريف في المعجم الوسيط كالتالي : نطاق الجوزاء ، ثلاثة نجـــوم نيّرة مصطفة في وسط الجوزاء .

---

(١) انظر كتاب « الأزمنة والأنواء » ص ٧١ والمعجم الفلكي ص ٣٦ .

(٢) انظر المعجم الفلكي ص ١٦ .

العوائذ أربعة كواكب في وسطها كوكب يُسمَّى الرُّبَعَ .

هذا التعريف منقول عن بعض المعجمات القديمة ، على أن صاحب القاموس كان أكثر دقة في تعريفه إذ قال : العوائذ أربعة كواكب بتربيع مختلف في وسطها كوكب يُسمى الرُّبع ، وعلق شارح القاموس نقلاً عن التكملة قائلاً : في وسطها كواكب تُسمى الرُّبع .

والعوائذ عند علماء الفلك أربعة نجوم على شكل مربع في أضلاعه اختلاف : وهي في صورة التنين أو الثعبان.

أما الرُّبَع المشار إليه في تعريف المعجم الوسيط ، فإني لم أعثر على نجم معروف علمياً بهذا الاسم ، إنما قرأت في « الأنواء والأزمنة [1] » أن العوائذ : أربعة كواكب في تربيعها اختلاف وفي وسطها ، كوكب سحابي كأنه لطخة غيم يُسمَّى الرُّبَع ، فشبهت العرب هذه الكواكب بنوقٍ عوائذ ، عطفن على رُبَع [2] .

المَيْسان كلُّ نجم زاهر . (ج) مياسين .

في القاموس : الميسان : نجم من الجوزاء ، أو كل نجم زاهر .

وعند علماء الفلك : الميسان : أنور الهنعة ، والهنعة : نجمان زاهران في المجرَّة بين الجوزاء ورأس التوأمين ، وهي المنزل السادس من منازل القمر [3] ، أما النجم الآخر من الهنعة فيسمّى : الزِّرّ ، وقد أغفله المعجم الوسيط .

---

(١) انظر كتاب ابن الأجدابي ص ٦٧ .

(٢) العائذ من النوق : الحديثة النتاج ، لأن ولدها يعوذ بها ، والرُّبع : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج .

(٣) انظر المعجم الفلكي ص ١٤ ، والمنزل المذكور من المنازل التي أغفلها المعجم الوسيط . انظر ص ٦٠٠ من الجزء الثالث .

الفُرُودُ كَواكِبُ زاهراتٌ حول الثُّريّا . وفُـــرُود النُّجوم . أفرادها . أفراد النجوم الدّراريّ التي تطلع في آفاق السماء .	تعريف الفرود نقل عن اللسان ، وفي القاموس : أفراد النجوم وفرودها التي تطلع في آفاق السماء . والفرود (١) : كواكب مصطفّة خلف الثُّريّا . وعند علماء الفلك من العرب : الفرود : أربعة نجوم مصطفة في صورة الكلب الأكبر ، يقال لها النسق (٢) . والفرد : نجم وهو أنور نجوم صورة الشجاع . ويقال له : سهيل الفرد أو سهيل الشام .
الخُسَّانُ النجومُ التي لا تَغْرُبُ ، كالجَدْي ، والقُطب ، وبناتِ نَعْش ، والفَرْقدين ، وما أشْبَهَهَا . [مادة خ س س]	من لطائف العربية كلمة خُسَّان كرمّان وهي : النجوم التي لا تغرب ، قال ابن دريد : هكذا تسميها العرب (٣) . والنجوم التي لا تغرب هي : النجم القطبيّ والنجوم القريبة منه والدائرة معه حول القطب ، وتسمى بالفرنسية Circompolaire .

(١) جاء في بعض طبعات القاموس : (الفردود) كما ورد في بعضها الآخر : (حـــول الثريا) وقد نبه شارح القاموس إلى هذا التصحيف والاختلاف .

(٢) انظر المعجم الفلكي ص ٥٦ .

(٣) من لطائف العربية أيضاً ــ وقد أغفلها المعجم الوسيط ــ كلمة (مخسولة) ويطلقها العرب على النجوم المجهولة التي لا تعرف لها أسماء . قال الزمخشري : هو مخسول ومخسّل : مرذول . وفي مقاييس اللغة : الخاء والسين واللام : أصل واحد يدل على ضعف وقلة خطر .. والكواكب المخسولة : المجهولة التي لا أسماء لها ، قال :

ونحن الثريّا وجوزاؤها ونحن السِّماكان والمِرْزَمُ
وأنتم كواكبُ مخسولة تُرى في السماء ولا تُعلم

ويروى ــ كما في بعض المعجمات ــ (وأنتم كواكب مسخولة) بالمعنى نفسه ، كما ورد البيتان في معجمات أخرى برواية فيها : (ونحن الذّراعان ..) .

إن التعريف الوارد في المعجم الوسيط منقول عن القاموس ، ويلاحظ فيـــه أن كلة الجدي ضبطت خطأً ، لأن اسم النجم القطبيّ : الجُدَيّ ، مصغراً تمييزاً له عن اسم البرج ، كما سبق أن ذكرنا .

أما القطب فليس نجماً ، كما يفهم من التعريف الذي نقله المعجم الوسيط ، غير أن النجم الذي يدل عليه فينسب إليه يسمى : النجم القطبيّ ، وهو الجُدَيّ نفسه ، وقد سبق تفصيل الكلام عنـه وعن بنات نعش ، وعن الفرقدين بعض صفراهن (١) .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

الخُنَّسُ النجوم التي لا تغـــرب ، كالجُدَيّ والفرقدين ، وبقية بنات نعش ، وما يدور معها من نجوم حول القطب (٢) .

النَّيْزَك انظر : (ن ز ك) .

[مادة ن ي ز]

(نَزَكَ) فلاناً ـُـ نَزْكاً : طعنه بالنَّيْزَك . و ـــ عابَه

أجمع علماء العربية على أن النيزك هو الرمح القصير ، وقيل : رمحٌ نيزك على « النعت » أي قصير . وقيل : النيزك ذو سنان وزجّ ، والعكاز له زجّ ولا سنان له .

(١) انظر ص ٧٧٤ .
(٢) في بعض المعجمات القديمة كلمات أخرى تدل على معنى الخنّان نفسه ، مثل البيانيات (انظر مادة ب ي ن في القاموس) ومثل البابانيات (انظر مادة ب ب ن في اللسان) .

وطعن فيه بغير حقٍّ[١].

(النَّيْزَكُ) : الرُّمح القَصير . (مع) . و ـــ جرم سماوي يسبح في الفضاء فإذا دخل في جوّ الأرض احترق وظهر كأنه شهاب ثاقب متساقط . (مو) . [مادة ن ز ك]

وفي صحاح الجوهري : النيزك : رمح قصير كأنه فارسي معرب ، وقد تكلمت به الفصحاء ، والجمع النيازك ، وقد نزكه أي طعنه ، وكذلك إذا نزغه وطعن فيه بالقول .

وفي شفاء الغليل : نيازك : جمع نيزك وهو رمح قصير ، فارسي معرب نيزه ، تكلمت به الفصحاء ، قاله الجوهري واستعمله الحكماء في شعلة ترى كالرمح وهو أحد أقسام الشهب وصرّفته العرب . .

الشِّهابُ : الشُّعلة الساطعة من النار... و ـــ النجم المُضيء اللامع . و ـــ النجم المضيء المُنقض

وفي الصحاح : والشهاب شعلة نار ساطعة ، وإن فلاناً لشهاب حرب ، إذا كان ماضياً فيها .

وفي القاموس : الشهاب : شعلة من نار ساطعة ، والماضي في الأمر ، والشُّهب : الدراري .

(١) في المعجم الوسيط في مادة [ن ز ق] : نازقه منازقة ونزاقا : شاتمه . وتنازق الرّجلان : تشاتما . وكذا في القاموس وأكثر الأمهات . وفي اللسان : وأنزق الرجل إذا سَفِهَ بعد حلم . وتنازق الرجلان تنازقاً ونِزاقاً ومنازقة : تشاتما ، الأخيرتان على غير الفعل . والنَّيزق لغة في النَّيزك قال الشاعر :

وَنديان ، لولا ما هما لم تكد تُرى ... على الأرض ، إن قامت ، كمثل النَّيازق
كأنهما عِدْلا جُوالقِ أصبحا ، ... وَحشْوَهما تبنٌ على ظهر ناهق

وفي مقاييس اللغة : النون والزاء والقاف كلمة تدل على عجلة . والنون والزاء والكاف أَصيل يدل على طعن أو تشبيه به . منه النَّزك : الطعن بالنَّيزك . وفي أكثر الأمهات ، كما نلاحظ في متن الملاحظات ، أن كلمة نَيْزك فارسية معربة ، لذلك فإننا نرجح أن يكون فعل (نازق) مولد من النيزق إحدى صيغتي تعريب النيزك ، وليس بعربيّ أصيل .

من السماء . قال تعالى : ﴿فأتبعه شهابٌ ثاقبٌ﴾ . ويقال هو شهابُ علم أو شهاب حربٍ ونحوهما : للماضي الماهر . (ج) شهبٌ وشهبانٌ وأشهبٌ . و (الشُّهُب) الدَّراريُّ من الكواكب ، لشدّة لمعانها .

وفي اللسان : روى الأزهري عن ابن السكيت، قال : الشهاب : العود الذي فيه نارٌ ... قال الله تعالى : فأتبعه شهاب ثاقب ... أراد بالشهاب : الذي ينقض بالليل شِبْهَ الكوكب ، وهو في الأصل : الشعلة من النار .

ومن هذه النصوص يمكن أن نلاحظ على التعريفات الواردة في المعجم الوسيط ، ما يلي :

١ — دخلت كلمة النيزك العربية قديماً ، وصرّفتها العرب واشتقت منها الأفعال ، فلم تبق من ضرورة للإشارة إلى الكلمة في مادة [ن ي ز] إلا إذا اتخذت مثل هذه الإشارة قاعدة في المعجم .

هذا وكان من المستحسن أن يشار في المعجم الوسيط إلى صيغة التعريب الثانية (نيزق) .

٢ — إن تشبيه النيزك بالشهاب الثاقب يوحي باختلافهما ، وحقيقة مدلولهما واحد، والعلماء المحدثون فقط يحاولون إطلاق كلمة نيزك على الأجرام السماوية التي يصل بعضها إلى الأرض على رغم احتراقها بدخولها جوّ الأرض .

٣ — كان من المستحسن الإشارة في تعريف كل من النيزك والشهاب إلى الكلمة الثانية .

٤ — إن كلمة شهاب قد تعني النجم المضيء اللامع ، إذا ما وردت في كتب القدامى من العلماء والأدباء ، لذلك كان ضرورياً نقل هذا

التعريف عن المعجمات القديمة ، أما نقل تعريف الشهاب بأنه النجم المضيء المنقض من السماء في معرض تفسير آية قرآنية ، ففيه بعد عن الحقيقة العلمية ، لأن الشهب ليست نجوماً ، إذ أنها كتل من الحجارة والمعادن المختلفة الأحجام تسبح في الفضاء ، وقد يتفق اقترابها من منطقة جذب الأرض فتدخل جوها وتشتعل فجأة بسبب احتكاكها بالهواء فترى من الأرض كالنجم الثاقب المتساقط ، وفي معظم الحالات يتم احتراق الشهب قبل وصولها الأرض .

٥ — إن إثبات تعريف الشهاب بالنجم المضيء اللامع ، يغني عن نقل معنى الجمع (الشُّهب) ، لأنه لا يدل على حقيقة مقبولة .

المُذَنَّبُ نجم ذو ذنب طويل يظهر من حين إلى حين ، كمذنب « هَلْي » .

المذنّبات : نجوم ذوات أذناب مضيئة تسبح في الفضاء ، ولا ترى بالعين المجرّدة إلا إذا كانت شديدة الضوء .

وتظهر المذنبات في سماء الأرض كلما دخل فلكها في المدى الأقصى للرؤية ، لذلك فهي تظهر في فترات زمنية محددة .

إن أشهر المذنبات التي رؤيت في سماء الأرض

هو مذنب « هالي »[١] . ولو أن المعجم الوسيط اكتفى بتعريف المذنب دون الاستشهاد بالمذنب المذكور على الشكل الوارد في التعريف ، لكان التعريف أكثر انسجاماً مع طبيعة المعجم .

الفَلَكُ : الفضاء يدور فيه النَّجم أو الكوكب . (ج) أفلاكٌ . وعلم الفلك : علم يبحث فيه عن الأجرام العلوية وأحوالها .

هذا تعريف غير دقيق من حيث الصياغة ، إذ ليس الفلكُ الفضاء الذي يدور فيه النجم أو الكوكب ، بل هو : الطريق الذي يسلكه الجرم السماوي في دورانه .

ورد في القاموس : الفلك محركة : مدار النجوم ، ومثله ورد في اللسان ، مع تفسير الزجاج في قوله تعالى : ﴿ وكلٌّ في فلك يسبحون ﴾ . أي : لكل واحد منها فلك .

لقد كان من المستحسن أن يثبت المعجم الوسيط التعريف كما ورد في القاموس . كما نلاحظ أنه كان من المستحسن نعت الأجرام بالسماوية بدلاً من قوله : الأجرام العلوية .

الانقلاب : ارتداد الشمس من برج إلى برج ، وهما انقلابان شتائي وصيفي (مج) .

هذا التعريف لمصطلح الانقلاب مقتضب وغير دقيق ، لأن الانقلاب صفة للوقت الذي يبلغ فيه انحراف الشمس أقصاه نحو الشمال ، أو أقصاه نحو الجنوب ، وفيه تبدأ الشمس بالارتداد ، ويحدث هذا الارتداد مرتين كل سنة ، ينقلب

---

(١) ادموند هالي Halley (١٦٥٦ ـ ١٧٤٢ م) فلكي انكليزي درس المذنبات وكشف المذنب المعروف باسمه « مذنب هالي » وقد ظهر هذا المذنب للمرة الأخيرة عام ١٩١٠ ، وسوف يرى عام ١٩٨٧ م .

الزمن في الأولى من الخريف إلى الشتاء ، وفي الثانية من الربيع إلى الصيف .

لهذا كان من المستحسن أن يقال في التعريف :

الانقلاب اصطلاح يطلق على الزمن الذي ترتد فيه الشمس من أقصى انحرافها بالنسبة إلى الأرض ، وهما انقلابان : شتائيٌّ يوم يبتدئ فصل الشتاء ، وصيفيٌّ يوم يبتدئ فصل الصيف .

الاعتدال الربيعيُّ أو الخريفيُّ : حين يتعادل الليل والنهار.

الاعتدال صفة لوقت أو زمن يضاف غالباً إلى موصوفه ، فيقال مثلاً : وقت الاعتدال أو زمن الاعتدال ، وفي علم الفلك يقال : نقطة الاعتدال ، وقد يُحذف الموصوف ، فيقال : « الاعتدال » . والاعتدالان : نقطتان وهميتان في السماء ، إذا وصلتها الشمس في مسيرها الظاهري، أصبحت أشعتها عند الظهـــر عمودية على خط الاستواء ، ويتساوى النهار والليل يومئذ ، وينقلب الزمن في أولها من الشتاء إلى الربيع ، وفي ثانيها من الصيف إلى الخريف .

لهذا كان تعريف كلة الاعتدال في المعجم الوسيط ، وهي من المصطلحات الفلكية والجغرافية، مقتضباً ، غير واضح ، وكان من المستحسن أن يقال في التعريف :

الاعتدال : اصطلاح يطلق على الوقت الذي يتعادل فيه الليل والنهار ، وهما اعتدالان : ربيعيّ ويكون في أول يوم من فصل الربيع ، وخريفيٌّ ويكون في أول يوم من فصل الخريف .

المِهْرَجانُ الاحتفال يقام ابتهاجاً بحادث سعيد ، أو إحياءً لذكرى عزيزة ، كمهرجان الأزهار ومهرجان الشَّباب ، ومهرجان الجلاء . والكلمة فارسية مركبة من كلمتين ، الأولى . (مِيهْر) ومن معانيها الشمس ، والثانية : (جان) ومن معانيها الحياة أو الروح . ومن معاني الكلمة المركبة في الفارسيـة : الخريف ، والاعتـدال الخريفي . و ـــ احتفـال يقام في السادس والعشرين من شهر ميهْر (سبتمبر) من كل عام ، لوقوع الاعتدال الخريفي فيه .

[مادة م هـ ر]

أحسن المعجم الوسيط صنعاً بإثبات كلمـة (مهرجان) لشيوعها في مختلف البلاد العربية بمعنى الاحتفال الكبير ، لا سيما أن بعض الكتاب والأدباء اشتق منها فعلاً فقالوا : « مَهْرِجُونا كل يوم » أي : ادعونا إلى الاحتفال كل يوم .

غير أننا نلاحظ إمكان إغفال تحديد تاريخ مهرجان الاعتدال في دولة إيران خوف اللبس من أن شهر (مِيهْر) يقابل شهر ايلول (سبتمبر) ، لأن الشهر المذكور يبتدئ بالواقع يوم ٢٢ ايلول (سبتمبر) أي يوم الاعتـدال الخريفيّ ، ومن المنطق أن يقام مهرجان الاعتدال في اليـــوم الأول منه ، كما يقام الاحتفال بالسنة الجديدة في أول أيام الربيع (النَّوْروز) .

الزِّيجُ كتابٌ يُعرف منه سير الكواكب ومنه يستخرجُ التقويمُ ، أي حساب الكواكب لسنة سنةٍ . (مع) . و ـــ خيط البَنّاء . (ج) أزْياجٌ ، وزِيجةٌ .

الزِّيج في المعجم الوسيط ، كلمتان : عربية بمعنى خيط البنّاء ، ومعربة اسم كتاب يستخرج منه التقويم ، وهـذا يخالف ما ورد في أغلب الأمهات ، وإن شك فيه الأصمعي ، والزيج ، كما ورد في اللسان والقاموس : خيط البَنّاء أو المِطْمَر ، وهو معرب (زه) بمعنى وتر .

ويلاحظ اغفال الإشارة إلى الكلمة العربية لخيط البَنّاء ، في المعنى الثاني لكلمة (الزِّيج) . وكذلك اغفال الإشارة إلى كلمة (المطمر) نفسها في مادة [ط م ر] .

لقد كان من المستحسن أن يكون التعريف كما يلي :

الزِّيج (مع) : كل كتاب يتضمن جـداول فلكيـــة يعرف منها سير النجوم ، ويستخرج بواسطتها التقويم سنة سنة . و ـــ خيط البَنّاء وعربيته المِطْمَر .

المِجَسْطِي كتاب قديم في الهندسة والفلك ، وضعـــه بَطْلَيمــوس الفلـــكي المصري حوالي سنة ١٤٠م.

المِجَسْطِي لقب كتاب بطليموس(١) في الفلك، ومعناه « الأكبر » وبطليموس عالم فلكي ولد في صعيد مصر ومات فيهـا سنة ١٦٧ م ، ألف كتابه باللغة اليونانية ، وعنها ترجم إلى العربية .

(١) قال أمين المعلوف : الميم في بطليموس Ptolémée قبل الياء . فيقال بَطْلَمْيوس أو بَطْلُمْيوس لا بطليموس ! والمجسطي بكسر الطاء (تحقيق نلينو) . انظر المعجم الفلكي ص ١٦ كلمة « Almagest ».

وترجم إلى العربية في عهد المأمون، وعُدَّ حجّة في بابه .

لقد كان من المستحسن أن يشير المعجم الوسيط إلى لغة الكتاب الأصلية ، وكتاب المِجَسْطي هذا – وإن عُدَّ حجّة في بابه يوم أُلِّف أو يوم تُرجم – إلا أنه يقوم على نظرية اعتبار الأرض ثابتة والعالم يدور حولها .

البِنْكامُ ساعة الرَّملِ ، وشبه بعض الشعراء المحدثين الخصر النحيل بخصر البنكام .
[مادة ب ن ك]

الكلمة دخيلة ، وكان من المستحسن أن يشير المعجم الوسيط إلى أعجميتها . ولم أعثر على أصل الكلمة (١) ، غير أن صاحب شفاء الغليل قال : لفظ يوناني وهو معرب عربه أهل التوقيت وأرباب الأوضاع ووقع في شعر المحدثين في تشبيه الخصر : وخصره شد بنكام . وتقلبه العامة فتقول : منكاب وهو غلط (٢) .

خنسَ الكوكب : توارى فهو خانس . (ج) خُنَّس .
الخُنَّسُ : الكواكب السيارة دون الثابتة .
و الدَّراري الخمسة : زحل ، والمشتري ،

قال ابن فارس في مقاييس اللغة : الخاء والنون والسين أصل واحد يدل على استخفاء وتستر . قالوا : الخَنْس الذهاب في خفية . يقال خَنَسْتُ عنه ، وأخنست عنه حقّه . والخنَّس : النجوم تخنس في المغيب . وقال قوم : سميت بذلك لأنها تخفى نهاراً وتطلع ليلاً .

(١) لم ترد الكلمة في الأمهات ، وفي التاج – كما في غيره – البنك بالضم أصل الشيء وهو معرّب .. قال الأزهري : البنك بالفارسية الأصل أو خالصه . قال ابن دريد : كلام عربيّ صحيح والبنك : الساعة من الليل . انظر مقابل الكلمة في المعاجم الفرنسية Sablier وفي المعاجم الانكليزية Sandglass .

(٢) انظر شفاء الغليل للخفاجي ص ٧٤ .

والمرّيخ ، والزهرة ، وعطارد .	والخنّاس في صفة الشيطان ، لأنه يخنِسُ إذا ذكر الله تعالى . . .
و ـــ الكواكب كلها .	وقال أيضاً في كنس : الكاف والنون والسين أصلان صحيحان ، أحدهما يدل على سفْر شيء عن وجه شيء ، وهو كشفُه . والأصل الآخر يدل على استخفاء . . . والكُنَّس : الكواكب تكنس في بروجها كما تدخل الظباء في كناسها . قال أبو عبيدة : تكنِس في المغيب .
كنست النجوم كنوساً : استمرت في مجاريها ثم انصرفت راجعة فهي كانسة . (ج) كُنَّسُ . والجواري الكُنس : الكواكب الخمسة: المريخ ، وزحل ، وعطارد ، والزهرة ، والمشتري ، لأنها تكنِسُ كالظباء : تغيب وتستتر ، أو هي النجوم كلها ، لأنها تبدو ليلاً وتختفي نهاراً .	وقال الزجاج ـ كما في اللسان ـ في قوله تعالى : فلا أقسم بالخُنَّس الجَوار الكُنَّس : أكثر أهل التفسير في الخُنَّس : أنها النجوم وخنوسُها أنها تغيب ، وتكنسُ : تغيب أيضاً ، كما يدخل الظبي في كناسه .
	وقال الزمخشري في أساس البلاغة : خنس الرجل من بين القوم خُنُوساً إذا تأخر واختفى ... ومن المجاز : خَنَس الكوكب : رجع (فلا أقسم بالخُنَّس) .
	من هذه النصوص في بيان معنى فعلي خنس وكنس ، نعتقد بأن المعجم الوسيط لو اكتفى بما أورده في معنى الفعلين المذكورين لأحسن صنعاً ، أما نقله ما ورد في المعجمات من معانٍ ، وتعداد لأسماء الكواكب وأكثره من تصنيف المفسرين ، فلا قيمة له لافتقاره إلى سند صحيح ، وكان من المستحسن حذفه .

خَسَفَتْ الشمس والقمر : ذهب ضوؤها .

كَسَفَتِ الشمسُ : احتجبت وذهب ضوؤها لحيلولة القمر بينها وبين الأرض .

في القاموس المحيط : وكسفت الشمس والقمر كسوفاً احتجبا ، كانكسفا ، والله تعالى إياها حجبها ، والأحسن في القمر خَسَفَ وفي الشمس كَسَفَتْ .

وفيه أيضاً : خَسَفَ القمر كَسف ، أو كَسَفَ للشمس وخسف للقمر . . .

وقال ابن فارس في مقاييس اللغة : الخاء والسين والفاء أصل واحد يدل على غموض وغُؤور وإليه يرجع فروع الباب ... ومن الباب خسوف القمر ، وكان بعض أهل اللغة يقول : الخسوف للقمر والكسوف للشمس .

وفي المصباح المنير : خسف القمر : ذهب ضوؤه أو نقص ، وهو الكسوف أيضاً ، وقال ثعلب : أجود الكلام : خسف القمر وكسفت الشمس .

مع هذه النصوص كان من المستحسن أن يأخذ المعجم الوسيط بأجود الكلام فيخص القمر بالخسوف والشمس بالكسوف ، على أن يشير إلى القول الآخر ، أما أن يقرن الشمس بالقمر في مادة [خ س ف] ويخص الكسوف بالشمس ، فهذا لا يتفق مع أجود الكلام ، حتى ولا مع ما ورد في أكثر المعجمات القديمة .

وكان من المستحسن أيضاً أن يضاف إلى ذهاب الضوء في التعريف (نقصانه) كما في المصباح المنير.

دَرَّ ... و ـــ السِّراجُ : أضاءَ .

الدُّرُّ اللؤلؤُ العظيم الكبير .

الدُّرِّيُّ الكوكب المتلألئ الضوء . (وانظر : درأ) .

[مادة د ر ر]

دَرَأَ ... و ـــ الكوكبُ : اندفع في مُضِيِّه من المشرق إلى المغـــرب . و ـــ تلألأَ وتوقّد . و ـــ النارُ : أضاءت .

الدُّرِّيءُ الكوكب المندفعُ في في مُضِيِّه من المَشْرِق إلى المغـــرب . (ج) دَرَارِيءُ . و ـــ المتوقّد المتلألئ .

[مادة د ر أ]

نجم عن التصحيف بالإهمال أو الإعجام ، وعن الهمز أو التليين ، وعن تعدد الروايات واختلاف اللهجات ، اضطراب وتداخل في معاني بعض مواد العربية ، ولم تخل أكثر المعجمات وأصحها من وجود هذا الاضطراب في بعض موادها ، ومن الامثلة على ذلك مادة [د ر أ] المهموزة ومادة [د ر ر] المضاعفة ، وليس كابن فارس في كتابه عن « مقاييس اللغة » من يعتمد عليه من أجل التخطيط لوضع معجم حديث يخلو من التداخل والاضطراب الملحوظ وجودهما في بعض مواد العربية الواردة في المعجمات القديمة .

قال ابن فارس في « باب الدال وما بعدها في المضاعف والمطابق » : الدال والراء في المضاعف يدلّ على أصلين :

أحدهما تولّد شيء عن شيء ، والثاني اضطراب في شيء ، فالأول الدَّرُّ دَرُّ اللبن ...

وأمّا الأصل الآخر فالدَّرِيرُ من الدوابّ : الشديدُ العَدْو السريعُه ...

والدُّرُّ : كبـــار اللؤلؤ ، سمّي بذلك لاضطراب يُرى بصفائه ، كأنه ماءٌ يضطرب ...

والكوكب الدُّرِّيُّ : الثاقب المُضيء . شُبِّه بالدُّرِّ ونُسب إليه لبياضه .

وقال أيضاً في مادة [د ر ى] : الدال والراء والحرف المعتلّ والمهموز . أمّا الذي ليس بمهموزٍ فأصلان : أحدهما قَصْد الشيء واعتمادُه طلباً ، والآخر حِدّةٌ في الشّيء . وأما المهموز فأصل واحد ، وهو دفْع الشّيء .

... وأما المهموز قولهم دَرَأْتُ الشّيءَ : دفعتُه ... ودَرَأ فلانٌ ، إذا طَلَعَ مفاجأةً ، وهو من الباب ، كأنه انْدَرأ بنفسه ، أي اندفع ، ومنه دارأْتُ فلاناً ، إذا دافَعْتَه ، وإذا ليّنت الهمزة كان بمعنى الخَتْل والخِداع ، ويرجعُ إلى الأصل الأوّل الذي ذكرناه في دَرَيت وادّرَيْت ...

هذا ما قاله ابن فارس في معجمه « مقاييس اللغة » ونحن اعتماداً على الأقوال المذكورة ، وعلى ما ورد في ثنايا المعجمات الأخرى ، نقترح ترتيب المادتين المذكورتين ، فيما يتعلق بالمعنى المنقول عن المعجم الوسيط ، على الشكل التالي :

في [مادة د ر ر]

دَرّ السِّراج : تلألأ ضوؤه [1] .

---

(١) اللسان : درّ السيف : تلألأ وأشرق .

الدُّرُّ : كبار اللؤلؤ(١) . والدُّرَّة : اللؤلؤة(٢).
الدُّرِّيّ : نسبة إلى الدُّر في حسنه وبهائه (٣) ، وقد تثلث داله (٤) ، والكوكب الدُّري: المُضيء المتلألئ . (ج) دَرَارِي (٥) .

في [مادة د ر أ]

دَرَأَ الكوكبُ : اندفع في مُضيّه من المشرق إلى المغرب ، أو طلع متوَقّداً (٦) . ودرأت النار : انتشرت أو اندفعت مشتعلة (٧) .
الدِّرِّيء : الكوكبُ المندفع في مضيّه من المشرق إلى المغرب . (ج) دَرَارِيء . وقد تثلث دالُه (٨) .

(يتبع) عدنان الخطيب

(١) مقاييس اللغة : الدّرّ : كبار اللؤلؤ .
(٢) صحاح الجوهري : الدُّرّة : اللؤلؤة ، والجمع درر ودرات .
(٣) التاج : كوكب دري : ثاقب مضيء منسوب إلى الدّر في صفائه وحسنه وبهائه .
(٤) القاموس : كوكبٌ دُرِّيٌّ : مُضيءٌ ويثلّث .
(٥) الأساس : كوكبٌ دُرِّيٌّ ، وطلعت الدراريّ نسبت إلى الدرّ وهو كبار اللؤلؤ
(٦) الأساس : ومن المجاز : درأ الكوكب : طلع كأنه يدرأ الظلام .
(٧) اللسان : اندرأ الحريق : انتشر ، وقال شمر : يقال درأت النار إذا أضاءت .
(٨) اللسان : كوكب دُرّيٌّ : مندفع في مُضيّه ... قال أبو عبيد : إن ضممت الدّال يكون منسوباً الى الدُّرّ ، ولم تهمزه ... وقال النحويون : دِرِّيءٌ بالكسر والهمز ... وحكى الأخفش عن بعضهم : دَرِّيءٌ ... وهمزها وجعلها على فعيل مفتوحة الأول .

تعليق على مقال

الألفاظ المشتركة في العاميتين : المصرية والمغربية

« اللسان العربي » مجلة قيمة ، يصدرها في الرباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب ، التابع « لجامعة الدول العربية » .

وهي من المجلات التي تشتد الحاجة إلى مثلها : ففيها بحوث مفيدة ، تعود بالنفع على العرب والعربية .

ومن هذه البحوث ، مقال نشرته هذه المجلة في جزئها الثاني الصادر في شهر رمضان سنة ١٣٨٤ = يناير (كانون الثاني) من سنة ١٩٦٥ للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ، من أساتيذ كلية الآداب في الرباط ، أورد فيه طائفة من الألفاظ قال إنها من « الألفاظ المشتركة في العاميتين المصرية والمغربية » .

وقد أراد الأستاذ أن يجعل مقاله هذا : « امتداداً للدراسة حول التمهيد لإبراز مظاهر الوحدة بين اللهجات العربية من أجل العمل على تفصيحها » .

وهو عمل مشكور (فتفصيح)[1] اللهجات ، أو بعبارة أصح ، تصحيحها ، وذلك بردّ الألفاظ العامية إلى أصلها الفصيح ـ إذا كان لها فيه من أصل ـ

(١) فصّح اللبنُ : بالتضعيف : ذهبت رغوته ، فعل لازم لا متعدٍ . وقد يكون التوسع في بعض هذه الأوزان ضرورياً إذا اقتضته الضرورات على أن تقره المجامع اللغوية فلا يكون من عمل الأفراد .

أو إيجاد ما يغني عنها من لفظ صحيح ، هو أكثر ما نحتاج إليه في تقريب مسافة الخُلف بين الفصحى والعامية ، إلى أن يُقضى على هذه العامية ، أو يخف ضررها ، بتضييق مدى استعمالها في مفرداتها وفي تراكيبها .

على أن الذي يؤخذ على الأستاذ ، أن بحثه يوهم ظاهره ، أن ثمة لغة عامية خاصة يستقل بها القطران الشقيقان : مصر والمغرب ، دون سائر الأقطار العربية . على أن الأمر ليس كذلك ، فالألفاظ التي ذكرها الأستاذ وخصّها بعامية القطرين ، فيها :

١ — الصحيح الفصيح ، الذي لا يعد من العامية ، بل هو مما دونته دواوين اللغة واستعمله الفصحاء في كل قطر عربي منذ قرون .

٢ — من هذه الألفاظ ما لا يجوز أن يعد في العامية ، لأنه صحيح ، أخطأت العامة في لفظه بتسهيل حرف من حروفه ، أو إبدال حرف منه بحرف آخر ، أو بتقديم أو تأخير في بعض الحروف .

٣ — ألفاظ عربية المادة ، خرجتها العامة في صيغة لم تسمع عن العرب ولا دونتها معاجمهم .

٤ — ألفاظ حاكوا بها الأصوات .

٥ — ألفاظ أو كنى استعاروها للدلالة على معان خاصة .

٦ — ومن هذه الألفاظ العامية ، سواء أكان عربياً في أصله أم دخيلاً ، ما هو من الألفاظ المشتركة العامة التي تستعمله عامة كل قطر عربي ، لا عامة مصر والمغرب وحدهما .

١ — فمن الطائفة الأولى : الألفاظ الفصيحة التي عدها الأستاذ من عامية القطرين :

افتضح (١) — انفضح — أيس (٢) — الباع (٣) — البيّاع (٤) — بصبص (٥) — بطّال (٦) — بعيد — براني (٧) — جواني (٧) — تأفف (٨) .

البعيد (٩) — تنهد (١٠) — تفرشخ (١١) — الحجاب (١٢) — الحرز (١٢) —

---

(١) افتضح الأمر ، لغة ، اشتهر ، والرجل تكشفت مساوئه وانفضح ، مطاوع فضح ، وهي صيغة تكاد تكون قياسية . وقد عممتها العامة وأقامتها مقام المبني للمجهول .

(٢) أيس بمعنى يئس زنةً ومعنى .

(٣) الباع : مسافة بين الكفين ، إذا انبسطت الذراعان : يميناً وشمالاً . هذا على الحقيقة . وعلى المجاز يقال : فلان طويل الباع في كذا . أي بلغ الغاية منها . مستعملة بمعنييها : الحقيقي والمجازي ، في الفصحى والعامية .

(٤) البيّاع : مبالغة اسم الفاعل ، وهو الكثير البيع .

(٥) بصبص الكلب : حرك ذنبه .

(٦) البطال : المتعطل عن العمل .

(٧) في حديث سلمان : ان لكل امرىء جوانياً وبرانياً . فمن أصلح جوّانيّه ، أصلح الله برّانيه . قال ابن الأثير : أي باطناً وظاهراً ، وسرّاً وعلانيةً .

(٨) تأفف : قال : أف . والأُف الوسخ حوالي الظفر . وقيل انه وسخ الأذن . يقال ذلك عند استقذار الشيء ، ومن كرب أو ضجر أو ألم .

(٩) البعيد : بمعنى الأجنبي : فصيحة عامية ، قديمة حديثة ، ضد القريب بمعنييها . قال هنّي بن أحمر الكناني وقيل هو لزُرافة الباهلي :

هل في القضية أن إذا استغنيتم وأمنتم فأنا البعيد الأجنبُ
وإذا الكتائب في الشدائد مرة حفزتكم فأنا الحبيب الأقرب

(١٠) تنهد : تنفس الصعداء ، أخرج نفَسه حزناً أو ألماً .

(١١) تفرشخ وفرشخ أو فرشح : باعد ما بين رجليه .

(١٢) الحجاب والحرز : لغة وعند العامة ، ما حجبك أو أحرزك . وهما التعويذ والعوذة .

حط (١) — الحُرقة (٢) — الحفا (٣) — خربش (٤) — خلّى (٥) — الخواء (٦) — دندن (٧) — الرِزمة (٨) — الزريبة (٩) — الحوائج (١٠) .

(١) حط الشيء : وضعه . وكل ما أنزلته عن ظهر ، أو غيره : فقد حططته . وفي الدعاء حط الله عنه وزره .

(٢) الحُرقة : بالضم والفتح : الحرارة . يقال في جوفه حرقة .

(٣) الحفا : المشي بلا خف .

(٤) خربش الكتاب : أفسده .

(٥) خلى مكانه : تركه .

(٦) الخواء بالمد وبالتسهيل : خلو الجوف من الطعام .

(٧) دندن : كأنه يشكو ولا يفهم منه كلام .

(٨) الرزمة بالكسر : ما شد في ثوب واحد .

(٩) الزريبة : حظيرة المواشي .

(١٠) الحوائج ، التي عدها الأستاذ من عامية مصر والمغرب ، لفظة صحيحة فصيحة ، وإن قام حولها جدل في ما غبر من الزمن . ولا بأس أن نحكي حكايتها ، ونحن في الحديث عن العامي والفصيح .

في لسان العرب : « جمعُ الحاجة : حاج وحاجات وحوائج . والأخيرة على غير القياس ، كأنهم جمعوا حائجة . وكان الأصمعي ينكره ويقول : هو مولّد . قال الجوهري وإنما أنكره لخروجه ، عن القياس ، وإلا فهو كثير في كلام العرب ، وينشد :

نهار المرء أمثل حين تُقضى حوائجه من الليل الطويل

قال ابن بري : والنحويون يزعمون أنه جمع لواحد لم يُنطق به ، وهو حائجة . قال وذكر بعضهم : أنه سمع حائجة لغة في الحاجة ، وأما قوله إنه مولّد ، فانه خطأ منه ، لأنه قد جاء ذلك في حديث سيدنا الرسول (ﷺ) وفي أشعار العرب الفصحاء .

فما جاء في الحديث ، ما رُويَ عن ابن عمر : أن رسول الله (ﷺ) قال : « إن لله عباداً خلقهم لحوائج الناس ، يفزع الناس اليوم في حوائجهم » ؛ وفي الحديث أيضاً أنه (ﷺ) قال : « اطلبوا الحوائج الى حسان الوجوه » ؛ وقال : « استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها » .

الشِكال (١) — شكم (٢) — الفتوح (٣) — الهَمَج (٤) .

— ومما جاء في أشعار الفصحاء قول أبي سلمة المحاربي :

ثممت حوائجي ووذأت بِشراً ... فبئس مُعرسُ الركب السغابِ

ثممت : أصلحت . وذأ : زجر . السغاب : الجياع .

وقال الشماخ :

تَقطَّعُ بيننا الحاجات إلاَّ ... حوائجُ يعتسفن مع الجري

وقال الأعشى :

والناس حول قبابه ... أهل الحوائج والمسائل

وقال الفرزدق :

ولي في بلاد السند عند أميرها ... حوائجُ جمّاتٌ وعندي ثوابها

ثم يقول ابن بري :

وكنت سُئلت عن قول الشيخ الرئيس أبي محمد القاسم بن علي الحريري في كتابه « درة الغواص » ان لفظة « حوائج » مما توهم في استعمالها الخواص . وانه لم يسمع شاهداً على تصحيح لفظة « حوائج » إلا بيتاً واحداً لبديع الزمان الهمداني ، وقد غلط فيه . وهو قوله :

فسيان بيت العنكبوت وجَوْسَق ... رفيع إذا لم تُقض فيه الحوائج

إلى أن يقول : « فأكثرت الاستشهاد بشعر العرب والحديث » ، (ويستشهد بستة أبيات المتقدمين من الشعراء وردت فيها حوائج) .

(١) الشِكال : القيد — العقال وفي الخيل : أن تكون ثلاث قوائم منه محجلة ، والواحدة مطلقة ، عربية ، أصيلة ، يعرفها كل من عرف الخيل ، اقتناء أو سماعاً . ولا أدري من أين جاء لها الأستاذ بالنسب الفارسي ، إذ قال انها فارسية .

(٢) شكمه يشكُمه : وضع الشكيمة في فيه . والشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة في الفم : عربية ، عرفها الخاصة والعامة .

(٣) الفتوح : جمع فتح — وهو النصر ، والاستيلاء على بلد قهراً . وليست تسمية باب في مصر والمغرب بـ «باب الفتوح» بمخرج للكلمة عن فصاحتها ، دع أن تخصّها بعامية القطرين . وفي غيرها مواضع تعرف بـ « الفتوح » من ذلك « مقاطعة » في قضاء كسروان من أعمال لبنان .

(٤) الهمج : الرّعاع من الناس — وقيل : هم الهَمَل لا نظام لهم .

فهذه وألوف من أمثالها لا يخرجها من الفصيح الصحيح ، استعمال العامة لها ، وإلاّ عد عامياً كل ما تنطق به العامة ، وهو بمجموعه الأكبر من قح العربية ولبابها . وليس العامي في جانبه إلاّ كالوَشَل من « القواميس » و « المحيطات » .

٢ — ومن الطائفة الثانية : كلمات صحيحات فصيحات عدّها الأستاذ من عامية القطرين لخطأ العامة ، وبعض الخاصة في لفظها . وذلك بتحويل حرف إلى حرف آخر ، أو لتقديم أو تأخير في بعض حروفها ، من ذلك :

أور عينه (١) — انسرأ (٢) — زعأ (٣) — زلأ (٤) — ألدغ (٥) — زعلوك (٦) — زفر (٧) — السبوع (٨) — سك (٩) « البـــاب » —

(١) أور عينه = صحيحها قور بالقاف .

(٢) انسرأ = هي انسرق . يقال انسرق فلان من القوم ، إذا انسحب . وعلى التخصيص إذا خنَس ليذهب . ومعنى خنس : تأخر ، وتنحى ، وتوارى ، واستخفى . فانظر إلى ما في هذه اللفظة (انسرق) من دقة في التعبير . وهي هي بلفظها عند من يحسن النطق بالقاف المقلقلة ، وبمعناها في الفصحى وفي العامية .

(٣) زعأ : هي زعق : صاح صيحة مفزعة . فصيحة عامية .

(٤) زلأ : هي زلق : زلقت به القدم أي زلّت .

(٥) ألدغ . هو الألثغ : وهو من تحول لسانه من حرف إلى حرف .

(٦) الزعلوك هو الصعلوك .

(٧) زفر صوابها بالذال .

(٨) السبوع هو الأسبوع .

(٩) سك الباب صوابها صك الباب بالصاد .

دهست (١) السيارة — بتاع (٢) — غرغرت (٣) عينه — جاهم (٤) — البعصوص (٥) — بحلق (٦) .

ويقرب من ذلك : أيش (٧) — وأيمتى (٨) . فهذه أيضاً ومئات من أمثالها لا ينزلها خطأ في لفظها ، عن الفصحى إلى العامية .

٣ — الطائفة الثالثة : الألفاظ التي مادتها الأصلية عربية ، إلا أن العامة خرجتها - قياساً على غيرها - على صيغة لم تسمع عن العرب ، ولا ورد نص عليها . من ذلك :

تعبان : قاسوها على جوعان وظمآن وشبعان وملآن وعريان .

والعرب لم تقل « تعبان » بل قالت تعب .

ومثلها : عيّان للمريض ، والعيّان هو الكالّ والعاجز ، والصلة بين المريض ، وبين الكال والعاجز صلة قريبة .

وكذلك قالوا : « مرضان » من مرض و « هلكان » من هلك ، و « خفتان » وهو من اشتد جوعه « من خفت » ومعناها سكن ومات فهذه ألفاظ عربية الأصل ، ولكنه لم يرد نص عليها .

(١) دهس صحيحها رهس (بالراء) — ورَهس الشيءَ : وطئه وطأً شديداً .
(٢) بتاع المصرية ، هي متاع الشامية بقلب الميم باء . أو هي من مبتاع أي مشترى ، من ابتاع الشيء : اشتراه .
(٣) غرغرت صوابها رغرغت . وفي اللسان : وتغرغرت عيناه تردد فيهما الدمع .
(٤) جاهم صوابها زاحم .
(٥) البعصوص صوابها العصعص .
(٦) بحلق قلبت عن حلق . وفي اللسان : وحلق اليه نظر نظراً شديداً .
(٧) أيش منحوتة من أي شيء وهي قديمة الاستعمال سمعت في القرن الرابع من الهجرة .
(٨) أيمتى صوابها متى . ولا حاجة لإدخال أي عليها .

٤ — الطائفة الرابعة : الألفاظ التي حكوا فيها الأصوات جرياً على ما جرى عليه العرب من قبل . فقالوا :

هبهب الكلب — بعبع الجمل — أو الرجل : إذا تكلم بصوت غليظ يخرجه من حلقومه ، وبعبع لغة حكاية بعض الأصوات ، وخصها بعضهم بصوت الماء إذا خرج من إنائه متتابعاً ، إلا أن العامة خصتها بما تقدم شرحه .

٥ — الطائفة الخامسة : ألفاظ أو تراكيب عربيسة استعاروها للدلالة على معان خاصة ليست لها في الأصل .

من ذلك : أبو علي . قال الأستاذ عبد العزيز : « أبو علي الرجل اللطيف الكريم في لغة مصر . وأبو علال في المغرب كناية عن الفقر المدقع » . ولست أدري إذا كان جائزاً أن يكون « أبو علي » المصرية و « أبو علال » المغربية كنية واحدة ؟ على أن « أبو علي » تطلق في كثير من الأقطار العربية على الرجل الشجاع . أو من يدعي الشجاعة وليس منها فيقولون : « عامل حاله أبو علي » . وهي في مصر — على ما قال لي بعض أساتذتها — تستعمل هذا الاستعمال .

برمكي : قال الأستاذ « إنها تطلق في مصر على الرجل فاقد الغيرة . وإنها في المغرب تطلق على الكريم » .

نقول : وكذلك هي في سائر الأقطار العربية ، تطلق على الرجل الكريم جداً . يقال هذا « برمكي » أي بلغ من الكرم نهايته . وقيل إن هذه اللفظة معروفة أيضاً بمصر مستعملة لهذا المعنى .

بغل : قال الأستاذ « يقال فلان بغل أي غبي . وكذلك هي — في ما نعرف من الأقطار العربية — تستعمل للقدم الغليظ .

الجعيدي : قال الأستاذ « الجَعْد من الرجال : المجتمع المتداخل المدملج » .

نقول : نعم ! هذا معنى « الجعد » لغةً . أما الجعيدي اللفظة التي قال الأستاذ إنها تطلق بمصر على من مَلّ ذوقه وكياسته وفي المغرب على الضعيف البنية كأن أعضاء جسمه تندمج بعضها في بعض ، فهي في مصر تطلق على ما جاء في الوسيط ـ وهو معجم مصري ـ على الرجل التافه لا غناء عنده . والجعيدي عندنا تطلق على من اشتد بخله حتى بلغ اللؤم .

٦ ـ الطائفة السادسة : الألفاظ الدخيلة على العربية ، ولكنها لا تخص القطرين ، مصر والمغرب ، بل هي شائعة في كل قطر عربي فما ذكره الأستاذ :

البوغاز ـ البابوج (بالجيم) أو البابوش (بالشين) ـ البنديرة (للعلم) ـ التنده (لما يشبه الخيمة) ـ الجوخ ، والشيت ، وهما نوعان من القماش ـ الخُوجه ـ أو الخواجه (للشيخ أو المعلم أو السيد) ـ التمغة للطابع وبعضهم يلفظها بالدال (دمغة) ذهاباً منهم إلى أنها عربية من « دمغ » ـ السطل ـ الطربوش ـ الورديان (بمعنى الناظر أو الحافظ) .

ومما يدعو إلى الاغتباط أن كثيراً من هذه الألفاظ قد أُبدل بها ألفاظ عربية . إلا ما كان متأصلاً من قبل .

فلا يقول أحد اليوم « البنديرة » ولا « التمغة » ولا « الورديان » ولا الكوبانية (الشركة) فهذه وأمثالها أكثر ، أميت وأهمل ، أو في طريقه إلى الإماتة والإهمال .

وثمة أمر لا بد من الإشارة اليه ، وهو أنه يقع أن يستعمل قطران كلمتين مختلفتين لمعنى واحد وتكون كل منهما فصيحة صحيحة إلا أن هذا القطر اختار لفظة غير اللفظة التي اختارها القطر الآخر .

فالزَّنَفَة مثلاً ، لفظة عربية فصيحة ، لا يستعملها إلا المغرب . وتكاد تجهلها حتى الخاصة في سائر الأقطار العربية .

وبعد فإني ما أردت بهذا التعليق إلا التنويه بفضل الأستاذ عبد العزيز أولاً ، ثم لفت نظره إلى أنا نحن العرب أمة واحدة حتى لغتنا العامية تكاد تكون واحدة في كل قطر ، وأن ما يظهر من الصعوبة في بعض الأحيان مرده إلى التلفظ بالكلمة ، وإلى الأسلوب في النطق أكثر مما هو في الكلمة نفسها .

وأما الأمثال فهي واحدة في الغالب ، إذا اختلف بعضها في القليل من بعض كلماتها ، فالمعنى واحد ، واللفظ يكاد يكون واحداً .

لغة واحدة ، وأمة واحدة ، في شعوب مختلفة متفرقة ! . . .

عارف النكدي

الشرف الأنصاريّ

شعره ومذهبه الفنيّ

نستطيع أن نتبين في شعره أغراضاً رئيسية ثلاثة هي : مدح وأحداث ، ونسيب وغزل ، ومطارحات وألغاز . ويقتضي منا هذا دراستها لنبين من خلالها مذهب الشاعر الفني ومكانته بصفة كونه كبيراً لشعراء عصره في مذهب التورية والانسجام .

مدح وأحداث

في ديوان الشاعر قصائد نبوية متعددة ، مدح بها الرسول الكريم ﷺ ، وجرى فيها على سنة من سبقه من الشعراء . أشار قطب الدين اليونيني إلى نبوية غير موجودة في الديوان ، وذكر أنها أول مدحة قالها فيه ، وأنشدها في حجرته النبوية الشريفة سنة ٦١٩ ﻫ ، وأورد ما قدمه الشاعر في طرتها ، وهو قوله : « مدحه العبد الضعيف عن حسن تدبيره ، القوي في سوء تقصيره ، المستوحش من انفراده بذنبه ، المستأنس إلى شفاعة نبيه المشفوعة برحمة ربه ، عبد العزيز بن محمد الأنصاري ، جعل الله عليه جائزته ، مواصلة صالح العمل ، ومقاطعة كاتب الأمل ، والغني عن الضراعة بالقناعة ، والتوفيق لتلقي أوامره بالسمع والطاعة ، وأجلها استقامته على السراط المستقيم ، وإقامته في جنان النعيم المقيم وإدخاله برحمته في عباده الصالحين ، اللهم آمين »[١] .

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) و ١٢٤ .

انتقد الشاعر في النبوية المذكورة صرف الشعراء مدحهم إلى الملوك طمعاً بالإثابة والعطاء ، وطلب منهم أن يوجهوه في غير هذا السبيل المادي :

يا ناظم الدر الثمين ومهدي الن ظم الرصين لفاضل ومفضـــل
جانب مخادعة الملوك عن النهى فالمال يذهب والخصاصة تنجلي(١)

كانت هذه النظرة المثالية في نفس الشاعر يوم كان في ريق صباه وريعان شبابه ، لكنه لم يصرف مديحه عن مخادعة الملوك كما ينصح غيره ، فلقد مدح بعضهم ، وخص بشعره منهم من رآه أهلاً له ، لا طمعاً في جاهه ، ولا سعياً وراء زخارف الدنيا ، وهو الذي كانت الملوك تراسله وتخطب وده . نذكر منهم الملك الناصر الذي كان يكاتبه ، ويضمن كتابه شعراً يمدحه به ، ويخطه بيده فقط دون سائر الرسالة ، وقد حدث أن احتجب الناصر مرة لأمر يهمه ، فعاتبه بقوله :

يا ملكاً تخضع الملوك له إنْ غابَ عن دارها وإنْ حضرا
قد حسدتْ عيني الفؤادَ على قربك حتى أطالتِ السهرا
ولست أرضى لعدل مجدك أنْ يعطي نضاراً ويمنعَ النظــــرا(١)

توجد في الديوان مدح ناصرية كثيرة ، نذكر منها هذه المدحة التي تفنن الشاعر فيها ، فذكر نعوت المدح المعروفة من جود وحلم وبأس :

بك افتخر الأملاك من آل أيوب وعندك نالوا في العلى كل مطلوب
كفيتهمُ الأحداثَ طفلاً ويافعاً تبيد عدواً أو تجـود بموهوب
فـكم ملْك جبار سلبتـه بجحفلٍ يوسّع بالإقدام ضنك الأساليب
ودهياء في يوم عصيب أدرتهـا على رأس ملْك فيه بالتاج معصوب

---

(١) اليونيني : ذيل مرآة الزمان (مخطوط) ، و ١٢٤ .
(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٧ .

برزت لنا يا يوسف بن محمـــد فخلنا ابن أيوب بدا وابن يعقوب
جهاد إلى أهل المحارب محسن وحسنٌ به تسبى الدُّمى في المحاريب
تجول الأماني والمنايا فتنتهـــي إلى أمره في كل بشر وتقطيب
وما عرفت تلك الأعاجم ذلة لغيرك مذ حلت بلاد الأعاريب
جلالة ملك في جمـــال نبوة لأزهر مرجو العواطف موهوب
لك الله من مالك كريم مؤيد من الله محبـو المهابة مرهوب
نظمت الدراري فيك لا الدر مدحة لأنك بحر زاخر بالأعاجيب
وأرسلت مكتوبي إليك مسلماً وبالرغم مني أن بعثت بمكتوبي(١)

قصر شرف الدين جل مدحه على الملوك الأيوبيين الذين عاصرهم ، فهم في نظره أعلى ملوك الأرض مقداراً ، وقد أشار إلى هذا المعنى في مدح الملك الأمجد :

أعلى مـــلوك بني أيوب منزلة وهم أجلُّ ملوك الأرض مقدارا
شهم الجنان إذا احمرَّ القنا دلفوا يدعون منه على الأعداء سوّارا(٢)

كان الشاعر في معظم الأحيان ينظم في المناسبات الخاصة كالتهنئة بدخول السنة الهجرية ، أو بحلول شهر رجب ، أو رمضان ، أو أحد العيدين ، أو بالعافية والشفاء من مرض ، أو بمولود ، أو بالعودة من غزاة (٣) .

وكان أثيراً لدى الملوك الأيوبيين الذين مدحهم ، حتى إنه كان ينشد الملك المظفر بعض مدحه وهما راكبان في الموكب الملكي (٤) .

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٧ .
(٢) المصدر السابق ل ، ٣١ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٢١ ، ٤ ، ١٥ ، ٣٦ ، ١١ ، ٢٤ ، ٢٣ .
(٤) المصدر السابق ، ل ٣٠ .

ونراه في مدحه يصف حياتهم في حربهم وسلمهم ، نذكر من ذلك القصيـــدة التي مدح بها الملك المنصور ، ووصف ما يعانيه في الصيد رياضةً ولهواً :

أكملت كل المنـاقبْ ... يا خير ماش وراكبْ
تسابق الوحش حـــتى ... تخـــاله كالجنـائبْ
وكم ضربت عليهـــا ... من حلقـــة بالمناقبْ
جلبت فيها صنوف الـ ... أضـداد يا خير جالبْ
ومن وعـــول تباري ... غزلانهـــا والأرانبْ
يا من نخاف ونُرجى ... منه السطـا والرغائبْ
لك الصفـات اللواتي ... لم يحصهـا عدّ حاسبْ
كملت مذ كنت طفـلاً ... وزدت بعـــد التجاربْ
حتى قهـرتَ الأعادي ... بشأمنـا غير هائبْ
وارتحت للصيـد لهواً ... إذ لم تجـد من تحاربْ (١)

كما كان الشاعر يضمن مدحه وصف الأحداث الكبرى ، فينوه بذكر انتصارات المسلمين على التتار في الوقائع الهامة التي حدثت في هذا العصر . نذكر من ذلك مثلاً قصيدته التي مدح بها الملك المنصور ، وقد أشار فيها إلى معركة عين جالوت المشهورة ، وجاء فيها قوله :

لك العلا أعيت المباريـا ... تفزع منهـا الأبـكار والعونا
يا ملكاً لم تزل عزائمـه ... تكف عنا الأذى وتكفينا
أنت المليك المنصور أشرف من ... فاق البرايا عزاً وتمكينا
بعين جالوت خضت بحر وغىً ... يخال فلكاً بالأسد مشحونا

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ١٠ .

وكنت للجيش غرة شدختْ أنوفهم فانثنوا مهابينا
أخذت ثأر الإمام إذ فتكوا به وصالوا عليه عادينا
أذكرتهمْ ما صنعتَ قبلهمُ بكتبغا فانثنوا مولّينا
وما نجا منهمُ سوى خبر أسكن قازان خبره الصينا
يا ناصرَ الدين يا محمدُ ما أولى بحمدٍ من ينصر الدينا
تهنّ ما شئت من مدائحنا كما لنا من نداك ماشينا (١)

نخلص مما تقدم معنا من مدحه لنقول إنها كانت تمثل الحياة السياسية في هذا العصر ، وكان كما يظهر يؤيد سياسة ملوكه ، ويقرهم على ما يراه أنه الحق ، ففي إحدى مدحه المظفرية ذكر نصرته للملك الصالح (٢) ، وفي مدحة أمجدية هنأ الملك الأمجد بقدومه عندما عاد الملك المعظم وشفي (٣) ، يضاف إلى ذلك أن مدحه تضمنت كما رأينا وصف الأحداث الكبرى وبخاصة منها الحروب المريرة ضد التتار ، ولا نعرف بين شعراء العصر من عبر عنها مثله . كما لاحظنا في بعض مدحه أنه كان يعرض عن ذكر النسيب (٤) ، وفي بعضها الآخر كان يطيل نفسه فيها .

نسيب وغزل

أعجب الأقدمون بالرقة المتناهية في شعره ، وبخاصة منه مطالع النسيب وقصائد الغزل ومقطعاته الغنائية ، فهو ينهج من معانيه بشكل عام نهج غيره ، بيد أنه لا يقتصر على اقتباس المعاني الشائعة منها ، وإنما كان يبتكر ويجدد

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٨٢ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٦ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٤ .
(٤) المصدر السابق ، ل ٤ .

في بعضها الآخر وبخاصة منها ما يتعلق بتصنع التورية مذهب العصر في الشام ومصر على السواء .

تحدث عن خيال وجنة الحبيب ، وعقارب الأصداغ وليل الشعر ... كما وصف ذلة العاشق وبكاءه ، وصدود الحبيب وإعراضه ، وتجني الرقيب المحب ، ولوم العاذل والكاشح والرقيب .

لاحظ ابن حجة هذه الطريقة التي تفرّد بها في شعر الغزل والنسيب ، فأعجب به لسلوكه هذه الطريقة الغرامية التي اعتبرها جرياً على سنة البلاغيين في التنويع مظهراً جديداً مبتكراً في البديع ، وقد أشار اليها في معرض حديثه عن الانسجام ، فعرفه تعريفاً واحداً بقوله : « المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسيل رقةً ، ولعمري إن طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقفة ، ومحاسنه الغضة بين الأوراق ساجعة . وأهل الطريق الغرامية هم بدور مطالعه وسكان مرابعه : فإنهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع ، اللهم إلا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد . وغالب شعر الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري ماش على هذا التقرير [1] » .

اعتنق الشاعر في طريقته الغرامية غزلها ونسيبها مذهب الانسجام في معظم شعره ، وتجلت عبقريته في هيكل القصيدة العام ، وفي أبياتها التي تكاد تذوب رقة ، وتنطق بخفة الوزن وحلاوة الجرس الموسيقي ، فقد كان يحاول دوماً أو يختار لها البحر المجزوء والقافية الراقصة التي لا تنسجم مع ما عرف به من سمت ووقار في حياته الرسمية . يظهر أنه كان يشعر بذنبه في استرساله متغزلاً ، لكن شيطان شعره يطغى عليه ويندم حين لا ينفع

(١) ابن حجة : الخزانة ، ص ١٩٠ .

الندم ؛ وحين يجد أمامه قصيدة جميلة ، يعز عليه أن يقذف بها في زوايا الإهمال ، ويعزيه الشفاعة وخلاصه في يوم بعثه ، كما في القصيدة الغزلية التي نظمها على وزن قصيدة للقاضي الفاضل :

لعيني كل يوم منه عَبْرَهْ ... تصيرني لأهل العشق عِبْرَهْ
فمسجد جفنها لا نقص فيه ... وكم جهزت منه جيش عُسره
إذا غفل الوشاة أسلت دمعي ... فيغدو مرسلاً في وقت فتره
علامة شقوتي في الحب أني ... ثقلت عليك لا عن طول عشره
فوتر الوصل لم يشفع بثانٍ ... وهجرك مرة في إثر مره
وجفناك أكحل من غير كحل ... وخدك أحمر من غير حمره
وصبري فيك ليس له وجود ... ووجدي منك لا أحصيه كثره
سألزم باب خمار الثنايا ... ليطلق لي ولو في العمر سكره
وقدماً كنت مستوراً إلى أن ... لبست من الخلاعة ثوب شهره
أطعت غوايتي وعصيت رشد الـ ... مناصح كرة من بعد كره
وما تنق من الأدناس نفسي ... ولو غُسلتْ بصابون المعره
وأعجب حادثات الدهر أني ... أحاول طاعة فتعود حسره
وأطمع في خلاصي يوم بعثي ... وما أخلصت في مثقال ذرّه (١)

جمعت هذه القصيدة الغزلية بين سحر المعاني وجمال الأسلوب : فأما في المعاني فقد رأيناه يتحدث عن العبرات والوصال والهجران وصور محاسن الحبيب وخلص إلى التحدث عن ضلاله في هواه ، ولزومه باب خمار ثناياه ، ورجائه في الخلاص يوم النشور . وأما في أسلوبه فقد أخذ من البديع محاسنه ، وجمع فيه من التورية والانسجام أوفر نصيب ، وطبع كل ذلك بطابعه الخاص ، ورمز في أسلوب التورية إلى جيش العسرة ، والمرسل في غير فترة ، وباب خمار الثنايا ، وصابون المعرة . . .

(١) مصورة مخطوطة ديوان العرف الأنصاري . ل ٣٧ ، ٣٨ .

وما دام قد أضله شيطان هواه ، وطرق باب الخمار ، فلنستمع إليه يحدثنا عن جارته ربة الخالين التي حوت حسن البداوة وجمال الحضارة وذلك في مطلع نسيب مدحة مظفرية أنشده إياها وهما راكبان في الموكب الملكي :

لنا من ربة الخالين جاره ... تواصل تارة وتصد تاره
تؤانسني وتنفر من قريب ... وتنفر ثم تقبل في الحراره
وتعنفني بما يحلي سلوّي ... ولكن ليس في جوفي مراره
وما لي في الغرام بها شبيه ... وليس لها نظير في النضاره
وفي الوصفين من كَحَل وكُحْل ... حوت حسن البداوة والحضاره
وقتل العمد قد قتلته علماً ... وما وصلت إلى باب الإجاره
وقالوا : قد خسرت الروح فيها ... فقلت : الربحُ في تلك الخساره
بأيسر نظرة أسرت فؤادي ... كما نشأ اللهيب من الشراره
أطارت شمل حسن الصبر عني ... بأحسن شملة من فوق طاره
شمرتُ إزارها عنها فصدّت ... فقلت : تقدمي ودعي الشماره
أدرت على مؤزّرها عناقي ... فبت ومعصمي للبدر داره
إذا استسقى بريقتها نديم ... أزالت خمرها عنه خماره (١)

نرى في المدحة المذكورة هذا المطلع الغزلي الرقيق ، فهو يحاول أن ينسج خيوط قصته مع جارته الحسناء ، وقل أن يجاريه فيها شعراء الغزل المشهورون ، إذ نلاحظ أنه ينحو فيه منحى مادياً محضاً بأسلوبه الوشيق الشيق ، بما فيه من انسجام بديعي وتورية جميلة ،

تلك هي قصة جارته المتخيلة في معرض النسيب ، بيد أن للشاعر قصة حقيقية عن جارية مما ملكت أيمانه ، وقد خلدها في شعره من خلال قصيدتين ، وكانت النهاية فاجعة أليمة في حياة الشاعر ، لم يفطن أحد لها

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٠ .

ممن عاصره ، لكننا قرأنا قصتها في تضاعيف شعره : أما القصيدة الأولى فقد روى لنا فيها قصة الجارية الحسناء التي عشقها ، وجاء فيها قوله :

سروري بساقية جاريهْ ووجدي بجارية ساقيهْ
أهز بهاتيك عطف القريض ليثني على هذه الثانيهْ
سبتنيَ كاسية بالجمال فروحي عندي لها عاريهْ
على الجسم حاكمة بالضنا وفي القلب آمرة ناهيهْ
تراني إذا لم أزر بيتها كأنيَ بيت بلا قافيهْ
تواصلني فأحوز المنى وأجلس في الدست والحاشيهْ
وتنأى فأجلس في مسجدي وحيداً وألتف بالباريهْ
ولما شكوت إليها الجوى وعته لها أذن واعيهْ
فقالت : بعيني هذا السقام فقلت : على عينك الواقيهْ
أضاحكة السن لو زرتني عجبت لمقلتي الباكيهْ
وإني ، وإن نال مني الأذى معافى إذا كنت في عافيهْ (١)

نبضات جديدة من الغزل الرقيق سكب الشاعر فيه قلبه وروحه ، فابتعد عن التقليد الذي عرفناه في غزل هذا العصر ، ونلاحظ أن الشاعر كان يعاني تجربة حب حقيقية لجاريته مارية (٢) التي كان يحبها كثيراً . أما نهاية هذه القصة فقد اختتمت بغرقها في نهر العاصي ، فرثاها بقوله :

وجارية مذْ تعلقتُها نبذتُ إليها جميع العلقْ
تملكتُها فاعتراني لها غرام تملكني فاسترقْ
وقد كنت أغرق في حبها وما كنت أخشى عليها الغرقْ
وكنتُ أخافُ عليها العيونَ فقد حقق النهر ذاك الفرقْ (٣)

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٩٠ .
(٢) عرفنا اسم هذه الجارية من أحد أبيات القصيدة المذكورة ، ولم يرد في الديوان ، وإنما عثرنا عليه في ذيل مرآة الزمان (و ١٢٧) .
(٣) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٦٢ .

استخدم الشاعر في أغزاله الأبحر المجزوءة التي تثير في القصيدة جرساً ناعماً ، ويختار لها القوافي المستساغة التي تولد في النفس النشوة والارتياح ، وتهزها هزة الثمل والطرب ، ومن خلال الأوزان والقوافي يسير الشاعر بخطاه الحثيثة نحو الانسجام المنشود في شعره ، ويبلغ ذروة نضجه الفني المشفوع بالذاتية والطبع السليم كما في هذه القصيدة الغنائية ذات الوزن الراقص :

رفقاً بروحي فهي لا ك وعلى السخي بما ملكْ
أفضل بحق من اصطفا ك على الملاح وفضّلكْ
وكأن ربك بالجما ل على اقتراحي مثّلكْ
أخطاك فيه بمنصب سوّاك فيه وعدلكْ
من فر من ذل السؤا ل فعزتي أن أسألكْ
إن تحم طرفي أن يرا ك جعلت قلبي منزلك
إني أغار إذا الأرا ك دنا إليك فقبّلكْ
ويروعني واشي النسيـ م إذا ثناك وميّلكْ
ما أقبح الصبر الجميـ ل بعاشقيك وأجملكْ (١)

تنبض هذه الغزلية الغنائية بالعاطفة الصادقة والشعور الفياض ، وتتسم بالرقة المتناهية التي عرف بها شعره ، ونلمح فيها مظاهر الانسجام بين اللفظ والمعنى من ناحية ، والوزن والقافية، من ناحية أخرى ، حتى ليشعر الإنسان وهو يتلوها بإيقاع الجرس الشعري العذب ينساب من خلال حروفها وكلماتها وأبياتها . وهي بالتالي تعبر عن نفسية الشاعر الحقيقية التي تنبض من خلالها ، وهي تختلف عن نفسية شرف الدين الوزير الكبير المعروف في كل الأوساط بالسمت والوقار . مهما احتجبت النفس الإنسانية ، فلا بد لها حين تجد أمامها متنفساً أن تتعرى على حقيقتها في حميّا الأهواء وحينئذ لا يحجبها عن العاطفة الحقيقية منصب أو سلطان وزهد أو ورع ، كما في هذه المقطوعة التي يقول فيها :

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٦٣ .

أبعدته وهو القريبْ وجفوته وهو الحبيبْ
فغدا غريباً وانفردْ تُ بشوقه فأنا الغريبْ
يا منْ به دائي يطـ ـبّ ومن به عيشي يطيبْ
خذ ما تشاء من السرو ر فليس لي منه نصيبْ (١)

يؤكد ما نذهب إليه أنه كان يحضر مجالس الغناء الملكية ، وقد غُني مرة بين يديه لحن فأعجبه ، فنظم قصيدة على وزنه ، مطلعها قوله :

لا بدّ لي منهمْ وفوا أو لم يفوا أو يخلوا بالوصل أو تعطفوا (٢)

يظهر أن شعره كان ينشد في حلقات المتصوفة ويغنى في مجالس الطارب وكان يكرر في شعره بعض الألفاظ التي يتخذها المغنون تكئة لازمة لهم في أغنياتهم ، نذكر من ذلك قوله في قصيدة ، وقد ضمن البيت المجزوء الأخير لفظة الليل أربع مرات ، يبدأ ليلته الأولى بابتداء غايته الزمانية في (من) الجارة ، ويطيب سمره ولهوه ، فلا تأخذه سنة ولا نوم ، وإنما يصل الليلة بالليلة بـ (إلى) الجارة ، فلا يصحو إلاّ بعد انقضاء رابعة لياليه الأنصارية :

غرامي فيك لا يحصى بميزان ولا كيل
وأما دمع أجفاني فلا تسأل عن السيل
وما أنس فلا أنسى مراحي ساحباً ذيلي
وإجلابي على اللذا ت بالرجل وبالخيل
من الليل إلى الليل إلى الليل إلى الليل (٣)

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٧ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٥٦ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٧٢ .

يزداد الشاعر رقة في بعض مقطوعاته الغزلية حتى يصل بها إلى درجة من اللين ، تغدو أقرب ما تكون إلى الأسلوب العامي :

لا وقفت بنت الحميصيه   دانيــة الدار ومقصيــهْ
صوفية المذهب لكنها   ناعمة الجسم حريرِيهْ (١)

آنس الشاعر في أغزاله هذه الرقة المتناهية التي طبع عليها ، فقـــد صرح بها عرضاً في بيتين :

جد لي يا سيدي حلة   تحلي بها عاطل أحوالي
أرق من قلبي ومن عبرتي   وخد محبوبي وأغزالي (٢)

وجاء في قصيدة أخرى قوله :

أقسمت ما خده الخالي من الخجل   أرق من مدمعي الجاري ولا غزلي(٣)

نلاحظ أنه يعترف بهذه الرقة المتناهية ، فهو إذن يتعمدها تصنعاً ، على الرغم من أنها موجودة في شعره طبعاً ، وهذه الصفة هي أهلته ليكون رائد شعراء عصره في مذهب التورية والانسجام ، وسنوضح أهميته في حديثنا عن مذهبه الفني .

مذهبه الفني

استخدم الشاعر في طرائق تعبيره كثيراً من الأساليب البلاغية المستجدة في هذا العصر ، بيد أنه تفرد دون غيره بسلوك مذهب بلاغي معين في تصنعه البديعي ، فأبدع فيــه كل الإبداع ، وقد أعجب الأدباء المعاصرون بهذا الاتجاه الجديد الذي يسير جنباً إلى جنب مع الاتجاه التي بدت تباشيره

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٩٠ .
(٢) المصدر السابق ، ل ٧٢ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٦٦ .

قبيل ذلك في مصر على يد القاضي الفاضل وجماعته من بعده ، فنهجوا نهجه ، واقتدوا به ، وتداولوا معانيه ، ولا نبالغ إن قلنا إن معظم شعراء النصف الثاني من القرن السابع الهجري كانوا من تلامذته ، فاستمدوا منه كثيراً من معانيهم الشعرية .

نوه الصفدي بعبقرية الشرف الأنصاري ، وأعجب بمذهبه الشعري ، وأشار إلى أنه أكبر شاعر عرفته بلاد الشام كما أجمع على ذلك معاصروه ومما قاله : « لا أعرف في شعراء الشام بعد الخمسمائة وقبلها من نظم أحسن من شرف الدين ، ولا أجزل ، ولا أفصح ، ولا أصنع ، ولا أسرى ، ولا أكثر ، وما رأيت له شيئاً إلا وعلّقته ، لما فيه من النكت والتورية الفائقة ، والقوافي المتمكنة ، والتركيب العذب ، واللفظ الفصيح ، والمعنى البليغ [1] » .

يلاحظ أن الشاعر أكثر من تصنع التورية في شعره ، وهي لباب مذهبه الفني ، فهو لا يكتفي بإيرادها مرة واحدة ، وإنما يكثر من ذكرها ما وسع إلى ذلك سبيلاً ، فهو رائد المذهب الرمزي في أدبنا العربي خلال هذا العصر في بلاد الشام ، نذكر من ذلك قوله في جاريته مارية :

أوقعني في قيد أسر الهوى ... جاريةٌ أوصافها جامعه

ثالثة البدرين في حسنها ... مع أنها في نسكها رابعهْ [2]

وكنا أشرنا بالتفصيل إلى ما في شعره من توريات ، ونكتفي منها بهذا القدر ، فهي منتشرة فيه كل الانتشار ، وقد عرف بين الأقدمين بهذه الصفة المميزة . ويلاحظ من طرف آخر أن الشاعر حاول أن يوسع مدى التصنع البديعي في باب التورية ، فلم يقتصر منها على ما عرفه البلاغيون ، وإنما كان

(١) ابن شاكر : فوات الوفيات ، ج ١ ص ٢٨٩ .

(٢) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٥١ .

يحاول أن يوري بغير الألفاظ ، وذلك عن طريق عبثه اللفظي بالكلمات والحروف ، والشواهد على ذلك كثيرة ، نذكر منها قوله وقد أنشد الملك المنصور من شعر المتنبي بعضه :

تملّك الحمد حتى ما لمفتخر ... في الحمد حاء ولا ميم ولا دال

فعقب على ذلك بقوله :

يا أيها الملك المنصور يا ملكاً ... أوصافه كاملات وهي أصناف

رفقتَ بالخلق حتى ما الذي ورع ... في الرفق : راء ولا فاء ولا قاف

وفزت بالملك حتى ما الذي شرف ... في الملك : ميم ولا لام ولا كاف

وكم كتائبَ رُعْتَ المارقين بها ... فيهن من ألفات الخط آلاف (١)

انتشرت هذه الصفة كثيراً في شعره ، وغدت مظهراً مميزاً من مظاهر مذهبه الفني ، نذكر من ذلك قوله يعبث بلفظه « شرخ » :

وقد خانني شرخ الشباب وراعني ... مشيب ، وحالي منه شرخ بلا خاء(٢)

وقوله يعبث باسم ممدوحه « يوسف » الملك الناصر :

يُسمّى فيُعزى كل مجد وسؤدد ... إلى يائه والواو والسين والفاء(٣)

وقوله يعبث بلفظتي الحب والحس :

فلو أصبحت ذا حاء وسين ... لما عنّفت في حاء وباء (٤)

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ، ل ٢ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٣ .

(٤) المصدر السابق ، ل ٤ .

كما نلاحظ بالإضافة إلى ذلك استخدامه التورية بالاصطلاحات النحوية ، نذكر من ذلك قوله :

ومعرب اللفظ لي من نحوه أبداً حذف وصرف وإعلال وتنكير
ولحظه ساكن والقد منتصب والقرط مرتفع والمرط مجرور (١)

وقوله :

لا تسألوا صبكم عن حبه فله من الإضافة ما يغني عن النسب
وراقبوا منه حالاً غير حائلة كما عهدتم وقلباً غير منقلب (٢)

كثرت المصطلحات النحوية وغيرها كثرة ظاهرة ، فقد استخدم معانيها لا كما وضعت لها ، وإنما استخدمها بحسب مفهومه الخاص كمظهر من مظاهر الرمز والإيحاء ، من ذلك قوله :

مديحٌ تخيرتُ القوافي محلياً به رفعها والنصب والجزم والجرا (٣)

وقوله :

رفعتَ ذوي الإعراب من بعد خفضهم فأثنى عليك الرفعُ والنصبُ والجرُ (٤)

وقوله :

إذا فاعل رام ارتفاعاً بفعله ففعلك مرفوع بأنك فاعلُهْ (٥)

---

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٣ .
(٢) المصدر السابق ، ل ١٠ .
(٣) المصدر السابق ، ل ٣٠ .
(٤) المصدر السابق ، ل ٣٦ .
(٥) المصدر السابق ، ل ٦٧ .

ولم يكتف بذلك بل كان يحاول استخدام بعض المصطلحات العروضية أو البديعية منها قوله :

وبحر طويل الباع منسرح الندى بسيط المعالي وافر الفضل كامله (١)

وقوله :

ووشّتْ يدُ الأنواء بُردَ رياضه بغرائب التوشيع والتفويف (٢)

يضاف إلى ما تقدم ذكره وجود الجرس الموسيقي الشعري في قصائده ، وقد رأينا أن الشاعر قد صرح برقة أغزاله ، ومصدر هذه الرقة في نظرنا حسن أختيار الألفاظ الجميلة المعبرة ، والقوافي ذوات الروي الموحي ، والأوزان المجزوءة التي تلائم أغراضه ومعانيه ، ذلك كله مع ما لا حظناه من تصنع بديعي يؤلف الانسجام في مذهبه الفني ، وقد أشار إلى هذه الصفة من خلال قوله :

واسمع بديع نظيم لا يساجله جزل من المدح في سهل من الغزل (٣)

يتضح مما أسلفنا أن الشرف الانصاري كان رائد الشعراء الأول في مذهب التورية والانسجام ، وقد أشار ابن حجة في خزانته إلى الفرقتين اللتين اعتنقتا هذا المذهب في مصر والشام على السواء .

أما الفرقة الأولى فهي « العصابة التي مشت تحت العصائب الفاضلية » (٤) بزعامة القاضي الفاضل ، ومن روادها الأوائل ابن سناء الملك ، وأبو الحسين الجزار ، والسراج الوراق ، والنصير الحمامي ، وشمس الدين بن دانيال ، ومحي الدين بن عبد الظاهر ، وأما الفرقة الثانية الشامية « فإمام جماعتها

(١) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ل ٥٤ .

(٣) المصدر السابق ، ل ٦٧ .

(٤) ابن حجة : الخزانة ، ص ٢٧٦ .

الشيخ شرف الدين عبد العزيز الأنصاري شيخ شيوخ حماة »(١) ، وكان من روادها أبرز شعراء النصف الثاني من القرن السابع ، وهم كلهم من تلامذته ، ساروا في الطريق التي سبقهم فيها .

أورد ابن حجة ذكرهم فقال : « وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم ، وتأزر نصرهم ، ولان في هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم فيما أرادوه كما زاد حصرهم ، كل ناظم تود الشعرى لو كانت له شعرا ، ويود الصبح لو كان له طرسا ، والغسق مداداً ، والنثرة نثرا ، منهم شرف الدين عبد العزيز الأنصاري والأمير مجير الدين بن تميم ، وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي ، ومحي الدين بن قرناص ، وشمس الدين بن محمد ابن العفيف ، وسيف الدين بن المشد .... »(٢) .

ذكرني قول ابن حجة : « كل ناظم تود الشعرى لو كانت لو شعرا » بقول شرف الدين نفسه في وصف شعره :

زيّنتُ من فكري سماء العلا منك بشعرٍ يخجل الشعرى(٣)

ولا يكتفي الشاعر من وصف فنه الشعري بأنه يخجل الشعرى فحسب ، وإنما يرى أنه يزهد البحر بأبهى جواهره :

ولي قصائدُ في مدحيه باهرةٌ تُزهّد البحرَ في أبهى جواهرِهِ(٤)

غدت هذه القصائد المدبجة عرائس تجل عن نظرائها إذ إنها توشحت بجواهر التورية :

أجلو عرائسَ مدحِهِ فتجلُّ عن نظرائها إذْ حلّ عن نظرائِهِ(٥)

(١) ابن حجة : الخزانة ، ص ٢٧٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(٣) مصورة مخطوطة ديوان الشرف الأنصاري ، ل ٣٨ .
(٤) المصدر السابق ، ل ٣٩ .
(٥) المصدر السابق ، ل ٣ .

تتضح بعد ذلك أهمية هذا الشاعر في عصره ونخلص مما أسلفنا لنذكر أنه كان ذا طبع سليم ونهج قويم ، وقد اتخذ من الانسجام سبيله ومن التورية وكده فأصبح صاحب مذهب أدبي هـــام ، يشيع السحر اللفظي والجمال المعنوي دون تكلف ذميم أو تعسف عقيم ، واستطاع بعبقريته ومهارته الفنية أن يبعد التعقيد والإغراب عن الشعر العربي في هذا العصر بعد أن طغت عليه أساليب الصنعة والتصنيع والتصنع ، وهذا هو وحده السبب الذي جعله موضع إعجاب القدماء وتقديرهم ، فقدموه على من جاء قبـله ، ومن جاء بعده من شعراء هذا العصر (١) البديعيّ ، عصر التورية (٢) ، كما دعاه أستاذنا التنوخيّ .

الدكتور عمر موسى باشا

---

(١) أحد الأعلام الذين ترجم لهم المؤلف في بحثه الواسع عن (الأدب في سورية في القرنين السادس والسابع الهجريين) ، وقد نال به مؤلفه درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة القاهرة بمرتبة الشرف .

(٢) انظر في البحث الهام الذي تحـدث فيه الأستاذ الكبير العلامة عز الدين التنوخي عن عصر التورية وجمالها في هامش (تهذيب الإيضاح) في الصفحات ٩٤ ـ ٩٩ من جزئه الأول .

نظرة في

معجم المصطلحات الطبية

الكثير اللغات

الدكتور ا . ل . كليرفيل

نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

استدراك وتعقيب

— ١٠ —

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٥٣٩٥	تنبيه ، حث ، تحريض ، انظر اندفاع، اضطراب، تنبيه	Excitation, stimulus, stimulation v. influx, agitation, incitation	5395

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بإثارة ، وأرجح ترجمة اللفظة الثانية بحاث والثالثة بحث .

٥٣٩٦	تَنَبُّهٌ أو تنبيهٌ محيطي ، انتهائي	Excitation extéro-ceptive	5396

وأرجح إثارة محيطية المصدر .

٥٣٩٧	تنبيه الانغلاق	Excitation de fermeture	5397

وأرجح إثارة الغَلْق ، ويعنى بها غَلْق الدارة الكهربائية .

٥٣٩٨	تنبيهُ الانفتاح	Excitation d'ouverture	5398

وأرجح إثارة الفتح أي فتح الدارة .

٥٣٩٩	تَنَبُّهٌ ذاتي	Excitation proprioceptive	5399

وأرجح إثارة تلقائية المصدر .

5405 Excrétion, excreta, egesta déjection — ٥٤٠٥ مُفْرَغات ، مُفْرَزات ، غائط تَبَرُّزات

Excrétoire, v. excréteur

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Excrétoire) بإبراز .

5406 Excroissance, protubérance éminence. v. acroissement et production — ٥٤٠٦ شاخة، حدَبة، بَرْزَة انظر نمو وازدياد

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Eminence) ببروز .

5421 Exhumation — ٤٥٢١ نَبْشُ القَبْر

وأقر مجمع اللغة استخراج الجثة .

5425 Exotoxine, toxine extracellulaire — ٥٤٢٥ ذِيفانٌ خارجي ، ذيفان خارج من الخلية

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بتكسين ، وأرجح ترجمة اللفظة الثانية بتكسين خارج الخلايا ، لا من الخلية إذ المقصود التكسين الذي يبدو خارج الخلية تمييزاً له من التكسين البادي داخل الخلية .

5428 Expansion aponévrotique du biceps — ٥٤٢٨ امتداد غشاء ذات الرأسين

وأرجح امتداد صِفاق (١) ذات الرأسين .

5454 Expression du placenta — ٥٤٩٤ تعصير المَشيمة

وأقر مجمع اللغة اعتصار السُّخْد . واللجنة ترجمت لفظة (placenta) بسخد (اللفظة ١٠٣٩٥) .

(١) الصفحة ٤٧٥ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

٥٤٥٨ قَذْفٌ ، إخراج ، طَرْد 5458 Expulsion

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بطرد معرفاً إياها : الإخراج قسراً ، كما أنه أقر ترجمة لفظة (expulsion du fœtus) بدفع الحميل .

٥٤٧٨ بُطْلان ارتكاس جلدي 5478 Extinction d'une réaction cutanée

وأرجح إنطفاء الارتكاس الجلدي . لأنه يعنى باللفظة زوال الارتكاس بعد أن كان ظاهراً .

٥٤٨١ تَيّار فوق العادة 5481 Extra-courant

وأرجح تَيّار فائق .

٥٤٨٣ استخلاص، استنماد (كيمياء) 5483 Extraction, épuisement (chim.)

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة باستخراج .

٥٤٨٤ استخراج الساد الخطي 5484 Extraction linéaire (de la cataracte)

وأقر مجمع اللغة باستخراج السد (الخطي) .

٥٤٨٨ خُلاصة (صيدلة) 5488 Extrait (pharm.)

وأقر مجمع اللغة : مَخْرَج : وجاء في التعريف : مستحضر محتوٍ على الجواهر الفعالة المخرجة بمذيب أو بالعصر .

٥٤٩٠ خُلاصة أثيرية 5490 Extrait éthéré

وأقر مجمع اللغة : الخلاصة الإتيرية .

٥٤٩٣ خُلاصة كَزْمة 5193 Extrait ferme

وأرجح خلاصة صامِدة أو جامدة تمييزاً لها من الخلاصة المائعـــة (Extrait fluide) التي جاءت في اللفظة التالية من المعجم .

5502 Extrémités, membres أطراف ، أعضاء ٥٥٠٢

وأرجح أطراف ونهايات، تاركاً ترجمة أعضاء ومفردها عضو ترجمة للفظة (Organe) كما فعلته اللجنة (اللفظة ٩٥٠٦) .

5503 Extrémités inférieurs, pelviennes أطراف سُفْلية ، حوضية ٥٥٠٣

والصحيح الطرفان السفليان بصيغة المثنى والطرفان الحوضيان .

5504 Extrémités superieures, thoraciques أطراف عُلْوية ، زَوْرية ٥٥٠٤

والصحيح الطرفان العلويان ، الطرفان الصدريان .

5509 Exutoire قُرْحة مفتعَلة ٥٥٠٩

وأرجح مَصْرِف (١) .

F

5511 Face (embr.) وجه (علم المضغة) ٥٥١١

(1) bourgeon frontal (١) برعم جبهي

وقد أقر مجمع اللغة استعمال لفظة شاخصة ترجمة للفظة (process) في الانكليزية وهي تقابل (bourgeon) في الفرنسية .

5530 Faiblesse sexuelle ضَعْف تناسُلي ٥٥٣٠

وأرجح ضعف جنسي ، بعد أن تقرر ترجمة (sexe) بجنس .

5556 Farine de seigle دقيق الجوْدَر ٥٥٥٦

دقيق السُّلت والشَّيلَم كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي .

---

(١) لقد جاءت الترجمة الانكليزية في المعجم الأصلي :

Exutory, fontanel, an issue for the discharge of humors from the body

ومعناه مَخْرج لانطلاق الأخلاط من البدن .

5566 Fausse route (urologie) (أمراض بولية) طريق ضال ٥٥٦٦

وزائف كما أقره مجمع اللغة .

5568 Faux, fausse كاذب ، باطل ٥٥٦٨

وزائف

5573 Favéolé , ée ذو عُيَيْنون (كالشَّهد) ٥٥٧٣

وأرجح ذو أسناخ (كالشهد)[1] ولفظة (ذو عيون توقع بالالتباس) كما أن مجمع اللغة أقر بين مصطلحات علم الأحياء ترجمة اللفظة بذي نُقَيْرات وجاء في الشرح أي محفر بنقر صغيرة .

5577 Favus, favus squareux ou en galette , teigne faveuse قَرْعة ، قَرْعة خشنة سَعْفة قرعية ٥٥٧٧

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالقُراع والقَرَع .

5607 Fer (citrate de) ammoniacal الحديد (ليمونات) النُشادرية ٥٦٠٧

وأقر مجمع اللغة ترجمة (Ammonia) بنوشادر وتعريبها بأمونيا ، فتصبح ترجمة اللفظة ليمونات أو سيترات الحديد النوشادرية أو الأمونياكية .

5616 Ferment خَميرة ٥٦١٦

وأقر مجمع اللغة مُخَمِّر .

5625 Fermentatif ne مُخَمِّر ٥٦٢٥

وأرجح مُخَمِّري .

---

(١) لقد جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (Faveolate , alveolate) .

٥٦٣٧ تَخَبُّب ، تَخَدُّب 5637 Festination

وأرجح العَدْو والخبب (١) . لأن المقصود من هذه اللفظة الإسراع في السير في بعض حالات داء بركنسون قبل اندفاع العليل أمامياً (propulsion) . وسبق للجنة أن استعملت مِشْيَة خَبَبِية وخبب ترجمة لِ (démarche en steppant) (اللفظة ٣٩٤٨) .

٥٦٤٠ وَرَق حشيشَة الحسناء ، وَرَق البلادونا 5640 Feuilles de belladone

وأقر مجمع اللغة ورق ست الحسن .

٥٦٤١ وَرَق الخَتيعيَّة، حشيشة الكشاتبين 5641 Feuilles de digitale

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بديجيتاليس (٢) .

٥٦٤٢ بطاقات التدبير الغذائي 5642 Feuilles de régime, bulletin de régime

وأفضل جُزازات تدبير الغذاء ، قائمة الحمية ، أو تذكرتها .

٥٦٤٤ وُرَيْقة مُضْغية، وُرَيقة منتشة 5644 Feuillet embryonnaire feuillet germinatif

وأقر مجمع اللغة : طبقة جنينية (٣) وطبقة مُنْبِتَة وجاء في تعريف الأخيرة : وهي الطبقة القاعدية في الظهارة الطبقية (الطلائية الطبقية) والتي تكوّن خلايا الطبقات الأخرى ، وقد تسمى أيضاً طبقة مالبيجي .

---

(١) في اللسان : الخَبَب ضرب من العَدْو وقيل هو مثل الرَّمَل وقد خبت الدابة تخُب بالضم خباً وخبباً وخبيباً واختبت ، ولم يذكر تخبّب . وخدبَه بالسيف يخدبُه خدباً ضربه وقيل قطع اللحم دون العظم . وفي المعجم الوسيط تخدّب سار سيراً وسَطاً ولا أراه المقصود هنا .

(٢) الصفحة ٥٩٨ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) الصفحة ٤٧٠ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

5645 Feuillet pariétal de la plèvre وريقة غشاء الجنب الجدارية ٥٦٤٥

وأقر مجمع اللغة وريقة الجنبة (٢) الجدارية .

5646 Feuillet viscéral de la plèvre وريقة غشاء الجنب الحشوية ٥٦٤٦

وريقة الجنبة الحشوية كما أقرها مجمع اللغة .

5648 Feuillu, ue جثل ، وريق ٥٦٤٨

وملحاء وجمعها ملحاوات كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي (١) .

5655 Fibre nerveuse (hist.) ليفة عصبية (نسيج) ٥٦٥٥

(8) nérvoglie (٨) دبق عصبي

وأقر مجمع اللغة لحمة النسيج العصبي .

5656 Fibres arciformes du cerveau ألياف الدماغ المشولية الشكل ٥٦٥٦

والصحيح ألياف الدماغ القوسية أو القوسية الشكل . وسبق للجنة أن استعملت لفظتي المشولي والمنجلي ترجمة لـ (falciforme) (اللفظة ٥٥٣٩) .

5657 Fibres d'association ألياف الجمع ٥٦٥٧

وأرجح ألياف الاشتراك أو المشاركة .

5668 Fibres de projection ألياف القذف ، الرمي ٥٦٦٨

والصحيح ألياف الارتسام ، لأن اللفظة تشير إلى الألياف العصبية التي تنقل الخيال الذي يرتسم في المراكز العصبية المختصة .

(١) الصفحة ٢٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) وقد عرفت بأنها أشجار الأحراج التي يسقط ورقها كله في الشتاء فتتعرى أغصانها كالدلب والدردار والبوقيصاء .

٥٦٧٢ انقباض خيطي (أو ليَيفي) Fibrillation 5672

٥٦٧٣ انقباض الأذينة اللُييفي Fibrillation auriculaire 5673

٥٦٧٤ انقباض القلب اللُييفي Fibrillation cardiaque 5674

٥٦٧٥ = البطين اللُيَيفي Fibrillation ventriculaire 5675

وأفضل ترجمة (fibrillation) بالتقلص الليفي تاركاً لفظة انقباض ترجمة لِـ (systole) كما فعلته اللجنة (اللفظة ١٣١٠٠).

فأقول تقلص ليفي وتقلص الأذينة اللُييفي وتقلص القلب الليفي وتقلص البطين الليفي.

٥٦٧٦ لُيَيفة Fibrille 5676

والشائع ترجمة اللفظة بلُيَيْف.

٥٦٧٨ خميرة اللّيفين، هيولاز، خثراز، خثرين (ترومبين) Fibrin — ferment, plasmase thrombase, thrombine 5678

٥٦٧٩ ليفين Fibrine 5679

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (fibrine) بفيبرين وكذلك لفظة بلازما وثرومبين (مع ترجمتها بمخثر أيضاً) وسبق للجنة أن ترجمت كلاً من (plasma و protoplasma) بالهيولى (اللفظتان ١٠٤٤٦ و ١١٠٥٧).

لذا أرى أن تكون الترجمة كما يلي: خميرة الفيبرين أو مخمّر الفيبرين وبلازماز، وثروماز وثرومبين.

٥٦٨١ مُولِّد الليفين Fibrinogène 5681

وأقر مجمع اللغة أصل الفيبرين.

٥٦٨٣ جُذْعة الليف (النسيج الضام) Fibroblaste 5683

وأقر مجمع اللغة جرثومة الليف (١) بالإضافة إلى ما تقدم (٢) .

٥٦٨٨ وَرَم ليفي عَفَلي ، حُزَيمي الخلايا Fibrosarcoma , sarcome fusicellulaire , ou fasciculé 5688

وأقر مجمع اللغة السركومة الليفية . أما اللفظتان الثانية والثالثة فترجمتها السركومة المغزلية الخلايا (وقد أهملتها اللجنة) أو الحُزَيمية .

٥٦٩١ بطاقة (فيش) Fiche 5691

أو جُذاذة .

٥٦٩٥ حُمّى قلاعيّة ، التهاب قُلاعي ، قُلاع سُوافي Fièvre aphteuse , cocotte , aphtes épizootiques 5695

وأرجح : حُمّى قلاعية ، التهاب الفم القُلاعي (وقد أهملته اللجنة ولعله خطأ مطبعي) قُلاع مُوتاني إذ سبق للجنة أن ترجمت لفظة (épizootic) بموتان وجائحة حيوانية (اللفظة ٥٠٧٨) وهي أفضل من سُواف (٣) .

٥٧٠٦ حُمّى صفراء، حمى صَفْراء عَفَنْوية، حمى شبه يرقانية، ذات القيء الأسود Fièvre jaune, typhus amaril ictérioïde , vomito negro 5706

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (typhus) بتيفوس وهو الأفضل . لذا تصبح الترجمة : حمى صفراء ، التيفوس الأصفر ، الحمى نظيرة اليرقان ، والحمى ذات القيء الأسود .

---

(١) الصفحة ٢٤٩ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) الصفحة ٤٧٣ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) في اللسان : والسُّواف والسَّواف الموت في الناس والمال . وجاء في موضع آخر السُّواف مَرَض الإبل .

5714 Fièvre à papataci, fièvre estivale de trois jours, fièvre d'été, typhus de chien — حُمَّى پاپاتاسية ، حمى ثلاثية صيفية ، حمى الصيف، حُمَّى الكَلْب الغَفْوية ٥٧١٤

وأفضل حمى السِكّيت (وهو نوع من البعوض لا صوت له وتسميه العامة سُويكتة) حمى الثلاثة الأيام (وقد أهملته اللجنة) الصيفية (لأن الحمى الثلاثية قد تشير إلى حمى يكون وِرْدها كل ٣ أيام ، بينما الحمى المذكورة تستمر ثلاثة أيام) وتيفوس الكلاب .

5723 Fièvre recurrente, typhus recurrent, à rechutes — حُمَّى راجِعة ، حُمَّى ناكِسة ٥٧٢٣

وأرجح حمى راجعة ، التيفوس الراجع ، الحمى ذات المعاودات أو النكوس .

5731 Fièvre typhoïde, dothienentérie, fièvre entérique — حُمَّى تيفية ، حمى شبه غَفْوية بثرية مِعَوية ، حُمَّى مِعَوية ٥٧٣١

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة الأولى بحمى التيفود ولعلَّ الحمى التيفية ألطف جرساً ، وتصبح ترجمة اللفظتين التاليتين : تبرعم الأمعاء (على حد تعبير تروسسو) والحمى المِعَوية .

5732 Fièvre typho-malarienne — حمى تيفية بُرَدائية تيفودائية ٥٧٣٢

حمى تيفية بردائية فقط .

5735 Fièvre zincique, fièvre des fondeurs — حُمَّى تُوتيائية ، حُمَّى الصَبّارين أو السَبّاكين ٥٧٣٥

وأقر مجمع اللغة تعريب (zinc) بزناك ، فتكون ترجمة اللفظة الحُمَّى الزِنكية .

5754 Film ou pellicule à la surface d'une colonie bacterienne ٥٧٥٤ شريط (فلم) أو غشاوة على سطح مزرعة جرثومية

وأرجح فِلْم أو قشرة على سطح مستعمرة جرثومية .

5776 Fissure faciale ٥٧٧٦ شق وجهي

وأقر مجمع اللغة فَلْح [١] (ج فلوح) وجهي . وجاء في التعريف أن الفلوح تظهر في الجنين وتنسد في الشهور الأولى .

5805 Flacon échantillon ٥٨٠٥ قارورة نموذجية

وأقر مجمع اللغة ترجمة (échantillon) بعَيِّنة [٢] والصحيح ترجمة اللفظة بقارورة عيّنة لأنه يعنى بها قارورة تشتمل على عينة .

5818 Flatulence, flatuosité ٥٨١٨ اندياق ، انتفاخ البطن

وأرجح انتفاخ البطن فقط ولم أعثر على معنى اندياق [٣] .

5826 Flexion combinée de la cuisse et du bassin (phénomène de Babinski) ٥٨٣٠ تثني الفخذ والحوض المشترك (حادثة بابنسكي)

وأرجح الانعطاف المشترك للفخذ والحوض (ظاهرة بابنسكي) .

5832 Flocon ٥٨٣٢ سبيخة

5833 Floconneux, euse ٥٨٣٣ سبخي ، على شكل السبائخ

5834 Flocon d'avoine ٥٨٣٤ سبائخ هوطان ، شوفان

---

(١) في اللسان : والفَلْح الشق والقطع .

(٢) الصفحة ٤٦١ من المجلد الأربعين من هذه المجلة .

(٣) في التاج : دانه يديقه أهمله الجوهري وصاحب اللسان وقال ابن دريد أي أراغه لينتزعه كما في العباب والتكملة .

٥٨٣٥ سَبوخيّة ، قابلية التَّسبُّخ 5835 Floculabilité

وأقر مجمع اللغة ترجمة (floculation) بالنَّدف و (floculent) بنديف و (floculus) بنديفة (ج ندائف) . فتصبح ترجمة الألفاظ : نديفة ونديفي وندائف الهُرْطمان (وأغلب الظن هوطمان غلط مطبعي لم ينتبه إلى تصويبه) أو الشوفان أو الخرطال (كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي) ونديفية أو قابلية النَّدف .

٥٨٣٦ زمرة الجراثيم المِعَوية 5836 Flore intestinale

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بفلورا وجاء في الشرح : مجموعة البكتريا التي تعيش في الأمعاء . وأرى التعريب أفضل بعد أن استعملت لفظة زمرة مع فئة ترجمة لِـ (groupe) (اللفظة ٦٥٥٦) .

٥٨٣٩ تَمَوُّج كُلِّي 5839 Fluctuation massive

وأرجح تموج كُتْلي تاركاً لفظ كلي ترجمة لِـ (total) كما أقرها مجمع اللغة أيضاً .

٥٨٤١ سائل ، مائع 5841 Fluide , liquide

٥٨٤٢ سَيَّل ، مَيَّع 5842 Fludifiier, liquefier

وأقر مجمع اللغة ترجمة (fluide) بمائع و (fluidication) بإماعة وجاء في التعريف تحويل جامد إلى سائل ، وأقر ترجمة (liquide) بسائل و (liquifaction) بإسالة وجاء في التعريف : عملية التحويل إلى الحالة السائلة وتطلق عادة على عملية تحويل الغازات إلى سوائل .

٥٨٤٥ فلُوُر 5845 Fluor

وأقر مجمع اللغة فلور ولا شك بأنها أفضل .

٥٨٤٦ وَمَضان 5816 Fluorescence

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بالفلورية وجاء في الشرح : وهي ظاهرة

فحواها أنه إذا استضاءت بعض الأجسام بضوء ذي لون معين أو ذي طول موجي معين أشرق منها ضوء ذو لون آخر يكون طوله الموجي في الأكثر الغالب أطول وفيها يقف إشراق الضوء عن هذه الأجسام مع انقطاع الضوء الواقع عليها . وتحدث هذه الظاهرة أيضاً بفعل الأشعة غير المرئية ذات الموجات القصيرة وبفعل الالكترونات . واللفظ المقترح مشتق كاللفظ الأجنبي من اسم عنصر الفلور .

5847 Fluroscopie ٥٨٤٧ تنظير وَمَضاني

وأرجح تنظير فلوري . كما أن مجمع اللغة أقر ترجمة (fluoroscope) مكشاف الفلورية . وجاء في الشرح : وهو جهاز يستخدم لإحداث ظاهرة الفلورية ومشاهدتها وفحصها . أقول وما يستعمل في الطب هو التنظير بأجهزة الأشعة السينية .

5848 Fluorose, cachexie fluorique ٥٨٤٨ داء فُلُوْوري، حَرَض فُلُوْوري

وأرجح داء فلوري ، دَنَف فلوري (كما أقرها مجمع اللغة) .

5849 Fluorure ٥٨٤٩ فُلُوْرُور

وأرجح فلور إذ لا لزوم إلى الترجمة الفرنسية اللفظية إذ نقول عادة فلور الصوديوم لا فلورور الصوديوم .

5857 Fœtal , ale ٥٨٥٧ جَنيني

5858 Fœtus , fétus ٥٨٥٨ جَنين

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الثانية بحميل ، وجاء في التعريف : وهو الولد في الرحم بعد الارتكاض حوالي الشهر الرابع إلى نهاية الحمل . وتصبح ترجمة اللفظة الأولى حَميلي والثانية حَميل .

٥٨٥٩ كَبِد 5859 Foie

(٣) نقير الكَبِد تلَم معترض (3) hile du foie , sillon transversal

وأقر مجمع اللغة ترجمة (hile) بسُدْفة (١) ، والشائع ترجمتها بالسُّرّة .

(٤) رِباط إكليلي (4) Ligament coronaire

رباط تاجي كما أقرها مجمع اللغة .

٥٨٦١ كبد نَشَوِيديَّة ، شمعية ، وَدوك 5861 Foie amyloïde , cireux , lardacé

كبد نشوانية (كما أقرها مجمع اللغة) وشمعية وشحمانية (أي نظيرة الشحم وإن خصصت لفظة lard بـ شحم الخنزير) .

٥٨٦٧ كبد مُتَصَلِّبة ، إشْقِرار الكبـد 5867 Foie scléreux , cirrhose du foie

كبد متصلبة وتليف الكبد (٢) كما أقرها مجمع اللغة .

٥٨٧٣ جُنُون دَوْري ، جِنَّة مُتَقَطِّعة ، عُصاب مَسي إعيائي، جنون مَسِّي إعيائي 5873 Folie périodique, intermittente, psychose maniaque dépressive, folie maniaque dépressive , cyclothymie

وأرجح جُنُون دَوْري أو جِنَّـة دَوْرية ، جِنَّة متقطعـة ،

(١) نقلاً عن المخصص (الجزء ٥ الصفحة ١٣١) هكذا أوردها مجمع اللغة ولدى مراجعة المخصص وجدتها قد وردت في مترادفات الباب . والنقير كما جاء في لسان العرب النُّكْتة في النواة كأن ذلك الموضع نُقِرَ منها . والسُّرة كما جاء في المعجم الوسيط الوَقْبة في وسط البطن ، وسُرّة الروضة خير منابتها وكذلك سُرّة الوادي وسُرّة الحوض مستقر الماء في أقصاه .

(٢) الصفحة ٨٥ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

نُفاس هوسي[١] همودي أو نُفاس مانيائي همودي ، وجِنَّة مانيائية همودية ، وجنون نظامي (وقد أهملته اللجنة) .

٥٨٧٦ وَحْص ، التهاب الأجربة المنتشر المتناظر في الأقسام المُرْط ذو الاتجاه الندبي | 5876 Folliclis, folliculites disséminées symétriques des parties glabres à tendances cicatricielle

وأرجح التهاب الجريبات المنتشر المتناظر في الأجزاء المُرْط ذو الميل إلى الندب . ولا أرى في لفظة وَحْص أن تفي بالمعنى المطلوب ولا سيما فقد خصصت للجواري وفي الوجه حيث لا جريبات شعرية[٢] . هذا وقد أقر مجمع اللغة ترجمة (Follicule) بحويصل .

٥٨٧٨ جُرَيْب ، سَهْوة | 5878 Follicule , crypte

وأقر مجمع اللغة ترجمة (follicule) بحُوَيصل وأرى تخصيص حويصل ترجمة لِـ (Vésicule) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ١٤٢٧٤) كما أنه أقر ترجمة (crypte) بجريب[٣] وفي موضع آخر بهُزَيمة (هُزيمات القزحية)[٤] وأرى إبقاء ترجمة اللفظة جريب والثانية غار (ج مغاور)[٥] .

٥٩٠١ فَقْعٌ ، كَمْءٌ نُتُوء فُطْري | 5901 Fongus , fongosité

وأقر مجمع اللغة الفُطرَة (ج الفُطَر) ولا أرى حاجة لاستعمال فَقْع[٦] .

(١) الصفحة ٦٦١ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٢) في اللسان : الوَحْص البثرة تخرج في وجه الجارية المليحة .

(٣) الصفحة ٦٠٧ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) مصطلحات علم الرمد المجلد الأول من مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي أقرها المجمع (١٩٥٧) .

(٥) الصفحة ٢٨٧ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٦) في اللسان : الفَقْع والفِقْع بالفتح والكسر الأبيض الرِّخو من الكمأة .

٥٩٠٧ ذوبان (العظام) الشَّحمي ، Fonte halistérique 5907
لين العظام الشحمي ، حؤول ramollissement graisseux
العظام الشحمي des os, dégénérescence
graisseuse des os

وأرجح ذوبان العظام الشحمي ، رَخوَدة (كما أقرها مجمع اللغة) العظام الشحمية وتنكس[1] العظام الشحمي (كما أقرها مجمع اللغة) .

٥٩٠٩ تخرْت المَوثة Forage de la prostate 5909

وأقر مجمع اللغة تعريب (prostate) بروستاتة ولم أهتد إلى منشأ موثة [2] .

٥٩١٤ مِلْقط الجنين Forceps 5914

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بالجِفْت وعندي مِلْقط أفضل لأن لفظة الجفت تركية ويعنى بها مزدوج .

٥٩٢٣ شكل حُؤُولِيّ Forme dégénérative 5623

شكل تنكسي كما أقرها مجمع اللغة .

٥٩٤٧ وَصْفَة أمرِيَّة Formule magistrale 5947

وأرجح وصفة إعطاء أو للإعطاء .

٥٩٤٩ نَمْليل (جذر حمض النّمل) Formyl (radical de l'acide formique) 5949

وأقر مجمع اللغة نَمْليل وفورميك أيضاً .

٥٩٨٦ بؤرة أصلية Foyer principal 5986

وأقر مجمع اللغة ترجمة (principal) برئيسية .

---

(١) الصفحة ٢٣١ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .
(٢) في اللسان : ماتَ الشيءَ يموته مَوْتاً مَرَسَه وعيثه لغة إذا دافه والخ .

6010 Fracture par écrasement ٦٠١٠ كَسْرٌ بالرَّهس

والشائع كسرٌ بالهَرْس (١) .

6024 Fragilité ٦٠٢٤ عَطُوبية ، هشاشة

وأقر مجمع اللغة هشوشة وجاء في الشرح : خاصية للمادة تجعلها قابلة للكسر بسهولة .

6051 Friable , fragile cassant , ante ٦٠٥١ هش عَطوب ، كَسور ، قَصوم

وأقر مجمع اللغة هَش وقَصيف .

6054 Frigidité (sexuelle) ٦٠٥٤ إبرِدَة (جِنْسية)

وقد أقرها مجمع اللغة (٢) .

6056 Frisson ٦٠٥٦ نافِض ، عُرَواء ، رِعْدة

6057 Frisson fébrile ٦٠٥٧ ناقض الحُمّى

وأقر مجمع اللغة العُرَواء .

6090 Fuchsine phéniqué ٦٠٩٠ فوكسين فِيني

وأقر مجمع اللغة فوكسين فينولي .

6093 Fuite des idées , précipitation des idées ٦٠٩٣ شرود الفِكَر ، تَدهور الأفكار

وأفضل تسرب الآراء وازدحام الآراء والأفكار .

6094 Fulgurant , ante lancinant , ante ٦٠٩٤ لامِع ، بارِق ، واخز رامِح

وأرجح صاعق ورامح .

---

(١) في اللسان : الهَرْس الدّق ومنه الهريسة وهَرَسَ الشيء يهرُسه هرساً دقّه وكسره في اللسان أيضاً : رَهَسَه يَرْهَسُه رَهْساً وطِئه وطأً شديداً .

(٢) الصفحة ٤٧٤ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٦٠٩٨ تَدخّن المُدْخَن (سكتة) 6098 Fumer la pipe (apoplexie)

وأرجح تحرك أحد الخدين في السبات كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (١) أو كأن المصاب يدخن بالغَلْيون .

٦١٠٩ مِغْزَلي الشَّكل 6109 Fusiforme

وأقر مجمع اللغة مِغْزَلي .

٩١١٠ صَهْر ، إذابة 6110 Fusion , fonte

وتأتي لفظة (fusion) بمعنى اندماج كما أقرها مجمع اللغة وجاء في التعريف : وهو اتحاد خليتين أو نواتين معاً عند التناسل كاتحاد الأمشاج لتكوين اللاقحة ، ومنه أيضاً اتحاد الخلايا لتكوين قناة من قنوات الأوعية الموصلة أو الابنية .

G

٦١١٦ غِمْد السّرر (السَّابِيائي) 6116 Gaine amniotique du cordon ombilical

غِمْد حبل السرة (كما أقرتها اللجنة اللفظة ٣٢٦٣) السِّلى (٢) (كما أقرها مجمع اللغة) .

٦١٢٥ كيسة لَبَنية ، قيلة لبنية 6125 Galactocèle

وأقر مجمع اللغة قيلة لبنية .

٦١٢٦ خِنْزِيرٌ أو دَجاجٌ محشُو 6126 Galantine

أحد أنواع اللحوم الباردة بالهُلام كما جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم الأصلي (٣) وأرجح لحم بارد هلامي .

---

(١) Blowing in and out of the checks in coma

(٢) الصفحة ٤٦٤ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٣) (Dish of meat served cold with jelly)

6127 Galbanum, résine utérine أُشّق ، وُشّق ٦١٢٧

وجاء في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي البارْزَدْ في سياق الكلام عن نبات يدعى قِنَّة (Ferula galbaniflua) إذ ورد شرح اللفظة نبات طي من الفصيلة الخيمية يستخرج منه صمغ يسمي البارْزَدْ (Galbanum) وهو يستعمل في الطب .

وجاء في شرح لفظة (Galbanum) من معجم بلاكستون (Blakiston's) صمغ راتنجي للنبات (Ferula galbaniflua) كان يستعمل مقشعاً ومحرضاً ويدخل في تركيب بعض المعاجين .

أما أُشق وُوشّق فقد جاءتا في معجم الألفاظ الزراعية في ترجمة (Gomme ammoniaque) وجاء في الشرح : (القاموس : وهما من أصل فارسي صمغ طي يستخرج من أنواع نباتية من جنس Ferula خاصة) .

وجاء في المعجم الوسيط في شرح لفظة (الوُشّق) نقلاً عن مجلة مجمع اللغة : الوُشّق : الأُشّق وهو صمغ طي يستخرج من أنواع نباتية من جنس الفيرولة ويعرف في مصر بالكَلَخ ، أو علك الكَلَخ وينبت العشب المتخذ منه في إيران والتركستان وجنوبي سيبريا وهو عُشب معمَّر يسمو إلى مترين وثلاثة له جذر وتدي غليظ وساق جوفاء .

6138 Galle de chêne, noix de galle عَفْص البَلّوط ، جوْز العَفْص ٦١٣٨

عَفْص البلّوط في اللفظة الأولى وعَفْصة في الثانية كما ورد في معجم الألفاظ الزراعية ، وجاء في تعريفها : (بَثْرة أو تضخم يحصل في بعض النباتات بتأثير طفيليات حيوانية أو نباتية) .

6143 Galvanomètre à aiguille مِقْياس غلفاني ذو إبرة ٦١٤٣

وأرجح مقياس غلفاني ذو عَقْرب .

٦١٤٦ مقياس غلفاني ذو حبْل — 6146 Galvanomètre à corde

وأرجح مقياس غلفاني ذو وتَر .

٦١٤٩ مَقام ، جمّة ، سلسلة أو سلّم — 6149 Gamme

أو جماعة أصوات أو ألوان

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة بمقياس . ولا أراها تفي بنواحي معنى اللفظة الأفرنجية جميعها وأرجح إضافة سلسلة أو سلّم حسب موضع الاستعمال .

٦١٦١ عُقَد لنفاوية — 6161 Ganglions lymphatiques

وأقر مجمع اللغة عقد لنْفية أو لمْفية .

٦١٦٣ عُقَد الوُدّي المحيطية — 6163 Ganglions périphériques du sympathique

وأقر مجمع اللغة تعريب لفظة (sympathique) بسمبتاوي فتصبح اللفظة الثانية عقد سمبتاوية والأولى العقد السمبتاوية المحيطية .

٦١٦٧ مَواتي — 6167 Gangrèneux, euse sphacéleux , euse

غَنْغَريني كما أقرها مجمع اللغة ومواتي (١) ترجمة للفظة الثانية .

٦١٧٥ حارسة الطِّفل — 6175 Garde d'enfant

وأرجح المشرفة على الطفل .

٦١٧٦ مُمَرِّض ، مُمَرِّضة — 6176 Garde - malade

وأرجح المشرف أو المشرفة (على المريض) لتخصيص لفظتي مُمَرِّض وممرضة ترجمة لِـ (infirmier) و (infirmière) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظتان ٧٢٦٤ و ٧٢٦٥) .

(١) الصفحة ٤٧٤ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

٦١٨٠ مِـكْرَبة ، قِماط 6180 Garrot

وأرجح وِثاق أو مِكْرَبة ، تاركاً قِماط ترجمة لِـ (maillot) كما فعلته اللجنة (اللفظة ٨١٢٢) .

٦١٨٢ كَرَب أحد الأطراف 6182 Garroter une extrémité

وكذلك أوثقه أو شد وِثاقه .

٦١٩٦ تشنّج المَعِدة 6196 Gastrospasme

وأقر مجمع اللغة ترجمة (spasme) بتَقَلُّص وجاء في الشرح : انقباض عضلي لا إرادي يحدث بَغْتَة . فتصبح ترجمة اللفظة تقلص المَعِدة ، كما أن المجمع ترجم لفظة (Convulsion) بتشنج وسبقت ملاحظتي على هذه اللفظة (١).

٦١٩٨ جُرْثومة مُتَحوصِلة أو مُجَوَّفة 6198 Gastrula

وأقر مجمع اللغة تعريب اللفظة بجسترولة (غسترولة كما نرسمها في سورية) ورأى التعريب أفضل .

(١) مِعى ابتدائي جوف فَوْمي (1) Archenteron , intestin primitif , cavité gastruléenne

وأقر مجمع اللغة : معى بدائي ـ اركنترون وجاء في التعريف : وهو تجويف الجسترولا (هكذا رسمت هذه المرة) التي هي أحد الأطوار الجنينية . أما جوف فومي في ترجمة اللجنة للفظه الثانية فالأفضل أن تكون جوف الغسترولة وكان عليها أن تنسبها إلى الجرثومة المتحوصلة اللفظة السابقة .

(٢) مَنْتَبِح الجُرْثومة ، فم ابتدائي (2) Blastopore , bouche primitive

وأقر مجمع اللغة : فم الجسترولة وجاء في التعريف : وهو فتحة المِعى البدائي (Archenteron) إلى الخارج في الطور الجنيني المعروف بالجسترولة

---

(١) الصفحة ٥٩١ من المجلد الثامن والثلاثين من هذه المجلة .

وهو الطور الذي يلي البلاستولة : وجاء في تعريف البلاستولة : طور جنيني تنتظم فيه الخلايا في طبقة واحدة تحيط بتجويف .

٦٢٠٨ غاز الحَرْب المُشْبِق Gaz de combat lacrymogène 6208

وأرجح غاز المعْرَكة أو القتال المُدْمِع (١) .

٦٢١٧ غَزي ، مَوْصِلي Gaze , mousseline 6217

وأقر مجمع اللغة ترجمة اللفظة الأولى بالشاش (٢) . علماً بأن اللفظة الفرنسية بالنسبة إلى غزة فتصبح غزي مفضلة .

٦٢٢٤ عَرْطَل عَرْطَلَة Géant , géante 6224

وأقر مجمع اللغة مارِدْ ومارِدَة .

٦٢٢٥ هُلام ، هُلامين ، غلوتين غَرَوين Gelatine , glutine 6225

ولا أرى لزوماً لإقحام لفظة غروين هنا بعد أن سبق للجنة أن استعملت لفظة غِراء ترجمة لِـ (Colle) (اللفظة ٢٨٥٢) .

٦٢٣٠ جَمَد ، مهلّمة Gelée 6230

٦٢٣١ جَمَد الكِشْمِش (كـ) قشاعات في سرطان الرئه Gelée de groseille (en) crachats, dans le cancer du poumon 6231

والصحيح مجمّد في اللفظة الأولى ومجمّد الكشمش في الثانية . فقد جاء في ترجمة اللفظة الانكليزية للمعجم الأصلي (Jelly) واستبعـــد استعمال لفظة جَمَد (٣) .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

(١) في اللسان : ودَمَعَت العين ودَمِعَت تَدْمَع دمعاً ودمعاناً . وأدمع الإناء إذا ملأه حتى يفيض .

(٢) جاء في المعجم الوسيط في شرح اللفظة: نسيج رقيق من القطن تضمد به الجروح ونحوها .

(٣) في معجم الألفاظ الزراعية للأمير مصطفى الشهابي في شرح لفظة (Gelée) ضَرْب من المربّى يُصنع بعصير الفواكه مطبوخاً مع السكر فيصبح كالهُلام أو الجَمَد أي الجليد .

تقي الدين محمد الراصد

محيطنا خصب لم ينقطع في وقت عن ظهور نوابغ في العلوم والآداب وسائر الثقافات . فهو وافر الإنتاج في جميع العصور والأزمان . وإن العلوم الرياضية والفلكية من أصعب العلوم مراساً ، وأجلها دقةً وعناية ، ولا سيَّما الأرصاد ، وما ولدت من أزياج ، فهي تحتاج إلى مواهب أعظم ، ورغبة زائدة ، ومثابرة مستمرة ، وأخذٍ عن أستاذ ضليع متمكن ، وقلّ عدد من نبغ عندنا فيها ، وبلغ شأواً منها في مختلف العصور ، وإن جمهرة العلماء في أيام الخليفة المأمون كانت كبيرة جداً لشدة الميل إلى هذه العلوم . أبدعوا في الفلك ، وفاقوا في الأرصاد ، وصارت شهرتهم عالمية بما خلدوا من أزياج ، ثم تضاءل العدد ، وقلّ النوابغ ولا يزالون في تناقص متوالٍ ، حتى ظهر أكابر في الدولة العثمانية كانت اشتغالاتهم جبارة في البحرية والرياضيات والفلك . وعلى الرغم من قلتهم ، بلغوا درجة كبيرة من العناية والاهتمام بهذه العلوم ، لا سيما بعد فتح استنبول في ١٩ من جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هـ — ١٤٥٣ م وانكشفت آفاق أمامهم فتوسعت العلوم بعد الاتصال بالأقطار العربية فبلغت غاية كبيرة . قال الأستاذ السخاوي :

« ومن ممالك الروم التي كرسي ملكه اصطنبول ومنه أذنة وبرصة وغيرها من مجاوريها ، ففيها فضلاء بالعقليات . وغالبهم بل كلهم حنفيون . وقلّ أن تصل إلينا أخبارهم . (١) » .

---

(١) الاعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ ص ٣٠٠ و ٣٠١ طبع بمطبعة العاني ببغداد سنة ١٩٦٣ بتحقيق وتعليق (فرانز روز نثال) نقله إلى العربية الدكتور صالح أحمد العلي . والملحوظ ان (أذنة) لم تشتهر ، وان (أدرنة) كانت عاصمة في ذلك العهد ، وهي مجاورة لاستنبول والقول بأنها أدنة غلط ظاهر . فاقتضى التنبيه عليه .

هذا مع العلم بأن الأستاذ السخاوي كان قد ألف كتابه (الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ) وأتمه سنة ٨٩٧ هـ — ١٤٧٤ م ، وتوفي سنة ٩٠٢ هـ — ١٤٩٧ م ولم يدرك فتح بغداد ، ولم تكن لها علاقة باستنبول وتلك الأنحاء ، فهي بعيدة عنهم ومنقطعة إلا أن الصلات بالعراق كانت وثيقة في الثقافة خاصةً ، وأن الشام لم تفتح إلاّ في ٢٥ من رجب سنة ٩٢٢ هـ — ٢٤ من آب سنة ١٥١٦ م ، وأن مصر فتحت في ٢١ من ربيع الأول سنة ٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م .

أما العراق فكان الاتصال به أقوم ، وفتحه كان في ٢٤ من جمادى الأولى سنة ٩٤١ هـ — ١٥٣٤ م ، ولكننا نرى حمايتهم لأهل الثقافة كبيرة جداً ، ونوابغهم في الفلك والرياضيات معروفون من أواخر القرن التاسع ، وبالتعبير الأولى من تاريخ فتح استنبول ؛ وبعد فتح البلاد العربية ، والاتصال بثقافتها ، وعلمائها ، تغيرت الوجهة أكثر وكان للاحتكاك العلمي والأدبي قيمته حيث استمر النشاط الثقافي وازداد فظهر بينهم علماء أكابر كما نال العلماء المكانة عندهم ، والرعاية التامة .

ومعرفة تاريخ هذه العلوم ضرورية وإذا كانت فقدت مكانتها اليوم فلم تفقد مكانتها التاريخية ، فان تاريخ العلوم لم يهمل بوجه ، وإن الأمم لم تهمل تاريخ ثقافتها .

وفي أواخر القرن العاشر الهجري ظهر نابغة دؤوب في العلوم الرياضية والفلكية ، وهو تقي الدين محمد بن معروف الراصد . وكانت رغبته فيها شديدة جداً وميله إليها كبيراً . وزاد اشتغاله ، واتصل بعلماء أفاضل كان لتوجيههم قيمته . ولد في مصر سنة ٩٢٧ هـ — ١٥٢٠ م . ومنهم من قال ولد سنة ٩٣٢ هـ — ١٥٢٥ م بدمشق (١) . قال المؤرخون : درس العلوم

(١) الأعلام للأستاذ خير الدين الزركلي الطبعة الثانية ج ٧ ص ٣٢٦ .

في مصر ثم ولي التدريس في بعض مدارسها ، وبعدها ولي قضاء نابلس سنة ٩٧٠ هـ — ١٥٦٢ م .

ومن ذلك الحين كان مولعاً في الرياضيات والفلك . ولكنه لم يجد مكاناً يسهل مهمته سوى استنبول ، فوجه نظره إليها ، فقصدها في أيام السلطان سليم الثاني (ولي السلطنة في ٨ من ربيع الأول سنة ٩٧٤ هـ) ، واستخدم المترجم في وظائف قضائية .

وفي سنة ٩٧٩ هـ توفي رئيس المنجمين مصطفى جلبي بن علي الرومي (١) الموقت المشهور فخلفه الأستاذ تقي الدين فصار رئيس المنجمين بسعي من الخواجه سعد الدين معلم السلطان آنئذ وكان قد رعاه . ومن حين مجيئه إلى استنبول أصبح من رجاله المتميزين في الثقافة .

وكان في أيامه قد وجد أن زيج أولوغ بيك لا يخلو من نقص ظهر فيه ، وان التوقيت يستند إليه ، ويتحتم تصحيحه ، ليكون الوقت متقناً مضبوطاً ، فالضرورة داعية إلى (بناء رصد جديد) .

ومن ثم أمرت الدولة ببناء الرصد على حسابها ، في أوائل أيام السلطان مراد الثالث ، وكان جلوسه في السابع من شهر رمضان سنة ٩٨٢ هـ — ١٥٧٤ م ، وبسعي من الخواجه أيضاً ، شرعت في بنائه سنة ٩٨٧ هـ — ١٥٧٩ م ، في الطوبخانه (المدفعيـــــة) في (قله) (٢) أي تل . وسمي

(١) ترجمة الأستاذ مصطفى علي الموقت في تاريخ علم الفلك في العراق من مطبوعات المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٨ م ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨ .

(٢) جاء في الوقائع الملحقة بتاريخ ابن الوردي أن دار الرصد انشأت في (غلطة) ومثلها في كتاب حديقة الجوامع وهذا غير صحيح كما نبّه على ذلك الأستاذ صالح زكي في كتابه (آثار باقية) باللغة التركية ج ١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ، وكذا في ذيل تاريخ عطا ، كما أن المترجم أوضح ذلك في كتابه نتائج الرصد ، نقلاً عن (ذيل زيج تقي الدين الراصد العثماني) . وجاءت ترجمته في (قاموس الأعلام) باللغة التركية . مختصرة .

ب (جاه رصد) أي بئر الرصد . ويعدّ الأول من نوعه . وكان بناء هذا الرصد حدثاً عظيماً في تاريخ علم الفلك ، وكانت اشتغالات تقي الدين الراصد يتكون منها تاريخ حقبة كان من رجالها وكان رئيس المنجمين في الدولة العثمانية . فحياته تاريخ ناطق في (تاريخ علم الفلك) ، قام المترجم بمهمة رصداته ، وكاد يتمها ، إذ أمر شيخ الإسلام قاضي زاده أحمد شمس الدين بتخريبه ، وتولى ذلك (قليج علي باشا قائد البحرية) أي (قبودان دريا) كما هو معروف بهذا اللقب عندهم استناداً إلى خط همايوني صادر يوم الخميس في الرابع من ذي الحجة سنة ٩٨٧ هـ — ١٥٧٩ م ، وذلك بعد أن أكمل المترجم قسماً من لوازم رصده وقام بمهمة الرصد وضبط حركات النيرين . وكان الأستاذ صالح زكي لاحظ هذه الأوضاع في الرصد وعرف اشتغالاته ، فتأسف لما وقع مما يعد وصمة أو نكتة لا يمحى أثرها على الدولة ، وعلى المشيخة الإسلامية لما جرى من خرق هذا الشيخ الذي لا يعرف قيمة للعلم ولا درجة التعب في سبيله . حرمنا فائدة كبيرة بل فوائد لا تحصى ، وأثّر في تاريخ الثقافة تأثيراً كبيراً كما أضرّ في الدولة العثمانية كثيراً ، وأخّر سيرتها العلمية وحرم الأمة من فوائده وقضي عليه في ليلة مشؤومة ، فصار نقمة العصور والأزمان .

ولا شكّ في أن هذا يفسر بما وقــــع من حسد ورقابة للخواجة سعد الدين ، وللأستاذ المترجم ، فلم يتحمل أمرها وبلغ به الغيظ ما بلغ ، وحنق غاية الحنق .

ولو كان بقي هذا الرصد لجارى الغرب في رصداته أو سبقهم بالنظر لتاريخ تأسيسه فإنه عمله قبل زيج كاسيني ، وصار لا يقل عنه في تجدده ، وأبدى تحسيناً لائقاً وتوسعاً في هذه العلوم لا تقل عن غيرها . فعطل هذه الموهبة الفذة ، والقدرة الفائقة ، وحرمنا المعرفة ، وأضرّ بالمملكة . وعدّه الأستاذ صالح زكي أول راصد في الدولة العثمانية وآخر راصد لديهـا .

مؤلفاته في الفلك والرياضيات :

١ — معرفة وضع الساعات ودوائرها وتثاقيلها وغير ذلك :

أوله بعد الديباجة : فاني كنت في زمن الصبا كلفاً بعلم الوضعيات منها مغرماً بمطالعة كتب الرياضيات (١) .

٢ — سدرة منتهى الأفكار في ملكوت الفلك الدوار :

زيج . أوله : « اللّهم لا سهل إلاّ ما جعلته سهلاً . . . » باشر فيه أعمال الرصد الجديد ، ودوّنها إلى أن جرى هدمه . أطرى فيه السلطان مراد وذكر الخواجة سعد الدين . كما ذكر قيمة الأرصاد ومكانتها والاشتغالات وأهميتها . منه نسخة مهمة وكاملة في خزانة نور عثمانية باستنبول بخط (تعليق) فاخر برقم ٢٩٣٠ ، وبيّن الأستاذ صالح زكي أن هذه نسخته الوحيدة الثامنة . وقال : قد تعرضت لذكره عند البيان عن الأزياج بتفصيل .

وأقول : ان هذا الزيج منه نسخ عديدة رأيتها في خزائن استنبول منها نسخة في خزانة رصد قنديللي برقم ١ — ٥٦ والملحوظ أنها بخط مؤلفها . كما توجد منها نسخة في خزانة (سراي طوبقبو) باستنبول باسم (تحرير الرصد الجديد العثماني) برقم ٤٦٥ كتبت سنة ١١٣٣ هـ عن نسخه بخط المؤلف . ونسخة (في خزانة أسعد) التابعة لخزانة السليمانية باسم (نتائج الرصد) ، أو (زيج تقي الدين الراصد العثماني) برقم ١٩٧٦ وأشار المؤلف في كتابه هذا إلى ما اعتمده من مؤلفات إلاّ أن اشتغالاته الفعلية أكثر وأوسع مما دون في كتابه هذا .

---

(١) فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية الجزء الثالث (العلوم) القسم الأول الفلك والتنجيم والميقات ، وضعه الأستاذ (باول كونتش) مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٥٨ م ص ٩٩ .

ونقل صاحب كشف الظنون بحوثاً مهمة عن هذ الكتاب في مادة (الآلات الرصدية) وعوّل عليه . فهو مهم جداً . وبين هذه الآلات ما كان من اختراعه .

٣ — الدر النظيم في تسهيل التقويم :

ألفه سنة ٩٩٢ هـ — ١٥٨٤ م وهو زيج صغير ، أوله : « الحمد لله واهب المنن من فضله العميم ... » منه نسخة ضمن مجموعة في دار الكتب المصرية (١) ذكر فيه أنه استخرج زيجاً وجيزاً من زيج أولوغ بيك وجعله مدخلاً في استخراج التقويم . كما توجد نسخة منـــه في خزانة جامعة برنستن (٢) . وذكره في كشف الظنون (ج ١ ص ٩٠٥ و ٩٠٦) .

٤ — خريدة الدرر وجريدة الفكر :

ألفها سنة ٩٩٢ هـ وهي زيج صغير . نسخة منها في خزانة برلين وكانت لدى الأستاذ صالح زكي نسخة منها ، وأظنها صارت لخزانة الجامعة في استنبول ورأيت نسخة في خزانة أسعد التابعة لخزانة السليمانية ضمن مجموعة مع سدرة المنتهى برقم ١٩٧٦ . وجاء اسمها جريدة الدرر وخريدة الفكر . وأهداها المؤلف إلى أستاذ السلطان الخواجة سعد الدين . وهي جداول اعشارية ورجحها على الستينية ، وسمى نفسه تقي الدين محمد بن زين الدين معروف . وبين جداول (الشكل الاعشاري) وهو من استنباطه . وفي هذا رجح القول في الجداول العشرية على الجداول الستينية التي كان قد رجحها ابن المجدي (٣) وبعده اختارها سبط الماردیني (٤) ، وبهذا أبدى تجدداً في رصده ، وفي اتجاهه

(١) الفهرس القديم لدار الكتب المصرية ج ٥ ص ٣٠١ .

(٢) فهرس خزانة جامعة برنستن في أمريكا الشمالية ، ص ٣١٤ المطبوع سنه ١٩٣٨ م .

(٣) توفي ابن المجدي في ١١ ذي القعدة سنة ٨٥٠ هـ — ١٤٤٧ م وتفصيل ترجمته في تاريخ علم الفلك في العراق ص ١٧٩ — ١٨٤ .

(٤) توفي سبط الماردیني نحو سنة ٨٩٠ هـ — ١٤٨٥ م وتفصيل ترجمته في تاريخ علم الفلك في العراق ص ١٨٧ — ١٩٦ .

جداول الجيوب الاعشارية ، وبهذا يكون قوله مقدمة لجداول اللغاريتمة إن لم يكن هو القائل بها قبل غيره .

٥ ــ رسالة في الشكل الشكازي :

أولها : « الحمد لله حق حمده ... » . وهي وجيزة تشتمل على عشرة أبواب . ذكرها في كشف الظنون .

٦ ــ تحرير أكر ثاوذسيوس اليوناني المهندس :

ذكرت في كشف الظنون . ج ١ ص ١٤٢ .

٧ ــ بغية الطلاب من علم الحساب :

أولها : « الحمد لله أسرع الحاسبين ... » . ليس لها تاريخ . منها نسخة في مكتبة الخزينة من سراي طوبقبو ضمن مجموعة برقم ٤٦٥ وخطها تعليق نفيس . كما توجد نسخة في خزانة جار الله التابعة لخزانة السليمانية باستنبول برقم ١٤٥٤ .

٨ ــ ريحانة الروح في رسم الساعات على مستوى السطوح :

في البسيطة أو الرخامة ألفها سنة ٩٥٧ هـ في نابلس أيام قضائه فيها . منها نسخة حررت في ١١ ذي القعدة سنة ١١٣٠ هـ عن نسخة كتبت سنة ٩٧٥ هـ ، رأيتها في خزانة بايزيد العامة في خزانة ولي أفندي في استنبول برقم ٢٣٠٥ أولها : « يا من أبرز من أفق الإبداع شموس العقول .. » . وجاء في مقدمتها : لما كانت معرفة أوقات العبادات من فروض الكفاية ، والاستدلال عليها بما رسم على الرخامات الظليّة في عموم النفع نهاية ، أحببت أن أحرر فيها هذه الرسالة بطرائق قطعية البراهين والدلالة ، وجمع المؤلف فيها ما يتداوله الناس من الكتب المختصرة والمطولات رسم يقتفى أثره أو شخص يستنشد خبره من جميع أحوال المائلات وقال : فجمعت في هذه الرسالة من القواعد والفرائد والفوائد ما يمنح مطالعها ملكة رسم الخطوط الوقتية باختلاف

أنواعها على سائر السطوح المستوية المتباينة في أوضاعها وسميتها ... وعزّز بحوثه برسوم هندسية وأزياج واضحة غاية الإيضاح ، وألحق بذلك جدولاً جامعاً لجميع ما يحتاج اليه الفن من الأعمال . كما ألحق بها جدولاً في الرخامة البسيطة ، وتوجد منها نسخة في خزانة أسعد في استنبول التابعة للسليمانية كتبت سنة ١٠٩٥ هـ عن نسخة مؤرخة سنة ٩٧٥ هـ وهي برقم ٢٠٢٢ ونسخة أخرى برقم ٢٠٥٥ وفيها ذكر سلسلة نسبه وأنه تقي الدين محمد بن المعروف بن أحمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف ابن الأمير ناصر الدين منكوبرس (١) ابن الأمير ناصح الدين خمارتكين أسد العرين وأمير المجاهدين ...

وشرح هذه الرسالة تلميذ المصنّف . جاء في كشف الظنون : شرحها العلامة عمر بن محمد الفارسكوري شرحاً بسيطاً ممزوجاً باشارة من المصنف وسماه (نفح الفيوح بشرح ريحانة الروح) . أوله : « الحمد لله الذي نظم جواهر الكواكب الزواهر ... » وفرغ منه في ربيع الأول سنة ٩٨٠ هـ وتوفي سنة ١٠١٨ هـ (٢) — ١٦١٠ م .

٩ — دستور الترجيح لقواعد التسطيح :

ورد في بعض النسخ (الدستور الرجيح لقواعد التسطيح) أتم تأليفه سنة ٩٨٤ هـ وهو آخر ما كتب في البسيطة المعروفة بالرخامة ، وقد أتحف به خزانة الخواجة سعد الدين . منه نسخة في خزانة رصد قنديللي برقم ٥٦ .

١٠ — نظم في ربع الدستور المعروف بالمجيّب .

من شرح هذا النظم نسخة في دار الكتب المصرية . أوله : الحمد لله الذي رفع الأفلاك من غير عمد (٣) ...

---

(١) وجاء في هدية العارفين ج ٢ ص ٢٥٧ أنه « محمد أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد بن يوسف ابن الأمير مكتوبرس الأسدي تقي الدين أبي بكر الراصد .

(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ٩٣٩ .

(٣) الفهرس القديم لدار الكتب المصرية ج ٥ ص ٢٦٢ و ٣٢٧ .

١١ ــ الكواكب الدرية في البنكامات الدورية :

ذكره في كشف الظنون .

١٢ ــ خلاصة الأعمال من مواقيت الأيام والليالي :

ذكرها في كتابه نَوْر حديقة الأبصار وفي كشف الظنون أيضاً . كما ورد ذكرها في مجموعة مكتبة الخزينة في سراي طوبقبو رقم ٤٦٥ وقال : في الرسالة الموسومة (خلاصة الأعمال ...) رصدت عرض القسطنطينية لما بين العمارة السليمية وباب أدرنة . كما عملت العرض والطول وسمت القبلة .

١٣ ــ نَوْر حديقة الأبصار ونُوْر حديقة الأنظار .

يبحث في علم المناظر (البصريات) ، أوله : « الله نور السموات والأرض ... » . وأبدع في البصريات . وأهداه إلى قاضي قضاة الدولة العثمانيـــة ملا جلبي عبد الكريم . وقد طالعته في خزانة السليمانية في لاله لي باستنبول برقم ٢٥٥٨ كما توجد منه نسخة أخرى ضمن مجموعة برقم ٢٧٥٠ ، رجع فيه إلى كتاب المناظر لأقليدس وهو (كتاب الكندي) فيلسوف العرب وإلى تحريره للخواجة نصير الدين الطوسي ، وإلى كتاب المناظر لابن الهيثم وإلى (تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر) للعلامة كمال الدين أبي الحسن الفارسي [١] طبع هذا الكتاب في مجلدين كبيرين في حيدر آباد الدكن سنة ١٣٤٨ هـ .

وهذا الكتاب لم يدقق من ناحية البصريات ، وما فيه من حدوث تجدد علمي ، وصلته بما هو معروف في الغرب . لنعلم قيمة بحوثه .

١٤ ــ رسالة في صفة استخراج منطقة الكرة :

هذه الرسالة جاء ذكرها في مجموعة مع كتاب ريحانة الروح في خزانة ولي أفندي في بايزيد برقم ٢٣٠٥ .

---

(١) كتاب فيلسوف العرب الكندي « نقلته الى العربية وطبع ببغداد سنة ١٩٦٣ م . وفيه تفصيل هذه البحوث ص ٦٦ و ١٢٩ ــ ١٣٦ .

١٥ — رسالة شرح فيها تسعة الأبيات التي كان قد نظمها في استخراج التواريخ المشهورة من التاريخ العربي :

وردت في المجموعة المرقمة ٢٣٠٥ في خزانة ولي أفندي في بايزيد وفي خزانة لاله لي نسخة جاء في أولها : الحمد لله بكرة وأصيلاً ... وسماها (شرح أبيات عشرة) ضمن مجموعة برقم ٣٦٤٢ .

١٦ — رسالة في ضبط قوس الليل والنهار :

منها نسخة في خزانة «رصد قنديللي» باستنبول .

١٧ — رسالة في حساب أنصاف أقطار المقنطرات :

منها نسخة في خزانة رصد قنديللي رقم ٥٦ في استنبول .

١٨ — الطرق السنية في الآلات الروحانية :

وهذه ذكرها لي الشيخ محمد الصفائحي . وهي في خزانة رصد قنديللي وان الأستاذ من مشاهير الرجال في معرفة الكتب ، ومن أفاضل العلماء . وأعتقد أن التقي الراصد عدل عن مثل هذه البحوث ، وتركها .

١٩ — سجنجل السماء :

قال العلامة عمر بن محمد الفارسكوري ان للمترجم زيجاً آخر يسمى (سجنجل السماء) أشار إليه في كتابه بغية الطلاب من علم الحساب وجاء ذكره أيضاً في غلاف الكتاب رقم ٤٦٧ في مكتبة الخزينة في سراي طوبقبو باستنبول .

٢٠ — بهجة الفكر في حلّ الشمس والقمر :

من متعلقات الزيج الأولوغ بيكي ذكره في كشف الظنون وفي هدية العارفين ج ٢ ص ٢٩٧ .

٢١ — المصابيح المزهرة :

مخطوط أشار اليه الأستاذ الزركلي [١] .

وهنا أقول : إني وقفت على الكثير من مؤلفاته المذكورة وأشرت إلى مواطن وجودها بقدر الإمكان في خزائن استنبول ، وفي خزانة « رصد قنديللي » وذلك حينما زرتها في صيف سنة ١٩٦٤ م . فكانت المعرفة متصلة في آثاره ومؤلفاته . وكذا وجدت بعضها في فهارس أخرى كما مر .

قام الأستاذ المترجم باصلاح الرصد في العهد العثماني ، وكتب أزياجاً مهمة ويعدُّ عندهم أول راصد ، وآخر راصد كما تقدم فلم ينبغ بعده من يسد مكانته أو يحصل على ما حصل عليه في العلوم الفلكية من معرفة . وكانت الضربة الموجهة عليه قاسية جداً ، وأضرَّت بالثقافة ، بل أخرت الثقافة الفلكية ، فكانت بدء الانحطاط ، وان الغرب تقدم في هذه الناحية وتلقف المعرفة وقام جماعات فيه لحماية هذه العلوم والظهور بها ، والأخذ بناصرها ، وتعالي أمرها .

كان المترجم خاتمة المطاف العلمي ، وبدء التوقف وبعدها ظهر الغرب بالمظهر اللائق ؛ فاذا كان قد توفي باستنبول سنة ٩٩٣ هـ — ١٥٨٥ م فان الغرب قام ببناء الأرصاد بعده بنحو مائة سنة مرت على وفاته . حيث ظهر الأستاذ كاسيني برصده ، وأكمل زيجه المعروف باسمه (زيج كاسيني) .

أهملنا أمر هذا الرجل العظيم ، وهو يستحق أن نحيي ذكراه وأن ندقق في آثاره ، ونتوغل في معرفة كنه علومه الفلكية والرصدية ، وما قام به من بحوث في (البصريات) أو (علم المناظر) ، ودرجة اتصاله بابن الهيثم وغيره من علمائنا ، وكذا في الرصد وبحوثه الأخرى ، ونلاحظ

(١) الأعلام الطبعة الثانية ج ٧ ص ٣٢٦

صلاته العلمية بأرصاد الغرب . ونظراً لبراعته في الأرصاد نعت بتقي الدين الراصد . ومثل هذا الرجل العظيم لا ينبغي أن يهمل . وإذا بخسه بعض الناس حقه ، وصاروا حجر عثرة في طريقه ، فلن ننسى أن مؤلفاته تشعر بعظمته ، وتبيّن غزير علمه في الفلك والرصد ، فهو من رجالنا الأفذاذ ، كتب جميع مؤلفاته باللغة العربية ، وكانت ولا تزال لسان العلوم . وان ما كتب باللغة التركية ، أو باللغة الفارسية كان لتفهيم أرباب اللغات بما يدونون بخلاف المترجم .

وبعد يجب أن لا نهمل هذا العالم ، وأن تعاد ذكرياته ، وأن تبسط آراؤه وتجديداته في مختلف العصور للمعرفة والاتصال بتاريخ الثقافة دائماً . ولمصر ، وللشام صلة أكيدة به ؛ بل للعالم العربي جميعه ، وللعالم الإسلامي علاقة كبيرة به وبتاريخ الثقافة وخاصة بتاريخ علوم الفلك وهي مرتبطة بجميع البلاد الإسلامية ، وان تأثيرها امتد إلى الغرب في نهضته الثقافية ، فهو مدين لها في تكميل ثقافته والتكمل بها من وجوهها ، ولا نزال نرى المؤلفات باللغة اللاتينية نقلت اليها الكثير من المخلدات العربية كالرياضيات والفلك .

هذا . وإذا كان شيخ الإسلام غمطه حقه فالواجب الأدبي يحتم علينا أن نعيد له مكانته العلمية ونقدر له اشتغالاته الدائمة الدائبة في الرياضيات والفلك ، وأن نكرر ذكرياته بلا انقطاع . وإذا كان طغى الطغاة على ما قام به من التجدد العلمي وثار على رصده فالتاريخ لا يهمل أمره ولا يترك تجاربه وبحوثه لا سيما ما يتعلق بتاريخ العلوم .

هذا ، وإن الدعوة إلى الاحتفال بذكراه تدعو إلى دعوة أخرى في الوقت نفسه ، وهي :

١ — الدعوة إلى إصلاحه في الرصد وآلاته .

٢ — رصده وقيمته العلمية .

٣ — تدقيقات في كتابه في البصريات .

٤ — الرخامة وأثره فيها .

٥ — بحوثه الفلكية الأخرى .

وكل هذه تعيد ذكريات قديمة ترجع إلى العهد الزاهر وإلى العلاقات التاريخية بالغرب ، والتجدد الغربي ، وما حدث عندنا . ولا شكّ في أن تدقيق حياة التقي الراصد تلهم بحوثاً تاريخية مهمة تتعلق بعلم الفلك والرياضيات وبالرصد وآلاته ، وبالأزياج ومكانتها وبالبصريات إلى آخر ما هنالك ، على أن يقوم العلماء المختصون في أمر ما أبدعه في المناظر ، واخترعه في الرصد ، وفي البحوث الفلكية الأخرى ، عدا ما قام به من الخدمة في تاريخ ثقافة الفلك والرياضيات والمبصرات ، فاذا كان لدينا من دقق في بحوث ابن الهيثم وفي بصرياته (١) فالحاجة كبيرة إلى مواصلة البحث في هذه الموضوعات إلى أيام تقي الدين الراصد ، وما خلده من بحوث .

عباس العزاوي

(١) لعل الأستاذ العزاوي يشير الى كتاب « الحسن بن الهيثم ، بحوثه وكشوفه البصرية » لمؤلفه العلامة مصطفى نظيف . (لجنة المجلة)

طرر على معجم الأدباء

أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت

طبعة الأستاذ مرجليوث سنة ١٩٠٧ م

— ٢ —

(المجلد الأول)

١٨٤ : ٤ الصواب نَجْرُ الزجر كما في العدل والنجر الأصل ، (٣ : ١١/١٥٣) .

١٨٤ : ٦ ابن الجلي هو أبو الفتح عبد الله بن اسماعيل الجلي (؟) من أكابر الحلبيين سمع منه الخطيب أبو بكر كما في العدل ، (٣ : ١٥٣ / ١٣) .

١٧٤ : ٨ جامع الأوزان ترى منه أمثلة في أول تنوير سقط الزند لأبي طاهر الخُوَيّي ، (٣ : ٣/١٥٤) .

١٨٤ : ١٢ الصواب حيَّانا عِدًى .

١٨٥ : ١٧ هو على ما في العدل ١٢٤ أبو اليمن المسلم بن الحسن بن غياث الكاتب الحلبي النصراني ، (٣ : ١٤/١٥٤) .

١٨٦ : ١ نسب الحماسة إلى أبي رياش القيسي لأنه شرحها ، (٣ : ٣/١٥٧) .

١٨٦ : ٩ الصواب في العدل والذهبي تعليق الخُلَس ، (٣ : ١٣/١٥٧) .

١٨٦ : ١٣ الصواب بالظل العدل ، (٣ : ٥/١٥٨) .

١٨٧ : ٣ الذهبي رسيل الراموز وكذا القفطي ، (٣ : ١٥/١٥٨) .

١٨٧ : ١٣ الصاهل والشاحج رأيت منه نسخة بالنجف في نحو ٤٠ صفحة ، (٣ : ١٥٩/١٤) .

١٨٧ : ١٥ هنا فرم سداده : روميّاً والكتاب المعروف بالقائف يذكر فيه أمثال على معنى كليلة ودمنة عمله لعزيز الدولة أبي شجاع المذكور أيضاً ألّف منه أربعة أجزاء ثم قطع تأليفه لموت الذي أمر بانشائه وهو أبو شجاع فاتك فانه قتل بالمركز بقلعة حلب قتله مملوك له هندي يقال له توذون سنة ٤١٣ هـ ومقداره ٦٠ كراسة من العدل وذكره خليفة والذهبي أيضاً ، (٣ : ١٦٠/٣) .

١٨٨ : ٧ السَّنَدية كتبها إلى سَنَد الدولة بن ثعبان الكتامي والي حلب من قبل المصريين في معنى خراج على ملكه بمعرة النعمان ، العدل ، (٣ : ١٦١/٢) .

١٨٨ : ٨ في العدل العرض ، القفطي الغرض ، (٣ : ١٦١/٤) .

١٨٨ : ١٣ تظلم السور تكلم فيه على لسان سور القرآن ، وتظلم كل سورة ممن قرأها بالشواذّ ويتعرض لوجه الشاذ ، (٣ : ١٦١/١١) .

١٨٩ : ١٩ح الموجود بلندرة ومصر والمدينة وغيرها نسخ من شرح الواحدي وقد حقق ذلك الصديق كامل گيلاني في مقال له . ورأيت أنا من اللامع نسخة لعلها من قرن أبي العلاء جليلة ، (٣ : ١٦٢ ح ١٤) .

١٩٠ : ح (١) لا غبار على رواية (غاوٍ) ، (٣ : ١٦٤/١٢) .

١٩٠ : ٧ الغفران ١٤٤ طبعة هندية ، (٣ : ١٦٥/٨) .

١٩١ : ١ الأبيات توجد في جميع طبعات اللزوم في الهاء .

١٩١ : ٧ تُميرّ لا غير ، (٣ : ١٦٧/١٣) .

١٩٢ : ح (٢) يوجدان في طبعة مصر ١٩١٥ م ٢٦٢/١ وفي جميع الطبعات ،

١٩٣ : ١ البيتان ٢ و ٣ من قطعتين وقد حرفها ياقوت بصنيعه هذا صنعة اللزوم . والعُمَد يريد العُمُدة ، (٣ : ١٧١/٦ و ٩) .

١٩٣ : ٥ الصواب ألا فقولوا ، (٣:١٧١/١٢) .

١٩٤ : ٥ فلك المعاني لابن الهبارية رأيت منه نسخة بأياصوفيا برقم ٤١٥٧ أنظر كتابي ٢٥٣ . ولابن الهبارية ترجمة في الوفيات رقم ٦٤٢ مرآة الزمان ٨/٣٦ سنة ٥٠٩ ، (٣ : ١٧٤/١) .

١٩٤ : ٧ الصواب المعرّيّ لا غير .

١٩٤ : ٩ البيتان بزيادة ثالث في نكت الهميان ١٠٦ والذهبي انظر فائتنا ص ١٤ ، (٣ : ١٧٤/٦) .

١٩٥ : ١٩ الصواب وأن يمتار كما في طبعة هذه الرسائل سنة ١٣٤٩ هـ ، (٣ : ١٧٧/١٠) .

١٦٦ : ١٥ الصواب إلى الجوف . الرسائل ، (٣ : ١٧٩/٥) .

١٦٦ : ١٦ الصواب التي تمتار منه . الرسائل .

١٩٦ : ح (٣) حُكَّمها .

١٩٧ : ٤٠ [رأى] زيادة من المصحح لا توجد في الرسائل لم يوفّق فيها إلى الصواب .

١٩٨ : ٢ الصواب بين البازل والرُبَع ، (٣ : ١٨٢/٣) .

١٩٨ : ١٢ الصواب القضيّة الثنويّة أي الاستثنائية . انظر الرسائل ص ١٩ ، (٣ : ١٨٣/٥) .

١٩٩ : ٢ قائلهم هو عمرو بن كلثوم في معلقته . والصواب فما وَجدت . (٣ : ١٨٤/٣) .

١٩٩ : ١٤ الرسائل الرأفة ، (٣ : ١٨٥/٨) .

٢٠٠ : ٤ وله من اللزوم في المعنى :

بأيّ جُرم بأيّ حُكم سُلّط ليث على مَهاها

(٣:١٨٦/٩) .

٢٠٠ : ٩ القطعات الثلاث الآتية في الغفران ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٤٧ . (٣ : ١٨٧/٣) .

٢٠٠ : ١٨ الصواب أيترك ، (٣ : ١٨٨/٣) .

٢٠١ : ٢ الصواب كما في الغفران والرسائل :

أدنيا مني خاليـــلي عَبْدَلاً دون الإزار

لا غير وهي في نسخة أشربة القُتَبيّ والثاني فيه :

واسقياني وابن حرب واســـترانا بالإزار

(٣ : ١٨٨/٧) .

٢٠١ : ٦ ابن رغبان هو ديك الجن وبيتاه مع ثالث في معاني العسكري ٢/٢٥١ :

وأصدق ما أبثّك أن قلبي بتصديق القيامة غير صاف

(٣ : ١٨٩/٣) .

٢٠١ : ١٢ والرسائل (كبير عندي وعنده) ولا غبار عليه جعل عند اسما كالمتنبّي : أياد له عندي يضيق بها عِنْدُ (٣ : ١٨٩/١٢)

٢٠٢ : ٦ الصواب بنَجْرة عن ، الرسائل .

٢٠٢ : ١٤ والشمس الخ لعل السورة والضحى والليل إذا سجا الخ لأن فيها ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ والآية تقرأ لنشدان الضالّة . وإن كان في الرسائل كما هنا ، (٣ : ١٩١/١٢) .

٢٠٣ : ٤ الصواب طَلَبُه حجّةً ، (٣ : ١٩٢/١٠) .

٢٠٣ : ١٧ الصواب فمن كما في الرسائل .

٢٠٥ : ٦ الصواب حلال طِلَتق كما سيأتي في ص ٢١٢ وكما في الرسائل ، (٣ : ١٩٦/٦) .

٢٠٦ : ٤ الشائر في الرسائل أيضاً وهو مشتار العسل .

٢٠٦ : ٥ الصواب أن يجعل . الرسائل ، (٣ . ١٩٨/٥) .

(يتبع) عبد العزيز الميمني

أغلاط المنجد

— ٢ —

وفي ص ٢٧١ يقول عند ذكر «سوق» أسواق العرب دومة جندل ، خطأ والصواب دومة الجندل ، ويقول أول يوم من ربيع أول ، خطأ والصواب ربيع الأول ، ويقول في أواخر جمادى أول ، خطأ والصواب جمادى الأولى ، «بضم الجيم» ويقول أول جمادى ثاني ، خطأ والصواب جمادى الآخرة . والشهور كلها في العربية مذكرة إلا جماديين فإذا أضفت قلت شهر جُمادَى وشهرا جُمادَى ، ثم يختم هذه النبذة بقوله سوق حباشة في رجباء ، ولقد بحثت كثيراً في ما وصلت إليه يدي من المصادر والمراجع فعييت وعجزت عن معرفة رجباء ، وعلى ذكر حباشة ورجباء ، أحببت بهذه المناسبة أن أنقل ما عاناه ياقوت الحموي في البحث عن حباشة .

قال ياقوت الحموي في مقدمة كتابه معجم البلدان ما نصه : « . . . . وكان أول البواعث لجمع هذا الكتاب ، أني سئلت بمرو الشاهجان في سنة ٦١٥ هـ عن « حباشة » ـ اسم موضع جاء في الحديث الشريف وهو سوق من أسواق العرب ـ فقلت : أرى أنه حباشة بضم الحاء قياساً على أصل هذه اللغة ، لأن الحباشة الجماعة من الناس من قبائل شتى ، وحبشت له حباشة أي جمعت له شيئاً ، فانبرى لي رجل من المحدِّثين وقال : إنما هو بالفتح ، وصمم على ذلك وكابر وجاهر بالعناد من غير حجة وناظر ، فأردت قطع الاحتجاج بالنقل ، إذ لا معوَّل في مثل هذا على اشتقاق

ولا عقل ، فاستقصيت كشفه في غرائب الأحاديث ودواوين اللغات مع سعة الكتب التي بمرو يومئذٍ ، وكثرة وجودها في الوقوف ، وسهولة تناولها فلم أظفر به إلا بعد انقضاء ذلك الشغب والمراء ، ويأس مع وجود بحث واقتراء ، فكان موافقاً والحمد لله لما قلته ، ومكيلاً بالصاع الذي كلته ، فألقي حينئذٍ في رُوعي افتقار العالم لكتاب في هذا الشأن مضبوط ، وبالإتقان وتصحيح الألفاظ محوط ، ليكون في مثل هذه الظلمة هادياً وإلى ضوء الصواب داعياً وشرح صدري لنيل هذه المنقبة التي غفل عنها الأولون ، ولم يهتد لها الغابرون » .

ولم يمكن تقدير ما كان في متناول يد ياقوت الحموي من الكتب منذ سبعمائة وخمسين سنة ، ألف كتاب ؟ خمسة آلاف ؟ وضاعفها إن شئت ، ومع هذا فقد تجشم عناء البحث الطويل حتى ظفر بما يعد اليوم من أوثق المصادر وأكمل المراجع التي يعتمد عليها العلماء والكتاب الباحثون .

ومصنف المنجد في الأدب والعلوم ، وقد شرع بجمع كتابه في عام ١٩٣٠ يستطيع أن يستعين في سهولة بـ ١١٨٠٠٠ كتاب مطبوع و ٣٠٠٠ مخطوطة في المكتبة الشرقية لجامعة القديس يوسف كما نص عليها في الصفحة ٥٠٩ ، ومع كل هذه الكفايات المتيسرة له فقد لا تستطيع أن تقع على الصحيح السليم في نصوصه ورواياته ، ولا سيما في ما له علاقة بالتاريخ العربي والإسلامي إلا في النزر اليسير منها .

وفي ص ٢٨٨ عند ذكره شرقاوة قال اسم يطلق على جماعة من المرابيط ، خطأ والصواب من المرابطين ، والكلمة من المرابطة ، أي ملازمة ثغر العدو ، والمرابط بفتح الباء وكسرها موضع ربط الدواب ، والربيط التمر اليابس وقيل الربيط الراهب . (اللسان) .

وفي ص ٣١٣ يقول « الضحاك بن قيس الشيباني الخارجي من المقربين إلى معاوية أودعه الخليفة المحتضر وصيته لابنه يزيد ، فتح الكوفة وواسط والموصل وهزم في نصيبين عبد الله بن مروان ، ثم انهزم أمامه ، قتل في وقعة كفر تونا أو الحيبرى ٧٤٦ » . وهذا النص حافل بالتشويش والأخطاء . ونفنده بما يلي :

الضحاك بن قيس الشيباني ما عرفه معاوية قط ولم يكن ولد بعد في زمن معاوية ، وهو زعيم حروري خلف سعيد بن بهدل سنة ١٢٧ ﻫ بايع له الشراة ، قصد أرض الموصل ثم شهرزور ، وحاصر واسطاً واحتل هذه المدن ، وقد ناهز جيشه في هذه الفترة مائة ألف ! قصده الخليفة مروان ابن محمد الأموي « آخر خلفاء بني أمية » بجيش كثيف فالتقيا بنواحي كفر توثا من أعمال ماردين ، وقتل في المعركة ، وقد خرج الضحاك هذا في أواخر دولة بني أمية وكان الاضطراب قد عم البلاد وضعفت منزلة الدولة حتى ان عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وكان والي العراق ، وسليمان بن هشام ابن عبد الملك كانا بايعاه وصلّيا خلفه . قال الجاحظ يصفه ، ويبدو أنه اجتمع إليه : من علماء الخوارج مَلَك العراق .

فأين ، بل من أين جاء بهذه الرواية الغريبة بجعل معاوية يوصيه بابنه يزيد ومعاوية هو الذي أسس الدولة الأموية ؛ ومروان بن محمد هو الذي انتهت دولة بني أمية في أيامه . وهو الذي خرج عليه الضحاك الشيباني ، وقوله عبد الله بن مروان تلفيق إذ ليس يوجد أحد بهذا الاسم ، وقوله وقعة كفرتونا خطأ والصواب كفرتوثا بالثاء المثلثة لا بالنون الموحدة .

ولقد اختصرت بتفنيد ما ورد في بيان هذا النص ، لأبين مبلغ ما تورط فيه المؤلف فخلط بين هذا الضحاك الشيباني وضحاك آخر ، وإن يكن ما سأبنيه عن الثاني ليس من موضوعنا . وذلك أن معاوية كان يعتمد على

الضحاك بن قيس الفهري القرشي ، وكان قد وجهه في جيش وأمره أن يسير في البلاد ويقتل من وجده من شيعة علي بن أبي طالب ، وهو وبسر ابن أرطاة صنوان بالتنكيل بشيعة علي . والضحاك هذا قام خطيباً يوم مات معاوية فقال : إن ابن هند توفي وهذه أكفانه على المنبر ، ونحن مدرجوه فيها ومخلّوه بينه وبين ربه ثم هو البرزخ إلى يوم القيامة ، وهو الذي غسله ودفنه ، ثم ولاّه يزيد دمشق ، وولاّه كذلك مروان بن الحكم ، ولما خرج عبد الله بن الزبير وبايعه الناس بدا أن الضحاك كان مذبذباً ، فكان إذا جاءته اليمانية وشيعة بني أمية أخبرهم أنه أموي ، وإذا جاءته القيسية أخبرهم أنه يدعو إلى ابن الزبير . فلما اجتمع له ثلاثون ألفاً من القيسية أعلن بيعته لابن الزبير ، التقى به حسان بن بجدل ، وكان على فلسطين بجيش ٧ آلاف في مرج راهط بمعركة أسفرت عن قتله وتفرق جماعته .

وفي ص ٣١٨ عند ذكر طبقات الشعراء يقول اشتغل عليه الكثيرون ، خطأ ، والصواب اشتغل به واشغل ، وشغل به ، يقال اشتغل به وشغل به وأنا شاغل به ، (اللسان) .

وفي ص ٣٢٩ عند ذكر عاد قال سكن الأقحاف ، خطأ والصواب سكنوا الأحقاف وهي الرمال بظاهر بلاد اليمن ، منازل عاد .

وفي ص ٣٤٣ يقول عثمان بن فرعون بن حبيب أبو السائب ، من قريش ومن أقدم الصحابة ... الخ . وفي هذا سقطة حاطمة ، ليست فقط بسبب بحثي الطويل عن جميع من سمي بعثمان في قريش وغيرهم ، بل عن فرعون ، الذي لا يعلم إلا الله كيف نسب إلى قريش ، وليجزي الله المؤلف عني ما يستحق على ما عناني طول البحث في المصنفات العربية عن هذا « الفرعون » الذي لم ينسه عن ضبطه « بكسر الفاء وسكون الراء وفتح العين وسكون

الواو بعدها نون » حتى إذا يئست وقنطت هداني طول التأمل إلى البحث في دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية التي يقول في مقدمة هذا المنجد أنه يعتمد عليها ، وإذا بي أجتمع به هناك ، وإذا به مظعون ، عثمان بن مظعون ، ولما كانت مظعون تكتب بالفرنسية Mazoun فقد نقلها مزعون ، ولما عُرض عليه التصحيح بدا له أن « مزعون » ليس اسماً مألوفاً ، وإذ كان رسمه يشبه رسم « فرعون » قدّر اسم فرعون صحيحاً ، وهكذا مُسخ مظعون هذا المسخ المنكر .

وتذكرني هذه المناسبة بغباء أحد المتعالمين ، فقد قرأ حديثاً فقال : روى فلان عن فلان عن فلان عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عن رجل ، وكان أحد المستمعين الفطنين حاضراً فقال : مِنْ أين جعلت لله شيخاً ؟ فقال : هذا الكتاب بين يدي ، ولما اطلع على الحديث إذا به عن جبريل عن الله عز وجل ، وإذ كانت الكلمتان الأخيرتان تشبهان « عن رجل » بالرسم ، رواهما على قدر فهمه ، كما ترجم مؤلفنا « مظعون » ممسوخة بفرعون .

وفي ص ٣٥٤ يقول : ابن العلاء أبو عمر زبان ، بضم العين وفتح الميم من عمر خطأ والصواب عمرو بفتح العين وسكون الميم وراء بعدها واو عمرو الزائدة ، وبضم الزاي من زبان خطأ والصواب بفتحها ، ثم يقول انه علق على أشعار العرب ، الشروحات . خطأ والصواب الشروح . ومما تجدر إليه الإشارة أن ابن العلاء ورد اسمه في عدة مواضع من هذا الكتاب في ص ٣٤٠ و ٣٥٢ و ٥٣٢ وكلها مضبوطة على الخطأ فمرة ابن الأعلاء ومرة زيان بياء مثناة وأخرى بضم الزاي وتضعيف الباء المفتوحة وتارة عمر بن العلاء ... الخ . واسمه الصحيح ، هو أبو عمرو بن العلاء زَبّان .

(يتبع) منير العماري

التعريف والنقد

تاريخ الأدب العربي

(الجزء الأول)

الأدب القـــديم

من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية

صنعه الدكتور عمر فرّوخ البيروتي

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

إذا كانت الكتب توضع للمنفعة ، فهذا الكتاب من أنفعها ، وإذا أريدت للروعة ، فهذا الكتاب من أروعها ، وإذا كانت للمتعة فكتابنا هذا من أمتعها ، وإذا كانت للاستيعاب والجمع ، فتاريخ الأدب العربي هذا ، من أكثرها استيعاباً ، وأكبرها جمعاً .

يقع الكتاب في قرابة ثماني مئة صفحة ، وفيه الحديث على أربعة وسبعين ومئة شاعر وخطيب . اشتمل على خلاصة وافية من أخبارهم ، وطائفة صالحة من أقوالهم وأشعارهم ، نقلها أصح نقل ، وشكلها أضبط شكل ، وعلق عليها بتفسير موجز للألفاظ ، وشرحٍ موضح لمعاني الأبيات ، وقد طُبع الكتاب طبعاً حسناً ، على ورق جيّد ، فجاء ممتعاً في ما احتواه ، أنيقاً في مظهره ومجلاه .

يقول الدكتور [١] في مقدمة كتابه :

« هذا كتاب في تاريخ الأدب العربي ، يقرّب الموضوع للدارسين الباحثين ، ويبسط ذخائر الجانب الوجداني من الأدب العربي للمطالعين . »

« إن الكتب في تاريخ الأدب العربي ليست قليلة ، ولكنها كلها تمر في العصور ، فتختار عصراً تتكلم عنه ، ثم تضرب عليه مثلاً من بضعة شعراء : ثلاثة أو أربعة ، أو اثني عشر من الشعراء المعروفين عادةً في المعلّقات أو القريبين من شعراء المعلقات .

إن هذا الكتاب يتناول من الجاهليين وحدهم شعراء كثيرين ، وخطباء قليلين يزيدون على خمسين . . . . . . »

إلى أن يقول :

« . . . . . إن نفراً من الدارسين للأدب العربي يُجرون دراساتهم على الأسلوب الإفرنجي ، وكلما وجدوا اختلافاً بين الأدبين ، أجالوا أقلامهم وألسنتهم في الأدب العربي ، ومالوا على القديم منه ، يريدون أن يتبدلوا به الجديد من الأدب الفرنجي ، أما أنا فلا أحفل في هذا الكتاب ، إلا بالأدب العربي الذي عاش .

لقد عرفَتْ الجاهلية ، وعرفَ العصرانُ : الأموي والعباسي ، ثم عرف العصر الأندلسي ، أنواعاً في الأدب كثيرة ، يسمونها جديدة ثم ماتت . فلا أنا حفلت بهذه الأنواع في الأدب القديم ، ولا أنا حافل بها كثيراً في الأدب المعاصر .

---

(١) اجتهدنا كثيراً في أن نضع « العليم » في موضع « الدكتور » واستعملناها برهة في المعاملات الرسمية والتنظيمات العدلية . غير أنها على صحة معناها ودلاله ، وخفة لفظها ورنته ، لم ترزق حظ البقاء ، فماتت أو كادت . (ع)

على أن الجديد سيجد مكانه في هذا الكتاب ما دام جيـــداً لايخالف العبقرية العربية . »

هذه صورة مجملة لهذا الكتاب . تصفه قطعة من مقدمته : فيها كثير من الرأي الناضج ، والنقد الصحيح ، ينتقل بعدها المؤلف إلى « تمهيد » في اللغة والأدب وخصائصها ، ثم في « الأعصر السياسية والأدبية » يتحدث فيها عن « اللغة واللهجات » وعن « الكتابة » و « التدوين » وعن « انتشار اللحن بعد الإسلام » ، ولا يغفل ذكر المصادر التي اعتمد عليها في تأليفه .

ويقسم تاريخ الأدب العربي ، ثمانية أقسام ، متابَعةً لما جرى عليه أكثر المؤرخين لهذا الأدب .

١ — العصر الجاهلي . ٢ — عصر المخضرمين . ٣ — العصر الأموي .
٤ — العصر العباسي (بحقبة الثلاث : حقبة بغداد ، حقبـــة الدويلات ، الحقبة السلجوقية) . ٥ — العصر الأندلسي . ٦ — العصر المغولي .
٧ — العصـــر العثماني . ٨ — العصر الحديث .

وبعد هذا يتناول بحثه : بلاد العرب وأحوالها الطبيعية والاجتماعية . فيلمّ بحياة القبيلة ، ثم بمقام المرأة ، وبالحياة الروحية ، والحياة السياسية والنفوذ الأجنبي .

وينتهي من هذا إلى صلب موضوعه ، وهو الحياة الأدبية . يبدأ بالعصر الجاهلي ، فالعصر الإسلامي ، فالأموي ، ثم العباسي . وفيه يختم الحديث عن الأدب العربي في هذا الجزء .

وقد يصلح هذا الكتاب أن يكون — لما جمع بين دفتيه من آثار رائعة ، وحكم جامعة ، ومن أبيات أبيّات ، وخطب بيّنات — معلمة يرجع إليها ، ويعتمد في حسن الرواية عليها .

وفي هذا الكتاب من القصائد القصصية ، الموحدة الموضوع ، المتسلسلة الأسلوب ، ما يدفع التهمة عن الشعر العربي ، بأنه خلو بمجموعه من جمال القصة ، فقير إلى الوحدة الموضوعيـــة التي تربط بين البيت والبيت ربطاً محكماً متناسقاً ، وأن القصيدة العربية ـ على ما زعموا ـ مجموعة أبيات ، مستقل كل بيت بنفسه عما يسبقه ، منفرد بذاته عما يلحقه ، فلا يضر القصيدة أن نقدم في أبياتها أو نؤخر .

وهو نقص زعموه في الشعر العربي ، وأكثروا من الخوض فيـه ، والاستشهاد عليه .

فجاء كتاب الدكتور فرّوخ ـ في كثير من القصائد ـ يضعف هـذه الحجة ، كما جاء ليقول لأصحاب الأدب الحق ، هذا هو الشعر العربي الأصيل ، لا ما يهرفون في هذا العصر ويخرفون ، ثم يسمون هذا الهراء شعراً ، وجلّ الشعر عن أن يكون شيئاً من هذا .

وبعد ، فان كتاب « تاريخ الأدب العربي » ، لا تفيه حقه كلمة تكتب عنه ، ولكن من حقه أن يُقرأ من ألفه إلى يائه ، ليعرف ما بذله صاحبه من جهد وعناية ووقت ، في تأليفه وتنسيقه ، حتى جاء فريداً في أسلوبه ، وحيداً في شموله ، وفي بلاغته ، وفي ما فيه من حسن الاختيار .

وقد يحسن بكل عربي ، ولا سيما الحاكمين ، أن يقرأوا قصيدة كعب ابن جُعيل التغلبي ففيها لنا عظة وعبرة : يقول واصفاً العرب : وكانوا في يومهم ، في مثل ما نحن فيه ، في يومنـا :

أرى الشامَ تكره ملك العراق ... وأهـلُ العراق لهم كارهونا
وكل لصاحبـه مُبغض ... يرى كل ما كان من ذاك دِينا
إذا ما رمَونا رمينـاهم ... ودناهم قبـل ما يقرضونا
وقالوا : علي إمام لنـا ... فقلنا : رضينا ابن هند رضينـا

وقالوا : نرى أن تدينوا لنــــا فقلنا لهم : لا نرى أن ندينا
ومن دون ذلك خرطُ القتاد وطعنٌ وحربٌ يُقرّ العيونا
وكلٌّ يسر بمـــا عنده يرى غثّ ما في يديه سمينا (١)

وله في يوم صفين :

أصبحتِ الأمةُ في أمرٍ عجبْ والمُلك مجموع غداً لمن غلب
أقول قولاً صادقاً غيرَ كذِب إنْ غدا تهلِك أعلامُ العرب
غداً نلاقي ربنــا فنحتسِب غداً يصيرون رماداً قد ذهب

★ ★ ★

ونرى أن الأستاذ كان في غنىً عن استعمال ألفاظ وتعبيرات ما عرفتها العصور التي كتب المؤلف كتابه عنها منهـا :

الامبراطورية الإسلامية — أعضاء البيت المالك — البلاط .

ونخالفه في رأيه في أرجوزة العجاج المشهورة . قال الأستاذ :

« إن في هذه القافية عيباً ، هو أنها تجمع قوافيَ ثقيلة مشددة نحو : (برّ ، فرّ) ، وقوافيَ خفيفة مهملة نحو : (شكر ، شجر ، غفر) .

أما أن يُعد اختلاف القوافي بين ما سمّاه (ثقيلة) و (خفيفة) من عيوب القافية ، فلسنا من رأيه . ولا نرى في القوافي المشددة من الثقل ، ما رآه المؤلف ، فأي ثقل في (برّ) من قوله :

عهدُ نبي ما عفا وما دثَر وعهدُ صدّيق رأى بَرّاً فبرّ

(١) وسمع أحد الإخوان هذه الأبيات فعلق عليها بقوله :

ونحن الى اليوم في حالة كحالة آبائنـــا الأولينـــا
ففي كل قطر لنـــا دولة تقول للطامع فينا : إلينا !
خلاف على تافهات الأمور يهيج في النفس حقداً دفينـــا
إذا أغضبَ اللهَ ما نحن فيه فقد سرَّ صهيونَ والغاصبينا

وفي (فرّ) في قوله :

بكل أخلاق الشُّجاع قد مَهَر معاود الإقدام قد كرّ وفرّ

ويرى الأستاذ ان محمداً في قول الراجز :

محمداً واختاره الله الخِيَر فما ونى محمدٌ مذْ أنْ غَفَر

ان (محمداً) بفتحتين في الأصل المطبوع ، لعلها محمدٍ بكسرتين لأنها بدل من النبي في السطر السابق .

والبيت السابق هو :

بالقتل أقواماً وأقواتاً أسر تحتَ الذي اختار له الله الشجر

نقول : إن الأصح ما جاء في الأصل المطبوع ، ذلك ان الراجز بعد أن جاء بالاسم الموصول للدلالة على الرسول (ﷺ) عاد يصرح بالاسم تصريحاً يراد به البيان أو التفسير والتبرك .

فكأنه يقول :

أردت محمداً — أو عنيت محمداً — أو قصدت . . . .

★ ★ ★

وبعد ، فهذا كتاب سدّ نقصاً كان في تاريخ الأدب العربي . فجزى الله الأستاذ خيراً عن أمته ولغته وآدابها .

عارف النكدي

وثائق جديدة

عن الثورة السورية الكبرى

(١٩٢٥ — ١٩٢٧)

(دار الكتاب الجديد) بيروت ١٩٦٥

إن هذا الكتاب يشتمل على جزء خطير من تاريخ الثورة السورية الكبرى (١٩٢٥ — ١٩٢٧) وهي في الحقيقة من أمجد صفحات التاريخ التي سطّرها العرب بعد الحرب العالمية الأولى .

والمؤلف هو الأستاذ القانونيّ والمؤرخ الصادق السيد ظافر القاسميّ ، ولقد خدم بكتابه هذا العرب والتاريخ والأدب أجل خدمة ، وذلك باعتماده على (سجل أحكام المجلس العدلي الفرنسي) الذي حاكم المجاهدين وقضى بالقتل على كثير من الشهداء ، وقد ترجم المؤلف الأحكام الصادرة من هذا المجلس ترجمة صادقة أظهر بها حوادث التاريخ ووقائع الثورة ، واستدلّ بها على خصائص الزعماء والشهداء ، وبطولات وطنه القوميّ الجميل ، وأضاف إلى هذا السجل ذكرياته الشخصية ، وحقّق كثيراً من أيام الثورة الغرّ المحجَّلة بسؤال من عاشوا تلك الأيام ، وعلّق على تلك الأحكام الفرنسية تعليق قانونيّ عادل ، واستنطق ألفاظ تلك الأحكام ومدلولاتها ، ومنها ما يشعر بإعجاب قضاة ذلك المجلس العدلي الفرنسي بأعمال بعض رجال الثورة الدالة على بطولة وإخلاص للوطن ومفاداة ضربوا بها المثل الأعلى في ثورات الأمم .

وتعليقات المصنف واستنتاجاته تدل على تعمّق في الحقوق مع الإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه ، ولو أنه كان أجنبياً كقوله عن رئيس المجلس انه كان من خيار الفرنسيين المدنيين الذين هبطوا أرض الوطن ، سليم الوجدان

أميل إلى الحرية منه إلى الإرهاب ، خفيف الظل ، حار النكتة وحاضرها ، وكثيراً ما نسي أنه كان يحكم في قضايا سياسية ، فيغلب عليه طبعه ، وتصدر عنه بعض العبارات التي تنم عن دمقراطية أصيلة .

ويمتاز هذا الكتاب كسائر ما كتب المؤلف باللفظ المختار المونق والأسلوب السلس المشرق كقوله في إنصاف المرأة العربية الشامية : « وعلى الرغم من هذا كله ، لم تحل هذه الحواجز دون مشاركة المرأة للرجل في الواجب الديني أو القومي ، فنهضت على قدميها وتركت أولادها في بيتها وهاجرت في سبيل الله ، وربما عادت في المساء لتجد أولادها قد طووا النهار على الطوى لا تبالي نكالاً ولا عذاباً ، وهذا الوسام الذي قلّدها إياه المجلس العدلي من دواعي فخارها وأسباب زهوها وبواعث اعتزازها بأنها لم تخلق لجر الذيول ، وإنما خلقت معه لقرع الطبول ، وملاقاة الفرسان على ظهور الخيول !

وقد أنصف المصنف في هذا الكتاب رجالاً سوّدت السياسة الحزبية صحائفهم وجرّدتهم من العواطف الوطنية والقوميـــة ، كرضا باشا الركابي والدكتور عبد الرحمن شهبندر ، وقد شهد لهم سجل المجلس العدلي بتلك العواطف النبيلة والمواقف العربية الجليلة ، والفضل ما شهدت به الأعداء ، وقد كنت أظن المؤلف من أنصار حزب الكتلة المتغلّبة في تلك الأيام ، وإذا بي أراه في صفحات كتابه يفاخر بالرجال الذين حكم المجلس العدلي الفرنسي عليهم بالإعدام ، ويثني على أعمالهم القومية أطيب الثناء ويرقص قلبه طرباً ويترنّح عجباً وسروراً بشهادة الأعداء كقولهم في حكم الإعـدام على الدكتور شهبندر في الماده (ك) ما نصه : (وحيث إنه مهيّج الثورة وروحها ، وانه في جميع القرى التي ينتشر فيها التراخي أو التثبيط أو الانقطاع عن العمـــل الثوري ، كان الشهبندر دوماً هو الذي يسارع متعجّلاً ليهيّج الناس وليستمروا ...) .

ثم يعلق المؤلف على هذه المادة بقوله :

وكم شرّف المجلس الفقيد الشهبندر يوم اعتبره « مهيّج الثورة وروحها » فما كان لأي رجل وطني في أيّ قطر من أقطار الدنيـــا وفي أي عصر من العصور أن يطمع في أعظم من هذا الشرف العظيم ؛ فمن كان (روح الثورة) فهو الثورة كلها بقضّها وقضيضها وبخيلها ورجلها ، وعَددها وعُددها ورجالها وسلاحها ، ومتى كان للجسم قيمة إذا فقد الروح . ونتيجةً لهذا الوصف المجيد ، كان الشهبندر هو الذي يسارع متعجلاً إلى جميع القرى التي ينتشر فيها التراخي أو التثبيط أو الانقطاع من العمل الثوري ليهيج الناس ويستمروا (١) . . .

ولم يقف المجلس عند هذا الحد فاعتبر الشهبندر هو الذي حمل الثورة إلى قلب دمشق نفسها . . . . فما أعظم هذا الوسام الذي قدمه المجلس لهـــذا الرجل المجاهد !

أما رضا باشا الركابي فقد كان من عظماء القواد في الجيش التركي ومن رجال الإدارة والسياسة ، وكان مضرب الامثال في العفة والأمانة بين الرجال ، ولو أنه سلك مسالك غيره من الولاة والقواد لترك خلفه لأولاده ثروة كبيرة ، وكل من اتصل به ، وعرفه الفقيد مخلصاً لعروبته كان يبوح له بما في قلبه الذي يضطرم اضطراماً بحب أمته وبغض أعداء العرب ، ومما يشرّفه ما جاء في حكم الفرنسيين على آل البكري بالإعدام بقولهم :

« وحينئذ ان فوزي البكري قد ذهب إلى جبل الدروز منذ ١٤ آب ١٩٢٥ مع نسيب البكري ويحي حياتي ، وتهيّأ مع فريق من البدو أرسلهم رضا الركابي ومع ٤٠٠ فارس درزي للسير نحو دمشق . . . »

---

(١) وقد كنت ممن رافق الدكتور شهبندر مع جماعة من أنصاره الى جبل العرب ، وألقى فيه خطباً برّكانية كثيرة ، وألقيت فيه قصيدة ميمية في المعاني التي اشتملت عليها الخطب الشهبندرية .

وعلق الأستاذ على هذا بقوله : والذي يتضح من الحكم أن فوزي البكري قد تهيأ مع فريق من البدو أرسلهم رضا الركابي ومع ٤٠٠ فارس درزي للسير نحو دمشق ، فقد برّ الركابي رحمه الله بوعده ، ووفى للدمشقي بعهده ، وجاء العون إلى المجاهدين .

ولقد أنصف بني معروف بقوله : « وإذا كان الدروز عامة من أشد الأقوام بأساً في القتال وأهزئهم بالموت وأكثرهم استخفافاً به ، لا سيما إذا كانوا متجمعين ؛ ومما قاله في معركة المزرعة منصفاً الأمير حسن الأطرش : فلقد روي عن الأمير حسن الأطرش ، وكان يومئذ في ريعان فتوّته وإبان شبابه أنه كان فارس ذلك اليوم ، وأنه تقدم الصفوف بعد أن ستر وجهه بعباءته وبعد أن ترك لجواده يقوده وحده إلى القتال أي إنه هجم على العدو معصوبَ العينين ليحجب عن بصره صورته ، ولئلا يداخل نفسه أي لون من ألوان الخوف .

قلت وقد سمعت عن بسالة هذا الأمير الشيء المعجب الكثير فهو في السلم ممتاز بلطفه وأنسه ، وهو يوم الوغى كليث عِفرّين ببطشه وشدة بأسه .

إن المؤلف من القضاة الحامين ، وللقاضي المنطقي موهبة صحة الحكم والعدل الفاصل بين الحق والباطل ، وإنك في كل فصل من فصول الكتاب ، أو في كل صفحة أو باب ، تطلع على بيّنة من صدق الحكم وصحة الاستدلال ، ولولا خوفي من الإسهاب والإملال لأتيت بفقرات وشواهد ناطقة ، واستمع لما يوجب إليك حكمه على موقف الحامين السوريين في المجلس العدلي ، قال : إنني أرى أن المجلس العدلي قد شهد لهم هذه الشهادة الذهبية فقال :

(وحيث إن هؤلاء الشهود ، أبعد من أن ينالهم اللوم ، كما قال ذلك بعض محامي الدفاع) .

قال المصنف : والذي أتصوره من هذه الفقرة المقتضبة أن شهوداً قد جاؤوا يشهدون على المتهمين بأنهم قد رأوهم يوم الحادثة ، وأن محامي الدفاع قد نالوا من هؤلاء الشهود ورأوا في شهادتهم ما يدعو إلى مهاجمتهم فما كان لهم أن يشهدوا على مواطنيهم ، والموضوع يتعلق بحياة أمة ، لا في حادث فردي فقاموا يندّدون بهم ويجرّحونهم ويذهبون إلى أبعد من هـــذا كله فيوجّهون اليهم اللوم ... إنهم يلومون مواطناً شهد على مواطن ، وذلك لعمري غاية ما تبلغه الوطنية .

وإذا كنت لم أعرف أسماء هؤلاء المحامين ، فإني أزجي إليهم تحية الإكبار والإعجاب أحياءً كانوا أم أمواتاً ، تحمل إلى هذه الأسرة التي كرّمني الله بأني أحد أفرادها ، وساماً من أرفع أوسمة الشرف الأكبر ، الذي أرجو أن يحافظوا عليه ، ما بقي في دنيانا قضاء ، وما بقيت تحت سمائها محاماة !

ولا جرم أن هذا الوسام خليق بأن يتألق ويتباهى بتعليقه على صدر المؤلف الذي انتصر في كتابه هذا للفضائل ، وانتفض غضباً على الدنايا والرذائل ، ولست لعمري ، وإن حبّرت له آيات الثناء ، بقادرٍ على إيفائه ما يستحقه من عبارات المديح والإطراء ، فبارك الله فيه وعليه وأكثر في القضاة والكتاب من أمثاله .

قالوا إن الجمال معرّض أبداً لإصابة العين الحسود ، والجميل في حاجة إلى عيب يقيه أذى تلك العين ، فلعل من أمثال ذلك العيب ، وكثير من عيوب الطبع ، ما جاء في الصفحة ٣٠ (ومحاولة اغتيار غورو) والصواب : اغتيال باللام لا بالراء ؛ ومنه ما جاء في الصفحة ٤٢ (والثورة تغلي فالمرجل) والصواب : الذي لا يخفى : كالمرجل ؛ ومنه في الصفحة ٥٩ (أراد عمروا) والصواب : عمرًا بدون هذه الواو الفارقة بين عمرو بفتح العين وعمر بضمها ؛

فإن تنوين عمرو يغني عن زيادة الواو ، وعمر الممنوع من الصرف للعلمية والعدل لا يعرب ولا ينون ؛ ومنها ما جاء صفحة ٧١ (وتجريدهم من أسلحتهم) والصواب : من أسلحتهم ؛ وفي الصفحة ٧٨ (من الوفود الذي يحج إلى الزعيم) والصواب : الوفود التي تحج إلى الزعيم ؛ وجاء في الصفحة ١٠٢ (أما الأحكام فلا تخرج في مضمونها ونحواها) والصواب : وفحواها بالفاء لا بالنون ؛ وفي الصفحة ١١٢ (ان الحرق يزداد اتساعاً) والصواب : الخرق بالخاء المعجمة .

ومن السهو الذي لا يحتاج إلى سجود ما جاء في الصفحة ١٠٥ (ارتكب ساراي أمراً إدًّا في أوائل القرن العشرين خالف فيه عن الشرف) والصواب : خالف فيه الشرف أو حاد فيه عن الشرف ؛ وفي الصفحة ١١٨ (ولم يرد عدد المجاهدين على المئتين) والصواب : لم يزد ؛ وفي الصفحة ١٥٢ (فأرسل قوة إلى برغز وهي مزرعة درزية صغيرة تخص آل شمسي) بياء النسب ، والصواب : آل شمس ، وهم لا يزالون وجوه برغز وما حولها ؛ وفي الصفحة ٢١٦ (توجد مع كان داخلها) ولعل الأصل كان : (توجد مع مَنْ كان داخلها) ؛ وجاء في الصفحة ٣٠٨ أن (أحمد مريود الذي قتل في ٢١ أيار ١٩٢٦) والصواب : في ٣١ أيار ، كما جاء التاريخ صحيحاً في الصفحة ١٢٧ من هذا الكتاب .

ويحسن بنا أن نختم هذا الكتاب النفيس الجدير بمطالعة كل شاميّ وعربيّ بمشاركة المؤلف في ترجمة (Pauperisme) بعسرة الكادحين ، وهي كما جاء في معجم ليتره تفيد وجود عدد عديد من الفقراء في دولة ما ، فعلى الدولة إطعامهم ومكافحة فقرهم ، وهي كما جاء في معجم لاروس لفظة انكليزية من أصل لاتيني (Pauper) وهي (Pauvre) بالفرنسية بمعنى الفقير ، فاللفظة بمعنى الافتقار أو الاعترار ، والفقير المعترّ هو ذو الحاجة يطيف ولا يسأل كما جاء في المصباح قال تعالى : ﴿ وأطعموا البائس والمعتر ﴾ ، وإذا أراد

الله بقوم أو دولة سوءًا رماهم أو رماها بالبؤس بمعنى الفقر وبالضرّ ، كما قال تعالى : ﴿ أخذناهم بالبأساء والضرّاء ﴾ ، قال الزجّاج : البأساء الجوع والضرّاء في الأموال ، فالبأساء مرض الفقر الاجتماعي الذي تكافحه الدولة .

لقد بلغ الأستاذ الظافر في ثروته العلمية والأدبية النصاب ، أي القدر الذي تجب فيه الزكاة ، وهو بتأليف هذا الكتاب الوطني النفيس قد أدّى زكاة علمه جزاه الله عن ملته وأمته خيراً ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

التنوخي

كتاب تحفة الأشراف ، بمعرفة الأطراف

للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج ، يوسف بن الزكي عبد الرحمن

ابن يوسف المزي المتوفّى سنة ٧٤٢ هـ

معجم مفهرس لمسانيد الصحابة والرواة عنهم ، وموسوعة علمية لجميع أحاديث الكتب الستة الصحاح

ومعه : النكت الظراف ، على الأطراف

تعليقات الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ

الجزء الأول : أبيض بن حمّال الحميري ـ إلى : أنس بن مالك القشيري

نشرته الدار القيمة بهيوندي بمباي الهند

إن أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد ، وإعدادهم إلى حُسن المعاد ، هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّ ما ينتفع به في الآخرة لا سبيل إلى معرفته إلاّ بنور النبوة ، وهي قوة وراء قوة العقل ، يدرك بها من أمر الغيب في الماضي والمستقبل أمور ، لا على طريق التعرف بالأسباب العقلية ، بل إنه (ﷺ) أفاض في ذكر ما أوحيَ إليه من صلاح العباد ، في

معاشهم ومعادهم ، ولذلك كان رحمة للعالمين ، فهو لم يترك شيئاً مما يقرب من الجنة ورضاء الخالق ، إلاّ دلهم عليه ، وأمرهم به وحثهم عليه ، ولا شيئاً مما يقربهم إلى النار ، وإلى سخط الله إلاّ حذرهم منه ونهاهم عنه ، وذلك في العلم والعمل جميعاً وقد قال صلوات الله عليه : « نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ، فأداها كما سمعها » رواه أصحاب السنن وغيرهم ، بطرق كثيرة .

وضع الكتاب في أطراف الكتب الستة وهي : الجامع الصحيح للبخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، وجامع الترمذي ، وسنن النسائي ، وسنن ابن ماجه ، وبعض لواحقها .

والغرض الأساسي من وضع الكتاب هو جمع أحاديث الكتب الستة بطريق يسهّل على القارىء معرفة أسانيدها المختلفة مجتمعة في موضع واحد .

وفي أول الكتاب مقدمة جلّى بقلم مصححه وطابعه والمعلق عليه الأستاذ عبد الصمد شرف الدين ، وهي في علم الحديث وحكمته وفائدته ، وعدم الاستغناء عنه في فهم الكتاب العربي ، وتوجيه أنظار الأبناء إلى هذه الثروة العظمى التي خلفها لنا الآباء ، وأورثونا إياها ، لنعيد بها العهد الأول ، الأغر المحجل ، وذكر النشء بقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ أعظم حاكم ديمقراطي في الإسلام ، ـ فإنه كان يكتب إلى جميع عماله في الآفاق : « إن أهم أموركم عندي الصلاة ، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ الدين كله ، ومَنْ ضيَّعها فهو لما سواها أضيع » . وفي المقدمة وصف جامع لمقاصد الكتاب ، وهو يقع في عشرة أجزاء ، وهذا الأول منها ، وعدد صفحاته أكثر من (٤٥٠) صفحة ، « وقد قسم المصنف جميع أحاديث الكتب الستة ، مُسندَها ومُرسَلها وعددها ١٩٥٩٥ مع المكرَّرات ، ـ إلى ١٣٩٥ مسنداً ، منها ٩٩٥ منسوباً إلى الصحابة رجالاً ونساءً ـ رضوان الله عليهم ، مرتباً أسماؤهم على حروف المعجم ، عن النبي ﷺ ، والباقي من المراسيل

وعددها ٤٠٠ ، منسوبةً إلى أئمة التابعين ومن بعدهم على نسق حروف المعجم أيضاً ، قال الأستاذ شرف الدين : أما أرقام المسانيد والأحاديث ، فليست من أصل كتاب المصنف ، بل من ترقيمنا ، هذا هو التقسيم العمومي لأحاديث الصحاح الستة ، ومنه يعرف عدد الأحاديث المروية عن كل صحابي على حدة . (قال) : وقد ألحقنا في أول هذا المجلّد فهرساً كاملاً لأسماء جميع من ترجم له المصنف فيه ، مع قيد الصفحات ، وعدد أحاديث كل مترجم » .

الأطراف :

وبعد كتب لفظ « حدثنا » ينقل المصنف طرَفاً من أول الحديث يدل به على بقية لفظه ، ومن هنا سُمّي الكتاب بـ « الأطراف » والقطعة المنقولة إما من قوله (ﷺ) إن كان الحديث قولياً ، أو من كلام الصحابي إن كان فعلياً ، أو بالإضافة كقوله : حديث العُرنيين ، ويتلوه في الغالب لفظ (الحديث) أي اقرأ الحديث إلى آخره . ولا بدّ من ضبط أحاديث « الأطراف » بقيد « الأبواب » زيادة على ذكر المصنف لـ « الكتب » من الأمهات الست ، فقد قمنا بهذه المهمة نيابة عن المصنف ، تسهيلاً للقراء .

(كتاب الكشاف) :

ثم قال الأستاذ عبد الصمد : وحيث إنه يتعذّر مراجعة أصول الأمهات للكشف عن كتبها وأبواب كتبها ، ولكون الأصول المطبوعة غير مرقومة الكتب والأبواب عموماً ، ولما عسى يوجد من اختلاف أرقام الأبواب والكتب وأسمائها وتراجمها في نسخ الأصول المختلفة ، رأينا من المناسب عمل دليل عام لفهارس كتب الأصول الستة ، وأبوابها مع رقم كل كتاب وباب ، وسميناه « الكشاف ، عن أبواب مراجع تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » .

ملخّص فوائد «الأطراف»:

وختم الطابع مقدمته هذه بنقله ـ عن المحدث الجليل الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة تحت هذا العنوان ـ ستّ فوائد لكتب الأطراف، وهي لقطة العجلان، يعود بها إلى أصولها الستة ومراجعها، ويظفر بالمطلوب ويرى كتب السنة سهلة المطالعة والمراجعة، ويدعو لأئمتها بالمغفرة والرضوان.

وقد اعتذر الأستاذ الطابع بطول مقدمته، عن بيان «النكت الظراف» وكتاب «الإشراف» المنوه بها. واكتفى بطابع ثلاث صفحات من صور المخطوطات المهمة الثلاث، وإحداهن نسخة الأستاذ الشهير الشيخ محمد نصيف، واعداً بوصفهن في مقدمة الجزء الثاني إن شاء الله تعالى، فنسأله سبحانه أن ييسر طبع هذه الأجزاء العشرة لتكون مرجعاً من أهم المراجع لكتب السنّة، وأن يجزي كل من أعان على طبعها ونشرها أفضل الجزاء، بمنه وكرمه.

محمد بهجة البيطار

ملاحظات على ماورد في ديوان

(ابن النقيب)

في المتن والحاشـــية

لو لم تكن لي حَوْبة في آل الجندي الأكارم ـ والأستاذ أحمد الجندي الشاعر والأديب منهم ، وله مكانته في عالم الشعر والأدب ـ ما جرؤت على إبداء هذه الملاحظات على بعض ما ورد في ديوان (ابن النقيب) الذى قام الأستاذ جزاه الله خيراً بمراجعته وأشرف على طبعه . وما أريد من هذه الملاحظات إلا لفت نظر الأستاذ ليس غير ، وأحسب انه كانت منه نظرة عجلى حين مراجعته الديوان والإشراف على طبعه . فكان من هذه العجلة ما شجّعني على الإسهام في إيضاح وشرح بعض ما رأيته محتاجاً للشرح والإيضاح ويقيني من عتاب الأستاذ الفاضل يقيني أنه يحبذ تحري الصواب والإرشاد اليـــه .

واليكم الآن الملاحظات .

الصفحة ١٢ السطر الأخير — (البَهار) . في القاموس (نبتٌ طيّب الرائحة ، وكل حسَن) وفي المصباح (الطيب ومنه قيل لأزهار البادية : بهار) . قلت : (بهار) فارسية ومعناها : الربيع . ولعل العرب استعملوها للأزهار إطلاقاً ، لطيب ريحها .

ص ٢٨ — (مُرْدَقوش) . أصل الكلمة (مَرْزَنْكُوش) من الفارسية بالكاف الفارسية : نبتٌ عربيته سمسق (لا شمشق كما جاء في السطر) . اسمه باللاتينية Origanum majoranoïdes Welld وبالفرنسية Origan ; marjolaine وهو من الرياحين .

ص ٤٣ — سناب : الصحيح : (سينوب) وهي مرفأ على البحر الأسود من الشاطيء الآنضولي .

ص ٤٤ (٣) — لم يُذكر الرقم ولا الشرح لِـ (قيسارية) .

ص ٤٤ (٤) — (ينكي) . هذه الكلمة بهذه الحروف لا توجد بالتركية . إنما هي (يكي) بالكاف المنوّنة وتقرأ (يني) ومعناها : الجديد . ولا مبرر للشاعر أن يُدخل (لـ) على كلة من أصل تركي ليس فيها هذا الحرف . فله أن يلفظها (يكي) بالكاف العربية كما يلفظ المصريون (بكباشي) بالكاف العربية بدلاً من (بنباشي) توهماً منهم أن الكاف عربية . وليس لشاعر أن يضيف حرفاً رابعاً على كلة غير عربية كما في (ينكي) ليستقيم له الوزن . نعم (يجوز للشاعر ما لا يجوز للناثر) - (لا التجاوز) - وفي حدود مقبولة معقولة .

ص ٤٤ السطر الخامس — خانية . الصحيح (حانية) بالحاء المهملة .

ص ٤٦ — (أفديك لا تسرفَ في هجر من) . غير مفهوم ولم يُذكر له أي شرح أو تصحيح .

ص ٥٧ (٢) — الصوالج (جمع صولجان أي العصا . . . الخ) . فمن التشبيه المقبول أن تكون سُويقات القرنفل خضراً كالزمرّد عليها القرنفل كرات ياقوت . وأما شرح (الصوالج ، بالفضة الخالصة) فلا وجه له هنا .

ص ٩٥ (٥) — مَيود ، صح (أي متبختر) ، فلا حاجة إلى تبديلها إلى (مَميود) بالمعنى ذاته) .

ص ٩٩ (٣) — ينقل الرقم (٣) إلى كلة (بنده (٣)) .

ص ١٠٨ السطر الثالث — لعل الصحيح : (مُزَمْرَدا) من الزمرّد ، إذ لا معنى لـ (مزرّدا) .

ص ١٢٩ (٣) — رقم (٢) يوضع فوق كلمة (منبرا [٢]) ويحذف من فوق (جوهرا) .

ص ١٥٢ (١) — الناورد ، كما في الأصل ، أصح من (الماورد) المصحَّحة . لأن (الناورد ـ فارسية ومعناها المبارزة ، والحرب . . . الخ .) . فالمعنى يناسب لمن يدور في فلك المبارزة أو الرقص ـ ولا ملاءمة لـ (الماورد) في (ملعب الخيل ، كما جاء بالبيت الذي قبله) . فالناورد يوافق المبارزة و (الجَمْبَزَة) وهـــذه من الفارسية (جان باز) أي اللاعب المخاطر بروحه أو حياته .

ص ١٦٦ (٢) — عن (دُوبَيْت) : الوزن بالتركيــــة هو (مَفْعُولُ مَفاعيــــلُ مَفاعيــــلُ فَعُولُنْ) . فأيها الصحيــــح (فِعْلُن متفاعلن فعولن فَعِلن) الوارد في الصفحه ذاتها أم الذي ذكرتُه وهو المأخوذ عن الفارسية ؟

ص ١٩٤ (١) منجاك باشا [١] — يجب نقل الحاشية من ص ١٩٣ إلى ص ١٩٤ .

ص ١٩٤ (٢) — لعل الصحيح (التَّجميع) لملاءمته كلمة (يرشح) بدلاً من (السَّفيع) .

ص ٢٠١ (٧) — الصحيح (تنساح) بالحاء المهملة . من (ساح الماءُ جرى على وجه الأرض ، والظلُّ ناءَ . أو من : انساح بالُه اتَّسع .) فمعنى البيت إذن : تتسع أضواؤه أو تبعد أو تنتشر وهو المقصود .

ص ٢٠٥ (١) — (البصوي) لم تذكر له (ترجمة) في الحاشية .

ص ٢٤٢ (٢) — ما قولكم بـ (مُكَوْفَر) بدلاً من (مُكَفَّر) التي لها معان شتى إلا الاشتقاق من الكافور ؟ ألا ترون اشتقاقنا (مكوفر) ، كما قالوا معصفَر ، أدل على المقصود ؟ ولعل هذا من خطأ النساخ في الأصل .

ص ٢٤٢ (٣) — لم يوضع شرح في الحاشية . فيجب إما طيها أو وضع شرح .

ص ٢٤٤ (١) — لعل الشطر هكذا : (بِكَ مذ تقلّص بيننا الترسال) مذ بدلاً من (من) فيتضح المعنى . وهذا من خطأ النساخ في الأصل على ما أظن .

ص ٢٤٥ (٣) — (فِراخُ قَطاةٍ) بفتح القاف وبتاء مربوطة بالآخر (لا بالطاء ـ قِطاط ـ) وهي من خطأ النساخ في الأصل . فيتضح المعنى المقصود ولا تبقى حاجة إلى أي تعليل .

ص ٢٧٩ (١) — (شطانات) من خطأ النساخ . لعلها : شُطْآن ، بدون ألف وتاء مفتوحة ، وهي جمع (شَطْء النهر) أو (شَطّان مثنى شطّ) . وشجرات الصفصاف ، كما هو معلوم ، تنمو على شطّي النهر أو شُطآن الأنهار وبهذا يستقيم معنى الجملة .

ص ٣٠٥ (٢) — كان الأجدر أن يقال في الشرح ، في الحاشية : (من : آية قرآنية كريمة) أو (محاكاة للآية الكريمة) لأن جزء الآية الكريمة هو ، كما جاء في سورة الفُرْقان ـ الآية ٣٧ : [﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ على يَدَيْهِ يقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا ﴾] ففيها (يا) قبل (ليتني) ، وليس فيها (كنتُ) قبل (اتخذتُ) . هذا والآيات الكريمة محفوظة مصونة ، فيجب أن تُذكر كما هي وإلا فلا بد من القول (محاكاة لها) .

الكواكبي

ديوان رشيد الهاشمي

طبع بمطبعة المعارف ببغداد عام ١٩٦٤ ، جمعه وعلق عليه عبد الله الجبوري

عدد الصفحات (١٦٠) من القطع المتوسط

هذا ديوان لشاعر عراقي معاصر ولد في نهاية القرن الماضي (١٨٩٦ م) وتوفي عام (١٩٤٣ م) فكان له من العمر سبعة وأربعون عاماً نظم خلالها عدداً من القصائد جمعها وعلق عليها وشرحها الأستاذ عبد الله الجبوري بعد وفاة الشاعر بمدة طويلة .

يبدأ الديوان بالإهداء إلى البطل العظيم « صلاح الدين الأيوبي » ثم بمقدمة نفيسة ضافية للعلامة الأستاذ محمد بهجة الأثري عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهذه المقدمة تعطيك صورة صادقة وواضحة عن الشاعر ، ويلي ذلك تمهيد يتضمن حياة الشاعر وديوانه . وينتهي الديوان بمرثية حزينة من نظم شقيق الشاعر السيد محمد الهاشمي بكى فيها أخاه ومن ذلك قائمة بالمراجع التي استعان بها جامع الديوان ثم ثبت للفهارس مؤلف من : فهرس للأعلام ، وللأمكنة والبقاع وللتصويبات ثم لمواضيع الديوان .

أما شعر الشاعر فأميل إلى المتانة والقوة فهو من جماعة الرصافي لا من أصحاب الزهاوي ، والفرق بين هاتين المدرستين ظاهر ، فالمدرسة الرصافية كانت من حيث اللفظ معنية بالقوة والجزالة والتقعر أحياناً ، كما كانت ، من حيث الفكرة ، ميالة للهجوم والعنف والجرح ، على حين كانت مدرسة الزهاوي أقرب إلى التجديد ؛ تبرر بعض التساهل في التعبير اللغوي والوزن العروضي وكانت في آرائها أميل إلى المحاسنة والملاينة .

وديوان هذا الشاعر البائس يذكرنا بقصة بائسة دامية من قصص الشعراء الذين ذهبوا ضحية فنهم ، وضحية التناقض بين أمزجتهم وزمانهم .

أحمد الجندي

آراء وأنباء

أمثلة

من الأغلاط الواقعة في لسان العرب

— ٥ —

(٥٢)

مادّة زرم — زردم

كل فعل رباعيّ مُخرَج من فعل ثلاثي بزيادة مُطلَقة أي من غير تقيّد بحروف الزيادة التي يجمعها قولك أهويتَ السَّمانَ (وعددها أحد عشر) مثل زردمَ وقمور وجرثم وترمس ، يعُدّ ابن منظور حرفَه الثالث زائداً فيورد زردم في مادّة زرم لا في زرد وجرثم في مادة جرم لا في جثم وترمس في مادّة ترس لا في رمس – حاسباً الجميع مثل قمور وفي أفعال قليلة جدًّا يسهو فيخالف اصطلاحَه .

أمّا اصطلاحُه فعلى غير مبدإٍ لأنَّ المبدأ الصرفي يقضي بذِكر الرباعي المزيد المطلق (وهو الذي سمّوه المجرّد الرباعي) في آخر مادّة الفعل الثلاثي الذي أُخرج منه بزيادة حرف – مثالُه ترس – بذكره في ترس – ولكن ترمس من رمس وفي التاج « إن تاءَه زائدة لأنه من رمس الشيءَ ستره وباقي المادّة فيه ما يدل على ذلك . » اهـ .

اللسان يضع زردم في مادة زرم والواجب أن يكون في آخر زرد :

زرَدَهُ = خنقَه ؛ زرَدَهُ = ابتلعَه

زردمَهُ = خنقَه ؛ الزردَمَة = الابتلاع

وأمّا زَرِم فهو يقول : زرِمَ الكلب والسِنّور بقي جعْرُه في دبره .

زرِمَ البيع = انقطع .

زرَّمَه فَقْر = قطع عنه الخير .

الزَّرمُ = الوِلاد « ألا لعن اللهُ التي زرَمت به » .

فمن أيّها أُخرج زردم أمن زرم أم من زرد ؟

على أن أصحاب المعاجم الذين ذكروا زردم في آخر مادة زرد فرَمْيَتهم من غير رامٍ ، وذلك لأنهم يوردون كل رباعي على ترتيب أحرفه فيصيبون متى كان الرابع زائداً كما يصيب صاحب اللسان متى كان الزائد ثالثاً . مثاله جمهر فاللسان يذكره في آخر مادّة جَمَرَ (على مُصطَلَحه) فيصيب وغيرُه ذكرَهُ في آخر مادّة جمه (على الترتيب) فأخطأ لأنّه لا يوجد فعل جمه .

★ ★ ★

(٥٣)

مادّة د ء ك — دأك — داءَك .

في هذه المادّة أعاد التفسير (مع المتفرّع منها) الذي أورده في مادّة دَكَأَ ولم يقل كلمةً واحدةً عن دأك وداءَك . فبإزاء هذه الغلطـــة برز المصحّح ولم يكتفِ أن يقول هكذا في الأصل (راجع النبذة ٤٩) بل قال « هكذا بالأصل ولا محلّ لهذه العبارة هنا بل محلّها مادّة دكأ » .

والظاهر أن فعل دأك غير موجود فلا ابن منظور ولا المجد ولا الزمخشري ولا الذين نقلوا عن الجوهري والمرتضي ذكروا هذا الفعل (اللسان ذكره خطأً ولم يفسّرْه) على أن اللسان في تفسيره لناقة مُواشِكة يستشهد بالبيت الآتي :

حقيبة سَرْجِه بَدَنٌ ودِرْعٌ وتحمِلُه مواشِـــكةٌ دَؤُوكُ

هذه لفظة غير واردة في المعاجم - دؤوك - فَعُول بمعنى الفاعل من دَأك - فعلى فرض أنّه لم يقع غلط لا في الرواية ولا في النسخ ولا في الطبع ، نسأل « ما معناها والمعجمات لا تذكر مادّتها ؟ » .

الأقرب إلى المعقول أن نرجع إلى الأصل الثنائي (المركّب الثنائي في الجدول الثالث كما أبنت في مكان آخر [مجلة الكلية ١٩٤٩ حزيران - تموز بالانكليزية العصبة الأندلسية السنة الأولى ص ٣٨٣] .

فلنرجع إلى الأصل الثنائي دأ الذي تخرج منه أفعال ثلاثية بزيادة حرف يكون لام الفعل - فيدلّ الثنائي على المعنى العامّ والحرف الزائد على المعنى الخاصّ :

دأدأ = سار بسُرعة .

دَأبَ = جدَّ واستمرّ .

دأض = امتلاء جلد البدن [أي أنّ الدابّة أُحسنت معاملتها] .

دأظَ = مثل دأض .

دأل = مشى مشياً نشيطاً .

دأم = دَعَم .

فالمعنى العامّ في دأ القوة ، النشاط عدم الكلال . فماذا نستنتج لدؤوك ؟ « القوية المستمرّة على نشاطها » .

متى وُجِدَ النصّ بطل الاجتهاد . ولكنْ إذا عدمنا النصّ فما لنا غير الاجتهاد - والنصّ يجب أن يكون صحيحاً مقبولاً والاجتهاد واضحاً معقولاً .

★ ★ ★

(٥٤)

مادّة غمط - غماط .

قال : « قال ابن بَرّي يقال له غَمَط وأغماط وغماط - قال المتنخّل : علامات كتحبير النِّماط » .

لا شك في أن غطاط مطبعيـــة . ولكن « لا مطبعيات في المعاجم » : ومرّت عين المصحّح عليها ولم ترها . فيقول كثيرون من المكابرين إذا جادلوك « أنا قرأتها في لسان العرب » .

★ ★ ★

(٥٥)

مادّة ع ل ق — علقنية .

قال « وعلِقت نفسُه الشيءَ فهي عَلِقَة وعلاقيَة وعِلَقْنَة (بكسر العين وفتح اللام) . قال فقلت لها والنفسُ منّي علِقْنَة (بفتح العين وكسر اللام) ـ الحركات في التفسير والبيت متناقضة ولا سبيل إلى الضبط إلاّ بعرضها على أوزان السيوطي (هذه ولا شك مطبعية ولكن . . .) .

★ ★ ★

(٥٦)

قال أصحاب محيط المحيط والأقرب والبستان : « علِقت الإبل من العضاه رعتها من أعلاها وأكلت منها بأفواهها » فعجبت من اكتشافهم أن البهائم تأكل بأفواهها ، غير أني فطنت إلى أنهم نقلوا عن الفيروزابادي فألفيت المجد مكتفياً بقوله « رعتها من أعلاها » فطلبت اللفظة في اللسان فوجدته يقول « رعتها من أعلاها وتناولتها بأفواهها » .

لا شك في أنّ اللسان أخطأ في طريقة التفسير بزيادته « وتناولته بأفواهها » . كان كافياً له ما كفى الفيروزابادي . ولكنه زاد ولزيادته تخريج [لا يجوز المعجم أن يفسّر بجمل تحتاج إلى تخريج لكي تفهم] وتخريجه هو هذا : معنى تناول أيضاً وصل إليه وأخذه أو بلغه ، فالإبل استطاعت أن « تنال »

أعالي الشجر من غير إمالة الراعي الأغصان أو قطعها – وما كان أغنانا عن هذا التخريج وعن التعبير الذى دفع إليه – رعتها من أعلاها » كافية .

كلمة تناولت مَفْتح للتخريج ولكن الذين نقلوا انتقلوا من تناول بمعنى أدرك أو بلغ إلى تناول الطعامَ بمعنى أكله فقالوا وأكلت منها بأفواهها فسدّوا مفتح التخريج كأنهم أصرّوا على أن الأكل إنما يكون بالفم . والذنب على ابن منظور !

★ ★ ★

(٥٧)

مادّة ن غ ص —

قال :

« لا أرى الموتَ يسبقُ الموتُ شَيْئاً نغّصَ الموتُ ذا الغنى والفقيرا

فأظهرَ الموتَ في موضع الإضمار » .

معنى الإظهار في موضع الإضمار أنّه كرّر لفظة الموت بعد يسبق بدلاً من قوله يسبقه – ومتى كان الضمير (هُ) للنصب وجب أن يقول الموتَ (فتحة على التاء) ومتى كانت لفظة الموت مفعولاً به صارت لفظة شيء فاعلاً فيصير البيت لا أرى الموتَ يسبقُ الموتَ شيءٌ . والمعنى يقتضيه .

★ ★ ★

(٥٨)

مادّة برد .

قال : « قال حسّان :

يسقُونَ مَنْ وَرَدَ «البريصَ» عليهم بَرَدى تُصفّقُ بالرحيق السَّلْسَلِ

أي ماء بردى » اهـ .

ما هو فاعل تُصفّق (فاعل مؤنّث) ؟

الصحيح يُصَفَّق (فعل المجهول نائب فاعله مذكّر) .

فيكون المعنى « ماء بَرَدى يُمْزج بالرَّحيق » .

★ ★ ★

(٥٩)

التهاون بضبط التسمية :

(١) يُسَمّي الحرف الأوّل همزة ـ والألف موضعها بين الواو والياء ـ وهذا صحيح ـ قال ابن فارس مفاخراً « والعرب أوّل من همز » وقصدُه أنهم الوحيدون الذين وضعوا علامةً (حرفاً لهمز الصوت والوحيدون الذين همزوا في وسط الكلمة وفي آخرها » . وابتدأ ابن منظور ترتيب معجمه بقوله : حرف الهمزة ـ فصل الهمزة : أبأً . . . . » إلى آخر الباب . ثم قال حرف الباء فصل الهمزة : أبب . ومع الحاء قال باب الهمزة مرّة وفصل الهمزة مرّتين ـ وقال فصل الهمزة في القسم الأكبر ـ ولكنه عاد إلى تسمية الحرف الأوّل بالطريقة العبرية السريانية الفينيقية فقال فصل الألف في الأبواب الآتية : الثاء الزاي السين الشين الصاد الضاد الطاء العين الغين القاف الكاف النون .

يتبع : (سنبولو) توفيق داود قربان

هدية قيمة

أهدى الأستاذ الفاضل السيد فخري البارودي خزانة كتب ثمينة إلى المجمع العلمي العربي بدمشق وقد بلغ عدد ما فيها نحواً من أربعمائة كتاب كما أهدى مجموعة نفيسة من الكتب والمجاميع الموسيقية النادرة مع مخطوطاته الخاصة لذلك قرر المجمع أن يشكر للأستاذ البارودي أريحيته وغيرته على العلم.

أغلاط مطبعية وتصويبات

صفحة	سطر	غلط	صواب
٧١٦	١	فيا	فيها
٧٤٠	٢	Impoulsion	Impulsion
٧٥٢	٢	قانون البلاغة وأضاف	قانون البلاغة إليه ، وأضاف
٧٥٢	٩	يصححا	يصححانه
			(٢)
٨٠٧	١	شعره ومذهبه الفني	شعره ومذهبه الفني
٨٣١	٢	وريقة الجنبة (٢)	وريقة الجنبة (١)
٨٣١	٧	مصطفى الشهابي (١)	مصطفى الشهابي (٢)
٨٣١	آخر سطر	البوقيصاء	البوقيصا
٨٣٦	٣	لم ينتبه إلى تصويبه)	لم ينتبه إلى تصويبه فهو هرطمان بالراء)
٨٤٣	٧	راتنجي	راتينجي

فهرس المجلد الأربعين

الجزء الأول

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الثاني

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنباء

الجزء الثالث

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنبـاء